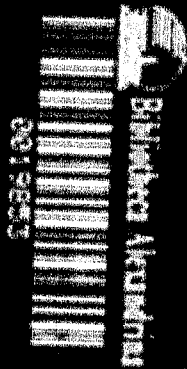


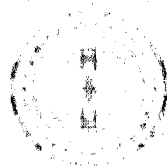
كتاب لستينج

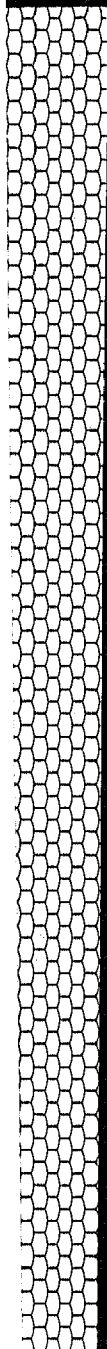
بِلْدَان
الْخِلَافَةِ الشَّرْقِيَّةِ

ترجمة
إلى العربية
والتعليق

مؤسسة الرسالة



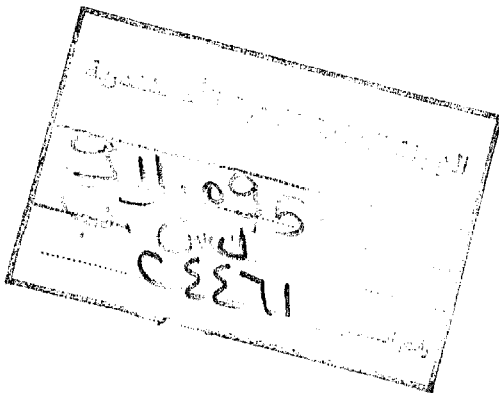




311.035

أحمد
ب

من
339
طاهر



بلدان
الخلافات الشرقية

١٥٥٨١

بُلْدَان الْخِلاَفَةِ الشَّرْقِيَّةِ

يَتَنَاوَلُ صِفَةَ الْعِرَاقِ وَالْجَزِيرَةِ وَإِيرَانَ
وَأَقَالِيمِ آسِيَةِ الْوَسْطَى
مُنْذَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ حَتَّى أَيَّامِ تَيْمُورِ

تَأَلَّفَ
كِي لِسْتَرْنَج

مُؤَلَّفَ كِتَابِ "فَلَسْطِينِ فِي عَهْدِ الْإِسْلَامِ"،
و"بَعْدَادِ فِي عَهْدِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ"، وَغَيْرَهُمَا

نَقَلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ
وَأَضَافَ إِلَيْهِ تَعْلِيقَاتَ بُلْدَانِيَّةَ وَتَارِيخِيَّةَ وَأَثَرِيَّةَ،
وَوَضَعَ فَرْهَاسَهُ

كُورِكِيْسْ عَوَّاد
عَضُو الْجَمْعِ الْعِلْمِيِّ الْعِرَاقِيِّ

بَشِيرُ فَرَنْسِيْسْ

مَوْسَسَةُ الرِّسَالَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع الحقوق محفوظة

لمؤسسة الرسالة

ولا يحق لأية جهة أن تطبع أو تعطي حق الطبع لأحد.
سواء كان مؤسسة رسمية أو أفراداً.

الطبعة الثانية

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

مؤسسة الرسالة - بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحه
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ بريقيا: بيوشران



مصابيح الكتاب

مضامين الكتاب

٣	مقدمة الترجمة
٦	ترجمة لسترنج مؤلف الكتاب
٩	مقدمة المؤلف
١٢	البلدانيون المسلمون بحسب زمن تصانيفهم

الفصل الاول

تمهيد

بلاد ما بين النهرين وفارس واقليمها في أيام الخلفاء العباسيين - الاقاليم في الاطراف الشمالية الغربية والشمالية الشرقية - الطرق من بغداد الى اقصى حدود بلاد الاسلام - البلدانيون المسلمون وتصانيفهم - المؤلفون الآخرون - اسماء المواضع في الاقاليم العربية والتركية والفارسية •

(١٤ - ٣٩)

الفصل الثانى

العراق

تقسيم ارض ما بين النهرين الى شمالية وجنوبية - العراق اى بلاد بابل - التغير فى مجري الفرات ودجلة - أنهر الرى العظيمة - بغداد - المدائن وما فى جنوبها من مدن على دجلة حتى فم الصلح •

(٤٠ - ٥٨)

(ج)

الفصل الثالث

العراق (تابع)

واسط - البطائح - المذار والقرنة - دجلة العراء - البصرة وأنهارها -
الابلة وعبادان - دجلة فوق بغداد - البردان - طسوج دجيل - عكبرا وحريبي
والقادسية •

(٥٩ - ٧٥)

الفصل الرابع

العراق (تابع)

سامراء - تكريت - النهروان - باعقوبا وغيرها من المدن - مدينة جسر
النهر ووان وطريق خراسان - جلولاء وخانقين - البندنجين وبيات - مدن الفرات
من الحديثة الى الانبار - نهر عيسى - المحول وصرصر ونهر الملك - نهر كوثي •

(٧٦ - ٩٥)

الفصل الخامس

العراق (تكملة)

انشطار الفرات - نهر سورا - قصر ابن هيرة - النيل ونهر النيل - نهر
النرس - نهر البداة وبمباديتا - نهر الكوفة - مدينة الكوفة - القادسية - مشهد
علي وكربلاء - استانات العراق الاثنا عشر - التجارة والصناعة - طرق العراق •

(٩٦ - ١١٣)

الفصل السادس

الجزيرة

الديار الثلاث - ديار ربيعة - الموصل ونيوى والمدن المجاورة - الزاب الكبير
والحدثة واربل - الزاب الصغير والسن وداقوق - الخابور الصغير والحسنية

(د)

والعمادية - جزيرة ابن عمر وجبل الجودي - نصيبين ورأس العين - ماردين
ودنيسر - الهرماس والخابور - عربان والثرثار - سنجار والحضر - بلد
وأذرمه •

(١١٤ - ١٣١)

الفصل السابع

الجزيرة (تنمة)

ديار مضر - الرقة والرافقة - نهر البليخ وحران - اذسا وحصن مسلمة -
قرقيسيا - نهر سعيد والرحبة والدالية - رصافة الشام - عانة - بالس وجسر
منبج وسميساط - سروج - ديار بكر - آمد وحاني ومنابع دجلة - ميفارقين
وارزن - حصن كيفا وتل فافان - سعرت •

(١٣٢ - ١٤٦)

الفصل الثامن

الفرات الاعلى

الفرات الشرقي أى ارسناس - ملاسكرد وموش - شمشاط وحصن زياد
أى خربوط - الفرات الغربى - ارزن الروم أى قالقلا - ارزنجان وكمخ -
قلعة ابريق أى تفريك (Tephrike) - ملطية وطرنده - زبطرة والحدث - حصن
منصور وبهسنا وقنطرة سنجة - تجارات الجزيرة وغلاتها - المسالك •

(١٤٧ - ١٥٨)

الفصل التاسع

بلاد الروم - اى آسية الصغرى

بلاد الروم - الثغور من ملطية الى طرسوس - الدربان الكبيران فى جبال
طوروس - طريق القسطنطينية المار بالابواب القليقية - طرابزون - حصارات
القسطنطينية الثلاثة - غزوات المسلمين فى آسية الصغرى - نهب عمورية بامر

(ه)

المتعصم - فتح السلاجقة آسية الصغرى - مملكة ارمينية الصغرى - الصليبيون -
أجلّ مدن السلاجقة فى بلاد الروم •

(١٥٩ - ١٧٥)

الفصل العاشر

بلاد الروم (تنمة)

الامارات التركمانية العشر - ابن بطوطة والمستوفى - قيسارية وسيواس -
سلطان العراق - أمير قرمان - قونية - أمير تكة والعلايا وانطالية - أمير حميد
واكريدور - أمير جرميان وكوتاهية وسوري حصار - أمير منتشا وميلاس - أمير
آيدين وافسوس وازمير - أمير صاروخان ومغنيسية - أمير قراصى وبرغامس -
الولاية العثمانية وبرصى - أمير قزل احمد لي : صنوب (سينوب) •

(١٧٦ - ١٩٢)

الفصل الحادى عشر

اذربيجان

بحيرة ارمية - تبريز - سراو - المراغة وأنهارها - بسوى واشنه - مدينة
ارمية وسلماس وخوى ومرند - نخجوان - القناطر على نهر أرس (Araxes)
- جبل سبلان - اردبيل وآهر - سفيدروذ وروافده - الميانج - خلخال
وفيرروز اباد - نهر شال وولاية شاهرود •

(١٩٣ - ٢٠٥)

الفصل الثانى عشر

كيلان والاقليم الشمالية الغربية

الجيلانات - اقليما الديلم وطالش - بروان ودولاب وخشم - لاهجان ورشت
وغيرهما من مدن كيلان - اقليم موغان - باجروان وبرزند - محمود اباد
- ورثان - اقليم الران - برذعة - اليلقان - كنجة وشمكور - نهر الكر ونهر

(و)

الرس - اقليم شروان - شماخي - باكويه وباب الابواب - اقليم كرجستان أو
جورجيا - تفليس وقرص - اقليم ارمينية - ديل أو دوين - بحيرة وان - اخلاط
وارجيش ووان وبتليس - حاصلات وتجارات الاقاليم الشمالية •
(٢٠٦ - ٢١٩)

الفصل الثالث عشر

الجبال

اقليم الجبال أو عراق العجم ، ونواحيه الاربع - قريسين أي كرمان شاهان -
بهستون ومنحوتاتها - كنكور - الدينور - شهرزور - حلوان - طريق خراسان
العظيم - كرنند - كردستان في عهد السلاجقة - بهار - جمجمال - ألاني
وألشتر - همذان ورساتيها - دركزين - خرقاين وآوه الشمالية - نهاوند -
كرج رود راور وكرج ابي دلف - فرهان •
(٢٢٠ - ٢٣٤)

الفصل الرابع عشر

الجبال (تابع)

المر الصغرى - بروجرد - خرماباد - شابر خواست - سيروان والصيمرة -
اصفهان وكورها - فيروزان وفافان ونهر زنده رود - اردستان - قاشان - قم
وكليكان ونهر قم - آوه وساوه - نهر كاوماها •
(٢٣٥ - ٢٤٨)

الفصل الخامس عشر

الجبال (تتمة)

الري - ورامين وطهران - قزوین وقلعة الموت - زنجان - السلطانية -

(ز)

شينز أو ستوريق - خونج - ناحيتا الطالقان وطارم - قلعة شميران - تجارات اقليم
الجبال وغلته - مسالك اقليم الجبال واذريجان واقليم الحدود الشمالية الغربية •
(٢٤٩ - ٢٦٦)

الفصل السادس عشر

خوزستان

نهر دجيل أي كارون - خوزستان والاهواز - تستر أو شوستر -
الشاذروان العظيم - نهر المسرقان - عسكر مكرم - جنديسابور - دزفول -
السوس ونهر كرخه - بصنا ومتوث - قرقوب ودور الراسبي - الحويزة ونهر
تيرى - الدورق وكورة سرق - حصن مهدى - فيض دجيل - رامهرمز وكورة
الزط - بلاد اللر الكبرى - ايدج أو مال أمير - سوسن - لردكان - تجارات
خوزستان وغلته - مسالكة •

(٢٦٧ - ٢٨٢)

الفصل السابع عشر

فارس

تقسيم الاقليم الى خمس كور - كورة اردشير خره - شيراز - بحيرة
ماهلوية - نهر سكان - جويم - بحيرة دشت أرزن - كوار - خبر والصيمكان -
كارزين وكورة قباذ خره - جهرم - جويم أبى أحمد - ماندستان - ايراهستان -
جور أو فيروز اباد - أسياف فارس - جزيرة قيس - سيزاف - نجيرم - توج -
الفندجان - خارك وسائر جزر خليج فارس •

(٢٨٣ - ٢٩٧)

الفصل الثامن عشر

فارس (تابع)

كورة شابور خره - مدينة سابور وكهفها - نهر رتين - النوبنجان - القلعة

(ح)

البيضاء وشعب بوآن - زموم الاكراد - كازرون وبحيرة كازرون - نهر أخشين
ونهر جرشيقي - جره وقنطرة سبوك - كورة ارجان - نهر طاب - بهبهان - نهر
شيرين - كنبذ ملغان - مهر وبان - سينيز وجنابة - نهر الشاذكان •
(٢٩٨ - ٣١٠)

الفصل التاسع عشر

فارس (تابع)

كورة اصطخر ومدينة اصطخر أى برسبوليس - نهر الكر وبلوار - بحيرة
البختكان وما حولها من مدن - سهل مرودشت - البيضاء وماين - كوشك زرد -
سرمق ويزد خواست - الطرق الثلاث من شيراز الى اصفهان - أبرقوه - يزد :
ناحيتهما ومدنها - ناحية الروذان ومدنها - شهر بابك وهراة •
(٣١١ - ٣٢٤)

الفصل العشرون

فارس (تمة)

كورة دار أبجرد أو كورة شبانكاره - مدينة دار أبجرد - دركان وايك -
نيريز واصطهبانات - فسا ورونيوز وخسو - لار وفرج - طارم - سورو - تجارات
فارس وصناعاتها - مسالك اقليم فارس •
(٣٢٥ - ٣٣٦)

الفصل الحادى والعشرون

كرمان

كور كرماني الخمس - قصبة الاقليم - القصبة الاولى : السيرجان ، موضعها
وتاريخها - القصبة الثانية : بردسير ، وهى مدينة كرماني اليوم - ماهان ووليها -
خيصى - زرنند وكوه بنان وهى كوبنان (Cobinan) لدى ماركو بولو •
(٣٣٧ - ٣٤٨)

الفصل الثانى والعشرون

كرمان (تنمة)

كورة السرجان - كورتا بم ونرماسير - ريكان - جيرفت وقمادين : كمادى (Camadi) لدى ماركو پولو - دلفريد - جبال البارز والقفص - روذكان والمنوجان - هرمز العتيقة والجديدة وكمبرون - تجارات اقليم كerman - مسالكها •

(٣٤٩ - ٣٥٩)

الفصل الثالث والعشرون

المفازة الكبرى ومكران

امتداد المفازة الكبرى وخواصها - الواحات الثلاث : الجرمق ونابند وسنيج - أهم مسالك المفازة - اقليم مكران - فنزبور وميناء التيز - مدن أخرى - السند والهند - ميناء الديبل - المنصورة والمثلثان - نهر مهران (Indus) - كورة طوران وقصدار - كورة البدهة وقنابيل •

(٣٦٠ - ٣٧١)

الفصل الرابع والعشرون

سجستان

سجستان أى نيمروز وزابلستان - زرنج وهى القاعدة - بحيرة زره - نهر هيلمند والانهار الآخذة منه - العاصمة العتيقة للاقليم وهى رام شهرستان - نه - فره ونهر فره - نهر خاش ورستاق نيشك - قرنين ومدن أخرى - روذبار وبست - رساتيق زمينداور - رخج وبالس أى والشستان - قندهار - غزنة وكابل - معدن الفضة - المسالك فى سجستان •

(٣٧٢ - ٣٩١)

(ى)

الفصل الخامس والعشرون

قوهستان

اقليم قوهستان ، هو تونوكاين (Tunocain) لدى ماركو پولو - قاين
وتون - ترشيز ورستاق بشت : سروة زرادشت العظيمة - زاوة - بوزجان
واقليم زم - رستاق باخرز ومالن - خواف - زيركوه - دشت بياض - كئاباد
ويجستان - طبس التمر - خوست أو خوسف برجند - مومناباد - طبس
مسينان ، ودره .

(٣٩٢ - ٤٠٣)

الفصل السادس والعشرون

قوس وطبرستان وجرجان

اقليم قوس - الدامغان - بسطام - بيار - سمنان وخوار - طريق خراسان
المار بقوس - اقليم طبرستان أو مازندران - آمل - سارية - جبل دماوند ورستاق
فادوسبان وقارن وروبنج - فيروز كوه وغيرها من القلاع - نائل وسالوس وناحية
رويان - حصن الطاق وناحية رستمدر - ممطير وطميسة - كبود جامه وخليج
تيم مردان - اقليم كركان أو جرجان - نهر جرجان ونهر أترك - مدينة جرجان
واستراباد - ميناء أبسكون - ناحية دهستان وآخر - مسالك طبرستان وجرجان .

(٤٠٤ - ٤٢٢)

الفصل السابع والعشرون

خراسان

أرباع خراسان الاربعة - ربع نيسابور - مدينة نيسابور وشاذياخ - كورة
نيسابور - طوس والمشهد - بيهق وسبزوار - جوين وجاجرم واسفرايين -
استوا وكوجان - رادكان ونسا واييورد - كلات - خابران وسرخس .

(٤٢٣ - ٤٣٨)

(ك)

الفصل الثامن والعشرون

خراسان (تابع)

ربع مرو - نهر مرغاب - مرو الكبرى وقراها - آمل وزم على جيحون -
مرو الروذ أو مرو الصغرى وقصر الأحنف • (٤٣٩ - ٤٤٨)

الفصل التاسع والعشرون

خراسان (تابع)

ربع هراة - نهر هراة أو هرى رود - مدينة هراة - مالن والمدن التى فى
أعلى نهر هرى رود - بوشنج - كورة اسفزار - كورة بادغيس ومدنها - كنج
رستاق - رساتيق غرجستان والغور - الباميان • (٤٤٩ - ٤٦١)

الفصل الثلاثون

خراسان (تتمة)

ربع بلخ فى اقليم خراسان - مدينة بلخ والنوبهار - ناحية الجوزجان -
الطالقان والجرزوان - ميمنة أو اليهودية - الفارياب ، شبرقان ، أنبار ، واندخود -
ناحية طخارستان - خلم ، سمنجان واندراية - ورواليز والطايقان - تجارات
خراسان وغلاته - المسالك فى خراسان وقوهستان • (٤٦٢ - ٤٧٥)

الفصل الحادى والثلاثون

ما وراء النهر (نهر جيحون)

بلاد ما وراء النهر اجمالا - اسما جيحون (Oxus) وسيحون (Jaxartes) -
روافد نهر جيحون العليا - بدخشان ووخان - الختل والوخش - القباذيان
والصفغانيان ومدنهما - قنطرة الحجارة - ترمذ - الابواب الحديد - كالف
واخسيسك وفربز - بحر آرال أى بحيرة خوارزم - انجماد ماء جيحون شتاء •
(٤٧٦ - ٤٨٨)

الفصل الثاني والثلاثون

خوارزم

اقليم خوارزم - قصباته : كاث والجرجانية - اركنج القديمة والجديدة -
خيوه وهزاراسب - انهار خوارزم والمدن التي على يمين جيحون ويساره -
المجرى الاسفل لجيحون الى قزوين - تجارات خوارزم وغلته •

(٤٨٩ - ٥٠٢)

الفصل الثالث والثلاثون

الصغد

بخارا والمدن الخمس داخل أسوارها - بيكند - سمرقند - جبل البتم ونهر
زرغشان أى نهر الصغد - كرمينية - دبوسية وربنجن - كش ونسف والمدن
المجاورة لهما - غلات الصغد وتجاراته - مسالك ما وراء جيحون حتى سمرقند •

(٥٠٣ - ٥١٦)

الفصل الرابع والثلاثون

اقاليم نهر سيحون

اقليم اشروسنة - بونجكت وهى قصبته - زامين والمدن الاخرى - اقليم
فرغانة - نهر جكسارتس Jaxartes أى سيحون - اخسيكت وانديجان -
اوش واوزكند والمدن الاخرى - اقليم الشاش أى بنكت - بناكت اى شاه رخیة
والمدن الاخرى - ناحية ايلاق ومدينة تونكت • معادن الفضة فى خشت - ناحية
اسييجاب - مدينة اسييجاب اى سيرام - جمكند وفاراب أى أترار - يسى
وصبران - جند وينفكت - طراز وميركى ومدن الترك النائية - حاصلات اقليم
سيحون - المسالك التى فى شمال سمرقند •

(٥١٧ - ٥٣٢)

٥٣٣

فهارس الكتاب

٥٣٥	••	••	••	••	١ - الفهرست البلدانى
٥٧٣	••	••	••	••	٢ - فهرست الاشخاص والاقوام
٥٨٢	••	••	••	••	٣ - الفهرست العمرانى

ثبت الخوارط

الصفحة	رقم الخارطة
١٦	١ - أقاليم آسية الجنوبية الغربية فى أيام الخلافة
٤٠	٢ - اقليما العراق وخوزستان ، مع قسم من اقليم الجزيرة ..
١١٦	٣ - اقليما الجزيرة واذربيجان ، مع أقاليم الحدود الشمالية الغربية
١٦٠	٤ - بلاد الروم
٢٢٤	٥ - اقليما الجبال وجيلان ، مع اقليم مازندران وقومس وجرجان
٢٨٨	٦ - اقليما فارس وكرمان
٣٦٠	٧ - اقليم مكران ، مع قسم من اقليم سجستان ..
٣٧٦	٨ - اقليما خراسان وقوهستان ، مع قسم من اقليم سجستان ..
٤٨٠	٩ - اقاليم نهري سيحون وجيحون
٤٨٩	١٠ - اقاليم خوارزم

صفه
أقاليم الدولة العباسية

من العراق الى اقصى الشرق



مقدمة الترجمة

عني المؤرخون المسلمون الاقدمون عناية كبيرة. بوضع التصنيف البلدانية : من معجمات ورحلات ومسالك وخطط وخوارط ومصورات ، تناولوا فيها بالوصف والتخطيط أقاليم العالم المعروف في أيامهم . فلم يدعوا شاردة ولا واردة وقعت اليهم بالمشاهدة والمعاينة أو بالسماع والنقل الا دوتوها في أسفارهم . فخلّفوا لنا بذلك ثروة علمية ثمينة صارت مرجعا أساسيا لمن يبحث في جغرافيا البلاد الاسلامية وغيرها ، من الوجهة العمرانية والتاريخية والاقتصادية والخططية . ولا ريب في أن عناية الاولين بهذه الموضوعات ، كابن حوقل وابن خرداذبه والمقدسى والاصطخرى وياقوت ، انما كانت صفحة من صفحات النهضة العلمية التي ازدهرت منذ صدر الدولة العباسية .

والى اولئك المصنفين الثقات الذين كتبوا بالعربية ، ولا يتعدى زمنهم في الغالب المئة التاسعة للهجرة (المئة الخامسة عشرة للميلاد) ، نجد جماعة ممن كتب بالفارسية والتركية . وبعض ما كتبه هؤلاء مستمد من المصادر العربية وبعضه من زياداتهم . وتصانيفهم هذه لا يستغنى عنها الباحث في الجغرافيا التاريخية للاقطار الاسلامية ، ولاسيما ما تأخر زمنه عن اولئك المصنفين الاولين . وأشهرهم الحاج خليفة وأبو الغازي .

وحين بدأ اهتمام الغربيين ببلاد الشرق - ومبعث ذلك أسباب كثيرة مختلفة - ، رأينا منهم من قصد هذه الديار مستطلعا حال بلدانها وآثارها دارسا لغاتها وتاريخها . فصنفوا في ذلك الكتب وكتبوا المقالات ووضعوا الخوارط . ومنهم من وجه همه الى مخلفات اولئك المصنفين الاقدمين ، فأقبلوا عليها يتدارسونها ، وكانت يومذاك مخطوطات تفرق شملها في خزائن كتب العالم ، ويحققونها وينشرونها بالطبع وينقلون بعضها الى لغاتهم . ومنهم من انصرف الى التأليف في الجغرافيا التاريخية

للبلدان الاسلامية بلغته ، مستمدا مادة بحثه من اولئك وهؤلاء جميعا .
ولعل في طليعة من يذكر من علماء هذا الصنف الاخير ، البجاعة الانكليزي
المشهور گي لسترنج ، مؤلف هذا الكتاب الذى نضع ترجمته اليوم بين أيدي قراء
العربية . فقد ألفينا كتابه أجمعها مادة وأكثرها شمولاً . حوى بين دفتيه صفة
الاقاليم الاسلامية من الفرات غربا حتى أقاصى ما بلغته الدولة العباسية فى أواسط
آسية شرقا . وهو الى ذلك كثيرا ما تناول زمنا تقدم عصر هذه الدولة وتأخر عنه
استيفاء للموضوع الذى يعالجه . وقد رجع فى كتابه هذا الى امهات التآليف
البلدانية والتاريخية التى انتهت إلينا من المصنفين المسلمين الاقدمين ، ويدخل فى
ذلك المطبوع والمخطوط ، كما رجع الى ما كتبه المستشرقون والرحالون من
أبناء الغرب .

وقد جعل المؤلف لكتابه هذا خوارط عديدة استند فى وضعها الى الخوارط
الجغرافية الحديثة وأثبت فيها التسميات القديمة حسبما هداه اليه علمه ودلته عليه
بحثه . فذكر فى هذه الخوارط أشهر كور الاقاليم الاسلامية ومدنها وقراها
وأنهارها ، مبيّنا ما كان يتخللها من مسالك ، فان حصل فى تعيين بعض المواقع شئ
من الوهم ، فمردّد ذلك فى الغالب الى أن كثيرا من التسميات لا يعرف من أمره اليوم
شئ ، ومبنى تعيينه على الحدس والتخمين . ولا بد من القول ان متن الكتاب وخوارطه
وحدة متماسكة يكمل بعضها بعضا .

ثم أن المؤلف ، على ما بان لنا من تتبع النصوص التى نقلها من المراجع القديمة ،
كان أمينا فى نقلها حريصا على رجوع الفضل لذويه . ولم يتردد قط فى أن ينوّه
بالمرجع الذى استقى منه وبزمنه كلما نقل منه . وان وهم المؤلف أحيانا فى نقل
بعض النصوص أو فهمها على غير وجهها - على ما أشرنا اليه فى موطنه - فقد سبق
هو الى الاعتذار عن ذلك فى مقدمته ، بكون معظم مراجعه مكتوبا بالعربية
والفارسية والتركية ، وهى لغات قلّ من أجادها معا .

والمؤلف ، على ما سيرى القارىء ، متمكن من موضوعه ، خير بدقائه ،
مطلع على اصوله وفروعه ، يتنقل فيه تنقل العارف . وليس أدلّ على ذلك من
تصانيفه الكثيرة فى هذا الباب - وسيرد ذكرها فى ترجمة حياته .

ولقد راعينا فى نقل هذا الكتاب ، أن تكون الترجمة العربية مطابقة
للأصل • ولما كان المؤلف قد رجع الى جملة كبيرة من المصادر العربية القديمة ،
منقبا فيها وناقلا منها ما يتعلق بموضوعه ، رأينا لزاما علينا أن نعود الى تلك
الأصول أنفسها فننقل منها النصوص بالحرف الواحد أو نوفق بين جملة
نصوص أدمجها المؤلف نفسه فى صفة مدينة أو موضع ما • ونتقى من ألفاظ
الحضارة والعمران ومن تعابير تلك المصادر ما طابق سياق البحث فى الأصل
الانكليزى وتمشى مع أسلوب المصنفين الأقدمين فى هذه الموضوعات • ولم
نغفل مراجعة ما ظهر من كتب بعد تأليف هذا السفر • فاستعنا بها فى استكمال
بعض جوانب الموضوع بما أضفناه من حواش حيثما اقتضى الأمر ، وقد ذيلناها
بحرف (م) •

ولا يسعنا ، ونحن نقدّم ترجمة هذا السفر الى قراء العربية ، إلا أن نشيد
بفضل المجمع العلمى العراقى ، الذى رأى ما لهذا الكتاب من جزيل الفائدة
وعظيم النفع ، فعهد إلينا نقله الى العربية وأقرّ طبعه بنفقته ، وعنى بنشره خدمة
للعلم • فله منا أبلغ الشكر وأطيب التناء •

بشير فرنسيس كوركيس عواد

ترجمة لسرينج

مؤلف الكتاب*

ولد لسرينج Guy Le Strange في هنستين هل بانكلترا سنة ١٨٥٤ ، وتوفي في كمبرج في ٢٤ كانون الاول ١٩٣٣ ، عن عمر ناهز الثمانين سنة .

أمضى لسرينج وقتا طويلا من عمره خارج بلاده ، فعاش في باريس مع امه . وهناك اتصل بالمستشرق موهل Julius Mohl ناشر الشاهنامة و مترجمها الى الفرنسية . فشقته الى درس اللغتين الفارسية والعربية . وحضر في باريس دروس المستشرق ستانسلاس گويارد Stanislas Guyard في اللغة العربية . فحفظته هذه الدراسات الى زيارة بلاد فارس وهو في عنفوان شبابه ، فمكث فيها ثلاث سنوات (١٨٧٧ - ١٨٨٠) توفر في أثائها على الوقوف على تاريخ هذه البلاد وأحوالها ولقتها . وكان من ثمار ذلك أن نشر سنة ١٨٨٢ بمشاركة هگرد Haggard قصة The Vizir of Lankuran بالفارسية مع ترجمة انكليزية لها ومعجم لألفاظها وتعليق عليها . وفي سنة ١٨٨٦ نشر ترجمة قصة فارسية اخرى عنوانها The Alchemist . ونشر في سنة ١٩١٥ القسم الجغرافي من كتاب « نزهة القلوب » لحمدالله المستوفي القزويني

(*) استخلصنا هذه الترجمة من مراجع مختلفة ولاسيما مما كتبه عنه صديقه المستشرق براون ، في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية JRAS الصادرة سنة ١٩٣٤ ، ومما كتبه جريدة التايمس اللندنية في عددها الصادر في ١٢-١٣-١٩٣٣ وقد تفضل علينا البروفسور ملوان Prof. Dr. M.E.L. Mallowan فبعث إلينا بما ورد في هذه الجريدة وبصورة المؤلف المنشورة في آخر ترجمته هذه . (م) .

مع ترجمة له ، فى سلسلة مطبوعات لجنة كب • وكان لسترنج من أعضاء هذه اللجنة العاملين •

ولكن أجلّ الميادين التى برز فيها لسترنج ورفعته الى مصاف كبار المستشرقين ، كان فى ما ألفه من كتب فى الجغرافيا التاريخية للبلاد الاسلامية • فقد نشر فى سنة ١٨٨٦ ترجمة لما كتبه المقدسى عن فلسطين فى كتابه « أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم » • وفى سنة ١٨٩٠ ظهر كتابه « فلسطين فى عهد الاسلام » Palestine Under the Moslems • وفى سنة ١٨٩٥ نشر قطعة من كتاب « عجائب الاقاليم السبعة » لابن سرايون (سهراب) فيها صفة أنهار العراق والجزيرة ، مع ترجمة انكليزية وتعليقات وخارطة • وفى سنة ١٩٠٠ طبع كتابه الموسوم « بغداد فى عهد الخلافة العباسية » Baghdad During the Abbasid Caliphate • ثم أصدر فى سنة ١٩٠٥ كتابه « بلدان الخلافة الشرقية » The Lands of the Eastern Caliphate وهو هذا الذى تقدم اليوم ترجمته بالعربية •

وفى سنة ١٩١٢ نقل صفة اقليم فارس من كتاب « فارسنامه » لابن البلخى ونشره فى سلسلة كتب الجمعية الآسيوية الملكية • وقد ساهم أيضا فى نشر « تجارب الامم » لمسكويه الذى طبعت بعض أجزائه لجنة كب • وله مقالات عديدة فى الجغرافيا التاريخية للبلاد الاسلام ، نشرها فى مجلة الجمعية الآسيوية الملكية منذ انتخابه عضوا فيها سنة ١٨٨٠ حتى وفاته •

وقد انجز لسترنج جميع هذه التأليف الجليلة وهو يعانى ضعفا شديدا فى بصره ، آل به سنة ١٩١٢ الى العمى • ولم يحل العمى دون مواصلة نشاطه العلمى ، فكان يلجأ الى من يقرأ ويكتب له • وانكبّ وهو فى هذه الحال على دراسة الاسبانية فأنجز ذلك نشره سنة ١٩٢٠ « كتاب الاغانى الاسبانية »

The Book of Spanish Ballads • وفى سنة ١٩٢٦ نقل من الاسبانية
تاريخ « دون جوان الفارسى » Don Juan of Persia وفى سنة ١٩٢٨ نشر
حوادث « سفارة كلافيجو » The Embassy of Clavijo

والثف حول لسترنج كثير من الاصدقاء والمعجيين به • وكان من اقرب
اصدقائه اليه ، المستشرق براون E. G. Browne الذى مهد له السبل الى العمل
فى جامعة كمبرج حيث ألقى محاضرات كثيرة فى شتى المواضيع • وقد اشتغلا معا
فى لجنة كّب التذكارية • ولم تخل أيام لسترنج من تلميذ ، شيخ أو شاب ، يتلقى
عنه العلم بالفارسية أو العربية أو الاسبانية •



لسترنج فى اواخر ايامه

(عن صورة فتغرافية زودنا بها البروفسور ملوان)

مقدمة المؤلف

حاولت في هذه الصفحات ، أن أجمع في مجلد معتدل الحجم ما تفرق من أخبار في مؤلفات جغرافيي القرون الوسطى : العرب والفرس والترك ممن وصف بلاد العراق والجزيرة وفارس والاصقاع الدانية من آسية الوسطى • وما نقلتُ عنه من مراجع يبدأ بمصنفات المسلمين الأقدمين وينتهي بالمؤلفين الذين وصفوا استيطان هذه البلدان فيما بعد وفاة تيمورلنك - أى بعد الفتوحات الكبرى في آسية الوسطى - ففي وسعنا القول ان بالقرن الخامس عشر للميلاد ختمت العصور الوسطى في آسية •

وما السفر الذى أضعه بين أيدي القراء الا تكملة لكتاب « بغداد في عهد الخلافة العباسية » المطبوع سنة ١٩٠٠^(١) وصلة للبحث الجغرافى الذى بدأته بكتاب « فلسطين في عهد الاسلام » الصادر سنة ١٨٩٠ •

ولكى احافظ على اعتدال حجم هذا الكتاب ، ضربت صفحا عن جغرافيا جزيرة العرب ووصف المدينتين المقدستين مكة والمدينة ، مع أن معظم هذه البلاد كان تابعا لدولة بنى العباس • وقد يتناول هذا الموضوع من هو أدرى به منى من الباحثين فيكتب الجغرافيا التاريخية لجزيرة العرب ولمصر الفاطمية في الجانب الثانى من البحر الاحمر • ويصف أقاليم شمالى أفريقيا المختلفة وبلدان الخلافة الغربية في الاندلس البعيدة التى ازدهرت على قصر عمرها • فحينذاك يتكامل علمنا بالبلاد الاسلامية •

وان أردنا أن يكون التاريخ الاسلامى ممتعا مفيدا وأن يفهم على حقيقته فهما صحيحا ، وجب علينا أن نبحث في الجغرافيا التاريخية للشرق الأدنى خلال

(١) نقل هذا الكتاب الى العربية وعلق عليه أحدنا : بشير فرنسيس ، وطبعه في بغداد سنة ١٩٣٦ •

المصور الوسطى بحثا مستفيضا شاملا • وها أنذا قد بذلت أول جهد في هذا السبيل • أما ما يقتقر اليه هذا الكتاب من مزيد العناية به وجعله خيرا مما هو عليه الآن فآنا أول المسلمين لذلك • ومهما يكن الأمر فقد مهدت الطريق لمن يتناول الموضوع من بعدى بما أشرت اليه في الحواشى من مراجع كل قول وبما قوّته من أغلاط كتاب سالفين ، فكان ما جئت به بأكورة التأليف فى وصف أقاليم الخلافة العباسية وصفا كاملا خلال هذه الحقبة • وما كتابى هذا الا مجمل ولست أدعي أنه وعى كل واردة وشاردة ، فقد اضطررت للمحافظة على الحجم الذى أردته له ، الى تحاشى ترجمة نصوص الرحلات المنتهية اليها من مؤلفى الاسلام ترجمة كاملة • وعلى ذكر الرحلات أقول ان الحاجة تمس الى اصدار طبعة جديدة لكتاب « طرق البريد والسفر فى بلاد الشرق » Sprenger, Post und Reise Routen des Orients مصححة تصحيحا وافيا بالاستناد الى المتون المنشورة حديثا • ذلك بالرغم من أن ترجمة المسالك والممالك التى ألحقها الاستاذ دى غويه بطبعته لابن خرداذبه وقدامة ، قد سدّت هذه الفجوة الى حد بعيد •

وقد ألحقت بوصف كل اقليم ، ذكر تجاراته وصناعاته على ما جاء فى المصادر التى اعتمدت عليها • على أن ما أوردته ليس الا نورا يسيرا ، ومن أراد الوقوف على تجارات وصناعات الشرق الاسلامى فى العصور الوسطى ، فليرجع الى الفصل الموسوم بـ « التجارة والصناعة » من كتاب فون كريمر « تاريخ حضارة الشرق » Culturgeschichte des Orients فهو ما زال خير ما كتب فى هذا الشأن •

ويرى القارىء بعد ثبت « مضامين » الكتاب ، أسماء البلدانين المسلمين مرتبة بحسب سياق زمنهم • وقد أشرت اليهم فى الهوامش بالحروف الاولى من أسمائهم • أما غيرهم ممن رجعت اليهم فى الحواشى ، فقد ذكرت أسمائهم كاملة لدى الاشارة الاولى اليهم فقط • ومن اليسير معرفة أسماء مؤلفاتهم حين النقل منهم فى ما يلى المرة الاولى بالرجوع الى الفهرست الهجائى للوقوف على أول ذكر لهم فى الكتاب •

وسيقف القارىء فى الفصل التمهيدى ، على وصف موجز لمؤلفات

البلدانيين العرب • وكنت قد بسطت القول فيها فى كتاب « فلسطين فى عهد الاسلام » Palestine Under the Moslems •

ولقد ذكرت السنين بالتاريخ الهجرى مقرونة بما يوافقها من السنين الميلادية (بين قوسين) • وأرانى فى غنى عن التعليق على ما اتبعته فى ضبط الاعلام : فقد جريت فيه على الطريقة الشائعة الاستعمال • وحسبى أن أذكر أن حرف (و) العربى يلفظ عادة (ف V) بالفارسية وأن (ض - ظ) يلفظان بالفارسية (ز) ، و (ث) يلفظ (س) •

ولا ريب فى أن كتابا مثل هذا ، أعتمد فى تأليفه على مصادر يكاد جميعها يكون شرقيا ، قد يقع القارئ على هفوات جمّة فيه • ثم انه لتعدد المراجع ، لا مناص من الزلل • وانى لأشكر فضل من يهدينى الى صواب أو ينبهنى الى سهو •

وأرجو أن يقدم غيرى على العناية بموضوع الجغرافيا التاريخية • فان ظهر كتاب غير هذا أوفى بحثا وأشمل موضوعا ، يكون كتابى قد أصاب الغاية من تمهيد الطريق الى ما هو أحسن •

لسترنج

شارع سان فرنسيسكو بوفيرينو رقم ٣
فلورنسة - ايطالية
أيار ١٩٠٥

البلد نيون المسلمون

وقد رتبت أسماءهم بحسب زمن تصانيفهم

الاسم	السنة الهجرية	السنة الميلادية
ابن خرداذبه	٢٥٠	(٨٦٤)
قدامة	٢٦٦	(٨٨٠)
اليقوي	٢٧٨	(٨٩١)
ابن سرايون	٢٩٠	(٩٠٣)
ابن رسته	٢٩٠	(٩٠٣)
ابن الفقيه	٢٩٠	(٩٠٣)
المسعودي	٣٣٢	(٩٤٣)
الاصطخري	٣٤٠	(٩٥١)
ابن حوقل	٣٦٧	(٩٧٨)
المقدسي	٣٧٥	(٩٨٣)
ناصر خسرو	٤٣٨	(١٠٤٧)
فارسنامه	٥٠٠	(١١٠٧)
الادريسي	٥٤٨	(١١٥٤)
ابن جبير	٥٨٠	(١١٨٤)
ياقوت	٦٢٣	(١٢٢٥)
القزويني	٦٧٤	(١٢٧٥)
مراسد الاطلاع	٧٠٠	(١٣٠٠)
أبو الفداء	٧٢١	(١٣٢١)
المستوفي	٧٤٠	(١٣٤٠)

<u>الاسم</u>	<u>السنة الهجرية</u>	<u>السنة الميلادية</u>
ابن بطوطة	٧٥٦	(١٣٥٥)
حافظ ابرو	٨٢٠	(١٤١٧)
على اليزدى	٨٢٨	(١٤٢٥)
جهان نما	١٠١٠	(١٦٠٠)
أبو الغازى	١٠١٥	(١٦٠٤)

الفصل الاول

تمهيد

بلاد ما بين النهرين وفارس وأقاليمها في أيام الخلفاء العباسيين - الأقاليم في
الأطراف الشمالية الغربية والشمالية الشرقية - الطرق من بغداد الى
أقصى حدود بلاد الاسلام - البلدان التي المسلمون وتصانيفهم
- المؤلفون الآخرون - أسماء المواضع في
الأقاليم العربية والتركية والفارسية *

كانت بلاد العراق والجزيرة وفارس تؤلف مملكة الأكاسرة الساسانيين التي
قضى عليها العرب قضاء مبرما حين ساروا لهداية العالم الى الاسلام بعد وفاة النبي
محمد . أما الروم البيزنطيون ، وهم الدولة العظمى الثانية التي هاجمها المسلمون ،
فلم يغلّبوا كل الغلبة ، بل استولوا على أقسام متفرقة من أقاليمها الغنية ، لا سيما
سواحلها المطلة على جنوب البحر المتوسط وشرقه . وأما في غير ذلك ، فقد أفلح
القيصرية في صد تقدم الخلفاء ، وظلّوا على ذلك قرونا عدة . بل ان دولة الروم
عاشت مئتي سنة ونيّفا بعد زوال الخلافة العباسية .

على أن العرب اكتسحوا مملكة الساسانيين وأخضعوها لسلطانهم . أما
يزدجرد آخر الأكاسرة فقد اعترضه بعضهم وقتله^(١) . وانضوت بلاد فارس كلها
الى الاسلام . وكانت دولة الخلفاء الذين اضطلموا بتدبير المملكة الفارسية العابرة ،
قد نهجت نهج الأكاسرة في الحكم . ولاسيما في أيام العباسيين الذين غلبوا
خصومهم الأمويين بعد وفاة النبي بقرن ونيّف من الزمن ، ونقلوا قاعدة الخلافة
من الشام الى العراق ، وأسسوا بغداد على دجلة ، على بضعة أميال فوق طيسفون

(١) وللإطلاع على تفصيل ما كان من فرار يزيدجرد ومقتله ، راجع : فتوح البلدان للبلاذري
(ص ٣١٥ - ٣١٦ طبعة ليدن) وتاريخ الطبري (١ : ٢٦٨١ - ٢٦٩٢ طبعة ليدن) . (م) *

عاصمة الساسانيين الشتوية الاولى . وسرعان ما أصبحت بغداد قاعدة الدولة الاسلامية فى الشرق . ولكن هذه الدولة منذ أيام أول خلفاء بنى العباس ، لم تحافظ على وحدتها ، ولو اسمياً . فانفصلت عنها الاندلس ، وما عثم أن قام فى قرطبة خليفة أموى زاحم خليفة بغداد العباسى . ولم يمض قرن وبعض قرن على قيام دولتهم حتى أفلتت مصر من أيديهم . فحين أعلن أمير قرطبة الاموى نفسه أميراً للمؤمنين فى الاندلس ، كانت السلطة قد انتقلت فى مصر الى الفاطميين الذين أخذوا بنظام الخلافة أيضاً ، ونبذوا طاعتهم لبغداد . أما الشام فقد كانت تواكب مصر فى أغلب الاحيان . وأما جزيرة العرب فكانت تتنازعها الاثنان . أما فى الشرق البعيد ، فقد استقلت أقاليم كثيرة عن الخليفة العباسى ، بيد أنها لم تقم فيها خلافة تساوى بغداد^(١) . وبالأجمال فجميع تلك الاقاليم الواسعة التى كانت تؤلف المملكة الساسانية قبل الاسلام ، لبثت حتى الاخير خاضعة لخلفاء بنى العباس خضوعاً اسمياً ، ان لم يكن حقيقياً . فان هاتيك البلاد المترامية الاطراف التى يحدها شرقاً صحارى آسية الوسطى وجبال أفغانستان ، وغرباً دولة الروم البزنطيين ، كانت منقسمة الى أقاليم عديدة ستبسط فى صفة أحوالها فى الفصول الآتية من الكتاب . وقد ظلت أسماء الاقاليم وحدودها فى أيام العرب على ما كانت عليه فى أيام الاكاسرة فى الغالب (على ما انتهى اليه علمنا) . فالشرق فى واقع الامر ، لم يتغير الا قليلاً بحيث ان الاسماء والحدود لم يطرأ عليها تبدل يذكر حتى يومنا هذا ، وان كانت أحوال البلاد السياسية وأوضاعها الاقتصادية أى المادية قد تغيرت على ما هو منتظر تغيراً كبيراً فى خلال الالف والثلاثمئة سنة الاخيرة .

وقبل أن أتوغل فى هذا الموضوع ، أرى أن اوجز القول فى هذه الاقاليم المختلفة تبعاً لسياق ورودها فى الفصول الآتية .

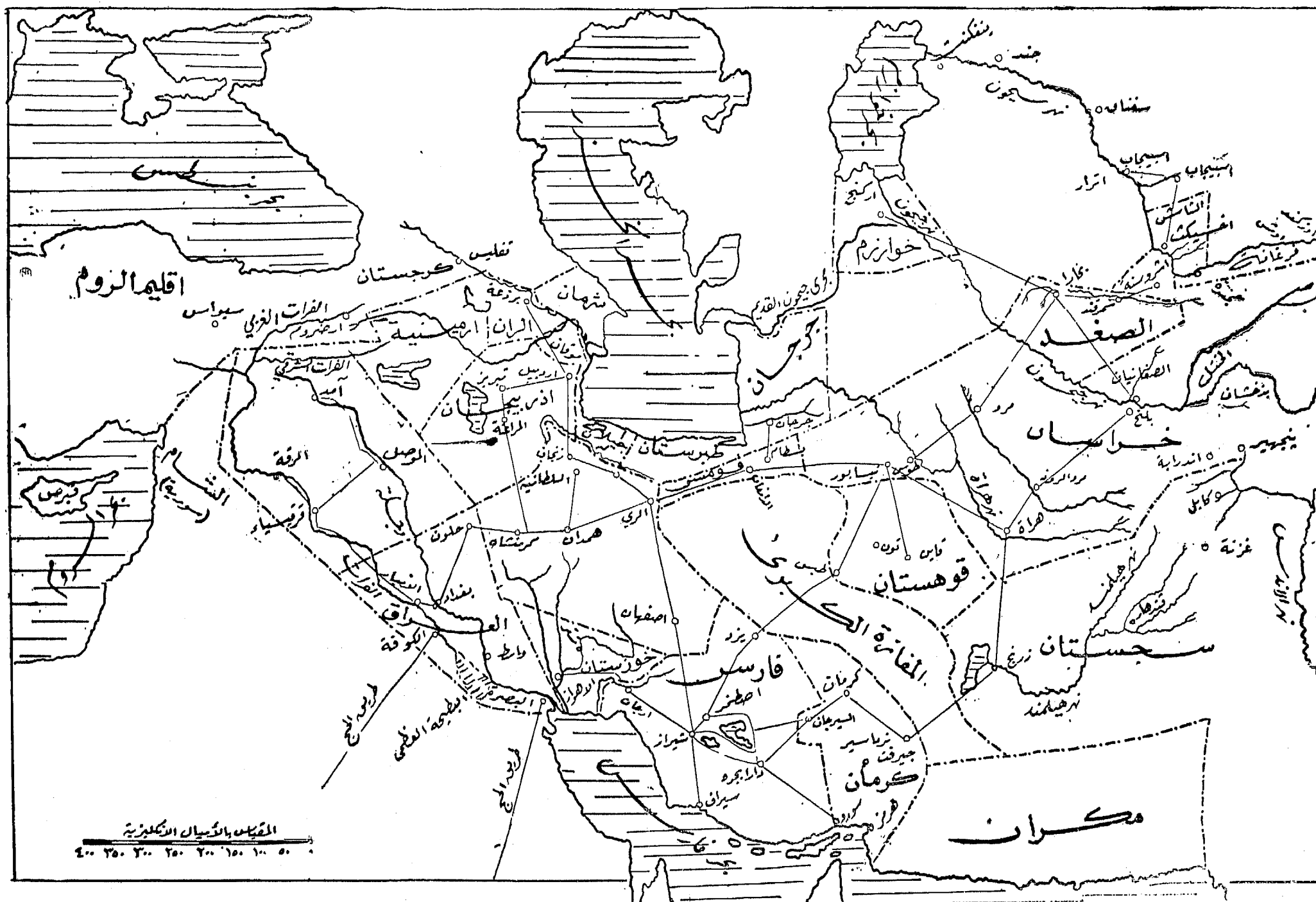
فالاقليم السهلي العظيم الذى أطلق عليه اليونان اسم « ميزوبوتامية » Mesopotamia (أى ما بين النهرين) ما هو الا هبة الرافدين : الفرات ودجلة . وهذا النهر الاخير (على ما سنبين فى الفصل الثانى) لم يكن مجراه الاسفل أيام

(١) سياى فى الفصل الثانى عشر ، كلام المؤلف على مدينة « خشم » وان الداعى العلوى كان يحكم فيها حكم السلطان المستقل ولا يعترف للخليفة بالإمامة ، هذا اذا لم تذكر صاحب الزنج فى البصرة على قربها من قاعدة الخلافة (م) .

العباسيين فيما هو عليه اليوم . ونظرة واحدة الى الخارطة ترينا أن بادية العرب القاحلة ، تمتد حتى طف الفرات الغربى ، اذ ليس لهذا النهر روافد فى يمينه . أما دجلة ، فحاله خلاف ذلك : لأن الجبال الايرانية تبعد مسافة كبيرة عن شريقه ، فتتحد منى جداول كثيرة تؤلف روافد عدة لدجلة تصب فى يساره . وقد ورث المسلمون عن الساسانيين فى العراق نظاما للرى جعل هذا الاقليم من أخصب بلاد الدنيا^(١) . وستبسط فى ذكر هذا النظام . ولكن نكتفى الآن بالقول ان العرب كانوا يسقون أرض ما بين النهرين بتحويل الفائض من ماء الفرات الى جملة أنهر تأخذ من الفرات الى دجلة مخترقة سهول ما بين هذين النهرين . أما الأرض من شرقى دجلة حتى سفوح جبال ايران ، فقد كان بعضها تسقيه أنهار تنحدر من هذه الجبال ، وبعضها تسقيه جملة أنهار تخرج من دجلة وتعود اليه فى جانبه الايسر . وكانت هذه الانهار تستوعب مياه فيضانات كثير من الانهار الصغيرة التى تنبع فى الجبال الشرقية .

وقد قسم العرب بلاد ما بين النهرين الى اقليمين : الاسفل والاعلى . وقوام الاقليم الاسفل أرض الرسوب الخصبة وهى بلاد بابل القديمة ، وقد عرف هذا الاقليم بالعراق . وحدّه الشمالى (وقد اختلف باختلاف الازمان) خط يمتد من الشرق الى الغرب مبتدئاً من دجلة ومنتها بالفرات ، حيث يأخذ هذان النهران باقتراب أحدهما من الآخر فى السهل الذى بينهما . ولا ريب أن أكبر مدن العراق فى أيام بنى العباس كانت بغداد . ولكن قبل قيام الدولة العباسية بقرن ، أنشأ

(١) قلنا : بل ان قدماء العراقيين ، منذ أبعد العصور ، قد وجهوا جل عنايتهم الى مياه الرافدين . فقاموا السدود وشقوا الأنهار لضبط مياه الفيضان وارواء الاراضى الصالحة للزراعة . فنشأ من ذلك نظام للرى تعاقب على رعايته وتحسينه السومريون والاكديون والبابليون والاشوريون . وبشبت ذلك ما يرى من معالم الأنهار القديمة المندرسة الكثيرة فى جميع انحاء العراق وما يرى بجانبها وبقرىها من اطلال ألوف القرى والمدن . وفى شمالى العراق ، أوقفنا التحريات الاثرية على الأنهار التى شقها الاشوريون فى المناطق الجبلية وغيرها لارواء عواصمهم ، نذكر منها مشروع ادواء كالج من نهر الزاب الأعلى . وارواء نينوى من نهر الكومل . وارواء اربل من مياه وادى باستورة . وفى وسط العراق وشرقيه وجنوبيه ، شقت أنهار كثيرة ، كان يأخذ بعضها من يمين دجلة ويساره ، مثل : النهروان وكان يعرف عند البابليين باسم ناران ، ودجيل . وبعضها كان يأخذ من يسار الفرات الى دجلة مخترفاً أواسط وادى الرافدين لارتفاع وادى الفرات عن وادى دجلة . وقد ذكر طه باقر فى كتابه « مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة » (١ : ٣٧٢) أسماء بعضها وهى باتى أنليل ، الذى عرف بنهر عيسى فى العصر العباسى . وناشارى أى نهر الملك وقد عرف فى العصر العباسى بنهر ملكا أو نهر الملك . ونهر كوثى وكان قرب مدينة كوثى البابلية . ونهر النيل وكان يأخذ من الفرات فى شمال بابل ويمر بمدينة كيش . ونهر كان يأخذ من يمين دجلة فينسب فى منطقة الغراف الحالية الى اراضى مملكة لكش ويمر حفره الى أحد ملوك مدينة لكش (تلو اليوم) فى نحو سنة ٢٦٠٠ قبل الميلاد . (م) .



أقاليم آسية الجنوبية الغربية في أيام الخلافة العباسية



المسلمون الاولون بعد فتح العراق ، ثلاث مدن كبيرة وهى : واسط والكوفة والبصرة . ظلت هذه المدن مزدهرة بضعة قرون ، وكانت هى والانبار (والانبار مدينة من أيام الساسانيين)^(١) التى على الفرات فى خط عرض بغداد ، أكبر المدن الآهلة فى اقليم العراق أيام بنى العباس .

وتمتد فى شمال أرض الرسوب ، السهول الصخرية فى أعلى ما بين النهرين . وهناك قامت مملكة نينوى فى العصور القديمة . وقد سمي العرب بلاد ما بين النهرين العليا بالجزيرة ، لأن تلك السهول العظيمة تحيط بها مياه أعلى الفرات ودجلة والأنهار التى تنصب فيهما جنوبى السهول الصخرية . ويمتد اقليم الجزيرة شمالا حتى الجبال التى ينبع فيها هذان النهران العظيمان . وكانت الجزيرة تنقسم الى ثلاثة أقسام ، نسب كل قسم منها الى القبيلة العربية التى نزلته أيام الاكاسرة . وأشهر مدنها : الموصل وهى على مقربة من أطلال نينوى ، وآمد فى أعلى دجلة ، والرقعة على عدوة الفرات الكبرى بالقرب من طف البادية . وفى أقصى الطرف الآخر من هذه البادية مدينة دمشق .

ويصف الفصل الذى يليه ، البلاد الجبلية التى يخرج منها النهران التوأمان، وهما منبعا الفرات . وهذه البلاد قد تناوبتها أيدي العرب والروم . فقد كانت مدنها وحصونها تارة بيد المسلمين وتارة بيد النصارى ، بحسب مدّ الحرب وجزرها بينهم . ولم يستقر العرب فى هذه الاصقاع ، ولهذا جاء وصفها فى مصادرنا الاولى مختصرا فى الغالب . ونظير ذلك ما كان من أمر الاقليم المعروف ببلاد الروم بل بعمد أوسع : فقد لبث هذا الاقليم حتى النصف الاخير من المئة الخامسة للهجرة (المئة الحادية عشرة للميلاد) جزءا لا يتجزأ من دولة الروم البيزنطيين ومرجع ذلك أنه كان يفصل بين هذا الاقليم وبين بلدان الخلافة ، حاجز عظيم وهو جبال طوروس . على أن المسلمين كانوا فى نحو كل سنة يغزون بلاد الاناضول عابرين دروب جبال طوروس . ولقد حاصروا القسطنطينية غير مرة

(١) يؤخذ من دراسة وارد W. H. Ward وهلبرخت Hilprecht لأطلال الانبار أن مدينة كانت قائمة فى هذا الموقع قبل أن يختط فيه الملك الساسانى سابور الثانى (٣١٠ - ٣٧٩ م) مدينة سنة ٣٥٠ م باسم فيروز سابور وهى التى عرفت بالانبار . (انظر دائرة المعارف الاسلامبة . مادة « الانبار ») (م) .

دون جدوى وأقاموا فى بعض الاوقات حاميات ، واستولوا على حصون فى هضبة آسية الصغرى . أما فى ما عدا ذلك فلم يكتب لحلفاء بنى العباس الاستيلاء على تلك البلاد . فقد غزوا غزوات كثيرة فى آسية الصغرى ، دون أن يتاح لهم أخذ رقعة فيها . ولم يتوطد حكم المسلمين هناك حتى ضعفت الخلافة فحلّ السلاجقة الاتراك فى هذه الهضاب التى غنموها من البزنطيين ، فصارت آسية الصغرى ، أى بلاد الروم أخيرا ، من جملة ديار المسلمين . وهى ما زالت على ذلك . وفى شرق اقليم الجزيرة العليا ، وهى بلاد ما بين النهرين ، اقليم أذربيجان . وقد عرّف قديما باسم « أتروباتين » Atropatene ويحدّه من أعلاه نهر أرس Araxes ومن أسفله النهر الابيض وهو « سفيد رود » ، وكلاهما يصب فى بحر قزوين . وأبرز العوارض الطبيعية فى هذا الاقليم ، البحيرة الملحة الكبرى المعروفة الآن ببحيرة أرمية ، وبقرىها تبريز ومراغة قاعدتا الاقليم . وإلى شرقها : أردبيل ، وهى من كبار مدنه وأقربها الى بحر قزوين . وتناول الفصل الذى يليه ، جملة أقاليم صغيرة على الحدود الشمالية الغربية . أولها كيلان أو جيلان ، على بحر قزوين حيث يشق سفيد رود جبل ألبرز وهو الحاجز الجبلى فى الهضبة الايرانية . ويجرى هذا النهر فى سهل رسوبى كونه الغرين فالق دلتا صغيرة فى داخل بحر قزوين . وتناول هذا الفصل أيضا صفة اقليم موقان ، وهو عند فم نهري أرس والكر Cyrus المتحد . واطليم أران الى غربه ، وهو بين هذين النهرين . واطليم شروان فى شمال الكر ، وكرجستان « جورجيا » عند منابعه . وفى آخره : أرمينية الاسلامية عند منابع أرس وهى الاقليم الجبلى المحيط ببحيرة وان .

وفى جنوب شرقى أذربيجان ، اقليم ماذى الحصب الذى أحسن العرب فى تسميته باقليم الجبال . فان جباله تشرف على سهل ما بين النهرين الاسفل . وهذه الجبال تمتد شرقا حتى تبلغ حدود المفازة الكبرى فى أواسط ايران . ولما علا شأن الاكراد وعظم أمرهم فى الازمنة الاخيرة ، عرف القسم الغربى من اقليم الجبال بكردستان . وسيمرّ بنا أن اقليم الجبال فى القرون الوسطى غالبا ما أخطأوا فى تسميته بالعراق العجمى تمييزا له عن العراق العربى الذى يراد به بلاد

ما بين النهرين السفلى • وفي اقليم الجبال ، مدن كثيرة : ففي الغرب كرمانشاه وهمدان (وهى اكبتانا Ecbatana القديمة) • وفي الشمال الشرقى : الرى (وهى Rhages) • وفي الجنوب الشرقى: أصفهان • ثم ابنتى مغول فارس مدينة السلطانية فى سهول هذا الاقليم الشمالية ، وقد أخذت مكان بغداد حيناً من الزمن فأضحت قاعدة هذا القسم من دولتهم التى كانت تتألف فى أيام الایلخانيين من بلاد ما بين النهرين وفارس • وكانت تخرج من جبال « اقليم الجبال » أنهار كثيرة، منها كارون ، وقد سماه العرب دجيل (تصغير دجلة) • وهذا النهر بعد أن ينساب فى مجرى طويل متعرج يصب فى رأس خليج فارس الى شرق المصب المشترك للفرات ودجلة •

أما اقليم خوزستان ، فهو فى جنوب ماذى وشرق العراق ، على جانبى المجرى الاسفل لنهر كارون ، أى دجيل وفروعه العديدة • كان هذا الاقليم عظيم الخصب وافر الخير • وأشهر مدنه نُستَر والاهواز • ولوفرة مياهه زكت غلات أرضه • وفى شرق خوزستان على الخليج ، اقليم فارس العظيم • وهو بلاد برسس Persis القديمة مهد المملكة الفارسية • وقد ظل هذا الاقليم فى أيام العباسيين منقسماً الى خمس كور على نحو ما كان عليه فى عهد الساسانيين • وكانت فارس مكتظة بالمدن الصغيرة والكبيرة • وأجلّها شيراز قاعدة الاقليم ، واصطخر (پرسپولیس Persepolis) ويزد ، وأرتجان ، ودار أبجر • وكانت جزر الخليج تعد من أعمال فارس • وكانت جزيرة قيس مركزاً تجارياً ذا شأن قبل نشوء مدينة هرمز • وأبرز العوارض الطبيعية فى فارس بحيرة بختيكان الكبرى الملحة ، ووقع مائية اخرى أصغر منها منتشرة فى وديان الهضبة العريضة • وما فى هذا الاقليم من جبال ، متشعب من سلاسل اقليم الجبال ، وقد مرت الإشارة اليه • وصارت كورة دار أبجر فى فارس اقليماً قائماً بنفسه فى أيام المغول • وكانت تسمى فى المئة السابعة (الثالثة عشرة للميلاد) شبان كار • وفى أواخر العصور الوسطى ألحقت كورة يزد أيضاً باقليم الجبال • وفى شرق فارس ، اقليم كرمان • وهو دون سالفه خصبا لخلوه من الانهار تقريباً • ولتأخيمته المفازة الكبرى • وكان لهذا الاقليم قصبستان فى أيام العباسيين،

وهما : السرجان وكرمان • وأشهر مدنه : هرمز على الساحل وجيرفت في الداخل ، وكانت مدينة رائجة التجارة • وأبرز العوارض الطبيعية في هضبة ايران العالية : المفازة الكبرى في وسط بلاد فارس • وهذه المفازة مقفرة ملحة مترامية الاطراف ، تنحرف باتجاه الجنوب الشرقي قاطعة بلاد فارس من الري في لطف الجبال المشرف جانبها الشمالي على بحر قزوين • وهي تنبسط كنطاق عريض يندمج طرفه الاسفل بجبال مكران ، الاقليم المتاخم للمحيط الهندي • وفي هذه المفازة واحات قليلة وتغطي الاملاح رقعة واسعة من سطحها المجذب • على أن عبور المفازة هيّن شتاء ففيها مسالك كثيرة واضحة المعالم تربط بين المدن القائمة على جوانبها • ومع ذلك فإن هذه المفازة الكبرى حاجز يحول دون الاتصال الدائم بين اقليمى فارس وكرمان ، وهما في شفيرها الجنوبي الغربي والاقليمين الشرقيين فيما يلي حدها الآخر ، ونعني بذلك خراسان ومعه سيستان في جنوبه الشرقي • وكان لهذا الحاجز الصحراوي أثر كبير في تاريخ بلاد فارس خلال جميع أدواره • وبعد أن ذكرنا في هذا الفصل ما انتهى اليه من أقوال البلدانين المسلمين في المفازة الكبرى ، تناولنا بالبحث اقليم مكران الذي يصاقب الهند من شرقه ويصعد المرتفعات المشرفة على وادي الاندس (Indus) ويعرف قسم منه اليوم ببلوچستان • على أن مراجعنا لم تستوف صفة هذه الانحاء •

والى شمال مكران ، عبر أضيق أقسام المفازة ، بازاء كرمين ، اقليم سجستان أى سيستان • وهو في شرق زره ، البحيرة الواسعة الضحلة • ويصب في هذه البحيرة نهر هلمند وغيره من الانهار الكثيرة المنحدرة من جبال أفغانستان الشاهقة - فوق كابل وغزنة - الى الجنوب الغربي • وفي هذا الموضع مدينة قندهار • وهي في سهل يحف به رافدان من روافد هلمند • ومدينة زرنج قاعدة سجستان ، عند مصب هذا النهر الكبير في بحيرة زره • وفي شمال غربي بحيرة زره ، على شفير المفازة الكبرى ، الاقليم الجبلي المسمى قوهستان (أى بلاد الجبال) وأشهر مدنه : تون وقاين وقد ذكرهما ماركو بولو في رحلته معا باسم تنوكين

(Tunocain) (١) ويؤلف اقليم سجستان وقوهستان حدود خراسان الجنوبية وهو الاقليم الشرقي العظيم في بلاد فارس •

ويحسن بنا قبل أن نصف هذا الاقليم الاخير الاشارة الى الاقاليم الصغيرة الثلاثة : قومس وطبرستان وجرجان وهي موضوع الفصل المقبل • فقومس وقصبة الدامغان ، يمتد بحذاء الحافة الشمالية للمفازة الكبرى شرقي الري • وفيه السفوح الجنوبية لجبال ألبرز التي تفصل هضبة ايران العالية عن بحر قزوين • وهذه الجبال ، ولاسيما جانبها الشمالي ، تنحدر الى بحر قزوين وتؤلف اقليم طبرستان المسمى أيضا مازندران ، الممتد من كيلان ودلتا النهر الابيض (سفيد رود) في الغرب الى الزاوية الجنوبية الشرقية من بحر قزوين • ويتصل هاهنا اقليم طبرستان بجرجان ، أي كركان ، وهو هركانية (Hircania) القديمة ، وفيه الاودية التي يسقيها نهر اترك (Atrak) ونهر جرجان • وعلى هذا الاخير تقوم مدينة جرجان • ويمتد اقليم جرجان شرقا من بحر قزوين الى الصحراء التي تفصل خراسان عن الارض الزراعية في دلتا جيحون (Oxus) وهي التي يقال لها اقليم خوارزم •

واقليم خراسان الحالي ليس الا بقية للصقع الكبير الذي كان يعرف بهذا الاسم منذ أيام العباسيين حتى أواخر العصور الوسطى • فان اقليم خراسان ، كان حينذاك يضم أيضا ما هو اليوم شمال غربي أفغانستان • وكان يكتنف خراسان في العصور الوسطى نهر بدخشان من الشرق ونهر جيحون وصحراء خوارزم من الشمال • وقسم البلديون المسلمون خراسان الى أربعة أرباع ، عرف كل ربع باسم قصبته ، وهي : نيسابور ومرو وهرارة وبلخ • وأبرز

(١) ماركو بولو Marco Polo سائح هندي (ولد نحو سنة ١٢٥٤ ومات سنة ١٣٢٤م) رحل مع ابيه وعمه الى بلاد الشرق سنة ١٢٧١ م فشاهد بلاد فارس وهضبة بامير وصحراء غوبي • وعاش في بلاط قبلاي خان (في بكين) منذ سنة ١٢٧٥ م وأصبح من المقربين اليه ، فبعثه غير مرة الى بلاد شتى • وتعلم كثيرا من لغات ولهجات الاقوام التي كان يحكمها هذا الخان • وفي خلال ذلك زار يونان قرب حدود التبت وشمال برما وكوشن شين وجنوبي الهند • وأقامه الخان حاكما على يانفجو • وفي نحو سنة ١٢٩٣م عاد الى البندقية وفيها كتب رحلته التي ضمنها مشاهداته في الصين والشرق وهي تعد من اتمن المصادر عن العالم في المئة الثالثة عشرة للميلاد • وقد ترجمت الى لغات كثيرة وطبعت غير مرة • (م) •

العوارض الطبيعية فى خراسان : النهران العظيمان ، نهر هراة ونهر مرو • ومخرجهما فى جبال البلاد المعروفة اليوم بأفغانستان ، وينعطفان شمالا ، ثم يفنى ماؤهما فى رمال الصحراء أمام خوارزم ، فلا يتهيان الى بحر أو بحيرة •

ويتناول الفصل الذى يليه أعلى نهر جيحون وصفة جملة أقاليم صغيرة تمتد من بدخشان فالى الغرب وتقع فى شمال هذا النهر العظيم وعلى روافد ضفته اليمنى • وفى هذا الفصل أيضا وصفنا إقليم خوارزم وهو فى جنوب بحر آرال • وقوامه دلتا هذا النهر ، وقصته القديمة أركنج • وقد أفردنا بعض صفحات هذا الفصل لايضاح المجرى القديم لنهر جيحون الماد الى بحر قزوين ، وهو موضوع قد كثر حوله الجدل • ووراء هذا النهر ، فيما بينه وبين سيحون (Jaxartes) ، إقليم الصفد وهو صفديانا (Soghdiana) القديم ، وفيه المدينتان الجليلتان : سمرقند وبخارى ، وهما على نهر الصفد • وهذا الفصل يسبق آخر فصول الكتاب • أما الفصل الاخير ، فيتناول بالبحث الاقاليم التى على نهر سيحون من إقليم فرغانة ، بالقرب من تخوم صحارى الصين ، وقاعدته أخسيكث ، الى الشاش وهى طشقند الحديثة • كما يتناول إقليم أسيجاب فى الشمال الغربى • ووراء هذا الاقليم ينساب نهر سيحون حتى يصب فى أعلى بحر آرال مارا بالتيه الصحراوى القارس • ولم يذكر البلدانون العرب الاقدمون الا أخبارا مختصرة عن هذه الاقاليم الشمالية التى فى أقاصى الشرق فيما وراء آسية الوسطى • وتلك الاصقاع موطن الترك ولم تصبح ذات شأن الا بعد الغزو المغولى • ومما يؤسف عليه أنه لم ينته الينا مما يعتقد به من الاخبار عن هذه الحقبة الا النزر القليل • وفى الغالب لم يسعفنا البلدانون العرب فى ذلك • وكان لنا العوض بالمؤلفين الفرس والترك ، ولكن ما انتهى الينا منهم مشوش لا يوثق به •

وحين بلغت الدولة الاسلامية أقصى اتساعها فى أيام بنى العباس ، انشئ نظام محكم للطرق مركزه بغداد • فكانت الطرق الآتية من أقاصى الشرق تعبر دجلة ميممة شطر الحجاز لأداء فريضة الحج ، اذ على المسلمين الحج الى مكة ولو مرة واحدة فى العمر^(١) • وقد انتهت الينا من ذلك الزمن أوصاف وافية عن نظام

(١) والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا (آل عمران : ٩٦) • (م) •

الطرق هذا (وقد ورثه العرب عن مملكة الفرس القديمة)^(١) وفي وسعنا أن نجمل وصف أهم الطرق التي تخترق الاقاليم المار ذكرها في الفقرات السابقة .

وأشهر الطرق العامة : طريق خراسان العظيم الضارب الى الشرق . وهو يربط العاصمة بمدن ما وراء النهر التي في تخوم الصين . ولعل هذا الطريق أوفر الطرق حظا من وصف البلدانين له . يبدأ من باب خراسان في بغداد الشرقية ، ثم يقطع السهل عابرا أنهارا عديدة فوق قناطر حسنة البناء ، حتى يبلغ حلوان وهي أسفل الذرب المؤدى الى جبال ايران . وهناك يدخل هذا الطريق اقليم الجبال . وبعد أن يصعد الجبال صعودا حادا ، يصل كرمشاه قاعدة كردستان فيجتاز اقليم الجبال من أقصاه الى أقصاه باتجاه الشمال الشرقي ، ويمر بهمدان ، فالري . ومن الري فما بعدها يأخذ نحو الشرق في الغالب ، فيمر بقومس تاركا جبال طبرستان في يساره والمفازة الكبرى في جنوبه ، حتى يدخل اقليم خراسان قرب مدينة بسطام . ثم يتابع سيره فيأتى الى نيسابور ، ثم الى طوس حتى يبلغ مرو . وبعد أن يبارح مرو ، يجتاز الصحراء فيبلغ ضفة نهر جيحون عند آمل ، ثم الى بخارى ، فسمرقند ، وهما في اقليم الصغد . وينشطر الطريق في زامين ، وهي على مسافة قصيرة من سمرقند ، شطرين : الایسر - يتابع سيره الى الشاش (وهي طشقند الآن) ثم الى معبر النهر عند أترار (Utrar) - في أسفل نهر جيحون . أما الشطر الثاني ، فلدى مبارحته زامين ، ينعطف يمينا ثم يتجه الى

(١) قلنا : بل ان التحقيقات الانثوية اظهرت اتصال جنوب العراق بشماله بطرق عامة في ايام الاكديين والبابليين والاشوريين . وكانت طرق اخرى تربط عواصم العراق القديمة بحدوده . وبعض هذه الطرق كان يمتد فيتجاوز تلك الحدود الى غيره من الاقطار . وكان ملوك البابليين والاشوريين يعنون بهذه الطرق وينشؤون في نقاطها السوقية العسكرية الحصون ويقيمون الحاميات للمحافظة على سلامتها ولاسيما في المواضع القريبة من الحدود . وكانت هذه الطرق تسلكها قوافل التجار كما تسلكها الجيوش . ولاشك ان نظام الطرق هذا ، قد وجده الفرس قائما حين مجيئهم الى العراق وحكمهم له ، فاولوه عنايتهم لانه يربط بين اجزاء مملكتهم ويوحدها من جهة ، ويوصلهم الى بلاد اعدائهم في زمن الحرب من جهة ثانية . وظل هذا النظام قائما حتى زوال الدولة الفارسية في العراق بقدم العرب اليه بعد الاسلام فاحكموا امره ووسعوا خطوطه بما يتفق هو وسعة مملكتهم .

وفي امهات الكتب التي وضعها علماء الآثار والباحثون في تاريخ العراق القديم ، شيء كثير من اخبار هذه الطرق وعناية القوم بها . وكذلك عنى بلدانيو العرب بهذا الموضوع فانردوا له كتباً عرفت بكتب « المسالك » . (م)

أقليم فرغانة ونهر سيحون الأعلى ، فيبلغ أخسيكت قاعدته • وينتهي أخيرا الى
أركند على تخوم صحراء الصين •

هذا ما كان عليه طريق خراسان العظيم فى أقصى مداه • وما زال طريق
البريد فى يومنا هذا ، الذى يقطع بلاد فارس ومركزه طهران وهى قرب الرى
القديمة ، يقتضى ذاك الطريق الطويل نفسه الذى وصفه البلدانون العرب
الاولون • وبعد سقوط الخلافة العباسية ، تغير بعض نظام الطرق بانشاء مدينة
السلطانية التى أضحت قاعدة المغول • على أن كل ما طرأ فى الواقع لم يكن الا
فتح طريق فرعى يتجه شمالا من همدان الى السلطانية التى صارت حينئذ من الزمن
مركزا للطرق فى هذه الربوع بدلا من الرى •

وفى أوائل أيام الدولة العباسية ، كان يتشعب من المدن الكبرى التى على
طريق خراسان العظيم ، طرق من يساره ويمينه ، تمتد الى سائر أنحاء بلاد
فارس • فكان يخرج من جوار كرمانشاه ، طريق يأخذ الى الشمال نحو تبريز
وغيرها من المدن التى على بحيرة أرمية • ولهذا الطريق شعب تنتهى الى اردبيل
والى مواضع على نهر أرس • ويخرج من همدان طريق نحو الجنوب الشرقى
الى أصفهان ، كما يخرج من الرى نحو الشمال الغربى الى زنجان طريق معروف
المسافات • ومنها طريق يؤدى الى اردبيل • وكانت نيلابور فى خراسان مركز
طرق فرعية كثيرة يتجه أحدها جنوبا الى طبرستان على شفير المفاضة الكبرى فى
قوهستان • وطريق آخر كان يذهب الى قوين وآخر يتجه نحو الجنوب الشرقى
الى هراة ثم الى زرنج فى سجستان • ومن مرو ، يبدأ طريق يحاذى نهر مرو
صاعدا الى نهر مرو الأصغر (أى مرو الرود) حيث يلتقى بطريق آت من هراة ،
فيصلى الى بلخ وأصقاع الحدود الشرقية فيما وراء نهر جيحون (Oxus) •
ثم أنه كان يخرج من بخارى ، طريق نحو الشمال الغربى يوصلها بأركنج فى
خوارزم • وطريق نحو الجنوب الغربى يوصلها بترمذ على نهر جيحون بازاء بلخ •
وبهذا ، يكمل وصف نظام طريق خراسان وفروعه • ولنعُد الآن الى
مغداد ، لنجمل القول فى الطرق العامة الخارجة منها الى الجهات الأخرى •

فقد كان بانحدار دجلة ، الطريق المار بواسط الى البصرة ، الميناء التجارى العظيم على خليج فارس ، وما فى هذا الطريق من مسافات ومراحل ، فى كلا البر والماء ، معروف لدينا . ومن واسط والبصرة ، كان يصل طريق الى الاهواز فى خوزستان ، ثم يشرق الى شيراز فى فارس . وكانت هذه المدينة مركزا لكثير من الطرق : طريق يذهب شمالا الى أصفهان ثم الى الرى ، وطريق نحو الشمال الشرقى يمر بيزد مخترقا المفازة الكبرى ، حتى يصل الى طبس . وهذه تتصل بنيسابور . ويصل شيراز بالسيرجان وكرمان فى الشرق جملة طرق . ثم فى شرقيهما يصلها بزرنج فى سجستان طريق يخترق المفازة الكبرى . وكان يتفرع من شيراز طريقان : نحو الجنوب الشرقى والجنوب ، يؤديان الى موانئ خليج فارس . أحدهما يمر بدار أبجرى الى سورو قرب هرمز ، والثانى الى سيراف ، وكانت حينئذ من الزمن أجل موانئ إقليم فارس .

واذا عدنا الى بغداد ، مركز الطرق العام ، ألفينا طريق الحج الى مكة والمدينة يبدأ من بغداد الغربية فيتجه جنوبا الى الكوفة على طف البادية العربية ، فيقطعها بخط يكاد يكون مستقيما حتى الحجاز . وقد كان يخرج من البصرة طريق ثان للحج ، يسير فى بادية أمره فى موازاة الطريق الاول ، ويلتقيان أخيرا على مرحلتين من شمال مكة . وكان يخرج من بغداد ، من شمالها الغربى ، طريق يصل الى الفرات عند الانبار ، ومنها يصعد بمحاذاة النهر الى الرقة . وكان يخرج من الرقة طريق يخترق بادية الشام الى دمشق ، وطرق غيرها كثيرة تذهب شمالا الى ثغور الروم . ثم أنه كان يمتد من بغداد الى الشمال ، طرق تصعد الى الموصل فى جانبى دجلة . ومن الموصل كان هذا الطريق يصل الى آمد من جهة ، وإلى قرقيسياء على الفرات فى الجنوب الغربى من جهة ثانية . وكانت تخرج من آمد طرق تتصل بمعظم الثغور التى بازاء بلاد الروم .

هذا مجمل ما كانت عليه المسالك الخارجة من بغداد فى أيام العباسيين . وكانت تلك المسالك ، بما يتخللها من محطات للبريد ، تربط العاصمة بأقاليم الدولة النائية . ولقد عنى البلدانون العرب بوصف هذه المسالك كل العناية وللرجوع الى ما كتبوه ، يحسن بنا أن نوجز القول فى اولئك الاقدمين بحسب

زمن كتابة تصانيفهم • فعلى ما كتبوه كان اعتمادنا فى ما أوردنا من أخبار فى
فصول هذا الكتاب^(١) •

وأقدم اولئك المصنفين ، عاش فى أواسط المئة الثالثة للهجرة (المئة التاسعة
للميلاد) • وأول ما دونه العرب فى صفة البلدان من كتب ، كان فى المسالك •
فإن هاتيك المصنفات تبسطت فى ذكر مختلف الطرق ، وضمنت ذلك نبذا من
الاخبار عن المدن التى كانت تمر بها تلك الطرق ، وذكرت ما يرتفع من كل اقليم
من أقاليم الدولة من خراج وغلة • وفى طليعة ما ذكر مما فى أيدينا من كتب
المسالك ، أربعة يكمل بعضها بعضا ، لأن نصوصها فى كثير من المواضع مخرومة •
ومؤلفو هذه الكتب من أهل المئة الثالثة (التاسعة) وهم : ابن خرداذبه وقدامة
واليعقوبى وابن رسته •

فالانثان الاولان يكادان يتفقان فى مادتهما • فابن خرداذبه كان صاحب
البريد فى اقليم الجبال ، وقدامة كان من عمال الخراج • وعلى ذلك فمسالكهما
قد ذكرت المسافات التى على طريق خراسان العظيم وغيره من الطرق الكبيرة
التي كانت تشعب من بغداد ، مرحلة مرحلة على ما بيناه فى الفقرات السابقة •
ومما يؤسف عليه ، ان كتاب اليعقوبى لم يتت لنا كله • وقد تيسر لنا أن نصف
عاصمة العباسيين وصفا خططيا مفصلا بالاستناد الى ما جاء عن بغداد فى كتابه وفى
كتاب ابن سرايون • هذا الى أن اليعقوبى أورد أخبارا ثمينة عن كثير من المدن
الآخري ، وتفاصيل عن الطرق التى تخترق اقليم العراق مما لا وجود له فى
غير كتابه • أما ابن سرايون ، معاصره ، فلم يصلنا من كتابه غير قسم^(٢) • وهذا

(١) وللاستزادة من اخبار بلدان العرب ، راجع الفصل التمهيدى من كتاب فلسطين فى عهد
الاسلام Palestine under the Moslems (لندن ١٨٩٠) وللتوسع فى الموضوع راجع :
مقدمة الترجمة الفرنسية لتقويم البلدان لآبى الفداء بقلم رينو M. Reinaud (باريس ١٨٤٨) •
(٢) فى سنة ١٨٩٥ طبع لسترنيج فى JRAS. قطعة من هذا الكتاب نقلا عن نسخة خطية
فريدة فى المتحف البريطانى (رقم Add. 23379) تصف انهار العراق والجزيرة أى دجلة
والفرات وما يصب فيهما أو يحمل منهما ، مع مقدمة وتعليق وترجمة الى الانكليزية • ووضع خارطة
لانهار العراق مستندا فى وضعها الى هذا الوصف • وفى سنة ١٩٢٩ نشر المستشرق مزيك فى فينة
Hans V. Mzik مخطوطة المتحف البريطانى نفسها كلها بعنوان « عجائب الاقاليم السبعة
الى نهاية العمارة » لسهراب والكتاب يقوم من ١٩٢ صفحة ، وما فى طبعة لسترنيج يرى فى ص
١١٧-١٢٨ و ١٤٩ من هذه الطبعة الجديدة • (م) •

القسم ، الى احتوائه على صفة بغداد ، فان قيمته الكبرى في ذكر أنهار العراق والجزيرة . كما أن ابن سراييون أوجز القول في صفة أنهار الاقاليم الاخرى . أما ابن رسته ، فقد صنف كتابا مماثلا لكتاب اليعقوبى ، وزاد عليه تنويهه بالمدن ، الا أن أفضل ما جاءنا به هو تدقيقه في كلامه على طريق خراسان العظيم حتى طوس قرب المشهد ، وذكره ما تفرّع منه من طرق لاسيما الذهاب من طوس الى أصفهان وهرات . ومثل ذلك وصفه الطريق من بغداد فجنوبا الى الكوفة وإلى البصرة مع تتمته المتجهة شرقا الى شيراز . وهو لم يقتصر على ذكر مسافات هذه الطرق ومنازلها ، بل وصف طبيعة الارض التى تخترقها مبينا عما اذا كان الطريق فى الجبال صاعدا أم هابطا ، أم كان الطريق فى السهول . فوصف ابن رسته هذا كبير الشأن فى تعيين الخطوط التى كانت تقطعها هذه الطرق وتثبت مواضع كثير من الاماكن الدارسة . ومن ثقات المؤلفين الآخرين : ابن الفقيه ، وهو معاصر لابن رسته فقد كتب كشكولا بلدانيا عجيبا جدا لم ينته اليها للأسف غير مختصره على أن بعض أقواله فى الامكنة نافع فى استكمال أخبار من تقدمه وتصحيحها^(١) .

أما البلدانون الذين نهجوا نهجا متسقا فيما كتبوا ، فكان أول ظهورهم فى المئة الرابعة للهجرة (العاشرة للميلاد) وقد وفوا القول فى صفة كل اقليم من أقاليم الدولة الاسلامية ولم يذكروا شيئا عن المسالك الا عرضا . ولكنهم بوجه عام ذكروا ما فى كل اقليم من طرق . ولا مراء فى أن تصانيفهم أرقى من كتب المسالك ونحن مدينون لهم بالتفاصيل البلدانية الواسعة التى سيقف عليها القارىء

(١) حقق البروفسور دى غويه مؤلفات ابن خرداذبه وقدامة واليعقوبى وابن رسته وابن الفقيه ونشرها فى المجلدات الخامس والسادس والسابع من سلسلته الموسومة بـ « الخزانة الجغرافية العربية » Bibliotheca Geographorum Arabicorum (ليدن ١٨٨٥ الى ١٨٩٢) . وهو الى ذلك قد اضاف الى المجلد السادس ترجمة فرنسية الى الكتابين الاولين مع تعليقات كثيرة مهمة عليهما . اما ابن سراييون ، فقد نشر منه الجزء الذى يصف العراق والجزيرة فى مجلة الجمعية الآسيوية الملكية الصادرة سنة ١٨٩٥ ص ٩ وقد اعتمد فى نشره على مخطوطة المتحف البريطانى برقم Add. 23379 . اما اليعقوبى فهو الى كتابه « البلدان » قد صنف كتابا فى التاريخ نشره البروفسور هوتسما M. T. Houtsma بعنوان « تاريخ ابن واضح المعروف باليعقوبى » (ليدن ١٨٨٣) ويتضمن هذا الكتاب فى الغالب اخبارا بلدانية ثمينة .

قلنا : كتابا اليعقوبى « البلدان » و « التاريخ » قد طبعا فى النجف سنة ١٩٣٩ . وعنى المستشرق فييت G. Wiet بنقل كتاب البلدان الى الفرنسية وطبعه سنة ١٩٢٧ فى ليدن . (م)

فى تضاعف هذا الكتاب • وفى طليعة هؤلاء ثلاثة هم : الاصطخرى وابن حوقل
والمقدسى • فتصانيفهم زاخرة بالفوائد • وما كتاب ابن حوقل الا نسخة محدثة
موسعة منقحة لكتاب الاصطخرى • على أن الاصطخرى ، وهو من أهل اصطخر
(برسبوليس) ، قد وصف فارس موطنه وصفا مسهباً فيه لا تجده فى ابن حوقل
الذى اختصر هذا الفصل عن فارس بالقياس الى سائر فصول كتابه • أما المقدسى ،
وقد عاصرهما ، فانه كتب جغرافيته بأسلوب خاص يختلف عن سبقه • ذلك
أنه بناء على ما شاهده بنفسه فى مختلف الاقاليم • فلعل كتابه أعظم من كل ما
صنفه البلدانون العرب وأكثرها اصالة • فوصفه للأمكنة والعادات والطبائع
والتجارات والصناعات وتلخيصه لخصائص كل اقليم يعدان من خير ما كتب فى
سلسلة مصنفات العرب فى القرون الوسطى •

ويحسن بنا أن نشير الى أننا مدينون لأولئك البلدانين المنهجيين الثلاثة فى
تعيين معظم الاسماء التى ذكرت فى الحوارط الملحقه بكتابنا تعييناً صحيحاً • فانهم
أوردوا فى آخر كل فصل ثبناً بالمسافات ، أى منازل الطرق ومراحلها التى
وصفناها ، أو ما فى الاقليم المبحوث فيه من طرق • وهم الى ذكر الطرق ، قد
أشاروا الى عدد كبير من الطرق الفرعية التى بين المدن المجاورة • وهذه المسافات
التي سردوها ابتداء من نقاط معروفة قد أعانتنا على ملء الخارطة بشبكة من نقاط
التثليث ، فأوقفنا على مواضع بعض المدن التى مضى زمن طويل على اندراسها
وزوال معالمها فى معظم الاحوال ، فتسنى لنا تعيينها فى الخارطة بوجه تقريبي •
مثل ذلك مدينة توج فى بلاد فارس : فانه لم يتحقق موضع خرائثها الى اليوم ،
وان كنا قد تمكنا الآن من تعيين موضعها فى الخارطة ضمن أضيق نطاق • ومن
مؤلفي المئة الرابعة أيضاً (العاشرة) : المسعودى • فقد صنف كتابين : أولهما
تاريخى فى جملته وهو « مروج الذهب » وثانيهما من التصانيف الجامعة الزاخرة
بأخبار وفوائد غريبة وهو كتاب « التنبيه والاشراف »^(١) •

(١) تولى كتب الاصطخرى وابن حوقل والمقدسى ، المجلدات الاولى والثاني والثالث بالتعاقب
من السلسلة التى سبق ذكرها باسم « الخزانة الجغرافية العربية » (ليدن ١٨٧٠-١٨٧٧) • اما
كتاب التنبيه والاشراف للمسعودى فقد حققه البروفسور دى غويه ونشره فى المجلد الثامن من السلسلة

فإذا انتهينا الى المئة الخامسة والسادسة (الحادية عشرة والثانية عشرة) ،
أصبنا كتابين لحاجّين من مشاهير الرحالين ، ووصفهما لما مرّ به من أماكن كبير
الشأن . أحدهما ناصر خسرو ، وهو رجل فارسي خرج حاجاً من خراسان في
منتصف المئة الخامسة (الحادية عشرة) الى مكة ، ثم عاد اليها بعد طوافه بمصر
والشام واختراقه الجزيرة العربية . ويوميّاته التي دوّنها بالفارسية من أقدم ما وقع
لنا في هذه اللغة من تصانيف وبعده بقرن خرج ابن جبير الرحالة العربي
إلى أندلس ، حاجاً من غرناطة . ووصفه للعراق ، ولا سيما بغداد ، من اروع
ما انتهى إلينا . ومن التصانيف الفارسية الواصلة إلينا من اوائل المئة السادسة
(الثانية عشرة) مؤلّف يسمى « فارسنامه » (كتاب فارس) تناول
مؤلفه هذا الاقليم بوصف ثمين قد أوفى على الغاية . ووصل إلينا من منتصف
هذا القرن أيضاً ، مصنّف جغرافي علمي للادريسي الذي عاش في بلاط الملك
النورمندی روجر الثاني ملك صقلية . دوّن الشريف الادريسي كتابه باللغة
العربية ووصف العالم المعروف في زمنه بحسب الاقاليم المناخية وصفا تشقّ
مراجعته . فقد قطع أوصال الولايات المختلفة في الغالب اعتباطاً لأنّه جرى في
وصفها بحسب الاقاليم أى بحسب مناطق العرض . فبلاد العراق والجزيرة مثلاً ،
جاء وصف بعضها في الاقليم الثالث وبعضها في الاقليم الرابع . والمؤلّف الى
ذلك لم يكن وأسفاً ، واقفا بنفسه على بلاد فارس ولا على الاصقاع التي في شرق
البحر المتوسط وهو ما نهتم له في كتابنا . الا أنّه زار آسية الصغرى وقد كانت
حتى زمنه ولاية تابعة لدولة الروم^(١) . ووصفه لهذه البلاد لا يمتنّ ، الا أن
أسماء الامكنة (بسبب تصحيف المخطوط) لا تيسر قراءتها في كثير من الاحوال

نفسها (ليدن ١٨٩٤) . ونشر البارون كارا دو فو Carra de Vaux ترجمة فرنسية له بعنوان
Le Livre de l'Avertissement باريس ١٨٩٦) . ونشر تاريخه المسمى بـ « مروج الذهب »
بنصه العربي وترجمته الفرنسية : بارييه دي مينار وبافه دي كورتى Barbier de
Meynard, Pavet de Courteille (باريس ١٨٦١) والكتابان منشورات الجمعية الآسيوية
الفرنسية .

قلنا : كتاب « التنبيه والاشراف » للمسعودي طبع في القاهرة سنة ١٩٣٨ ، اما مروج الذهب
فقد طبع في القاهرة غير مرة . (م) .

(١) كانت آسية الصغرى في زمن الادريسي أى اواسط المئة السادسة في حكم السلاجقة ،
وسيشير المؤلّف الى ذلك في كلامه على بلاد الروم . (م) .

اذ أن التصحيف قد بلغ فيها حدا لا يمكن معه تبيين وجه الصواب في الاصل^(١).
 ووصلنا من مصنفات المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، وفيها كان الغزو
 المغولى وسقوط الخلافة العباسية ، « معجم البلدان » لياقوت الحموى . وهو سفر
 كبير كثير الاجزاء . ومع أن مصنفه استقاه ممن تقدم من المؤلفين ، الا أنه زاد
 عليهم مشاهداته في رحلاته الواسعة المدى . فهو كتاب لا يقدر بثمن اذا روجع
 بنقد وتمحيص . صنف ياقوت المواد فيه على الترتيب الهجائي واقتبس ، دون
 تقييد ، من كل ما وضعه أسلافه من بلدانيي العرب ، وبينهم مؤلفون لم يكن لنا
 أن نطلع على ما دونوه لولا مقتبسات ياقوت منهم . كالرحالة ابن مهلهل الذى
 كتب في سنة ٣٣٠ (٩٤٢) . وبعد مضي ثلاثة أرباع القرن على تأليف هذا المعجم
 الكبير ، ظهر مختصر له بعنوان « مرصد الاطلاع » لمؤلف من أهل العراق^(٢)
 له فى الغالب استدراكات ثمينة موثوق بها على الامكنة التى فى أنحاء بغداد . ومن
 نشأ فى نحو هذا الزمن : القزوينى ، وقد دوّن كتابا فى جزئين وصف فيهما
 الارض^(٣) ضمنهما فوائد فى تجارات مختلف المدن والاقاليم وغلاتها . وانتهى
 الينا من النصف الاول من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كتاب منسّق فى البلدان
 لأبى الفداء . وأبو الفدا أمير شامى . ومع أنه ألّف كتابه نقلا عن تقدمه فى

(١) نشر شيفر C. Schéfer النص الفارسى لرحلة ناصر خسرو مع ترجمة وتعليق بالفارسية
 فى سلسلة Ecole des Langues Orientales Vivantes (باريس ١٨٨١) وعن رايث
 W. Wright عناية فائقة بنشر النص العربى لرحلة ابن جبير (ليدن ١٨٥٢) . اما فارسنامه ،
 فمازال مخطوطا ، وقد استندنا لدى مراجعته الى مخطوطة المتحف البريطانى ذات الرقم
 Or. 5983 ونشر جوبرت A. Jaubert ترجمة فرنسية لا بأس بها لكتاب الادريسي (باريس ١٨٣٦) . وقد
 قابلت ما اقتبسته من هذه الترجمة بالاصل العربى المحفوظة مخطوطة فى الخزانة الوطنية بباريس
 (Mss. Ar. No. 2221-2222)

قلنا : نقل الدكتور يحيى الخشاب سفرنامه لناصر خسرو من الفارسية الى العربية (القاهرة ١٩٤٥) .
 ونشر دى غويه رحلة ابن جبير فى ليدن ١٩٠٧ واعيد طبعها نفسها بالزنگراف حديثا . اما فارسنامه ،
 فقد نشر نصه الفارسى ، لسترنج ونيكلسون سنة ١٩٢١ ضمن « مجموعة كب » . أما كتاب الادريسي
 فقد نشر مختصره فى رومة سنة ١٥٩٢ م . كما ان المستشرق ملر K. Miller نشر خارطة العالم
 للادريسي بالالوان ، ولكنه جعل الاسماء فيها بحروف لاتينية . ثم نشر المجمع العلمى العراقى هذه
 الخارطة بعد ان اعاد الاسماء الى اصلها العربى (م) .

(٢) قلنا : هو صفى الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق المتوفى سنة ٧٣٩ هـ (١٣٣٨ م) . (م) .
 (٣) قلنا : هذان الجزآن هما « آثار البلاد واخبار العباد » و « عجائب المخلوقات » . وهما
 فى واقع الحال كتابان وليسا بكتاب واحد . وقد طبع ثانيهما فى مصر غير مرة . (م) .

الغالب ، فانه أضاف اليه مشاهداته لما زاره من بلدان^(١) .

ومما جاءنا من هذا الزمن نفسه ، أى النصف الاول من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، رحلة ابن بطوطة • وابن بطوطة رجل مغربى قام برحلات طويلة جارى فيها ماركو بولو البندقى • وقد دوّن كتابه بالعربية • أما حمدالله المستوفى ، وقد عاصر ابن بطوطة ، فقد كتب بالفارسية وصفا لمملكة ايران المغولية (بلاد العراق وفارس) اوضح فيه حال البلاد بعد أن حلّ فيها المغول أيام الايلخانيين • وصنّف المستوفى كتابا فى التاريخ وهو « تاريخ كزیده » (زبدة التاريخ) وهذا السفر ، الى قيمته العظيمة عن العهد المغولى ، يحتوى فى الغالب على فوائد جغرافية جليّة^(٢) .

وفى طليعة ماوصلنا من مصادر عن عهد تيمور ، كتاب تأريخى لعلى اليزدى • ثم مصنّف جغرافى لحافظ أبرو وكلاهما بالفارسية • ويرقى عهدهما الى النصف الاول من المئة التاسعة للهجرة (الخامسة عشرة للميلاد) • ومما نذكر من المصادر أيضا عما بعد فتوحات تيمور ، تصانيف مؤلفين تركيين أحدهما كتب بالتركية الشرقية والثانى بالتركية العثمانية ، وهما من أهل النصف الاول من المئة الحادية

(١) عنى ف • وستنفلد بنشر المتن العربى لمعجم البلدان لياقوت (ليبزك ١٨٦٦-١٨٧٣) ومواضيعه الخاصة فى البلدان الفارسية قد نقلت الى اللغة الفارسية مع اضافات من المستوفى وغيره ممن جاء بعده من المصنفين فى كتاب « معجم بلاد فارس » Dictionnaire de la Perse باريس ١٨٦١ • وقد نشره باريه دى مينار Barbier de Meynard • ونشر جوينيل « مرصد الاطلاع » وهو مختصر معجم ياقوت (ليدن ١٨٥٢) • ونشر وستنفلد كتابى القزوينى (غوتنجن ١٨٤٨) • ونشر رينو Reinaud ودى سلان De Slane تقويم البلدان لآبى الفداء (باريس ١٨٤٠) • وبدأ رينو ايضا بنقل هذا الكتاب الى الفرنسية ، مقدما له مقدمة ثمينة عن البلدانين العرب (باريس ١٨٤٨) • واكمل الترجمة بعده س • غويار S. Guyard (باريس ١٨٨٣) •

قلنا : طبع « المرصد » طبعة حجرية فى ايران سنة ١٣١٥ هـ (م) •

(٢) نشر ديفريميرى و سسغوينيتى Defrémery and Sanguinetti رحلة ابن بطوطة بنصها العربى مع ترجمة فرنسية (باريس ١٨٧٤-١٨٧٩) • وطبع كتاب « نزهة القلوب » لحمدالله المستوفى طبعة على الحجر فى بمبى سنة ١٣١١ (١٨٩٤ م) • وكتابه « كزیده » الذى رجعت اليه ، مخطوط فى المتحف البريطانى برقم Add. 22693 وقابله بمخطوط رقمه Add. 7630 ومخطوط اكرتن برقم Add. 690Egerton • ان قسما من كتاب كزیده طبعه الان M. J. Gantin بترجمة فرنسية (باريس ١٩٠٣) •

قلنا : نشر تاريخ كزیده بالزنگراف مع ملخص له بالانكليزية فى مجلدين من مطبوعات كب بعناية براون ونيكلسون سنة ١٩١١-١٩١٣ • اما نزهة القلوب فقد نشر القسم الجغرافى منه مع ترجمة انكليزية بعناية لسترنج فى مجلدين من مطبوعات كب ايضا سنة ١٩١٥-١٩١٨ م • اما رحلة ابن بطوطة فقد طبعت غير مرة فى مصر ونقلت الى التركية والانكليزية (م) •

عشرة (السابعة عشرة) • وهذان السفران هما : « تاريخ الترك والمغول » لأبى الغازى أمير خوارزم ، وجغرافية العالم المسماة « جهان نما » للحاج خليفة واضع الكشف المشهور^(١) بأسماء الكتب^(٢) .

ولا مندوحة لنا ، ان ابتغينا التعمق فى بعض التفاصيل ، من الرجوع الى مصنفات كثير من المؤرخين العرب • فقد كان المؤلفون الاقدمون يعالجون التاريخ والبلدان معا فى مصنفاتهم • فمن ذلك كتاب « فتوح البلدان » للبلاذرى ، وقد ألقه فى المئة الثالثة للهجرة (التاسعة للميلاد) • وصف فيه فتوح المسلمين فى الشرق والغرب بحسب وقوعها • وهذا الكتاب جليل القدر لأنه يرينا حال البلاد حين أصبح الاسلام الدين السائد فيها • ولدنا الى كتاب « تاريخ اليعقوبى » ، وقد مر ذكره ، كتاب آخر يرقى الى المئة الثالثة (التاسعة) صنفه ابن مسكويه^(٣) ولم يطبع منه غير القسم السادس • ومما يدخل فى هذا الباب تأريخ حمزة الاصفهاني ، وقد كنهه فى منتصف المئة الرابعة (العاشرة) • ومع أن هذا الكتاب مؤلف بالعربية ، الا أنه رجع فى تأليفه الى كثير من الكتب الفارسية الضائعة الآن وأورد فيه حقائق كنا على جهل بها لولاه •

على أن أكمل التواريخ العربية وأجمعها المنتهية الينا من أوائل المئة الرابعة (العاشرة) تاريخ الطبرى • والطبرى ممن عاش فى ذلك الزمن • وهذا الكتاب مرجع جغرافى أساسى • ويحسن أن يعتمد على تاريخ ابن الاثير فى تعرف أحوال العباسيين فى أواخر عهدهم • وكذلك الموجز فى التأريخ الاسلامى المعروف بـ « الفخرى » • ويفيدنا تاريخ ابن خلدون فى استكمال الاخبار اليسيرة التى

(١) يريد بذلك كتاب « كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون » وقد طبع غير مرة (م) •
 (٢) يعرف الاصل الفارسى لتاريخ تيمور تأليف على البيزدى بـ « ظفرنامه » وقد نشر فى مجموعة Bibliotheca Indica (كلكتة ١٨٨٧) • وصدرت له ترجمة فرنسية بعنوان Histoire de Timour Bec (باريس ١٧٢٢) • وهى بقلم Petit de la Croix • اما كتاب حافظ أبرو فمزال مخطوطا • والنسخة التى رجعنا اليها محفوظة فى المتحف البريطانى برقم Or. 1577 • وطبع ابراهيم افندى (متفرقة) الاصل التركى لجهان نما فى القسطنطينية سنة ١١٤٥ (١٧٣٢) • ونشر نربرج M. Norberg ترجمة لاتينية لجزء من هذا الكتاب (لند Lund ١٨١٨) • ونشر البارون دميزون Desmaisons النص التركى لتاريخ المغول لأبى الغازى مع ترجمة فرنسية (سانت بطرسبورج ١٨٧١) •
 (٣) والأصح انه « مسكويه » وترجمته فى معجم الادباء لياقوت (٢ : ٨٨ وما بعدها طبعة مرجليوث) (م) •

تجدها في تاريخ ابن الاثير . ويزيدنا تعريفا بها كتاب « وفيات الاعيان » لابن خلكان . فكل هؤلاء المؤلفين دونوا مؤلفاتهم باللغة العربية^(١) . ومما يحسن ذكره من المؤلفات التاريخية باللغة الفارسية « روضة الصفا » لميرخواند و « حبيب السير » لخواند مير حفيده . وهما كتابان جليلان حويا فوائد جغرافية ثمينة ، لاسيما ما اتصل بالاقليم الفارسية . ولا تفوتنا الاشارة ايضا الى تاريخين فارسيين آخرين يبحثان في الدولة السلجوقية في آسية الصغرى وكرمان وقد رجعت اليهما غير مرة في صفحات كتابي باسم المؤرخين ابن بيبى وابن ابراهيم^(٢) .

ويحسن بنا ، لاكمال ما بسطناه ، أن نخصص بضعة صفحات نختم بها هذا الفصل التمهيدى ، نذكر فيها شيئا عن أسماء الامكنة التى وردت في فصول الكتاب وثبتت في خوارطه . فمعظم أسماء الامكنة في اقليمى العراق والجزيرة

(١) بعد ان طبع لسترنج كتابه نشرت بضعة تواريخ عربية ذات قيمة في الجغرافية التاريخية نذكر منها ، المنتظم لابن الجوزى ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وتاريخ الاسلام للذهبي (نشرت اجزائه الاولى ومازال طبع البقية جاريا) ، والحوادث الجامعة لابن الفوطى ، وتاريخ مختصر الدول لابن العبرى ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلى . (م)

(٢) نشر دى غويه « فتوح البلدان » للبلادى (ليدن ١٨٦٦) كما نشر ابن مسكويه « اى مسكويه » في الجزء الاخير من مجموعته Fragmenta Historicorum Arabicorum (ليدن ١٨٧١) . وحقق كوتوالد Gottwaldt تاريخ حمزة الاصفهاني ونشره مع ترجمة لاتينية (ليبسك ١٨٤٤) . اما المجلدات الكثيرة التى يتألف منها تاريخ الطبرى فقد نشرت في ثلاث سلاسل بعناية البروفسور دى غويه (ليدن ١٨٧٩-١٩٠١) . ونشر ترنبرغ Tornberg تاريخ ابن الاثير (ليدن ١٨٦٧-١٨٧٦) . ونشر اهلورد Ahlwardt كتاب الفخرى لابن الطقطقى (غوطا ١٨٦٠) . وطبعة ابن خلدون التى رجعت اليها في هذا الكتاب هى المطبوعة في بولاق سنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ م) ونشر وستنفلد Wüstenfeld ابن خلكان (غوتنجن ١٨٣٧) . ونقله الى الانكليزية دى سلان بنفقة Oriental Translation Fund (لندن ١٨٤٣) . وكان اعتماده في مراجعة الاصل الفارسى « لروضة الصفا » تأليف (ميرخواند) او امير خواند و « حبيب السير » لخواند امير على الطبعتين الحجريتين الصادرتين في بيبى : طبع الاول في سنة ١٢٦٦ (١٨٥٠) والثانى ١٢٧٣ (١٨٥٧) . ونشر البروفسور هوتسما Houtsma الكتابين الباحثين في اخبار الدولة السلجوقية في المجلدين الاول والرابع من سلسلة Textes relatifs a l'Histoire des Seljuques (ليدن ١٨٨٦-١٩٠٢) . واولهما كتبه ابن ابراهيم (ويعرف بمحمد ابراهيم او محمد بن ابراهيم) وقد عاش في نحو سنة ١٠٢٥ (١٦١٦) والثانى تصنيف ابى بيبى وقد كتب في نحو سنة ٦٨٠ (١٢٨١) . انظر ايضا بحثا للبروفسور هوتسما في مجلة Zeit. Deutsch. Morg. Gesell., 1885, p. 362 قلنا : عنى لسترنج وغيره بطبع الجزء الاول والخامس والسادس من « تجارب الامم لمسكويه » بالزكوجراف ضمن مجموعة كتب . وعنى امدرود بنشر الجزءين الخامس والسادس منه في القاهرة . ونقل مرجيلوت هذين الجزءين الى الانكليزية . اما كتاب حمزة الاصفهاني فهو « تاريخ سنن ملوك الارض والانباء » وقد طبع في برلين ايضا . وعنى دى غويه بوضع فهراس للطبرى ومعهما لافاظه نشرها في مجلدين في ليدن . (م)

اما أن يكون عربى النجار أو اراميا ، اذ كانت الثانية هى لغة القوم الشائعة قبل الفتح الاسلامى . ولأسماء المدن بالعربية معنى ، ومن الامثلة على ذلك الكوفة والبصرة وواسط . أما الاسماء الارامية ، فمن اليسير تمييزها من صيغتها ومن انتهائها بحرف الالف الطويلة . مثال ذلك : « جبلتا » . ومعانى هذه الاسماء أيضا لا تصعب معرفتها بوجه عام . فمثلا « عبرتا » معناها (المعبر ، أى موضع العبور) فهى تعين موضعا لجسر على قوارب . و « باجسرا » ومعناها فى العربية (بيت الجسر) . أما الاسماء الفارسية القديمة مثل « بغداد »^(١) (أى موضع عطية الله) فنادر . وتجد أيضا هنا وهناك اسما يونانيا ما زال حيا مثل « الأبله » وهى « أبلوغس » (Apologos).

ولم تصبح بلاد الروم فى آسية الصغرى بلادا اسلامية ، على ما بيننا ، الا بعد الفتح السلجوقى لها فى النصف الثانى من المئة الخامسة (الحادية عشرة) . ومن ثمة ، فالاسماء اليونانية فيها انتهت الينا بصيغتين : قديمة (عربية) وحديثة (تركية) . فسلوسية (Seleucia) مثلا عرفت أولا بسلوقية ثم بسلفكة (Selefkah) . وهركليية (Heraclia) نجدها أولا بصيغة هرقله وفى العصور الحديثة أراكليية (Arakliyah) ولا ريب أنه بعد الفتح السلجوقى للبلاد والسيادة العثمانية التى أعقبت ذلك ، حلت التسميات التركية محل الاسماء اليونانية القديمة . ولكن ما يجب ذكره بصدد ضبط التهجئة ، أن الالفباء العربية غريبة

(١) اختلفت آراء الباحثين فى اصل اسم بغداد ، فذهب بعضهم الى انه فارسى على رأى مؤلف هذا الكتاب . وقد سبقهم الى ذلك بلدانيو العرب فقالوا ان اسمها مركب من كلمتين فارسيتين « بنغ » و « داد » .

ورجعه بعضهم الى اصل آرامى مركب من « ب » المقتضبة من كلمة « بيت » و « كدادا » ومعنى ذلك بيت أو دار أو مدينة الضان أو الغنم . وايدوا رأيهم بإيراد اسماء آرامية لمدينة عراقية مبدوءة بالباء على شاكلتها .

وظهر أيضا من الدراسات الاثرية ، ان مثل هذا الاسم قد ورد فى الكتابات المسماة القديمة التى ترجع الى العصر البابلي والآشورى بصورة « بغدادو » و « بغدادى » أو « خودادو » یرقى زمن بعضها الى اوائل الألف الثانى قبل الميلاد . وان مدينة قريبة من بغداد الحالية واقليما أيضا ، كانا يعرفان بمثل هذا الاسم فى العصر البابلي .

راجع : مقدمة تاريخ بغداد للخطيب البغدادي . ومعجم البلدان لياقوت (مادة بغداد) . وغيرهما من الكتب الاقدمين . وكذلك مادة « بغداد » فى دائرة المعارف الاسلامية ، ومجلة لغة العرب (٤ : ٨٠ و ٢٤٢ و ٢٨١ و ٦٠٧ ، ٦ : ٧٤٨) و « اصول معنى بغداد » لتوفيق وهبى (مجلة المجمع العلمى العراقي الجزء الاول ، من المجلد الاول الصادر سنة ١٩٥٠) .

و Herzfeld, Geschichte der Stadt Samarra (p. 26-29)

وهو المجلد السادس من مجموعة « حفریات سامراء » وقد صدر فى همبرغ سنة ١٩٤٨ . (م) .

عن التركية غرابتها عن اليونانية • ولهذا صار للكلمات التركية (كما يظهر ذلك في كل معجم تركي) تهجستان مختلفتان • وكان حال أسماء الامكنة حال ألفاظ اللغة نفسها • فنجد اسم « قراحصار » و « قره حصار » و « قره سي » و « قراسي » و « قرمان » و « قرامان » وغير ذلك من الامثلة الكثيرة •

واذا ألقينا نظرة على خوارط الاقاليم الفارسية ، تبين لنا قلة الاسماء المنحدرة من أصل عربي • فمن الصعب أن نجد أسماء مدن بالعربية هناك ما عدا المراغة^(١) في أذربيجان ويزا (البيضاء أي « البلدة البيضاء ») في فارس • فالمسلمون لم يغيروا الاسماء في الواقع أو غيروها بعض التغير حينما استولوا على المملكة الساسانية^(٢) • وكثيرا ما نجد قرى ومنازل ذات أسماء مأخوذة من أشياء طبيعية أو مشهورة ، كقرية الآس وقرية الجمل وقرية الملح • فقد كانت تسمى بالفارسية : ده مرد ، ده اشتران ، ده نمك • وقد أورد البلدانون العرب هذه الاسماء مترجمة دائما ، فنجد في تصانيفهم القرى السالفة الذكر مثلا باسم قرية الآس وقرية الجمل وقرية الملح^(٣) • ولدينا ما يؤيد أن الاسم الفارسي كان هو المستعمل في كل الاوقات في بلاد فارس • وبعبارة اخرى ، ان الامر هنا على نحو ما هو عليه عندنا حين نقول : الغابة السوداء (Black Forest) وهي بالالمانية (Schwarz-Wald) ورأس الرجاء الصالح (Cape of Good Hope) فمثل هذه الاسماء يرد عادة بصيغ متنوعة في الخوارط وفي الكتب على حسب لغة المتكلم •

(١) قال ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٤٧٦) « ٠٠٠٠ كانت المراغة تدعى أفراز هروذ ، فعسكر مروان بن محمد بن مروان ٠٠٠٠ بالقرب منها • وكان فيها سرجين كثير فكانت دوابه ودواب اصحابه تنمرغ فيها فجعلوا يقولون : ابنوا قرية المراغة ، وهذه قرية المراغة ، فحذف الناس القرية وقالوا مراغة » (م) •

(٢) مما يلاحظ اننا لا نعثر في جميع ارجاء الاندلس ، حيث تكثر المدن العامرة ، الا على مدينة واحدة ذات اسم عربي وهي ميناء « المريا » Almeria الذي هو « المرية » ومعناها « المرقب » • ونجد اسم مكان مثل كلتايود Calatayud يمكن اتخاذه مثلا آخر لذلك • فهذا الاسم لم يطلق على مدينة بل كان اسما لقلعة ليس الا وهي « قلعة أيوب » • ثم نشأ بعد ذلك في اسفلها بلدة • وفي كثير من الاحوال لا يعرف اصل الاسم الايبري أو الروماني أو القوطي الغربي Visigothic لعدم وجود وثائق عنه ، على ما هو الامر في « غرناطة » Granada • وما ذكرناه هنا يمكن القول به في اسماء بلاد فارس •

(٣) قلنا : وقد جرى الكتابة العرب المحدثون في ترجمة بعض الاسماء الجغرافية على هذا الفرار ، فقالوا : رأس الرجاء الصالح ، وجزيرة ارض النار ، والمحيط الهادي ، والبحر المتوسط ، وبلاد الجبل الاسود ، وغير ذلك (م) •

ومما تحسن الإشارة إليه ، أننا قد نجد في جداول الاسماء العربية ، اسم منزل بالعربية لم ينته إلينا ما يقابله بالفارسية . فمن ذلك « رأس الكلب » وقد يكون الموضع ما صار يعرف بعد ذلك باسم « سمنان » ونعت العرب أحيانا مدينة فارسية فعرفت في أوان واحد باسمها ونعتها ، على نحو ما كان الامر في كنگوار فقد سماها المسلمون الاولون « قصر اللصوص » لأن دوابهم كانت تسرق فيها . ومع ذلك فالاسم الذي عاش في الاخير هو « كنگوار » لا النعت العربي ، حتى أنه لما أسس المسلمون الفاتحون عاصمة اقليلية جديدة ، على نحو ما حصل في شيراز التي سرعان ما حجبت اصطخر القديمة « برسبوليس » ، كانوا قد اتخذوا للمدينة الجديدة على ما يظهر اسم القرية الفارسية الاصلية وخلصوه لها . ولا يمكن تحقق أصل اسم شيراز واشتقاقه على ما يبدو ، شأن غيره من الاسماء الكثيرة . اذ أننا يا للأسف نكاد نجعل جغرافيا المملكة الساسانية القديمة برمتها .

أما تهجئة الاسماء ، فكانت بالطبع تتغير بتغير الزمن . فان « طريث » أصبح « ترشيز » و « همدان » صارت تهجئتها في الكتب الحديثة « همدان »^(١) . وقد تستعمل الى ذلك أيضا ، تهجئة عربية وتهجئة فارسية لاسم ما في وقت واحد . مثال ذلك « فاشان » العربية فهي تكتب في الفارسية « كاشان » ، و « صاهك » ظهرت أخيرا « جاهك » و « صغانيان » : « جغانيان » وبمقتضى قواعد اللغة العربية في الالفاظ الثلاثية ذات الحروف الصحيحة ، فان : بم الفارسية يجب أن تكتب في العربية مشددة « بم » و « قم » : « قم » مجازاة لمخارج الحروف في العربية . ولم يستعمل الحرف الصحيح الاخير المشدد في الفارسية البتة . وقد يحصل أن يطل استعمال اسم لأسباب مجهولة ليحل محله اسم آخر ، ولكنه فارسي كالأول ، على نحو ما حدث في « قرماسين » أو « قرميسين » التي عرفت بعدئذ باسم « كرماشاهان » ثم اختصرت الى « كرماشاه » في الوقت الحاضر . وكما أننا نجعل المنشأ الاصلى لهذه الاسماء ، نجعل أيضا علة تبديلها .

(١) يحسن بنا ان نلاحظ ان « ذ » يلفظه الفرس في زمننا « ز » فيقولون « ازربيجان » ويكتبونها « ازربيجان » . وأحيانا لا يلفظون الذال زايًا ، فاسم همدان يلفظونه « همدان » لا « همزان » . والحرف « و » العربي يلفظونه في الفارسية « ف » ولكن هذا ليس دائما ، اذ يقولون « قزون » أو « قزفين » .

أما « أل » أداة التعريف العربية التي تعرف بها أسماء الامكنة ، فاستعمالها سماعي الى حد بعيد . لأن القاعدة الصرفية تقضى بادخال « أل » التعريف على الاسماء العربية دون الاعجمية ، غير أن هذه القاعدة لا تطرد دائما . ففي العراق ، حيث معظم الاسماء من أصل سامي بطبيعة الحال ، نجد أن دجلة يكتب دائما بدون « أل » . أما الفرات فقد دخلته « أل » التعريف وان كان مثل صنوه اسما غير عربى ^(١) . وفي تسمية الاقاليم الفارسية درجوا على اسقاط « أل » التعريف العربية بمرور الزمن : فالسيرجان (بالعربية) أصبحت بالفارسية سيرجان . ومهما يكن من أمر فاستعمال هذه الاداة عرفى . فليس من تفسير لاستعمال العرب « أل » التعريف على اسم « الرى » بينما نجد أن اسم « جى » وهو الاسم القديم لقسم من أصفهان يكتب دائما بدون « أل » ^(٢) .

وكان العرب مقلّين في اطلاق التسميات فكان ذلك علة كثير من الارتباك . فالقاعدة عندهم أن يسمّوا عاصمة اقليم باسم ذلك الاقليم ، حتى ولو كان لتلك العاصمة اسم آخر : فدمشق مثلا ما زالت تعرف عندهم بالشام وهى عاصمة الشام ، وزرنج أهم مدن سجستان كانوا يسمونها فى الغالب سجستان أو مدينة سجستان ويريدون بها مدينة ذلك الاقليم . وقد أدى هذا الاستعمال طبعاً الى ارتباك حينما يكون للاقليم عاصمتان ، كما حدث مثلا فى اقليم كرمان . فان اسم كرمان (وتقصد المدينة) اطلق فى الكتب القديمة على العاصمة الاولى السيرجان . وفى العصور الاخيرة اطلق هذا الاسم على كرمان المدينة الحالية وهى غير تلك المدينة بالمرّة . ولم تصبح عاصمة الا بعد خراب السيرجان . وكذلك اذا قارنا بين الخوارط الموضوعة استنادا الى روايات بلدانى القرون الوسطى وبين خوارط هذه

(١) وهكذا فلدينا « الّيلة » (واصل الاسم يونانى) قد دخلتها « أل » التعريف . وهناك من الاسماء ما يناظرها . ونجد احيانا اسماء عربية صرفة منها ما هى معرفة بال ومنها ما كان بدونها ، مثل الكوفة ويقال ان معناها « اكواخ القصب » بينما نجد اسم واسط يكتب دائما بدون « أل » ، وكان ممكنا ان يكون معرّفا مثل الكوفة .

(٢) اما كم تستقيم اية قاعدة من هذه القواعد ، فيتبين من حالة « جدة » ميناء مكة . فقد ذكرها جميع المصنفين الاقدمين بصورة « جدة » و « الجدة » . وفى صفحات هذا الكتاب حيثما ورد اسم موضع استعمله الكتاب العرب مسبوقا بـ « أل » ، فانما نذكره فى الكتاب بهذا الوجه لأول مرة فقط . فاذا تكرر الاسم حذفنا منه « أل » عادة على سبيل الاختصار . بوسرنا على ذلك فى الخوارط توفيراً للمكان . كما ان استعمال هذه الاداة أو عدم استعمالها يختلف باختلاف البلدانين العرب . وهم كذلك ليسوا على قاعدة ثابتة فى تهجئة الاسماء الاعجمية .

الايام ، رأينا فى الغالب أن اسم مدينة مدرسة قد بقى محافظا عليه فى الولاية الحديثة . وهكذا الامر فى بلدة السرجان المدرسة مثلا ، فان هذا الاسم نفسه ما زال مستعملا لولاية السرجان الحديثة . ونحو ذلك « بردسير » و « جيرفت » وكانا قبالا اسمين لبلدين جليلتين فبقيا لولايتيهما فقط . ومجمل القول فالولاية وقصبتها يطلق عليهما دائما اسم واحد ، وبمرور الزمن يهجر اما اسم الولاية أو اسم المدينة . وبناء على ما تقدم من الامثلة فان اسم مقاطعة اردون القديمة يطلق الآن على بلدة صغيرة تعرف باسم اردون ، وقد كان يقال لها قديما خوار (خوار الرى) .

وفى الجغرافيا الطبيعية ، لم تكن التسميات العربية وافرة أيضا . نعم نجد بوجه عام أن قمم جبال مشهورة لها أسماء تعرف بها (مثل دماوند وألوند) ولكنهم لم يطلقوا اسما خاصا على سلسلة من الجبال . فسلسلة جبال طوروس العظيمة التى تحجز بلاد الروم عن غيرها ، تذكر غالبا (وخطأ) باسم جبل لكام ، غير أن هذا الاسم ليس الا جبلا واحدا من مجموعة طوروس الداخلة (اتنى طوروس) . ولم يطلق البلدانون العرب اسما لسلسلة القمم الطويلة التى تتألف منها جبال ألبرز العظيمة الشهرة الفاصلة بين هضبة ايران وبحر قزوين . ولقد كانوا يطلقون عادة على البحيرات الكبيرة أسماء خاصة (مثل : ماهالو ، زره ، جيغست) . ولكن المؤلف أن البحيرة كانت تعرف باسم أشهر مدينة على سواحلها كبحيرة أرمية وبحيرة وان ونسبت أيضا الى مدينة أرجيش . بل أن البحار كان الامر فى تسميتها أكثر غموضا . فكانت تذكر تسميات مختلفة مقتبسة من الاقاليم أو المدن الكبيرة الواقعة على سواحلها . وهكذا سمي بحر قزوين بتسميات شتى ف قيل فيه : « بحر طبرستان » و « بحر گيلان » و « بحر جرجان » وكذلك « بحر ياكو » وعرف أخيرا ببحر الخزر نسبة الى مملكة الخزر التى قامت فى شماله فى أوائل العصور الوسطى . ومثل ذلك « آرال » فقد كان يعرف ببحر خوارزم . وعرف خليج فارس ببحر فارس .

وفى الختام أود أن أجعل القارىء يحيط علما بأننى لم أذكر فى فصول الكتاب الا منتخبات مما بيدنا من مصادر اذ أن المدن والقرى التى وردت أسماؤها

فى هذا الاقليم أو ذاك ، كثيرة جدا • وهى ولا شك أكثر من ضعف الاسماء المثبتة فى فهرست هذا الكتاب • وقد أغفلت ذكر أسماء المواضع التى لم يكن فى الامكان تعيينها تعيينا تقريبا • أما الحوارط ، فهى على ما يرى ليست الا رسوما بيانية لايضاح المتن ، وهى لا تبين عما كان عليه أى قطر فى حقبة ما من الزمن • وهكذا فالمدن التى تعاقبت الواحدة بعد الاخرى اشير اليها غالبا فى الحوارط كأنها كانت كلها فى وقت واحد • والمتن كليل بايضاح ما اذا كانت هذه المدن تعزى الى زمن واحد أم لا^(١) •

(١) لا مندوحة من تبيان علة اكتظاظ الحواشى فى صفحات هذا الكتاب بعدد كبير من المراجع وان كان الباحث الراغب فى التحقيق عن امر ما ، لا يعد ذلك نقصا ولا ريب • فلم يكن لى الا احد امرين : اما ذكرها جملة أو اغفالها جميعا • والمعروف ان المصنفين المسلمين من عرب وفرس وترك اعظم من انتحل آثار غيرهم ، وهم قل ان نوهوا بفضل من نقلوا عنه • ومن جهة ثانية اضاف كل بلدانى أو مؤرخ شيئا من عنده الى ما نقله عن سلفه (دون التنويه بذلك) • وهو فى الغالب ، بتوجيه كثيرا من المقتبسات ، يتوصل الى جمع اخبار مختلفة تكفى فى اثبات حقيقة أو تعيين موضع • ولايضاح ذلك اشير الى بلدة خرقان فى اقليم قومس ، فهى ليست مدينة جليلة الشأن ولا يعرف عنها شئ كثير ، على انه يبدو من المفيد ان نقول ان خرقان قومس هذه ، وان كانت قد زالت من الحارطة ، ينبغى ان تميز عن الاسم الذى يكتب بالعربية على شاكلتها وهو بلدة خرقان فى اقليم الجبال • فكل ما يعرف عن البلدة القومسية هذه هو موضعها ، ولكن لتعيينها ، علينا ١ - مراجعة الفزوينى الذى قال ان البلدة على اربعة فراسخ من بسطام • و ٢ - اضاف ياقوت الى هذا القول انها تقع على الطريق الناهب الى استراباد • و ٣ - مع ان المستوفى قال ان خرقان كانت فى ايامه قرية ذات شان فيها قبر لى وهى ذات مياه وافرة • وعليه فانها لم تكن محطة بريد فقط • ومع هذا كان علينا ، لكى ندون كل ما دوناه عنها وهو شئ ضئيل ، ان نرجع الى ثلاثة مؤلفين ونشير الى تصانيفهم فى الحاشية •

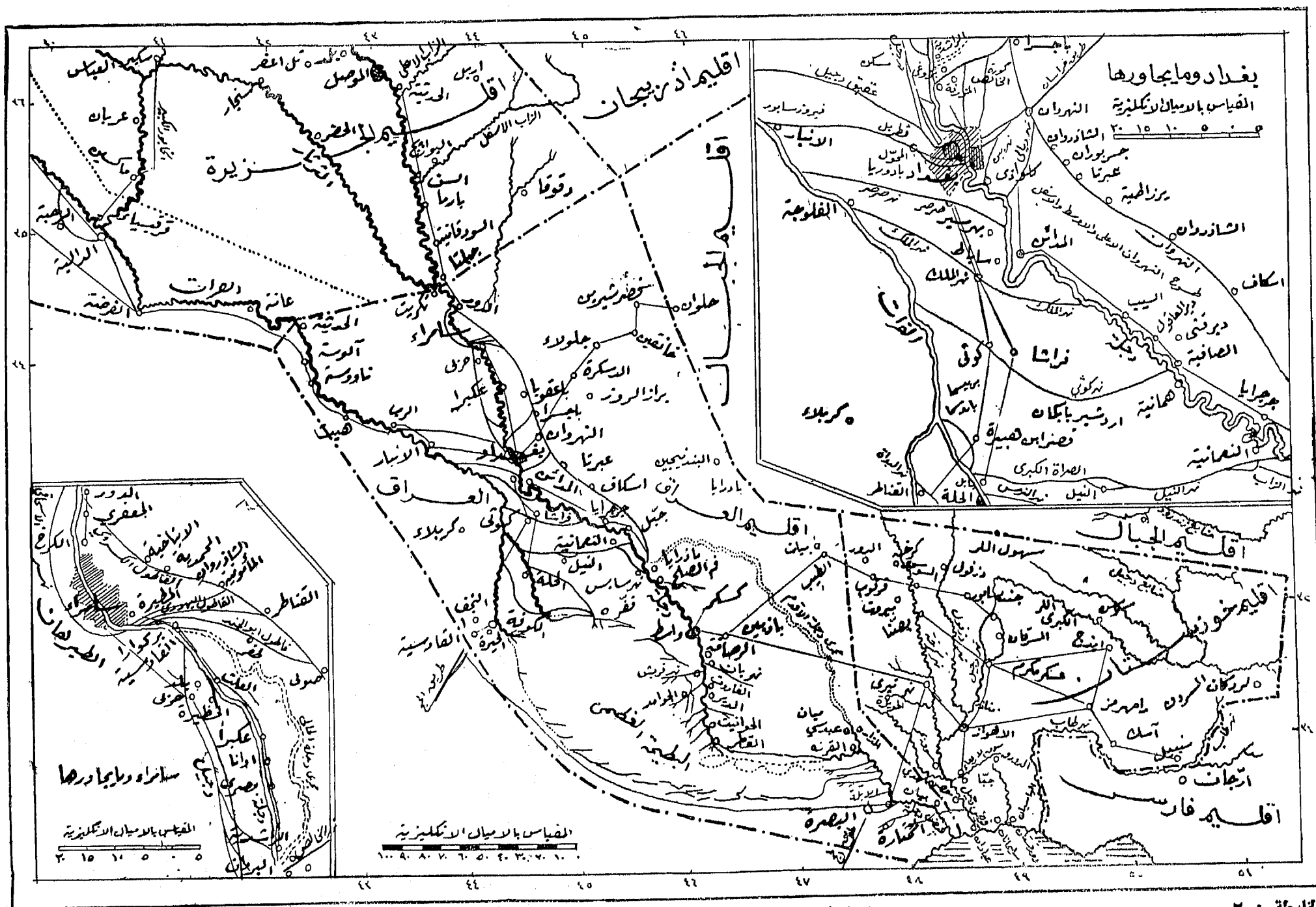
الفصل الثاني

العراق

تقسيم ارض ما بين النهرين الى شمالية وجنوبية - العراق اى بلاد بابل -
التغير فى مجرى الفرات ودجلة - انهر الرى العظيمة - بغداد -
المدائن وما فى جنوبها من مدن على دجلة حتى قم الصلح

قسمت الطبيعة سهل ما بين النهرين العظيم الذى اتخذ الفرات ودجلة فيه مجريهما الى قسمين : الشمالى (وهو مملكة آشور القديمة) ومعظمه مراعى تغطى سهلا حجرى التكوين • والجنوبى (وهو بلاد بابل القديمة) وأرضه رسوبية خصبة يكثر فيها النخيل وتسقيها أنهار الرى • وعدة أهل الشرق هذه البلاد من جنان الدنيا الاربع لوفرة خصبها • وقد سمي العرب ما بين النهرين الشمالى بالجزيرة ، والجنوبى بالعراق • ومعنى العراق « الجرف » أو « الساحل »^(١) وأما

(١) جاء تفسير اسم « العراق » فى معاجم اللغة وكتب البلدان العربية • وقد اخترنا ما قاله « تاج العروس » (مادة عرق ٧ : ٩) فى هذا الاسم : « العرق جمع عراق ، بالكسر : لشاطئ البحر على طوله ، نقله الليث • وهو ككتاب وكتب • وقال وبه سمي العراق عراقا • والعراق شاطئ الماء أو شاطئ البحر خاصة • زاد الليث : طولاً ، أى على طول البحر • قال ابو زيد - كل ما اتصل بالبحر من مرعى فهو عراق • لان العراق بين الريف والبر أو لانه على عراق دجلة والفرات ، أى شاطئيهما • أو هي (أى العراق) معربة ايران شهر ومعناه كثيرة النخل والشجر ، فعربت فقبل عراق • هكذا نقلوه • وعندى فى معناه نظر • وقال الازهرى - قال ابو الهيثم ، زعم الاصمعي ان تسميتهم العراق اسم اعجمى معرب • انما هو ايران شهر فاعربتته العرب فقالت عراق » اهـ وفى معجم البلدان لياقوت (مادة : عراق) قوله « قال قطرب : انما سمي العراق عراقا ، لانه دنا من البحر وفيه سبخ وشجر • وقال الحليل - العراق شاطئ البحر وسمى العراق عراقا لانه على شاطئ دجلة والفرات مدا حتى يتصل بالبحر على طوله • قال الاصمعي هو معرب عن ايران شهر وفيه بعد عن لفظه ، وان كانت العرب تتغفل فى التعريب بما هو مثل ذلك • وقال ابو عمرو : سميت العراق عراقا لقربها من البحر • قال واهل الحجاز يسمون ما كان قريبا من البحر عراقا • وقال حمزة : الساحل بالفارسية اسمه ايراه ، ولذلك سموا كورة اردشير بخره من



أقليم العراق وخوزستان مع قسم من أقاليم الجزيرة



كيف جرى استعمال هذا الاسم في العهود السالفة فأمر يعتره الشك ، فلعله يمثل اسما قديما ضاع الآن ، أو أنه اريد به في الاصل غير هذا المعنى وكان العرب يسمون السهل الرسوبي بأرض السواد أى الارض السوداء . واتسع مدلول كلمة السواد حتى صارت هى والعراق لفطين مترادفين في الغالب . وأصبح يراد بها اقليم بلاد بابل جميعه^(١) .

وقد تغيرت الحدود بين العراق والجزيرة في أزمنة مختلفة فكان الحد بينهما لدى البلدانين العرب الاولين يطابق بوجه عام خطا يذهب شمالا من الانبار على الفرات الى تكريت على دجلة . وكانت كلتا هاتين المدينتين تعد من أعمال العراق . أما من أعقبهم من البلدانين ، فقد جعلوا الخط يذهب من تكريت باتجاه الغرب تقريبا ، فأدخلوا في العراق كثيرا من المدن التي على الفرات في شمال الانبار . وهذا الخط ، بالنظر الى الجغرافيا الطبيعية ، أقرب الى التقسيم الطبيعي بين الاقليمين . وهو يقطع الفرات أسفل من عانة حيث ينعطف النهر انعطافه الكبير تحو الجنوب . وقد سمي العرب نهر « يفراتس » (Euphrates) بالفرات كما سموا « تاigrس » (Tigris) بدجلة خاليا من « أل » التعريف . وهذا الاسم الاخير ورد في الترجوم بصورة « ديكلات » التي تقابل الشطر الاخير من كلمة « حدآقل » (Hiddekel) وهى الصيغة التي ذكر بها دجلة في سفر التكوين^(٢) .

ارض فارس : ايراهستان لقربها من البحر . فعربت العرب لفظ ايراه بالحق القاف فقالوا ايراق . وقال حمزة والعراق تعريب ايراف بالفاء ومعناه مفيض الماء وحدود المياه ، وذلك ان دجلة والفرات وتامرا ، تنصب من نواحي ارمينية ويند من بنود الروم الى ارض العراق وبها يقر قرارها فتسقى بقاعها . . اه .

وللائرى هرسفند ، رأى في اصل كلمة العراق ومعناها نشره في مجلة لغة العرب (٤ : ٤٤١-٤٤٣) رأينا ان نجمله استكمالا للفائدة - ان العراق معرب لفظ ايراك الايراني ومعناه البلاد السفلى أو الجنوب . وكانت انحاء واسط الى خليج فارس عائدة الى هذا القسم من ديار الدولة الساسانية . وفي مفاتيح العلوم للخوارزمي وتاريخ حمزة الاصفهاني : ايران العراق . ولا جرم انها غلط . والصواب - ايراك (بالكاف الفارسية) ولكنهم لم يعرفوا معنى ايراك وألفوا لفظة ايران ، فصحفوا ايراك بايران ، كما ان ابدال الهمزة من العين امر شائع . وجاء في نص الافستا كلمة « ايرانستان » وهو اسم كورة واقعة بين فيروزاباد وخليج فارس . وكان يجب ان تقرأ ايراكستان (بالكاف الفارسية) وما ايراكستان الا العراق . (م) .

(١) للفظ « سواد » معنى ثان هو « العقار » الذى يكتنف المدينة . فقول سواد بغداد وسواد الكوفة وسواد البصرة . ويراد بذلك ما يحيط بهذه المدن من اراض زراعية .

(٢) لا يعرف اصل اسم الفرات بالضبط وقد ورد اسمه في الكتابات المسمارية بالعلامات نفسها التى يكتب بها اسم مدينة (سبار) القديمة وهى أبو حبة اليوم . ويرجح ان اسمه سومرى . وسماء البابليون بلغتهم السامية باسم « بورتيم » و « بوراتى » ولعل الاسم البابلى ومنه الاسم العربى « الفرات »

ولما فتح المسلمون العراق فى خلال النصف الاول من المئة الاولى للهجرة (السابعة للميلاد) ، كانت طيسفون ، وهى على دجلة ، وقد سموها المدائن ، أجلّ مدن هذا الاقليم والعاصمة الشتائية للملوك الساسانيين . ولرغبة العرب فى مدن يسكنونها ويسكرون فيها ، أسسوا فى زمن قصير مدنا ثلاثا : الكوفة والبصرة وواسط سرعان ما نمت وصارت أهم مدن هذا الاقليم الاسلامى الجديد . وكانت الكوفة والبصرة بوجه خاص عاصمتى العراق الشقيقتين فى أيام بنى امية^(١) .

ولما انتقل الامر من الامويين الى العباسيين ، اقتضى الحال اتخاذ عاصمة جديدة لدولتهم الجديدة . فأسس ثانى خلفاء بنى العباس بغداد على دجلة فوق طيسفون (المدائن) ببضعة أميال . وما عتمت بغداد أن غطت على ما اتصفت به دمشق من مفاخر فى العهد الاموى وأصبحت قاعدة الخلافة العباسية وعاصمة العراق أيضا بطبيعة الحال . وعلا شأن اقليم العراق فصار قلب الدولة الاسلامية ومركزها فى الشرق .

وكانت أحوال العراق الطبيعية فى القرون الوسطى تختلف اختلافا بينا عما نعهده الآن ، لما طرأ من تغير عظيم فى مجرى الفرات ودجلة ، وما نجم عن ذلك من خراب فى أنهر الرى العديدة التى جعلت من العراق فى زمن الخلفاء الاولين جنة عدن لحصب أرضه . ينساب دجلة اليوم فى مجرى متعرج يأخذ الى الجنوب الشرقى ويلتقى على نحو ٢٥٠ ميلا (بخط مستقيم) أسفل من بغداد هو ومياه الفرات فى القرنة . ومن اقتران النهرين يتكون نهر يعرف بشط العرب ، كان يجرى حينذاك فى مجرى عريض أى فى فيض يصب فى خليج فارس .

مشتق من كلمة الفرع . اما دجلة فقد ورد اسمه بصورة « ادكلات » أو « ادكلات » . ومن معانى اسمه الاصلى : « الجارى » أو « الراوى » . وعرف الآشوريون منبع دجلة وعينوه فى ارمينية . فقد ذكر الملك الآشورى شيلمنصر الثالث (المئة التاسعة قبل الميلاد) أنه أقام فى عام حكمه الخامس عشر ، نصبا عند منبع دجلة ، وأنه سار من بعد ذلك الى ينبع الفرات . راجع - مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة للسيد طه باقر (١ : ٣٧٧) . اما الاسم حداقل فقد ورد فى سفر التكوين ٢ : ١٤ . (م) .

(١) عرفت الكوفة والبصرة بالعراقيين ، ومعنى ذلك « عاصمتا العراق » . على انه حين فقدت الكوفة والبصرة منزلتهما بعد زمن ، صار اسم « العراقيين » يستعمل فى غير وجهه الصحيح . فكان يعنى « اقليمى » العراق وهما العراق العربى والعراق العجمى ، ويراد بالاخير اقليم الجبال وسنوضح ذلك فى موضعه من الفصل الثالث عشر .

وكان يبلغ طوله زهاء مئة ميل فى أعدل الخطوط • وهذا ما يرى فى الخارطة الحديثة • ويغلب على الظن أن دجلة كان منذ صدر الاسلام حتى منتصف المئة لعاشرة (السادسة عشرة) اذا تجاوز أسفل بغداد بمئة ميل انحرف عن اتجاهه الجنوبي ، حيث مجراه الحالى ، فانساب الى واسط فى مجرى يعرف اليوم بشط الحى (أى شط الحية)^(١) على ما سيأتى بيانه • وكانت مدينة واسط على جانبي النهر • وعلى نحو ستين ميلا أسفل من واسط كان دجلة يوزع معظم مائه على أنهار الرى ، وكانت بقيته تتشعب ثم تفنى فى البطيحة العظمى •

وكانت البطيحة العظمى طوال القرون الوسطى ، تتبّطح فى رقعة يبلغ عرضها خمسين ميلا وطولها قرابة مئتين ميل ، وتمتد جنوبا حتى تناوح البصرة • وكانت البطيحة يأتيتها الماء من الفرات عند موضع فى شمالها الغربى ، يبعد بضعة أميال عن جنوب الكوفة ، اذ كان عمود الفرات فى تلك الايام شط الكوفة • ولم يكن شط الحلة حينذاك (وهو عموده الآن) الا نهرا عظيما للرى يعرف بنهر سورا • وكان على الحافة الشمالية من أسفل البطيحة العظمى ، أهوار يوصل ما بينها أزقة لسير السفن • وقد كان دجلة يدخل البطائح عند القطر ، وكانت السفن تخرج منها الى موضع (قرب القرنة الحالية) تجتمع فيه مياه الفرات ودجلة فتجرى فى نهر أبى الاسد الى رأس فيض شط العرب^(٢) ، وكانت سفن النهر تنحدر فى هذا الطريق المائى دون أن تلقى صعوبة من بغداد حتى البصرة • والبصرة فرضة

(١) لا نرى رأى المؤلف فى تفسير شط الحى بشط الحية فالحي هنا بمعنى محلة القوم وربهم ، ومنه حى واسط وهى بلدة الحى اليوم ، وبها عرف هذا النهر لوقوعها عليه ، ويقال له ايضا نهر الغراف ، وهو غير النهر الذى تقوم عليه اطلال واسط ، فان عقيق هذا النهر يعرف فى يومنا بالدجلة وهو دجلة قبل رجوعه الى مجراه الشرقى الحالى (م) •

(٢) هذا ما قاله البلاذرى فى هذا الصدد : « وكانت دجلة تصب الى دجلة البصرة التى تدعى العوراء فى انهار متشعبة ومن عمود مجراها الذى كان باقى مائها يجرى فيه وهو كبعض تلك الانهار » (فتوح البلدان • ص ٢٩٠ طبعة مصر) •

وقال ابن رسته : « ويخرج من هذه البطائح انهار • من ذلك - نهر المرة ويصب هذا النهر فى دجلة العوراء • ومن ذلك نهر يقال له نهر ابى الاسد وهو قريب من نهر المرة ويصب فى دجلة العوراء • ويمتزج هذا الماء بماء البحر الذى يدخل فى دجلة العوراء من ماء المد • ومن ذلك نهر فى أسفل البطائح مما يلى قصر انس بن مالك يقال له نهر ابن عمر ، وهو عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز ، حفره فى ولاية بنى امية ليعذب ماء اهل البصرة • وطوله اربعة فراسخ من أسفل البطائح الى فيض البصرة • ونهر ابن عمر يصب فى نهر البصرة • وما صار فى فيض البصرة وقع فى نهر الابلة حتى

يخرج الى دجلة العوراء ثم يقع فى بحر الهند » (الاعلاق النفيسة • ص ٩٤) • (م) •

بغداد . وقد كانت عند منتهى نهر قصير يحمل من الفيض الى الغرب - والفيض هو دجلة العوراء على ما كان يعرف به شط العرب في الغالب حينذاك .

ودجلة الحالى على ما يرى فى الخارطة الحديثة ، يجرى فى شرق شط الحى مسلاً من عند قرية يقال لها اليوم كوت العمارة^(١) ، وهى فى موضع بلدة ماذرايا القرون الوسطى . ومجرى دجلة الحالى هذا الى القرنة هو المجرى نفسه الذى كان أيام الساسانيين على ما يبدو ، حين لم تكن البطيحة العظمى التى وصفها البلدانون العرب قد تبطّحت . وقد ذهب المؤرخ البلاذرى الى أن نشأة البطيحة كانت فى أيام قباز الاول^(٢) الملك الساسانى ، وقد تولى العرش فى أواخر المئة الخامسة للميلاد . وفى أيامه أغل أمر السدود فى دجلة اغقلا دام سنين كثيرة . وارتفعت المياه فجأة فتدفقت من جملة بثوق ، فغلب الماء على ما كان من الارضين منخفضا فى جنوبه وجنوبه الغربى . وفى عهد أنوشروان العادل ابن قباز وخليفته ، رمت السدود بعض الترميم حتى عادت تلك الارضين الى عمارتها وزراعتها . الا أنه فى عهد كسرى أبرويز ، وقد عاصر النبى محمد ، زاد الفرات ودجلة ثانية فى نحو السنة السابعة أو الثامنة للهجرة (٦٢٩ م)^(٣) زيادة عظيمة لم ير مثلها قبلها . وانبثقت بثوق عظام فى مواضع لا تحصى ، وغلب الماء على الارضين . وعلى ما جاء فى البلاذرى ، ان كبرى أبرويز ، ركب بنفسه لسد تلك البثوق بعد فوات الاوان و « نثر الاموال على الانطاع وقتل الفعلة بالكفاية وصلب على بعض البثوق فيما يقال أربعين جساراً فى يوم ، فلم يقدر للماء على حيلة » . ولما لم تعد المياه الى حالها الاولى ، أصبحت ما غمرته من بقاع بطيحة دائمة . اذ أنه

(١) راجع عن كوت العمارة كتاب « مباحث عراقية » ليعقوب سرکيس (ص ٢٦٤ - ٢٨٣ و ٣١٢ - ٣١٤ بغداد ١٩٤٨) (م) .

(٢) حكم قباز الاول من سنة ٤٨٨-٥٣١ للميلاد . وكسرى انوشروان من ٥٣١-٥٧٩ للميلاد (م) .

(٣) وهم المؤلف فى قوله ان زيادة الفرات ودجلة كانت فى سنة سبع أو ثمان من الهجرة .

فقد قال البلاذرى فى هذا الشأن : « ثم لما كانت السنة التى بعث فيها رسول الله (ص) عبدالله بن حذافة السهمى الى كسرى أبرويز وهى سنة سبع من الهجرة ويقال « سنة ست » زاد الفرات ودجلة زيادة عظيمة لم ير مثلها قبلها ولا بعدها » . ويؤخذ من ذلك ان سنة ٦٢٩ م التى ذكرها المؤلف اعلام لا تتفق هى وسنى حكم كسرى أبرويز ، اذ انه حكم من سنة ٥٩٠ الى سنة ٦٢٨ للميلاد . فزيادة الانهار حصلت فى آخر سنة من حكمه وهى ٦٢٨ المقابلة لسنة ٦ و٧ للهجرة (م) .

للفوضى التي سادت السنوات التالية ، ولقيام الجيوش الاسلامية باكتساح بلاد ما بين النهرين ، ولانحلال المملكة الساسانية ، بقى حال السدود على ما آلت اليه مغفلة بطبيعة الحال . « فكانت البشوق تنفجر فلا يلتفت اليها ، ويعجز الدهاقين (أى النبلاء الفرس الذين كانوا يملكون تلك الارض) عن سد عظمها فامتدت البطيحة وعرضت » .

والاخبار المارة الذكر عن تكون البطيحة الكبرى واشارة ابن رسته الى هذه الحقبه من آخر عهد الساسانيين ، تبين أول تحول كبير لدجلة من مجراه الشرقى ، فيما وراء ماذرايا ، الى مجراه الغربى (أى شط الحى)^(١) . ثم أن دجلة « خرقت الارض حتى مرت بين يدى واسط قبل أن تكون واسط » . فلما تحولت دجلة على ما ذكر ابن رسته - صارت الارضين المتاخمة للمجرى الشرقى القديم صحارى ومفاوز ، وقد كانت على هذه الحال فى المئه الثالثة (التاسعة) حين كتب كتابه . ثم وصف ابن رسته ما بقى من دجلة - وكان طوله ستة فراسخ (فوق القرنة) - الصاعد شمالا الى عبدسى والمذار حيث سكرت دجلة^(٢) . وواضح أن هذا النهر هو أسافل مجرى دجلة الشرقى القديم والحديث . وقال ابن رسته ان هذا السكر ، وقد كان فى أيامه يعرقل الملاحة فيما فوق هذا الموضع ، لم يكن موجودا فى أيام الساسانيين . فكانت السفن تجرى الى شمال عبدسى والمذار حتى ملتقاه بدجلة (أى دجلة أيامه) ثانية فى كورة فى شمال واسط (فى ماذرايا) حتى تأتى المدائن ، فلا عائق فى النهر يحول دون سير السفن . ثم يوالى ابن رسته قوله : « فكانت سفن البحر قبل الاسلام تجرى من بلاد الهند ، فتدخل دجلة البصرة (أى فيض دجلة) حتى تأتى المدائن (طيسفون) فتمر حتى تخرج فوق قم

(١) سبق لنا القول ان دجلة تحول مجراه الى ما يعرف اليوم بالدجيله لا الى شط الحى أى الغراف وهو غير الدجيله (م) .

(٢) قال ابن رسته فى ذلك ما يأتى :

« ثم ان دجلة هذه التي هى اليوم سكرت من عند الحيزرانية ليعود الماء الى دجلة العوراء وينفذ الى المذار فيصير الى بقية دجلة العوراء ، فخرقت وانفق عليها كسرى ابرويز مالا عظيما فاعياه ذلك وجرت دجلة فى موضعها الذى هو اليوم بين يدى واسط ، فصارت البطائح هذه التي تكون اليوم فاعورت دجلة من ذلك الموضع المكسور الى مذار وبطلت تلك البطائح التي كانت بجوى فبقى من دجلة دجلة العوراء من المذار الى بحر الهند وذلك فى مقدار ثلاثين فرسخا . وهى دجلة البصرة ، واليه ينتهى مد البحر ومنه يجزر اذا رجع الماء الى البحر » (الاعلاق النفيسة . ص ٩٥) (م) .

الصلح فتصير الى دجلة (أى موضع دجلة السفلى فى الازمنة المتأخرة) بغداد .
فأسفل دجلة الحالى ، ينساب فى المجرى الاصلى الذى كان يتبعه بوجه عام
فى أيام الساسانيين . ولكنه كان طوال العصر العباسى ، ينحدر الى البطيحة فى
مجره الغربى المار بواسط . ولسائل أن يسأل : متى تحول النهر ثانية الى مجراه
الشرقى الحالى ؟ والجواب عن هذا ، ان التحول حصل ولا شك تدريجا من ترسب
الطمي فى المجرى الغربى . ومهما يكن من أمر فان مراجعنا الاسلامية حتى عهد
تيمور وبدء المئة التاسعة (الخامسة عشرة) أجمعت على أن دجلة الاسفل كان ما
زال يمر بواسط . وقد أيد حافظ ابرو هذا الامر ، حين كتب فى سنة ٨٢٠
(١٤١٧ م) . وفى طليعة الرحالين الذين نوهوا بالفرع الشرقى وذكروا أنه
نهر صالح لسير السفن هو جون نيوبرى (John Newberie) فانه بعد أن
زار بغداد أقلع فى سنة ١٥٨١م بسفينة الى البصرة فبلغها فى ستة أيام ، وكان قد
مر فى اليوم الخامس بالقرنة ، فقال انها « قلعة تقوم عند ملتقى نهر فرو (الفرات)
بنهر بغداد (دجلة) » . وفى القرن الذى يليه انحدر تافريه الفرنسى برحلة فى
دجلة كسلفه . فقد غادر بغداد فى شباط سنة ١٦٥٢م . وذكر أنه على مسافة
غير قليلة أسفل من هذه المدينة ، يتفرع دجلة الى فرعين ، كان الفرع الغربى
(وهو المار بواسط) فى أيامه قد أصبح غير صالح لسير السفن ، وكان يجرى فى
ناحية ما بين النهرين - على حد قوله - فاتبع الرحالة الفرنسى فى سفينته النهر
الشرقى الحالى الذى كان يجرى فى ناحية « كلدية القديمة » بعد مغادرته (كوت)
العامرة . وقبل وصوله البصرة بشىء يسير مر بالقرنة فقال : ان دجلة والفرات
يلتقيان هناك ^(١) ويعد نشوء البطيحة العظمى وما تلا ذلك من تبدل فى مجرى الفرات

(١) البلاذرى ٢٩٢ ؛ ابن رسته ٩٤ ؛ ياقوت ١ : ٦٦٩ . وفى سنة ١٥٨٢ م ، انحدر جون
الدرد John Eldred فى النهر من بغداد الى البصرة ووصف كيف « يلتقى قبل بلوغ البصرة
بنحو يوم - نهرا دجلة والفرات وتقوم هناك قلعة يقال لها القرنة » (انظر رحلته فى
Hakluyt's Principle Navigations (Glasgow, 1904 Vol. VI, p. 6)
وانظر ايضا Vol. V., p. 371 ففيها ان سيزار فردريك Caesar Fredrick قد قام بما يشبه
هذه الرحلة فى سنة ١٥٦٣ م وذكر بمثل ذلك قلعة القرنة . وانظر عن رحلة جون نيوبرى
Purchas, His Pilgrimes (Fol. 1625-1626) Vol. 5, p. 1411-1412)
وانظر Six Voyages en Turquie de J-B. Tavernier (Utrecht, 1712, 1.240).
اما الرحالون الآخرون فلم يأتونا باخبار وافية . ويظهر ان أقدم من ذكر صلاح فرع دجلة الغربى

ودجلة أهم ما يلفت النظر للحالة الطبيعية لأرض ما بين النهرين السفلى فى أيام الخلافة • ولا يقل عن ذلك شأننا ما كان عليه نظام الرى الذى ورثه العرب بعد الفتح بانتقال البلاد اليهم من الفرس • وبوجيز القول نجد أن العراق جميعا ، مما كان فى شمال البطيحة وواقعا بين النهرين ، كانت تشقه على ما قد بينا ، أنهار تلو انهار ، تأخذ من الفرات وتتجه نحو الشرق فتصب فى دجلة • بينما كان فى شرق دجلة ، نهر طوله مئتا ميل يعرف بالنهروان^(١) يبدأ أسفل من تكريت^(٢) وينتهى فى دجلة على نحو من خمسين ميلا من شمال واسط وكان يروي ما فى الجانب الابعد من دجلة ، أى ما تاخم ايران • وسنبسط القول فى هذا النظام المائى العظيم فى موضعه من الكتاب • على أننا ، ان ألقينا نظرة الى الخارطة المرفقة الموضوعه بالاستناد الى ما كتبه المؤلفون المعاصرون ، بان لنا أن مرجع حصص العراق العجيب فى أيام العباسيين كان نظامهم الدقيق فى استغلال مصادر المياه كل الاستغلال • فبينما كانت الاراضى الممتدة بين الفرات ودجلة تكاد تسقيها كلها الانهار الآخذة من الفرات الى ناحية الشرق ، كانت الاراضى التى فى يسار دجلة وأمام سفوح الجبال الايرانية ، تسقيها أنهار تأخذ من النهروان • فقد كانت توزع مياه دجلة الفائضة على الاراضى الشرقية توزيعا فنيا اقتصاديا ، وتجري مياه فيضان الانهار الكثيرة المنحدرة من جبال كردستان •

(اى الحالى) لسير السفن ، الرحالة البرتغالى المجهول ، ونسخة رحلته المخطوطة لدى ميجر م • هيوم (انظر The Athenaeum عدد ٢٣ الصادر فى آذار ١٩٠١ ص ٣٧٣) وقد نوه فيها بالقلعة (يريد القرنة) وهى على ستة فراسخ فوق البصرة حيث يقترب الفرات بدجلة • ويؤخذ مما جاء فى كلامه ، انه قام برحلته فى نحو سنة ١٥٥٥ م • وصفوة القول ان دجلة على ما يظهر ، كان منذ صدر الاسلام حتى نهاية المئة التاسعة للهجرة ، يجرى فى الفرع الغربى منحدرا الى البطيحة • ثم انه فى اوائل القرن السادس عشر للميلاد ، عاد ثانية الى مجراه الشرقى حيث كان يجرى فى العصر الساساني قبل ظهور الاسلام وهو مجراه فى ايامنا •

(١) الظاهران المؤلف يعدا القاطول الكسرى قسما من النهروان ، وهذا مخالفلا ذكره البلدانيون كياقوت وغيره • (م)

(٢) تقوم تكريت فى غربى دجلة • ومراد المؤلف ان النهروان يخرج من اسفل تكريت فى الجانب الشرقى (م) •

وقد عُتيت في أحد تأليفى السابقة ، بوصف خطط بغداد^(١) وغاية ما تتوخاه الآن هو أن نلخص أهم الاخبار عن هذه المدينة اظهارا لمنزلة العاصمة العباسية بين مدن العراق وايضا لنظام الطرق (وقد نوهنا به فى الفصل الاول) الذى كانت بغداد مركزه .

فأول الانهار الكبيرة التى كانت تحمل من الفرات الى دجلة ، نهر عيسى^(٢) . وفى نحو سنة ١٤٥ (٧٦٢) ابنتى المنصور فوق مصب نهر عيسى فى دجلة المدينة المدورة وهى نواة مدينة بغداد . وكان للمدينة المدورة أربعة أبواب متساوية الابعاد بعضها عن بعض ، بين الباب والباب ميل عربى . ويخرج من كل باب طريق . ثم نشأت مع الايام أرباض واسعة على هذه الطرق الاربعة . ولم يمض وقت طويل عليها حتى اندمجت فى نطاق المدينة وقام منها مدينة بغداد الكبرى . وكانت أبواب المدينة المدورة الاربعة :

- (١) باب البصرة فى الجنوب الشرقى ، وهو يفضى الى الارباط الممتدة على ضفة دجلة حيث تصب فروع نهر عيسى المختلفة .
- (٢) باب الكوفة فى الجنوب الغربى من بغداد ، ويخرج منه طريق الى الجنوب وهو طريق الحج الى مكة .
- (٣) باب الشام فى الشمال الغربى ، حيث يتفرع الطريق يسارا الى الانبار على الفرات ويمينا الى المدن الواقعة على ضفة دجلة الغربية شمال بغداد .
- (٤) باب خراسان المؤدى الى الجسر الكبير لمن أراد عبور النهر . وهذا الجسر كان يفضى الى بغداد الشرقية ، وهى التى عرفت بعسكر المهدي أولا ، والمهدي هو ابن المنصور وخليفته . وقد بنى المهدي هاهنا قصره ، وأنشأ أيضا المسجد الجامع فى بغداد الشرقية .

(١) انظر (بغداد فى عهد الخلافة العباسية) اكسفورد ١٩٠٠ . وينبغى ان يلاحظ ان عدد كور العراق ومدنه وقراء التى انتهت اليها اخبارها كبير جدا ، ونحتاج الى مجلد للذكر كل ما عرف عن هذا الاقليم الذى كان قلب الدولة العباسية . والحارطة التى وضعتها لابن سراييون JRAS, 1895, p. 32. تبين جميع المواضع التى على النهر والترع . الا ان هذه الحارطة لم تستوعبها جميعا . وللتوسع ينبغى للقارئ ان يرجع الى كتاب البروفسور م. شتوك الموسوم : Die Alte Landschaft Babylonien (Leyden, 1901) فالمجال يضيق عن ذكرها كلها فى هذا الفصل .

(٢) اطلق العرب لفظه « نهر » على ما كان نهرا طبيعيا أو صناعيا . و « عيسى » اسم الامير العباسى الذى شق هذا النهر .

وكان في الجانب الشرقي ثلاث محلات : المحلة التي بالقرب من رأس الجسر ، وقد عرفت بالرصافة • ومحلة الشماسية فوقها على النهر • ومحلة المخرم تحتها • وكان يطيف بهذه المحلات الثلاث من بغداد الشرقية سور نصف دائري يبدأ من ضفة النهر فوق الشماسية وينتهي بالنهر أيضا تحت المخرم • وكان يخترق القسم الوسطي الضيق من بغداد الشرقية ، أول طريق خراسان الذي يبدأ من باب خراسان في المدينة المدورة ، ويعبر الجسر الكبير الى باب خراسان (الثاني) في بغداد الشرقية • ومنه - على ما بينا في الفصل السابق - يتابع سيره شرقا حتى يبلغ أقاصي ديار الاسلام •

وكان يخرج من باب الكوفة في المدينة المدورة ، طريق الكوفة ، أي طريق الحليج - على ما بينا - فيتجه جنوبا • وكان الرض العظيم الممتد من هذا الباب الى نحو فرسخ من أسوار المدينة المدورة يعرف بالكرخ • وفي غربي المدينة المدورة روض باب المحول ، وكان الوصول اليه من باب الكوفة وباب الشام • وفيه مجتمع الطرق التي تتصل بالطريق الغربي الكبير الذاهب الى الانبار مارا ببلدة المحول • وكان في شمال باب الشام محلة الحربية (تناظر الكرخ في جنوب المدينة المدورة) • وكانت المقابر الشمالية في بغداد الغربية فيما وراء محلة الحربية ، يكتشف دجلة جانبيين منها • وعرفت هذه المقابر بعدئذ بالكاظمين وسميت بذلك نسبة الى ضريحي امامين من أئمة الشيعة^(١) •

ومدينة بغداد ، تتوسط اربعة طساسيج : كل طسوجين منها في جانب من دجلة ففي الجانب الغربي طسوج قطربل في شمال نهر عيسى ، وطسوج بادوريا في جنوبه • وفي الجانب الشرقي طسوج نهر بوق وهو في شمال طريق خراسان ، وطسوج كلواذي في الجنوب • وكانت بلدة كلواذي قائمة على ضفة دجلة على

(١) والكاظمية اليوم احدى المدن المقدسة في العراق لدى الشيعة ، على بعد خمسة كيلومترات عن شمال بغداد وهي اليوم مركز قضاء الكاظمية التابع للواء بغداد وقامت في موضع مقبرة قریش الكبرى • وقد دفن فيها الامام موسى بن جعفر الملقب بالكاظم في سنة ١٨٣ هـ (٧٩٩) فنسبت اليه فليل لها الكاظمية • ولما مات حفيده الامام محمد بن علي الملقب بالجواد في سنة ٢٢٠ هـ (٨٣٥) دفن الى جواره • فبنى شيعتهما عمارة حول القبرين ثم وسعوا فيها فصارت المشهد الكاظمي (م) •

شيء يسير تحت أقصى ابواب بغداد الشرقية الى الجنوب^(١) . ويخرج من بغداد ،
وهي المركز الذي تتفرع منه طرق الدولة جميعها ، طريقان - على ما ذكرنا -
يذهب احدهما الى الجنوب والآخر الى الغرب ، وكانا ينفصلان عند باب الكوفة في
المدينة المدورة . وطريقان يذهبان الى الشمال والى الشرق يخترقان بغداد الشرقية
ويبدأن من منتهى الجسر الكبير . فالطريق الجنوبي وهو الذاهب الى الكوفة (ومكة)
كان بعد ان يغادر ربض الكرخ ، يصل الى بلدة صرصر وهي على نهر صرصر
ثاني الانهار الكبيرة الآخذة من الفرات الى دجلة ، ويجري بموازية نهر عيسى
في جنوبه . ويبدأ الطريق الغربي ، أى طريق الانبار ، من باب الكوفة فيخترق
ربض برائا ، وبعد نحو فرسخ يصل الى بلدة المحول على نهر عيسى . والطريق
الشرقي ، أى طريق خراسان ، يترك بغداد الشرقية ، على ما بينا الآن ، عند
باب خراسان شمال محلة المخرم . واول مدينة يبلغها : جسر النهروان وعندها
معبّر النهر العظيم : النهروان . وآخر الطرق : الطريق الشمالي ، وكان يخترق
محلة الشماسية فباب البردان في بغداد الشرقية ، وما يهتم ان يصل الى بلدة البردان
وهي على ضفة دجلة الشرقية . ثم يتابع سيره يسار النهر فيبلغ سامراء ومدن ما بين
النهرين الشمالي (اقليم الجزيرة) .

وفي غضون القرون الخمسة التي عاشت فيها الخلافة العباسية ، تغيرت خطط
بغداد وارباضها تغيرا كبيرا ، لاتساع المدينة من جهة وخراب بعض اقسامها من
جهة اخرى . وما صورناه في الفقرات السابقة ان هو الا صورة المدينة على ما
كانت عليه في خلافة هرون الرشيد . وكانت الحروب الداخلية التي نشبت بعد
وفاته ، قد اوقعت الخراب في المدينة المدورة . وفي سنة ٢٢١ (٨٣٦) ، نقل مقام
الخلافة الى سامراء فضؤل شأن بغداد في عهد سبعة من الخلفاء ، وامست مدينة
اقليم لا غير . ولما هجرت سامراء سنة ٢٧٩ (٨٩٢) وعاد الخليفة الى العاصمة

(١) كان يحيط بالجانب الشرقي من بغداد ، سور عظيم يكتنفه خندق وفي السور اربعة ابواب -
الباب الشمالي « باب السلطان » وهو باب المعظم الآن . ويليهِ « باب الظفرية » (الباب الوسطاني
الحالي وفيه اليوم متحف الاسلحة) . ويليهِ باب الحلبة (باب الطلسم وقد نسفه الاتراك سنة ١٩١٧
حين خروجهم من بغداد) اما أقصى الابواب جنوبا فهو باب كلواذى وعرف ايضا بباب البصلية لقربه من
المحلة التي بهذا الاسم وسمى في الازمنة الحديثة بالباب الشرقي . وقد نقض قبل سنوات (م) .

القديمة ، كانت بغداد الشرقية ، وقد استجد فيها الكثير من القصور ، قد خلفت مجد المدينة المدورة التي ازدادت خرابا على خراب . وأقام الخلفاء فى الجانب الشرقى خلال القرون الاربعة التالية حتى الفتح المغولى دون ان يتحولوا عنه .

وقد ابنى الخلفاء فى اواخر العصر العباسى قصورهم هذه فى جنوب المخرم . والمخرم سفلى المحلات الثلاث التى فى داخل اسوار بغداد الشرقية على ما كانت عليه فى ايام هرون الرشيد . وكانت هذه المحلات الثلاث فى الزمن الذى نتكلم عليه ، قد استولى عليها الخراب ، الا انه ما عثم ان نشأ حول القصور المحدثه ارباض جديدة ، ما كاد يمضى عليها وقت طويل حتى احيطت هى ايضا بسور عظيم نصف دائرى . وقد كان سور بغداد الشرقية الجديد يضم قسما من محلة المخرم العتيقة ، وبدؤه من ضفة النهر فوق القصور ، واتباهؤه فى ضفة النهر تحتها (أى انه يصاقب طسوج كلواذى) . وكان المستظهر^(١) قد بنى السور فى سنة ٤٨٨ (١٠٩٥) ثم رُمّ غير مرة . الا انه فى سنة ٦٥٦ (١٢٥٨) لم يقو على صد هجوم المغول فانهى الامر بسقوط الخلافة العباسية . ومازال هذا السور المتشعث قائما حتى اليوم يحتضن ما تبقى من مدينة الخلفاء ، ويحمى بغداد الحديثة عاصمة العراق اليوم مثلما كانت بالامس ومقام واليها التركى^(٢) .

وعلى سبعة فراسخ اسفل من بغداد : المدائن ، على جانبى دجلة . والمدائن

(١) التحقيق انه شرع فى بناء السور على عهد الخليفة المستظهر بالله وبنيت منه مئة قامة ، ولكنه يعد مما شيده المسترشد بالله سنة ٥١٧ . راجع المنتظم ٩ : ٢٤٣ ومناقب بغداد ص ١٧ (الدكتور مصطفى جواد) .

(٢) زالت اليوم معالم هذا السور ولم يبق منه سوى باب واحد يقال له الآن « الباب الوسطانى » وهو باب الظفرية قديما . وقد رمت دائرة الآثار العراقية هذا الباب واتخذت منه متحفا للأسلحة القديمة . اما بغداد فانها بعد اعلان استقلال العراق سنة ١٩٢١م صارت عاصمة المملكة العراقية الحديثة ، واتسعت عمارتها فى السنوات الاخيرة ، فامتدت خارج حدود اسوارها القديمة مسافة بعيدة . فاتصلت المبانيات من جهة باب المعظم حتى بلغت الاعظمية فالصليخ ، اى انها شملت ما كان يعرف قديما بمحلة المخرم وسوق العطش ومحلة الرصافة والشماسية . ومن الجنوب اتصلت من الباب الشرقى حتى الزوية والسبعة قصور وامتدت شرقا الى بغداد الجديدة اى انها شملت ما كان يعرف قديما بطسوج كلواذى اما فى الجانب الغربى ، وقد كانت الى سنوات قليلة تقتصر على ما كان يعرف بمحلة الكرخ ، فقد امتدت المباني حوله الى الكاظمية شمالا وكرادة مريم جنوبا والحارثية ونهر الخر غربا . اى شملت ما كان يعرف قديما بمدينة المنصور المدورة وما حولها من محال وقسما من طسوجى بادوريا وقطربل . فاصبح طول بغداد اليوم من أقصى شمالها الى أقصى جنوبها نحو من عشرين كيلومترا . فلم تبلغ بغداد فى أى عصر من عصورها ما بلغته اليوم من سعة وعمران (م) .

هو الاسم الذى اطلقه العرب على اطلال العاصمتين التوأمين : قطيسفون وسلوقية التى اسسها السلوقيون الاولون قبل الميلاد بثلاثة قرون . وسلوقية ، وهى فى الجانب الغربى ، قد سميت باسم سلوقس تقطور . اما « قطيسفون » ، وقد اختصر العرب اسمها فقالوا طيسفون ، فلا يعرف اصل اشتقاقه . وهو وان بدا اغريقياً ، فقد يكون تصحيحاً لاسم المدينة الفارسية القديم ، اذ لسنا نعلم ما كان يسمى به الساسانيون عاصمة دولتهم هذه^(١) وفى سنة ٥٤٠ للميلاد ، استولى انوشروان العادل على انطاكية الشام وسلوقية نهر الكلب ، واجلى اهل سلوقية هذه الى عاصمته طيسفون على عادة ملوك الفرس ، فانزلهم فيها فى ريف جديد فى جانب دجلة الشرقى ، أى بازاء موضع سلوقية العراق . وكان هذا الريف باقياً حين فتح العرب العراق بعد ذلك بقرن . وكان ما زال يعرف بـ « رومية » أى المدينة الرومية « اليونانية » وقد ذكر بعضهم انها بنيت على غرار انطاكية .

وكانت المدائن على ما ذكر المصنفون المسلمون تتألف من سبع مدن ذات اسماء معروفة على اختلاف فى قراءتها . والظاهر ان خمسا من هذه المدن فقط كانت قائمة عامرة حينما كتب اليعقوبى فى المئة الثالثة (التاسعة) ، وهى : المدينة العتيقة أى طيسفون . وعلى ميل من جنوبها اسبائر . وبجوارها رومية وهذه المدن فى الجانب الشرقى . وفى الجانب الآخر من دجلة كانت بهرسير وهى تصحيف « به - اردشير » - (أى بلدة الملك اردشير الطيبة) - وعلى فرسخ من اسفلها : ساباط ، وكان الفرس على ما ذكر ياقوت يسمونها بلاس أباز . والقصر الساسانى الفخم الذى مازالت بقاياه قائمة فى الجانب الشرقى من

(١) من الآراء المقبولة فى هذا الصدد ان قطيسفون تطابق كسفيا الوارد ذكرها فى سفر عزرا (٨ : ١٧) بانها بين بابل والقدس وقد ترجمت فى الترجمة السبعينية للتوراة بـ « المدينة الفضية » اما المدائن فهى صيغة الجمع بالعربية للفظ « المدينة » . و « كسفيا » صيغة كلدانية للاسم الفارسى المفقود فى وقتنا لعاصمة الاكاسرة . اهـ .

Herzfeld, Geschichte der Stadt Samarra, p. 29-32 قلنا: وللعالم الاثرى هرتسفيلد رأى فى اسمها ذكره فى كتابه
كسبيانام (أى حصن القزوينيين وهم قوم سكنوا فى شمال ايران وبهم عرف بحر قزوين) ويلفظ بالآرامية « كسفون » . وعرفه اليونان بصورة « كتيشفون » . وصارت منذ نحو سنة ١٥٠ ق.م. مقراً للفرثيين . وعسكر بوليبيوس فى كتيشفون سنة ٢٢ ق.م . ثم اتخذها الساسانيون عاصمة شتائية لدولتهم ، وعرفت فى التلموذ الارامى باسم (ماحوزى) ومعناها المدائن . ومن بقاياها الشاخصة اليوم طاق كسرى (م) .

دجلة ، سماه العرب : ايوان كسرى . وكان هذا الايوان ، على ما جاء فى يعقوبى
يقوم فى اسبائبر . وهناك بناء فخم آخر يعرف بالقصر الابيض ، كان يرى فى المدينة
العتيقة على ميل من شمالها . الا ان هذا الاخير قد اندرس وعفت آثاره منذ
ابتداء المئة الرابعة (العاشرة) . فان جميع المصنفين المتأخرين ، اطلقوا اسم
« القصر الابيض » و « ايوان كسرى » دون تفريق على البناء المعقود الكبير وهو
الاثر الوحيد القائم حتى اليوم فى هذا الموضع من أبنية الملوك الساسانيين . وقد
كاد هذا البناء يمحى عن آخره فى اواسط المئة الثانية (الثامنة) حين كان المنصور
يبنى بغداد . فان هذا الخليفة امر بنقض القصر الساسانى واستعمال آجره فى بناء
مدينته الجديدة ، وحاول وزيره الفارسى ، خالد البرمكى ، دون جدوى ، اقناعه
بالعدول عن نقضه ، فقد اصر الخليفة على ذلك ولكن الوزير تحقق رأيه حين
بدىء بالنقض وتبين ان ذلك يكلف اكثر من صنع الآجر الجديد للبناء . فترك
ايوان كسرى ، على ما سماه به ياقوت ، قائما فى مكانه . وبعد ذلك بزمان نقل
شئ كثير من آجره لبناء اسوار « قصر التاج » الجديد فى بغداد الشرقية . وقد
فرغ الخليفة علي المكنفى من بنائه فى سنة ٢٩٠ (٩٠٣) .

والمدائن ، وقد عمها الخراب اليوم ، كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) بلدة
صغيرة أهلة ذات مسجد جامع عامر بنى فى زمن الفتح الاسلامى . وبالقرب منه
ضريح سلمان الفارسى^(١) من اشهر صحابة النبى محمد . وكانت اسواق المدائن
من الآجر ، عامرة . وقد عقد الخليفة المنصور مجلسه حينما من الزمن فى رومية
المجاورة لها . كما اقام المأمون ايضا فى ساباط ، وهى فى الجانب الثانى من النهر .
وكانت فخامة قصر الاكاسرة العتيق وروعته موضوعا تحدث به البلدانيون العرب
وافاضوا فى الكلام عليه . فقد ذكر يعقوبى ان علو قمة الطاق عن الارض ثمانون
ذراعا . و اشار ياقوت الى عظم آجره : فطول كل آجرة نحو ذراع فى عرض اقل
من شبر^(٢) . وروى المستوفى ، وقد سرد حديثا خرافيا عن المدائن وقصرها ،

(١) وحول هذا الجامع اليوم بلدة صغيرة تسمى « سلمان باك » مركز ناحية بهذا الاسم فى
لواء بغداد (م) .

(٢) يعد هذا الطاق ، اعرض طاق فى العالم معقود بالآجر دون استعمال السمكت فى تقويته .
عرضه خمسة وعشرون مترا وبعض المتر ، وعلوه عن مستوى التبليط سبعة وثلاثون مترا (م) .

ان فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) صارت المدائن ورومية خرابا يابلوان بقيت القرى التى بازائها فى الجانب الغربى آهلة • وكان من اعمر تلك القرى على قوله بهرسير ، وقد مر ذكرها ، سماها ياقوت حين زارها : الرومقان • والى جنوبها : زديران ، وهى على مرحلة فى طريق الحاج ، وفى غربها صرصر ، وقد مر ذكرها • وهى على نهر صرصر وهو يصب فى دجلة على شئ يسير فوق المدائن • والطسوج الذى حول المدائن الممتد شرقا من دجلة الى النهروان ، كان يعرف بالراذان (الاعلى والاسفل) • وقد سرد ياقوت اسماء قرى عديدة فيه ، واطرى المستوفى وفرة غلاته^(١) •

ودير العاقول (أى عقلة « النهر » وعوجته) ، ما زالت الخارطة الحديثة تشير اليه ، وهو فى الجانب الشرقى على عشرة فراسخ اسفل المدائن • واسمه يدل على شكل مجرى دجلة فى هذا الموضع • وقد كان ديرا للنصارى حوله مدينة كبيرة كانت من اجل مدن طسوج النهروان الاوسط • وكان فى المدينة مسجد جامع^(٢) لا يبعد كثيرا عن السوق • وذكر ابن رسته فى نهاية المثة الثالثة (التاسعة) المآصر على دجلة فى هذا الموضع « وبها اصحاب السيارة والمآصر من قبل السلطان » • قال : « والمآصر ان تشد سفينتان من احد جانبي دجلة وسفینتان من الجانب الآخر ، وتشد السفن على شطين ثم تؤخذ قلوس (حبال) على عرض دجلة وتشد رؤوسها الى السفن لثلا تجوز السفن بالليل » • وذكر المقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) ان « ليس على دجلة من نحو واسط مدينة اجل من دير العاقول ، كبيرة عامرة آهلة » • ثم ان دجلة حوّل مجراه • فذكر ياقوت فى المثة السابعة (الثالثة عشرة)

(١) اليعقوبى ٣٢٠ و ٣٢١ ، ابن سراييون ٩ ، ابن حوقل ١٦٧ ، المقدسى ١٢٢ ، ياقوت ١ : ٤٢٥ و ٤٢٦ و ٧٦٨ و ٨٠٩ ، ٢ : ٧٢٩ و ٩٢٩ ، ٣ : ٣ ، المستوفى ١٣٩ و ١٤٠ •

(٢) فى اول هذه الحاشية كلام للمؤلف فيما جرى عليه فى ترجمة لفظ « الجامع » الى الانكليزية ثم قال (: للمسلمين نوعان من المساجد : الاول ما كان صغيرا ويعرف بـ « المسجد » وفيه يصلى الناس أى وقت ارادوا ، والمسجد نظير « المقام » و « المشهد » • و « المصلى » تقام فيه الصلاة بوجه خاص فى الاعياد الكبيرة • والثانى المسجد الجامع وفيه تقام صلاة الجمعة وتلقى « الخطبة » • وهو يترجم فى الغالب بالانكليزية بلفظة « كندرائية » ويقاس كبر المدينة او القرية بما فيها من جوامع او منابر • وهذا ما جرى عليه غالبا البلدانون العرب لدى وصفهم المدن • فالاصطخرى مثلا سرد ثبثا طويلا لمواضع فى فارس منها ما كان ذا منبر ومنها ما ليس كذلك • وهذا يشبه ما يقال من ان فى القرية الفلانية فى بلد نصرانى كنيسة اسقفية • وقد تبدلت تسمية المسجد الجامع فى الازمنة المتأخرة الى مسجد الجمعة على ان هذه التسمية لم تعرف فى صدر الاسلام •

ان دير العاقول كان على شاطئ دجلة ، فاما الآن فينه وبين دجلة مقدار ميل ، وهو بمفرده في وسط البرية . على ان المستوفى بعد ياقوت بقرن كان يعد دير العاقول مدينة كبيرة ذات هواء رطب لتوسطها بساتين النخيل .

وفي الضفة الشرقية ايضا على ثلاثة فراسخ فوق دير العاقول ، بلدة السيب الصغيرة ، وسميت بسبب بنى قوما تفريقا لها عن غيرها . وكانت تكثر فيها بساتين الزيتون ، واشتهر امرها في التاريخ بالوقعة التي جرت فيها سنة ٢٦٢ (٨٧٦) حين تغلبت جيوش الخليفة المعتمد على يعقوب الصفار . وعلى بعد قليل اسفل من دير العاقول ، دير مر ماري الملقب بالسليح ، ويعرف أيضا بدير قُشْنِي أو (قنه) ، وهو في الجانب الشرقي ، بينه وبين دجلة ميل ، على ستة عشر فرسخا من بغداد . وصفه الشاشتي^(١) المؤرخ في المئة الرابعة (العاشرة) ، (وعنه نقل ياقوت) ، بانه « دير عظيم شبيه بالحصن المنيع وعليه سور عظيم عال محكم البناء ، وفيه مئة قلالية لرهبانه ، وهم يتابعون هذه القلالي بينهم من الف دينار الى مائتي دينار (٥٠٠-١٠٠٠ باون) . وحول كل قلالية بستان ، وتباع غلة البستان منها من مائتي دينار الى خمسين دينارا (١٠٠-٢٥ باونا) وفي وسطه نهر جار » .

وبالقرب من دير قنى على نهر دجلة : الصافية . وهي بلدة قال ياقوت انها كانت في ايامه خرابا ، وبازائها في الجانب الغربى : همانية (أو همينيا) وما زالت ترى في الحارطة الحديثة وهي على فرسخين جنوب شرقى دير العاقول . وفي بدء المئة الثالثة (التاسعة) كانت همانية بلدة قليلة الشأن ، فبعد وفاة الخليفة الامين حजर فيها المأمون حينما من الزمن : ابنى الامين وامه زبيدة ارملة هرون الرشيد^(٢) . ووصف ياقوت في المئة السابعة (الثالثة عشرة) همانية بقوله : انها قرية كبيرة

(١) راجع كتاب الديارات للشاشتي ، وقد عني بتحقيقه ونشره احدنا كوركيس عواد (بغداد

١٩٥١ ص ١٧١) (م) .

(٢) قال الطبرى في حوادث سنة ١٩٨ هـ « امر (المأمون) بتحويل زبيدة وموسى وعبدالله ابنى محمد (الامين) معها من قصر ابى جعفر الى قصر الخلد ، فحولوا ليلة الجمعة لائنتى عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول ثم مضى بهم من ليلتهم في حراقة الى همينيا (وهي همانية) على الجانب الغربى من الزاب الاعلى . ثم امر بحمل موسى وعبدالله الى عملها بخراسان ، (م) .

حولها مزارع (١) حسنة (٢) .

وعلى اربعة فراسخ جنوب شرقي دير العاقول ، جرجرايا أو جرجراى ومازالت باقية (٣) . ووصفها المقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) بانها « بلدة عظيمة ، الجامع بقرب الساحل عامر ، ولهم ماء يدور حول قطعة من المدينة » . وذكر اليعقوبى ، وقد سبقه بقرن ، انها « ديار اشراف الفرس ، وهى مدينة النهروان الاسفل » . وكانت فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) ، على ما جاء فى ياقوت ، قد « خربت مع ما خرب من النهروانات » . وفى جانب دجلة الغربى ، على اربعة فراسخ اسفل من جرجرايا ، حيث الخرائب المعروفة اليوم بتل نعمان ، تقوم بلدة النعمانية ، وقد ذكر ياقوت انها « بليدة بين واسط وبغداد فى نصف الطريق » وهى مدينة الزاب الاعلى ومسجدها الجامع فى السوق وزاد اليعقوبى على ذلك ان فى مدينة النعمانية دير هزقل ، وفيه يعالج المجانين . واشتهرت النعمانية ، على ما ذكر ابن رسته ، لان « بها تتخذ الطنافس الحرير » . وفى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ذكر المستوفى النعمانية انها بلدة زاهرة حولها بساتين النخيل (٤) . وكانت جبيل بليدة فى الجانب الشرقى على تسعة فراسخ اسفل من جرجرايا . وذكر ابن رسته فى المثة الثالثة (التاسعة) ان بها « دار طيخ للسلطان » وهى مدينة كبيرة وبها مسجد جامع فى السوق . وقال المقدسى ان جبل تلى دير

(١) قال ياقوت : انها « فى وسط البرية ليس بقربها شئ من العمارات » (معجم البلدان ٤ : ٩٨٠) . مازال يرى على يسار مجرى دجلة الحالى على مقربة من جنوب العزيرية مجموعة من التلول تعرف حتى اليوم بخرائب هيمية يبلغ محيطها نحو ٣ كيلومترات وارتفاعها نحو عشرة أمتار . وقد درست مديرية الآثار العراقية سنة ١٩٤٢ اطلالها وآثارها السطحية فوجدت انها ترقى الى الزمن الساسانى والاسلامى . ويلاحظ ان همانية القديمة كانت على يمين دجلة اما الحالية فقد صارت فى الجانب الآخر لتبدل مجرى دجلة ومازال يرى عقيق المجرى القديم فى الجانب الغربى (م) .

(٢) ابن رسته ١٨٥ و ١٨٦ ، اليعقوبى ٣٢١ ، قدامة ١٩٣ ، المقدسى ١٢٢ ، المسعودى : التنبيه ١٤٩ ، ياقوت ٢ : ٦٧٦ و ٦٨٧ ، ٣ : ٣٦٢ ، ٤ : ٩٨٠ ، المستوفى ١٣٩ ، ابن الاثير ٦ : ٢٠٧ .

(٣) عين فيلكس جونس فى خارطته المعنونة « القاطول الكسروى والنهروان » الملحقه بكتابه ، موضع « جرجرايا » فجعله على ضفة دجلة الشرقية عند صدر نهر الشاعورة الحديث (م) .

(٤) على نحو خمسة كيلومترات من شمال بلدة النعمانية الحالية قرب ضفة دجلة اليمنى ، تل نعمان . وهو تل واسع محيطه نحو كيلومتر وارتفاعه نحو ثمانية أمتار . وقد درست مديرية الآثار العراقية العامة آثاره السطحية سنة ١٩٣٧ فبان لها من ذلك ان ادوار سكناه ترقى الى العصر البابلي الحديث والفترى والاسلامى . والنعمانية الحديثة كانت تعرف الى وقت قريب باسم « البغيلة » بالتصغير فسميت بالنعمانية احياء لاسم المدينة القديمة التى كانت قائمة قربها (م) .

العاقول في الكبر • الا انها صارت في ايام ياقوت قرية كبيرة^(١) •

وكانت بلدة ماذرايا حيث تقوم اليوم كوت العمارة^(٢) عند مخرج شط الحى من مجرى دجلة الشرقى وهو دجلة الحالى المنحدر اليوم باتجاه الجنوب الشرقى الى القرنة • وكانت ماذرايا فى ضفته الشرقية • وكان يسكنها فى المثة الثالثة (التاسعة) اشراف الفرس ، وعندها كان مصب النهر وان فى دجلة • ويلي ماذرايا سفلاً : المبارك ، وهى بلدة بازاء نهر سابس الذى هو فى الجانب الغربى من دجلة وبلدة نهر سابس كانت عند فم النهر الذى بهذا الاسم • وسيأتى الكلام على ذلك • وكانت هذه البلدة قصبة طسوج الزاب الاسفل ، وقيل انها كانت على خمسة فراسخ من جبل^(٣) ، وفى الضفة المقابلة ، على خمسة فراسخ بانحدار دجلة : نهر الصلح وبلدة فم الصلح عند فمه أى مخرجه • وكانت على سبعة فراسخ فوق واسط • وفم الصلح ، على ما جاء فى ابن رسته ، « مدينة على شرقى دجلة • وبها مسجد جامع وأسواق » • وقد اشتهر أمرها فى التاريخ الاسلامى بالقصر الفخم الذى أنشأه فيها الحسن بن سهل وزير المأمون • وفيه بنى المأمون بيوران ابنته • فأنفق فى ذلك العرس على العطايا والهبات أموال جسام تفوق حدود التصديق ، على ما فصله المسعودى فى كتابه^(٤) • ثم خربت فم الصلح •

(١) قدامة ١٩٣ ، اليعقوبى ٣٢١ ، ابن رسته ١٨٦ و ١٨٧ ، المقدسى ١٢٢ ، ياقوت ٢ : ٢٣ و ٥٤ ، ٤ : ٧٩٦ ، ابو الفداء ٣٠٥ ، المستوفى ١٤١ •

(٢) بلدة الكوت على يسار دجلة تبعد عن جنوب بغداد نحو ١٨٠ كيلومترا ، وهى اليوم مركز لواء باسمها • وفى سنة ١٩٣٦ اقيم على دجلة عندها « سدة الكوت » لضبط مياه دجلة ورفع منسوبها لسقى اراضى الجانب الغربى من دجلة • ومن المرجح ان موضعاً باسم « الكوت » نشأ هناك فى اواخر المثة الثانية عشرة (اوائل المثة الثامنة عشرة للميلاد) •

جاء فى دائرة المعارف الاسلامية ، ان « الكوت » كلمة هندية معناها القلعة • وعرفت هذه البلدة بكوت العمارة • ثم تغير اسمها من كوت العمارة الى كوت الامارة فى رسميات الحكومة العثمانية فى المدة الواقعة بين سنة ١٢٨٧ الى ١٢٩٩ هـ (١٨٧٠-١٨٨١ م) • وأهم سبب لقلب الاسم : قرب لفظ « العمارة » من « الامارة » ، ونزول « امارة ربيعة » فى الكوت قبل استعمال هذه التسمية الرسمية ، أى كوت الامارة ، فى السالنامات التركية التى كانت تصدرها الحكومة العثمانية عن احوال العراق • وفى كتاب « مباحث عراقية » (ص ٢٦٤-٢٨٣) فصل طويل فى تاريخ قيام الكوت واسمها (م) •

(٣) مازالت اطلال بلدة نهر سابس ، ترى فى الضفة الغربية من شط الدجيل (وهو مجرى دجلة فى ايام العباسيين) • ويقال لها اليوم تل سابس على نحو ١٥ كيلومترا من غرب بلدة الكوت • وورد فى مذكرات تحسين العسكرى اسم تل سابس فى اخبار حصار الكوت فى الحرب العالمية الاولى (م) •

(٤) ومن وصف هذا العرس من المؤلفين الاقدمين : الطبرى (٣ : ١٠٨١-١٠٨٤) ، الشافضى (الديارات ص ١٠١-١٠٢) ، الثعالبى (ثمار القلوب ص ١٣٠-١٣١) ، ابن خلكان (١ : ١٣٠-١٣٢) (م) •

فلما زارها^(١) ياقوت في المئة السابعة (الثالثة عشرة) وجد البلدة وما جاورها
من قرى على امتداد النهر خرابا الا قليلا^(٢) ومن بلدة فم الصلح كان المسجد
الجامع في واسط يرى في الأفق الجنوبي •

(١) لم نجد في وصف ياقوت لها انه قد زارها (م) •
(٢) اليعقوبي ٣٢١ ، قدامة ١٩٤ ، ابن رسته ١٨٧ ، ياقوت ٢ : ٩٠٣ ، ٣ : ٩١٧ ، ٤ : ٣٨١ •
المسعودي ٧ : ٦٥ •

الفصل الثالث

العراق

واسط - البطائح - المذار والقرنة - دجلة الموراء - البصرة وانهارها - الابلّة
وعبادان - دجلة فوق بغداد - البردان - طسوج دجيل -
عكبرا وحربى والقادسية •

سميت واسط واسطا ، لتوسطها بين الكوفة والبصرة والاهواز • فهى على
خمسین فرسخا من كل واحدة منها • وقد كانت اعظم مدن طسوج كسكر ، بل
كانت على ما ذكرنا احدى مدن العراق الكبرى الثلاث قبل بناء بغداد •
ابتنى الحجاج ، والي العراق المشهور فى أيام الخليفة عبد الملك الاموى ، مدينة
واسط فى نحو سنة ٨٤ (٧٠٣) • وكانت واسط على جانبى دجلة ، بينهما جسر
سفن • لها جامعان ، فى كل جانب جامع • وذكر اليعقوبى ان الجانب الشرقى من
واسط كان مدينة قبل زمن الحجاج • والغلبة على سكان هذا الجانب ، حتى المئة
الثالثة (التاسعة) ، للعجم • وبنى الحجاج فى المدينة الغربية القصر الاخضر ويقال
له القبة الخضراء ، وهو المشهور بقبته العظيمة فقد كانت ترى من اعلاها قم الصلح ،
وهى على سبعة فراسخ فى شمالها • كانت ارض واسط وفيرة الخصب • وبها قوام
مدينة السلام اذا استنت^(١) نواحيها أو عيئت^(٢) ، وكان خراجها فى العام ألف

(١) استنتت بمعنى أصابها الجذب والقحط ، وعيئت أصابتها عامة (م) •

(٢) صورة الارض لابن حوقل (١ : ٢٣٩ طبعة كريمز) (م) •

ألف درهم (٤٠ ألف دينار) على ما ذكر ابن حوقل . وقد كان في واسط سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م)^(١) . وروى المقدسي ، ان جامع الجانب الشرقي قد بناه الحجاج كذلك^(٢) وكانت أسواقها حسنة عامرة ، وقد جعل في طرفي الجسر موضعان تدخل فيهما السفن لتفريغ وسقها .

وبقيت واسط طوال عصور الخلافة من اشهر مدن العراق . ويظهر ان جانبها الشرقي كان اول ما انتابه الحراب منها . فالقزويني ، وكان قاضيا في واسط في النصف الاخير من المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، ذكر ان المدينة بمفردها في جانب دجلة الغربي . واشاد ابن بطوطة ، وكان فيها في اوائل المئة التالية ، بمبانيها الفخمة ، وقال ان فيها مدرسة عظيمة حافلة فيها نحو ثلاثمئة خلوة ينزلها القادمون للتعلم . ونوه المستوفي ، وهو ممن عاصر ابن بطوطة ، بما حولها من بساتين النخيل الكثيفة التي ترطب هواءها كثيرا . وفي نهاية المئة الثامنة للهجرة (الرابعة عشرة) ورد ذكر واسط غير مرة بكونها موضعا ذا شأن في حروب تيمور الذي أقام فيها حامية قوية . ولكن بعد ذلك بنحو قرن ، ابتعد مجرى دجلة عن واسط - على ما بنا في مطلع الفصل السابق - وتحول الى مجراه الشرقي المنحدر الى القرنة . فاستولى الحراب على سائر المدينة . فلما كتب الحاج خليفة في مطلع المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) ، قال انها بمفردها في وسط البرية وان النهر قد كان مشهورا بقصبه الذي تتخذ منه الاقلام^(٣) .

(١) ما في ابن حوقل (١ : ٢٣٩) ستة آلاف درهم (م) .
(٢) هذا ما قاله المقدسي بصدد الجامع : « واسط ٠٠٠٠ ذات جانبين وجامعين ٠٠٠٠ جامع الحجاج وقبته في الغرب في طرف الاسواق بعيد عن الشط متشعبت عامر بالقرآن » (احسن التقاسيم ص ١١٨) . ولم نقف في المقدسي على اشارة الى ان الحجاج قد بنى أيضا جامع الجانب الشرقي (م) .
(٣) اليعقوبي ٣٢٢ : ابن رسته ١٨٧ : الاصطخري ٨٢ : ابن حوقل ١٦٢ : المقدسي ١١٨ : القزويني ٢ : ٣٢٠ : ابن بطوطة ٢ : ٢ : المستوفي ١٤١ : علي اليزدي ١ : ٦٤٠ و ٦٥٧ : ٢ : ٥١٧ : جهان نما ٤٦٣ .

يظهر ان خرائب واسط لم يتفقدوا احد من الرحالة المحدثين . الا ان من كتب من الرحالة العرب عنها ، حدد موضع خرائبها في مكان على مقربة من شط الحى . وروى جسني في كتسابه : Chesney, Report of the Euphrates and Tigris Expedition. (Vol. I, p. 37). ان اورمسيبي واليوت زارا هذه الخرائب في سنة ١٨٣١ - ١٨٣٢ ، ولكنهما لم يشيرا الى موضعها . (انتهت حاشية المؤلف) .

قلنا : تعرف خرائب واسط اليوم بالمنارة أيضا لان منارة قديمة ما زالت قائمة في مسجد الجانب الشرقي منها . واطلال مدينة واسط واسعة فسيحة تمتد على جانبي عقيق دجلة القديم المعروف اليوم

وعلى ما ذكر ياقوت ، كان دجلة أسفل من واسط ، اذا انفصل عنها ، انقسم الى خمسة أنهر عظام تحمل السفن ، ذكرها باسمائها^(١) . ثم تصب في البطائح . وهذا القول يوافق ما ذكره المصنفون الاولون . فقد ذكر ابن سرايون ، جملة مدن على دجلة أسفل من واسط وفوق القطر ، وهي قم البطيحة في المئة الرابعة (العاشرة) . وأولى هذه المدن : الرصافة في الجانب الايسر على عشرة فراسخ من واسط . وبالقرب منها نهر يحمل من دجلة شرقا ويصب في البطيحة ، يقال له نهر بان . وفي مصبه بلدة بهذا الاسم . ويلفظ ايضا نهر أبان . واسفله : الفاروث ، فدير العمال . وهذه المواضع في الجانب الشرقي ، وبازائها ثلاثة أنهر تجرى غربا وتصب في البطائح ، هي اول نهر قرش وعليه قرية كبيرة بهذا الاسم ، فنهر السيب وعليه بلدتا الجوامد والعقر ، فنهر بردودي أوله عند قرية الشديدة . وكلها كانت مدنا ذات شأن في البطيحة حول الجامدة وقربها ، ويقال لها ايضا « الجوامد » (بصيغة الجمع) . والى ذلك فقد وصف المقدسى مدينة كبيرة في هذه البقعة تعرف بالصليق على بحيرة حولها ضياع ومزارع حسنة . وكان اتجاه هذه الأمكنة على الجانب الشرقي من دجلة : الحوانيت^(٢) وبها المأصر يشد جانبي دجلة كالمأصر الذي قد وصفناه في دير العاقول (ص ٥٤) . وكان هذا المأصر

بالدجيلية على نحو ٢٥ كيلومترا من جنوب شرقي الحى التي على نهر الغراف . وقد نقتب مديرية الآثار العراقية العامة في أطلال واسط منذ سنة ١٩٣٦ حتى ١٩٤٢ وكان مما عثر عليه في الجانب الغربي ، بقايا من جامع الحجاج ، وقصره الذى كانت ترى قبته الخضراء من قم الصلح ، أى من مسافة ٣٥ كيلومترا ، وثلاث طبقات بنائية لثلاثة جوامع أقيمت فوق جامع الحجاج بعد خرابه . وعثر بين انقاض الجامع على اسطوانة من الحجر مكتوبة ، جاء فيها « عملوها الواسطيون » (كذا) واكتشف على ضفتي النهر بقايا الجسر الذى كان يربط جانبيه واسط . وعثر في مكان آخر على مئات من دمي الطين ترقى الى العصر الايلخاني . وفي الجانب الشرقي من واسط كشفت عن بقايا جامع ما زال بابيه واحدى منارتيه وبعض جدرانها قائمة حتى اليوم . وعثر في مواضع منه على قبور فيها شواهد مؤرخة بسنوات من المئة السابعة للهجرة راجع : نشرة حفريات « واسط » لمديرية الآثار القديمة العامة في العراق ، بقلم فؤاد سفر (طبع المعهد الفرنسى بالقاهرة سنة ١٩٥٢) . (م) .

(١) اسماء هذه الانهار ، على ما في معجم البلدان (٢ : ٥٥٣) ، هي « نهر ساسى ، ونهر الغراف ، ونهر دقلة ، ونهر جعفر ، ونهر ميسان » (م) .

(٢) ترى بقايا مدينة الرصافة على نحو ٣٠ كيلومترا من شرق قلعة سكر على نهر الدجيلية المندرس . وتعرف بالرصافة . وترى بقايا مدينة الحوانيت على ٢٥ كيلومترا من جنوب شرقي الشطرة وتعرف بالحوانيت ايضا . انظر موضعيهما في « خارطة العراق الاثرية » لمديرية الآثار العراقية . (م) .

عند القطر على اثني عشر فرسخا أسفل الرصافة حيث كان دجلة في المئة الثالثة (التاسعة) ، على ما ذكر ابن رسته ، يشعب ثلاث شعب وينصب مأؤه في البطائح^(١) .
والبطائح جمع البطيحة وقد وصفناها في صفحة ٤٣ . والرقعة التي تبطلت فيها هذه البطائح ، تنتشر فيها المدن والقرى ، وكل واحدة منها تتوسد نهرها . ومع ان هواءها وخم ، فان تربتها كانت حين تجف غاية في الخصب . فابن رسته ، وقد كتب في نهاية المئة الثالثة (التاسعة) ، وصف البطائح بقوله ينبت فيها القصب ، ويخرج من هذه البطائح أنهار منها سمكهم من الطرى والمالح ، كان يحمل الى النواحي المجاورة . اما مياه دجلة فالظاهر انها من قطر فشرقاً - ولعلها كانت تتبع مجرى الفرات الحالى بوجه التقريب - تشق طريقها بين احوار متصلة الى نهر ابي الاسد ، وتنصب مياه البطائح من هذا النهر الى فيض البصرة . والبطائح ان خلت من القصب ، سماها العرب الهور أو الهول . ويصل فيما بينها أزقة تسير فيها الزواريق . اما السفن النهرية الكبيرة فانها تجنح أسفل القطر على ما جاء فى ابن رسته : « ويحمل بعض ما فيها فى الزواريق فتتمر فى شبه أزقة قصب تصل ما بين الاهوار . وبين هذه الازقة ، مواضع - متخذة من قصب - أشباه الدكاكين - عليها اكواخ من قصب يكتنون بها من البق » وفيها مسالحي يعمل رجالها على تطهير المجرى وحماية الملاحين ، لان فى البطائح مكامن طبيعية يخفى فيها اللصوص^(٢) .
وقد سرد ابن سراييون أسماء اربعة من هذه الاهوار التى تحمل الماء الى البصرة : الاول هور بحصى ، والثانى هور بكصى ، والثالث هور بصريانا ، والهور الرابع المحمدية وهو اعظم الاهوار ، وفيه كانت المنارة المسماة منارة حسان .

(١) ابن سراييون ٩ و ٢٠ : قدامة ١٩٤ : ابن رسته ١٨٤ و ١٨٥ : المقدسى ١١٩ : ياقوت ١٠ : ٥٥٣ : ٣ : ٢٠٩ و ٤١٥ و ٨٤٠ : ٤ : ٢١٧ و ٧٥٨ .

قلنا : وعن المآصر ، راجع : « المآصر فى بلاد الروم والاسلام » لميخائيل عواد (بغداد ١٩٤٨) .
(م)

(٢) لعل خير ما كتب عن منطقة البطائح (اى الاهوار) فى المراجع الحديثة ، مقالات الشيخ على الشرقى ، فى مجلة « لغة العرب » للأب انستاس الكرمل ٤ : [١٩٢٦] ٣٧٥ و ٤٧٤ و ٥٢٦ و ٥٧٥ : ٥ : [١٩٢٧] ١٤٣ و ٥٣٥ و ٦ : [١٩٢٨] ٢٧٥ . وكتب
Haji Rikkan Marsh Arab, by Fulanain (London, 1927).
و « فلانين » اسم مستعار اتخذ Hetchcock وكان من الموظفين الانكليز الذين اشتغلوا فى لواء العمارة . (م) .

وانما عرفت بذلك نسبة الى حسان النبطى الذى كان فى خدمة الحجاج عامل بني امية ، فاعاد بعض تلك الارضين الى عمارة • ويلي الهور الاخير زقاق قصب وهو مادّ الى نهر ابى الاسد ، ويمرّ النهر بالحالة وقرية الكوانين ، وهو يحمل ماء البطيحة الى رأس فيض دجلة • وابو الاسد هذا ، ونهره يتفق هو ومجرى الفرات الحالى فوق القرنة ، كان من موالى الخليفة المنصور • وحين كان قائدا للجيش فى البصرة ، حفر بها النهر على ما ذكر ياقوت ، وقيل ان السفن لم تدخله لضيقه ، فوسعه حتى دخلته فنسب اليه • وكان على ما ذكر ياقوت ، محفورا قبله منذ ايام الساسانيين • اما القرنة ، وهى حيث يقترن اليوم الفرات بدجلة ، فلم يذكرها احد من البلدانين العرب^(١) • واول اشارة الى قلعة القرنة ، وردت فى جهان نما التركية فى مطلع المثة الحادية عشرة (السابعة عشرة) •

وكان القسم الاسفل من مجرى دجلة الشرقى - وهو دجلة الزمن الساسانى وزمننا ايضا - فى العصور الوسطى ، على ما قد ذكرنا ، تصعد اليه المياه المرتدة وقد سكر فى نهايته الشمالية • وكانت هذه المياه المرتدة تسمى نهر المذار • وكان طوله ستة فراسخ ويؤدى الى مدينتى عبدسى (أو عبداسى) والمذار اللتين لا يعرف موضعهما الصحيح • وكان ما يحف بجانيه من اراض - أعنى بامتداد عقيق دجلة الشرقى حينذاك - يعرف بجوخى ، وهى تمتد الى الشمال الغربى حتى كسكر ، كورة واسط • وكانت المذار فى ايام الفتح الاسلامى بلدة جليلة ، وهى قصبة ميسان وعرفت ايضا بدستميسان • وبينهما وبين البصرة اربعة ايام ، وبها مشهد عامر عظيم فيه ضريح عبد الله بن علي بن أبي طالب . اما مدينة عبدسى ، القرية منها فانها على ما ذكر ياقوت ، فارسية الأصل ، واسمها تعريب افداسهى اسمها القديم ، وكانت مصنعة فى كورة كسكر قبل الفتح • وكانت كسكر وميسان كورتى القسم الشرقى من البطائح • وعلى ما ذكر القزوينى ، كان يجلب من كسكر الرز الجيد ، وتربى فى مراعيها الجواميس والبقر والجداء • وتكثر فى احوار القصب : البطوط والفراريج التى تصاد بالشباك وتحمل الى اسواق المدن المجاورة • وكان يصاد فى انهارها كثير من الشبوط فيملح ويحمل الى غيرها • وفى ميسان مشهد العزيز

(١) راجع ما كتبناه عن القرنة فى مجلة « سومر » ٨ : [١٩٥٢] ص (٢٧١ - ٢٧٢) • (م) •

النبي^(١) ويسمى عزرا • وقد ذكر القزويني انه « معمور يقوم بخدمته اليهود ، وعليه وقوف وتأثيه الذور » فقد كان مشهورا في تلك الانحاء ان الصلاة فيه مقبولة مستجابة^(٢) •

والفيض العريض المتكون من اقتران مياه دجلة والفرات ، يبلغ مئة ميل طولا ، وهو يبدأ من فم نهر ابى الاسد ويصب في خليج فارس عند عبادان • وقد عرف هذا الفيض ايضا بدجلة العوراء وبفيض البصرة • وسماء الفرس بهمن شير وهو يعرف اليوم بشط العرب • ويدركه المد والجزر من خليج فارس حتى رأسه عند المذار وعبدسى شمالا • ويدرك المد انهار البصرة العديدة وانهار الرى في شرق الفيض وفي غربه ثم يجزر منها • وتقع البصرة ، ثغر العراق التجارى الكبير ، على طفّ البادية على بعد قليل من غرب الفيض • وكانت السفن تبلغه من البصرة بنهرين • وفي شمال البصرة وجنوبها انهار كثيرة تحمل مياه البطائح السفلى الى دجلة العوراء • وكان يصب في الجانب الشرقى من الفيض انهار اخرى كثيرة • هذا الى نهر محفور يقال له نهر بيان على نحو من ثلاثين ميلا فوق عبادان ، يصل فيض دجلة بفيض دجيل (نهر كارون) ، ودجيل ينحدر من اقليم خوزستان ويصب في خليج فارس عند سليمانان^(٣) •

والبصرة - وقد اشتق اسمها من الحجارة السود^(٤) - أنشئت في أيام عمر في سنة ١٧ (٦٣٨) ، وأقطع سوادها القبائل العربية التي نزلت فيها بعد تقويض الدولة الساسانية • وسرعان ما اتسعت هذه المدينة فاذا هي والكوفة تصبحان من عواصم العراق الجديدة • وفي سنة ٣٦ (٦٥٦) ، جرت قرب البصرة وقعة الجمل

(١) ما زال مشهد الامام عبدالله بن على ، قائما في هذه البقعة • وهو يزار • وبالقرب منه تلؤل يقال لها (البهجة) ترقى آثارها الى العصرين الساسانى والاسلامى ويظن انها تمثل مدينة (المذار) القديمة • اما قبر العزيز فما زال قائما في موضعه القديم (م) •

(٢) ابن رسته ٩٤ و ١٨٥ ؛ ابن سراييون ٢٨ ؛ قدامة ٢٤٠ ؛ البلاذرى ٢٩٣ و ٣٤٢ ؛ القزوينى ٢٩٩ و ٣١٠ ؛ ياقوت ١ ؛ ٦٦٩ ؛ ٣ ؛ ٦٠٣ ؛ ٤ ؛ ٤٦٨ ؛ ٨٣٠ ؛ جهان نما ٤٥٥ •

(٣) ابن سراييون ٢٨ • تطلق لفظة « العوراء » على الانهار التى يطمرها الغرين ، وعلى الطرق التى لا تنفذ • ويبدو ان اسم دجلة العوراء أطلق أولا على نهر عبدسى ولم تتم أسفل النهر الا فى زمن متأخر • المسعودى : التنبيه ٥٢ ؛ ياقوت ١ ؛ ٧٧٠ ؛ جهان نما ٤٥٤ • وقد ذكر المرجع الاخير فيض دجلة باسم شط العرب •

(٤) راجع فى أصل اسم البصرة : المقدسى ص ١١٨ ؛ ياقوت ١ ؛ ٦٣٦ ؛ وسومر ٤ : [١٩٤٨] (ص ١٣٦ - ١٤١) • (م) •

المشهورة ومع ان الامام عليا قد تغلب على من سبب موت الخليفة عثمان ، فذلك لم يؤثر في مجرى الامور . وفي هذه الواقعة قتل طلحة والزبير الصحابيَّان المشهوران . والبصرة ، على نحو اثني عشر ميلا من فيض دجلة في خط مستقيم . وقد شق اليها من دجلة نهران : نهر معقل^(١) من الشمال الشرقي وتأتيه السفن النازلة من بغداد ، ونهر الأبلّة وتسير فيه السفن من البصرة نحو الجنوب الشرقي فتخرج الى خليج فارس عند عبادان . ويتألف مما توسط بين هذين النهرين وبين مياه الفيض في الشرق ، الجزيرة الكبرى ، على ما كانت تسمى به . وبلدة الأبلّة في الزاوية الجنوبية الشرقية لهذه الجزيرة ، فوق مصب نهر الأبلّة في الفيض . وكانت البصرة تقوم على امتداد النهر الموصل بين نهري معقل والأبلّة . وكانت دورها من ناحية البر غربا تطيف بها البادية بشكل قوس . وللبصرة في هذه الجهة باب يقال له باب البادية . وفي المئة الرابعة (العاشرة) كان امتدادها من النهر الى هذا الباب نحو ثلاثة أميال . أما طولها فيزيد على ذلك بكثير . وأكثر دورها بالأجر . وحول اسوارها ارض خصبة تسقيها انهار صغار كثيرة ، ويلها بساتين الثخيل الواسعة . وذكر المقدسي ان بالبصرة ثلاثة جوامع : احدها على الباب الغربي في وجه البادية وهو القديم ، وجامع ثان في الاسواق « بهي جليل عامر أهل ليس بالعراق مثله ، على أساطين مبيضة » . وجامع ثالث « على طرف البلدة » . وفي البصرة ثلاث اسواق فيها الدكاكين والحانات ، وهذه الاسواق كأسواق بغداد سعة . وكان الميربد من اشهر محالها في الباب الغربي ، وفيه تحط القوافل الآتية من البادية . وهو أكثر أقسام المدينة اكتظاظا^(٢) وبها قبر طلحة والزبير .

(١) قامت في عصرنا في تلك الجهة مبان واسعة كالمطار الجوي والميناء ومحطة القطار ودور الموظفين والعمال القائمين بشؤون هذه المصالح . وقد حرف الانكليز اسم « المعقل » حين احتلالهم البصرة في أول الحرب العالمية الاولى فنطقوا به « ماركيل » وجاراهم في ذلك من كان يشتغل عندهم ، فشاعت هذه التسمية المغلوطة فيها وقتنا ما . ثم رجع القوم اليوم الى استعمال الاسم الصحيح أي « المعقل » .

(م) .

(٢) كان الميربد قبل ان تخطط البصرة ، بل كان قبل الاسلام . واخباره في الجاهلية منقطعة أو معدومة مما يدل على قلة أهميته اذ ذاك . انما كانت له أهمية بعد فتح العرب العراق وسكنوه وخططوا البصرة . فقد أنشئت فيه المساكن بعد ان كان مريدا للابل فقط ، لان الميربد في اللغة كل شيء حبست فيه الابل والغنم . واتصلت العمارة بينه وبين البصرة . وصار الميربد في الاسلام صورة معدلة لمكاظ . كان سوقا للتجارة وكان سوقا للدعوات السياسية وكان سوقا للادب . فكان مجتمع العرب من

وكان كثير من محال البصرة حين كتب المقدسى قد آل الى الخراب^(١) . وذكر المقدسى فيما ذكر من دور العلم : دار كتب كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) ، انشأها ابن سوار ووقفها . وأنشأ أيضا دار كتب مثلها فى مدينة رامهرمز بخوزستان . « وأجرى فى الدارين على من قصدهما ولزم القراءة والنسخ » . وكانت دار الكتب فى البصرة حافلة بجمهرة كبيرة من الاسفار .

وقد عانت البصرة كثيرا من جراء الحروب والفتن المذكورة فى تاريخ الدولة العباسية . وفى سنة ٢٥٧ (٨٧١) حين كانت ثورة الزنج على أشدها ، خرب صاحب الزنج - وكان يدعى انه من سلالة الامام علي - البصرة وأحرق معظم أقسامها . وكان الجامع مما خرب . وانهب جنده المدينة ثلاثة أيام^(٢) . وفى سنة ٣١١ (٩٢٣) نهب زعيم القرامطة مدينة البصرة ، ودام النهب فى هذه المرة سبعة عشر يوما . ولكن المدينة استرجعت بعض روائها السابق . فلما زارها الرحالة الفارسى ناصر خسرو فى سنة ٤٤٣ (١٠٥٢) قال : بها خلق كثير ولها سور عظيم يحيط بها ، وكان معظم البصرة خرابا . وكان بيت الخليفة علي ، قرب المسجد الجامع . وكان فيها ثلاثة عشر مزارا تشير الى الاحداث المختلفة التى جرت حين مقام علي فيها . وسرد ناصر خسرو أيضا اسماء العشرين ناحية المحيطة بالمدينة . وفى سنة ٥١٧^(٣) (١١٢٣) استحدث القاضي عبد السلام سورا للمدينة كان يمتد نصف فرسخ فى داخل حدودها القديمة . وكانت البصرة فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) حين زارها ابن بطوطة بعد الفتح المغولى ، مدينة آهلة . وقد تكلم ابن بطوطة على مسجد علي بن ابي طالب فقال : انه « بناء عال مثل الحصن

الاقطار ، يتناشدون فيه الاشعار ويبيعون ويشتررون . راجع : فيض الخاطر لآحمد أمين (٤ : ٢٧٨ - ٢٨٧) . (م) .

(١) تعين قبر الزبير الآن ، الخرائب المعروفة بهذا الاسم ، وهى فى موضع البصرة القديمة . اما البصرة الحديثة فتقوم على فيض دجلة (أى شط العرب) وهى فى موضع الأبله عند نهر الأبله . قلنا : والزبير اليوم ، بلدة صغيرة عامرة ولها جامع فيه قبر الزبير . تقوم على جزء صغير من خرائب البصرة القديمة (م) .

(٢) من أحدث المراجع فى هذا الموضوع ، كتاب « ثورة الزنج » للدكتور فيصل السامر (م) . (٣) فى كتاب صورة الارض لابن حوقل (١ : ٢٣٧ طبعة كريمز) ان القاضي عبد السلام الجليل سور ما بقى من البصرة سنة ٥١٦ هـ . وهذا الكلام ليس لابن حوقل بل للمعلق المجهول على ابن حوقل ، وكان من أهل المئة السادسة (م) .

وله سبع صوامع وهم يصلون الجمعة فيه فلا يأتونه الا فى الجمعة * وبينه الآن وبين أحيائها العامرة ميلان وحوله الخرائب ، وكذلك بينه (أى بين الجامع) وبين السور الاول ميلان * وبالقرب من السور قبر طلحة^(١) وقبر الزبير * اما البلدة نفسها فلم يبق فيها غير ثلاثة أحياء أهلة * وسرد المستوفى ، وقد كتب فى ذلك الزمن نفسه ، اخبارا طويلة عن البصرة ، فذكر ان جامعها لم يجدده الا الخليفة علي ، وكان أعظم جامع فى الاسلام - ولم بين جامع أوسع منه - وعين علي قبله هذا الجامع فى اتجاهها الصحيح * وكان فيه منارة تتحرك أو تبقى ساكنة وفقا للقسم الذى يحلف به فى وجهها ان كان صدقا أو كذبا وهى كرامة تعزى الى الامام علي بن ابي طالب وكان رافعها * وللمستوفى كلام آخر فى مشاهد البصرة * وأطرى بساتينها الفن ونخلها الذى يحف بالمدينة حتى انه لالتفاف اشجارها لا يكاد يرى الرائي أبعد من مئة خطوة * وتمرها من أجود التمور وتجارتها رابحة فى الهند والصين *

واشتهرت البصرة فى كل الازمنة بانهارها * وقد عدت ، على ما ذكر ابن حوقل فى المئة الرابعة (العاشرة) ، فزادت على مئة الف نهر تجرى فى أكثرها الزواريق * ونهر معقل ، وقد بينا انه هو النهر الكبير الآتى من جهة بغداد ، حفره معقل بن يسار الصحابى فى أيام عمر * وهذا النهر ونهر الابلّة وهما يتدان من البصرة نحو الجنوب الشرقى ، كان طول كل منهما أربعة فراسخ * وكانت بساتين نهر الابلّة بامتداد الجانب الجنوبي للجزيرة الكبرى ، احدى جنان الدنيا الاربع^(٢) *

(١) يرى قبر طلحة فى خرائب البصرة القديمة فى جنوب شرقى المنارة الاثرية * عليه قبة معقودة مربعة الشكل * وهو يزار (م) *

(٢) والجنان الثلاث الأخرى المشهورة هى : غوطة دمشق ، وشعب بوان فى فارس وستصفه فى الفصل الثامن عشر ، ووادى الصفد بين سمرقند وبخارى وسيأتى ذكره فى الفصل الثالث والعشرين *

الاصطخرى ٨٠ ؛ ابن حوقل ١٥٩ و ١٦٠ والحاشية C ؛ المقدسى ١١٧ و ١٣٠ و ٤١٣ ؛ ناصر خسرو ٨٥ - ٨٩ ؛ ياقوت ١ : ٦٣٦ ؛ ٤ : ٨٤٥ ؛ ابن بطوطة ٢ : ٨ و ١٣ و ١٤ ؛ المستوفى ٣٧ *

قلنا : وراجع مما كتب حديثا عن البصرة : خطط البصرة للدكتور صالح أحمد العلى (سومر ٨ [١٩٥٢] ص ٧٢ - ٨٣) وكتابه « التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية فى البصرة فى القرن الاول للهجرة » (بغداد ١٩٥٣) (م) *

والأبلّة ، وهى تعريب اسمها اليونانى (Apologos) ، يرجع تاريخها الى العهد الساسانى بل الى أقدم من ذلك^(١) . وهى على الفيض ، ذات هواء حار . ولما ابتنى المسلمون البصرة مدينتهم الجديدة ، جعلوها فى الداخل عند طّف البداية . وكانت الابلّة على ما بينا ، عند فم نهر الأبلّة من قبل الشمال فى الجزيرة الكبرى وبازائها من نحو الجنوب البلدة المسماة شقّ عثمان (ويقال ان عثمان هذا حفيد سميّه الخليفة الثالث) وكانت فوق فم نهر الابلّة وتجاهه فى الجانب الشرقى من الفيض ، مرحلة ينزل فيها من يعبر دجلة ويريد خوزستان . وكان يقال لهذا الموضع عسكر ابي جعفر ، أى عسكر الخليفة المنصور . وكانت الابلّة فى المئة الرابعة (العاشرة) بلدة كبيرة ذات مسجد جامع . وكان شقّ عثمان مثل ذلك . وهما على ما روى المقدسى عامرتان . وذكر ناصر خسرو ، وقد زارها بعد ذلك بنصف قرن ، ان قصور هاتين المدينتين وأسواقهما وجامعتهما فى حال حسنة . ولكن المغول بعد ذلك بقرنين خربوا هذه الجهات . ولما كتب القزوينى فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) قال ان هذه المواضع قد آلت الى الخراب . وبقي شقّ عثمان مشهورا بسدرته العظيمة . وبعد ذلك بقرن وصف ابن بطوطة الأبلّة فقال هى الآن قرية . وقد نهضت فى العصر الحديث من حالتها هذه التى ألت بها حين قامت البصرة الحديثة فى موضعها القديم^(٢) .

« وكان على ركن الأبلّة فى دجلة بين يدي نهرها ، خور عظيم الخطر جسيم الضرر ، وكانت أكثر السفن تفرق فيه » . وعلى ما جاء فى ابن حوقل « احتالت له بعض نساء بنى العباس - ذكر بعضهم انها زبيدة - بمراكب أوسقتها بالحجارة العظام وبلّعتها ذلك المكان فابتلعها ، وقد توافت على مقدار فانسد المكان

(١) كان اسم الابلّة باسمها اليونانى Apologos . معروف فى المئة الرابعة قبل الميلاد . فقد ذكره نيارخس Nearchus البحار الاقريطشى وقد كان قائدا لاسطول الاسكندر الكبير . واشتهر برحلته البحرية التى طالت خمسة أشهر . وقال فيها ان هذه المدينة مستودع تجارات خليج فارس . واسم هذه المدينة ظهر فى الخارطة الثانية المرفقة برحلته المقابلة لصفحة ٢٨٥ منها . وعنوان الرحلة فى طبعتها الانكليزية :

The Voyage of Nearchus from the Indus to the Euphrates (ed. W. Vincent; London 1797). (م) .

(٢) خربت بلدة الأبلّة ولم يصل التحقيق الى اثبات انها البصرة الحديثة ومنها العشار . وأنظر سومر ٩ [١٩٥٣] (ص ١٦٢ - ١٦٦) . (الدكتور مصطفى جواد) .

وزال الضرر » • وذكر ابن سراييون الانهار التسعة وكلها يصب الى فيض البصرة في جانبه الغربى وهى : نهر معقل وثلاثة فوقه وأربعة جنوب البصرة بين نهر الابله وفم الفيض^(١) على ان أهم هذه الانهار هو نهر ابى الخصيب - وانما سمي بذلك نسبة الى مولى من موالى الخليفة المنصور - فقد بني عليه فى أواسط المئة الثالثة (التاسعة) ، حصن عظيم للثوار من الزنج • وهذه المدينة التى سماها الزنج « المختارة » كانت حصينة مكيئة فامتنعت زمناً طويلاً على جيوش الخليفة العباسى التى جردها عليها ولم يقض بعد ذلك على فتنة الزنج القضاء النهائى الا بعد حروب دامت خمس عشرة سنة^(٢) •

وكانت أهم الانهار فى شرقي فيض دجلة ، على ما ذكر ابن سراييون ، نهر الريان وعليه أو على مقربة منه مدينتا المفتح والدسكرة ولايعلم موضعهما الصحيح ، وان كانت الاولى ذات شأن بحيث غلب أسمها على الفيض فسمي دجلة المفتح • وأسفل هذا النهر ، نهر بيان وعند فمه بلدة بيان على خمسة فراسخ من الابله بازائها على الفيض • وفى موضعها اليوم ميناء المحمرة على نهر الحفار وهذا النهر يصل أعالى فيض دجلة بفيض دجيل (كارون) • قال المقدسى ، وقد كتب بعد ابن سراييون بثلاثة أرباع القرن ، ان هذا النهر ، وطوله أربعة فراسخ ، قد شقه عضد الدولة البويهى • وقبل ذلك بقرن ذكره قدامة باسم « النهر الجديد » وكانت تسير فيه السفن الآتية من البصرة الى الاهواز وكانت السفن قبل ان يشق النهر العضىدى (على ما سماه المقدسى) تذهب فى النهر الى البحر ثم تعود فتدخل من البحر الى فيض دجلة مارة ببيان الى الابله^(٣) •

والجزيرة الكبرى التى بين الفيضين (أى فيض دجلة ودجيل) ، سماها ياقوت ميان روزان (وهو فارسي معناه وسط الانهار) وقد وصفها المقدسى بانها

(١) هذه الانهار التسعة ، على ما فى ابن سراييون (ص ٢٩) ، هى : (١) نهر المرأة (٢) نهر الدير (٣) بنق شيرين (٤) نهر معقل (٥) نهر الابله (٦) نهر اليهودى (٧) نهر ابى الخصيب (٨) نهر الامير (٩) نهر القنديل (م) •
(٢) الاصطخرى ٨١ : البلاذرى ٣٦٢ ، ابن حوقل ١٦٠ و ١٦١ : المقدسى ١١٨ و ١٣٥ : ابن سراييون ٢٩ و ٣٠ : ناصر خسرو ٨٩ : القزوينى ٢ : ١٩٠ : ياقوت ٣ : ٦٧٥ : ابن بطوطة ٢ : ١٧ : الطبرى ٣ : ١٩٨٢ •
(٣) ابن سراييون ٣٠ : ابن خرداذبه ١٢ : قدامة ١٩٤ : الاصطخرى ٩٥ : ابن حوقل ١٧١ : المقدسى ٤١٩ : المسعودى : التنبيه ٥٢ ، ياقوت ٤ : ٥٨٦ •

سبخة فى زاوية منها على ساحل البحر مدينة عبادان ، وفى زاوية أخرى عند فيض دجيل سليمانان • وما زالت عبادان قائمة^(١) ولكنها الآن على فيض دجيل تبعد عن ساحل خليج فارس الحالى أكثر من عشرين ميلا ، اذ ان البحر قد انحسر الى هذا المدى بفعل دلتا النهر العظيم • ومع ذلك فالمقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) وصف عبادان بان ليس وراءها بلد ولا قرية غير البحر ، فيها صنّاع الحصر من الحلفاء التى تنبت فى الجزيرة وحولها مسالحي عظيمة لحراسة فم الفيض • وقال ناصر خسرو ، وقد حل فيها سنة ٤٣٨ (١٠٤٧) ، ان البحر فى زمنه كان يتعد عنها أقل من فرسخين فى اثناء الجزر • وقد أقاموا فيه ما عرف بالخشاب^(٢) وهو بمثابة منار • يتكون من أربعة أعمدة كبيرة من خشب الساج على هيئة المنجنيق وهو مربع قاعدته متسعة وقمته ضيقة ويرتفع عن سطح البحر أربعين ذراعا وعلى قمته حجارة وقرميد مقامة على عمد من خشب كأنها سقف ومن فوقها أربعة عقود يقف بها الحراس ••• فى الليل يشعلون سراجاً فى زجاجة بحيث لا تطفؤه الرياح وذلك حتى يراه الملاحون من بعيد فيحاطون وينجون • •^(٣) وكانت عبادان كثيرة الجوامع والرباطات ولكنها حين مر بها ابن بطوطة فى المثة الثامنة كانت قد صارت قرية كبيرة بينها وبين الساحل ثلاثة أميال • ومع ذلك فان المستوفى ، معاصر ابن بطوطة ، قال فى عبادان انها ميناء كبير وروى ان جبايتها بلغت اربعمئة وواحدة

(١) اشتهرت عبادان فى العصر الحديث بكونها تنتهى فيها أنابيب النفط الايرانى الممتدة من مسجد سليمان اليها مسافة ١٣٧ ميلا • وبعد ان كانت عبادان قرية أصبحت بلدة أهلة بسبب مصافى النفط المنشأة فيها • وصارت ميناء كبيرا تؤمه السفن ولاسيما حاملات النفط • (م) •
(٢) ان « الخشاب » تحريف « الخشب » فقد ذكرهما المسعودى فى المروج (١ : ٨٧) من الطبعة المصرية الجديدة بصورة « الخشب » وقال « وخبر الموضع المعروف الحدارة وهى دخلت من البحر الى البر من نحو بلاد الابل ، ولهذه الحدارة اتخذت الخشاب فى فم البحر مما يلى الابل وعبادان ، عليها أناس يوقدون النار بالليل على « خشبات » ثلاث كالكرسى فى جوف الليل خوفا على المراكب الواردة من عمان وسيراف وغيرهما ان تقع فى تلك الحدارة فلا يكون لها خلاص • وقال ابن سعيد المغربى فى جغرافيته « دار الكتب الوطنية ببائيس ٢٢٣٤ ورقة ٧٥ » فى وصفها « الخشب » وهى علامات فى البحر للمراكب وفى شرقى الخشب دجلة الاهواز • وقال ابن الوردى فى خريدة العجائب « ومن عبادان الى الخشب - وهى خشبات منصوبة فى قمر البحر باحكام وهندسة وعليها الواح مهندسة يجلس عليها احراس البحر • وجاء فى حوادث سنة ٦٤٤ من كتاب الحوادث الجامعة - ص ١٢ - « وفى هذه السنة وصلت الطيور الحمام من عبادان وخشب • وهذه نصوص لا تدع شكاً فى حدوث التصحيح فيما نقل منه المحقق لسترنج (الدكتور مصطفى جواد) •

(٣) سفرنامه لناصر خسرو الترجمة العربية ليحيى الخشاب ص ١٠٠ (م) •

واربعين ألف دينار بصرف زمنه تدفع الى بيت مال البصرة • وكانت ميناء سليمانان على بضعة فراسخ شرق عبادان ، وهي تعد في الغالب من أعمال خوزستان • وما نعرفه عنها ان مؤسسها رجل يقال له سليمان بن جابر الملقب بالزاهد (١) •

ولنعد الى سمت بغداد لنصف المدن التي على امتداد دجلة في شمال العاصمة حتى حدود العراق والمدن القريبة من ضفاف النهر وان • ولقد تكلمنا قبلا (انظر الصفحة ٥٠) على الطريق العام من بغداد الى الموصل والمدن الشمالية التي على دجلة الشرقية أي اليسرى • فهذا الطريق كان يبدأ في شرقي بغداد من باب البردان بمحلة الشماسية • وبعد نحو أربعة فراسخ يبلغ بلدية البردان وهي ما زالت قائمة باسم تحرف الى بدران (٢) • وعند البردان قريتان أخريان جليلتا الشأن هما بزوغى والمزرفه • والمزرفه على ثلاثة فراسخ فوق بغداد (٣) • ويلتقى نهر الخالص ودجلة عند الراشدية قرب البردان ، على ما سيأتى بيانه ، وينتهى فوق ملتقاه منعطف دجلة الكبير المتجه شرقا وهو المنعطف الذى يبدأ من القادسية على ستين ميلا شمال بغداد • وقد كان مجرى النهر فى القرون الوسطى يتابع فى الغالب خطأ مستقيماً الى القادسية الى البردان • واطلال ما كان على شرقي عقيقه

(١) البلاذرى ٣٦٤ ؛ الاصطخرى ٩٠ ؛ ابن حوقل ١٧٣ ؛ المقدسى ١١٨ ؛ القزوينى ٢ : ٢٨٠ ؛ ناصر خسرو ٨٩ و ٩٠ ؛ ياقوت ٤ : ٧٠٨ ؛ ابن بطوطة ٢ : ١٨ ؛ المستوفى ١٣٧ ؛ المسعودى ١ : ٢٣٠ •

وأشار ياقوت (١ : ٦٤٥) الى ان من اصطلاح أهل البصرة ان يزدوا فى اسم الرجل الذى تنسب اليه القرية الفا ونونا ، نحو قولهم طلحان « نهر نسب الى طلحة » • وهذا يفسر صيغة اسم سليمانان وعبادان وهذه الأخيرة تنسب الى عباد •

وقد ابتعد الساحل من قم فيض دجلة بمعدل نحو ٧٢ قدما فى السنة أو نحو ميل ونصف ميل فى القرن • وهذا هو السبب فى ابتعاد عبادان الآن عن النهر •

قلنا : هناك نظرية جديدة فى هذا الموضوع ، قامت على نتائج التحريات الجيولوجية التى أجرتها شركات النفط فى جنوبى العراق وخوزستان بإيران • ويحسن بالقارىء مراجعة ما كتبه G. M. Lees و N. L. Falcon فى المجلة الجغرافية (The Geographical Journal, Vol. 118, Part 1; March, 1952, pp. 24 ff). Geographical History of the Mesopotamian Plains. وعنوان البحث :

(٢) يبعد تل بدران عن الضفة الشرقية لدجلة الحالى نحو ستة كيلومترات وهو فى شرق قرية الداودية التى على النهر • ويبعد عن شمال بغداد نحو ١٨ كيلومترا (م) •

(٣) فى الجانب الغربى من دجلة ، شمال غربى محطة التاجى ، أراض تعرف اليوم بالمزرفه فى ناحية الطارمية • وهى تقابل تل بدران الذى فى الجانب الشرقى • وقد وهم المؤلف فى قوله ان بزوغى والمزرفه فى الجانب الشرقى (م) •

من مدن قد أُشير إليها في الخارطة ، وذكرها ابن سراييون وغيره من المصنفين الأولين .

والظاهر ان مجرى دجلة قد تحول هنا غير مرة ، فالمجرى الحالي (الشرقي) لدجلة سماه مؤلف المراسد ، وقد كتب كتابه في نحو سنة ٧٠٠ (١٣٠٠) ، الشطيطة^(١) ومن أعظم التبدلات في مجراه ، ما حصل أيام الخليفة المستنصر ، أعني بين سنتي ٦٢٣ و ٦٤٠ (١٢٢٦ - ١٢٤٢) فقد روت الأخبار ان الخليفة شق كثيرا من الانهار لسقي ما أجذب من أراض بتحول المجرى الاصلى عنها . وقد تكلم المسعودى منذ أوائل المئة الرابعة (العاشرة) على تسوية شرعية لمطالبات بالاراضى بين أهل الجانب الغربى والجانب الشرقى فوق بغداد ، نشأت من هذا التحول الأخير لمجرى دجلة . فما كان من مدن فى الجانب الشرقى (وترى اطلالها الآن على عقيق دجلة وهو يبعد كثيرا عن غرب المجرى الحالى) : عكبرا وهى أشهرها ويجاورها أوانا ويلها بانحدار النهر بصرى . وهذه المدن الثلاث على نحو عشرة فراسخ من بغداد . وكانت تكتنفها البساتين التى يقصدها أصحاب اللهو والطرب . وقد أطرى المقدسى أعقاب عكبرا بوجه خاص وقال انها مدينة كبيرة عامرة . وفوق عكبرا بشىء يسير ، بلدة علت أو العلت وما زالت تعين فى خوارطنا ولكن فى الجانب الغربى . ووصفها المقدسى بقوله انها مدينة كبيرة آهلة على نهر "ميجر" إليها من دجلة . وفى شمال غربى العلت حيث ينعطف النهر اليوم الى ناحية الشرق انعطافه العظيم : قادسية دجلة ، فلا يخلطن بين هذه القادسية وقادسية الفرات التى كانت فى غرب هذا النهر^(٢) . وكانت قادسية دجلة مشهورة بعمل

(١) الذى يفهم من كلام المراسد ، وهو المصدر الوحيد ، فى مادة « عكبرا » و « العلت » و « صريفون » ، ان الصواب هو العكس ، أى ان المجرى العتيق (الغربى) هو الذى كان يسمى الشطيطة (الدكتور مصطفى جواد) .

(٢) يقوم سور القادسية فى جنوب اطلال سامراء بين الضفة اليمنى لنهر القائم المندرس وضفة دجلة اليسرى . وهو سور مثنى من اللبن طول كل ضلع من اضلاعه ٦٢٠ مترا تدعّمه من الخارج ١٧ دعامة نصف دائرية وفى كل ركن من اركان السور برج مدور كبير قطره نحو ٨ أمتار . وتُخَن السور أربعة أمتار وعلوه نحو خمسة أمتار . وتبلغ مساحة الارض التى يكتنفها السور نحو ٧٤٥ دونما (الدونم = ٢٥٠٠ متر مربع) . فى هذا السور فتحات تدل على انها كانت أبوابا له . والسور من الداخل مؤلف من أروقة كل رواق بين دعامتين من دعائمه وبعض هذه الاروقة اتخذ حجرات . وتشاهد فى داخل القادسية ، فى وسطها ، معالم ابنية من اللبن . وقد جرى بالماء الى القادسية من النهر الماء من القاطول الكسروى الى نهر القائم ، ثم يعبره فوق قنطرة من الحجر قد

الزجاج^(١) • وبازائها يأخذ نهر دجيل من دجلة ماداً صوب الجنوب^(٢) • ونهر دجيل (وهو غير نهر دجيل المعروف بنهر كارون) ، كان في أصله ، على ما سنبينه في الفصل الآتي ، يحمل من الفرات الى دجلة • غير انه في مطلع المئة الرابعة (العاشرة) انطمر قسمه الغربى وبقي الماء في مجراه الاسفل وهو قسمه الشرقى ، بشق نهر جديد يأخذ من دجلة أسفل القادسية • وكان دجيل يسقى طسوج مسكن الخصب في شمال بغداد الغربية مما يلى طسوج قطربل • فنهـر دجيل الأخير هذا ، على ذلك ، كان يأخذ من دجلة ثم يصب فيه بازاء عكبرا ويتفرع منه أنهار كثيرة ، منها ما يمد الى الجنوب فيسقى الحربية الرض الشمالى الكبير فى بغداد الغربية (أنظر ص ٤٩) • وكان فى طسوج دجيل ، ويسمى أيضا مسكن ، كثير من القرى والمدن فى غرب عكبرا ودجلة وأهمها : حربى وقد زارها ابن جبير فى سنة ٥٨٠ (١١٨٤) وكانت حينذاك قائمة • وفى هذا الموضع اليوم بقايا قنطرة كبيرة فوق النهر شيدها ، على ما جاء فى (الفخرى) ، الخليفة المستنصر بالله فى سنة ٦٢٩ (١٢٣٢) وهو ما تؤيده الكتابة التى ما زالت فيها^(٣) •

اندرست • وعند وصول النهر الى سور القادسية يدخلها من أحد أبوابها ويتفرع فى داخلها راجع : « سامراء » لدار الآثار العراقية (ص ٧٢) ؛ سومر (٣ : ١٦٧) ؛ رى سامراء ١ : ٢٤٨ • (م) •

(١) يلاحظ الآن فى شرقى سور القادسية خرائب عباسية قرب ضفة دجلة تكثر فوق سطحها كتل من الزجاج المنصهر وكسر كثيرة من الأواني الزجاج • وقد نقبت دائرة الآثار العراقية هذا الموضع سنة ١٩٤٠ وعثرت فيه على مقادير كبيرة من هذه المواد الزجاجية وعلى بقايا أبنية وأكوام من رمال • (م) •

(٢) قدامة ٢١٤ : المقدسى ١٢٢ و ١٢٣ ؛ المسعودى ١ : ٢٢٣ ؛ ياقوت ١ : ٣٩٥ و ٥٥٢ و ٦٠٦ و ٦٥٤ ؛ ٣ : ٧٠٥ ؛ ٤ : ٩ و ٥٢٠ ؛ المراصد ٢ : ٢٧٠ و ٤٢٩ •

(٣) فى أعلى جبهتى هذه القنطرة كتابة منقوشة بالآجر وهذا نص كتابة الجبهة الغربية : « بسم الله الرحمن الرحيم واقبموا الصلوة وآتوا الزكوة واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم • الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا • أمر بإنشاء هذه القنطرة المباركة تقربا الى الله تعالى الذى لا يضيع أجر من أحسن عملا وطلبا للفوز بجنت الفردوس التى أوعدها للذين آمنوا وعملوا الصالحات نزلا ، سيدنا ومولانا الامام امام المسلمين ووارث الانبياء والمرسلين وخليفة رب العالمين وحجته على الخلائق أجمعين » •

ونص الجبهة الشرقية :

« الذى أيد الله تعالى بأعزاز نصره الدين وافترض طاعته على الحاضرين والبادين (واختصه من جليل بما) يعجز عنه حصر العاديين أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين مكن الله له فى أرضه

وقرب حربى كانت الحظيرة « ينسج فيها الثياب الكرباس الصفيق ويحملها التجار الى البلاد » . وسرد ياقوت ، الى ذلك ، أسماء قرى كثيرة وهى مئة قرية ونيف كانت فى هذا الطسوج ، وما زال كثير منها يرى فى الخارطة كـ « بلد » قرب الحظيرة . وظل طسوج دجيل ومدينته حربى حتى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فى غاية الخصب على ما وصفه به المستوفى . وكان رمانه أجود ما يرى فى أسواق بغداد .

وكان فى هذا الطسوج مدن كثيرة غيرها . فعلى عشرة أميال فوق القادسية مدينة سامراء وسيأتى وصفها فى الفصل الآتى . وتتوسط المسافة بينهما : المطيرة وهى فوق موضع تفرع ثلاثة أنهار صغيرة من يسار (شرق) دجلة . وفى منتصف الطريق بين المطيرة والقادسية وأسفل صدور هذه الأنهر يقوم بركوار ويقال له أيضا بلكوار وبزكوار . وقرية المطيرة على ما جاء فى ياقوت « نسبت الى مطر الشيباني ، وكان يرى رأى الخوارج ، وانما هى المطرية فغيرت وقيل المطيرة » ^(١) . وكان أيضا على عشرة أميال شمال سامراء ، كرخ فيروز ويقال له أيضا كرخ سامراء تميزا له عن الكرخ ، المحلة الجنوبية فى الجانب الغربى من بغداد . ثم الى شماله « الدور » وبالقرب منها يحمل النهر وان ^(٢) من يسار دجلة . وبازائها يأخذ

تمكين الوارثين ورفع مقدس أعماله الصالحات الى عليين ونشر بعدائه الزاهرة فى آفاق الارضين وأوضح للخلائق بولاية سبيل الرشاد ومنهج الحق المبين ابن الامام السعيد البر التقي ابى نصر محمد الطاهر بأمر الله بن الامام السعيد الزكى الطاهر الوفى ابى العباس الناصر لدين الله بن الامام السعيد الزكى ابى الحسن مجيد (كذا . والصواب ابى محمد الحسن) المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين ووارث الخلفاء الراشدين الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وذلك فى سنة تسع وعشرين وستمئة وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله الطاهرين وسلامه . (م) .

(١) البيهقي ٢٦٥ : ابن سرائيون ١٤ : ابن جبير ٢٢٣ : ياقوت ١ : ١٧٨ و ٦٠٥ : ٢ : ٢٣٥ و ٢٩٢ و ٥٥٥ : ٤ : ٥٢٩ و ٥٦٨ : المستوفى ١٣٨ : الفخرى ٣٨٠ : وفى كتاب جيمس فلكنس جونس

J. F. Jones, Records of the Bombay Government (New Series No. XLIII, 1857, P. 252).

صورة لقنطرة حربى . وفى ص ٤٧ منه كتب اسم بركوارا بصورة بزكوارا . قلنا : لمديرية الآثار القديمة فى العراق نشرة مصورة بالبرية والانكليزية عنوانها « جسر حربى » صدرت سنة ١٩٣٥ وفيها نص الكتابة على قنطرة حربى مع صور لها . (م) .

(٢) يريد به القاطول الكسروى (م) .

من ضفة دجلة الغربية ، أي اليمنى ، نهر الاسحاقى وهو نهر يأخذ من دجلة ثم يعود اليه ثانية بازاء المطيرة • ومواقع هذه الأمكنة جميعا تعينها الانهار وهى وان كان بعضها خرائب ، الا انها ما زالت موجودة ، ولكن علمنا بها لا يتجاوز اسماءها •

الفصل الرابع

العراق «تمة»

سامراء - تكريت - النهروان - باعقوبا وغيرها من المدن - مدينة
جسر النهروان وطريق خراسان - جلولا وخانقين - البندنجين
وبيات - مدن الفرات من الحديثة الى الانبار - نهر
عيسى - المحول وصرصر ونهر الملك -
نهر كوثى

كانت مدينة سامراء التي اتخذها سبعة من خلفاء بنى العباس عاصمة لهم مدى نصف قرن ونيف ، أي من سنة ٢٢١ الى ٢٧٩ هـ (٨٣٦ - ٨٩٢) ، معروفة قبل الفتح العربى ، ثم بقيت بعد ان تهاوت من ذروة عزها الذى لم يدم كثيرا مدينة ذات شأن ردحا طويلا من الزمن . واسمها بالارامية سامرا ، فأمر الخليفة المعتصم ، حين أقام فيها ، ان تسمى سر من رأى . وبهذه الصيغة الاخيرة وجد اسمها فى النقود العباسية المضروبة فيها . وكانت التسمية مع ذلك تلفظ بصور مختلفة ، ذكر ابن خلكان ستاً منها أشهرها « سامراء » وهو الاسم الذى اختاره ياقوت عنوانا لبحثه عن هذه المدينة (١) .

(١) اثبتت التنقيبات الاثرية فى اطلال سامراء ، ان موضع سامراء ، كان أهلا منذ ادوار ما قبل التاريخ . فقد اكتشف فيها البروفسور هرتسفيلد المنقب الالماني ، مقبرة من تلك الادوار بين بقايا العصر العباسي والسن الصخرى الذى بنيت عليه المدينة العباسية على نحو ميل واحد من جنوب دار الخليفة . وقد عثر فيها على ضرب من الفخار المصبوغ أطلق عليه اسم فخار سامراء ، وهو يمثل دورا من ادوار ما قبل التاريخ فى العراق سمي بـ « دور ثقافة سامراء » نسبة الى الموضع الاثرى الذى اكتشف فيه هذا الفخار لأول مرة . كما عثرت مديرية الآثار العراقية على موضعين آخرين فى

وانتهى الينا من اليعقوبى ، وقد كتب فى آخر المئة الثالثة (التاسعة) ، حديث طويل مفصل لسامراء وقصورها . فالخلفاء السبعة الذين أقاموا فيها ، وكانوا فى الغالب أسرى جندهم من الترك ، قد شغلوا وقت فراغهم المفروض عليهم فرضاً ، بالبناء وتنظيم الأحياء وميادين اللعب . قامت المدينة نفسها على ضفة دجلة الشرقية فامتدت قصورها سبعة فراسخ بمحاذاة النهر وقام فى الجانب الغربى كثير من القصور وأنفق الخلفاء ، الواحد تلو الآخر أموالاً طائلة لا يكاد العقل يصدقها ، على إنشاء ميادين جديدة للصيد واللعب ، وكانت الأرض التى بنى عليها الخليفة المعتصم (وهو أصغر أبناء هرون الرشيد) أول قصر له حين قدم الى سامراء فى سنة ٢٢١ (٨٣٦) ، ديرا للنصارى اشتراه من أصحابه بأربعة آلاف دينار^(١) (٢٠٠٠ باون) وكانت أرضه تعرف بالطيرهان . وأقطع جنده الاتراك قطائع فى الكرخ وما فوقها حتى الدور ، وقطائع أخرى فى جنوبى سامراء فى جهة المطيرة . وبنى الخليفة أول مسجد جامع قرب ضفة دجلة الشرقية . وخط قصره . وكتب فى اشخاص الفعلة والبنائين وأهل المهن من سائر أنحاء الدولة ، وفى حمل الساج وسائر الخشب والجذوع من البصرة ، وفرش الرخام من انطاكية واللاذقية . واخط الشارع المسمى بالشارع الاعظم ، بموازاة دجلة . وقامت على يمين الشارع ويساره القصور الجديدة والقطائع . وكان الشارع الاعظم ممتدا من المطيرة الى الكرخ وفى جانبيه دروب وأسواق . وانشأ أيضاً بيت المال الجديد

سامراء يرتقيان الى هذا الزمن ، أحدهما فى شمال المقبرة المارة الذكر والآخر فى جنوبى سامراء على ضفة دجلة شمال صدر القائم يسمى « تل صوان » . وقد جاء اسم هذا الموضع فى الكتابات الآشورية بصورة « سمرارتا » Su-ur-mar-ta وكان لهذا الوطن فى أيام الفرس شأن كبير ولا سيما فى حروبهم مع الرومان ولقرية من القاطول الكسروى . ثم ازدهر هذا الموضع حين انتقل اليه المعتصم وأقام فيه مدينته .

راجع « سامراء » لدار الآثار العراقية ؛ وكتاب هرتسفلد :

Geschichte der Stadt Samarra- P. 1-3.

اما ما قاله ابن خلكان فى اسماء سامراء فهو : « سر من رأى فيها ست لغات ، حكاهما الجوهري فى كتاب الصحاح ، فى فصل رأى ، وهى (سر من رأى) بضم السين المهملة وفتحها و (سر من رأى) بضم السين وفتحها وتقديم الالف على الهمزة فى اللغتين و (ساء من رأى) و (سامراء) . واستعمله البحرى ممدوداً فى قوله (ونصبته علماً لسامراء) « وفيات الاعيان ١ : ١٠ بولاق : فى ترجمة ابراهيم بن المهدي (م) » .

(١) هذا المبلغ يوافق ما ذكره اليعقوبى فى البلدان (ص ٢٥٨) . اما ياقوت (معجم البلدان ٣ :

١٦) فقال ان المعتصم دفع خمسة آلاف دينار . (م) .

ودواوين الدولة ودار العامة التى يجلس فيها الخليفة يوم الاثنين والخميس •
ولما فرغ المعتصم من الخطط ووضع الاساس للبناء فى جانب سامراء ، عقد
جسرا الى الجانب الغربى من دجلة • فأنشأ هناك البساتين والأجنّة وحمل النخل
اليها من البصرة وحملت الغروس من الشام وخراسان وسائر الاقاليم • وكان
يسقى الجانب الغربى أنهار تحمل من الاسحاقى ، وقد مر ذكره ، حفره اسحق
بن ابراهيم صاحب شرطة المعتصم • فهذه كانت الارض المسماة بالطيرهان ، وفيها
قال اليعقوبى ان سامراء صحراء من أرض الطيرهان • ولما توفى المعتصم فى سنة
٢٢٧ (٨٤٢) كانت سامراء قد أخذت تنافس بغداد فى فخامة قصورها وجمال
مبانيها • واكمل ابنه الواثق والمتوكل اللذان تعاقبا على الخلافة من بعده ، ما بدأ
به أبوهما • فقد بنى هرون الواثق القصر المعروف بالهارونى ، نسبة اليه ، على
دجلة وجعل فيه مجالس فى دكة شرقية ودكة غربية • وحفر الواثق فرضة من
النهر تصلح لدخول السفن التى تردّها من بغداد • وخلفه أخوه جعفر المتوكل
على الله فى سنة ٢٣٢ (٨٤٧) فنزل الهارونى أولاً ، الا انه فى سنة ٢٤٥ (٨٥٩)
ابتدأ ببناء قصر جديد له على ثلاثة فراسخ شمال الكرخ ، ومدّ الشارع الاعظم ،
وعرف قصره والمدينة الجديدة التى قامت حوله بالمتوكلية أو القصر الجعفرى ،
وما زالت أطلال القصر الجعفرى فى الزاوية التى يؤلفها تفرّع النهر وان هناك ،
واندمجت به الماحوزة وهى المدينة القديمة •

وبنى المتوكل أيضا جامعا جديدا واسعا فى مكان الجامع الذى بناه أبوه ،
اذ ضاق على أهل العاصمة الجديدة • وامتدت القصور والبساتين من المطيرة الى
الدور واتصلت • وفى سنة ٢٤٧ (٨٦١) قتل المنتصر أباه المتوكل فى قصره
المعروف بالجعفرى فى المتوكلية • وأقام الخلفاء الاربعة الذين أعقبوه فى ذلك
العهد المضطرب ، فى قصر الجوسق فى غربى دجلة قبالة سامراء ، وهو من أبنية
المعتصم • وقد أقام المعتمد بن المتوكل وآخر الخلفاء ، فى سامراء فى الجوسق
أولاً ، ثم ابنتى له قصرا جديدا فى الجانب الشرقى وهو القصر المعروف
بالمعشوق (١) •

(١) المعروف ان قصر « الجوسق » فى سر من رأى فى جانبها الشرقى ولعله كان حيث بلدة

ومن هذا القصر انتقل مركز الدولة الى بغداد قبيل وفاة المعتمد في سنة ٢٧٩ (٨٩٢) * وقد نوهت مراجعنا باسماء كثير من القصور الأخرى * فذكر ابن سراييون قصر الجص المشهور وهو من أبنية المعتصم على الاسحاقى (١) * وسرد ياقوت أسماء جملة كبيرة من القصور ، وزاد على غيره مبنياً ما أنفقه الخلفاء عليها من أموال خيالية * فكان مجموع تلك النفقات مئتي مليون وأربعة ملايين درهم أى ما يعادل نحواً من ثمانية ملايين باون استرلينى *

وكان طبعياً ان يزول عز سامراء ويضيع مجدها بعودة الخلفاء منها الى بغداد وان تؤول قصورها الكثيرة الى الخراب (٢) * ولقد أطنب ابن حوقل ، وهو من أهل المئة الرابعة (العاشرة) ، فى وصف بساتينها الزاهرة العامرة لاسيما ما كان منها فى الجانب الغربى * ولكن المقدسى قال ان الكرخ فى الشمال أصبح فى أيامه أعمر منها (أى من سامراء) وكان المسجد الجامع فى سامراء ما زال قائماً ، قال فيه المقدسى : « بها جامع كبير يختار على جامع دمشق قد لبست حيطانه بالميناء وجعلت فيه اساطين الرخام وفرش به ، وله منارة طويلة » * وقال ياقوت : انها منارة الجامع الاول الذى بناه المعتصم فقد « أمر برفع منارة لتعلو أصوات المؤذنين فيها » * وكانت هذه المنارة تشاهد من مسافة فرسخ من كل جهة (٣) *

سامراء الحالية * اما المشوق ويسمى اليوم قصر العاشق فهو فى الجانب الغربى * راجع معجم البلدان (مادة المشوق ٤ : ٥٧٦) ولعل ما فى اليعقوبى (ص ٢٦٨) من وهم الناسخ * وما زالت اطلال العاشق شاخصة (م) *

(١) اكتشفت دائرة الآثار العراقية موزعاً من العصر العباسى قرب حافة نهر الاسحاقى المدرس فى غربى دجلة على ١٧ كيلومتراً شمال محطة قطار سامراء يعرف اليوم بالحويصلات * وقد تبين من نتائج تنقيباتها فيه ومقارنتها بأقوال البلدانيين الاقدمين فى قصر الجص ، ان موضع الحويصلات هو قصر الجص نفسه (م) *

(٢) أقام فى سامراء بعد المعتصم سبعة خلفاء هم : الواثق ، المتوكل ، المنتصر ، المستعين ، المعتز ، المهتدى وآخرهم المعتمد الذى هجر سامراء وعاد الى بغداد سنة ٢٧٩ (٨٩٢) (م) * (٣) ما زالت هذه المنارة قائمة الى اليوم تعرف بـ « الملوية » * وهى على بعد قليل من شمال شرقى سامراء الحديثة ، على نحو ٢٥ متراً من الجدار الشمالى لجامعها القديم * وكانت « الملوية » قد نال الخراب من بعض أقسامها ولاسيما فى قاعدتها وفى ملتوياتها الاولى ، حتى ان معالم قاعدتها خفيت عن الانظار بما تراكم عليها من انقاض ، فظن كثيرون ان مرقاتها تبدأ من سطح الارض * الا ان مديرية الآثار العراقية عيّنت بصيانة هذه المنارة فازاحت عنها تلك الانقاض وأظهرت أسس القاعدة وأعدت بناءها وعمرت مرقاتها حتى القمة * وهذه المنارة مخروطية الشكل تقوم على قاعدة مربعة طول ضلعها ٣٢ متراً يصعد الى قمته بممرقة حلزونية تدور حولها من خارجها خمس مرات وعرضها ٢/٥٠ متراً * وتبدأ المراقبة من وسط الضلع الجنوبي للقاعدة المقابلة لباب المسجد الجامع وتنتهى فى

والظاهر ان هذه المنارة القديمة ، وهى ما زالت شاخصة تعرف بـ « الملوية » كانت ذات مرقاة حلزونية تدور حولها من خارج يُصعد بها الى قمته . والملوية الآن على نحو نصف ميل من شمال سامراء الحالية . وهذا ما رآه المستوفى فى النصف الاول من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فقد قال ان المنارة القائمة فى المسجد الجامع يومذاك يبلغ طولها مئة وسبعين ذراعاً ولها مرقاة من خارجها لا يرى مثلها فى مكان آخر وزاد على ذلك ان قد بناها الخليفة المعتصم ^(١) .

اما ما هو أحدث من ذلك من مراجع ، فلم يزدنا علماً بسامراء الا قليلاً . ثم صار جل اهل سامراء من الشيعة ، اذ ان فيها ضريحى الامامين العاشر والحادى عشر : على الهادى وابنه الحسن العسكري . وفى جامعها سرداب الغيبة يقولون ان الامام الثانى عشر غاب فيه فى سنة ٢٦٤ (٨٧٨) وهو القائم المهدي المنتظر الذى سيعود فى آخر الزمان ^(٢) . ويقوم هذان الضريحان فى الموضع المعروف بعسكر المعتصم . والى هذا الموضع نسب الامام العاشر فعرف بالعسكري . وفى اوائل المئة الثامنة (الرابعة عشرة) حين كتب المستوفى ، وهو شيعى ، ذكر هذه المراقد بوجه خاص وقال ان فى المسجد الجامع القريب من هذه المراقد ، فضلاً عن مناراته العظيمة التى أشرنا اليها ، حوضاً مشهوراً من حجر ، يعرف بقصعة فرعون ^(٣) ، محيطها ثلاث وعشرون خطوة وارتفاعها سبع اذرع وثخنها نصف ذراع ، قائمة فى صحن

القمة بغرفة صغيرة مستديرة علو سقفها ستة أمتار ، بابها من الجهة الجنوبية ويبلغ ارتفاع الملوية عن سطح الارض ٥٢ متراً . (راجع سامراء لدائرة الآثار العراقية ص ٤٣ - ٤٥) (م) .
(١) أشار أبو منصور الثعالبي (المتوفى سنة ٤٢٩ هـ) الى المنارة الملوية فى سر من رأى فى كتابه ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ، فقال (ص ٤٢١) ان المتوكل « كان يصعد منارة سر من رأى على حمار مريسى ، ودرج تلك المنارة من خارجها وأساسها على جريب من الارض ، وطولها تسع وتسعون ذراعاً . ومريس قرية بمصر » (م) .

(٢) راجع فى صفة هذا السرداب وما فيه من نقوش وزخارف وكتابات رسالة « باب الغيبة فى سامراء » لدائرة الآثار القديمة ، وقد طبعت سنة ١٩٣٨ . (م) .

(٣) جاء فى الحوادث الجامعة (ص ٣٠٦) : « وفيها (سنة ٦٥٣ هـ) : « حملت القصعة الحجر المعروفة بقصعة فرعون من سر من رأى الى بغداد فى كلك ، ورفعت تحت دار الخليفة ، وكانت عظيمة جداً ، فلم تزل الى سنة سبع وخمسين وستمئة ، ثم كسرت » وهذا يدل على ان المستوفى نقل خبرها . وعلى انها لم تكن فى زمانه باقية (الدكتور مصطفى جواد) .

الجامع للوضوء • وقد امر الخليفة المعتصم بعملها • وزاد المستوفى على ذلك ان معظم سامراء فى ايامه قد استولى الخراب عليه ولم يبق من المدينة الا قليل • وايد هذا القول وصف ابن بطوطة لها ، وقد زار سامراء سنة ٧٣٠ (١٣٣٠) (١) •

وعلى ثلاثين ميلاً من شمال سامراء ، مدينة تكريت على ضفة دجلة الغربية • وكانت تعد آخر مدينة فى حد العراق • وهى مشهورة بقلعتها الحصينة المطلّة على دجلة • وذكر ابن حوقل فى المثة الرابعة (العاشرة) ان أكثر أهلها نصارى وان لهم ديراً هناك • وكانت هذه المدينة ، على ما ذكر المقدسى ، معروفة بصنّاع الصوف وانها معدن السمس • وزاد المستوفى على ذلك ما يقال من ان البطيخ يزرع فيها ثلاث مرات فى السنة بالرغم من برودة هوائها • وذكر ابن جبير حين مر فى تكريت سنة ٥٨٠ (١١٨٤) انه يطيف بالبلد سور محيطه ستة آلاف خطوة وابراج مكيّنة • وقد اطرى ابن بطوطة اسواقها وجوامعها الكثيرة (٢) •

والنهر وان يحمل من دجلة ، وأوله أسفل الدور بشىء يسير على ما قد بينّا • وكان يعرف فى أعلاه بالقاطول الكسرى لائن الأكاسرة أول من أحدثه • وكان يسقى الارضين التى فى شرقى دجلة من فوق سامراء الى نحو مئة ميل جنوب بغداد • وذكر ابن سرايون عدداً كبيراً مما على ضفافه من مدن ، وأشار الى الجسور والشاذروانات ، غير ان جلّها قد زال الآن ، وان كانت معالم النهر ما زالت ترى

(١) البلاذرى ٢٩٧ و ٢٩٨ ؛ اليعقوبى ٢٥٥ - ٢٦٨ ؛ ابن خرداذبه ٩٤ ؛ ابن سرايون ١٨ ؛ الاصطخرى ٨٥ ؛ ابن حوقل ١٦٦ ؛ المقدسى ١٢٢ و ١٢٣ ؛ ابو الفداء ٢٨٩ ؛ ياقوت ٣ : ١٤ - ٢٢ و ٨٢ و ٦٧٥ ؛ ٤ : ١١٠ ؛ ابن خلكان (رقم ٨ ص ١٥) ؛ المستوفى ١٣٩ ؛ ابن بطوطة ٢ : ١٣٢ • قلنا : بعد ان صنف المؤلف كتابه ، ظهرت جملة تأليف عن « سامراء » ، « وباب الغيبة » فى سامراء ، ومقالات فى مجلة سومر ، وكتاب رى سامراء للدكتور أحمد سوسة ، وكتاب حفريات سامراء للبروفسور هرتسفيلد Herzfeld, Ausgrabungen von Samarra وهو فى ستة مجلدات الخمسة الاولى تصف الحفريات ، والسادس فى تاريخ سامراء وخططها وقد صدر أخيراً بعنوان Geschichte der Stadt Samarra ، ورحلة بيلى Beylie بالفرنسية ، وكتاب فيوليه Viollet بالفرنسية فى حفريات سامراء ، وما كتبه البروفسور كرسويل عن عمارات سامراء فى كتابه : Early Moslem Architecture (م) •

(٢) الاصطخرى ٧٧ ؛ ابن حوقل ١٥٦ ؛ المقدسى ١٢٣ ؛ ابن جبير ٢٣٤ ؛ المستوفى ١٣٨ ؛ ابن بطوطة ٢ : ١٣٣ •

فى الخارطة . وبعد ان يتجاوز النهر وان الدور^(١) التى سميت دور عربايا أو دور الحارث تميزا لها عن غيرها من المدن الكثيرة التى عرفت بهذا الاسم ، يمر مماسا لقصر المتوكلية وغيره مما فى ظاهر شمالى سامراء من احياء ، وعليه هناك قنطرة حجارة^(٢) . ثم يمر الى الايتاخية وهى قرية وقطعة منسوبة الى ايتاخ التركى ، وقد كان صاحب حرس الخليفة المعتصم ، وكانت أولا تعرف بدير أبى صفرة ، وعليه هناك قنطرة كسروية . وانما سمي الدير بهذا الاسم نسبة الى ابى صفرة وهم قوم من الخوارج . ثم يمر النهر وان الى المحمدية وهى بلدة صغيرة وعليه هناك جسر زواريق^(٣) . والمحمدية هذه على ما قال ياقوت اسم حديث للايتاخية ، سماها المتوكل المحمدية باسم ابنه محمد المنتصر وقد تولى الخلافة بعد مصرع أبيه . وعلى بعد قليل أسفل من هذه المواضع ، يلتقى بالنهر وان القواطيل الثلاثة وهى : اليهودي فالمأموني فأبو الجند . وأوائلها كلها موضع واحد فى جانب دجلة الايسر قرب المطيرة أسفل من سامراء ، وكانت تسقى البقاع الخصبة فى جنوب المدينة . وأقيم فى النهر وان ، فوق مصاب هذه القواطيل فيه ، أول سد من السدود الكثيرة (الشاذروانات) ، ثم يمر الى المأمونية وهى قرية كبيرة عند مصب أول قاطول . وكان على قاطول اليهودي بين المطيرة والمأمونية قنطرة تعرف بقنطرة وصيف ، نسبة الى وصيف القائد التركى فى أيام المعتصم . والقاطول الثانى وهو المأموني ، يصب فى النهر وان أسفل من قرية القناطر . والقاطول الثالث وهو أبو

(١) الدور جمع الدارة . والدارة : المحل والقبيلة وكل أرض واسعة بين جبال .

قلنا : ان دور عربايا فى شمال كرخ سامراء حيث قطعة اشناس وسوره ، بينها وبين المتوكلية ، وبالتقرب منها القاطول الكسرى ، وهى غير مدينة الدور الحالية . التى يقال ان فيها ضريح الامام محمد الدورى (م) .

(٢) يريد المؤلف بها قنطرة الرصاص . ولا اثر لها الآن وان كان موضعها معروفا (م) .

(٣) يحسن بنا ان نشير الى ان لفظة « جسر » تطلق على جسر سفن أو زواريق . و « قنطرة » على ما بنى بالحجارة . والشاذروان يطلق على قسم من نهر أو قاع نهر قد رصفت فى أرضه الحجارة وبنيت جوانبه بها لضبط الماء فى النهر . وقد تطلق لفظة الجسر أيضا على القنطرة المشيدة بالحجارة كما هو الامر فى جسر الوليد المشهور وهو اسم القنطرة التى على نهر سروس بين ادنه والمصيصة Mopsuestia وقد بناها يسطنيان . وتطلق لفظة قنطرة على أى بناء ذى عقود كالأروقة التى تعلو بعض الدروب أو القناطر التى يعبر فوقها . والقنطرة لفظ مأخوذ من البنطين وكانوا يستعملون كلمة Kentrom وفى اللاتينية Centrum وهى الطاق الأوسط من الجسر ثم صارت تطلق على البناء كله .

الجند ، وسمي أبا الجند لكثرة ما كان يسقي من الارضين وهي التي جعلت أرزاقا للجند . وكان أبو الجند أجلّ القواطيل وأعمرها شاطئا حفره هرون الرشيد وبنى له فيه قصرا يوم أقام هناك أبان حفره . وكانت على جانبيه مدينة طقّر^(١) وعليه هناك جسر زواريق . ووصف ياقوت طفر ، وقد زارها في المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، انها « قاع موحش ليس به ماء ولا مرعى بين باعقوبا ودقوقا »^(٢) . وقد سلكه ياقوت مرة من بغداد الى اربل فلم ير فيه أثر ساكن ولا أثر طارق . وقال ان دليله كان يستقبل الجدي حتى أصبح وقد قطعه .

وعلى أربعة فراسخ أسفل من التقاء آخر هذه القواطيل الثلاثة والنهروان ، مدينة صولى (أو صلوى) وتسمى أيضا باب صلوى أو باصلوى . وأسفل منها مدينة باعقوبا ، على عشرة فراسخ شمال بغداد . وهي مدينة طسوج النهروان الأعلى . وعند باعقوبا يعرف القاطول الكبير بـ « تامرا » ويبقى بهذا الاسم حتى يصل الى باجسرا^(٣) ومنها الى البلدة المسماة جسر النهروان . وبالقرب من باجسرا (وهي الصيغة الارامية لبيت الجسر) ، وهي وسط طسوج عامر تحف به النخيل يحمل من يمين تامرا ، نهر يقال له نهر الخالص ويصب في دجلة عند البردان شمال بغداد . ويحمل من الخالص أنهار كثيرة تسقى بغداد الشرقية . أما جسر النهروان ، ويقطعه طريق خراسان الذاهب من بغداد ، فسيأتي الكلام عليه في سياق بحثنا هذا . ويحمل هنا من يمين النهروان نهر يقال له نهر بين يصب في دجلة عند كلواذى . ويتفرع من هذا النهر أنهار كثيرة تسقى المحلات السفلى في بغداد الشرقية . ويحمل من النهروان نهر يقال له نهر دبالى أوله أسفل الجسر بميل ، يمر بقرى وضياح ويصب في دجلة أسفل بغداد بثلاثة أميال^(٤) .

(١) لم يعثر في المراجع البلدانية على ما يشير الى ان طفر كانت مدينة ويؤخذ من وصف ياقوت لها انها اسم لأرض واسعة بين باعقوبا ودقوقا . (م) .

(٢) تعرف اليوم باسم داقوق وطاوق وهي مركز ناحية داقوق في لواء كركوك (م) .

(٣) اسمها اليوم ابو جسر ، وهي من القرى العامرة في قضاء المقدادية (شهربان) ، وفيها محطة للقطار الذاهب من بغداد الى كركوك ، وهي فوق باعقوبا لا أسفل منها كما ذكر المؤلف (م) .

(٤) الصواب : ثلاثة فراسخ ، على ما فى ابن سراجيون (ص ٢٠ من طبعة لسترنج) فالمسافة اليوم بين الباب الشرقى ببغداد ومصب دبالى فى دجلة نحو عشرين كيلومترا (م) .

ومن جنوب مدينة جسر النهروان ، يعرف النهر باسم النهروان • ثم يمر الى الشاذروان الأعلى ، ثم يمر الى جسر بوران ، وانما سمي بذلك نسبة الى زوجة الخليفة المأمون • وأسفل من جسر بوران : يرزاطية (لعلها يرزاطية) ثم يمر الى مدينة عبرتا ، وقد ذكر ياقوت انها اسم أعجمي^(١) وفيها سوق عامر ، ثم الى الشاذروان الاسفل ، ثم يمر الى اسكاف بنى الجنيد ، وهى مدينة فى جانين والنهر يشقها • ويؤخذ مما ذكره ياقوت ، ان بنى الجنيد كانوا رؤساء هذه الناحية وكان فيهم كرم ، وزاد على ذلك قوله « وهاتان الناحيتان الآن (المثة السابعة = الثالثة عشرة) خراب ، بخراب النهروان منذ أيام الملوك السلجوقية ، كان قد انسد نهر النهروان ، واشتغل الملوك عن اصلاحه وحفره باختلافهم ، وتطرقها عساكرهم ، فخربت الكورة بأجمعها » •

ويمر النهروان بعد اسكاف بنى الجنيد ، بنحو ستين ميلا ، بين قرى متصلة وضياح مادة الى ان يصب فى دجلة أسفل ماذرايا بشىء يسير • وماذرايا ، على ما قد بينا ، فى جنوب جبّيل وفوق المبارك التى بازاء مدينة نهر سابس ، وكانت فى زمن ياقوت خرابا ولم يبق لاسمها أثر فى الخارطة الآن • على انها قد كانت أسفل كوت العمارة حيث يتعد دجلة عن شط الحي على ما تقدم بيانه^(٢) •

وهذه الأقسام الثلاثة للنهر (واعني بها القاطول وتامرا والنهران) مع فروعه الثلاثة (الخالص ونهر بين وديالى) التى تعود مياهها الى دجلة بعد ان تسقى نواحي بغداد الشرقية ، توضح ما أورده ابن سراييون عن الشبكة المائية المعقدة • فالأسماء التى أطلقها عليها لا توافق ما صارت اليه بعد زمنه • فان نظرة واحدة الى الخارطة الحديثة ترينا ان النهروان البالغ طوله مئتى ميل ، كانت تجتمع فيه مياه الجداول ومخارجها في الجبال الفارسية • ولولا ان النهروان قد حفر ، لطغت مياهها (فى أيام الفيضان) على الجانب الايسر لدجلة • فقسم تامرا

(١) قلنا انه ارامى (م) •

(٢) لعل يرزاطية هى رزطية أو زطرية الحالية وهى فوق عبرتا • يعقوبى ٣٢١ : ابن سراييون ١٩ و ٢٠ : البلاذرى ٢٩٧ : ابن رسته ٩٠ : ابن خرداذبه ١٧٥ : المسعودى : التنبيه ٥٣ : ياقوت ١ : ٢٥٢ و ٤٥٤ : ٣ : ٥٣٩ و ٦٠٤ : ٤ : ١٦ و ٣٨١ و ٤٣٠ •

من النهروان كان في مبدئه جدولا من هذه الجداول • فقد ذكر ياقوت انه « خيف ان ينزل من الأرض الصخرية الى الترابية فيحفرها ، ففرش سبعة فراسخ وسيق على ذلك الفرش سبعة أنهار كل نهر منها لكورة من كور بغداد » الشرقية • وكان الخالص وديالى ، على ما ذكر ، فرعين لنامرا (وعلى كل حال فان الخالص الذى ذكره البلدانون العرب ليس بالنهر المعروف بالخالص اليوم ، اذ ان النهر الحالى يجرى على مقربة من شمال غربى باعقوبا) • والخالص فى أيام ياقوت اسم كورة فى شمال طريق خراسان ، وينتهى أحد أطرافها الى أسوار بغداد الشرقية • وفى المئة الثالثة (التاسعة) جعل ابن رسته وابن خرداذبه النهروان اسم نهر يأتى من الجبال ويصب فى القاطول عند صلوى • وذكر المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ان النهروان كان اسما لنهر دىالى الذى يخرج من جبال كردستان ويتألف من اقتران نهرين هما شروان ويسمى فى أسفله تيمرا ونهر حلوان وهو يمر الى قصر شيرين وخانقين ويصيران فوق باعقوبا نهرا واحدا يصب فى النهروان (١) •

اما بلدة النهروان المعروفة أيضا بجسر النهروان ، فهي أول مرحلة فى طريق خراسان من بغداد • وكانت فى القديم موضعا جليل الشأن وقد حل محلها الآن دسكرة سفوة الصغيرة • وقد وصف ابن رسته فى المئة الثالثة (التاسعة) بلدة النهروان بأنها مدينة يشقها نهر النهروان بنصفين فى وسطها وقال : « فى الجانب الغربى أسواق ومسجد جامع ونواعير تسقى أراضيها • وفى الجانب الشرقى مسجد جامع وسوق وحول المسجد خانات ينزلها الحاج والمارة » • ونوه ابن حوقل فى المئة الآتية بكثرة غلاتها وخيراتها • وزاد المقدسى على ذلك ان الجانب الشرقى كان فى يومه أعمر وفيه المسجد الجامع ، ولما كتب المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت بلدة النهروان خرابا لان طريق خراسان قد عدل عنها واتجه شمالا مارا باعقوبا (٢) وظلت تلك البقعة الخصبه هناك حتى أيامه تعرف بطسوج

(١) راجع عن النهروان فليكس جونس وكتاب « رى سامراء » للدكتور أحمد سوسة (م) •

(٢) قلنا : وما زال هذا الطريق مستعملا حتى اليوم وهو الماد من بغداد الى خانقين ومنها الى

ايران (م) •

طريق خراسان وكانت باعقوبا^(١) على ما ذكر المستوفى أولى مدنه ، وهى ذات
بساتين ونخيل متصلة تؤتى أجود أنواع النارج والأترج^(٢) .

وتعرف بلدة براز الروز الآن ببلدة الروز (أو بلد روز) وهى فى شمال
شرقى بلدة النهروان . وذكرها ياقوت غير مرة . وكان الخليفة المعتضد قد بنى
فيها قصرا^(٣) . وتعد من طسوج تامرا . وهى من شرقى طريق خراسان ، وقد
أشار اليها المستوفى أيضا . والمرحلة التى تلى مدينة النهروان فى طريق خراسان
دسكرة الملك وقد وصفها ابن رسته بقوله « هى مدينة كبيرة وبها قصر من بناء
الأكاسرة حوله سور مشرف وليس داخله شئ من البناء له باب واحد مما يلى
المغرب » . ويتبين من موضع هذه الدسكرة انه يطابق موضع دستجرد المشهورة
حيث ابتنى خسرو برويز قصرا عظيما جاء فى التاريخ ان هرقل نهبه وأحرقه عن
آخره فى سنة ٦٢٨ للميلاد . وهذا القصر ، وبقيت خرائبه على ما يظهر الى المثة
الرابعة (العاشرة) ، يعرف بدستجرد كسروية ، قد رآه الرحالة ابن مهلهل (وقد
نقل عنه ياقوت) فقال « فيها أبنية عجيبة من جواسق وايونات ، كلها من الصخر
المهندم ، لا يشك الناظر اليها انها من صخرة واحدة منقورة »^(٤) ، اما الدسكرة ،

(١) باعقوبا ، مدينة عامرة على نهر خريسان هى اليوم مركز لواء دبالى . تبعد عن شمال شرقى
بغداد نحو ٦٠ كيلومترا . وتتصل بها بالقطارات والسيارات . ولعل اسمها الحالى من الارامية
« باعقوبا » (بيت عاقوبا) ومعناه موضع الفاحص أو المفتش أو المعقب لانها على طريق القوافل
الذاهبة شرقا الى ايران ولانها تتوسط أنهارا للرى تتفرع من دبالى . وقد جرى الناس على كتابة
اسمها اليوم بصورة « بعقوبة » و « بعقوبا » . وهذه الصورة الأخيرة مستعملة فى المثة السابعة
للهجرة فقد وردت بها فى الحوادث الجامعة (ص ٢٢٨) ومعجم البلدان (مادة بعقوبا) (م) .
(٢) ابن رسته ٩٠ و ١٦٣ : ابن خرداذبه ١٧٥ : الاصطخرى ٨٦ : ابن حوقل ١٦٧ :
المقدسى ١٢١ : ياقوت ١ : ٨١٢ : ٢ : ٣٩٠ و ٦٣٨ : المستوفى ١٣٩ و ١٤١ و ٣١٦ .
(٣) قال ياقوت (معجم البلدان مادة « براز الروز ») : كان للمعتضد به (أى بطسوج
براز الروز) أبنية جليلة .
وبلد روز اليوم . بلدة على نهر روز من الفروع اليسرى لنهر دبالى ، وهى مركز ناحية باسمها
تابعة الى قضاء مندلى ، قيل اسمها مركب من « براز الروز » وأصله الفارسى براز - روز (روز = نهر
براز = خنزير) فيكون معناه النهر الخنزير . وقيل فى تفسير معناها أيضا أنه « ضياء النهار »
أو « بهاء النهار » (راجع : القصد والاستطراد فى أصول معنى بغداد لتوفيق وهبى ص ٣٠ - ٣١ :
ولفة العرب ١ : ٣٧) (م) .

(٤) ظهر لنا من مراجعة ياقوت (٢ : ٥٧٣ مادة دستجرد) ان ابن المهلهل قال « تسير من قنطرة
النعمان قرب نهاوند الى قرية تعرف بدستجرد كسروية فيها أبنية عجيبة من جواسق الخ »
على ما هو منقول فى متن الكتاب أعلاه . فهذا الوصف يعود الى دستجرد فى بلاد فارس وهى غير
دستجرد التى كانت دسكرة الملك فى العراق . (م) .

البلدة العربية ، فان ابن حوقل ذكر في المئة الرابعة (العاشرة) ان في الدسكرة حصنا قويا بناه المسلمون^(١) . وقال المقدسي في هذه المدينة انها « مدينة صغيرة سوقها واحد طويل ، الجامع أسفله ، غام بأزاج » . وعلى مقربة من الدسكرة ، قرية شهربان ، ذكرها ياقوت والمستوفي وأشار الأخير الى ان من أعمال هذه البلدة ثمانين ضيعة انشأتها الأميرة گلبان من بنات الاكاسرة .

وكانت المرحلة التالية في طريق خراسان ، مدينة جلولاء ، تحف بها الاشجار ولا سور لها . وعلى مقربة من هذه المدينة قنطرة من بناء الاكاسرة من حجر مرصصة ، وهناك قرية يقال لها الهارونية . وعلى ما في ياقوت ، انها كانت فوق النهر الذي تسير فيه السفن من باعقوبا الى باجسرا . وبها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦ (٦٣٧) فاستباحهم المسلمون وفر الملك يزجرد . وسمى المستوفي هذا الموضع رباط جلولاء ، لان فيه رباطا بناه ملكشاه السلجوقي . وموضع جلولاء في وقتنا هذا هو مرحلة قزلرباط^(٢) (أى الرباط الاحمر) الحديثة . وكان في شرق جلولاء ، مدينة خانقين وقد أشار المقدسي الى انها مدينة « على جادة حلوان » . وذكرها ابن رسته فقال : « بها واد عظيم قد بنيت عليه قنطرة عظيمة بجص وآجر وطيقان » . وبالقرب من خانقين عين للنفط^(٣) عظيمة كثيرة الدخل . وقال ياقوت : « بها قنطرة عظيمة على واد تكون ٢٤ طاقا » في أيامه أى في المئة السابعة (الثالثة عشرة) عليها جادة خراسان . ولما كتب المستوفي في القرن التالي ، ذكر ان خانقين قد آلت الى الخراب فلا تعدو قرية كبيرة الا ان ناحيتها لبثت وافرة الغلات^(٤) .

(١) ما في ابن حوقل (١ : ٢٤٦ من الطبعة الثانية = ١٦٨ من الطبعة الاولى) « وبالدسكرة نخيل وزروع كثيرة وبخارجها حصن من طين داخله فارغ » (م) .

(٢) غيرت الحكومة العراقية اسم بلدة قزلرباط وجعلته « السعدية » نسبة الى القائد العربي المشهور « سعد بن ابي وقاص » . وهى اليوم مركز ناحية السعدية في قضاء خانقين - لواء ديالى (م) .

(٣) وتسمى اليوم « نفطخانه » وبها آبار للنفط تستنبطه شركة نفط خانقين ويبيع في اسواق العراق (م) .

(٤) اما خانقين اليوم فانها بلدة عامرة ، وهى مركز قضاء خانقين في لواء ديالى ، وبها تنتهى سكة الحديد الممتدة من بغداد ، ومنها يمر الطريق من بغداد الى ايران مارا بقصر شيرين الى كرمانشاه (م) .

وعلى ستة فراسخ مما يلي خانقين ، فى وسط الطريق الى حلوان ، وهى أول بلدة فى اقليم الجبال ، تقوم قصر شيرين • وكانت شيرين معشوقة الملك كسرى ابرويز • وهناك قرية كبيرة ذات أسوار واطلال قصر ساسانى ، وصفه ابن رسته فى المثة الثالثة (التاسعة) بقوله : « فيه ايوان عظيم كبير مبني بالحص والاجر ، وحول الايوان حُجَرٌ ينفذ بعضها الى بعض ومنها أبواب تؤدي الى الايوان والدكان بالبلاط والمرمر » • ولياقوت والمستوفى وصف طويل لقصر شيرين التى ما زالت أطلالها باقية • ومما يتّوه به ان حكاية فرهاد ، عشيق الملكة شيرين وبلهذ المغنى والعوداد وشبذير فرس الملك ابرويز المشهور ، قد صارت من الحكايات المحلية فى كثير من البقاع فى تلك الارزاء^(١) وتطلّ على قصر شيرين الجبال العظيمة التى عند بداية هضبة فارس • وحلوان ، المرحلة التالية فى فى طريق خراسان ، وهى وان كانت تعد من أعمال العراق فى الغالب ، الا انها لوقوعها فى المضيق الجبلى ، سنأتى على وصفها فى فصل آخر •

وفى جنوب طريق خراسان عند حدود خوزستان ، مدينتان مهمتان تحسن الاشارة اليهما ، هما : البنديجين وبيات • والبنديجين اسم لم يبق له ذكر فى الحارطة ، الا ان هذه المدينة كانت أهم مدن طسوجى بادرايا وباكسايا ، وما زالت قرية باكسايا قائمة ولا بد ان يكون موضع البنديجين على مقربة منها^(٢) • وهذان الطسوجان مما يلي شمال شرقى النهروان ، فيهما عدد كبير من القرى الحصبة • وكانت البنديجين مركز هذين الطسوجين ، عرفت بالفارسية على ما رواه ياقوت وندنيكان • وذكر المستوفى ان الاسم فى أيامه كان يلفظ بندنيكان وانها فى ناحية لحف جبال كردستان ، وينحدر نهرها من أرّجان • والبنديجين ، على ما ذكر ابن

(١) ابن رسته ١٦٤ : الاصطخرى ٨٧ : ابن حوقل ١٦٨ : المقدسى ١٢١ : القزوينى ٢ : ٢٩٥ : ياقوت ١ : ٥٣٤ : ٢ : ١٠٧ و ٣٩٣ و ٥٧٣ و ٥٧٥ و ٨١٣ : ٤ : ١١٢ : المستوفى ١٣٧ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٩٣ •

(٢) قلنا : ان البنديجين تعرف اليوم باسم « مندلى » • ومندلى على نحو ٩٣ كيلو مترا من شرقى باعقوبا ، قرب الحدود العراقية الايرانية • وهى اليوم مركز قضاء باسمها فى لواء ديبالى بالعراق • واسم هذه المدينة بالآشورية « اردليكا » أو « اردريكا » • وفى الفارسية القديمة « وردنيكا » وذكرها هيروdotس باسم « اردريكا » وقال ان فيها عيون نפט • والظاهر ان الاسم « مندلى » تطور من وردنيكا أو اردنيكا أو اردريكا الى وندنيكان وبندنيكان فالى بندنيج والبندنيجين فمندليجين فمندليج فمندلى وهو الاسم الشائع اليوم • راجع سومر : ٨ (١٩٥٢) ص ٢٧٧ - ٢٧٨ • (م) •

خرداذبه ، كانت هي وبراز الروز في كورة واحدة • اما بيات ، وما زالت خرائبها ظاهرة ، فقد ذكرها المستوفى بقوله : ان مخرج نهرها جبال كردستان ويفنى في المفاوز فلا يصل دجلة ومع ان ماءه كان على شيء من الملوحة ، فان كثيرا من النواحي كانت تسقى منه • والظاهر ، ان بيات كانت حيث بلدة الطيب التي ذكرها ابن حوقل بقوله : « يتخذ بالطيب تكك تشبه الارمني »^(١) • وكانت الطيب بلدة قليلة الشأن في أيام العباسيين • وتجاور خرائبها بقايا بلدة بيات الحادثة بعدها • وروى ياقوت ان أهل الطيب « نبط ولغتهم نبطية »^(٢) ، ويرجعون نسبهم الى شيث بن آدم^(٣) •

ولنصف الآن مدن العراق التي على الفرات وعلى الانهار الحاملة من الفرات الى دجلة • فقد بينا قبالا ، ان الخط الذي يبدأ من دجلة عند تكريت ويتجه غربا الى الفرات ثم يعبره أسفل من عانة بشيء يسير عند انعطاف النهر جنوبا ، هو الحد الطبيعي بين اقليمى الجزيرة والعراق ، على ما قال المستوفى • ومن جنوب هذا الخط يبدأ السواد ، وهو أرض بلاد بابل الرسوبية • وفي شماله السهول الحجرية فيما بين النهرين الأعلى • وتمتد « حديثة » الفرات وهي على خمسة وثلاثين ميلا أسفل من عانة ، أقصى مدينة في شمال هذا القسم • وعرفت بحديثة النورة تميزا لها عن حديثة دجلة • وذكر ياقوت ان فيها قلعة حصينة في وسط الفرات ، والماء يحيط بها ، أنشئت في أيام عمر بعد الفتح العربي بوقت يسير • ووصفها المستوفى بانها مقابل تكريت موضعا وهواء • وبين الحديثة وهيت ، للمنحدر ، بلدتا آلوسة وناووسة وهما على الفرات بين الواحدة والأخرى سبعة فراسخ • وآلوسة ، على ما ذكر ياقوت ، بلدة صغيرة وما زالت قائمة الى اليوم

(١) اشتهرت مدن ارمينية بعمل الملابس ونحوها من خالص الحرير تسمى « الارمني » وهي ثمينة جدا لا نظير لها في باقي البلدان بالحسن والجودة • نوه بالارمني كثير من الكتبة الاقدمين • انظر الاصطخرى ٩٤ و ١٥٣ و ١٨٨ : ابن حوقل ٧٩ و ١٧٦ و ٢١٤ و ٢٤٤ و ٢٤٦ : معجم البلدان ١ : ٢٧٢ : الاغانى ٥ : ١٧٣ بولاق : والتبصر بالتجارة للجاحظ ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ : ثمار القلوب للشمالي ٤٢٨ : ولطائف المعارف للشمالي ١٢٨ (م) •

(٢) النبطية هي اللغة الارامية التي كان يتكلم بها في العراق حتى أيام الفتح (م) •
(٣) ابن خرداذبه ٦ : الاصطخرى ٩٤ : ابن حوقل ١٧٦ : ياقوت ١ : ٢٣٠ و ٤٥٩ و ٤٧٧ و ٧٤٥ : ٣ : ٥٦٦ : ٤ : ٣٥٣ : المستوفى ١٣٧ و ١٣٨ و ٢٢٠ • وبادرايا طسوج في البنديجين فلا يختلطن امرها ببادوريا الطسوج الجنوبي في بغداد الغربية •

ويقترن ذكر هاتين البلديتين في أخبار الفتح الاسلامى . وكانت النواوسه تحسب من قرى هيت . وكانت هيت مدينة عليها سور ولها قلعة حصينة وفيها نخيل كثير وهى على جانب الفرات الغربى . وذكر ابن حوقل ان هيت مدينة عامرة . وقال المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ان من أعمالها نيفا وثلاثين قرية ، منها قرية جبة (جبى) وكانت تكثر فيها فاكهة البلاد الباردة والحارة كالجوز واللوز والتمر والنارج ، غير ان المدينة نفسها لم تكن طيبة السكنى لما يخالط هواءها من روائح كريهة تنبعث من عيون القير المجاورة لها^(١) .

وفى أيام الفتح الاسلامى ، كان خندق سابور (وهو الملك سابور الثانى) موجودا . وقد حفر هذا الخندق فى المئة الرابعة للميلاد ، سابور ذو الاكتاف على ما أسماه العرب . يبدأ هذا الخندق من هيت ويمتد جنوبا الى الأبلّة (قرب البصرة الحديثة) حتى ينفذ الى البحر . وكان الماء يجرى فيه أول أمره « وجعل عليه المناظر والمسالح ليكون مانعا لمن أراد السواد من أهل البادية » . وما زالت ترى بعض أقسامه الجافة . وعين التمر ، وهى فى جنوب هيت فى البادية ، قال فيها المقدسى انها بلدة حصينة ، ويخرج من عين التمر نهر يمرّ بارضها ويصب فى الفرات أسفل من مدينة هيت . ومنها يحمل القصب والتمر الى سائر البلاد ومن موضع يقال له شفاتا بقربها . على ان موضع هذين

(١) بلدة « هيت » اليوم مركز ناحية باسمها فى لواء الدليم . تكثر بقربها عيون القار وعيون معدنية شافية لبعض الامراض . وهى مدينة قديمة ، جاء اسمها فى السومرية بصورة دليل Dul-Dul-i اما اسمها « هيت » فمن البابلية . فالبابليون يسمون القار فى لغتهم « ادو » . وكانوا يسمون هذه البلدة باسم « اد » (ID) و « ات » (IT) ومعناها (مدينة) القار . وأشار هيرودتس فى تاريخه الى بلدة « از » (IS) على مسيرة ثمانية ايام من بابل . وكان يمر من هذه البلدة نهر صغير يقال له « از » ايضا كان يلتقى بالفرات وكانت مياهه تحمل قبرا مثل القبر الذى أتخذ فى تحصينات بابل . وذكر ايزيدور الكرخى (Isidore of Charax) منزلا فى كلامه على « المنازل الفرية » باسم « ازبوليس » (Ispolis) وجاء فى جغرافية بطليموس بلدة « ادقارا » (Idikara) على بين الفرات ، وهو اسم مركب من « اد » البابلية و « قارا » اللفظة النبطية العربية للقار . وذكر أميانس مرشليينس ان الجيش الرومانى دخل فى سنة ٣٦٣ م مدينة « دى اقيرا » (Diacira) وكذلك ذكرها زوسيمس بهذه المناسبة باسم « داكيرا » (Dakira) وهى « دقرا » بالسريانية و « ذو قير » بالعربية . وفى نصوص التلمود - وهو مكتوب بالارامية ذكر مدينة « اهى » أو « اهد قيرا » (Ihidacira) وفى النبطية عرفت هيت باسم « هيد » أو « هد » . وحرف « الهاء » يشير الى أداة التعريف فى هذه اللغة . وهى كذلك فى اللغة العبرية . وعليه ، فاسم هذه المدينة قد تطور من « اد » أو « ات » البابلية بمعنى القار فالى « اهد قيرا » العبرية أو « هد » و « هيد » النبطية ثم صار « هيت » وهو الاسم الحالى لهذه البلدة ، وبه عرفها الكتبة العرب الاقدمون . (راجع سومر ٨ [١٩٥٢] ص ٢٧٩ - ٢٨٠) (م) .

غير معروف^(١) .

وكان على اثني عشر فرسخا اسفل من هيت ، قرية الرب حيث كان يحمل نهر دجيل القديم من يسار الفرات قبل المئة الرابعة (العاشرة) ويشترق فيسقى طسوجى مسكين وقطربل ثم يصل الى الارباض الشمالية لبغداد الغربية . وقد انظر هذا القسم الغربى من دجيل على ما قد بنا . وحين كتب الاصطخرى فى سنة ٣٤٠ (٩٥١) كان دجيل يأخذ ماءه من دجلة بازاء القادسية ، وقد أوضحنا ذلك فى كلامنا على طسوج مسكن . أما الأنبار ، وهى على يسار الفرات ، فقد كانت من مدن العراق العظيمة أيام العباسيين . ويرتقى زمنها الى ما قبل الفتح الاسلامى . وقد سماها الفرس فيروز سابور (وبال يونانية بيريسابور Perisabor) وكان أول من عمرها شابور^(٢) وصار اسم فيروز سابور يطلق فى أيام العرب على الطسوج الذى يكتنفها . ويقال ان هذه المدينة انما سميت بالانبار « لانه كان يجمع بها أنابيب الخنطة والشعير والقتّ والتبن ، وكانت الاكاسرة ترزق أصحابها منها ثم جدها أبو العباس السفاح أول خلفاء بنى العباس وبنى بها قصورا وأقام بها الى ان مات » . وأقام بها أيضا أخوه المنصور حيناً من الزمن ثم انتقل منها^(٣) الى بغداد عاصمة بنى العباس الجديدة التى أخذ المنصور بنائها . وحكى المستوفى ، ان اليهود الذين سباهم نبوخذ نصر من بيت المقدس الى بابل كانوا قد حبسوا فى الانبار . وقال ان دور أسوارها كان فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) خمسة آلاف خطوة^(٤) .

ومنزلة الانبار فى انها عند مخرج أول نهر كبير صالح لسير السفن يحمل

(١) ابن سراييون ١٠ و ١٣ : ابن رسته ١٠٧ قدامة ٢١٧ : البلاذرى ١٧٩ : الاصطخرى ٧٧ : ابن حوقل ١٥٥ : المقدسى ١١٧ و ١٢٣ و ١٣٥ : ياقوت ١ : ٣٥٢ : ٢ : ٢٢٣ : ٣ : ٧٥٩ : ٤ : ٧٣٤ و ٩٩٧ : المستوفى ١٣٥ و ١٤١ .
(٢) اطلق العرب اسم سابور على الاسم الفارسى « شابور » او « شاهبور » . وكتبه اليونان سابور Sapor .

قلنا : وهو الملك الساسانى المعروف بسابور ذى الاكتاف .
(٣) الذى ذكرته التواريخ انه انتقل الى بغداد من هاشمية الكوفة . (م) .
(٤) تقوم اطلال الانبار على يسار الفرات فوق الفلوجة بخمسة كيلومترات ، بينها وبين ضفة الفرات اليوم مزار يعرف بالفياض . ولفظ الانبار جمع نهر مشتق من اللغة الابراهيمية (فى الفارسية القديمة هم - بارا . وفى الفارسية الحديثة : انبر) . وكان فى موضع مدينة الانبار مدينة قديمة لعلها هى مدينة « مسكينة » (بفتح الميم والسين) (سومر ٨ : [١٩٥٢] ص ٢٥٢ - ٢٥٣) (م) .

من الفرات الى دجلة ويصب في الفرضة جنوبى المدينة المدورة في الجانب الغربى . وهذا النهر هو نهر عيسى ، وانما عرف بذلك نسبة الى عيسى الامير العباسى ، وهو اما ان يكون عيسى بن موسى ابن عم المنصور ، أو عيسى بن علي عم الخليفة (واليه ينسب النهر فى الاغلب) . ومهما يكن الامر ، فان الامير عيسى اطلق اسمه على النهر اذ جدد حفره وجعله صالحا لسير السفن من الفرات حتى بغداد . وكان على هذا النهر بعد خروجه من الفرات أسفل الانبار بشىء قليل ، قنطرة مهولة يقال لها قنطرة ديمما نسبة الى قرية ديمما^(١) ، وكانت على ضفة الفرات عند الفلوجة . ثم يمر فيسقى قرى طسوج فيروز سابور وضياعه حتى ينتهى الى المحول على فرسخ واحد من أرباض الجانب الغربى من بغداد . فاذا صار الى المحول تفرع من يساره نهر الصراة وهو النهر الذى يؤلف الحد الفاصل بين طسوج قطربل فى شمال بغداد الغربية وطسوج بادوريا فى جنوبها . ونهر الصراة الذى كان يجرى غالبا بموازاة نهر عيسى يصب فى دجلة أسفل من باب البصرة أحد أبواب المدينة المدورة . وكانت تفرع من هذين النهرين جميع أنهار بغداد الغربية الا ما تفرع من نهر دجيل وهو قليل .

أما المحول ، فقد سميت بذلك لان عندها يحول ما يكون فى السفن الآتية من مدن الفرات الى بغداد الى سفن اصغر منها تعبر من تحت القناطر العديدة التى تعلو نهر عيسى فيما يلى المحول الى ربض الكرخ . وكانت المحول بليدة حسنة طيبة نزهة كثيرة البساتين والفواكه والاسواق والمياه ، وكان فيها حتى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) قليل من البنايات الفخمة . ذكر المستوفى منها قصرا بناه الخليفة المعتصم فوق تل لا يقربه البعوض بفعل رقية . ولا يعرف الآن موضع المحول الصحيح ، بيد انه يجب ان يكون فى شمال شرقى التل البابلى القديم المعروف بعرقوف الذى ذكره البلدانون العرب كثيرا^(٢) . وقد ربط المستوفى بين هذا

(١) قال هلال الصابى (تحفة الامراء فى تاريخ الوزراء ص ٢٥٧) : « وكان على نهر عيسى عند خروجه من الفرات قنطرة تسمى قنطرة ديمما ، لها خمسة أبواب واحد كبير واربعة صغار » . وفى اواخر القرن الثالث للهجرة جعل عرض الباب الاكبر اثنين وعشرين ذراعا وعرض الابواب الصغيرة ثمانية اذرع وذلك بعد الاستيثاق من ان اكبر السفن تستطيع ان تمر منها (انظر متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ٢ : ٣٤٥ - ٣٤٦ من الترجمة العربية) . وقد اختلف الاقدمون فى ضبط اسم ديمما . (م) .

(٢) تقع اطلال عرقوف على نحو ٣٠ كيلو مترا من غربى بغداد ، فوق مزرعة ابي غريب

التل وأسطورة نمرود الجبار الذي ألقى بابراهيم في نار تنّور حامية^(١) .
وعلى ثلاثة فراسخ أسفل من قرية دممّا يحمل من الفرات ، النهر الثانى
الكبير الى دجلة ، وهو نهر صرصر ومصبه فوق المدائن بأربعة فراسخ . وكانت
اسافل هذا النهر تسقى طسوج بادوريا فى جنوب بغداد الغربية . وذكر ابن
سرايون انه يُسقى منه بالدوالى والشواذيف . وفوق مصب هذا النهر فى دجلة
بشيء يسير عند زيران وحيث يمكن رؤية قصر الاكاسرة الابيض فى المدائن ،
كانت مدينة صرصر العامرة وعليه فيها جسر من مراكب يعبر عليه طريق الكوفة .
ومدينه صرصر على فرسخين من الكرخ ، الرض الجنوبى الكبير فى جانب بغداد
الغربى . وكان نهر صرصر على ما ذكر ابن حوقل تجرى فيه السفن . ومدينة
صرصر عامرة بالنخيل والزروع . وشبهها المقدسى ببعض قرى فلسطين فى طراز
بنائها . وظلت صرصر مدينة ذات شأن حتى ختام المثة الثامنة (الرابعة عشرة)
حينما استولى تيمور على بغداد وعسكر فى الارياض المجاورة لها .

اما النهر الثالث الذى يحمل من الفرات الى دجلة فكان نهر الملك . وأوله
عند قرية الفلوجة^(٢) أسفل من فوهة نهر صرصر بخمسة فراسخ ، ومصبه فى

الحكومية . وقد عرف هذا الموضع باسم « عرقوف » منذ ازمان بعيدة . وذكره البلدانيون العرب به .
وزاره كثير من السياح منذ منتصف القرن السادس عشر للميلاد . وظن بعضهم خطأ ان برجه ، أى
زقورته ، هو برج بابل المذكور فى التوراة . الا انه فى منتصف القرن التاسع عشر ثبت انه موضع المدينة
الكشية المعروفة بدور كوريكلزو . وقد اجرت مديرية الانار العامة تحريات محدودة فيه سنة ١٩٤٢ ، ثم
نقبت فيه ثلاث سنوات (١٩٤٣-١٩٤٥) . فظهرت هذه التنقيبات معلومات ثمينة عن أسس الزقورة وهيئة
قاعدتها وكشفت عن معابد المدينة وقصورها فى مكان يبعد نحو كيلو متر عن شمال البرج . فى تل
يعرف بالتل الابيض .

وقد تبين من هذه الكشف ، ان مدينة « دور كوريكلزو » قد اسسها الملك الكشى كوريكلزو
الاول فى بداية القرن الخامس عشر قبل الميلاد واتخذها عاصمة له بعد انتقاله من مدينة بابل وظلت
كذلك حتى سقوط الدولة الكشية فى سنة ١١٧٠ ق م .

راجع سومر (١) : [١٩٤٥] ص ٣٦ - (٧٥) - (م) .

(١) ابن سرايون ١٠ و ١٤ : ابن خرداذبه ٧ و ٧٢ و ٧٤ : قدامة ٢١٧ : الاصطخرى
٧٧ : ابن حوقل ١٥٥ و ١٦٦ : المقدسى ١٢٣ و ١٣٤ : ياقوت ١ : ٣٦٧ : ٢ : ٦٠٠ : ٣ : ٦٩٧ :
٤ : ٤٣٢ : المستوفى ١٣٦ و ١٣٨ و ١٤٠ و ١٤١ .

واسافل نهر عيسى ونهر الصراة تعد من ضمن خطط بغداد ، وقد اشبعناها وصفا فى مصنف
لنا نشرناه سابقا ويبدو ان موضع الانبار هو الخرائب التى عند صفيرة (بالتصغير) ولعله الخرائب التى فى
شمال هذه القرية وهى التى وضع المستر بيترز J. P. Peters مخططا لها فى كتابه « نفر »
(Nippur 1, 177) .

(٢) الفلوجة هى فلوجية Feluchia (Felugia Feluge) التى ذكرها سيزار فردريك وغيره
من تجار عصر الملكة اليزابيث الذين ، بالحدارهم فى الفرات ، ابقوا سفنهم فيها وسافروا برا الى

دجلة أسفل من المدائن بثلاثة فراسخ • وكان نهر الملك معروفا منذ الازمنة القديمة فقد ذكره اليونان باسم نهر ملخا (Malcha) • وعلى ما فى ياقوت « قيل ان أول من حفره سليمان بن داود (عم) ، وقيل انه حفره الاسكندر الكبير • وكانت على ضفافه مدينة يقال لها نهر الملك ، عليه فيها جسر من سفن يعبر عليه طريق الكوفة » وهى على سبعة أميال جنوبا من صرصر • ومدينة نهر الملك ، كانت على ما ذكر ابن حوقل « أكبر من صرصر ، عامرة بأهلها وهى أكثر نخلا وزرعاً وثمرأً وشجراً منها » • وزاد المستوفى على ذلك ان قد كان فى كورتها نيف وثلاثمئة قرية (١) •

والنهر الرابع الذى كان يحمل من الفرات الى دجلة هو نهر كوثى • أوله أسفل من نهر الملك بثلاثة فراسخ • ويصب فى دجلة أسفل المدائن بعشرة فراسخ • وكان هذا النهر يسقى طسوج كوثى من كورة اردشير بابكان (نسبة الى الملك الساسانى الاول) ويسقى فرع آخر منه طسوج نهر جوهر • وكانت مدينة كوثى رباً ، وفيها جسر من سفن ، على هذا النهر ، ويقال انها تطابق كوثى الوارد ذكرها فى التوراة فى سفر الملك الثانى (١٧ : ٢٤) وكانت مدينة ذات شأن فى ناحية بابل • وكوثى ، على ما جاء فى الروايات الاسلامية ، « يزعمون انها نار النمرود بن كنعان التى طرح فيها ابراهيم واسمها من كوثى جد ابراهيم الخليل » • وقال ابن حوقل فى المئة الرابعة (العاشرة) : « كوثى بلدان وناحيتان تعرف احدهما بكوثى الطريق والاخرى بكوثى رباً • ويزعم قوم ان كوثى رباً مدينة كانت أكبر من بابل • وبها تلال رماد عظيمة قالوا هى رماد نار نمرود • وزاد المقدسى على ذلك « بقرب كوثى الطريق شبه منارة « قديمة » لهم فيها كلام » • وروت كتب الرحلات ان مدينة كوثى وموضعها على ما تشير اليه الخوارط هو تل

بغداد على ما جاء فى مجموعة هكلويت

Hakluyt, Principal Navigations (Glasgow, 1904) V. 367, 455, 466; VI 4.

قلنا : والفلوجة اليوم على يمين الفرات قرب خرائب الانبار • وهى مركز قضاء الفلوجة فى لواء الديلم ، وهى من المواضع المعمورة قديما • فقد جاء هذا الاسم فى اللغة الاكدية بصورة « بلوكاتو » Pallukatu وعرفها الاراميون باسم « بلوكتا » Pallugtha واسمها يعنى الانشطار والانفلاج اذ انها فى موضع تنفّج فيه ضفة الفرات (م) •

(١) وجاء فى ياقوت (٤ : ٨٤٦) وقد سبق المستوفى بنحو مئتين سنة « نهر الملك كورة واسعة ببغداد بعد نهر عيسى يقال انه يشتمل على ثلاثمئة وستين قرية على عدد ايام السنة » (م) •

ابراهيم على ما يظهر ، وكانت على أربعة أميال جنوب مدينة نهر الملك^(١) .
وعلى بضعة أميال من شمال كوثي ، قرية فراشا الكبيرة وهى مرحلة تتوسط
بين بغداد والحلة فى طريق الحاج الذاهب الى الكوفة على ما كان عليه فى نهاية
المئة السادسة (الثانية عشرة) . وصفها ابن جبير وكان فيها سنة ٥٨٠ (١١٨٤)
فقال « قرية كثيرة العمارة يشقها الماء . . . وفيها خان كبير يحرق به جدار عال
له شرفات صغار » . وذكر المستوفى فراشا أيضا فى وصفه للمسالك فقال انها
على سبعة فراسخ جنوب صرصر^(٢) .

(١) ترى اطلال مدينة كوثي ، فى نحو منتصف الطريق بين المحاويل والصويرة ، وهى على ٢٦ كيلومترا
من الاولى . وتعرف اليوم بتل ابراهيم وتل جبل ابراهيم ، لوجود مرقد عليه قبة فى أعلى التل ينسب
الى ابراهيم . وهو اليوم فى ارض لا ماء فيها . وهذه الاطلال واسعة عالية وتبين من فحص مديرية
الاثار العراقية لها ، انها من الازمنة الفرثية والاسلامية (م) .

(٢) ابن سراييون ١٥ : ابن رسته ١٨٢ : الاصطخرى ٨٥ و ٨٦ : ابن حوقل ١٦٦ و ١٦٨ :
المقدسى ١٢١ : ابن جبير ٢١٧ : ياقوت ١ : ٧٦٨ : ٤ : ٣١٧ و ٨٤٦ ، المرصد ٢ : ٣٦٣ : على
اليزدى ١ : ٦٣٣ : المستوفى ١٤١ و ١٩٣ .

مجرى نهر عيسى هو مجرى الصقلاوية الحالى مع شئ من التفاوت . اما نهر صرصر فكان يعاشى
نهر (ابو غريب) ، ونهر الملك هو الرضوانية ، ونهر كوثي هو جبل ابراهيم الذى فى الخوارط
الحديثة . وهذه التحقيقات تقريبية على كل حال اذ ان سطح ارض السواد قد تغير طبعا فى خلال
الف سنة ونيف مضت عما كانت عليه فى العصر العباسى .

قلنا : ويحسن بالمتتبع لموضوع هذه الانهار وتاريخها ان يرجع الى تحقيقات موسيل فى كتابه
« الفرات الاوسط » الصفحة ٢٥٨ - ٢٨٣ .
Musil (Alois), The Middle Euphrates (pp. 258-283; New York 1927).

الفصل الخامس

العراق «تمة»

انشطار الفرات - نهر سورا - قصر ابن هبيرة - النيل ونهر النيل - نهر
النرس - نهر البداة وبمباديتا - نهر الكوفة - مدينة الكوفة -
القادسية - مشهد على وكر بلاء - استنانات العراق
الاثنا عشر - التجارة والصناعة - طرق العراق

كان نهر الفرات فى المثة الرابعة (العاشرة) « اذا جاوز نهر كوثى بستة فراسخ ، انقسم الى قسمين » : الغربى ، وهو النهر الايمن ، عمود الفرات • وكان يماس مدينة الكوفة وينتهى الى البطائح • والشرقى ، وهو النهر الايسر ، عمود الفرات الحالى • سماه ابن سراييون وغيره من البلدانين العرب نهر سورا أو سوران • ثم كان يتشعب الى انهار تصب فى البطائح • وذكر ابن سراييون ان نهر سورا (وهو الفرات الحالى) ، كان فى ايامه نهرا عظيما أعظم من نهر الكوفة وأعرض منه • وكان نهر سورا الاعلى ، حيث ينقسم الفرات ، يسقى طسوج سورا وبريسما وباروسما ، وكانت هذه الطساسيج قسما من استان بهقباذ الاوسط • ثم يمر بغرب مدينة يقال لها قصر ابن هبيرة وبينهما ميلان • وعندها ، على النهر ، جسر سورا وعليه يمر طريق الحج من قصر ابن هبيرة الى الكوفة • ومدينة القصر ، وسميت بذلك اختصارا ، هى قصر ابن هبيرة ينسب الى مؤسسه ابن هبيرة^(١) عامل العراق من قبل مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية •

(١) هو يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى الطلفانى (م) •

ولم يعيش ابن هيرة ليستتمه • وبعد زوال بنى أمية ، نزل السفاح أول خلفاء بنى العباس « واستتم تسقيف مقاصير فيه ، وزاد فى بنائه وسماه الهاشمية » ، تخليدا لاسم جده هاشم • وظل الناس يسمون المدينة التى نشأت حول قصر الخليفة باسم العامل الاموي ، وبقي الامر كذلك حتى نزول المنصور فى الهاشمية قبل بنائه بغداد ، فكانوا يسمونها قصر ابن هيرة أو مدينة ابن هيرة على العادة الاولى • وكان قصر ابن هيرة فى المثة الرابعة (العاشرة) أكبر مدينة بين بغداد والكوفة ، وهو على نهر يخرج من نهر سورا يقال له نهر ابى رحي ، أوله من فوق القصر ويصب الى سورا أسفل من القصر • وكانت المدينة ، على ما ذكر المقدسى ، « كبيرة جيدة الاسواق كثيرة اليهود ، والجامع فى السوق » • على انه فى مطلع المثة السادسة (الثانية عشرة) انحطت وقل شأنها على ما يظهر بارتفاع شأن الحلة حتى ان موضعها اليوم أصبح غير معروف وان اشارت اليها الخوارط بأحدى الاخربة الكثيرة التى على بضعة أميال شمال الاطلال الواسعة لبابل القديمة •

اما مدينة الحلة ، وهى على بضعة أميال من اطلال بابل على الفرات أى نهر سورا على ما كان يسمى به فى المثة الرابعة (العاشرة) ، فقد عرفت فى هذا الزمن بالجامعين • وكان معظمها فى أول أمرها فى الجانب الشرقى ، وكانت موضعا عامرا كثير الخصب • ثم بنى سيف الدولة رئيس بنى مزيد فى نحو سنة ٤٩٥ (١١٠٢) الحلة بازائها ، أى فى الجانب الايمن • وسرعان ما علا شأنها لوجود جسر عظيم فيها معقود على مراكب متصلة • وصار طريق الحج من بغداد الى الكوفة يعبر الفرات عليه لما بطل الطريق المار بقصر ابن هيرة (وكان قد آل حينذاك الى الخراب) الذى كان يعبر جسر سورا • وما ان حلت المثة السادسة (الثانية عشرة) حتى صار نهر سورا عمودا للفرات شأنه اليوم وبطل مع الزمن استعمال اسم نهر سورا • وفى سنة ٥٨٠ (١١٨٤) عبر ابن جبير جسرا فى الحلة على الفرات ، وكان هذا الجسر « عظيما معقودا على مراكب كبار تحف بها من جانبها سلاسل من حديد » • وكانت الحلة آنذاك مدينة كبيرة على جانب الفرات الغربى ممتدة مع الفرات • ولابن بطوطة ، وقد اقتفى خطوات سلفه فى أوائل المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وصف طويل لجسر السفن المشهور هذا

فى الحلة ، فقد كان على جانبى هذا الجسر سلاسل من حديد مربوطة فى كلا الشطين الى خشبة عظيمة مثبتة بالساحل • وقد اطرى أسواق المدينة • وما ذكره ابن بطوطة أوردته معاصره المستوفى بكماله فقال ان الحلة أخذت تمتد فى جانب الفرات الشرقى على نحو ما هى عليه فى جانبه الغربى • وكان النخيل يكثر فى داخلها وخارجها فكان ذلك سببا لرتوبة هوائها • واضاف المستوفى الى ذلك ان أهل الحلة كلهم امامية اثنا عشرية ولهم بها مقام يسمونه مشهد صاحب الزمان المهدي المنتظر الذى اختفى فى سامراء سنة ٢٦٤ (٨٧٨) وسيخرج لهداية الناس الى الايمان (أنظر ص ٨٠ أعلاه) (٢) •

واذا ما عدنا ثانية الى وصف ابن سراييون فى المئة الرابعة (العاشرة) لنهر سورا ، ألفيناه يقول ان هذا النهر كان على ما قد بينا ، يمر فى غرب اطلال بابل • وذكر المقدسى ان فى هذه الاطلال قرية قريبة من جسر • وللمستوفى حديث طويل عن الكهنة العظام الذين عاشوا فى بابل وعن الجب الذى فى قمة التل ، وقد حبس فيه الملاك الساقطان هاروت وماروت الى يوم الدين (٣) •

وفوق بابل يأخذ من سورا ، آخر الانهار الكثيرة التى تحمل من الفرات الى دجلة • وهذا النهر ، ويعرف اليوم بشط النيل ، قد سماه ابن سراييون فى قسمه الاعلى غرب مدينة النيل بـ « الصراة الكبيرة » • ويشبه هذا الاسم اسم

(٢) ابن سراييون ١٠ و ١٦ : اليعقوبى ٣٠٩ : الاصطخرى ٨٥ و ٨٦ : ابن حوقل ١٦٦ و ١٦٨ : المقدسى ١٢١ : ياقوت ٢ : ٣٢٢ : ٣ : ٨٦١ : ٤ : ١٢٣ : ابن جبير ٢١٤ : ابن بطوطة ٢ : ٩٧ : المستوفى ١٣٨ •

(٣) تقع اطلال مدينة بابل على نحو تسعين كيلو مترا جنوب بغداد على نهر الفرات • وقد نقتب فيها بعثة المانية قبل الحرب العالمية الاولى وكشفت عن أهم بقاياها ، على ما يرى ذلك مفصلا فى الكتاب الذى وضعه كولدواى رئيس تلك البعثة وقد نقل الى الانكليزية وطبع بعنوان Koldewey, Excavations at Babylon (London, 1914).

ومما أظهرته التنقيبات : بقايا معبد إيساكلا ، اكبر معابد بابل المخصص بعبادة الاله مردوخ كبير الالهة البابلية ، وزقورة المعبد أى برج المذبح ، ومعابد أخرى منها المعبد المخصص بعبادة الالهة عشتار ، وباب عشتار الذى يمر منه شارع المواكب • وقصر نبوخذنصر وغيره من القصور ، والملهى الاغريقى ، وبعض دور السكنى •

ومع ان هناك ما يدل على استيطان موضع بابل فى عصور ما قبل التاريخ (نحو ٤٠٠٠ ق • م •) فان أقدم إشارة تاريخية الى المدينة باسمها المعروف قد جاءت من عصر السلالة الاكدية (فى حدود ٢٣٥٠ ق • م •) • وذكرت المدينة كذلك فى اخبار سلالة أور الثالثة • ولا بناها البابليون القدماء ، سموها باب ايلو ، أى باب الاله • وقد صارت بابل عاصمة للدولة البابلية واشتهرت فى أيام حمورابى سادس ملوكها وكذلك فى أيام نبوخذ نصر ملك الكلدانيين • (م •)

نهر آخر اشهر منه في بغداد الغربية (أنظر ص ٩٢) ونهر الصراة الكبيرة ،
يجرى الى الشرق ابتداء من مخرجه ويمر بقرى عامرة كثيرة ، وتتفرع منه أنهار
صغيرة متعددة . وقبل ان يصل مدينة النيل بشيء يسير ، يتفرع من يساره نهر
صراة جاماسب ثم يعود فيصب فيه أسفل المدينة . وكان الحجاج ، عامل بنى أمية
المشهور على العراق ، قد اعاد حفر صراة جاماسب . ولكن اسمه ، على ما انتهى
الينا ، بقي ينسب الى جاماسب ، كبير الموازنة الذى عاون الملك كشتاسب فى توطيد
دين زرادشت فى بلاد فارس فى قديم الزمان . كما بنى الحجاج مدينة النيل
وصارت أجمل مدينة فى هذا الطسوج كله . واطلالها ما زال يشار اليها فى
الخارطة باسم النيلية^(٤) . وقد سمى هذا النهر باسم نيل مصر على ما يقال . ويمر
الصراة الكبيرة بمدينة النيل ، وعليه هناك قنطرة عظيمة يقال لها قنطرة الماسى .
وما كان من النهر فى غربى المدينة ، وهو الذى سماه ابن سرايون الصراة الكبيرة ،
عرف فى أيام أبى الفداء بنهر النيل أيضا . اما ابن سرايون فقد اطلق هذا الاسم
على ما جاوز منه شرق مدينة النيل فقط .

ويمر هذا النهر بقرى ورساتيق على جانبيه فيسقيها حتى يصل هورا يقال
له الهول قرب دجلة بازاء النعمانية (أنظر ص ٥٦) . ومنه يتفرع نهر
يقال له الزاب الاعلى يحمل الى دجلة رأسا . اما نهر النيل نفسه فانه من الهول
ينساب فى طريقه جنوبا فيسير بموازية دجلة مسافة قليلة حتى يصير فى أسفل
مدينة نهر سابس . ومدينة سابس على مسيرة يوم فوق واسط ، وعندها يصب النهر
فى دجلة . وربما ينساب بعض مائه فى الزاب الاسفل الى دجلة . ومما يحسن

(٤) على نهر النيل المندرس وفى ما يعرف بالجزيرة بين المدحتية (قرب الفرات) والنعمانية
(على دجلة) ، اطلال واسعة تعرف بتل النيل والنيليات والنيلية . فى موضع يطابق صفة موضع مدينة
النيل التى بناها الحجاج . وقد فحصتها دائرة الآثار العراقية سنة ١٩٤٥ . وبامتداد جانبى هذا النهر
القديم تلون أثرية وبقايا أبنية هي معالم القرى التى كانت تقوم على هذا النهر ، وهى اليوم أرض
ورملية . ولكن أكبر هذه التلون وأعلاها هو المسمى بالنيلية أو النيليات . ويشق النهر هذه المدينة ،
وعرضه نحو ثلاثين مترا . وفيه بقايا دعائم من الآجر والنورة كانت تقوم عليها ولا شك « قنطرة
الماسى » . وعند ضفته الجنوبية بناء فخم قد تداعى يتألف من بهو فيه بقايا اساطين من مدينة النيل
كان مبنيا بالآجر . وتبين من فحص كسر الفخار التى على سطح التل انها من المئة السابعة للهجرة .
كما عثر فيها على نقود نحاس من العصر الإيلخانى . والمعروف ان مدينة النيل كانت دار ضرب فى
العصر العباسى أيضا (م) .

بيانه أيضا ان ما كان من النيل أسفل الهول يقال له نهر سابس واليه نسبت المدينة التى على يمين دجلة ، على ما بينا فى (ص ٥٧) * ولقد تبدلت تسميات هذه الانهار فى أزمنة مختلفة : ففى المثة السابعة (الثالثة عشرة) ذكر ياقوت ان مجرى النهر من مدينة النيل الى النعمانية كان يسمى نهر الزاب الاعلى ، بينما يظهر ان زابه الاسفل يطابق نهر سابس لدى ابن سراييون * وعلى كل فان معظم أقسام هذين النهرين قد جفت فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) وان بقى عامرا ما كان على جانبيهما من رساتيق *

فاذا عدنا الى اطلال بابل على الفرات ، وجدنا اسفل منها على نهر سورا قنطرة يقال لها قنطرة القامغان « والماء فيها منصب عظيم » ، على ما ذكر ابن سراييون * وعلى ستة فراسخ اسفل من هذه القنطرة ، بالقرب من الجامعين - الحلة الحديثة - ، ينقسم نهر سورا الى قسمين : يتجه الايمن جنوبا فيمر بالجامعين ، والايسر ويقال له نهر النرس يجرى نحو الجنوب الشرقى فيسقى حمام عمر وغيرها من القرى وينتهى الى مدينة نفر * وقد سمي هذا النهر بذلك نسبة الى نرسى (نرسس) الملك الساسانى الذى اعتلى العرش فى سنة ٢٩٢ للميلاد وقد كان أمر بحفره * وبعد ان يجرى جنوبا بشىء يسير ، يصب نهر النرس ونهر سورا ماءهما فى نهر البداة الذى يخترق حافة البطائح الشمالية * ونهر البداة أو البداة هذا كان مغيضا يأخذ من يسار فرات الكوفة على مسيرة يوم شمال مدينة الكوفة وربما من قرب بلدة قنطرة الكوفة ويقال لها أيضا القناطير * ولعل الطريق العام كان يعبر نهر البداة عليها * ومدينة القناطير هذه على سبعة وعشرين ميلا جنوب جسر السفن العظيم الذى على سورا * وهذا الجسر على ثمانية وعشرين ميلا شمال الكوفة ولعل القناطير تجاوز أو تطابق موضع فومبديتة (Pombedita) العبرية (وبالعربية فم البداة) وكانت ، على ما ذكر بنيامين التطيل فى المثة السادسة (الثانية عشرة) ، مركزا علميا عظيما لليهود فى بلاد بابل * وبعد ان يجرى نهر البداة نيفا وخمسين ميلا ويستقبل فى يساره مياه نهر سورا الاسفل ونهر النرس ، يصب أخيرا فى البطائح قرب مدينة نفر (٥) *.

(٥) ابن سراييون ١٦ ؛ البلاذرى ٢٥٤ و ٢٩٠ ؛ ابن رسته ١٨٨ ؛ ابن حوقل ١٦٧ ؛ المقدسى.

وكان الطسوجان اللذان بين منقسم الفرات الاسفل ، ونهر سورا الى شرقيهما وعمود الفرات الى غربيهما ، يعرفان بطسوج القلوجة العليا والسفلى ، وفي اسفلهما يمر النهر بمدينة القنطرة وبفم نهر البداة ثم ينتهي الى الكوفة في الجانب الغربي من الفرات تجاه الجسر . وفي جنوب الكوفة كانت مياه هذا النهر تنصب في البطائح من فروع صغيرة له . والنهر القديم سماه قدامة والمسعودي نهر العلقمي ، وهو على ما يظهر يطابق نهر الهندية الحالي الذي ينشطر اليوم من الفرات في أسفل المسيب . وكان يمر بخرائب الكوفة القديمة ثم يلتقي بعمود الفرات الحالي بعد ان يجرى بين أهوار البطائح التي كانت في العصر العباسي .

وأسس المسلمون مدينة الكوفة عقيب فتحهم بلاد العراق بعد ان بدأوا ببناء البصرة ، أي في نحو سنة ١٧ (٦٣٨) أيام الخليفة عمر . واختطت الكوفة لتكون معسكرا للجيش في الجانب الغربي من الفرات أي جانب البادية . وقامت على بسيط واسع من الارض على ضفة النهر جوار الحيرة المدينة الفارسية القديمة^(٦) . ثم تكاثرت الناس في الكوفة . وحين قدم اليها علي (بن أبي طالب) في سنة ٣٦ (٦٥٧) وأقام فيها ، صارت مدى اربع سنين عاصمة المسلمين الذين والوا عليا وبايعوه بالخلافة . وقد أغتيل الامام علي سنة ٤٠ (٦٦١) في جامع الكوفة . ووصف الاصطخرى مدينة الكوفة في المثة الرابعة (العاشرة) فقال « انها قريبة من البصرة في الكبر وهوأوها اصح وبنأوها مثل بناء البصرة » . وكانت أسواقها عامرة ، الا انها دون أسواق البصرة شأنًا ، وكان المسجد الجامع^(٧) الذي فيه أصيب الامام علي بضربة قاتلة ، في شرقي المدينة . وفيه

١٢١ : ابو الفداء ٥٣ : ياقوت ١ : ٧٧٠ : ٢ : ٣١ و ٩٠٣ : ٣ : ٤ و ٣٧٩ : ٤ : ٧٧٣ و ٧٩٨ و ٨٤٠ : ٨٦١ : المستوفى ١٣٦ : رحلة بنيامين التطيلي (طبعة اشتر) ١ : ١١٢ . انظر أيضا دي غوية في ZDMG. لسنة ١٨٨٥ ص ١٠ .
قلنا : نقل عزرا حداد « رحلة بنيامين التطيلي » من العبرية الى العربية وطبعها في بغداد سنة ١٩٤٥ (م) .

(٦) كانت الحيرة من المدن العربية قبل الاسلام ، قامت فيها دولة المناذرة العربية . (م) .
(٧) ترى خرائب الكوفة القديمة اليوم بين الكوفة الحديثة والنجف . وهي تتألف من أكام ومرتفعات واسعة . وقد نقتبت مديرية الآثار العراقية في سنة ١٩٣٦ موضع « قصر الكوفة » و« ضلع » المسجد الجامع « الملاصقة له وتمكنت من وضع مخطط لبقايا القصر والمسجد الجامع المجاور له . وظهر لها ان القصر كان مربع الشكل تقريبا يتراوح طول اضلاعه بين ١٦٩ و ١٧٢ مترا . وتُخُن الجدران ٣٦٠ متر . وقد أصاب هذه البقايا تدمير وتخريب بسبب اقتلاع حجارته منذ عشرات أو مئات السنين لاستعمالها

السواري من صم الحجارة المنحوتة التي نقلت من مدينة الحيرة المجاورة وكانت قد خلت عن الاهل ببناء الكوفة . ومن محلات الكوفة الكبيرة : الكناسة ، في طف البادية وحولها بساتين النخيل وتمرها أجود التمور . ولما مر ابن جبير بالكوفة في سنة ٥٨٠ (١١٨٤) كانت « لا سور لها فقد استولى الخراب على أكثرها ، والجامع العتيق آخرها » . وذكر ابن بطوطة في المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ان سقف جامع الكوفة يقوم « على سواري حجارة ضخمة منحوتة قد صنعت قطعاً ووضع بعضها على بعض وأفرغت برصاص » . وبهذا المسجد محراب يعين موضع مقتل علي . وسرد المستوفى حديثاً طويلاً عن الكوفة فقال ان ذرع أسوارها ١٨٠٠٠ خطوة ، وقد بناها الخليفة المنصور . وكان قصب السكر فيها أجود ما في سائر العراق ، ويكثر فيها القطن . وكان في سارية من سواري الجامع علامة كف علي وفيه أيضاً « الموضع الذي فار منه التنور حين طوفان نوح » (٨) .

وعلى دون الفرسخ من جنوب الكوفة ، اطلال الحيرة . وكانت مدينة عظيمة في أيام الساسانيين وبالقرب منها القصران المشهوران : الخورنق والسدير . وقد بنى النعمان ملك الحيرة قصر الخورنق ، على ما قيل ، للملك بهرام جور الصياد العظيم . وحين استولى المسلمون على الحيرة في اثناء فتح العراق ، هالهم قصر الخورنق بما كان فيه من ابهاء فسيحة . واتخذ الخلفاء بعد ذلك موضعاً ينزلون فيه اثناء خروجهم للصيد . ومع انه لم يبق من هذا القصر شيء الا ان على ما يظهر ، الا ان بقايا قبابه الضخمة وبعض عمارته كان ما زال شاخصاً حين مر به ابن بطوطة في مطلع المثة الثامنة (الرابعة عشرة) (٩) . وكانت القادسية مدينة على سيف البادية ، على خمسة فراسخ غرب الكوفة ، وهي أول مرحلة في طريق

في مباني الكوفة الحديثة . راجع « مسجد الكوفة » وهو من منشورات دار الآثار العراقية . (م) .
(٨) للمستشرق الفرنسي لويس ماسنيون ، رسالة في « خطط الكوفة » نقلها الى العربية تقي الدين المصبي . ومما طبع عن الكوفة « تاريخ الكوفة » للبراقى ، و « مسجد الكوفة » لدار الآثار العراقية . (م) .

(٩) ترى اطلال الحيرة على نحو سبعة كيلومترات من جنوب الكوفة . وقد نقب فيها سنة ١٩٣١ الاثريان رايس Talbot Rice وريتلنكر Reitlinger وعثرا فيها على مبان وبيع وزخارف جدارية من الجص وغير ذلك من الآثار . وليوسف غنيمة كتاب « الحيرة » طبعه سنة ١٩٣٦ .
اما الخورنق فقد نقيت مديرية الآثار العراقية في بعض اطلاله . راجع سومر ٢ [١٩٤٦]

الحج الى مكة • وكان حولها نخيل وبساتين • وبالقرب منها احرز المسلمون سنة ١٤ (٦٣٥) نصرا عظيما في أول وقعة كبيرة جرت لهم مع الفرس ، أسفر عن استيلائهم على العراق • ووصف المقدسى القادسية - وتسمى قادسية الكوفة تمييزا لها عن قادسية سامراء على دجلة (أنظر ص ٧٣) - بأنها « مدينة تعمّر أيام الحج • ولها بابان وحصن طين • وقد شق لهم نهر من الفرات الى حوض على باب بغداد » • وعند باب البادية ، الجامع • وامامه كانت تقام السوق في أيام الحج ^(١٠) • ولما اجتاز ابن بطوطة بالقادسية في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت قد اضمحت قرية كبيرة • وذكر المستوفى ان معظمها في أيامه خراب ^(١١) •

والنجف ، وفيها مشهد علي الذي يكرمه الشيعة ويقصدونه ، على نحو أربعة أميال من غرب خرائب الكوفة • وهى مدينة عامرة الى يومنا هذا • والمتواتر لدى الشيعة ، على ما ذكر المستوفى ، ان الامام عليا لما ضرب في جامع الكوفة وحضرته الوفاة أوصى بان يوضع جثمانه على جمل ثم يطلق على رسله وحشما يبرك تدفن جثته هناك ، ففعل بهذه الوصية • ولكن في أيام بنى أمية لم يشيد له قبر ، اذ كان الموضع قد أخفى • على انه في سنة ١٧٥ (٧٩١) اهتدى الى موضعه الشريف ، الخليفة هرون الرشيد العباسى • فانه خرج راكبا ذات يوم الى ظاهر الكوفة يتصيد ، وطارده صيده الى كتيب فلما لحق به توقف فرسه عنده • فطلب من له علم بذلك فاخبره بعض شيوخ أهل الكوفة انه قبر علي ابن ابي طالب تلجأ اليه حتى وحوش البر فلا ينالها اذى • ثم ان الرشيد أمر بحفر الموضع واظهر قبر علي • وعلى ما ذكر المستوفى بنى عليه قبة • وأخذ الناس في زيارته • وبدء تاريخ هذا المقام مبهم ، وما أوردناه انما هو ما اتفق عليه الشيعة • على ان هرون

(١٠) ما قاله المقدسى بصدد الجامع (ص ١١٧) - في القادسية « ما آخر يجرونه عند باب البادية أيام الحج • وهى سوق واحد الجامع فيه » • (م) •

(١١) ابن سريون ١٠ و ١٦ : قدامة ٢٣٣ : المسعودى : التنبيه ٥٢ : الاصلطخرى ٨٢ : ابن حوقل ١٦٣ و ١٦٦ : المقدسى ١١٦ و ١١٧ : ياقوت ٢ : ٤٩٢ : ٣ : ٥٩ : ٤ : ٣٢٢ : ابن جبير ٢١٣ : ابن بطوطة ١ : ٤١٤ : ٢ : ١ و ٩٤ : المستوفى ١٣٣ و ١٣٨ و ١٤٠ •

لم تكن البحيرة الواسعة الضحلة - المعروفة ببعر النجف - الممتدة الآن غرب بقايا الكوفة القديمة ومشهد النجف ، في العصور الوسطى • وكان طريق الحج من الكوفة الى مكة يجتاز ما قد صار قعرا لها الآن •

الرشيد وان قرّب اليه العلويين حقبة من عهده ، فان تواريخ العرب لم تذكر انه هو الذى وقع على قبر علي .

وأقدم من أطلال القول فى مشهد علي ، ابن حوقل ، فى منتصف المئة الرابعة (العاشرة) . فقد أخبرنا ان الامير الحمداني ابا الهيجاء - وكان أمير الموصل فى سنة ٢٩٢ (٩٠٤) وتوفى فى سنة ٣١٧ (٩٢٩) « ابتنى على القبر قبة عظيمة مرتفعة الاركان من كل جانب لها أبواب وسترها بفاخر الستور وفرشها بشمين الحصر الساماني . وجعل عليها حصارا منيعا » . على ان الاصطخرى وابن حوقل ذكرا ان قبر علي فى ايامهما كان فى زاوية جامع الكوفة الكبير . وقد أيد ذلك كثير من الثقات وعززه غيرهم من المصنفين^(١٢) . وزاد المستوفى على ذلك قوله : ان فى سنة ٣٦٦ (٩٧٧) شيد عضد الدولة البويهى الضريح الذى ظل قائما حتى أيامه (أى فى أيام المستوفى) . واصبح الموضع حينذاك مدينة صغيرة محيطها ٢٥٠٠ خطوة . وجاء فى تاريخ ابن الاثير ، ان عضد الدولة دفن فيها عملا بوصيته . ودفن فيها أيضا ابنه شرف الدولة وبهاء الدولة . واقتفى أثره بعده كثير من أعيان القوم . وفى سنة ٤٤٣ (١٠٥١) أحرق أهل بغداد الضريح وأزالوا أثره^(١٣) . وكانوا يشتدون فى اضطهاد الشيعة . على انه سرعان ما أعيد بناؤه فقد زاره ملكشاه ووزيره نظام الملك فى سنة ٤٧٩ (١٠٨٦) .

وحينما كتب المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) قال ان غازان الایلخانى ، كان استحدث فى مشهد علي دارا للسادة سميت بدار السيادة وأشأ خاتناه (تكيه للصوفية) . وذكر ياقوت قبل المستوفى بقرن ان « النجف بظهر

(١٢) جاء فى الاصطخرى (ص ٨٢) :

« وقريب من الكوفة قبر على (عم) وقد اختلف فى مكانه فقليل انه فى زاوية على باب جامع الكوفة ، اخفى من اجل بنى أمية . ورأيت فى هذا الموضع دكان علاف . ومنهم من زعم انه من الكوفة على فرسخين وعليه قنطرة (وفى نسخة ثانية : منطرة) وآثار المقابر » . وقال ابن حوقل (ص ١٦٣ دى غويه = ٢٤٠ كريمز) :

« وبالكوفة قبر أمير المؤمنين على صلوات الله عليه ، ويقال انه بموضع يل زاوية جامعها واخفى من اجل بنى أمية خوفا عليه . وفى هذا الموضع دكان علاف . ويزعم أكثر ولده ان قبره بالمكان الذى ظهر فيه قبره على فرسخين من الكوفة » (م) .

(١٣) حادثة الاحراق جرت على قبر الامام موسى بن جعفر ، كما فى كامل ابن الاثير المنتظم لابن الجوزى وكما ذكره المؤلف نفسه فى كتابه عن بغداد (الدكتور مصطفى جواد) .

الكوفة كالمسناة تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة » • ولكنه لم يشر الى المشهد •
وقدم الرحالة ابن بطوطة الى النجف في سنة ٧٢٦ (١٣٢٦) فقال في مشهد
علي انه « مدينة حسنة » • ودخله من باب الحضرة الفضة المؤدى رأسا الى
الضريح • واطن في وصف أسواقها ومدارسها الجليلة كما أشاد بجامعها وفيه
ضريح الامام علي وكانت حيطانه بالقاشاني • وذكر ان المقعدين كانوا يراؤون من
عاهاتهم في الروضة • وسرد كشفا بكثير من قناديل الذهب والفضة التي نذرت
لها ، وذكر أيضا انها مفروشة بأنواع البسط من الحرير وسواه^(١٤) • ووصف
الضريح نفسه فقال : « في وسط القبة مصطبة مربعة مكسوة بالخشب عليها صفائح
الذهب المنقوشة والمحكمة العمل مسمرة بمسامير الفضة » • ويفضي الى الضريح
أربعة أبواب ، بجلى كل باب ستار وعتبه من الفضة وعليه ستور من الحرير
الملون » وختم ابن بطوطة حديثه بذكر الكرامات التي يضيفها الامام علي على
المؤمنين الصادقين^(١٥) •

اما كربلاء ، أى مشهد الحسين ، فعلى ثمانية فراسخ من شمال غربى
الكوفة • وهى تعين موضع الوقعة التي استشهد فيها الحسين بن علي حفيد الرسول
مع جميع آله وذويه تقريبا فى سنة ٦١ (٦٨٠) • ويزور الشيعة اليوم مشهد
الحسين أكثر مما يزورون مشهد علي • ولا علم لنا بأول من بنى هذا المشهد ،
الا ان هناك ما يدل على وجود بناية فيه ، منذ المئة الثالثة (التاسعة) • فان
الخليفة المتوكل ، وهو الذى يمقتة الشيعة مقتا لم يضعف على مرور الزمن ، أمر
فى سنة ٢٣٦ (٨٥٠) بهدم قبر الحسين وبسقى موضع قبره ومنع الناس من

(١٤) فى الروضة الحيدرية فى النجف ، خزانة حافلة بكنوز ثمينة وذخائر نفيسة ، اجتمعت
من النذور المهداة اليها تبركا وتقربا • وهى محفوظة فى موضع حرير • وقد نظم لهذه الذخائر
ثبت فى صفتها ، وقفنا على نسخة منه (مكتوبة بالالة الكاتبة) فى دار الآثار العراقية • كما
ان الاستاذ محمد اغا أوغلو ، زار النجف واطلع على ما فى الحضرة من سجاجيد ومنسوجات ،
وصفها فى كتابه الموسوم :

Safawid Rugs and Textiles. The Collection of the Shrine of Imam
Ali at al-Najaf, (New York, 1941). (م)

(١٥) الاصطخرى ٨٢ : ابن حوقل ١٦٣ : المقدسى ١٣٠ : ابن الاثير ٩ : ١٣ و ٤٢ و ١٦٩
و ١٩٤ : ١٠ : ١٠٣ : المستوفى ١٣٤ : ياقوت ٤ : ٧٦٠ : ابن بطوطة ١ : ٤١٤ - ٤١٦ •
قلنا : ومن التأليف الحديثة فى النجف ، كتاب « ماضى النجف وحاضرها » للشيخ جعفر
محبوبة (صيدا ١٩٣٤) • (م)

ايتانه ، وتهددهم بالعقاب الشديد ان زاروه . وذكر المستوفى فى وصفه قصور سامراء ، ان هذه الاساءة التى أوقعها المتوكل قد جوزي عليها فلم ينجز بناء قصر واحد من قصوره التى ابتناها فى سامراء ، بل اصابها ما أصاب قبر الحسين على يده . ولا يعلم كم بقى هذا الموضع خرابا ، الا ان عضد الدولة البويهى ، بنى فيه سنة ٣٦٨ (٩٧٩) حضرة جليلة ، ولا ريب ان اتساع هذا البناء قد تنبه اليه الاصطخرى وابن حوقل ، البلدانان اللذان كتبنا قبل هذا التاريخ بمدة قصيرة .

وفى سنة ٤٠٧ (١٠١٦) احترقت قبة مشهد الحسين ، ولكنها جددت بعد فترة وجيزة على ما يظهر . فان ملكشاه ، زار مشهد الحسين فى سنة ٤٧٩ (١٠٨٦) حين خرج متصيذا فى تلك الانحاء . ومما يؤسف عليه ، أن ياقوتا الحموى لم يصف الضريحين فى كربلاء ، بل انه ذكر عرضا « الحائر » ، وهو السور الذى يحف بضريح الحسين . وتكلم المستوفى فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) على مدينة صغيرة كانت قد نشأت حول الروضة . وقال ان محيطها نحو ٢٤٠٠ خطوة . ووصف معاصره ابن بطوطة المدرسة العظيمة التى زارها هنا وقال : « على باب الروضة الحجاب والقومة » لا يدخل احد الا عن اذنهم فيقبل العتبة الشريفة ، وهى من الفضة . وعلى الضريح المقدس ، قناديل الذهب والفضة ، وعلى الابواب أستار الحرير . وزاد ابن بطوطة على ذلك ان أهل هذه المدينة فى قتال ابداء ، ولأجل فتهم تخربت هذه المدينة . على انها كانت تحف بها بسايتين النخيل وتسقيها أنهار تأخذ من الفرات (١٦) .

ولما وصف ابن خرداذبه وقدامة اقليم العراق فى المثة الثالثة (التاسعة) ، قالوا ان هذا الاقليم كان اثنتى عشرة كورة كل كورة استان ، وطساسبجه ستون طسوجا . وهذا التقسيم ، ولعل الاصل فيه كان لغايات مالية ، قد أعاد المقدسى

(١٦) الاصطخرى ٨٥ : ابن حوقل ١٦٦ : المقدسى ١٣٠ : ياقوت ٢ : ١٨٩ : المستوفى ١٣٤ و ١٣٩ : ابن بطوطة ٢ : ٩٩ : ابن الاثير ٧ : ٣٦ : ٨ : ٥١٨ : ٩ : ٢٠٩ : ١٠ : ١٠٣ .
قلنا : وقد عنى بعض المؤلفين العراقيين المحدثين بوضع تأليف عن كربلاء ، منها :
١ - كربلاء فى التاريخ - للسيد عبد الرزاق آل وهاب .
٢ - مدينة الحسين أو مختصر تاريخ كربلاء - للسيد محمد حسن مصطفى آل كليدار (جزآن) .
٣ - تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام : للدكتور عبد الجواد الكليدار (م) .

سرد شيء منه في القرن الذي يليه • وعليه يحسن بنا ان نذكر الاستانات الاتية عشر واشهر طساسيجها • يتألف ثبت الاستانات ، من ثلاث مجموعات ، بما يوافق الانهار التي تسقيها وماآخذ تلك المياه •

فالمجموعة الاولى ، تتألف من أربعة استانات ، وهي التي في جانب دجلة الشرقي • وسقيها من هذا النهر ومن تامرا وهي : (١) كورة استان شاذ فيروز : وهي حلوان (ويقال لها أيضا شاذ فيروز) وفيه طسوج تامرا وطسوج خانقين وثلاثة طساسيج أخرى^(١٧) • فمجموعها خمسة طساسيج • و (٢) كورة استان شاذ هرمز حول بغداد ، وطساسيجه : طسوج نهر بوق وطسوج كلوازي ونهر بين وطسوج المدينة العتيقة (أى المدائن) وطسوج راذان الاعلى وطسوج راذان الاسفل وطسوجان آخران^(١٨) وكلها سبعة طساسيج • و (٣) كورة استان شاذ قباذ وطساسيجه طسوج جلولا وطسوج البنديجين وطسوج براز الروز وطسوج الدسكرة وأربعة طساسيج أخرى^(١٩) وكلها ثمانية طساسيج • وتسميات الاستانين الاخيرين أوردناها على ما جاءت في ابن خرداذبه وقد خالفه قدامة بابداله الاسمين ، فجعل استان شاذ قباذ : استان بغداد • واطلق اسم خسرو شاذ هرمز على طسوج جلولا مع الطساسيج السبعة المجاورة له • وآخر الاستانات في شرقي دجلة كان (٤) كورة استان بازيجان خسرو ويقال له النهروان ، وقد سماه قدامة ارندين كرد ، وفيه خمسة طساسيج وهي : طسوج النهروان الاعلى وطسوج النهروان الاوسط وطسوج النهروان الاسفل (ومعه اسكاف بنى جنيد وجرجرايا ونحوها) وطسوج بادرايا وأخيرا طسوج باكسايا •

والمجموعة الثانية ، استانان وكان سقيهما من دجلة ومن الفرات وهما (٥) كورة استان كسكر وهي شاذ سابور اربعة طساسيج حول واسط^(٢٠) و (٦)

(١٧) هذه الطساسيج الثلاثة التي أغفل المؤلف ذكرها ، هي طسوج فيروز قباذ ، وطسوج الجبل ، وطسوج اربل (المسالك والممالك لابن خرداذبه ص ٦) • (م) •
(١٨) وهما طسوج بزر جسابور وطسوج جازر (ابن خرداذبه ص ٦) (م) •
(١٩) وهي طسوج رستقباذ وطسوج مهروز وطسوج سلسل وطسوج الديبين (ابن خرداذبه ص ٦) • (م) •
(٢٠) وهي طسوج الزندورد وطسوج الثرثور وطسوج الاستان وطسوج الجوازر (ابن خرداذبه ص ٧) • (م) •

كورة استان شاذ بهمن وهى كورة دجلة على دجلة الاسفل وفيها أربعة طساسيج
هى طسوج ميسان وطسوج دستميسان وطسوجان آخران^(٢١) ويقع دستميسان
حول الابلّة •

اما الاستانات الستة الباقية فكلها الى غربى دجلة وكان سقيها من نهر دجيل
القديم ، وقد مر ذكره ، ومن الانهار الكبيرة الاتخذة من الفرات والمادة شرقا الى
دجلة • وأول هذه الاستانات كان (٧) كورة استان العالى وطساسيجه الاربعة
بامتداد نهر عيسى وهى : طسوج فيروز سابور وهو الانبار وطسوج مسكن
وطسوج قطربل وطسوج بادوريا • يليه اسفله (٨) كورة استان اردشير بابكان
وهى على امتداد نهر كوئى والنيل وفيها طسوج بهرسير وطسوج الرومقان
يازاء المدائن وطسوج كوئى وطسوج نهر درقيط وطسوج نهر جوير • والى
شرق هذا استان كان (٩) كورة استان الزوابى وهى به ذيوماسفان وطساسيجه :
طسوج الزاب الاعلى وطسوج الزاب الاوسط وطسوج الزاب الاسفل •

اما الاستانات الثلاثة الاخيرة فكانت بالتعاقب : استان بهقباد الاعلى والاوسط
والاسفل • وأول هذه الثلاثة (١٠) كورة استان بهقباد الاعلى وهى ستة
طساسيج : طسوج بابل (حول خرائب بابل) وطسوج الفلوجة العليا وطسوج
الفلوجة السفلى وطسوجان آخران^(٢٢) • وطسوج عين التمر على بعد يسير من
غرب الفرات • و (١١) كورة استان بهقباد الاوسط وفيه اربعة طساسيج هى
طسوج نهر البداة وطسوج سورا وبريسما وطسوج باروسما وطسوج نهر الملك •
وأخيرا (١٢) كورة استان بهقباد الاسفل وفيها خمسة طساسيج^(٢٣) كانت على
الفرات الاسفل حيث يدخل البطائح • ويتبين لنا من هذه الاسماء تقسيمات
الاقليم التى أخذها العرب عن الساسانيين • فقد كان اردشير بابكان مؤسس الدولة
الساسانية وشاذ فيروز أو شاذ فيروز معناها بالفارسية الطالع السعيد • وبهقباد

(٢١) وهما طسوج بهمن اردشير وطسوج ايزقباد (ابن خرداذبه ٧) • (م) •

(٢٢) هما طسوج خطرنية وطسوج النهرين (ابن خرداذبه ص ٨) • (م) •

(٢٣) هى طسوج فرات بادقلى وطسوج السيلحين وطسوج نستى وطسوج رودستان وطسوج

هرمز جرد • ويقال ان رودستان وهرمز جرد ضياع متفرقة من طساسيج عدة • (ابن خرداذبه
ص ٨) • (م) •

ومعناها أرض قباذ الطيبة ، وشاذ معناها مجد • فشاذ هرمز وشاذ قباذ وشاذ سابور وشاذ بهمن ينوّه كلها باسماء أربعة من أشهر ملوك الفرس (٢٤) •

وكانت تجارات العراق اكثرها مما يُحمل اليها من سائر البلدان وكانت عاصمة الاقليم تستهلك محصول غيره من الانحاء • ومع ذلك فقد سرد المقدسي ثبثا بالسلع والصناعات التي اشتهرت بها جملة من المدن ، وهذا الثبث ، وان لم يكن قد أوفى على الغاية ، الا انه حريّ بالنظر •

كانت اسواق بغداد حافلة مشهورة بغرائب السلع التي تحمل اليها من سائر البلدان وكان ينسج فيها ألوان ثياب الخز - النسيج العتّابي المشهور وجلّه من الحرير • وانما سمي بذلك نسبة الى احدى محلات بغداد (٢٥) - وبغداد أزر وستور وعمائم رفيعة وألوان المناديل السامانية الرفيعة • واشتهرت البصرة بالخز ، وأسواقها بباعة اللآلئ والطرائف • والبصرة الى ذلك معدن الجواهر • وبها يصنع الراستخت والزنجفر والزنجار والمرداسنج (٢٦) • ومنها تحصل

(٢٤) ابن خرداذبه ٥ - ٨ : قدامة ٢٣٥ و ٢٣٦ : المقدسي ١٣٣ •

(٢٥) للفظ العتّابي خبر طويل ذكره المؤلف في كتابه (بغداد في عهد الخلافة العباسية ص ١٢٢ - ١٢٣ من الترجمة العربية) قال يصدد كلامه على محلة العتّابية ، وهي من محلات الجانب الغربى من بغداد : « ذاعت شهرة الحرير العتّابي في جميع أطراف العالم الاسلامى ، وقلدت صنعه مدن اخرى • فقد روى الادريسي في سنة ٥٤٨ (١١٥٣) ان المرية في جنوبى الاندلس كان فيها فى أيامه ثمانمئة مغزل لنسج الحرير ، منها الثياب العتّابية • واستعمل هذا الاسم فى اللغة الاسبانية بلفظة Attabi ومنها انتقلت الى الايطالية والفرنسية بصورة Tabis .

واستعمل الانكليز لفظه Taby للدلالة على نوع جيد من المنسوجات الحرير ، ثم أصبحت اسما عاما فى القرنين السابع عشر والثامن عشر • ولما استقبلت اليزابث ملكة انكلترة السفير البندقي فى شباط سنة ١٦٠٣ كانت عليها حلة من الفضة وال Taby (الحرير) الابيض • وجاء فى يوميات صموئيل بيبس : انه لبس فى ١٣ تشرين الاول ١٦٦١ صدرية حرير Tabby وشريطا ذهبيا • كما ان المس برنى ، ظهرت فى حلة جميلة من ال Tabby البنفسجى بمناسبة حفلة ولادة اميرة فى قصر وندسور • وورد لفظ Tabbi فى معجم جونسون وامامه هذا التفسير : وشريطا ذهبيا • كما ان المس برنى ، ظهرت فى حلة جميلة من ال Taby اذا كانت ذات فرو ناعم مخطط • ومن الغريب ان يعم لفظ Taby بهذا الوجه وهو فى الاصل اسم صحابى كان عاملا على مكة فى المئة السابعة للميلاد •

وانظر ما كتبه الاب انستاس الكرملى عن العتّابى فى مجلة غرفة تجارة بغداد (٤ : ٢٢ -

٢٤) • (م) •

(٢٦) الراستخت - الكحل •

الزنجفر - معدن متفتت بخاص يعمل منه الحبر الاحمر • تعريب شنجرف وقال عنه فى البرهان القاطع « انه معدنى وصناعى • فالمعدنى يحصل فى معادن النحاس والذهب والزئبق ، وهو نادر الوجود • والصناعى يستنبط من الزئبق والكبريت وهو سم قاتل » (الالفاظ الفارسية العربية لادى شير • ص ٨٠) • وانظر تاج العروس ٣ : ٣٤٤ ؛ ومحيط المحيط لبطرس البستاني

التمور والحناء والخز والماورد والبنفسج » • « وبالأبله تعمل ثياب الكتان الرفيعة على عمل القصب » • واشتهرت الكوفة بالتمور والبنفسج وعمائم الخز • واشتهرت واسط بالسّمك البنيّ وبسمك مقدد يقال له « شيم » وأخيرا كان يصنع في النعمانية اكسية وألوان ثياب الصوف (٢٧) •

وقد بيّنا في الفصل التمهيدي ، ان بغداد كانت في أيام الخلافة العباسية ، المركز الذي تخرج منه جميع الطرق • فمنها كان يخرج خمسة طرق كبيرة - الى البصرة والكوفة والانباء وتكريت وحلوان - تصلها بأقاصى الدولة • ولا مرأى في ان اسير الطرق من بغداد الى البصرة ، كان بالسفن المنحدرة في دجلة • وقد ذكر ابن رسته واليعقوبى ما فى هذا الطريق من مدن على يمين النهر ويساره • فكانت السفن تنحدر فى عمود دجلة حتى القَطْر ثم تدخل البطائح فتجتازها من أزقة تتخلل الهول (أنظر ص ٦٢) ثم يفضى نهر ابى الاسد الى رأس فيض دجلة ومنه الى البصرة فى نهر معقل • فاذا ارادت السفن عبادان فخليج فارس ، عادت الى الفيض بنهر الابله • اما الطريق البرى من بغداد الى واسط فى شرقى دجلة المار بالمداين ، فقد وصفه ابن رسته وصفا ساعدنا على تعيين المدن التى على النهر فى الخارطة لانه ذكر ما بينها من مسافات بالفراسخ • ووصف قدامة هذا الطريق أيضا وصفا مطولا ، واستكملنا وصفه الطريق فى موضع أو موضعين من ابى الفداء • وانهى إلينا من قدامة ، وصف الطريق البرى من واسط الى البصرة بامتداد الحافة الشمالية للبطائح • وهذا الطريق هو الذى سلكه ابن بطوطة فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • ولابن رسته وقدامة وصف للطريق من واسط باتجاه الشرق الى الاهواز عاصمة خوزستان • وعند محطة باذيين ، وهى على مرحلة شرق واسط فى هذا الطريق ، ينشطر منه فرع كان يذهب نحو الشمال الشرقى الى الطيب ومنها الى السوس (سوسا) فى

١ : ٨٨٨ • الزنجار - هو المتولد فى معادن النحاس (التاج ٣ : ٢٤٤) •

المرداسنج - يعمل من الرصاص • ومنه ما يعمل من الفضة ومنه ما لونه احمر وهو صقيل ويقال له الذهبى وهو أجود اصنافه • وهو دواء يجفف كما تجفف جميع الادوية المعدنية والحجرية والارضية الا ان تجفيفه قليل جدا (المعرب للجوالقى ص ٣١٧ ح ٢ طبعة احمد محمد شاكر) • وانظر محيط المحيط (٢ : ١٩٦٤) - (م) •

(٢٧) المقدسى ١٢٨ •

خوزستان (٢٨) •

وطريق الحج من بغداد الى الكوفة ، يخرج من باب الكوفة في المدينة المدورة متجها نحو الجنوب ومجتازا محلة الكرخ الى صرصر ومنها الى قصر ابن هبيرة • فاذا جاوز هذه المدينة ، عبر نهر الفرات الشرقي (وهو عمود الفرات الآن) وكان يقال له في المئة الرابعة (العاشرة) نهر سورا ، على جسر السفن في سورا ، ومنها يتجه الى الكوفة • وبازائها يعبر نهر الفرات الغربي على جسر سفن يفضي الى الارباض الشرقية في الكوفة • ومن الكوفة يتجه طريق الحج نحو الجنوب الغربي الى القادسية • فاذا خرج من القادسية وقع في البادية • وقد أورد جميع البلدانين القدماء وصف هذا الطريق • وكان أكثرهم تفصيلا له : ابن رسته • فقد ذكر لبعض اقسام الطريق من بغداد الى الكوفة مسالك أخرى مع ذكر المسافات بالاميال والفراسخ • وبعد مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) خربت مدينة قصر ابن هبيرة ، وهي مرحلة في نصف الطريق بين بغداد والكوفة ، وقامت مقامها الحلة (أنظر ص ٩٧) • فكان الطريق ينحدر اليها من صرصر مارا بفراشا • وكان الطريق يعبر نهر الفرات الشرقي في الحلة على جسر سفن عظيم على غرار الجسر الذي كان قبله في سورا • وهذا هو الطريق الذي سلكه ابن جبير ومن جاء بعده من الرحالين • وكان المعروف ان طول الطريق من الكوفة الى البصرة ، بمحاذاة حافة البطائح الجنوبية ، بين ثمانين وخمسة وثمانين فرسخا • وهذا الطريق الذي يتفرع الى اليسار عند المرحلة الثانية من مراحل البادية في جنوب القادسية ، قد وصفه ابن رسته وابن خرداذبه (٢٩) •

وقد مر بنا انه كان يقطع البادية العربية من العراق الى الحجاز طريقان

(٢٨) ابن رسته ١٨٤ و ١٨٦ - ١٨٨ : اليعقوبي ٣٢٠ : قدامة ١٩٣ و ٢٢٥ و ٢٢٦ : المستوفى ١٩٥ : أبو الفداء ٣٠٥ : ابن بطوطة ٢ : ٨ •

(٢٩) ابن رسته ١٧٤ و ١٧٥ و ١٨٠ و ١٨٢ : اليعقوبي ٣٠٨ : ابن خرداذبه ١٢٥ و ١٤٥ : قدامة ١٨٥ : أبو الفداء ٣٠٣ : ابن جبير ٢١٤ - ٢١٩ : المستوفى ١٩٣ •

قدر المستوفى (ص ٢٥٢) المسافة بين البصرة والكوفة بمحاذاة حافة البادية بعشر مراحل وهي أكثر من مئتين وخمسين ميلا على أقل تقدير • والمشهور في التاريخ ان بلال ابن أبي بردة قطع هذا الطريق من البصرة الى الكوفة في ليلة ويومها على جملة - وهي الناقة السريعة - في امر خطير مستعجل له مع خالد القسري عامل الكوفة في سنة ١٢٠ (٧٣٨) أيام الخليفة هشام الاموي (الطبري ٢ : ١٦٥٧) • وهذا يذكرنا بركوب دك توربن Dick Turpin من لندن الى يورك ، وبينهما نحو مئتي ميل بـ ١٨ ساعة وهي نحو سرعة بلال •

للحج : اولهما يبدأ من الكوفة والاخر من البصرة ويلتقيان عند مرحلة يقال لها « ذات عرق » . وكانت على مسيرة يومين من شمال شرقى مكة . وقد وصفت كتب المسالك فى المئة الثالثة (التاسعة) وكذلك المقدسى ، هذين الطريقين المشهورين مرحلة مرحلة مع ذكر المنازل التى فيها المتعشى ، بين مرحلة وأخرى ، وما بينها من المسافات بالاميال . كان الطريق من الكوفة يمر بفيد على بعد قليل جنوب الحائل ، اجل مدينة فى جبل شمر اليوم . اما طريق البصرة فيمر الى ضرية ، العاصمة القديمة للبلاد التى اصبحت فيما بعد دولة للوهابيين ، وما زالت خرائطها ظاهرة على بضعة أميال غرب الرياض أكبر مدن نجد الآن . وكان يتفرع من طريقى الحج الاخذين من الكوفة والبصرة طرق فرعية تخرج من يمينهما وتفضى رأسا الى المدينة (٣٠) .

(٣٠) جاء وصف طريق الكوفة الى مكة والمدينة فى ابن خرداذبه ١٢٥ : قدامة ١٨٥ : ابن رسته ١٧٥ : البغوي ٣١١ : المقدسى ١٠٧ و ٢٥١ . وجاء وصف طريق البصرة فى ابن خرداذبه ١٤٦ : قدامة ١٩٠ : ابن رسته ١٨٠ و ١٨٢ : المقدسى ١٠٩ و ٢٥١ .

ويحسن بنا ان نشير هنا الى ان أكبر مدينة قديمة فى نجد قد كتبها البلدانونيون العرب بصورة ضرية . ولكن الحاج خليفة (جهان نما ٥٢٧) كان اول من اورد اسمها بالتهجئة الحديثة فقال - درعبة وان كتب اسمها مرة أو مرتين فى رحلته (جهان نما ٥٢٧ و ٥٤٣) بصورة ضرية أو حصن ضرية . وقد عنى البروفسور وستنفلد بوصف جغرافية الحجاز وبلاد العرب عامة مما هو فى شمال الدهناء ، بالاستناد الى المراجع العربية فى سلسلة من المقالات نشرها فى

Abhandlungen der Königlichen Gesellschaft der Wissenschaft zu Göttingen.

وهذه البحوث التى زودها كبيرت Kiepert بخوارط ذات فهارس حسنة قد احتوت على ما يأتى بيانه من البحوث بعنوانها الكاملة . ويظهر ان الجغرافيين الانكليز ليسوا على وقوف تام عليها :

Die von Medina aus laufenden Hauptstrassen (Vol. XI, 1862).

Die Wohnsitze und Wanderungen der Arabischen Stämme (Vol. XIV, 1869).

Die Strasse von Basra nach Mekka mit der Landschaft Dharija (Vol. XVI, 1871).

Das Gebiet von Medina (Vol. XVIII, 1873).

وهو بين طريق الحج بين الكوفة ومكة .

Bahrein und Jemama (Vol. XIX, 1874).

نسم Geschichte der Stadt Medina (Vol. IX, 1860) وقد طبع هذا البحث على انفراد وكذلك المجلد الرابع من : Chroniken der Stadt Mekka (Leipzig, 1861)

وقد كتبه بالالمانية ويحتوى على خلاصة لتاريخ مكة مع تعليق خطى . (انتهت حاشية المؤلف) .

قلنا : ومن كتب فى صفة هذه البلاد ، بعد ان الف لسترنج كتابه ، جماعة من الباحثين والرحالين .

نخص بالذكر منهم برتن Burton ودوتي Doughty وهوكارت Hogarth وموسيل Musil

وجيسمان Cheesman وفلسي Philby وأمين الريحاني وفؤاد حمزة (م) .

ويخرج من بغداد عند باب الكوفة في المدينة المدورة ، طريق ثان يتجه غربا ويذهب الى المحول أولا ثم يتابع ضفة نهر عيسى الى الانبار على الفرات ، ومنها يصعد مع النهر فيمر بالحديثة أعلى مدينة في اقليم العراق ، ومنها يبلغ عانة في اقليم الجزيرة . وهذا الطريق هو القسم الاول لاحد الطرق (المحاذية للفرات) الذاهبة من بغداد الى الشام ، وقد وصفها ابن خرداذبه وقدامة . اما الطريق الآخر الى الشام ، فيتجه شمالا بمحاذاة دجلة الى الموصل ، ويكون في اقليم العراق حتى مدينة تكريت . وهذا الطريق ، وكان طريق البريد ، يخرج من باب البردان في بغداد الشرقية ويسير يسار النهر مارا بعكبرا وسامراء حتى يبلغ تكريت . وعند هذه المدينة كان يلتقى هو وطريق القوافل البادية من محلة الحربية في بغداد الغربية والصاعد مع نهر دجيل الى حربي . ثم يمر بالقصر الذي بازاء سامراء^(٣١) . ثم يسير نهر الاسحاقى الى تكريت . والطريق الاخير هذا ، هو الذى سلكه ابن جبير وابن بطوطة^(٣٢) .

وأخيرا كان يشرع من باب خراسان في بغداد الشرقية ، طريق خراسان . وكان يجتاز بلاد فارس ويتجه ، على ما قد بينا ، الى حدود الصين مخترقا بلاد ما وراء النهر . وقد اسهب ابن رسته في وصف هذا الطريق مرحلة مرحلة ، بل ان اغلب البلدانين الآخرين ، ان لم نقل كلهم ، قد ذكروا المسافات بين اقسام هذا الطريق المختلفة . فصار علمنا به يفوق ما سواء من الطرق^(٣٣) .

(٣١) لعله يريد به قصر العاشق ، وقد مر ذكره . (م) .

(٣٢) ابن خرداذبه ٧٢ و ٩٣ ؛ قدامة ٢١٤ و ٢١٦ و ٢١٧ ؛ المقدسى ١٣٤ ؛ ابن جبير

٢٣٢ ؛ ابن بطوطة ٢ ؛ ١٣٢ ؛ المستوفى ١٩٥ .

(٣٣) ابن رسته ١٦٣ ؛ اليعقوبى ٢٦٩ ؛ ابن خرداذبه ١٨ ؛ قدامة ١٩٧ ؛ المقدسى ١٣٥ ؛

المستوفى ١٩٣ .

الفصل السادس

الجزيرة

الديار الثلاث - ديار ربيعة - الموصل ونيوى والمدن المجاورة - الزاب الكبير
والحديثة واربيل - الزاب الصغير والسن ودقوق - الخابور الصغير
والحسنية والعمادية - جزيرة ابن عمر وجبل الجودي -
نصيبين ورأس العين - ماردين وديسر - الهرماس
والخابور - عربان والثرثار - سنجار
والحضر - بلد واذمة .

كان العرب يسمون بلاد ما بين النهرين العليا بالجزيرة ، على ما قد بينا ،
لان أعلى دجلة والفرات كانت تكتنف سهولها . وكان هذا الاقليم ينقسم الى
ديار ثلاث وهى : ديار ربيعة وديار مضر وديار بكر ، نسبة الى القبائل العربية :
ربيعة ومضر وبكر التى نزلت هذا الاقليم قبل الاسلام ، وكان يحكمه الساسانيون ،
فعرف كل من هذه الديار بقبيلته . وكانت الموصل على دجلة اجل مدن ديار
ربيعة . والرقعة على الفرات قاعدة ديار مضر . وآمد فى أعلى دجلة أكبر مدن
ديار بكر . وديار بكر ، هى أقصى هذه الديار الثلاث شمالا . على ان المقدسى ،
وصف اقليم الجزيرة تحت اسم « اقليم اقور » . واصل اقور غير واضح ، ولكن
يخال لنا انه كان حيناً من الزمن اسم السهل العظيم فى شمالى ما بين النهرين .
واذا رجعنا الى الخارطة ، تبين لنا ان دجلة والفرات فى بلاد ما بين النهرين
العليا ، يستقبلان روافدهما كلها من يسارهما . فقد كانت هذه الروافد ، تنحدر
اليهما من شمالهما الشرقى أو من الشمال . وقد شذت عن هذه القاعدة فى القرون
الوسطى ، انصرف ماء نهر الهرماس الاتى من نصيبين . والهرماس رافد الخابور

(الكبير) • فمياه الهرماس قد سُكرت فوق موضع اجتماعه بالخابور بسُكير العباس • فبينما كان قسم من مائه يجرى فيلتقى هو والخابور الذي يصب في الفرات عند قرقيسياء ، كانت مياه نهر الهرماس نفسه تنصب في يمين دجلة عند تكريت بعد ان تجرى في واد يقال له الثرثار^(١) • والى ذلك فحدود هذه الديار الثلاث قد عنتها الفواصل المائية ، على ما سيتبين لنا • فقد كانت ديار بكر ، وهي سقي دجلة من منبعه الى منعطفه العظيم في الجنوب أسفل من تل فافان مع ما في شمالها من ارض ، تسقيها روافد دجلة الكثيرة التي تنصب في يساره غرب تل فافان • وكانت ديار مضر ، الى الجنوب الغربي ، هي الاراضي المحاذية للفرات من سميساط حيث يغادر سلاسل الجبال منحدرًا الى عانة مع السهول التي يسقيها نهر البليخ رافد الفرات الآتي من حران • اما ديار ربيعة ، فقد كانت في شرق ديار مضر ، وتتألف من الاراضي التي في شرق الخابور (الكبير) المنحدر من رأس العين ومن الاراضي التي في شرق الهرماس وهو النهر المنساب في وادي الثرثار نحو الشرق الى دجلة ، على ما قد بينا • وكذلك مما على ضفتي دجلة من اراض تمتد بانحدار النهر من تل فافان الى تكريت ، أى الاراضي التي في غرب دجلة حتى نصيين والتي في شرقه المشتملة على السهول التي يسقيها الزابان الاسفل والاعلى ونهر الخابور الصغير •

وكانت الموصل ، قاعدة ديار ربيعة ، على الضفة دجلة الغربية ، حيث تتصل عواقل النهر فتؤلف مجرى كبيرا واحدا • ويقال ان الموصل انما جاء اسمها من هذا الاتصال • وكان يقوم في موضعها ايام الساسانيين مدينة يقال لها بوز اردشير • وعلا شأن الموصل في أيام بنى أمية • ونصب فيها على دجلة جسر سفن يربط المدينة التي في الجانب الغربي بخرائب نينوى في الجانب الشرقي • وصارت الموصل في عهد مروان الثاني آخر خلفاء بنى أمية ، قاعدة اقليم الجزيرة وبنى فيها ايضا الجامع الذي عرف بعدئذ بالجامع العتيق^(٢) • ووصف ابن حوقل ،

(١) وفي ابن سريابون (ص ١٢) : « ويخرج من الهرماس ايضا نهر يقال له الثرثار ، اوله من عند سكير العباس ، يمر في وسط البرية ويصب في دجلة اسفل من تكريت بعد ان يمر بالحضر ويقطع جبل بارما » • (م) •
(٢) المقدسي ١٣٦ - ١٣٨ ؛ ابن خردادبه ١٧ ؛ ياقوت ٤ : ٦٨٢ - ٦٨٤ ؛ المرصد ١ : ٨٤ •
وجاء في ياقوت الاسم الفارسي للموصل بصورة بو اردشير أو نو اردشير ، ولا شك ان الصيغة

وقد كان فى الموصل سنة ٣٥٨ (٩٦٩) ، هذه المدينة بانها بلدة طيبة عامرة الأسواق ، نواحيها ورسايقها كثيرة الخيرات . أشهرها الرستاق المحيط ببنينوى حيث دفن النبي يونس . وكان جل أهلها فى المئة الرابعة (العاشرة) من الاكراد (٣) . وقد عنى ابن حوقل بسرد ما حول الموصل من كور ورسايق كثيرة تؤلف ديار ربعة • واطرى المقدسى حسن فنادق الموصل الكثيرة • وكانت المدينة حسنة البناء ودورها بهية • والبلد نصف مستدير نحو ثلث البصرة (٤) • كبرا وفيها حصن يسمى المربعة على نهر زبيدة ، فى داخله سوق تعرف بسوق الاربعاء ، وكان يعرف الحصن باسم السوق أيضا • والجامع (جامع مروان الثانى) على رمية سهم من الشط على نشزة يصعد اليه بدرج كله أزاجات من الحجارة • ومداخله المؤدية من مصلى الجامع الى صحنه لا أبواب لها • وأكثر الاسواق مغطاة • وذكر المقدسى اسماء ثمانية من دروبها الكبيرة (٥) • وكانت دور المدينة تمتد بامتداد الشط مسافة كبيرة • وقال ان اسم الموصل كان خولان ، وان قصر الخليفة فى الجانب الآخر على نصف فرسخ من المدينة يشرف على نينوى القديمة • ولهذا القصر قديما حصون قوية تحميه ، أقلبه الريح ، ويشق خرائبها الآن نهر يقال له نهر الخوسر • وحين كتب المقدسى ، كانت تلك الخرائب مزارع (٦) •

الاخيرة تصحيف النساخ •

(٣) ما فى ابن حوقل (١ : ٢١٥) : « وللموصل بواد واحياء كثيرة تصيف فى مصايفها وتشتو فى مشايفها من احياء العرب وقبائل ربعية ومضر واليمن واحياء الاكراد كالهذبانية والحميدية واللازية » • (م) •

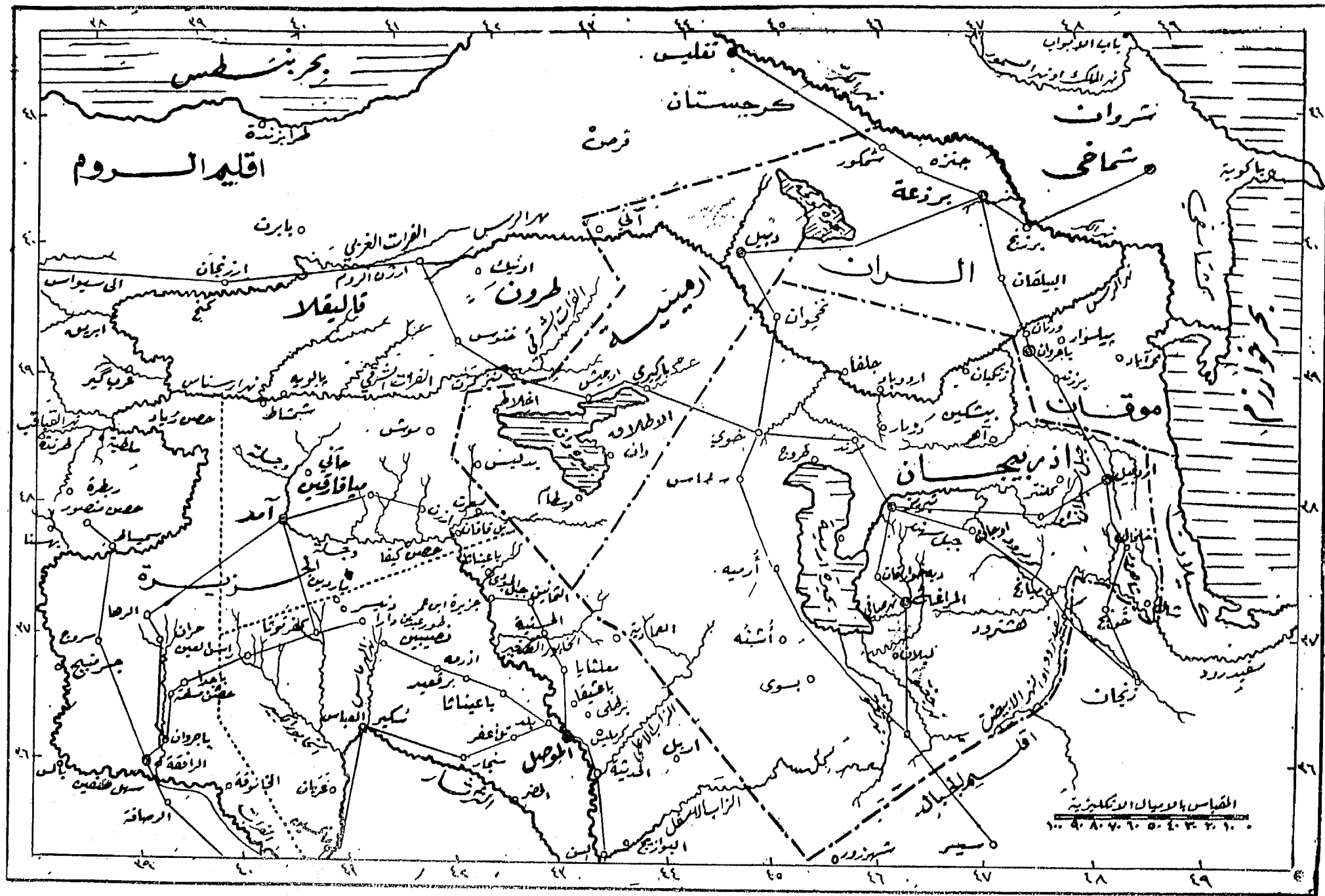
(٤) جاء فى المقدسى بهذا الصدد ما يأتى « والبلد شبه طيلسان مثل البصرة ليس بالكبير فى ثلثه شبه حصن يسمى المربعة » • (م) •

(٥) اسماء هذه الدروب ، على ما فى المقدسى (ص ١٣٨) ، هى - درب الدبر الاعلى ، ودرب باصلوت ، درب الجصاصين ، درب بنى ميدة ، درب الجصاصنة ، درب رحي أمير المؤمنين ، درب الدباغين ، درب جميل • (م) •

(٦) ترى اطلال نينوى بازاء الموصل فى الجانب الشرقى من دجلة على نحو كيلومترين من ضفتها • وقد كان هذا النهر يحاذى سورها الغربى فى أيام عمرائها • ويشق نهر الخوسر بقاياها ، فما كان فى يمينه سعى « تل قوينجق » • وما كان فى يساره « تل النبى يونس » •

كانت نينوى من عواصم الآشوريين • وفيها كان معبد الاله عشتار • وعظم شأنها فى زمن الملك الآشورى سنحاريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق م) اذ وسعها وشيد فيها قصورا ومعابد وتكنات وحوطها بسور وخذق • وظلت عاصمة للآشوريين الى زوال ملكهم بيد الكلدانيين والمآذيين عام ٦١٢ ق م •

وقد نقب فى تل قوينجق ، وهو من اقسام هذه المدينة ، منقبون انكليز منذ أواسط القرن التاسع عشر ، وعثر فيه على بقايا قصورها ومعابدها وكثير من آثارها ، منها مكتبة آشور بانيبال التى



أقليما الجزيرة واذربيجان ، مع أقاليم الحدود الشمالية الغربية



وفى سنة ٥٨٠ (١١٨٤) زار ابن جبير مدينة الموصل ووصفها • وقبل هذا الزمن يسير ، كان نور الدين المشهور ، وهو الذى تحت لوائه عمل صلاح الدين (الايوبى) فى أول أمره ، قد بنى جامعا جديدا^(٧) فى وسط السوق ولكن الجامع العتيق الذى بناه مروان الثانى كان ما زال قائما على النهر^(٨) بمنبره المزوق الجميل وشبابيكه الجديدة • وفى أعلى البلد قلعة عظيمة ينتظمها سور مشيد البروج وقد فصل بينهما وبين البلد شارع متسع يمتد من أعلى البلد الى اسفله • ودجلة شرقى البلد وهى متصلة بالسور وابراجها فى مائها^(٩) ، وللبلدة ربض كبير فيه المساجد والحمامات والخانات والاسواق وفيها مارستان حفىل • ، وسوق يقال له القيسارية^(١٠) • وفى المدينة مدارس للعلم كثيرة • ومرد القروينى اسماء الديارات المختلفة المجاورة للموصل ، وأشار بوجه خاص الى خندق الموصل

استخرج منها نحو ٣٠٠٠٠ رقيم طين نقلت الى المتحف البريطانى • وآخر حفر جرى فى هذا التل كان سنة ١٩٣١ •

وقد عرفت نيتوى بهذا الاسم لانها كانت موضع عبادة الالهة « نينا » منذ أقدم الازمنة • وكانت السبكة تعد من الحيوانات المقربة لهذه الالهة • ويحتمل ان اللفظة (نون) التى كانت تعنى فى الآشورية « سمكة » صلة بهذا الاسم على نحو ما فى العربية واللغات السامية الاخرى • وقد اشتق من لفظة نون الاسم العلم بأشكاله : يونان ويونس وذو النون • ولقصة يونان والحوت ، على ما يبدو ، جذور فى العقيدة الخاصة بعبادة الالهة « نينا » التى صارت أيضا لدى الآشوريين الالهة عشتار وعبدت فى غير نيتوى من المدن الآشورية (م) •

(٧) وهو الجامع المعروف اليوم بالجامع الكبير أو الجامع النورى نسبة الى بانيه نور الدين محمود زنكى المتوفى سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٣ م) • وعن الجامع النورى فى الموصل راجع سومر [١٩٤٩] ص ٢٧٦ - ٢٩٠ • (م) •

(٨) سبق للمؤلف ان قال ان هذا الجامع كان على رمية سهم من دجلة وهو الصواب • فالجامع اليوم قد زال وقامت فى أرضه دور موقوفة • وفى قسم صغير من أرضه شيد جامع صغير يعرف اليوم بجامع المصطفى نسبة الى الحاج محمد مصطفى الذهب ، كان قد جدد بناءه سنة ١٢٢٥ هـ وما زالت منارة الجامع الاموى القديمة شاخصة فى صحن احدى الدور وهى المنارة المعروفة بالمقطومة لان أعلاها قد سقط • وانظر عن الجامع الاموى فى الموصل : سومر (٦) : [١٩٥٠] ص ٢١١ • (م) •

(٩) ما زالت قطعة من هذا السور ترى على النهر اليوم بين « قره سراى » (بقايا قصر بدر الدين لؤلؤ) وباشطابية وهو البرج الكبير المثل على النهر جنوب عين كبريت • (م)

(١٠) سعى العرب ، لاسيما من كان منهم فى الانحاء الغربية (ويريد بلاد الشام وما فى شمالها) ، الابنية الكبيرة لسوق ما اتخذت فى الغالب خانات أو منازل : بالقيسرية أو القيسارية • ولا شك انهم اقتبسوا هذه التسمية من اليونان • وان كانت اللفظة اليونانية لم ترد على ما يظهر عند المؤرخين البيزنطيين بمعنى السوق الملكية فى المدينة Caesarion وعلى كل حال يبعد ان يكون المسلمون قد أخذوا هذه الكلمة من اسم سيزاريون Caesarian المحلة المشهورة فى الاسكندرية ، مع ان أكثرهم يؤولونه به •

العميق وقلعتها العالية • وكان حوالها بساتين كثيرة تسقيها النواير على ما قال (١١) •
 اما تلؤل نينوى فقد كان يقال لها منذ ايام المقدسى تل توبة وهو الموضع الذى
 خرج اليه النبى يونس لدعوة أهل نينوى الى التوبة (١٢) • وفى هذا الموضع جامع
 حوله دور للزوار بناها ناصر الدولة الحمدانى • وعلى نصف فرسخ منه ، عين
 يستشفى بمائها يقال لها عين يونس نسبة الى النبى يونس ، بجوارها جامع و يرى
 هناك شجرة اليقطين التى غرسها هذا النبى (١٣) • وذكر ياقوت ان معظم دور
 الموصل كان مبنا بالرخام وكلها آزاج • وفى المدينة قبر النبى جرجيس • ومتر
 ابن بطوطة بالموصل فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فقال : على البلد سوران
 اثنان وثيقان ابراجهما كثيرة عالية « مثل السور الذى على مدينة دهلي » • وكانت
 قلعتها تعرف بالحدياء • وكان فى جامعها الحديث (جامع نور الدين) « خصة
 رخام مشنة يخرج منها الماء بقوة وانزعاج فيرتفع مقدار القامة » وبها مسجد جامع
 ثالث على شط دجلة ، ولعل هذا الجامع هو الذى نوه به المستوفى وقال ان منبره
 من حجارة محفورة حفرا جميلا متقن الصنع كأنه حفر فى الخشب • وكان دور
 الموصل فى ايامه الف خطوة (١٤) • وأشار الى « مشهد يونس » ، فى الجانب
 الآخر من دجلة ، المشيد فوق خرائب نينوى (١٥) •

وعلى بضعة أميال من شرقى الموصل ، بلدتان صغيرتان ، هما : برطلى
 وكرمليس وقد ذكرهما ياقوت والمستوفى • والى شمالهما بقليل باعشيقا • وهذه
 البلدان الثلاثة من أعمال الموصل • وذكر المقدسى باعشيقا بقوله « بها نبت من

(١١) الموصل اليوم من أجل مدن العراق وأشهرها • وتلى بغداد سعة • كان لها فيما مضى سور
 مكين عال مبنى بالحجر والجص ، محيطه نحو عشرة آلاف متر ، تتخلله عشرة أبواب • ولكن
 قسما كبيرا من ذلك السور وأبوابه وأبراجه قد هدم سنة ١٩١٥ • وفى سنة ١٩٣٤ هدم باقيه ، الا
 قطعة صغيرة منه فى أعلى المدينة ، فانها ما زالت شاخصة تعرف بـ « باشطابية » • وكان يحقد
 بهذا السور خندق عريض • وبعد ان زالت معالم السور ردم الخندق فجعلت الارض التى كان فيها
 السور والخندق شوارع وحدائق (م) •

(١٢) ما يسمى بتل توبة ، هو جزء من التل المعروف بالنبى يونس ، وهو قسم صغير من
 مدينة نينوى الآشورية (م) •

(١٣) جاء فى المقدسى (ص ١٤٦) : « تل توبة على رأسه مسجد ودور للمجاورين ، بنته
 جميلة ابنة ناصر الدولة (الحمدانى) وأوقفت عليه أوقافا جليلة » (م) •

(١٤) ما فى نزهة القلوب (ص ١٠٢ طبعة لسترنج) ان دورها ٨٠٠ قدم (م) •

(١٥) ابن حوقل ١٤٣ - ١٤٥ : المقدسى ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٦ : ابن جبير ٢٣٤ - ٢٣٨ :
 ياقوت ٤ : ٦٨٤ : ابن بطوطة ٢ : ١٣٥ : القزوينى ٢ : ٢٤٧ و ٣٠٩ : المستوفى ١٦٥ و ١٦٧ •

قلعه وبه بواسين أو خنازير سقطت عنه » • وزاد ياقوت على ذلك ان باعشيقا « من قرى الموصل ••• لها نهر جار يسقى بساتينها وتدار به عدة ارجاء ، والغالب على شجر بساتينها الزيتون والنخل والنارنج ، ولها سوق كبير ، وفيه حمامات وقيسارية ••• وبها جامع كبير حسن له منارة ••• وأكثر أهلها نصارى » فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) • وكانت برطلى على بضعة أميال جنوب باعشيقا ، وهى مثلها من أعمال نينوى • وقال ياقوت انها « قرية كالمدينة كثيرة الخيرات والاسواق والبيع والشراء والغالب على أهلها النصرانية • وبها جامع للمسلمين ، ولهم بقول وخس جيد يضرب به المثل » • وأطرى المستوفى جودة قطنها • والى الجنوب بضعة أميال : كرمليس وكان بها سوق عامر على ما فى ياقوت • وهى قرية شبيهة بالمدينة وبها تجار • وكان بالقرب من هذه الامكنة ايضا : مرجهينة أو مرج جهينة • بيد انها على ضفة دجلة وهى أول منزل لمن يريد بغداد من الموصل • وذكر المقدسى « انها كثيرة ابراج الحمام • والحصن من جص وحجر ، والجامع وسط البلد » (١٦) •

وبين الموصل وتكريت ، يستقبل دجلة فى ضفته الشرقية مياه الزابين • ويصب احدهما على نحو مئة ميل فوق الآخر • وقد اطرى ابن حوقل المراعى والمزارع الخصبة الواسعة فى ما بين هذين النهرين • ومبدأ الزاب الاعلى ، أى الكبير ، فى الجبال بين ارمينية واذربيجان ، ومصبه فى دجلة عند الحديثة • اما الزاب الاسفل أى الصغير ، ويسمى المجنون ايضا لحدة جريه ، فانه ينحدر من بلاد شهرزور وينصب فى دجلة عند السن • وتعرف البلاد التى يمر بها الزاب الكبير على ما ذكر ياقوت ، باسم مشتكر وبابغيش • ويكون ماؤه فى أوله شديد الحمرة ، وكلما جرى صفا قليلا • اما الحديثة ، وهى على فرسخ فوق ملتقاء بدجلة (وتسمى حديثة الموصل تميزا لها عن حديثة الفرات وقد مر ذكرها فى الصفحة ٨٩) ، فقد اعادها الى العمارة مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية على

(١٦) ما زالت برطلى وباعشيقا وكرمليس ، من أعرى قرى شرقى الموصل • اما مرجهينة ، وهى فى غربى دجلة ، جنوب الموصل قرب القيارة ، فقد خربت ، وتعرف بقاياها اليوم بهذا الاسم أيضا • وهى على يمين طريق السيارات القاصد بغداد ، وأمامها « حاو » (أى شاطئ) واسع ينتهى بضفة دجلة وهو ما كان يقال له قديما مرج جهينة • (م) •

جرف يشرف على منافع ، وهى كثيرة الصيد ذات بساتين واشجار ، وقد بنيت على شبه دائرة ويصعد اليها من دجلة بدرج • وجامعها مبنى بالحجر قرب الشط • وكانت تعرف فى أيام الساسانيين باسم نوكرد ومعنى ذلك بالفارسية (البلدة الحديثة) ايضا^(١٧) • وقد كانت قصبة الكورة قبل قيام الموصل^(١٨) •

وبلدة السن على ميل تحت ملتقى الزاب الاسفل بدجلة ، على ما فى المسعودى • ولكنها ، على ما فى المقدسى ، فوقه ، والزاب الاصغر فى شرقها • وكان معظم اهلها فى العصور الوسطى نصارى • وفيها ، على ما ذكر ياقوت بيع لهم • وكان يقال لها سن بارمًا تميزا لها عن غيرها من المدن المعروفة بالسن • وكان دجلة يقطع جبال بارما قرب السن • وجامع السن فى الاسواق بناؤه بالحجارة • وللمدينة سور ، والى شرقها باربعة فراسخ ، على ضفة الزاب الاسفل : مدينة البوازيج (حسب تسمية ابن حوقل) والظاهر انها لا أثر لها اليوم فى الخارطة • وكذلك الحال فى السن والحديثة • وتعليل ذلك ان اسافل الزابين قد تبدلت كثيرا منذ المئة الرابعة (العاشرة) • وأشار ياقوت الى هذه المدينة باسم بوازيج الملك ، وظلت قائمة حتى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فقد ذكر المستوفى انها كانت تؤدى الى بيت مال الايلخانيين ١٤٠٠٠ دينار •

ومن جنوب السن ، كان طريق البريد الى سامراء وبغداد ، يساير ضفة دجلة اليسرى مارا أولا ببارما وهى بلدة فى لخف جبل بارما ، ويعرف أيضا بجبل حميرين • ومنها الى السوّدقانية ، وينتهى أخيرا الى جيليتا أو جيلمتاء وقد كانت على ما يظهر دارا للضرب فى سنة ٣٠٤ (٩١٦) ، وكانت على ضفة دجلة الشرقية شمالي تكريت بقليل ولا أثر لهذه البلدان الصغيرة الآن فى الخارطة الا ان كتب المسالك قد ذكرت مواضعها بوجه دقيق •

وعلى نيف ومئة ميل من شرق السن ، مدينة دقوق أو دقوق - أورد علي اليزدى هذا الاسم بصورة طاووق وطاووق وهى التسمية الشائعة الآن - وقد

(١٧) لا أثر للحديثة اليوم • وقد سماها العرب « الحديثة » لما نزلوها بعد الاسلام واستحدثوها • وعرفها الارميون « حذتا » ومعناه الحديثة • وسماها اليونان « كينى (KAINAI) » وهى بالمعنى ذاته • (م) •

(١٨) الاصطخرى ٧٥ : ابن حوقل ١٤٧ و ١٥٥ : المقدسى ١٣٩ و ١٤٦ : ياقوت ١ : ٤٤٦ و ٤٧٢ و ٥٦٧ : ٢ : ١٦٨ و ٢٢٢ و ٥٥٢ و ٩٠٢ : ٤ : ٢٦٧ : المستوفى ١٦٥ و ١٦٦ و ٢١٤ •

أكثر ياقوت ومن بعده من البلدانين من ذكرها • وتكلم المستوفى على نهر دقوق (على ما ضبطه) ومخرجه في جبال كردستان قرب دربند خليفة ، ويقنى ماؤه اسفل مدينة دقوق في الارض الرملية حيث ، على ما جاء في المستوفى ، مواضع شديدة الخطر يسوخ فيها من يحاول اجتيازها • ويصل نهر دقوق الى دجلة في موسم الفيضان على قوله ، ومجرأه الاسفل هو ما يعرف اليوم بنهر العظيم^(١٩) ولكن في الازمنة القديمة ، حين كان النهر وان حيا بأجمعه ، قد كانت مياه نهر دقوق في فيضان الربيع تنصب في النهر وان • ووصف المستوفى مدينة دقوق بانها بلدة وسطية وهواؤها أصح من هواء بغداد وبالقرب منها عيون نفط • ومما تحسن الاشارة اليه ان البلدانين العرب الاولين لم يذكروا هذا الموضع^(٢٠) • اما اربل ، وهي اربلا القديمة ، ففي فضاء من الارض واسع بسيط بين الزابين الكبير والصغير • وقد وصفها ياقوت بانها مدينة يقصدها التجار « وقلعتها على تل عال من التراب عظيم ولها خندق عميق ، وسور المدينة ينقطع في نصفها وفيها سوق عظيمة • وبها مسجد يسمى مسجد الكف فيه حجر عليه كف انسان » • وفي المثة السابعة (الثالثة عشرة) قامت في ربضها خارج السور مدينة

(١٩) ينصب في العظيم ، الفائض من مياه نهر دقوق وغيره • وما زالت بقايا بعض انهار كانت تحمل هذه المياه الى العظيم وتقع فيه فوق البند (أى سد العظيم) بنحو كيلومترين عند جبل حميرين • وكان يخرج من العظيم انهار تنساب الى الجنوب ، تسقى الاراضى المعروفة بالغرفة في قضاء الخالص • ونهر يقال له البت ، كان ينساب الى الجنوب الغربى يسقى ما يعرف بالعبث • وارضى الغرفة والعبث اليوم جافة مقفرة لخراب سد العظيم وانقطاع الماء عن الانهار التي كانت تسقيها • (م) •
(٢٠) الاصطخرى ٧٥ : ابن حوقل ١٥٣ : المسعودى : التنبيه ٥٢ : قدامة ٢١٤ : المقدسى ١٢٣ : ياقوت ١ : ٤٦٤ و ٧٥٠ : ٢ : ٥٨١ : ٣ : ١٦٩ : المستوفى ١٣٩ و ١٦٥ و ٢٢٠ • على اليزدى ١ : ٦٦٠ •

لم يذكر ياقوت ومن سبقه من البلدانين مدينة كركوك التي قال فيها على اليزدى (١ : ٦٦١) انها قرب طاق • ومما يلاحظ ان جبلتا (بفتح أوله وكسر ثانيه) أو جبلتا (بفتح أوله وضم ثانيه) وهي على دجلة بازاء تكريت كثيرا ما جاء اسمها خطأ بصورة جبلتا (على نحو ما جاء في المقدسى ص ١٣٥ وهو من تصحيف النساخ أو الناشرين) • فالحرف الاول من هذا الاسم هو « الجيم » حتما اذ ان اسمها كثيرا ما ورد بالسريانية بصورة كبلتا • وفي خط هذه اللغة لا تشابه صورة حرف الجيم وحرف الحاء • (انتهى كلام المؤلف) •
قلنا : كركوك اليوم من أجل مدن العراق ، وهي مركز لواء كركوك • وقد اشتهرت بغزارة نفطها الذي تستخرجه بكميات وافرة شركة النفط العراقية • ولهذه الشركة مقر كالبدة قرب كركوك •

والمعروف ، ان التل الاثرى الذى تقوم عليه قلعة كركوك ، كان مدينة في منتصف الالف الثانى قبل الميلاد ، تعرف باسم « أربخا » (Arrapkha) الذى حرف حديثا الى صورة « أرافا » وأطلق على حى العمال الجديد في شركة النفط في كركوك • (م) •

كبيرة عمرت فيها أسواق وقيساريات • واطرى المستوفى جودة غلتها لاسيما القطن^(٢١) • وإلى شمال الموصل ، مدينة العمادية • وهى بالقرب من منابع الزاب الاعلى • وعلى ما ذكر المستوفى ، نسبت العمادية الى مؤسسها عماد الدولة الامير الديلمي المتوفى سنة ٣٣٨ (٩٤٩) الا ان غيره من المؤلفين يعزون انشاء العمادية أو تجديدها فى سنة ٥٣٧ (١١٤٢) الى عماد الدين زنكى ابى امير الجزيرة المشهور نور الدين وكان صلاح الدين (الايوبى) من أشهر رجاله • وروى ياقوت ان حصنا للاكراد كان هناك قبلها يعرف بأشب^(٢٢) • ووصف المستوفى العمادية فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) بانها مدينة كبيرة^(٢٣) •

وفى الجبال المجاورة للعمادية ، منابع نهر خابور الحسنية وهو ينصب فى دجلة شمال مدينة فيسابور^(٢٤) على نحو مئة وخمسين ميلا فوق الموصل • ومخرج هذا النهر (وهو غير خابور رأس العين) على ما جاء فى ياقوت ، من أرض الزوزان ، وكان عليه عند بلدة الحسنية قنطرة عظيمة وما زالت بقاياها

(٢١) ترقى مدينة اربل الى أقدم العهود الآشورية بل لعلها الموضع الآشورى الوحيد الذى ظل عامرا أهلا ومحتفظا باسمه حتى اليوم • واسم اربل الآشورى القديم هو « اربا - ايلو » ومعناه : أربعة آلهة • ولعل « اربا ايلو » من اسماء الالهة عشتار أيضا • فان مدينة اربل كانت موطننا لعبادة هذه الالهة • وقد ذكرها البلدانون العرب باسم « اربل » على ما نوه به المؤلف أعلاه • وهى اليوم مدينة كبيرة عامرة تقوم احيائها العتيقة على التل الاثرى العالى المعروف بقلعة اربيل وفى ارباضه امتدت احيائها الحديثة • ويسمىها الناس اليوم « اربيل وارويل واوريل واولير وهولير » والصيخ الثلاث الاخيرة هى حسب نطق الاكراد لاسمها • ومدينة اربيل اليوم مركز لواء اربيل من الوية العراق الشمالية •

وفى سهل اربيل ، جرت الوقعة التاريخية الحاسمة بين الاسكندر الكبير ودارا ملك الفرس عام ٣٣١ ق م • وهى الوقعة المعروفة باسم « كوكملا » •

وكانت اربل فى العهد الفرثى عاصمة لمملكة حدياب الارامية التى امتد نفوذها فى وقت ما الى الفرات غربا ونصيبين شمالا • (م) •

(٢٢) العمادية اليوم بلدة فوق جبل منبج على ١٦٨ كيلومترا من شمال الموصل • وهى مركز قضاء باسمها فى لواء الموصل •

جاء فى الكتابات الآشورية اسم مدينة فى هذا الموضع أو بالقرب منه وهى « Amat » وأقدم ذكر لها انتهى اليها ، فى مسلة وجدت فى القصر الجنوبي الغربى فى نمرود ، فيها أخبار شمسى اداد الخامس الملك الآشورى (٨٢٣ - ٨١٠ ق م) وهو ابن شلمنصر الثالث • وذكرها الملك اداد نيرارى الثالث (٨٠٥ - ٧٨٢ ق م) ابن شمسى اداد الخامس فى مسلة وجدت فى نمرود أيضا • وبقيت « Amat » مدينة معروفة حتى العصر البابلي الحديث (م) •

(٢٣) المقدسى ١٣٩ ؛ القزوينى ٢ : ١٩٢ ؛ ياقوت ١ : ١٨٦ ؛ ٢ : ٣٨٤ ؛ ٣ : ٧١٧ و ٩٣١ ؛ المستوفى ١٦٥ و ١٦٦ •

(٢٤) وجاءت فى ياقوت بصورة فيشاور بالشين المعجمة • اما اليوم فتعرف باسم فيشخابور وهى الآن فى قضاء زاخو على الحدود العراقية التركية • (م) •

قرب قرية حسن اغا ، ولعل هذه القرية تمثل البلدة القديمة . وكان في الحسنية جامع . وقد وصفها المقدسي بانها موضع ذو شأن^(٢٥) . وعلى مرحلة يوم من جنوبها في طريق الموصل ، بلدة معلثا الصغيرة وفيها جامع على تل وهي كثيرة البساتين .

وفي شمال فيسابور ، الجزيرة وهي مدينة ذات شأن وتعرف بجزيرة ابن عمر نسبة الى الحسن بن عمر التغلبي بانها . وكانت دجلة ، على ما ذكر ياقوت ، « تحيط بهذه الجزيرة الا من ناحية واحدة شبه الهلال ثم عمل هناك خندق أجري فيه الماء » . وفي المئة الرابعة (العاشرة) ، وصف ابن حوقل الجزيرة بقوله : « عليها سور وهي فرضة لأرمينية وكانت مشهورة بالجبن والعسل » . وزاد المقدسي على ذلك ان بناءها من الحجارة « وهي وحلة في الشتاء » . وشاهدها ابن بطوطة وكان فيها في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وقال : ان « أكثرها خراب . ولها سوق حسنة ومسجد عتيق مبني بالحجارة محكم العمل وسورها مبني بالحجارة أيضا » . وذكر المستوفي انه كان من أعمالها مئة قرية ونيف . وكان قبالة جزيرة ابن عمر : بازبدى وهي قرية في كورة باقردي^(٢٦) . وبازبدى تقوم مقام الحصن الروماني المشهور المسمى بزبدى (Bezabda) غير انه لم ينته اليها وصف لهذا الموضع .

ويرى من جزيرة ابن عمر ، من شرقيها ، جبل الجودي . وفي قمته مسجد نوح ، وتحت الجبل قرية الثمانين . وقد جاء في القرآن (السورة ١١ الآية ٤٣) ان فلك نوح « استوت على الجودي » . وهو الجبل الذي يتفق موضعه في الجزيرة وما عتته الروايات الاسلامية . ويقال ان ثمانين من رجال نوح بنوا قرية هناك سميت ثمانين بعددهم . وأشار المقدسي في المئة الرابعة (العاشرة) الى هذه القرية فقال هي مدينة على مرحلة شمال الحسنية . وسماها المستوفي بسوق

(٢٥) من رأى جرتروود بل G. L. Bell ان زاخو هي الموضع المعروف لدى البدائيين العرب بالحسنية نفسه . ولعل قرية حسنة القائمة بازائها في الجانب الآخر من الخابور قد حافظت على اسم الحسنية القديم . انظر كتابها Amurath to Amurath المطبوع في سنة ١٩١١ الصفحة ٢٨٧ الحاشية ٢ . (م) .
(٢٦) قلنا : بازبدى قرية سميت كورتها باسرهما بها وهي في غربي دجلة . وبقردي كورة أخرى في شرقيه فهما كورتان متقابلتان (راجع معجم البلدان ١ : ٤٦٦) فقرية بازبدى ليست من كورة باقردي (م) .

ثمانين ، وقال ان الخراب كان مستحوذا عليها فى ايامه • وينصب فى يسار دجلة ، قرب جزيرة ابن عمر ، روافد كثيرة سرد ياقوت اسماءها وهى : يرنبى وباعينانا (وهو باسانفا فى ابن سراييون) وعليه قرية كبيرة بهذا الاسم فوق الجزيرة • واسفل هذه المدينة فى شمال خابور الحسنية ينحدر نهر البويار ودوشا من ارض الزوزان (٢٧) •

وفى جانب دجلة الغربى فى سمت جزيرة ابن عمر ، كورة طور عبيدين الجبلية ، وأهلها يعاقبة ، وفيها مخرج نهري الهرماس وخابور نصيين • وكانت نصيين وهى نسيبيس (Nisibis) الرومانية وقد ذكر ياقوت انها مشهورة بوردها الابيض (٢٨) وبساتينها الاربعين الفا • تقوم فى اعلى نهر الهرماس وقد سماه جغرافيو اليونان سوكورس (Saocoras) أو مكدونيس (Mygdonius) وما زالت نصيين من أعظم مدن الجزيرة شأنًا ، وصفها ابن حوقل ، وكان فيها سنة ٣٥٨ (٩٥٩) ، فقال : هى اجل بقاع الجزيرة واحسنها ، الى سعة غلات من الحبوب والقمح والشعير • ومخرج مائها عن شعب جبل يعرف بالوسا • وهى من أطيب المدن لولا الخوف من عقاربها • وعلى ما فى المقدسى انها ارحب من الموصل • وأطرى « حماماتها الحسنة وقصورها المنيفة وسوقها من الباب الى الباب ، والجامع وسط البلد ، وبها حصن من حجر وكلس » • وقد زار ابن جبير نصيين فى سنة ٥٨٠ (١١٨٤) وأطرى بساتينها • وذكر ان فى جامعها صهريجين ، وعلى نهر الهرماس جسر معقود من صم الحجارة • وفيها مارستان ومدارس وغير ذلك من العمارات الحسنة • ووصف ابن بطوطة نصيين ، وقد زارها فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، فقال ان أكثرها قد خرب اما جامعها فكان قائما فى ايامه وفيه صهريجاه الكبيران • وتحف بها البساتين المتلفة وبها يصنع ماء الورد الذى لا نظير له فى العطاراة والطيب (٢٩) • وذكر المستوفى ان دور سورها نحو

(٢٧) الاصطخرى ٧٨ : ابن حوقل ١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٧ : المقدسى ١٣٩ : ابن سراييون ١٨ : ابو الفداء ٥٥ و ٢٧٥ : ياقوت ١ : ٤٦٦ و ٤٧٢ : ٢ : ٧٩ و ١٤٤ و ٥٥٢ و ٩٥٧ : ٤ : ١٠١٧ : ابن بطوطة ٢ : ١٣٩ : المستوفى ١٦٥ و ١٦٦ •

(٢٨) لم نجد فى ياقوت ذكرا للورد الابيض فى نصيين • (م) •
(٢٩) هذا قوله فيها : « وتحف بها عن يمين وشمال بساتين ملتفة الاشجار يانعة الثمار ينساب بين يديها نهر قد انعطف عليها انعطاف السوار والحدائق تنتظم بحافته وتلى ظلالها الوارفة عليه » • (م) •

٦٥٠٠ خطوة وأطرى كرومها الفاخرة وفواكهها الحسنة وخمورها الجيدة • ولكنه قال انها وخمة وبثة • وتكلم كذلك على جودة وردها وشر عقاربها المميتة وهي سامة مؤذية وكالبعوض كثرة (٣٠) •

وكانت رأس العين قرب منابع الخابور ، وهي رأس اينسا (Resaina) الرومانية على نهر خابوراس (Chaboras) مشهورة بكثرة عيونها البالغة ٣٦٠ عينا على ما يقال • وتجتمع هذه العيون فتسقى بساتينها وتجعلها كأنها بستان واحد • وقيل ان عينا منها ، وهي عين الزاهرية ، لا يعرف لها قرار • والماء الماد منها يصب في الخابور • وكانت الزواريق الصغار تدخل الى عين الزاهرية والناس يركبون فيها الى بساتينهم والى قريسياء على الفرات ان شاءوا • ووصف ابن حوقل رأس العين ، فقال انها مدينة ذات سور من حجارة وكان داخل السور بساتين وطواحين ، وكان لأهل المدينة نحو عشرين فرسخا قرى ومزارع مما يلي دورها • وذكر المقدسي ان « بها بحيرة صغيرة رأس الماء نحو من قمتين زلال ، يطرح الدرهم فلا يخفى في اسفله » • والبنيان في رأس العين حجارة وجص وقد مرّ بها ابن جبير سنة ٥٨٠ (١١٨٤) وقال : لها جامعان ومدرسة وحمام على الخابور • ولم يكن للمدينة في أيامه سور يحصنها وان كان في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) قد عمر ثانية ، لان المستوفى ذكر ان محيطه نحو ٥٠٠٠ خطوة وقال انها كثيرة القطن والقمح والكروم •

وعلى نحو نصف المسافة بين رأس العين ونصيبين ، في شمالهما ، القلعة الصخرية العظيمة : ماردين المشرفة على دنيسر التي هي تحتها في السهل على نحو ثلاثة فراسخ جنوبها وكانت قلعة ماردين في المئة الرابعة (العاشرة) يقال لها الباز • وهي معقل امراء بنى حمدان • وهذه القلعة على قنة جبل وفي جانبها الجنوبي نشأ ربض عظيم كان أهلا في المئة السادسة (الثانية عشرة) • وقامت فيه أسواق كثيرة وخانات ومدارس وربط • ودور اهلها كالدرج كل دار فوق

(٣٠) ابن حوقل ١٤٠ و ١٤٢ و ١٤٣ : ابن سراييون ١٢ : المقدسي ١٤٠ : ابن جبير ٢٤٠ : ياقوت ٣ : ٥٥٩ : ٤ : ٧٨٧ : ابن بطوطة ١٤٠ : المستوفى ١٦٧ •

الأخرى وكل درب منها يشرف على ما تحته من الدور ليس دون سطوحهم مانع •
وجل شربهم من صهاريج معدة في دورهم » • ووصف ابن بطوطة ماردین وقد
زارها في المائة الثامنة (الرابعة عشرة) بأنها «مدينة عظيمة بها تصنع الثياب
المنسوبة اليها من الصوف المعروف بالمرعز • ولها قلعة شماء تسمى الشهباء» •
ويقال لها أيضا قلعة كوه «أى قلعة الجبل» • ووصف المستوفى ماردین فقال :
يسقيها نهر صور الاتى من جبل باسمه في طور عدين ويصب هذا النهر في
الخابور ، وزاد على ذلك ان ناحيتها كثيرة الغلات والقطن والفواكه •

ودنيسر ، على بضعة فراسخ منها (تفاوت القول في ذلك ما بين فرسخين
الى اربعة ويظهر ان موضعها الحقيقى غير معروف) • وكانت في المئة السابعة
(الثالثة عشرة) مدينة ذات أسواق عظيمة ويقال لها أيضا قوج حصار • وذكر
ياقوت انه حين زارها في صباه في نهاية المئة السادسة (الثانية عشرة) رآها قرية
ولكنها في سنة ٦٢٣ (١٢٢٥) «صارت مصرا لا نظير لها كبرا وكثرة أهل وعظم
أسواق» • ووصفها ابن جبير ، حين مرّ بها في سنة ٥٨٠ (١١٨٤) ، بأنها مدينة
لا سور لها وهى مخطر للقوافل • وخارجها مدرسة جديدة وحمامات • ودارا ،
على بضعة أميال شرقا • وكانت في أيام الرومان قلعة عظيمة • ذكر ابن حوقل
انها مدينة صغيرة^(٣١) • ووصف المقدسى «قناة تعم البلد وتجرى فوق السطوح
وتقر في الجامع ثم تنحدر الى واد • وبنیانهم حجارة سود وكلس» • وقال ياقوت
انها بلدة في لحف جبل • ومن أعمالها يجلب المحلب الذى تتطيب به الاعراب •
وهى ذات بساتين » • وحين مرّ ابن بطوطة بدارا في المئة الثامنة (الرابعة
عشرة) كانت قلعتها خرابا لا عمارة بها • وكفرتوثا في جنوب غربى ماردین على
نهرها الصغير • وذكر ابن حوقل انها صارت في المئة الرابعة (العاشرة) بلدة
قليلة الشأن وكانت عند ملتقى الطريق المنحدر من آمد • وكانت حينذاك أوسع
من دارا ، الا ان ياقوت الحموى أشار في المئة السابعة (الثالثة عشرة) الى انها

(٣١) تبين من مراجعة الاصول ان هذا القول للمقدسى لا لابن حوقل • (م) •

قرية كبيرة (٣٢) *

كان الخابور الكبير يستقبل في يساره مياه نهر ماردين الآتي من رأس العين ، ويصب فيه أسفل من ذلك نهر الهرماس الآتي من نصيين * على ان أكثر مياه هذا النهر كانت - على ما بنا - تنساب من سُكير العباس وكان على شيء يسير فوق ملتقى الهرماس بالخابور الى وادي الثرثار * فتجتمع من ذلك في الخابور مياه ثلاثة أنهار كبيرة ، هذا الى ما ينصب فيه من مياه ثلاثمئة جدول على ما ذكر المستوفى * ثم ينحدر الخابور جنوبا الى قرقيسياء على الفرات وهي أكبر مدينة في ديار مصر ، وسيجيء وصفها * وقبل ان يصل النهر الى هذه المدينة يمر بمدينة تسمى عرابان وماكسين ، وهما في أراضي الخابور من أعمال ديار ربيعة * وعرابان أو عرابان ، وما زالت خرائبها موجودة ، كانت في المئة الرابعة (العاشرة) مدينة عليها سور منيع وتعمل فيها الثياب القطن ، وهي كثيرة الاقطان التي تنمي في جانبي الخابور * وتكلم المقدسي على عرابان وقال انها « تل رفيع حولها بساتين ، وإلى جنوبها في نصف الطريق بينها وبين قرقيسياء : ماكسين (أو ميكسين) حيث كان جسر سفن يقطع الخابور * وكان القطن يكثر فيها أيضا * وعلى مقربة منها بحيرة صغيرة تسمى المنخرق ، استدارتها مساحة جريب أو أزيد وفيها ماء ازرق عذب كالزجاج الملوح ولا يعرف قعرها ولا يعلم كمية مائها » *

ويقال ان مخرج الهرماس من عين بينها وبين نصيين ستة فراسخ (شمالا) مسدودة بالحجارة والرصاص * « ويقال ان الروم بنت هذه الحجارة عليها لثلا تغرق هذه المدينة * وكان المتوكل لما دخل هذه المدينة سار اليها وأمر بفتحها ففتح منها شيء يسير * فغلب عليه الماء غلبة شديدة حتى أمر باحكامه واعادته الى ما كان عليه بالحجارة والرصاص » * وعلى مئة ميل أو يزيد جنوب نصيين ، السكر المعروف بسكير العباس وكان هناك في المئة الرابعة (العاشرة) مدينة كبيرة

(٣٢) البلاذري ١٧٦ : الاصطخرى ٧٣ و ٧٤ : ابن حوقل ١٤٣ و ١٤٩ و ١٥٢ : المقدسي ١٤٠ : ابن جبير ٢٤٢ و ٢٤٤ : القزويني ٢ : ١٧٢ : ياقوت ٢ : ٥١٦ و ٦١٢ و ٧٣٣ و ٩١١ : ٣ : ٤٣٥ : ٤ : ٢٨٧ و ٣٩٠ : المستوفى ١٦٦ و ٢٠٥ و ٢١٩ : ابن بطوطة ٢ : ١٤٢ : على البزدي ١ : ٦٧٧ *

لها جامع / وأسواق • وسكير العباس^(٣٣) في رأس نهر الثرثار ، وقد كان يصب في دجلة على ما بينا • اما اليوم فقد قل ماء الثرثار وانقطع جريه • وكان ماؤه منذ المئة السابعة (الثالثة عشرة) ضئيلا فحين كتب ياقوت معجمه ذكر انه « يمد اذا كثرت الامطار • فأما في الصيف فليس فيه الا منافع ومياه حامية وعيون قليلة ملحة » • وقد ارتاد ياقوت مجراه غير مرة وزاد على ما تقدم : « يقال ان السفن كانت تجرى فيه (من الخابور الى دجلة) وكانت عليه قرى كثيرة وعمارة » • اما حين كتب ياقوت فلم تكن تلك البقاع غير برية مقفرة^(٣٤) •

وفي برية سنجار ، كان نهر الثرثار يجري بين مرتفعات يقال لها جبل حميرين ، وهو جبل بارما ، وكان الثرثار يستقبل من الشمال نهرا صغيرا ينحدر اليه من مدينة سنجار • وكان على سنجار في المئة الرابعة (العاشرة) سور من حجر ، ونواحيها عامرة كثيرة الخيرات • وأشار المقدسي الى شهرة اساكفتها وترنجها ونارنجها وقال « بها نخل كثير » والجامع في وسط البلدة • وتقول الروايات الاسلامية ان سفينة نوح نطحت في جبل سنجار في زمن الطوفان ، ثم استوت على جبل الجودي في الجانب الشرقي من دجلة • وزاد ياقوت على ذلك ان في مدينة سنجار ، على ما قيل ، ولد آخر سلاطين السلاجقة سنجار أو سنجر بن ملكشاه • وكانت سنجار ، على ما ذكر القزويني في المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، مشهورة بحماماتها : فرشها فصوص وسقوفها جامات ملونة • ونوه ابن بطوطة ، وقد مرّ بها في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، بمسجدها الجامع الفخم • وكان دائر سورها على ما ذكر المستوفي ٣٢٠٠٠ خطوة وهو من حجارة ويصعد الى دورها بدرجات في سفح الجبل • وتكثر في بساينها الكروم والزيتون

(٣٣) ترى اليوم على الهرماس (نهر جفنج ، ويسمى Mygdonius Saocoras) بقايا سكر على شيء يسير من ملتقاه بالخابور ، كما يرى بقايا حصون رومانية على جانبي النهر • راجع : الخريطة ١٤٠ من أطلس كتاب :
A. Poidebard, La Trace de Rome dans la Désert de Syrie, (Paris, 1934).

وكذلك ص ١٢٩ - ١٤٣ من المتن • (م) •

(٣٤) الثرثار اليوم ما زال حاله على ما وصفه به ياقوت في المئة السابعة للهجرة (الثالثة عشرة للميلاد) فالماء لا يجري فيه الا في موسم الامطار وترى في جهات من الوادي عيون قليلة الماء تغلب عليه الملوحة • والبرية التي يشقها خالية قاحلة الا في أيام الربيع فانها تتحول الى مراتع خضر ينتقل اليها الرعاة باغناتهم من النواحي المجاورة • وترى في جانبي الثرثار مقابل مدينة الحضر ، بقايا قنطرة من الحجارة • (م) •

والسماق^(٣٥) . والحضر وهي حترا (Hatra) عند الرومان . ذكر ابن سراييون ان الثرثار يمر بها عند نصف المسافة بين سنجار وملتقاه بدجلة قرب تكريت . وما زال يرى في الحضر بقايا قصر فرثي كبير^(٣٦) . روى ياقوت ان بانيه الساطرون شيده من حجارة مربعة ، وفيه بيوت كثيرة بنيت سقوفها وأبوابها بالحجارة المهندمة وذكر انه « يقال كان فيها ستون برجا كبيرا وبين البرج والبرج تسعة أبراج صغار بازاء كل برج قصر »^(٣٧) . وكان الطريق من الموصل الى نصيبين في جانب دجلة الايمن . وهذا الطريق ينقسم عند بلد (الموضع المعروف اليوم باسكى موصل)^(٣٨) وهي على اربعة فراسخ من الموصل

(٣٥) ما زالت سنجار من المدن العامرة في شمالي العراق وهي اليوم مركز قضاء سنجار في لواء الموصل . جاء في الكتابات المسمارية ما يدل على انها كانت منذ العصور الاشورية . واستولى عليها الرومان في القرون الاولى للميلاد . وذكرت كثيرا في اخبار الحروب بينهم وبين الفرس . وظلت على شيء من الاستقلال في عهدهم فان ملوكها ضربوا النقود باسمائهم ومن تلك النقود ما يرى في دور الآثار (م) .

(٣٦) ترى خرائب الحضر ، من قصور ومعابد وحصون وكلها مشيد بالحجارة المهندمة على اربعة كيلومترات من غرب وادي الثرثار وعلى نحو ٧٠ كيلومترا غرب الشرايط وعلى ١٥٠ كيلومترا جنوب غربى الموصل . وتاريخ هذه المدينة غامض غير معروف . فما زلنا نجعل زمن بنائها ومن بناها وسبب قيامها بمفردها في البرية الواسعة التي بين نهري دجلة والفرات . ولكننا نعرف انها وصلت الى أوج عزاها في اواخر المائة الاولى للميلاد وثبتت أمام جيوش الرومان في المئة الثانية للميلاد . ولكنها لم تقو على الوقوف بوجه هجوم سابور الاول الساساني فقد فتحها بعد ان حاصرها وأعمل السيف في أهلها ونهب قصورها ومعابدها في نحو منتصف المئة الثالثة للميلاد . ويظهر ان الحضر لم تعش بعد ذلك وهجرها من تبقى من أهلها .

وقد تنبعت دار الآثار العراقية الى منزلة الحضر الاثرية فابتدأت في التنقيب فيها منذ عام ١٩٥١ وتوصلت في موسمين من التنقيبات الى نتائج عظيمة القيمة كشفت عن شيء مما غمض من أحوال هذه المدينة وتاريخها . وعثرت في بعض المعابد على عدد من التماثيل الرخام وغيرها وعلى كتابات ارامية . وما زالت دار الآثار ماضية في الكشف عن خفايا هذه المدينة . راجع عن الحفريات في الحضر مجلة « سومر » (٧ : [١٩٥١] ص ١٧٠ - ١٨٤ : ٨ : [١٩٥٢] ص ٣٧ - ٥٢ و ١٨٣ - ١٩٥) (م) .

(٣٧) يكتب اسم البلدة سنجار بالف قبل الراء ، واسم السلطان سنجر من دونها . ابن سراييون ١٢ و ١٨ : الاصطخري ٧٣ و ٧٤ ابن حوقل ١٣٩ و ١٤٨ و ١٥٠ : المقدسى ١٤٠ و ١٤١ : ياقوت ١ : ٤٦٤ و ٩٢١ : ٢ : ٢٨١ : ٣ : ١٠٩ و ١٥٨ : ٤ : ٩٦٢ : المستوفى ١٦٦ و ٢١٩ : ابن بطوطة ٢ : ١٤١ : القزويني ٢ : ٢٦٣ .

(٣٨) اسكى موصل قرية على نحو اربعين كيلومترا شمال غربى الموصل على ضفة دجلة اليمنى . تقوم عند الخرائب المعروفة اليوم بهذا الاسم . وهي بقايا مدينة « بلط » الاشورية التي ورد اسمها في كتابات سنحاريب الملك الاشوري (٧٠٥ - ٦٨١ ق م) وقامت هناك مدينة في العصر الاسلامي ، سماها البلديون العرب باسم « بلد » و « بلط » . وقد عثر في بعض أطلالها على مسكوكات اتابكية احداها تعود الى قطب الدين مودود ، مما قد يؤول ان هذا القسم من الاطلال والصور الذى حولها فوق التل القديم من المنشآت الاتابكية . وعلى مقربة من اسكى موصل ،

الى طريقين : طريق يتجه الى اليسار ذاهبا الى سنجار مارا بتل اعفر • ذكر ياقوت انه كان في بلد مشهد علوى • وبلد في موضع المدينة الفارسية القديمة شهر اباد • وقال ان مدينة « بلد » ربما قيل لها بلط • وأشار ابن حوقل في المثة الرابعة (العاشرة) الى بلد فقال هى مدينة كبيرة • وقال المقدسى فى قصورها انها حسنة البناء من جص وحجر فرجة الاسواق والجامع وسط البلدة وينمى فى نواحيها قصب السكر وهى خصبة • وفوق تل « تل اعفر » (٣٩) المنفرد ، وهو على مرحلة واحدة من غربها ، قلعة حصينة تشرف على ربض كبير فيه نهر جار • وذكر ياقوت ان النخل كان ينمى فى ناحية منها يقال لها المحلية « نسبة الى المحلب وهو شئ من العطر » يعمل فيها (٤٠) •

اما الطريق الايمن ، فانه يبدأ من منقسمه ، مما يلى مدينة بلد ويذهب الى مدينة باعينا وقد وصفها المقدسى بقوله « نزهة طيبة وهى خمس وعشرون محلة ، يتخللها البساتين والمياه ، ليس مثلها بالعراق مع رفق ورخص » • وينبغى ان لا تخلط بينها وبين « قرية كبيرة كالمدينة » تعرف أيضا باعينا على النهر الذى يلتقى بدجلة شمال جزيرة ابن عمر ، على ما بيننا فى الصفحة ١٢٤ وعلى طريق نصيين مما يلى باعينا : برقيد ، وهى بلدة يضرب المثل باهلها فى اللوصية • فكانت القوافل اذا نزلت بهم لقيت منهم الامرين • وكانت فى المثة الثالثة (التاسعة) بلدة كبيرة عليها سور ولها ثلاثة أبواب وفيها مئتا حانوت وبها آبار كثيرة عذبة • وما حلت

قنطرة ذات طاق واحد تعرف بهذا الاسم أيضا • ارتفاعها ١٢ مترا فى الوقت الحاضر وعرضها ٢٢ر٥٠ مترا مبنية بالحجارة الكبيرة المهندمة على بعضها حروف يحتمل انها يونانية • وفى وجه الطاق كتابة عربية منقودة فى الحجر هذا نصها « عمل ح ٠٠٠ بن محمد الجزرى رحمه الله » • ويرجح انها كتبت بعد انشاء القنطرة التى يبدو من طرازها انها رومانية • (م) •

(٣٩) تل اعفر ، بلدة فى غربى الموصل ، على طريق سنجار ، وهى مركز قضاء تل اعفر ويقال فى اسمها أيضا : تل يعفر وتلعفر وتل يعفور وتلعفر • وهذا الاخير هو الاسم الدارج اليوم • وقيل انما أصله « التل الاعفر » لكونه فغير لكثرة الاستعمال وطلب الخفة • وكان اسمها عند الآشوريين نمت عشتار • (م) •

(٤٠) المحلية (كنعانية) من قرى ناحية حميدات فى لواء الموصل • قرب الحد الفاصل بين هذه الناحية وقضاء تلعفر • وهى اليوم قرية كبيرة كالبلدة فيها عين وافر الماء تعرف بـ « سرب المحلية » (سرب : وزن سبب) تعيش فيها اسماك وتسقى مياهها بساتين القرية التى تكثر فيها الاشجار المثمرة كالرمان والتين والعنب والخوخ وغيرها • وفى اطرافها بقايا بلدة اسلامية وتل عال يعرف بتل باليوز على سطحه كسر فخار من ادوار ما قبل التاريخ والدور الآشورى ، ولعل أقدم من أشار اليها من البلدانين العرب البشارى المقدسى فقد ذكرها مرتين فى كتابه • (م) •

المئة السابعة (الثالثة عشرة) حتى تجنبها أكثر القوافل لكثرة أفاعيل اهلها
فاصبحت قرية صغيرة حقيرة •

وأذمة في نحو نصف المسافة بين برقيد ونصيبين ، وكانت مدينة مثل
برقيد كبرا وهى من كورة تعرف بين النهرين • وانتهى الينا من المئة الثالثة
(التاسعة) انه كان بها قصر حسن ونهر يشقها وعليه في وسط المدينة قنطرة
معقودة بالصخر والجص • وفيها سوران احدهما دون الآخر ومن خارج السور
خندق يحيط بالمدينة • وهذا ما انتهى الينا على كل حال مما وصفها به طيب (٤١)
الخليفة المعتضد ، وقد مرّ بها حين كان في خدمة الخليفة • وفي المئة الرابعة
(العاشرة) وصف المقدسى اذمة فقال « صغيرة في البرية ، شربهم من آبار
وبنائهم قباب » (٤٢) •

(٤١) فى معجم البلدان (١ : ١٧٧) هو : احمد بن الطيب السرخسى الفيلسوف (م) •
(٤٢) قدامة ٢١٤ : الاصطخرى ٧٣ : ابن حوقل ١٤٨ و ١٤٩ : المقدسى ١٣٩ و ١٤٠ :
ياقوت ١ : ١٧٧ و ٤٧٢ و ٥٧١ و ٧١٥ و ٨٦٣ : ٤ : ٤٢٨ : القزوينى ٢ : ٢٠٤ •

الفصل السابع

الجزيرة «تمة»

ديار مضر - الرقة والرافقة - نهر البليخ وحران - اذسا وحصن مسلمة - قرقيسيا - نهر
سعيد والرحبة والدالية - رصافة الشام - عانة - بالس وجسر منبج
وسميساط - سروج - ديار بكر - آمد وحاني ومنابع دجلة -
ميافارقين وارذن - حصن كيفا وتل فافان -
سمعت .

كانت ديار مضر ، على ما قد بينا ، تحف بضفاف الفرات • واجل مدنها
الرقة ، وهي فوق مصب نهر البليخ المنحدر من الشمال الى الفرات • وقامت في
موضع المدينة اليونانية القديمة كلنيكس (Callinicus) وهي نقفوريوم
(Nicephorium) • وما اسم « الرقة » العربي الا نعت لها « فالرقة كل ارض الى
جنب واد ينسبط عليها الماء » وقت الفيضان • ومن ثمة فالرقة توجد في مواضع
أخرى كسمية لمكان • وهذه الرقة التي على الفرات عرفت بالرقة السوداء تميزا
لها عن غيرها •

وحين انتقلت الخلافة الى بنى العباس في المئة الثانية (الثامنة) ، كانت الرقة
من أهم مدن ما بين النهرين الاعلى ، وتسيطر على تخوم الشام • فكان عليهم
الاحتفاظ بها فشرع الخليفة المنصور في سنة ١٥٥ (٧٢٢) ببناء مدينة الرافقة على
نحو ثلاثمئة ذراع من الرقة ورتب بها جندا من أهل خراسان الموالين للدولة
الجديدة • ويقال ان الرافقة بنيت على غرار مدينة السلام • فكانت مدينة مدورة •

ثم ان الرشيد بنى قصورها وبنى له فيها قصرا سماه قصر السلام ، لانه كان يقيم فى الرقة أو الرافقة كلما اشتد الحر فى بغداد . وسرعان ما خربت الرقة القديمة وشيدت أبنية جديدة فى الارض الفضاء بين الرقة والرافقة ، وحول رقتها وكانت بحيرة ضحلة . وغلب اسم الرقة على الرافقة ، وقد كانت الاخيرة حيناً من الزمن ربضاً لها ، وبطل اسمها بمرور الايام . على ان ابن حوقل تكلم فى المثة الرابعة (العاشرة) على مدينتى الرقة والرافقة فقال هما « مدينتان كالتلاصقتين وفى كل واحدة منهما مسجد جامع » . وكاتتا كثيرتى الاشجار ، اما المقدسى فلم يصف الا الرقة وقال « الرقة قصبة ديار مضر ، بحصن عريض ولها بابان ، حسنة الاسواق كثيرة القرى والبساتين والخيرات ، ومعدن الصابون الجيد^(١) والزيتون . وجامع الرقة فى البزازين وبها حمامات طيبة » . ثم قال : كان لكل بيت كبير فى الرقة دكة . وبالقرب منها خرائب مدينة قديمة يقال لها الرقة المحترقة . على ان المستوفى تكلم على الرافقة وقال هى ربض الرقة ، الجامع فى الصاغة فيه شجر عناب وبالقرب منها مسجد يطل على الفرات^(٢) .

وفى جانب الفرات الايمن ، بازاء الرقة فيما فوقها ، ارض صفين المشهورة وفيها كان القتال بين اصحاب الخليفة علي ومعاوية وقبور من استشهد فى هذه الوقعة من اصحاب علي معروفة فيها . وروى ابن حوقل ، وقد تابعه فيه المستوفى ، ان من كان بعيدا عن القبور يرى عجباً ذلك انه يرى قبورا ويصعد الى المكان فلا يرى لذلك أثراً ولا يحس منه خبراً . ومقابل ارض وقعة صفين على الضفة الفرات الشمالية (اليسرى) قلعة يقال لها قلعة جبر نسبة الى مالکها الاول وكان عربياً من بنى نمر وكانت هذه القلعة تعرف فى بدء امرها بدوسر وكثيراً ما تردد ذكرها فى آخر أدوار تاريخ الخلافة . وفى سنة ٤٩٧ (١١٠٤) استولى الفرنج

(١) اشار المقدسى (احسن التقاسيم ص ١٤٥) الى اشتهاى الرقة بعمل الصابون . وللصابون الرقى وهو منسوب الى مدينة الرقة شهرة بعيدة ، وقد نوه به بعض الكتبة الاقدمين (انظر شرح اسماء العقار لموسى بن ميمون ص ٣٥ ؛ وعيون الانباء فى طبقات الاطباء ١ : ٢٦٥ ؛ ونخبة الدهر فى عجائب البر والبحر لشمس الدين الدمشقى ص ٢٠٠) . (م) .
(٢) عرفت الرقة باسم نقفور يوم . بناها الاسكندر الكبير فى زحفه على دجلة . وقد نالها الاذى اثناء الحروب الفارسية الرومانية والفارسية البيزنطية لوقوعها على ممر الجيوش حتى كان الفتح العربى لها سنة ٦٣٨ م . (م) .

عليها من اذسا في الحملة الصليبية الاولى • ويستقبل الفرات من يساره اسفل الرقة
نهر البليخ ، وقد عرفه اليونان باسم بليخا (Bilecha) ومنبعه من عين تسمى عين
الذهبية في شمال حران • وورد اسم هذه العين ايضا في المراجع التي بيدنا
بصورة الدهمانية والذهبانية وكتبه المستوفى (بالفارسية) بصورة جشمة دهانة أى
عين دهانة (٣) •

ويجرى البليخ نحو الجنوب ثم يلتقى بالفرات تحت الرقة ويمر بمدن جليلة
كان سقيها من هذا النهر وروافده • فقرب منبعه حران (كرها Carrhae)
وكانت مدينة الصابئين (وهم الصابئة الحرامية فينبغي الا يخلط بينهم وبين صابئة
العراق اليوم) وهم على دين ابراهيم • ويقال ان حران كانت أول مدينة بنيت في
الارض بعد الطوفان • وقال المقدسى في حران انها « مدينة نزيهة عليها حصن من
حجارة على عمل ايلياء (٤) في حسن البناء » وفيها جامع • وذكر ابن جبير ، وقد مر
بحرّان سنة ٥٨٠ (١١٨٤) ، ان لها سورا مبني بالحجارة ووصف الجامع فقال :
له صحن كبير ذو تسعة عشر بابا وفيه قبة قد قامت على سوار من الرخام • ولها
اسواق مسقفة كلها بالخشب • ولهذه البلدة مدرسة ومارستان • وزاد المستوفى
على ذلك ان محيط سور الصحن كان ١٣٥٠ خطوة • وعلى ثلاثة فراسخ من
جنوبها ، مشهد ابراهيم ، وما حوله من اراض تسقى انهار لا عدّها (٥) •

اما ادسا وقد سماها العرب الرها (وهو تحريف للاسم اليوناني كلرهو
Callirhoe) فهي عند منابع احد روافد البليخ • ولم يسهب البلدانون

(٣) البلاذرى ١٧٩ و ٢٩٧ : الاصطخرى ٧٥ و ٧٦ : ابن حوقل ١٥٣ و ١٥٤ : المقدسى ١٤١ : ابن
سرايون ١٢ : ابن رسته ٩٠ : ابن خردادبه ١٧٣ : ياقوت ١ : ٧٣٤ : ٢ : ٦٢١
و ٧٣٤ : ٤ : ١١٢ و ١٦٤ : المستوفى ١٦٦ و ٢١٩ : ابن الاثير ١٠ : ٢٥٣ •
(٤) قال ياقوت (١ : ٤٢٣) ايلياء : اسم مدينة بيت المقدس • (م) •

(٥) تقوم حران عند ملتقى الطرق التجارية في شرق الفرات ولا سيما طريق الشام وطريق
الجزيرة • وكانت حران منذ الالف الثاني قبل الميلاد ، قاعدة اقليم كبير وظلت عامرة حتى المئة
السابعة (الثالثة عشرة) • حكمها الآشوريون وحكمها اليونان والرومان والفرس قبل ان ياخذها
العرب صلحا سنة ١٨ (٦٣٩) • ونزلها مروان الثاني آخر خلفاء بني أمية •

تبلغ مساحة اطلالها نحو ميل مربع يحيط بها سور خرب • وقد نقب الاثريون حديثا في بقايا
مسجدها الجامع وقلعتها • راجع عن الحفريات في حران :

Anatolian Studies (Vol. I, 1951; pp. 77-III); Illustrated London News
(Sep. 20, 1952 p. 466). - (م) •

المسلمون فى أخبار هذه المدينة ، لان أغلب سكانها اقاموا على نصرانيتهم • وأكثر ما اشتهرت به هذه المدينة كنائسها الكثيرة فقد ذكر ابن حوقل « بها زيادة على ثلاثمئة بيعة ودير ، وكان بها منديل لعيسى » ، أعطاه المسلمون للروم فى سنة ٣٣٢ (٩٤٤) انقاذا للرها من هجوم الروم عليها ونهبها • وقال المقدسى فى النصف الثانى من المثة الرابعة (العاشرة) بعد كلامه على جامعها ان « بها كنيسة عجيبة بآزاج ملبسة بالفسافساء هى احدى عجائب الدنيا » الاربع • وقال أيضا ان المسجد الاقصى فى بيت المقدس قد بني على غرارها •

وزاد على ذلك انها كانت مدينة محصنة • ولم تثبت الحامية العربية بوجه الحملة الصليبية الاولى فى سنة ٤٩٢ (١٠٩٨) • فاستولى بلدوين على ادسا وبقيت نصف قرن ولاية لاتينية • ولكن فى سنة ٥٤٠ (١١٤٥) استعادها زنكى^(٦) من جوسلين الثانى (Jocelin II) • ومنذ هذا الزمن صارت الرها بايدى المسلمين • وكانت خرائب كثير من مبانيها الجميلة شاخصة فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) • ووصف المستوفى قبة عظيمة حسنة البناء بالحجارة تقوم وراء صحن سعته مئة ذراع ونيف فى مثلها • وذكر علي اليزدى مدينة الرها غير مرة فى حديثه عن حروب تيمور • وظلت الرها تعرف بهذا الاسم حتى مطلع المثة التاسعة (الخامسة عشرة) فانها بعد انتقالها الى ايدي الترك العثمانيين عرفت باسم « اورفا » وقيل ان هذا الاسم تحريف « الرها » العربى • وما زالت تسمى بأورفا حتى اليوم^(٧) •

(٦) هو عماد الدين زنكى وقد حكم سنة ٥٢١ - ٥٤١ هـ (م) •

(٧) الاصطخرى ٧٦ ؛ ابن حوقل ١٥٤ ؛ المقدسى ١٤١ و ١٤٧ ؛ ابن جبير ٢٤٦ ؛ ياقوت

٢ : ٢٣١ و ٥٩١ ؛ علي اليزدى ١ : ٦٦٢ ؛ المستوفى ١٦٦ ؛ جهان نما ٤٤٣ •

اما منديل عيسى المشهور الذى كان فى ادسا وقتا ما ، فانه احد المناديل الكثيرة من نوعه (Veronica) ولا تتفق المصادر الوثيقة على ما اذا كان منديل ادسا هو ذلك المنديل المحفوظ فى رومة الآن أم انه المنديل الذى يشاهد فى جنوة • وهناك مناديل أخرى غيرها • وأقدم مرجع اسلامى ذكر هذا الموضوع هو كتاب المسعودى الذى ألفه سنة تسليم المنديل المشهور الى انبراطور الروم قال فيه ان « ايشوع الناصرى حين خرج من ماء المعمودية تنشف به » • وذكر المسعودى ان فى سنة ٣٣٢ (٩٤٤) اعطى هذا المنديل للروم فجنحوا الى الهدنة وكان للروم عند تسليمهم هذا المنديل فرح عظيم • اما ابن حوقل ، وقد كتب فى تلك المثة نفسها ، فسماه « منديل عيسى بن مريم عليه السلام » • وقال ابن الاثير فى تاريخه فى أخبار سنة ٣٣١ (٩٤٣) ان « منديلا زعم ان المسيح مسح به وجهه

وفى جنوب حران على مقربة من شرق نهر البليخ ، مدينة باجدا الصغيرة على الطريق الى رأس العين • وكان فيها بساتين ، وهى قرب حصن مسلمة الذى هو أقرب الى البليخ منه الى باجدا وقد نسب هذا الحصن الى مسلمة بن عبد الملك الخليفة الاموى • وهو على تسعة فراسخ جنوب حران وعلى نحو ميل ونصف الميل عن ضفة النهر الحالية • « وشرب أهله من مصنع فيه طوله مئتا ذراع فى عرض مثله ، وعمقه نحو عشرين ذراعا معقود بالحجارة • وكان مسلمة قد اصلحه • والماء يجرى فيه من البليخ فى نهر مفرد فى كل سنة مرة حتى يملأه فيكفى أهله بقية عام • ويسقى هذا النهر بساتين حصن مسلمة • وكان الحصن « قد بني على قدر جريب من الارض (وهو ما يعادل ثلث ايكرا) وارتفاعه فى الهواء أكثر من خمسين ذراعا • وكان فى جنوب حصن مسلمة فى طريق الرقة على ثلاثة فراسخ منها : باجروان • وقد وصفها ابن حوقل فقال : « كانت منزلا خصباً نزها واسعا » • وقد عراها الاختلال فى المئة الرابعة (العاشرة) • اما ياقوت ، وقد قدمنا وصفه لحصن مسلمة ، فذكر ان باجروان قرية من ديار مصر (٨) •

وعلى نحو مئتي ميل اسفل من الرقة ، قرقيسياء وهى كركيسيوم (Circesium) القديمة على ضفة دجلة (١) اليسرى حيث يصب الخابور فضلة مياهه فيه على ما قد بينا فى الصفحة (١٢٧) • ووصف ابن حوقل قرقيسياء بانها « مدينة لها بساتين وأشجار كثيرة وهى فى نفسها نزهة » • اما ياقوت والمستوفى فقد ذكرا انها بلد أصغر من الرحبة المجاورة لها على ستة فراسخ منها فى الجانب الغربى من القرات • والرحبة هذه سميت برحبة مالك بن طوق مؤسسها ، تميزا

فصارت صورة وجهه فيه • • وتابع حديثه مبينا ان الخليفة المتقى وافق على تسليم هذا المنديل الى ملك الروم لكى يطلق كثيرا من أسرى المسلمين ويبعد الروم عن الرها • اما الرواية النصرانية بشأن منديل ادسا فهى على ما ذكر موسى الخورى Moses of Chorene انه كان فى المنديل صورة المسيح مطبوعة باعجوبة وقد ارسلها المسيح الى ابجر ملك الروما • المسعودى ٢ : ٣٣١ ؛ ابن الاثير ٨ : ٣٠٢ •

(٨) ابن حوقل ١٥٦ ؛ قدامة ٢١٥ ؛ ياقوت ١ : ٤٥٣ و ٤٥٤ و ٧٣٤ ؛ ٢ : ٢٧٨ •

(٩) لا شك ان ذلك من خطأ الطبع فان المؤلف يريد القرات ، فقد اثبتتها على القرات فى خوارطه • (م) •

لها عن غيرها من الرحاب • وقد عاش مالك في خلافة المأمون • وكان بالقرب منها : الدالية وهي بلدة صغيرة • والرحبة والدالية قرب نهر يقال له نهر سعيد ، كان يخرج من يمين الفرات على شيء قليل فوق قرقيسياء ويعود فيصب فيه فوق الدالية • وهي مثل الرحبة تعرف بدالية مالك ابن طوق تميزاً لها عن غيرها • وكان قد أمر بحفر هذا النهر الأمير سعيد ابن الخليفة عبد الملك الاموي ، وكان رجلاً تقياً يلقب بسعيد الخير ، وقد تولى الموصل حيناً من الزمن • وقد وصف المقدسي مدينة الرحبة فقال هي اجل مدن ناحية الفرات ، في الجزيرة ، وكانت دورها « من نحو البادية طيلسان » ولها حصن منيع وربض كبير • اما الدالية فكانت اصغر منها حسنة فوق شرف من الارض على شاطئ الفرات في غربه •

وفي البادية ، بين الرحبة والرقّة : الرصافة - وما زالت بقاياها على أربعة فراسخ جنوب الرقة وكانت تسمى رصافة الشام أو رصافة هشام نسبة الى بانيها^(١٠) • فقد بنى الخليفة هشام احد ابناء عبد الملك هذا القصر له في البادية لما وقع الطاعون بالشام اتقاء شره • وكان يسكن في هذا الموضع ملوك غسان قبل الاسلام • وذكر ياقوت ان في الرصافة آباراً طول رشاء كل بئر مئة وعشرون ذراعاً وأكثر • وذكرها ابن بطلان الطبيب في رسالة له كتبها سنة ٤٤٣ (١٠٥١) بقوله : فيها « بيعة عظيمة أنشأها قسطنطين الملك ، ظاهرها بالفص المذهب • وتحت البيعة صهريج في الارض على مثل بناء الكنيسة معقود على اساطين الرخام • وسكان هذا الحصن أكثرهم نصارى (في المئة الخامسة = الحادية عشرة) معاشهم تخفيف القوافل وجلب المتاع والصعاليك مع اللصوص » فكانوا يرافقون القوافل في اجتيازها البادية الى حلب • وكان في شرقي الفرات ، بين الرقة وقرقيسياء ، على يومين فوق قرقيسياء ، الخانوقة • وهي على ما ذكر ابن حوقل مدينة « رزحة الحال » • وزاد ياقوت عليه ان بالقرب منها أرض « المضيق » •

(١٠) تقوم اطلال رصافة الشام ، وتعرف برصافة هشام ، على نحو مئتي كيلو متر من شرق حلب • وقد ورد ذكرها في النصوص الآشورية • وفي سفر الملوك الرابع (١٩ : ١١ - ١٢) • ولم يبق من هذه المدينة الا اطلال في صحراء مقفرة (م) •

ولم يكن في إقليم الجزيرة اسفل من قرقيسياء ، مدينة ذات شأن غير عانة
وهي اناتو Anatho القديمة وما زالت ترى في الخارطة العصرية (١١) .
وقد ذكرها ابن سراييون فقال ان الفرات يدور بها وتصير جزيرة فيها مدينة . اما ابن
حوقل فقال ان عانة « في وسط الفرات ويطوف بها خليج من الفرات » * وزاد
ياقوت على ذلك ان « بها قلعة حصينة مشرفة على الفرات » واليها التجأ القائم
بأمر الله في سنة ٤٥٠ (١٠٥٨) حين استولى البساسيري الديلمي على بغداد (١٢)
وأمر باقامة الخطبة في غيبته باسم خليفة مصر الفاطمي . وقال المستوفي ان عانة
كانت حتى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) مدينة حسنة ذات نخيل وفرضتها تعرف
بفرضه نعم وهي الى غرب عانة على الفرات في وسط المسافة بين عانة وقرقيسياء
ولعلها عند المنعطف الشرقي للفرات ولكنها لا ترى اليوم بالخارطة . وكانت هذه
الفرضة محطة مهمة عند منقسم الطريق ، فيقطع ايسره البادية مارا بالرصافة ثم
الى الرقة رأسا ويصعد الطريق الايمن مع النهر (١٣) .

(١١) قلنا : ما زالت عانة بلدة عامرة على الفرات وهي مركز قضاء عانة في لواء الديلم على
٢١٢ كيلومترا شمال الرمادي . وقد ورد اسمها في الكتابات المسماة بصورة (انات) وفي
المراجع الاغريقية بصورة « آنا » وفي الكتابات التدمرية باسم « عانة » وسماها الاراميون « عانات » .
قال المستشرق موسيل في كتابه الفرات الاوسط Musil, The Middle Euphrates
(ص ٣٤٥ - ٣٤٩) كانت عانة المعسكر السابع والعشرين في الطريق الذي أنشاه الملك الآشوري
توكليتي نينورتا الثاني (٨٨٩ - ٨٨٤ ق م) فقد كان معسكره قبالة جزيرة « عانات » في أرض
سوخي وهي « عانة » الوقت الحاضر . وكانت عانة في الاصل تقوم في الجزر الخصبة ولم تكن
في الازمنة السابقة على ما هي عليه من امتداد ولم يكن أهلها في مأمن من غزوات البدو فقط بل
ان مركزها ساعدهم على اخضاع الجهات المجاورة . ولهذا كان الآشوريون عادة يولون سادة عانة
حكاما على مقاطعة سوخي . وكان الملك توكليتي نينورتا الثاني قد تسلم الجزيرة من ايلو ابني
رئيس سوخي الذي كان في بلدة « آنا » في وسط الفرات .
ومر اسطول تراجان الروماني بجزيرة « آنا » في عام ١٩٤ م . وفي سنة ٣٦٣ م حاصرها
الاسطول الروماني فاحرقها وهرب أهلها منها . وفي اليوم التالي غرقت عدة سفن من هذا الاسطول
لصدمتها سدودا في النهر . وفي أوائل سنة ٥٩١ م ارسل ورامس جيشا الى قرية عانة لصد
كسرى من الرجوع الى بلاد فارس . وفي كتاب الخراج لابي يوسف (ص ١٨٥) مر خالد بن الوليد
ببلاد عانات فخرج اليه « بطريقها » فطلب الصلح فصالحه واعطاه ما اراده وقد ورد ذكر عانة في
مؤلفات البلدانيين والمؤرخين العرب وغيرهم (م) .

(١٢) المعروف في التواريخ ان الخليفة نفى الى حديقة النورة ، وتعرف أيضا بحديقة عانة .
راجع مثلا المنتظم ٨ : ٩٤ (الدكتور مصطفى جواد) .

(١٣) الاصطخرى ٧٧ و ٧٨ : ابن حوقل ١٥٥ و ١٥٦ : المقدسي ١٤٢ : البلاذري ١٧٩ و ١٨٠
و ٣٣٢ : ابن سراييون ١٠ و ١٤ : ياقوت ٢ : ٣٤٩ و ٥٣٨ و ٧٦٤ و ٧٨٤ و ٩٥٥ : ٣ : ٥٩٥
و ٨٧٦ : ٤ : ٦٥ و ٥٦٠ و ٨٤٠ : المستوفي ١٣٩ و ١٦٦ .

وكان على الفرات فوق الرقة ، ثلاث مدن وهى : بالس ، وجسر منبج
وُسَمِّيسَاط . وقد كانت تحسب جميعا من أعمال الشام فى الغالب ، لوقوعها فى
يمين الفرات ، أى فى جانبه الغربى . وان عدها أكثر المؤلفين من أعمال الجزيرة .
وكانت بالس فى غرب الرقة عند حد ارض صفين حيث يتجه الفرات شرقا بعد
جريانه الى الجنوب . وهى بربلسس (Barbalissus) عند الرومان ، وكانت
فرضة عظيمة لأهل الشام على الفرات ، ومن ثم كانت مركزا لكثير من طرق
القوافل . وقد وصف ابن حوقل مدينة بالس فقال « عليها سور ازلي ولها بساتين
فيما بينها وبين الفرات . وأكثر غلاتها القمح والشعير » . وهى وان كان الخراب
قد امتد اليها ، فقد قال المقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) انها ما زالت
عامرة . على ان ياقوت الحموى ذكر ان الفرات فى المثة السابعة (الثالثة عشرة)
« لم يزل يشرق عنها قليلا قليلا حتى صارت بينهما فى أيامنا هذه أربعة أميال » .
ولمّح ابو الفداء الى بالس فقال انها « بلدة كانت مسكونة » .

وجسر منبج ، على الفرات ومنه يصعد طريق يغرب الى منبج « هيرابوليس »
(Hierapolis) من أعمال حلب وكانت موضعا ذا شأن فى القرون الوسطى .
وعند الجسر « قلعة حصينة تحتها ربض عامر مطلة على الفرات » . ويقال لهذه
القلعة قلعة النجم لأنها على جبل وكانت تسمى أيضا حصن منبج . ولما مر ابن
جبير بقلعة النجم وهو آت من حران فى سنة ٥٨٠ (١١٨٤) قال « حولها ديار بادية
وفيهما سويقة » . وقال ابو الفداء ان بناء القلعة « صار يعرف بقلعة نجم وهو من
بناء السلطان (نور الدين) محمود بن زنكى وكانت مسلحة تشدد النكير على ما
فى يد الصليبيين من مدن » . وذكر القزوينى ، وقد كتب فى النصف الاخير من
المثة السابعة (الثالثة عشرة) ، حكاية طويلة عن « طائفة يتعانون أنواع القمار .
فاذا رأوا غريبا أظهروا انهم مرمدين (كذا) ويلعبون دونا ليظن الغريب انهم
فى طبقة نازلة يطعم فيهم ويخرجون المال اذا قمروا من غير اكتراف فتتوق نفس
الغريب ان يلعب معهم فكلما جلس لا يتركونه يقوم ومعه شيء حتى سراويله .
وربما استرهنوا نفسه ومنعوه من الذهاب حتى يأتى أصحابه ويؤدون عنه
ويخلصونه » .

وسميساط ، وهى سموساطا (Samosata) عند الرومان ، أعلى هذه المدن على الفرات فى ضفته اليمنى أى الشمالية . وعند هذه المدينة ينحرف النهر الى الغرب . وقد كانت قلعة حصينة مكيئة . وذكر المسعودى ان سميساط كانت تعرف أيضا بقلعة الطين . وروى ياقوت فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) ان « شقا من قلعته يسكنه الارمن » . ويحسن بنا أخيرا ان نذكر مدينة سروج استكمالا لما وصفنا من مدن ديار مصر . فقد كانت فى نحو نصف الطريق الضارب شمالا من الرقة ، قاطعا البرية الى سميساط . ويكون هذا الطريق وترا لنصف الدائرة العظيمة التى يؤلفها مجرى الفرات . وكانت سروج أيضا على طريق القوافل من حران والرها الى جسر منبج . وقد قال فيها ابن حوقل انها مدينة عامرة خصبة ، وأيده ياقوت فى ذلك دون ان يزيد شيئا^(١٤) .

اما مدن ديار بكر ، وهى اصغر الديار الثلاث التى يتألف منها اقليم الجزيرة ، فان كلها على دجلة الاعلى أو فى شماليه . وكانت قصبة هذه الديار : آمد وتكتب أحيانا حامد وهى آمدا (Amida) عند الرومان . وثم اشتهرت بعد تلك الازمان باسم ديار بكر ، وهو ما تعرف به اليوم أيضا . وقيل لها أيضا قره آمد (أى آمد السوداء) لان حجارة بنائها سود .

ومدينة آمد ، فى غربى دجلة أى يمينه ، ويطل عليها جبل علوه مئة قامة^(١٥) . قال ابن حوقل « عليها سور اسود من حجارة الارحية » . ووصف المقدسى آمد فقال « بلد حصين حسن عجيب البناء على عمل انطاكية ... له أبواب وعليه شرف بينه وبين الحصن فضاء » نشأت فيه أرباض بعد ذلك . وفى آمد عيون . وأشار المقدسى أيضا الى انها بنيت « بحجارة سود صلبة وكذلك أساسات الدور . وفى وسط البلد : الجامع . ولأسوارها خمسة أبواب : باب الماء وباب الجبل وباب الروم وباب التل وباب السر يحتاج اليه وقت الحرب » . وكان بعض

(١٤) الاصلطخرى ٦٢ و ٧٦ و ٧٨ : ابن حوقل ١١٩ و ١٢٠ و ١٥٤ و ١٥٧ : المقدسى ١٥٥ : المسعودى ١ : ٢١٥ : ابن جبير ٢٥٠ : ياقوت ١ : ٤٧٧ : ٣ : ٨٥ و ١٥١ : ٤ : ١٦٥ : أبو الغداء ٢٣٣ و ٢٦٩ : القزوينى ٢ : ١٦٠ .
(١٥) هذا ما فى طبعة ابن حوقل الاول . وفى طبعته الثانية (ص ٢٢٢) ان علوه نحو خمسين قامة (م) .

الحصن - على ما أشار المقدسي في المثة الرابعة (العاشره) - على الجبل ثم قال « لا أعرف للمسلمين اليوم بلدا أحصن ولا ثغرا أجل منها » في تخوم المسلمين بوجه الروم .
وفي سنة ٤٣٨ (١٠٤٦) مرّ ناصر خسرو الحاج الفارسي بآمد ودون وصفا دقيقا للمدينة حسبما رآها بنفسه ، فكان طول المدينة ألفي خطوة وعرضها مثل ذلك . وسورها من الحجارة السود يحيط بالثلث المشرف عليه . وعلو هذا السور عشرون ذراعا وثخنه عشر أذرع وأكثر حجارته ملتصق بعضه ببعض من غير طين أو جص ، اذ كل حجر منه على قول ناصر خسرو يزن ألف من (١٦)
(ويعادل ذلك نحو ثلاثة أطنان) . وعلى بعد كل مئة ذراع من السور بني برج نصف دائري تنتهي قمته بشرفات من الحجارة السود أنفسها . وقد شيد في عدة أماكن داخل السور مراق من الحجر يصعد بها الى أعلى السور . وكان فيه أربعة أبواب حديد تقابل الجهات الاصلية ، يسمى الباب الشرقي باب دجلة ، والشمالي باب الارمن ، والغربي باب الروم ، والجنوبي باب التل . وخارج هذا السور سور آخر من الحجر نفسه علوه عشر أذرع . وفي الفصيل بينهما ريش كالحلقة عرضه ١٥ ذراعا . وكان من فوق هذا السور شرفات ومراقبة للدفاع . وكان له أيضا أربعة أبواب حديد تناظر أبواب السور الداخل . وزاد ناصر خسرو على ذلك انه لم ير امنع من آمد .

وفي وسط المدينة عين يتفجر ماؤها من الحجر الاصم . وهذا الماء من الغزارة بحيث يكفي في ادارة خمس أرحاء ، وهو غاية في العذوبة . وتسقى البساتين المجاورة من هذا الماء . ومسجدها الجامع جميل البناء وهو من الحجر الاسود كسائر المدينة . وقد أقيم في وسطه أكثر من مئتي سارية من الحجر كل سارية قطعة واحدة . ويعلو هذه السوارى عقود من الحجر نصبت فوقها سوار أقصر من تلك . وجميع سقوف المسجد من الخشب المحفور والمنقوش والمدهون . وفي صحن الجامع حوض مستدير من الحجر في وسطه أنبوب من النحاس ينفر منه ماء صاف . فيبقى الماء في الحوض على مستوى واحد في كل الاوقات . وبالقرب من الجامع كنيسة عظيمة مبني كلها من الحجر وقد فرشت أرضها

(١٦) وفي الترجمة العربية للخشاب (ص ٨) ان كل حجر منه يزن ما بين مئة والف من (م) .

بالرخام • وجدرانها غنية بالزخارف • ورأى ناصر خسرو فيها بابا جميلا من الحديد المشبك يؤدي الى مذبحتها لا نظير له •

وقد أيد المعلق المجهول على مخطوطة باريس من كتاب ابن حوقل ما ذكرناه عن روعة مدينة آمد وجلالها في تعليقاته أيضا • فقد كان هذا المعلق في آمد سنة ٥٣٤ (١١٤٠) وذكر ان أسواقها حسنة عامرة (١٧) • وفي المئة السابعة (الثالثة عشرة) أعاد ياقوت والقزويني أكثر الوصف المتقدم • فقال القزويني في آمد ان دجلة في أيامه « ... محيطة بها من جوانبها الا من جهة واحدة على شكل الهلال وانها كثيرة الاشجار والبساتين » وكتب المستوفي بعد ذلك بقرن فقال انها بلدة وسط وكان ما تؤديه لحكومة الایلخانين ثلاثة آلاف دينار (١٨) • واستولى تيمور عليها في ختام هذا القرن (١٩) •

وفي شمال آمد على مقربة من أحد السواعد الشرقية في أعلى دجلة ، مدينة حاني • ذكر ياقوت ان « فيها معدن الحديد ومنها يجلب الى سائر البلاد » • وذكر المستوفي مدينة حاني أيضا • وعلى بعد قليل من غربها « اصل دجلة العراق فانها تخرج من تحت كهف الظلمات ماء أخضر » على حسب وصف المقدسي • وقال « أول مبادها - أي دجلة - لا تدير أكثر من رحى واحدة • أول ما يختلط بها نهر الذئب » وهو نهر الكلاب عند ياقوت على ما يظهر • وكان يخرج من الجبال قرب شمشاط شمالي حاني • وأول مخرج دجلة فيما قال ياقوت ، على مسيرة يومين ونصف من آمد ، من موضع يعرف بهلورس « وهو الموضع الذي استشهد فيه علي الارمني » • وتكلم أيضا على الكهف المظلم الذي يخرج منه ماؤه • وذكر المقدسي وياقوت اسماء سواق ورواضع وانهار كثيرة ليس من الهين التوفيق بين اسمائها التي سردها المقدسي وسردها ياقوت في كلاميهما عليها • ولعل هذه الاسماء تبدلت تبديلا كبيرا فيما بين المئة الرابعة والمئة السابعة (العاشرة والثالثة عشرة) •

(١٧) في التعليق المذكور خلاف ذلك • ففي الصفحة ٢٢٣ من الطبعة الثانية لابن حوقل ما يأتي :
« لم يبق بأشواقها حانوت فضلا ان يقال مسكون » (م) •

(١٨) في الاصل الفارسي لنزهة القلوب (ص ١٠٣ من طبعة لسترنج) « سي هزار دينار » ومعناها ثلاثون الف دينار (م) •

(١٩) الاصطخرى ٧٥ : ابن حوقل ١٥٠ و ١٥١ : المقدسي ١٤٠ : ناصر خسرو ٨ : ياقوت ٦٦ : القزويني ٣٣١ : المستوفي ١٦٥ : علي اليزدي ٦٨٢ •

وعلى شيء يسير اسفل من آمد ، يشترق نهر دجلة فيكون على هيئة زاوية قائمة ثم ينصب فيه من شماله نهر يقال له نهر الرمس أو نهر الصلب . غير ان أعظم الانهار المنصبة فيه : النهر المنحدر من شمال ميافارقين ، ويتفرع منه نهر يسقى هذه المدينة وهو نهر ساتيدما أو ساتيدما وكان أحد فروعه يسمى وادى الزور الآخذ من انحاء كلك . اما نهر ساتيدما ، فأول مائه من درب الكلاب . وانما سمي بذلك ، على ما ذكر ياقوت ، لأن الروم قتلهم انوشروان « قتل الكلاب » وقد وقعت هذه الحادثة قبيل مولد النبي محمد . ونهر ساتيدما هذا الذى ذكره ابن سراييون هو ما سماه المقدسى بنهر المسوليات وهو المعروف اليوم باسم بطمان صو وأحد روافده على ما بيننا ينحدر من ميافارقين (٢٠) .

والظاهر ان ميافارقين العربية تحريف لاسم ميفركت (Maypharkath) الارامى أو موفركن (Moufargin) الارمنى . وسماها اليونان مرتيروبولس (Martyropolis) . وقد ذكرها المقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) فقال « بلد طيب حصين له شرف وفصيل بحجارة وخندق بها رىض فيه الجامع » . ولكن المقدسى لمح الى انها « قليلة البساتين » . وزار ناصر خسرو ميافارقين فى سنة ٤٣٨ (١٠٤٦) وتكلم على المدينة قائلاً ان عليها سورا عظيما من الحجر الابيض الذى يزن الحجر منه خمسمئة من (نحو طن ونصف طن) . وبينما كانت آمد مبنية بالحجر الاسود ، على ما قد بينا ، كانت مباني ميافارقين كلها من الحجر الابيض . وكان سورها فى أيامه كأنه بني اليوم . وفى أعلاه شرفات . وعلى بعد كل خمسين ذراعا منه برج عظيم من الحجر الابيض نفسه . ولهذه المدينة باب من ناحية الغرب ركب فيه باب من حديد لا خشب فيه . وكان فيها على ما ذكر ناصر خسرو مسجد جامع حسن البناء ومسجد ثان فى الرىض ظاهر المدينة يقوم فى وسط الاسواق ويليها بساتين كثيرة . وزاد على ذلك ان فى ناحية الشمال ، على شيء يسير من ميافارقين ، مدينة أخرى تسمى المحدثه ، بها مسجدان الجامع وحماماتها وأسواقها . وعلى اربعة فراسخ من ميافارقين مدينة النصرية بناها مرداسد

(٢٠) ابن سراييون ١٧ و ١٨ : المقدسى ١٤٤ : ياقوت ٢ : ١٨٨ و ٥٥١ و ٥٥٢ و ٥٦٣ و ٩٥٦ : ٣ : ٧ و ٤١٣ : ٤ : ٣٠٠ و ٩٧٩ : المستوفى ١٦٥ .

أمير نصر الملقب بشبل الدولة (٢١) •

وأسهب ياقوت والقزويني في حديثهما عما كان في ميفارقين قديما من مختلف البيع وعن أبراجها الثلاثة وأبوابها الثمانية • وقال ياقوت ان اسمها عند الروم مدور صالا ومعناه بالعربية مدينة الشهداء • ويرجع تاريخ هذه المباني الى ايام الملك ثيوديسيوس • وكان بها من بقايا هذه البيع حتى المئة السابعة (الثالثة عشرة) بيعة « من عهد المسيح » • « وفي برج في الركن الغربى القبلى فى أعلاه صليب منقور كبير يقال انه مقابل البيت المقدس • وعلى بيعة القيامة فى البيت المقدس صليب مثل هذا مقابله ويقال ان صانعهما واحد » • والى ذلك فقد « كان فى المحلة المعروفة بزقاق اليهود فى ميفارقين قرب كنيسة اليهود جرن من رخام اسود فيه منطقة زجاج من دم يوشع بن نون وهو شفاء من كل داء +++ جىء به من رومية الكبرى » • ولما انتقلت ميفارقين فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) الى يد المغول كانت ما زالت موضعا ذا شأن • وقد أطرى المستوفى طيب هوائها ووفرة فاكهتها (٢٢) •

وارزن ، على شىء يسير من ميفارقين ، على الضفة الغربية لنهر أو واد يقال له سربط • ولأرزن حصن عظيم منيع • وقد زارها ناصر خسرو فى سنة ٤٣٨ (١٠٤٦) فقال انها مدينة عامرة فيها أسواق حسنة وتحف بها بساتين يانعة كثيرة الماء • وذكر ياقوت مدينة أرزن (ولا يخلط بينها وبين ارزن الروم أو ارزروم التى سنصفها فى الفصل الآتى) بقوله : « بلغنى ان الخراب ظاهر فيها الآن » غير ان المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) - وقد كتبها بصورة ارزنه - تكلم عليها بما يستدل منه على انها ما زالت بلدا مزدهرا عامرا •

وعلى ضفة الفرات الجنوبية ، بين مصبى النهرين الآتين من شمال ميفارقين وارزن ، حصن يعرف بحصن كيفا • وسماه الروم كيفس (Kiphas) أو كيفي

(٢١) ما فى الترجمة العربية لسفرنامه ان الامير الذى بنى النصرية (وجاءت فى الترجمة : الناصرية) هو « الامير الاعظم عز الاسلام سعد الدين نصر الدولة وشرف الملة ابو نصر احمد » (م) •
(٢٢) ابن حوقل ١٥١ : المقدسى ١٤٠ : ناصر خسرو ٧ : ياقوت ٤ : ٧٠٣ - ٧٠٧ : القزويني ٢ : ٣٧٩ : المستوفى ١٦٧ •

(Cephe) • ووصف المقدسى حصن كيفا بانها « كثيرة الخير وبها قلعة حصينة وكنائس كثيرة » • وتكلم المعلق المجهول على مخطوطة ابن حوقل الذى أشرنا اليه قبلا ، وقد كتب تعليقاته فى المثة السادسة (الثانية عشرة) على فطرة كانت « بين يديها على دجلة » استحدثها الامير فخر الدين قرا ارسلان فى سنة ٥١٠ (١١١٦) وتحتها ربحى عامر فيه الاسواق والفنادق والمساكن الحسنة وبنائهم بالحجر والجص • ولها رساتيق كثيرة وضياع عامرة وهى وخمة الهواء وبينة لاسيما فى الصيف • وذكر ياقوت حصن كيفا وقد زارها فقال : « بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة وهى كانت ذات جانبين ، وعلى دجلة فطرة لم أر فى البلاد التى رأيتها أعظم منها » وهى طاق كبير فوقه طاقان صغيران ، وعلى ما يظن انهما كانا يقومان على دعامة فى وسط النهر قسمت دجلة الى قسمين^(٢٣) • ووصف المستوفى حصن كيفا بعد ذلك بقرن بانها مدينة عظيمة ولكن الخراب ظاهر فيها وان كانت آهلة بالناس حينذاك •

اما التل المعروف بتل فافان ، ففي أسفله مدينة بهذا الاسم على ضفة دجلة الشمالية أى اليسرى ، على نحو خمسين ميلا شرق حصن كيفا حيث ينعطف النهر انعطافا عظيما نحو الجنوب • وكان حول المدينة ، على ما ذكر المقدسى ، فى المثة الرابعة (العاشرة) ، بساتين • وأسواقها عامرة وبنائها وان كان من طين، الا ان اسواقها كانت مغطاة ، والنهر الذى يلتقى بدجلة عند تل فافان ينحدر من بدليس (بتلس) ومخرجه فى جبال ارمينية جنوب غربى بحيرة وان • ويقترن بهذا النهر رافد عظيم ينبع من جنوب البحيرة سماء المقدسى وياقوت : وادى الرزم • ويصير دجلة اسفل اقترانهما فى مجرى واحد صالحا لسير السفن • وعلى ضفاف نهر الرزم شمال تل فافان وفوق مصب نهر بدليس فيه ، مدينة سمعت أو سمرد أو اسمرت • وكانت تعد فى الغالب من أعمال ارمينية • أشار اليها ياقوت غير مرة ولكنه لم يصفها • على ان المستوفى قال فى سمعت انها مدينة

(٢٣) اما وصف ياقوت لهذه القنطرة (٢ : ٢٧٧) فهذا نصه « وهى طاق واحد يكتنفه طاقان

صغيران » (م) •

عظيمة مشهورة بآتيها النحاس الفاخرة التي يصنعها الصفارون هناك ، وبأفداح
الشرب التي تجلب منها * وكان بقرب اسعرت ، على ما ذكر القزويني ، بلبدة
يقال لها حيزان » وبها الشاه بلوط وليس الشاه بلوط في شيء من بلاد
الجزيرة ... والعراق الا بها « (٢٤) * .

(٢٤) الاصطخرى ٧٦ ؛ ابن حوقل ١٥٢ ؛ المقدسي ١٤١ و ١٤٥ ، ناصر خسرو ٧ ؛ ياقوت
١ : ٢٠٥ ؛ ٢ : ٢٧٧ و ٥٥٢ و ٧٧٦ ؛ ٣ : ٦٨ و ٨٥٤ ؛ القزويني ٢ : ٢٤١ ؛ المستوفى ١٦٥ و ١٦٦ *
جاء اسم نهر رزم بصور مختلفة في المخطوطات فقليل فيه : رزم و رزب او زرب ولا يعرف
الوجه الصحيح في تهجته * .

الفصل الثامن

الفراتُ الأعلى

الفرات الشرقي ای ارسناس - ملاسکرد وموش - شمشاط وحصن زیاد ای خربوط -
الفرات الغربي - ارزن الروم ای قالقلا - ارزنجان وكمخ - قلعة ابريق ای
تفريك (Tephrike) - ملطية وطرندة - زبطرة والحدث -
حصن منصور وبهسنا وقنطرة سنجة - تجارات الجزيرة
وغلاتها - المسالك .

كانت المدن والكور التي تحفّ بضفاف الفرات الاعلى ، الشرقى والغربى (فان لنهر الفرات منبعين) تعد بوجه عام تابعة لشمالى ما بين النهرين ، بل كانت فى الغالب تضاف الى اقليم الجزيرة • والفرات الشرقى هو أقصى الاثنين جنوبا ، ويرى بعض البلدانين انه منبع الفرات الاصلى وقد ذكره تاسيتس (Tacitus) وبلنى (Pliny) باسم نهر ارسنياس فلومن (Arsanias Flumen) وسمى ابن سراجون هذا النهر فى المئة الرابعة (العاشرة) بنهر ارسناس • وذكره ياقوت أيضا بهذا الاسم حتى لكأنه ظل مستعملا حتى المئة السابعة (الثالثة عشرة) وقال انه « يوصف ببرودة مائه » • ويعرف هذا النهر اليوم عند الترك باسم مراد صو وسمى بذلك ، على ما يقال ، اكراما للسلطان مراد الرابع الذى استولى على بغداد فى سنة ١٠٤٨ (١٦٣٨) •

ومخرج نهر ارسناس فى بلاد طرون ، ويكتب الارمن هذا الاسم بصورة درون (Daron) وعرفها الروم باسم ترونيثس (Taronites) وفيها الجبال التى الى شمال بحيرة وان . وأول موضع ذى شأن على نهر ارسناس : مدينة ملازكرد ، وتعرف أيضا حسب لغات هذه الانحاء باسم منازجرد ومنزكرت وملاسكرد^(١) . ووصف المقدسى ملازكرد فى المثة الرابعة (العاشرة) بانها « حصينة ، الجامع على حافة السوق ، كثيرة البساتين » . وفى منزكرت ، على ما سماها به الروم ، وقعت سنة ٤٦٣ (١٠٧١) وقعة فاصلة بين الروم والمسلمين ، أسر فيها السلاجقة الملك رومانس الرابع (ديوجنس) ، وأدت هذه الوقعة الى فتحهم آسية الصغرى وقرارهم فيها . وأشار ياقوت غير مرة الى منازجرد أو منازكرد . وأطرى المستوفى ، وقد كتب اسمها بصورة ملازجرد ، حصنها المنيع وهواءها الطيب وأرضها الخصبة . وكانت مدينة موش فى جنوب ارسناس فى السهل العظيم غرب بحيرة وان ، وتحسب فى الغالب من أعمال ارمينية . وقد ذكرها ياقوت ووصفها المستوفى فقال : فيها مراعى غنية تسقيها انهار تجرى شمال الفرات الشرقى وجنوب دجلة ، وكانت المدينة فى أيامه خرابا^(٢) .

ويصب فى يمين نهر ارسناس رافدان ينحدران من الشمال من بلاد قاليقلا . وهذان الرافدان مهمان لانهما يمكناننا من تعيين الموضع التقريبى لشمشاط وهى مدينة ذات شأن قد اختفت من الخارطة . وكثيرا ما يلبس أمرها بسميساط التى على الفرات وقد ذكرها (ص ١٤٠) وروى ابن سراييون ان الرافد الاول كان نهر الذئب ومخرجه فى قاليقلا ويصب فى ارسناس فوق مدينة شمشاط بشىء يسير . والثانى نهر يقال له السلقيط . مخرجه من جبل مرور (أو مزور) ويصب فى ارسناس اسفل مدينة شمشاط بميل . واذا رجعنا الى الخارطة رأينا ان هذين النهرين يعرف أحدهما الآن باسم كونك صو (Gunek Su) والثانى برى جاي

(١) سيذكر المؤلف فى الفصل التاسع ، صورة خامسة لاسم هذه المدينة وهى « ملسجرد » (م) .

(٢) ابن سراييون ١١ : قدامة ٢٤٦ و ٢٥١ : المقدسى ٣٧٦ : ياقوت ١ : ٢٠٧ : ٤ : ٦٤٨

و ٦٨٢ : المستوفى ١٦٥ و ١٦٧ .

ويظهر ان الحاج خليفة مؤلف جهان نما ، وقد كتبه فى سنة ١٠١٠ (١٦٠٠) ، هو أقدم مراجعنا التى سمت الفرات الشرقى مراد صو (ص ٤٢٦) . ولما كان قد كتب كتابه قبل عهد السلطان مراد الرابع ، فان ذلك يثبت ان النهر لم يسم بذلك السلطان على ما هو الشائع .

(Peri Chay) وبلاد قاليقلا هي منطقة الجبال ، ما بين ارسناس والفرات الغربى ،
والى غربها بلاد طرون .

وكانت شمشاط (شمشاط) اجل مدينة على ارسناس وهو النهر الذي سماه
ابن سراييون نهر شمشاط أيضا . ويبدو ان المدينة كانت على الضفة الجنوبية أى
اليسرى للنهر . ولا ريب ان شمشاط هي ارساموساطا Arsamosata عند الروم .
وذكر ياقوت - وقد نبّه بوجه خاص الى انها غير سميساط - ان شمشاط بين
بالوية (پالو الحديثه) وحصن زياد (خربوط الحديثه) وكانت شمشاط فى المئة
السابعة (الثالثة عشرة) حين كتب ياقوت ، قد خربت . وما افادنا به ابن سراييون
وياقوت مكننا من حصر موضعها فى أضيق نطاق . وكان حصن زياد ، وقد ذكر
ابن خرداذبه انه على بعد غير كبير من شمشاط ، الاسم العربى لخربت المدينة
الارمنية على رأى ياقوت ، وتعرف اليوم باسم خربوط . وأورد المستوفى هذا الاسم
بصورة خربت ولم يزد على ذلك . واشارته لا تعدو كونها مدينة كبيرة طيبة
الهواء . وذكر البلاذرى وغيره من المصنفين الاوائل ان فى هذه الارض جسر
يفرا فوق نهر لعله من روافد ارسناس ، وهو من شمشاط على نحو من عشرة
أميال . على ان موضع الجسر الحقيقى غير معروف . ثم ان ارسناس ، أى الفرات
الشرقى ، يختلط بالفرات الغربى على نحو مئة ميل غرب شمشاط^(٣) .

وكان الفرات الغربى يعدّ بوجه عام اصل هذا النهر العظيم ، ويعرف الآن
عند الترك باسم قره صو « الماء الاسود » وهو نفسه نهر الفرات عند ابن سراييون .
ذكر ابن سراييون ان أوله من جبل يقال له جبل أقر دّخس (والظاهر ان هذا
الاسم كتبه المسعودى بصورة افردخس كما وردت صور أخرى له) فى بلاد
قاليقلا شمال ارزروم . وازرروم مدينة جليلة سمّاها العرب اذن الروم أو
ارض الروم وقد عرفها الارمن باسم كرن Karin والروم باسم ثود سيوبوليس
(Theodosiopolis.) وهى المدينة الاسلامية فى بلاد قاليقلا وأكبر مدنها .
والظاهر ان اصل اسم قاليقلا ، وهو ما أكثر البلدان يون العرب القدماء من ذكره .

(٣) ابن سراييون ١٠ و ١٣ و ٣٠ : ابن خرداذبه ١٢٣ : البلاذرى ١٨٩ : ياقوت ٢ : ٢٧٦
و ٤١٧ : ٣ : ٣١٩ : المستوفى ٢٦٢ .

غير معروف • الا انهم يجمعون على انها كانت البلاد التي يخرج منها الفرات الغربى ونهر الرس (Araxes) وروافد ارسناس • ولم يأت البلدان يون العرب الا اول شىء من التفصيل عن مدينة ارزروم ما عدا قولهم انها كانت مدينة عظيمة • وقال المستوفى ان فيها كثيرا من البيع الحسنة ، كان لاحداها بوجه خاص قبة قطر دائرتها خمسون ذراعا ، وكان بازاء هذه الكنيسة جامع شيد على غرار الكعبة فى مكة • ووصفها ابن بطوطة ، وكان فى ارز الروم (حسبما كتب الاسم) ، فى سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) بأنها « مدينة كبيرة الساحة من بلاد ملك العراق ، خرب أكثرها ، وفى أكثر دورها بساتين ويسقيها ثلاثة انهار » • وعلى ثمانية فراسخ شرق ارزن الروم : أونيك وهى قلعة عظيمة فوق قمة جبل بالقرب من أحد منابع نهر الرس • وقال المستوفى ان المدينة التى فى لحفه كانت تسمى ابسخور (أو ابشخور) وكانت من أعمال ارزن الروم • وزاد ياقوت على ذلك ان كورتها كانت تسمى باسين • وفى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) استولى تيمور على أونيك بعد حصار مديد ، وقد كثر ذكرها فى أخبار حروبه •

وعلى نحو مئى ميل غرب ارزن الروم ، فى ضفة الفرات اليمنى ، أى الشمالية ، مدينة ارزنجان • قال ياقوت انها غالبا ما تسمى ارزنكان • وتكلم عليها قائلا « هى بلدة طيبة مشهورة نزهة كثيرة الخيرات وغالب أهلها أرمن ، وشرب الخمر بها ظاهر وفيها مسلمون » • وزاد المستوفى عليه ان السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقى قد جدد عمارة أسوارها فى ختام^(٤) المئة السابعة (الثالثة عشرة) فبناها من حجارة مهندمة متلاحمة • وارزنجان ذات هواء طيب ويكثر فيها القمح والقطن والعنب • وأشار ابن بطوطة ، وقد مرّ بها فى سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) ، الى ان « أكثر سكانها الارمن والمسلمون يتكلمون بها بالتركية ، وفيها معادن النحاس ويصنعون منه الاوانى وغيرها • ولها أسواق حسنة الترتيب ويصنع بها ثياب حسان تنسب اليها » • وذكر ياقوت بابر فى شمال ارزنجان وقال انها مدينة حسنة أكثر أهلها أرمن • وقد زاد المستوفى عليه ان شأنها ضؤل فى أيامه • وقلعة كمنسخ

(٤) هذا السلطان تولى سنة ٦١٦ وتوفى سنة ٦٣٤ ، فيجب ان يكون قد جدد الأسوار فى أيام سلطنته ، فهو لم يبلغ منتصف القرن السابع فضلا عن ختامه (الدكتور مصطفى جواد) •

(كَمَخ) على الفرات الغربى على مسيرة يوم أسفل من ارزنجان فى يسار النهر
أى فى ضفته الجنوبية • وقد أكثر ذكرها ابن سراييون وغيره من البلدانين العرب
الاقدمين • وهى كمخا (Kamcha) عند الروم • وقال المستوفى انها قلعة عظيمة
فى اسفلها مدينة على ضفة النهر ، وكان من أعمالها كثير من القرى الخصبة^(٥) •

وعلى ستين ميلاً أو أكثر غرب كمخ يزور الفرات جنوبا بعد ان كانت
وجهة مجراه من ارزروم نحو الغرب ، ويصب فى ضفته اليمنى هنا نهر سماه
ابن سراييون نهر ابريق نسبة الى قلعة ابريق القائمة فى أعاليه • وهذا هو النهر
المعروف الآن بنهر جلته ايرمق الآتى من دوريك أى ديوريكى • وجاء الاسم
فى المستوفى وابن يبيى بصورة دفرىكى • وقد كتبه الروم بصورة تفريك
(Tephrike) (وذكر الاسم أيضا فى المخطوطات اليونانية بصورة افريك
(Aphrike) وقد اختصر البلدانون العرب القدماء هذا الاسم فجعلوه بصورة
ابريق • واشتهر هذا الموضع فى ختام المئة الثالثة (التاسعة) بكونه معقلاً عظيماً
للبالقة (Paulicians) وهم فرقة غريبة من فرق نصارى الشرق ومذهبهم
بين النصرانية والمجوسية ، فاضطهدهم بسبب ذلك ملوك القسطنطينية الارثوذكس
اضطهاداً شديداً • وكانوا على المذهب الذى أحدثه بولس الشمشاطى • وعرفهم العرب
بالبالقة • وقد استولى البالقة على تفريك وحصنوها • وكان الخلفاء يؤازرونهم
ويعينونهم فتمكنوا من رد جنود القسطنطينية بضع سنين • وذكر قدامة والمسعودى
وهما من زمن واحد تقريباً ، ان « اليلقانى صاحب مدينة ابريق » • وانتهى إلينا
من علي الهروى^(٦) (وقد نقل منه ياقوت) وهو من كتبة المئة السابعة (الثالثة

(٥) ابن سراييون ١٠ : ابن رسته ٨٩ : ابن خرداذبه ١٧٤ : المسعودى ١ : ٢١٤ : التنبيه
٥٢ : ياقوت ١ : ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٤٠٨ و ٤٤٤ : ٣ : ٨٦٠ : ٤ : ١٩ : ٣٠٤ : القزوينى
٢ : ٣٧٠ : المستوفى ١٦٢ و ١٦٣ : على اليزدى ١ : ٦٩١ : ٢ : ٢٥٢ و ٤٠٣ : ابن بطوطة
٢ : ٢٩٣ و ٢٩٤ •

(٦) هو على بن بكر بن على ، الهروى الاصل • ولد فى الموصل وطاف فى انحاء الشرق
الاسلامى وفى الهند وفى القسطنطينية والمغرب وصقلية وغيرها من جزائر البحر المتوسط • وقد عرف
بالسائح الهروى • الف كتاب « الاشارات الى معرفة الزيارات » وقد طبع سنة ١٩٥٣ • وله غير
ذلك من التأليف البلدانية وقد فقدت • مات سنة ٦١١ للهجرة • وعنه نقل ياقوت فى جملة مواطن
من معجم البلدان • (م) •

عشرة) حديث غريب عن كهف عظيم وكنيسة قرب الابروق (بحسب تسمية
ياقوت) فيه جث جماعة من الشهداء ، وهم على زعمه اصحاب الكهف السبعة
فى افسوس .

وعلى شئ يسير من جنوب جلته ايرمق وديوريك ، يلتقى نهر صاري
جيجك هو والفرات ، وعليه قلعة عرب غير . والظاهر ان هذا الموضع لم يشر
اليه أحد من البلدانين العرب القدماء ، وان كان ابن بيبى قد ذكره غير مرة فى
تاريخه عن السلاجقة فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) . ويرى الاسم أيضا فى
التواريخ البنظية بصورة (Arabraces) . وعلى كل حال فان عرب غير لا تمثل
ابريق وتفریک كما توهم فى ذلك بعضهم . والظاهر ان اقدم ذكر لاسم عرب
غير أو عرب كير عند بلدانى مسلم ، فى جهان نما التركية للحاج خليفة ، فى
مطلع المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) . وقد ذكر أيضا ديوريكى (على
ما تسمى المدينة اليوم) . ومما يؤسف عليه انه لم ينته الينا وصف ما عن حصن
البيالقة القديم (٧) .

وملطية ، وقد سماها الروم مليتين (Melitene) كانت فى الازمنة الخالية
من اجل الثغور الاسلامية امام الروم . روى البلاذرى انه كان لها مسلحة تحمى
الجسر الذى على ثلاثة أميال منها ، وهناك يقطع الطريق العام نهر القباقيب بالقرب
من ملتقاه بالفرات . والقباقيب هو النهر المعروف عند الروم باسم ملاس (Melas)
ويسميه الترك اليوم طوخمه صو . ومنبعه فى غرب ملطية بعيدا عنها فى الجبل
الذى منه يخرج نهر جيحان . وهو نهر يرامس (Pyramus) القديم وينحدر نحو
الجنوب الغربى (على ما سنبينه فى الفصل الآتى) الى البحر المتوسط فى خليج
اسكندرونة . ونهر القباقيب أهم روافد أعالي الفرات بعد ارسناس . ولنهر القباقيب
نفسه روافد كثيرة ذكر ابن سراييون اسماءها . وقد أمر الخليفة المنصور فى سنة

(٧) ابن سراييون ١١ و ٣١ : قدامة ٢٥٤ : المسعودى ٨ : ٧٤ : التنبيه ١٥١ و ١٨٣ : ياقوت
١ : ٨٧ : ابن بيبى ٢١٠ و ٣١٨ : المستوفى ١٦٢ : جهان نما ٦٢٤ .
انظر أيضا JRAS لسنة ١٨٩٥ ص ٧٤٠ والتصحيحات فى JRAS لسنة ١٨٩٦
ص ٧٢٣ .

١٣٩ (٧٥٦) بتجديد بناء ملطية وبناء مسجد حسن فيها وبنى لها مسلحة اسكنها اربعة آلاف مقاتل • ووصفها الاصطخرى^(٨) فى المئة الرابعة (العاشرة) بقوله : « مدينة كبيرة وتحف بها جبال كثيرة بها مباح الجوز واللوز والكروم وسائر الثمار الشتوية والصيفية » • وقد تعاورتها غير مرة ايدى الروم والمسلمين • وعدّها ياقوت فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) من بلاد الروم • وتكلم المستوفى بعده بقرن على ملطية فقال انها مدينة حسنة ذات حصن منيع • وكانت مراعيها مشهورة ويكثر فيها القمح والقطن والفواكه • وكان على قلة جبل قرب ملطية دير يسمى دير برصوما ، وصفه القزوينى فقال انه دير معتبر عند النصارى وفيه كثير من الرهبان •

وحصن طرنده ، درنده الحديثة - وجاء فى جهان نما بهذه الصورة - فى أعلى نهر القبايق على مسيرة ثلاث مراحل فوق ملطية • وكانت فيه مسلحة اسلامية لحماية الدرب منذ سنة ٨٣ (٧٠٢) ولكن المسلمين تخلوا عن هذا الحصن فى سنة ١٠٠ (٧١٩) بأمر الخليفة عمر الثانى (عمر بن عبد العزيز) وذكرت التواريخ البنظية هذا الموضع غير مرة باسم ترتته (Taranta) وقد كان فى المئة الثالثة (التاسعة) من أقوى حصون البيلقة^(٩) •

ولنهر قبايق رافد كبير هو نهر قراقيس ويصب فيه من جنوبه • وفى أعالي قراقيس حصن زبطرة العظيم ويقال له عند الروم سوزبطرة (Sozopetra) أو زبطرة (Zapetra) ولعل أطلاله هى ويران شهر على بضعة فراسخ جنوب ملطية على نهر سلطان صو وهو الاسم الحديث لقراقيس • وتكلم البلاذرى والاصطخرى على زبطرة فذكرا انها حصن عظيم « من أقرب الثغور الى بلد الروم » خربه الروم غير مرة ثم بناه الخليفة المنصور وبعده المأمون • وقد جمع

(٨) ما نسبته المؤلف للاصطخرى انما هو لابن حوقل ص ١٨١ من الطبعة الثانية • (م) •
(٩) ابن سراييون ١٠ و ١٢ و ١٣ ؛ البلاذرى ١٨٥ و ١٨٧ ؛ الاصطخرى ٦٢ ؛ ابن حوقل ١٢٠ ؛ ياقوت ٤ ؛ ٢٦ و ٦٣٣ ؛ المستوفى ١٦٣ ؛ القزوينى ٢ ؛ ٣٥٦ ؛ جهان نما ٦٢٤ •
اما ملطية الحديثة فهى على فرسخين من جنوب الحصن الذى كان فى العصور الوسطى •
واطلال المدينة القديمة فى أسكى شهر على فرسخ من الجسر القديم المسمى قرق كز ، وهو يعلو نهر طوخمه صو فوق ملتقاه بالفرات بقليل •

ياقوت وغيره من الثقات بين اسمي زبطرة وقلعة الحدث التي سنذكرها قريباً . واشتهرت زبطرة أو سوزبطرة في التواريخ العربية والبنزنية باستيلاء الملك ثيوفيلس (Theophilus) عليها واستعادة الخليفة المعتصم لها في حملته على عمورية ، على ما سيأتى ذكره في الفصل القادم . وظلت زبطرة وقتاً طويلاً موضعاً ذا شأن . الا ان ابا الفداء حين زارها في سنة ٧١٥ (١٣١٥) قال « ان زبطرة اليوم خراب خالية من الزرع والسكان ولم يبق منها غير رسم سورها وليس بالكثير » . حتى ان ابا الفداء اصطاد « من ارض زبطرة بين شجر البلوط صيوداً كثيراً وهي أرناب كبار الى الغاية لا يوجد في الشام أرناب تقاربهن في القدر » . وقال « هي في الجنوب من ملطية على نحو مرحلتين وهي في جهة الغرب عن حصن منصور » الذي سنصفه فيما يأتى (١٠) .

وقلعة الحدث وهي اdata (Adata) عند الروم ، قد استولى عليها المسلمون في أيام الخليفة عمر ولها ذكر كثير في الاخبار . ومعنى « الحدث » في العربية « الخبر » ولا سيما « الخبر المحزن » . وقال البلاذري ان الدرب ، وكان يقال له درب الحدث ، قد سمي بدرب السلامة بعد استيلاء المسلمين على هذا الحصن . وعلى كل فان اسم درب السلامة على ما سنبينه في الفصل الآتى يطلق في الغالب على طريق القسطنطينية الذي يجتاز الابواب القليقية . وكان في الحدث جامع . وقد جدد الخليفة المهدي عمارة الحدث في سنة ١٦٢ (٧٧٩) ثم أعاد هرون الرشيد عمارتها واسكنها الفتي مقاتل من جنده . ونوه الاصطخرى بكثرة خيراتها . وروى ان الروم والمسلمين قد تناوبوا الاستيلاء عليها غير مرة . وعلى ما ذكر ياقوت وغيره كان يقال للحدث : الحمراء ، لاحتمرار تربتها وقلعتها على جبل يقال له الاثيوب . وفي سنة ٣٤٣ (٩٥٤) بعد ان تعاورتها أيدي المسلمين والروم ، استعادها سيف الدولة الحمداني نهائياً فجدد عمارتها ، ثم انتقلت الى يد مسعود بن قلع ارسلان السلجوقي في سنة ٥٤٥ (١١٥٠) .

(١٠) ابن سراييون ١٣ ؛ البلاذري ١٩١ ؛ الاصطخرى ٦٣ ياقوت ٢ : ٩١٤ ؛ أبو الفداء ٢٣٤ .
لقد بحث في تحقيق موقع زبطرة والحدث : المستر جي . جي . سي . اندرسن .
J.G.C. Anderson في مجلة Classical Review نيسان ١٨٧٦ في بحثه عن حملة
باسيل الاول على البيلقة في سنة ٨٧٢ م .

وكان النهر الذى تقوم الحدث بالقرب منه يسمى جوريث أو حوريث ، وهو النهر الذى جعله ابن سراييون وهماً رافداً من روافد القباقيب (نهر ملطية) • ولكن ياقوتا الحموى وقد كتب اسمه بصورة حوريث اصاب فى قوله انه « يصب فى نهر جيحان » وهو يرامس • وأفاد ابن سراييون ان اول نهر الحدث عين يقال لها عين زنيثا ، يصب الى بحيرات ويمر بالقرب من مدينة الحدث • وقال أيضاً « انه يصب الى حوريث نهر يقال له نهر العرجان أوله من جبل الرمش ومن العرجان قناة الحدث واليه تصب » • ونكمل هذا الكلام بقول ابى الفداء : « بين الحدث وبين مخابط العلوى على نهر جيحان اثنا عشر ميلاً » • ولسنا على يقين من موضع الحدث ولعلها كانت تحمى الدرب من مرعش (جرمانيقية Jermanicia) الى البستان (عربسوس Arabissus) وهى على ضفاف آق صو الحالى قرب انكلى • وآق صو أحد منابع جيحان^(١١)

وكان كل من حصن منصور وقلعة بهسنا (وهى ما زالت) على نهر له • وهذان النهران من الروافد اليمنى للفرات ويصبان فيه أسفل سميساط • ويقال لحصن منصور اليوم فى الغالب أديمان وكان يسميه الروم برها (Perrhe) وقد نسب هذا الحصن الى بانيه منصور القيسى وكان تولى بناء عمارته وممرته • وهو من قادة الجند فى خلافة مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية وقد قتل فى سنة ١٤١ (٧٥٨) • ثم ان هرون الرشيد بنى حصن منصور وأحكمه وشحنه بالرجال فى أيام ابيه المهدي • وقال فيه ابن حوقل انه « مدينة صغيرة حصينة فيها منبر ولها رستاق وقرى برسمها اعداء »^(١٢) • وذكر ابن حوقل انه قد اصاب هذه المدينة ما أصاب غيرها من الثغور من نهب وتخريب لتعاور ايدى الروم والمسلمين لها • وزاد ياقوت على ذلك ان حصن منصور كان « مدينة عليها سور وخندق وثلاثة أبواب وفى وسطها حصن وقلعة عليها سوران » • وذكر ابو الفداء فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) حصن منصور فقال « هو الآن خراب ولكن به مزدراع » •

(١١) البلاذرى ١٨٩ - ١٩١ : ابن سراييون ١٤ : الاصطخرى ٦٢ : ابن حوقل ١٢٠ : ياقوت ٢ : ٢١٨ : ٤ : ٨٣٨ : أبو الفداء ٢٦٣ •
(١٢) العدى بالكسر ويفتح : الزرع الذى لا يسقيه الا المطر (تاج العروس ١٠ : ٢٣٨) • (م) •

وينحدر النهر الازرق الى شمال غربى حصن منصور وهذا الحصن « فى مستو من الارض » فوق الفرات والفرات يحاذي حده الجنوبى • اما قلعة بهسنا ، وجاء ذكرها فى أخبار الحرب الصليبية باسم بهسدن (Behesdin) ، فهى فى غرب حصن منصور ورستاقها هو رستاق كيسوم • وكانت بهسنا على سن جبل عال • وبالبلدة التى تحتها ، مسجد جامع ولها أسواق عامرة وما حولها ارض واسعة الخير والخصب • وتكلم ياقوت عليها فقال انها قلعة حصينة عجيبة • وعلى نهر سنجة القريب منها ، وهو ما اسماء الروم سنكر Singas كانت سنجة وهى مدينة صغيرة بقربها قنطرة مشهورة على هذا النهر متخذة بحجر مهندم وهى طاق واحد « ليس أعجب ولا أعظم منها ويضرب بها المثل ، هى احدى عجائب الدنيا » على قول ابن حوقل • وقد تكلم ياقوت على نهري سنجة وكيسوم وقال انهما من روافد الفرات ، وأورد وصفا لهذه القنطرة العظيمة جاء فيه انها « طاق واحد من الشط الى الشط والطاق يشتمل على مئتى خطوة وهو متخذ من حجر مهندم طول الحجر عشر أذرع فى ارتفاع خمس أذرع » ولم يذكر ثخنها • وقال أيضا انه استعين فى بنائها بطلسم^(١٣) •

(١٣) البلاذرى ١٩٢ : الاصطخرى ٦٢ : ابن حوقل ١٢٠ : ياقوت ١ : ٧٧٠ : ٢ : ٢٧٨ : ٣ : ١٦٢ و ٨٦٠ : ابو الفداء ٢٦٥ و ٢٦٩ •

تذكر قنطرة سنجة دائما بانها احدى عجائب الدنيا الاربع • اما الثلاث الأخرى فهى كنيسة الرها ، وقد مر ذكرها ، ومنارة الاسكندرية ، ومسجد دمشق (ياقوت ٢ : ٥٩١) • ومن الغرب ان المقدسى قد وهم فى موضعين فى هذه القنطرة التى على سنجة وهو نهر من روافد الضفة اليمنى للفرات ويصب فيه قرب سميساط بحسب جميع الروايات فخلط بينها وبين قنطرة الحسينية ، وهى دونها شأنا وكانت على الخابور الصغير أحد روافد دجلة (المقدسى ١٣٩ و ١٤٧ وأنظر الصفحة ١٢٢ من كتابنا) • ونهر سنجة يسمى الآن بلم [بضم أوله وفتح ثانيه] صو بعد ان يلتقى بكاخته جأى يصب فى الفرات من الشمال على بعد قليل فوق سميساط وهو على ما يظهر نهر سنجة نفسه عند البلدانين العرب • وقنطرتة العظيمة التى تعد من عجائب الدنيا ما زالت قائمة ، بناها فسبسيان Vespasian وهى طاق واحد مداه (١١٢) قدما تعلو بلم صو فوق ملتقى كاخته جأى به • ووصفت بانها من أعجب ما بقى من مباني العهد الرومانى وترى صورتها فى المجلة الجغرافية Geographical Journal لشهر تشرين الاول ١٨٩٦ ص ٣٢٣ • وكذلك فى بحث مستفيض كتبه هيومان Humann وبخشطين Puchstein فى كتابهما : رحلة فى آسيا الصغرى Reisen in Kleinasien راجع الاواح ٤١ و ٤٢ و ٤٣ فيه • (انتهت حاشية المؤلف) •

قلنا : اما الطلسم الذى أشار اليه ياقوت (٣ : ١٦٢) فهذا قوله فيه « وحكى عنه (أى عن الطاق) أعجوبة - والعهد على راويها - ان عندهم طلسم على شيء كاللوح فاذا غاب من القنطرة

وفى اقليم الجزيرة أى اقليم ما بين النهرين الاعلى ، تجارات سرد المقدسى صنوفها وأكثرها من حاصلات ارضه . فقال : ترتفع من الموصل - وهى قاعدة الجزيرة - الجبوب والعسل والفحم والجبن والشحوم والسماق وحب الرمان والمنّ والنمكسود والطريخ الفائق وكذلك الحديد . ومن المصنوعات السكاكين والنشاب والسلاسل والاسطال . ومن سنجار اللوز وحب الرمان والسماق والقصب . ومن نصيين الشاء بلوط . ومن الرقة الزيت والصابون والاقلام . ومن الرجة السفرجل الفائق الرائق . ومن حران عسل النحل فى اددن والقيط^(١٤) . ومن جزيرة ابن عمر الجوز واللوز والسمن والخل الجياد وتربى فى مراعيها . ومن الحسينية ، وهى على الخابور الاصغر (فى ضفة دجلة الشرقية) ، الجبن والقبح وفراخ الدجاج والفواكه المقددة . ومن معلثا المجاورة لها الفحم والاعناب والفواكه الرطبة والنمكسود وبزر القنب ونسيج القنب . ومن آمد فى ديار بكر ثياب الصوف والكتان^(١٥) .

اما مسالك الجزيرة فانها تكملة وصلة لمسالك العراق . فطريق البريد من بغداد الى الموصل يصعد فى شرقى دجلة نحو اقليم الجزيرة فيدخله عند تكريت ويظل فى يسار النهر فيصل الى جبلنا رأساً ثم ينتهى الى الموصل عن طريق السن والحديثة . وقد جاء وصف هذا الطريق فى مصنفات العرب القدماء وفى المستوفى^(١٦) .

ومن الموصل يعبر طريق البريد الى يمين دجلة أى الى الجانب الغربى فيتجه صاعدا الى بلد ، وعندها ينقسم الى طريقين ينتهى ايسرهما الى قرقيسياء على الفرات ماراً بسنجار ويتجه الايمن صوب كفرتوثا ماراً بنصيين وهناك ينقسم أيضاً الى

موضع دلى ذلك اللوح على الموضع المغيب فيعزل عنه الماء حتى يصلح ويرفع اللوح فيعود الماء الى مجراه » (م) .

(١٤) النمكسود ووردت أيضاً بصورة المكسود - نوع من اللحم المملح وما زال فعل « كسد » مستعملاً فى بعض انحاء شمالى العراق بمعنى ملح اللحم وحفظه فى برنية أو خابية فى فصل الشتاء .
الطريخ (بكسر أوله وثانيه مع التشديد) - سمك صفار تعالج بالملح .
القيط - نوع من الحلويات (م) .

(١٥) المقدسى ١٤٥ و ١٤٦ .

(١٦) ابن خرداذبه ٩٣ ؛ قدامة ٢١٤ ؛ المقدسى ١٣٥ و ١٤٨ و ١٤٩ ؛ المستوفى ١٩٥ .

طريقين ينتهي الايمن الى آمد واليسر الى الرقة على الفرات ماراً برأس العين • وقد جاء وصف هذا الطريق اعني من الموصل الى آمد في ابن خرداذبه وقدامة ، ووصفه المقدسي أيضاً مع ذكر المراحل • وورد في هذه المصنفات نفسها ذكر الطرق التي تخرج منه الى الفرات • وسرد المقدسي كذلك مراحل الطريق من الموصل الى جزيرة ابن عمر ماراً بالحسنية • وذكر الطريق من آمد الى بدليس قرب بحيرة وان ماراً بأرزن^(١٧) •

اما طريق البريد الصاعد بحذاء ضفة الفرات اليمنى ، أى الغربية ، فانه يبدأ من آلوسة ماراً بعانة الى الفرضة على النهر • وعندها ينقسم الى طريقين : احدهما يحاذي الفرات صاعداً الى فاش بازاء قرقيسياء ثم يظل في الجانب الغربى من النهر حتى الرقة • والطريق الايسر البادى من الفرضة كان يتجه الى الرقة فيقطع البادية ويمر بالرصافة فكان بذلك يجانب تعاريج الفرات • وكانت الرصافة محطة ذات شأن اذ يخرج منها طريقان الى الغرب يقطعان بادية الشام احدهما الى دمشق فحمص (Emessa) • وكان ينتهى الى قرقيسياء والرقة ، على ما قد بينا ، طرق : واحد يأتى من الموصل ماراً بسنجار ، وآخر من نصيبين ماراً برأس العين وباجروان وثالث من الرقة ماراً بباجروان وحران والرها (اذسّا) الى آمد • وأخيراً كان يخرج طريق من الرقة فيمر بسروج وينتهى الى سميساط مجاناً فى سيره ازورار الفرات العظيم • وورد فى كتب المسالك ذكر المسافات من سميساط الى حصن منصور وملطية وكمخ وغيرها من الثغور • على ان ما يؤسف عليه ان هذه المسافات لم تذكر بتدقيق يساعدنا على تعيين مكاني الحدث وزبطرة ، اذ ما زال ذلك موضع النظر ، مع ان المقدسي أورد بعض الفوائد حتى المتعلقة منها بهذه الثغور البعيدة^(١٨) •

(١٧) ابن خرداذبه ٩٥ و ٩٦ ؛ قدامة ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٦ ؛ المقدسي ١٤٩ و ١٥٠ •
(١٨) ابن خرداذبه ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ ؛ قدامة ٢١٥ و ٢١٦ و ٢١٧ ؛ المقدسي ١٤٩ و ١٥٠ •

الفصل التاسع

بلاد الروم

أى آسية الصغرى

بلاد الروم - الثغور من ملطية الى طرسوس - الدربان الكبيران فى جبال طوروس -
طريق القسطنطينية المار بالابواب القليقية - طرابزون - حصارات
القسطنطينية الثلاثة - غزوات المسلمين فى آسية الصغرى -
نهب عمورية بأمر المعتصم - فتح السلاجقة آسية
الصغرى - مملكة ارمنية الصغرى -
الصليبيون - اجل مدن السلاجقة
فى بلاد الروم •

كان المسلمون يسمون أقاليم الدولة البيزنطية فى جملتها : بلاد الروم • ولفظ،
الرومى أى الرومانى فى العصور الاسلامية الاولى كانت ترادف عندهم « النصرانى »
سواء أكان من اليونان أم اللاتين • وكانوا يعرفون البحر المتوسط باسم بحر
الروم أيضا ثم اختصر اسم « بلاد الروم » الى « الروم » فقط • وصارت لفظة
« الروم » بمرور الايام اسما لاقرب الاقاليم النصرانية من بلاد الاسلام • ومن
ثمة صار « الروم » اسما لآسية الصغرى عند العرب وهى البلاد العظيمة التى
انتقلت نهائيا فى ختام المئة الخامسة (الحادية عشرة) الى ايدى المسلمين باستيلاء
السلاجقة عليها •

ولقلة ما بأيدينا من مراجع عن ذلك الزمن لم يتوفر لدينا - يا أسفا -

من وثيق الأخبار ما يعتد به عن تاريخ آسية الصغرى وجغرافيتها التاريخية فى القرون الوسطى ، سواء فى عهدها النصرانى أم فى أيام المسلمين^(١) . ولا غرابة فى قلة ما عرفه البلدانون العرب القدماء عن هذه البلاد : فقد كانت فى أيامهم اقليما من أقاليم دولة الروم ، وبعد انتقال هذا الاقليم الى سلطان السلاجقة الترك لم يعن - يا للأسف - مصنفونا المسلمون بهذا الاقليم الاسلامى البعيد ، فلم ينته الينا وصف دقيق له يشبه ما خلفوه عن غيره من الاقاليم . وأول وصف كامل لآسية الصغرى الاسلامية ، كتبه الحاج خليفة ، غير ان هذا لا يرقى الا الى مطلع المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) أى بعد أن مضى نحو مئتي سنة على دخول هذا الاقليم فى جملة أجزاء الدولة العثمانية^(٢) .

كانت الحدود بين بلاد المسلمين والروم فى أيام بنى أمية وبنى العباس بل حتى قبل ان يقضى المغول القضاء المبرم على العباسيين بما ينيف على قرن ونصف قرن ، تتألف من سلسلتى جبال طوروس وطوروس الداخلة (انتي طوروس) Anti Taurus . وكان يعين هذه الحدود ويحميها خط طويل من القلاع (تعرف بالعربية بالثغور) يمتد من ملطية على الفرات الاعلى الى طرسوس بالقرب من ساحل البحر المتوسط . وكان الروم يحتلون هذه القلاع تارة والمسلمون تارة أخرى . فكان الفريقان فيها بين كرّ وفرّ . وينقسم خط القلاع هذا عادة الى مجموعتين : احدهما تحمى الجزيرة (وتسمى ثغور الجزيرة) وهى الشمالية الشرقية ، والثانية تحمى الشام (وتسمى ثغور الشام) وهى الجنوبية الغربية . وكان من ثغور الجزيرة : ملطية وزبطرة وحصن منصور وبهسنا والحدث ، وقد مرّ

(١) يحتوى كتاب الجغرافية التاريخية لآسية الصغرى Historical Geography of Asia Minor مؤلفه البروفسور رمسى N. M. Ramsay (وسنشير اليه بحروف HGAM) على خلاصة رائعة لكل ما يعرف الآن عن هذا الموضوع . ولا غنى عنه البتة لمن يبتغى تفهم هذه المعضلة المعقدة تفهما صحيحا . والفضل فى كتابة هذا الفصل يعود الى هذا الكتاب أكثر من أى مرجع آخر مذكور فى الحواشى . ويحسن الرجوع أيضا الى مقالات البروفسور رمسى المفيدة فى المجلة الجغرافية (G.J.) لشهر ايلول ١٩٠٢ ص ٢٥٧ . وتشيرين الاول ١٩٠٢ ص ٣٥٧ .

(٢) اما فى القسم الشرقى من بحر الروم فقد اجاد العرب فى معرفة جزيرتى قبرس ورودس . فان المسلمين غزوا الجزيرة الاولى منذ سنة ٢٨ (٦٤٨) بقيادة معاوية الذى صار خليفة فيما بعد . على انه لم ينته الينا وصف جغرافى لهاتين الجزيرتين . البلاذرى ١٥٣ و ٢٣٦ : ياقوت ٢ : ٨٣٢ :



وصفها في الفصل السابق • ثم مرعش والهارونية والكنيسة وعين زربى • ومن الثغور التي تحمي الشام ، وكانت بالقرب من الساحل الشمالى لخليج اسكندرية (اسكندرونة) : المصيصة وأذنة وطرطوس •

اما مرعش ، وسماها الروم مراسيون (Marasion) فيقال انها قامت في موضع جرمانيقية • وقد جدد بناءها الخليفة معاوية فى المئة الاولى (السابعة) • وفى عهد أواخر خلفاء بنى أمية حصنها المسلمون وانتقلوا اليها وبنوا لهم فيها مسجدا جامعا • ثم حصنها هرون الرشيد • وكان لها سوران وخندق وفى وسطها حصن عليه سور يعرف بالروانى ، على ما جاء فى ياقوت • وانما سمي بذلك نسبة الى بانيه مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية • وفى سنة ٤٩٠ (١٠٩٧) استولى الصليبيون على مرعش بقيادة غودفرى دى بويون (Godfrey de Bouillon) ثم صارت مدينة ذات شأن من مدن مملكة ارمينية الصغرى (وسيأتى الكلام عليها) • ولبت أغلب الوقت فى ايدي النصارى حتى سقوط هذه المملكة • وما زال ثغر عين زربى ، وعرفه الصليبيون باسم انازربس (Anazarbus)، قائما • وقد كان هرون الرشيد جدده وأحكم تحصينه فى سنة ١٨٠ (٧٩٦) • ووصف الاصطخرى عين زربى بقوله انها « بلد يشبه مدن الغور • بها نخيل وهى خصبة واسعة الثمار والزروع والمراعى » • وكان لها سور مكين ، كثيرة الخيرات جليلة الشأن فى المئة الرابعة (العاشرة) • وفى نحو منتصف هذه المئة انفق سيف الدولة الحمدانى على ما يقال ثلاثة آلاف ألف درهم (نحو ١٢٠٠٠٠ باون) حتى أعاد عمارتها • ثم استولى الروم عليها غير مرة ، وفى ختام المئة التالية استولى الصليبيون عليها وخرّبوها • ثم صارت جزءا من دولة ملك ارمينية الصغرى • ووصف أبو الفداء هذه المدينة بقوله : بلد فى جبل ذات قلعة مستعلة عنها • وهى على مسيرة يوم جنوب سيس • وزاد ابو الفداء على ذلك ان فى جنوبها نهر جيحان • وفى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) « غير الناس اسمها وسموها ناورزا » •

وموضعا الهارونية والكنيسة ، لا يعرفان على وجه الصحة ، الا انهما تقعان فى الجبال بين مرعش وعين زربى • والهارونية ، وهى على مرحلة غرب مرعش ، وحصونها نسبت الى هرون الرشيد ، بناها سنة ١٨٣ (٧٩٩) • وكان هذا الثغر غربى

جبل اللكام فى بعض شعابه • وجبل اللكام اسم اطلقه البلدانون المسلمون على سلسلة جبال اتتي طوروس • والظاهر ان ابن حوقل زار الهارونية فقد قال فيها انها « فى غاية العمارة » وقلعتها حصينة وقد خربها الروم « فى سنة ٣٤٨ (٩٥٩) سبوا من أهلها الفا وخمسمئة مسلم ما بين امرأة ورجل وصبى » على ما ذكر ياقوت • ثم ان سيف الدولة الحمدانى جدد عمارة الهارونية ، واستعادها النصارى ثانية ، وظلت بعد ذلك فى يد ملك ارمينية الصغرى • اما الكنيسة ، ويقال لها الكنيسة السوداء ، فهى حصن منيع قديم • بناها الروم بحجارة سود على ما قال البلاذرى • وزاد على ذلك ان هرون الرشيد « أمر بنائها واعادتها الى ما كانت عليه وتحصينها ، وندب اليها المقاتلة » • فيها منبر والظاهر انها كانت الى جنوب جيحان • فذكر الاصطخرى انها « ثغر فى معزل من شط البحر » • وقال ابو الفداء : « كان بينها وبين الهارونية اثنا عشر ميلا » • وكانت فى أيامه من جملة بلاد ارمينية الصغرى ، حالها حال الهارونية •

وأما الثغر الآخر فى هذه الجهات ، فهو المعروف عند العرب بالمتقّب ، وسمى بذلك على ما جاء فى ياقوت « لانه فى جبال كلها مثقبة • فيه كوى كبار » • والظاهر ان موضعها الحقيقى غير معروف الا انها لا تبعد كثيرا عن الكنيسة فانها كانت عند لحف جبل اللكام على ساحل البحر قرب المصيصة • وأول من بنى حصن المتقّب هشام الخليفة الاموي • وقال ياقوت ان الذى استحدثه عمر الثانى « عمر بن عبد العزيز » وكان فيه على ما ذكر ابن حوقل مصحفه بخطه (أى بخط عمر بن عبد العزيز) أتقى خلفاء بنى أمية وأكثرهم ورعا • وروى البلاذرى الى ذلك انه لما ورد المهندسون لبنائها ، حفروا أولا الخندق فى حصن المتقّب فوجد فى خندقه حين حفر ، عظم ساق مفرط الطول فبعث به الى هشام لطرافته (٣) •

اما المدن الثلاث : المصيصة (Mopsuestia) واذنة طرسوس ، وكلها من بناء الروم ، فما زالت قائمة • فالمصيصة على نهر جيحان (نهر بيرامس) فتحها عبدالله بن

(٣) الاصطخرى ٥٥ و ٦٣ : ابن حوقل ١٠٨ و ١٢١ : البلاذرى ١٦٦ و ١٧١ و ١٨٨ : المسعودى ١ : ٢٦ : ٨ : ٢٩٥ : ياقوت ١ : ٩٢٧ : ٣ : ٧٦١ : ٤ : ٣١٤ و ٤٩٨ و ٩٤٥ • ابو الفداء ٢٣٥ و ٢٥١ •

الخليفة عبد الملك الاموي في المئة الاولى (السابعة) وبنى حصنها على أساسه القديم ووضع بها سكنا من الجند من أرباب البأس والنخوة • وبنى فيها مسجدا فوق تل الحصن • وكان في الحصن كنيسة جعلت مَهْرِيَا • وبعد وقت قصير نشأ في الجانب الآخر من جيحان ربض أو مدينة ثانية سميت كَفْرِيَا ، بنى فيها الخليفة عمر الثاني مسجدا جامعا اتخذ فيه صَهْرِيْجَا • ثم ان مروان الثاني آخر خلفاء بني أمية أنشأ ربضا ثالثا في شرقي جيحان يقال له الخصوص • وبنى عليه حائطا وأقام عليه باب خشب وخندق خندقاً • وفي زمن الخلفاء العباسيين ، بنى المنصور في المصيصة مسجداً جامعاً في موضع هيكلك قديم كان بها وجعله مثل مسجد عمر (الثاني) ثلاث مرات • واستحدث هرون الرشيد كَفْرِيَا • وزاد المأمون في مسجددها • وكان بين كَفْرِيَا والمصيصة قنطرة على نهر جيحان • ثم لما استخلف المنصور ودخلت سنة ١٣٩ (٧٥٦) أمر بعمارة مدينة المصيصة وكان حائطها متشعناً من الزلازل وسماها المعمورة • وبعد ذلك انتقلت المصيصة كسائر البلدان المجاورة لها الى ايدي ملوك ارمينية الصغرى •

ومدينة اذنة ، وهي قرب المصيصة ، تقع على نهر سيحان (نهر سارس Sarus) وكان في الطريق على شيء يسير من المصيصة قنطرة ترقى الى أيام يسطيناس (Justinian) رمت في سنة ١٢٥ (٧٤٣) وسميت بجسر الوليد نسبة الى الوليد الخليفة الاموي • ثم رمم المعتصم الخليفة العباسي هذا الجسر ثانية في سنة ٢٢٥ (٨٤٠) • وأعاد المنصور بناء قسم من اذنة في سنة ١٤١ (٧٥٨) • وصفها الاضطخري بقوله انها مدينة خضبة عامرة في غربي نهر سيحان حصينة وكان حصنها في ضفة النهر الشرقية بينه وبين المدينة « قنطرة معقودة عليه على طاق واحد » ، على ما جاء في ياقوت • ولاذنة ثمانية أبواب وسور يليه خندق •

واطلق المسلمون على نهري سارس وبيرامس اسم نهر سيحان ونهر جيحان • وكانا في صدر الاسلام حداً مائياً بين بلاد المسلمين وبلاد الروم • وقد سمي البلدان يون العرب نهري بيرامس وسارس باسم جيحان وسيحان ، على غرار تسميتهم نهري أوكسس (Oxus) وجكسارتس (Jaxartes) في آسية الوسطى

وهما أكثر شهرة ، باسم جيحون وسيحون ، على ما سنسبسط القول فيه • ومنابع هذين النهرين في المرتفعات شمال ارمينية الصغرى • وكان نهر جيحان - وقد ذكر ابو الفداء انه « يقارب نهر الفرات في الكبر ، وتسميه العامة جهان » - بعد مروره بالمصيصة يصب في بحر الروم في خليج اياس الى شمال ميناء الملائون (ملس Mallus) ثم صار ملو (Malo) • اما نهر سيحان فاصغر منه ، ولم يكن على ضفافه مدن جليلة غير اذنة • وعلى هذا النهر كانت قطرة الحجر وقد مر ذكرها • وجيحان وسيحان على ما روى المسعودى من انهار الجنة^(٤) •

ومهما يكن من أمر ، فان أجل الثغور مدينة طرسوس • وكان مقاتلتها من الفرسان والمشاة • وهى تشرف على المدخل الجنوبي للدرب المشهور عبر طوروس المعروف بأبواب قليقية ذكر ابن حوقل ان على طرسوس سورين من حجارة وبها مئة الف فارس • ثم قال « وكان بينها وبين حد الروم جبال منيعة متشعبة من اللكام كالحاجز بين العاملين » ويقصد بهما عالمي الاسلام والنصرانية • وقال ابن حوقل ان الحامية العظيمة التى أدركها وشاهدها فيها سنة ٣٦٧ (٩٧٨) « كانت من الغزاة الوافدين اليها من البلدان الاسلامية لقتال الروم » • وسبب ذلك - فيما ذكر - « ان ليس مدينة عظيمة من حد بلاد فارس والجزيرة والعراق والحجاز واليمن والشامات ومصر والمغرب الا وبها لأهلها دار ورباط فى طرسوس ينزله غزاة تلك البلدة ويرابطون بها اذا وردوها • وترد عليها الجرايات والصلات وتدر عليهم الانزال والحملان العظيمة الجسمية الى ما كان السلاطين يتكلفونه وينفذونه متطوعين ويتحفظون عليه متبرعين » •

(٤) البلاذرى ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٨ : الاصطخرى ٦٣ و ٦٤ : ابن حوقل ١٢٢ : المسعودى ٢ : ٣٥٨ : ٨ : ٢٩٥ : ياقوت ١ : ١٧٩ : ٢ : ٨٢ : ٤ : ٥٥٨ و ٥٧٩ • ابو الفداء ٥٠ •

جاء اسما هذين النهرين فى بعض الاوقات خطأ بصورة سيحون وجيحون ، على نحو ما يسمى به صنواهما نهرا آسية الوسطى • اما فيما يتصل بالقم القديم لنهر سارس ، فيحسن بنا أن نلاحظ ان ابن سريون (المخطوطة : الورقة ٤٤ آ) ذكر ان نهر سيحان (سارس) كان فى ايامه (أى فى بداية المئة الرابعة = العاشرة) يصب فى جيحان (بيرامس) على خمسة فراسخ فوق المصيصة • وبهذا يشترك هو وجيحان فى مصب واحد فى البحر • أما اليوم ، فلنهر سيحان فم فى الجهة الغربية قرب مرسينة • ومن الممكن تتبع معالم المجرى القديم • انظر : المجلة الجغرافية • Geog. Jour. لشهر تشرين الاول ١٩٠٣ ص ٤١٠ •

وعني الخلفاء العباسيون الاولون ، ولا سيما المهدي وهرون الرشيد ، بتحسين طرسوس وشحنها في أول الأمر بثمانية آلاف من المقاتلة • وكانت الندبات السنوية على النصارى تجتاز من باب الجهاد المشهور لمقاتلتهم • وفي الجهة اليسرى من جامع طرسوس ، دفن الخليفة المأمون ، فقد ادركته منيته وهو في بزندون (بهندس Podandos) القرية منها • وكان يشق المدينة نهر البردان (نهر كودنس Cydnus) • وفي سورى المدينة ستة أبواب وخندق عميق • ولبت طرسوس ، على ما قال ياقوت ، ثغراً اسلامياً حتى كانت سنة ٣٥٤ (٩٦٥) فان نقفور ملك الروم Nicephorus Phocas استولى على الثغور ونزل على طرسوس فسلمها اليه من كان بها على الامان والصلح • فخرج منها من المسلمين من أراد بلاد الاسلام وأقام نفر يسير على الجزية • وخربت المساجد « وأحرق نقفور المصاحف وأخذ من خزائن السلاح ما لم يُسمع بمثله ، ولم تنزل طرسوس بيد النصارى الى هذه الغاية أى سنة ٦٢٣ (١٢٢٦) » •

وكان نهر كودنس القديم يعرف على ما بينا ، بنهر البردان أو بردى • وذكر ابن الفقيه انه كان يسمى ايضاً نهر الغضبان • ومخرجه من أصل جبل في شمال طرسوس يعرف بالاقرع ويصب في بحر الروم غير بعيد عن المصب الحديث لنهر سيحان • وفي ناحية الغرب ، على مرحلة من طرسوس ، نهر كان يؤلف حداً مائياً في الازمنة الاولى ، وهو نهر لموس Lamos سماه العرب نهر اللامس • « وعليه يكون الفداء اذا فودي بين المسلمين والروم » • ومما يلي هذا النهر بلدة للروم تعرف بسلوقية أو سلوقية قليقية Seleucia of Cilicia وقد صار أسمها في أيام الترك في العهد الاخير سلفكة Selefkeh^(٥) •

ويقطع جبال طوروس دروب كثيرة سلك المسلمون اثنين منها بوجه خاص في غزواتهم السنوية لبلاد الروم : اولهما درب الحدث وهو في الشمال الشرقي وكان من مرعش فشمالاً الى ابليستين وقد عرفت هذه المدينة في الازمنة الاخيرة

(٥) ابن حوقل ١٢٢ : ابن الفقيه ١١٦ : البلاذري ١٦٩ : المسعودي ١ : ٢٦٤ ؛ ٢ : ٨ : ٧٢ : ياقوت ١ : ٥٥٣ و ٥٥٨ : ٣ : ٥٢٦ : الطبري ٣ : ١٢٣٧ •

بالبستان (وهى أبلسنا البنظية Ablastha وعربسوس اليونانية Arabissus) وكان يحمى هذا الدرب حصن الحدث Adata وقد مر ذكره فى الفصل السابق • وثانى الدروب ، وكثيرا ما كان يسلك فى الأزمئة القديمة ، هو درب الابواب القليقية الضارب شمالا من طرسوس ، ومنه يأخذ الطريق العام الى القسطنطينية • كان هذا الطريق هو الذى يسلكه سعاة البريد ويمر منه وفود قيصر والخليفة ، كما انه الطريق الذى تتبعه نوبات الغزو العديدة من الاسلام والنصارى • وقد عني ابن خرداذبه فى سنة ٢٥٠ (٨٦٤) بوصف هذا الطريق ، وعنه نقل غير واحد من المصنفين بعده • كان هذا الدرب يعرف فى قسمه الجنوبى بدرب السلامة ويتصل بما يسمى بيلية قليقية Pylae Ciliciae وهى الابواب القليقية المشهورة •

ودونك هذا الوصف ، على ان كثيرا من المواضع المذكورة فيه لا يمكن تعيينها فى يومنا ، وقد وضعنا بين قوسين ما تسرت معرفته عن اسماء بعضها • قال ابن خرداذبه : « من طرسوس الى العليق اثنا عشر ميلا ، ثم الى الرهوة (أى المكان المنخفض ولعلها مبسكرينة Mopsukrene القديمة) ، ثم الى الجوزات اثنا عشر ميلا ، ثم الى الجردقوب سبعة أميال ، ثم الى البزندون (Podandos وهى بنظى الحديثة) سبعة أميال وفيها عين تسمى عين رقة مات عندها المأمون (٦) • ثم الى معسكر الملك على حمة لؤلؤة (لولون Loulon) والصفصاف عشرة أميال (قرب فوستينوبوليس Faustinopolis) وكذلك حصن الصقالبة عشرة أميال ، وتصير الى معسكر الملك وقد قطعت الدرب (النهاية الشمالية من درب الابواب القليقية) وأصحرت • ومن معسكر الملك (حيث نهاية الابواب القليقية) الى وادى الطرفاء اثنا عشر ميلا ، ثم الى منى عشرون ميلا ، ثم الى نهر هرقله (وهرقله هى اراكلية الحديثة وهركلية Heraclia عند الروم وهى المدينة التى استولى عليها هرون الرشيد غنة) اثنا عشر ميلا ، ثم الى مدينة اللبن ثمانية أميال ، ثم الى رأس الغابة خمسة عشر ميلا • ثم الى المسكنين ستة عشر ميلا ، ثم الى عين برغوث اثنا

(٦) انظر خبر ذلك فى مروج الذهب (٧ : ٩٩) وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٠٩ طبعة المنيرية • (م) •

عشر ميلا ، ثم الى نهر الاحساء (أى النهر الذى تحت الارض) ثمانية عشر ميلا ، ثم الى ربض قونية (ايكونيوم Iconium) ثمانية عشر ميلا ، ثم الى العلمين خمسة عشر ميلا ، ثم الى ابرومسمانة عشرون ميلا ، ثم الى وادى الجوز اثنا عشر ميلا ، ثم الى عمورية (آموريون Amorion) اثنا عشر ميلا . وطريق آخر من العلمين الى عمورية يبدأ من العلمين الى قرى نصر الاقريطشى خمسة عشر ميلا ، ثم الى رأس بحيرة الباسليون (بحيرة الاربعين شهيدا) عشرة أميال ، ثم الى السند عشرة أميال ، ثم الى حصن سنادس (Synades) ثمانية عشر ميلا ، ثم الى مغل خمسة وعشرون ميلا ، ثم الى غابة عمورية ثلاثون ميلا . ومن عمورية الى قرى الحراب خمسة عشر ميلا ، ثم الى صاغري (وهو Sangarius) نهر عمورية ميلان ، ثم الى العليج اثنا عشر ميلا ، ثم الى فلامى الغابة خمسة عشر ميلا ، ثم الى حصن اليهود اثنا عشر ميلا ، ثم الى سندابري (ستابريس Santabaris) ثمانية عشر ميلا ، ثم الى مرج حمر الملك فى دروليية (دوريليوم Dorylaeum) خمسة وثلاثون ميلا ، ثم الى حصن غروميلي خمسة عشر ميلا ، ثم الى كنائس الملك Basilica of Anna Commena ثلاثة أميال ، ثم الى التلول خمسة وعشرون ميلا ، ثم الى الاكوار خمسة عشر ميلا ، ثم الى ملاجنة Malagina خمسة عشر ميلا ، ثم الى اصطلب الملك خمسة أميال ، ثم الى حصن الغبراء (وهى كيبوتس Kibotos) حيث معدية تصل الى Aigialos) ثلاثون ميلا ثم الى الخليج (وهو بوسفور القسطنطينية Bosphorus) اربعة وعشرون ميلا ، ونيقية Nicaea بأزاء (أى جنوب) الغبراء » . وبهذا يختم ابن خرداذبه كلامه على طريق القسطنطينية^(٧) .

(٧) ابن خرداذبه ١٠٠ - ١٠٢ و ١١٠ و ١١٣ وقد جاء فى ابن خرداذبه (ص ١٠٢ - ١٠٣) وصف طرق تختلف بعض الشيء عن هذا الطريق . وزاد الادريسي على ذلك ذكر المسافات (طبعة جوبرت Jaubert ٢ : ٣٠٨ و ٣٠٩) وقارن ذلك بما كتبه رسمى Ramsay فى HGAM (ص ٢٣٦ و ٤٤٥) . وقد عين البروفسور رسمى (أنظر المجلة الجغرافية GJ لشهر تشرين الاول ١٩٠٣ ص ٣٨٣) حصن الصقالبة المشهور بكونه خرائب الحصن البرزنطى المبني بالرخام الاسود المسمى الآن أنشا قلعه سى الجائمة فى أعالي الجبل المطل جنوبا على مدينة برزنطى (بدندون أى بودندس) اما حصن لولون Loulon البرزنطى ، وقد سماه العرب لؤلؤة ، فقد عينه أيضا (أنظر نفس

اما ماكان يعرفه المصنفون العرب القدماء عن جغرافية آسية الصغرى ، فليس
الا لمحات خاطئة لا تمت الى الواقع بصلة الا وصفهم الطريق العام الى القسطنطينية .
مصادق ذلك ما نراه من خلط عند ابن حوقل بين النهرين المختلفين : آلس
وصاغرة وهلس وسنكاريوس . ونجد أيضا فى التواريخ القديمة اسماء جملة من
مدن الروم بصورتها المعربة ولكن معظم هذه الاسماء قد انتهى الينا على غير هذه
الصور بعد الفتح التركى . على ان ما يؤسف له ، هو ان المصنفين العرب لم
يخلفوا لنا وصفا لهذه المدن . ونذكر هنا شيئا منها مما لا شبهة فى صحته :
الطوانة (Tyana) دباسة (Thebasa) ملقوبية (Malacopia) هرقله
(Heraclia) لاذق (Laodicea) قيصرية (Caesarea Mazaka of Cappadocia)
انطاكية (Antioch of Pisidia) قطيئة (Cotyaeum) انقره (Angora)
أفسوس (Ephesus) أبدوس (Abydos) نكموذية (Nicomedia)
وغيرها من المدن .

أما طرابزون (Trebizond) وكتب اسمها طرابزندة أو اطرابزندة ،
فهى على ما جاء فى ابن حوقل أجل ميناء كانت تجلب اليها السلع من القسطنطينية
فى صدر الدولة العباسية وتحمل منها الى بلاد الاسلام . فكان التجار العرب
ووكلائهم ينقلون السلع منها عبر الجبال الى ملطية وغيرها من مدن الفرات
الاعلى . وكانت هذه التجارة بيد الارمن على ما فى ابن حوقل . على ان كثيرا
من التجار المسلمين ، حسبما ذكر ، كانوا يقيمون فى اطرابزندة . وأخص هذه
السلع : ثياب الكتان اليونانى وثياب الصوف والديباج والاكسية الرومية وكلها
كان يجلب بحرا من الخليج أى البوسفور . ومما يدل على شهرة طرابزون وعظم
شأنها فى ذلك الزمن ، ان البحر الاسود كان يعرف باسم بحر طرابزندة .
على ان اسمه الرسمى كان بحر بنطس أو بنطش . وهو پنتس Pontos

المصدر ص ٤٠١ و ٤٠٢ ففيه صورة لهذا الموضع (واللؤلؤة تقوم فى الشمال فوق الصفصاف .
وتدل الصفصاف على المستوطن الذى فى الوادى أسفلها حيث كانت المدينة اليونانية فوستينوبوليس
. Faustropolis

عند الروم الذى كان لتصحييف اسمه (من جراء اعجام الحروف العربية) قد كتب ولفظ منذ الأزمنة الاولى خطأ بصورة نيطس ونيطش ، وغالبا ما اقتبس المصنفون الفرس والترک الاسم بهذه الصورة المصحفة ، وانتقل هذا التصحييف الى المطبعة فلا سبيل الى رجعته الى سابق اسمه (٨) .

ومع ان ما دونه مصنفو العرب عن طبرغرافية مدن آسية الصغرى فيما قبل الفتح السلجوقى ، أى فى النصف الاخير من المئة الخامسة (الحادية عشرة) ، قليل غاية القلة ، فقد كان المسلمون يعرفون معظم هذه البلاد ، فانهم كانوا فى أيام بنى امية وصدر الدولة العباسية يقومون فى كل سنة تقريبا بل غالبا مرتين فى السنة ، فى الربيع والخريف بغزوات يجتازون فيها دروب جبل طوروس الى بلاد الروم . وكانت غاية الغايات عندهم الاستيلاء على القسطنطينية . وفى الواقع لقد ضرب المسلمون الحصار على القسطنطينية ثلاث مرات فى أيام بنى امية ولكن نهاية كل حصار كانت وخيمة على المهاجمين . وليس ذلك بمستغرب اذا ما علمنا ان البوسفور يبعد عن طرسوس قاعدة الهجوم العربى نيفا واربعمئة وخمسين ميلا فى خط مستقيم يقطع هضبة آسية الصغرى الجبلية .

واول هذه الحصارات الثلاثة المشهورة كان فى سنة ٣٢ (٦٥٢) فى ايام عثمان ، حين غزا معاوية - وقد تولى الخلافة فيما بعد - آسية الصغرى واجتازها يريد القسطنطينية . فهاجمها اولاً ثم ضرب عليها الحصار ولكنه اضطر الى رفع الحصار عنها لما بلغه مقتل الخليفة عثمان . واعقب ذلك أحداث انتهت بقيام الدولة الاموية . وكان الحصار الثانى فى سنة ٤٩ (٦٦٩) حين بعث معاوية - وكان قد اصبح خليفة - ابنه وولى عهده يزيد لقتال الملك قسطنطين الرابع . بيد ان عجز قادة الجيش اوقع بالجيش الاسلامى هزيمة منكرة . فلما توفى ابوه صارت اليه الخلافة فعاد الى بلاده . أما الحصار الثالث وهو اشهر حصار وقع على القسطنطينية فقد دام سنين فى عهد الخليفة سليمان الذى بعث اخاه مسلمة فى سنة ٩٦ (٧١٥)

(٨) ابن حوقل ١٢٩ و ١٣٢ و ٢٤٥ و ٢٤٦ ؛ ابن خرداذبه ١٠٣ ؛ البلاذرى ١٦١ ؛ الطبرى ٣ : ٧٠٩ و ٧١٠ ؛ ابر الفداء ٣٤ ؛ ياقوت ١ : ٤٠١ و ٤٩٩ ؛ المسعودى ١ : ٢٦٠ .
وقد يسمى البحر الاسود بحر الخزر وهو اسم يطلق فى العادة على بحر قزوين (ابن خرداذبه ١٠٣) .

لقتال ليو الايزورى Leo the Isaurian وقد انتهى الينا عن هذه الحملة التى باءت ايضا بهزيمة المسلمين اخبار كاملة من التواريخ العربية والرومية • وفى هذه الحروب اشتهر عبدالله الملقب بالبطل الذى اعتبره الترك بعد زمن طويل بطلهم القومى والجندى المسلم الذى لا يقهر •

ولم تحل هذه الخسائر والهزائم دون مضي المسلمين فى غزواتهم سنة بعد أخرى ما خلا فترة قصيرة انصرف فيها العباسيون الى توطيد أركان دولتهم ، ثم حلّوا فى ذلك محل بنى أمية بعد قرن أو أكثر من قرن على توليهم الخلافة • والعباسيون وان صعب عليهم ضرب الحصار على القسطنطينية ، فانهم غزوا ارجاء آسية الصغرى مرة تلو أخرى وأعملوا فيها النهب والحرق • وأشهر هذه الغزوات : ندبة الخليفة المعتصم بن هرون الرشيد فى سنة ٢٢٣ (٨٣٨) على عمورية • وهى الموصوفة بانها اجل مدينة فى الشرق « وامنع واحصن بلاد الروم وهى عين النصرانية » فأمر الخليفة بنهبها وهدمها وحرقها وعاد الخليفة راضيا ومعه المغانم ^(٩) • وقد غني ابن خرداذبه بوصف أعمال آسية الصغرى فى أيام ملوك الروم • ويفيدنا وصفه فى تصحيح التفاصيل المشوشة التى دونها قسطنطين بويرفروجينيس •

(٩) أفاض المستر بروكس E. W. Brooks فى سرد غزوات المسلمين فى آسية الصغرى مستقيا ذلك من المراجع العربية مع التعليق عليها فى بحثه الموسوم « العرب فى آسية الصغرى من سنة ٦٤١ الى ٧٥٠ م » The Arabs in Asia Minor, 641 to 750 المنشور فى مجلة الدراسات الهلنية (Journal of Hellenic Studies) المجلد ١٨ سنة ١٨٩٨ • وفى بحثه الموسوم « البيزنطيين والعرب فى صدر الدولة العباسية : ٧٥٠ - ٨١٣ م » Byzantines and Arabs in the time of early Abbasid, 750 to 813 المنشور فى المجلة الانكليزية التاريخية English Historical Review القسم الاول منه فى عدد تشرين الاول ١٩٠٠ وقسمه الثانى فى عدد كانون الثانى ١٩٠١ • وقد عالج موضوع حصار القسطنطينية العظيم فى أيام خلافة سليمان فى مقال نشره فى مجلة الدراسات الهلنية أيضا (المجلد ١٩ لسنة ١٨٩٩ بعنوان « حملة سنة ٧١٦ الى ٧١٨ بحسب المراجع العربية » The Campaign of 716 to 718 from Arabic Sources) وتناول هذا الموضوع من الجانب البيزنطى البروفسور جى • بى • بورى J. B. Bury فى كتابه History of the Later Roman Empire المجلد الثانى ص ٤٠١ • ويسمى المسلمون Constantinople بالقسطنطينية • اما فيما يتصل باسمها البيزنطى الذى يقال ان منه اشتق لفظ « استانبول » الاسم التركى الحديث فيحسن بنا ان نلاحظ ان السعوى فى النصف الاول من الملة الرابعة (العاشرة) كتب (التنبيه ص ١٣٨) ان الروم فى أيامه كانوا يسمون عاصمتهم بولن Bulin (أى بولن) ومعناها : المدينة • « واذا أرادوا عنها انها دار الملك لعظمها قالوا استن بولن ولا يدعونها القسطنطينية وانما العرب تعبر عنها بذلك » •

Constantine Porphyrogenitus ونحن على كل حال فى غنى عن بحث ذلك ها هنا اذ ان هذا الموضوع يدخل فى جغرافية بلاد الروم . اما عدا ما وصفنا من مدن ، فان المصنفين العرب حين تحدثوا عن الحملات الاسلامية على ما وراء الحدود ، أشاروا الى جملة مواضع يصعب تعيينها الآن اما لغموض ما ذكره عنها واما للبس فى الاسم . وعليه فان مرج الاسقف ، وكثيرا ما ذكره ، جاء عنه فى أحد مسالك ابن خرداذبه انه على شى يسير غرب پدندس (البذندون) . والمطمورة^(١٠) أو المطامير (بصيغة الجمع) تردد ذكرها كذلك ، وعلينا ان نبحت عنها فى ما جاور ملقوبية . وذو الكلاع وتكتب أيضا ذو القلاع كانت قلعة مشهورة . قال البلاذرى ان اسمها عند الروم تفسيره « الحصن الذى مع الكواكب » . ويبدو انها تطابق سيدىروبوليس Sideropolis فى بلاد القباذق Cappadocia .

ومدينة لؤلؤة وهى لولون عند البزنطيين سماها العرب بذلك ليضفوا على اسمها معنى ، وهى على ما ذكرنا فى النهاية الشمالية لدرب الابواب القليقية والى شمالها كانت تيانا (طوانة أو طوانة) وقد كان هرون الرشيد شحنها بالمقاتلة وبنى فيها جامعا . وكانت مدينة أو حصن الصفصاف فى طريق القسطنطينية قرب لؤلؤة ولعلها موضع فوستينوبوليس على ما قد مرّ (ص ١٦٦) . وفى جنوب البذندون حصن الصقالبه وفيه عسكر ، على ما ذكر البلاذرى ، قوم من الصقالبه كانوا فروا من البزنطيين . وكان مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية قد جعلهم فيها لحراسة الدرب^(١١) .

وبعد عام ٢٢٣ (٨٣٨) وهو تاريخ حملة الخليفة المعتصم المشهورة على عمورية ، قلت الغزوات الاسلامية لبلاد الروم . فان تواتر الفتن فى بغداد صرف خلفاء بنى

(١٠) ان Mazmorra باللغة الاسبانية تعنى الديماس وهى Massamora بالاسكتلندية (انظر The Antiquary الفصل ٣٣ فى الحاشية) .

(١١) انظر عن أعمال بلاد الروم ، البحث الموسوم بـ « الاثبات العربية لأعمال بلاد الروم » الدراسات الهلينية المجلد ٢١ لسنة ١٩٠١ . ابن خرداذبة ١٠٢ و ١٠٥ البلاذرى ١٥٠ و ١٧٠ الطبرى: ٣ : ٧١٠ و ١٢٣٧ : ابن الاثير ٦ : ٣٤١ : رمسى Ramsay فى HGAM ص ٣٤٠ و ٣٥٤ و ٣٥٦ .

العباس عن التفكير فى غزو بلاد الروم • ومع ذلك فانه منذ منتصف المئة الثالثة (التاسعة) حتى المئة الخامسة (الحادية عشرة) كان كثير من الجيوش الاسلامية المجنّدة من ممالك عدة تابعة للخليفة قد عبر الدروب • ولم تثبت الحدود على حال واحدة بل كانت فى تقدم وتراجع واقبال وادبار وفى وسعنا القول ان المسلمين لم يحتفظوا بجزء من الارض مما وراء طوروس احتفاظا مستداما •

ولكن بقيام الاتراك السلاجقة فى المئة الخامسة (الحادية عشرة) بعد [كذا • والصواب : قبل] الحروب الصليبية ، تغير وجه الامور فى آسية الصغرى كل التغير • وفى ربيع سنة ٤٦٣ (١٠٧١) أحرز الب ارسلان السلجوقى نصرا مبينا فى وقعة ملسجرد (منكرت) فأباد جيش الروم على بكرة أبيه وأسر ملكهم رومانس ديوجينس (Romanus Diogenes) • والى ذلك ، كان الب ارسلان قد استولى سنة ٤٥٦ (١٠٦٤) على آنى عاصمة ارمينية النصرانية ، فتقوضت بذلك مملكة بُغْرَوْنَدِ الارمنية القديمة فكان من ذلك ان أسس روبن (Rupen) أحد اقاربهم مملكة ارمينية الصغرى فى طوروس • وعلى أثر وقعة ملسجرد انفذ الب ارسلان ابن عمه سليمان بن قتلмыш الى آسية الصغرى • ثم ان السلاجقة بعد ما كانوا عليه من بدواة ، اقاموا فى الهضبة العالية التى تؤلف قلب هذا الاقليم وصارت مملكة الروم منذ ذلك الحين من ديار الاسلام •

وقد أوغل السلاجقة غربا وخليفتهم النصر ، فامتدت غزواتهم حتى نيقية ، وبقيت فى أيديهم زمنا قصيرا متخذوها عاصمة لهم • ولكنهم ردوا على أعقابهم فى الحملة الصليبية الاولى وتراجعوا الى الهضبة الوسطى واصبحت ايكونيوم (Iconium) وهى قونية التى فتحوها فى سنة ٤٧٧ (١٠٨٤) دار ملكهم ولبت ، كذلك (١٢) •

(١٢) ابن الاثير ١٠ : ٢٥ و ٤٤ ؛ جهان نما ٦٢١ • وأنظر تاريخ فن الحرب History of the Art of War بقلم اومان C. Oman ص ٢١٦ - ٢٢١ عن وقعة منكرت •

وتاريخ السلاجقة فى بلاد الروم وخلفائهم الامراء التركمان العشرة المنتهى بقيام سلاطين آل عثمان ، اغتض دور فى جميع التواريخ الاسلامية يا للاسف • ولم يكن للمؤرخين الفارسيين ميرخواند ومخواند مير ما يضيفانه الى الموجز الذى كتبه المستوفى عن سلاجقة الروم فى كتابه « تاريخ كزبده » • ولعل اكمل تاريخ لهذه الدولة ما فى كتاب « العبر » لابن خلدون (٥ : ١٦٢ - ١٧٥) غير ان ذلك

دامت سلالة سلاطين قونية السلجوقية أكثر من قرنين أى من سنة ٤٧٠ (١٠٧٧) حتى سنة ٧٠٠ (١٣٠٠) غير ان سلطانهم الحقيقي كان قد انتهى بفتح المغول لقونية فى سنة ٦٥٥ (١٢٥٧) وذلك قبل سقوط بغداد بسنة واحدة . واقرن قيسام السلاجقة فى هضبة آسية الصغرى بنشوء مملكة ارمينية الصغرى النصرانية فى بلاد طوروس . وبعد سنة ٤٧٣ (١٠٨٠) اتخذ روبن مؤسس الدولة الجديدة مدينة سيس ويقال لها أيضا سيسية قاعدة للملكه . وبعد ذلك بقرن أى فى سنة ٥٩٤ (١١٩٨) لقب ليو بالملك . ولم ينته حكم ملوك ارمينية الصغرى الذين قاوموا الفتح المغولى الا فى سنة ٧٤٣ (١٣٤٢) . وكانت هذه المملكة قد اتسعت رقعتها من سيس فشملت البلاد الجبلية التى يسقيها نهرا سيحان وجيحان . وامتدت جنوبا الى بحر الروم وضمت مدينة المصيصة واذنة وطرسوس ومعظم مدن الساحل الى غرب طرسوس . وكانت سيس (أى سيسية) وهى فلافيوبوليس Flaviopolis القديمة حصن عين زربى البعيد فى صدر الدولة العباسية . وقد جدد أسواره الخليفة المتوكل حفيد هرون الرشيد . واستولى عليه الروم بعد ذلك . وحين كتب ابو الفداء فى سنة ٧٢١ (١٣٢١) نوّه بان ليو الثانى (ابن لاون) الملقب بالعظيم ملك ارمينية الصغرى قد احدثها ، وهى ذات قلعة بأسوار ثلاثة على جبل مستطيل ولها بساتين ونهر صغير من روافد جيحان . وذكر ياقوت « ان عامة أهلها يقولون سيس » فى أيامه .

وفى غرب مملكة ارمينية الصغرى وشمالها تمتد بلاد سلاطين السلاجقة . ولم تمض مئة سنة على استيلائهم على هضبة آسية الصغرى حتى كانت جيوش الصليبيين قد اخترقت هذا الاقليم ثلاث مرات ، وقد انتهت الحرب الصليبية الاولى

لا يعدو فى الحقيقة ان يكون ثبتا بالاسماء والتواريخ . اما تاريخ ابن بيبى ، وقد نشره أخيرا البروفسور هوتسما ، فانه وآسفا لا يبدأ الا بعد قلع ارسلان الثانى فى سنة ٥٥١ (١١٣٦) . اما السبعون سنة الاولى من حكم السلاجقة حين كانوا يفتحون آسية الصغرى ويوطدون حكمهم فيها ، فلا نعرف عنها شيئا قط . ولم ينوّه الا بالنصر العظيم الذى أصابوه فى وقعة منزكرت . اما المعارك التى أسفرت عن طرد الروم من هضاب آسية الصغرى فلم يدون عنها شيء كما لم يشر الى معاهدة يفترض عقدها - بوجه رسمى أو غير رسمى - بين الروم والسلاجقة بعد وقعة منزكرت . وللإطلاع على خلاصة ما يعرف عن أمراء التركمان الذين خلفوا سلاطين بلاد الروم ، أنظر بحث البروفسور لين بول « أخلاف السلاجقة فى آسية الصغرى » The Successors of the Saljuks in Asia Minor فى مجلة JRAS لسنة ١٨٨٢ ص ٧٧٣ .

سنة ٤٩٠ (١٠٩٧) بهزيمة قلعج ارسلان الأول (ابن وخليفة سليمان ، أول سلطان على بلاد الروم) من نيقية . ومرت شردمة من الصليبيين بقونية وعادت الى البحر عند طرسوس وركبت السفن الى فلسطين . وفي الحرب الصليبية الثانية تغلب لويس السابع ملك فرنسا على السلطان مسعود (ابن قلعج ارسلان) عند ضفاف مياندر (Meander) سنة ٥٤٢ (١١٤٧) ولكن الفرنج في في مسيرهم الى ميناء أنطالية كابدوا خسرانا فادحا في المنطقة الجبلية . وفي الحرب الصليبية الثالثة يقال ان الملك فردريك بربروسة انتزع في سنة ٥٨٦ (١١٩٠) قونية عاصمة السلاجقة من قلعج ارسلان الثاني (ابن مسعود) . ولكن بربروسة في متابعته السير غرق في نهر قرب سلوقية (سلوقية قليقية) لعله نهر لاموس أو نهر اللمس المار ذكره (ص ١٦٥) حيث كان يجري في أيام العباسيين الاوائل تبادل الاسرى بين المسلمين والنصارى أى فداؤهم .

ولا ريب في ان رقعة البلاد التي حكمها سلاجقة الروم قد اختلفت باختلاف الازمنة والاحوال . فقد كان لتضاؤل شأن الروم أو ازدياد قوتهم ، ونشوء مملكة ارمنية الصغرى النصرانية ، وما كانت عليه حال الدويلات الاسلامية المجاورة التي اكتسح الصليبيون بعضها وحكم بعض الوقت امراء الفرنج رعايا من المسلمين ، أثره في ذلك . وقد عرفنا أهم المدن التابعة لسلاجقة بلاد الروم على نحو ما كانت عليه في سنة ٥٨٧ (١١٩١) من توزيع قلعج ارسلان الثاني أملاكه في تلك السنة بين أولاده الاحد عشر . فقد كانت قونية (ايكونيوم) ، على ما بيننا ، عاصمة السلاجقة . وكانت قيصرية (Caesarea Mazaka) ثاني مدن سلطنتهم . وملطية (Melitene) أهم مدن الولاية الشرقية على حدود الفرات . وفي الشمال سيواس (Sebastia) ونكيسار (أو نيكسار وهي نيوسيزارية (Neo-Caesarea) القديمة) . وتوقات واماسية (Amasia) وقد اقطع كل منها أميرا سلجوقيا . ومثل ذلك انكورية (Angora) في الشمال الغربي وبرغلو في الحد الغربي ولعلها ألو برلو الحديثة وهي غرب بحيرة اكردور . وعلى الحدود الجنوبية شرقي قونية المدن

المهمة : اراكلية Heraclia ونكيدة أو نكدة وابلستين التي عرفت بعدئذ بالستان (Arabissus).

وقد مدّ السلطان علاء الدين ، الذى اعتلى العرش فى سنة ٦١٦ (١٢١٩) وهو حفيد قليج ارسلان الثانى ، سلطانه شمالا وجنوبا من سواحل البحر الاسود الى بحر الروم . فاستولى على سينوب (Sinope) على البحر الاسود وأنشأ على الساحل الجنوبى ميناء عظيما فى العلايا - وقد نسب اليه - وما زالت ترى فيه بقايا أخشاب لبناء السفن وغير ذلك من المنشآت الخاصة ببحرية السلاجقة العظيمة . ومدّ سلطانه فى الشمال الشرقى الى مدينة صارى بولى . وقد كان لكتابات جلال الدين الرومى الشاعر الصوفى العظيم الذى عاش ومات فى قونية أبلغ الاثر فى اشتهار عهده . وبعد ان مضت ثلاثون سنة على موت علاء الدين أى فى سنة ٦٣٤ (١٢٣٧) قوض الجيش المغولى سلطان السلاجقة ولم يكن السلاطين الاربعة الاخيرون فى الحقيقة غير ولاية خاضعين لایلخاني فارس . وفى سنة ٧٠٠ (١٣٠٠) قسمت ولاية الروم بين الامراء التركمان العشرة وهم فى الاصل من اتباع السلاطين السلاجقة (١٣) .

(١٣) البلاذرى ١٧٠ : ياقوت ٣ : ٢١٧ : أبو الفداء ٢٣٧ : ابن بيبى ٥ : جهان نما ٦٢١ و ٦٢٢ .

وذكر الادريسي ، وقد كتب فى سنة ٥٤٨ (١١٥٣) ، انه زار عمورية (جوبرت ٢ : ٣٠٠) ورأى سنة ٥١٠ (١١١٦) كهف أصحاب الكهف السبعة . وهو البلدانى المسلم الوحيد الذى وصف أسية الصغرى فى أيام السلاجقة . ومما يؤسف عليه ان كتابه وصل الينا مصحفا تصحيحا عظيما فقد ذكر عددا من المسالك التى تخترق أسية الصغرى فى كل جهة ولكن من الصعب جدا التحقق منها . فان اسماء المواضع التى تمر بها هذه المسالك لا يميز معظمها وإن كان لا يشك فى أسماء المراحل الختامية . الادريسي ٢ : ٣٠٥ - ٣١٨ .

وقد عين البروفسور رمسى (MGAM) من ٧٨ و ٢٨٢ و ٢٨٤) حدود مملكة السلاجقة بوضوح ويرى وصف للجوامع وغيرها من ابنية السلاجقة فى سلسلة مقالات كتبها هو M. C. Haurt موسومة بـ « الكتابات العربية فى أسية الصغرى Epigraphie Arabe d'Asie Mineur » فى مجلة الساميات Rêvue Sémitique سنة ١٨٩٤ من ٦١ و ١٢٠ و ٢٣٥ و ٢٢٤ وسنة ١٨٩٥ من ٧٣ و ١٧٥ و ٢١٤ و ٣٤٤ . وفى المجلة الآسيوية Journal Asiatique لسنة ١٩٠١ المجلد الاول من ٣٤٣ وكذلك فى المقال الموسوم Monuments Seljoukides de Sivas etc.

الآثار السلجوقية فى سيواس لكتابه كرنا M.F. Grenard المنشور فى المجلة الآسيوية لسنة ١٩٠٠ العدد الثانى من ٤٥١ وأنظر أيضا بحث البروفسور رمسى مع ملاحظات فيه للرسى . ولسن C. Wilson وغيره فى المجلة الجغرافية Geographical Journal لشهر ايلول ١٩٠٢ من ٢٥٧ .

الفصل العاشر

بلاد الروم^١ «تتمه»

الامارات التركمانية العشر - ابن بطوطة والمستوفى - قيسارية وسيواس - سلطان
العراق - امير قرمان - قونية - امير تكة والعلايا وانطالية - امير حميد
واكريدور - امير جرميان وكوتاهية وصورى حصار - امير منتشا
وميلاس - امير آيدين والفسوس والزمير - امير صاروخان
ومفيسية - امير قراصى وبرغامس - الولاية
العثمانية وبرصى - امير قزل احمدلى :
صنوب (سينوب) *

تتفق حدود الامارات التركمانية العشر فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة)
وحدود المقاطعات اليونانية القديمة فى آسية الصغرى * وهذه الامارات هى :
قرمان أو قرمان أكبرها وهى ليقونية القديمة (Lycaonia) * وعلى ساحل بحر
الروم : تكة وتشتمل على ليقية (Lycia) وبمفيلية (Pamphylia) * وفى
الداخل : حميد وتضم بسيدية (Pisidia) وايزورية (Isauria) معا * وكرميان
أو جرميان وتطابق فريجية (Phrygia) * وعلى ساحل البحر الاسود : قزل
احمدلى ويقال لها أيضا اسفنديار وكانت بفلغونية (Paphlagonia) * وعلى
السواحل الايجية : منتشا وهى كارية (Caria) القديمة * وآيدين وصاروخان

معا تطابقان مملكة ليدية (Lydia) • وقراصى كانت ميسية (Mysia) وأخيرا الولاية العثمانية (وهى للعثمانيين الذين سيطروا بعدئذ على الامارات التسع الاخرى) وكانت فى أول أمرها مقاطعة فريجية ابيكتس (Phrygia Epictetus) وفى ظهرها أراضى بيثية (Bythia) العالية التى انتزعها العثمانيون أخيرا من يد الروم •

وقد انتهى الينا عن حال آسية الصغرى فى أيام الامراء التركمانيين أخبار غريبة جدا دوتها ابن بطوطة المغربى فى رحلته ، وكان قد نزل فى العلايا فى منصرفه من الشام وزار فى سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) كثيرا من الامراء الصغار طريقه الى صنوب (Sinope) • ومنها قطع البحر الاسود الى القرم ، ويبدو ان قسما من وصفه قد ضاع يا للأسف • سافر ابن بطوطة من العلايا محاذيا ساحل البحر الى أنطالية ثم ضرب شمالا فاجتاز الجبال الى اكريدور فى حميد على بحيرة اكريدور ومنها توجه الى لاذق (Laodicea ad Lycum) فوصل ميلاس فى منتشا • ثم قطع آسية الصغرى بطريق منحرف الى قونية وقيسارية فسيواس وارزن الروم • ومن بعد ذلك يعترى حديث رحلته نقص : اذ ان المدينة التالية التى ذكرها كانت بركي فى آيدين • ومنها زار اياملوق (افسوس Ephesus) • وأخيرا اتجه ابن بطوطة صوب الشمال فالشرق فمرّ فى طريقه بمدينة برصى وغيرها من المدن حتى انتهى الى صنوب فى ساحل البحر الاسود • وقد زاد معاصره المستوفى ، فى ما كتبه عن جغرافية بلاد الروم ، بعض التفصيل على ما وصفه من مدن • على ان المستوفى ، وان كتب فى سنة ٧٤٠ (١٣٤٠) ، فقد اعتمد على مراجع قديمة • فكانت أخباره تصف حال بلاد الروم فى أواخر عهد السلاجقة أكثر مما تصف حال تلك البلاد حين وطد الامراء العشرة سلطانهم فيها •

وفى مطلع المئة التاسعة (الخامسة عشرة) كانت غارة تيمور على آسية الصغرى قد قلبت مجرى الامور رأسا على عقب الى أجل ما ، وردت الدولة العثمانية الحديثة النشأة على أعقابها زهاء ربع قرن ، وما أورده علي اليزدى عن حروب تيمور وسّع علمنا بهذه البلاد • وهناك تفاصيل أخرى فى كتاب جهان نما

التركي . وهذا السفر وان دون في مطلع المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) ، حيث كانت الدولة العثمانية قد وطدت أركانها في آسية الصغرى منذ عهد بعيد ، فانه ذكر أهم ما خلفه سلاطين آل سلجوق من آثار .

وقبل ان نصف الامارات العشر التركمانية ، وقد نوهنا باسمائها آنفا ، يحسن بنا ان نذكر شيئا عن المدن التي في شرقي قرامان ، وهي التي قد يعينها المجري الاسفل لنهر هلس (قرل ايرماق عند الترك) ويكملها خط يتجه جنوبا الى جيحان . كانت آسية الصغرى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) مما يلي شرق هذا الحد من مملكة الاليلخانيين ، وهم الامراء المغول الذين تولوا حكم العراق وفارس . وكانوا يولون عمالهم على هذه البقاع لينشروا السلام بين قبائل التركمان البدوية الصغيرة التي حلت في هذه البلاد بعد الفتح المغولي العظيم . وكانت أهم المدن في شرق حدود قرامان : قيصرية (وتكتب أيضا قيسارية وهي Caesarea Mazaka في القباذق) وقد كانت في زمن بنى سلجوق ثمانية مدن الروم ، وعدّها القزويني قاعدة ملكهم . ويرى فيها فيما يرى من المقامات : جامع (ابي محمد) البطال ، بطل العهد الاموى . ووصف المستوفى قيصرية بان حولها شورا من حجر بناه السلطان علاء الدين السلجوقي . وكانت مدينة عظيمة محصنة عند لحف جبل ارجاست (Argaeus) . وذكر المستوفى ان ارجاست كان جبلا شامخا لا يفارق الثلج قمته . وينحدر منه أنهار كثيرة . وفي لحفه : دولو (Davlû) . وهو موضع سيأتى ذكره . وفوق قمة الجبل بيعة عظيمة . وفي قيصرية « موضع يقولون انه حبس محمد ابن الحنفية » من ابناء الامام علي . ولما زار ابن بطوطة قيسارية (وقد كتب اسمها بهذا الوجه) « كان بها عسكر اهل العراق » من عساكر السلطان المغولى . وكانت قيصرية في مطلع المئة التاسعة (الخامسة عشرة) أولى المدن الكبرى التي استولى عليها جيش تيمور في آسية الصغرى .

وابلستين (ارابيسوس Arabissus) في شرق قيصرية . وهي من مدن الثغور في أيام الروم . وقد ذكرت أيضا في فتوح تيمور . قال المستوفى ان ابلستين مدينة لا كبيرة ولا صغيرة . وذكرها صاحب جهان نما بالتهجئة الحديثة

« البستان » • وكانت قير شهر (وهى جستينانوبوليس موكيسوس Justinianopolis)
 Mokissus الرومية على نحو ثمانين ميلاً غرب قيصرية ، وكانت
 ذات شأن ، وكثيرا ما ورد ذكرها فى أخبار حروب تيمور • ووصف المستوفى
 قير شهر بانها مدينة كبيرة ذات مبان جميلة • وعدها صاحب جهان نما من مدن
 قرامان • وكانت اماسية أو اماسية (Amasia) فى عهد السلاجقة من مراكز
 حكوماتهم • وروى المستوفى ان السلطان علاء الدين قد احدثها • ووصفها ابن
 بطوطة ، وقد مرّ بها ، بقوله انها « مدينة كبيرة حسنة وهى فسيحة الشوارع
 والاسواق ذات أنهار وبساتين وعلى أنهارها النواعير تسقى جنتها ودورها • ومملكتها
 لصاحب العراق • وبقرّب منها بلدة سونسى (كتبها جهان نما بصورة صونيسا)
 « وبها سكنى أولاد ولى الله تعالى أبى العباس احمد الرفاعى » • وفى شمال اماسية :
 لاذق (Laodicea Pontica) وهى موضع ذو شأن بيد السلاجقة • وكثيرا
 ما ذكرها ابن بيبى فى تاريخه • ووصف المستوفى ميناء سمسون (أو صامسون
 وهى اميسوس Amysos عند الروم) بأنه مرفأً عظيم للسفن • ويحلّول النصف
 الاخير من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) نمت ثروتها بانتقال تجارة سنوب (أو
 صنوب Sinope) اليها وهى الميناء الذى كان قبلها^(١) •

وكانت نيكسار (أو نكيسار وهى Neo-Caesarea اليونانية) مدينة
 جليلة خاضعة للسلاجقة • وكثيرا ما ورد ذكرها فى ابن بيبى • وقد وصفها
 المستوفى بانها مدينة وسطة حولها بساتين تكثر فيها الفواكه • وكانت توقات (وتكتب
 أيضا دوقاط) فى غرب نيكسار على طريق اماسية • وكانت من الحكومات العظيمة
 التابعة لبني سلجوق • ويلها فى الغرب : زيلة وقد ذكرها ابن بيبى ومن جاء بعده
 من المصنفين • وأحدث السلطان علاء الدين مدينة سيواس (Sebastia)
 على قزل ايرماق (هلس Halys) وقد شيّد أبنيتها الجديدة كلها بالحجارة
 المهندمة • وروى المستوفى ان الموضع كان مشهورا بشباب الصوف التى تحمل

(١) القزوينى ٢ : ٣٧١ ؛ ابن بطوطة ٢ : ٢٨٧ و ٢٨٩ و ٢٩٢ ؛ ابن بيبى ٢٦ و ٣٠٨ ؛
 المستوفى ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ٢٠٢ ؛ على اليزدى ٢ : ٢٧٠ و ٤١٦ و ٤١٧ ؛ جهان نما ٥٩٩ و ٦١٥ و
 ٦٢٠ و ٦٢٢ و ٦٢٣ •

منها • وهى ذات هواء بارد يكثر فيها القطن والقمح • وتكلم ابن بطوطة على سيواس فقال هى « من بلاد ملك العراق وأعظم ما له بهذا الاقليم من البلاد ، وبها منزل أمرائه وعماله • مدينة حسنة العمارة واسعة الشوارع أسواقها غاصة بالناس وبها دار مثل المدرسة تسمى دار السيادة » •

ووصف المستوفى الطريق الضارب غرباً^(٢) من سيواس الى بلاد فارس وهو كما يأتى : مرحلتان الى زاره ، وهى مدينة قليلة الشأن • ثم مرحلتان الى آق شهر (المدينة البيضاء) وقد تردد ذكرها كثيراً فى أخبار السلاجقة • وفى شمال غربى آق شهر قره حصار (الحصن الاسود) وقد أكثر ابن بيبى من الإشارة اليه وسماه قره حصار دولة تميزا لهذا الحصن - الذى أشار اليه أيضاً المستوفى - عن حصن آخر بالاسم ذاته • وسماه جهان نما قره حصار شين نسبة الى معدن الشب على مقربة منه • ومن آق شهر يتجه الطريق الى بلاد فارس فيبلغ ارزنجان فى ثلاث مراحل ، ومنها مثل ذلك الى ارزن الروم ، ثم يتجه جنوبا الى خنوس (خوناس كما كتبه ابن بيبى ، وخنس اسمها الحالى) وهو ثلاث مراحل • ومنها عشر مراحل الى ملاسجرد (منزكرت) وهذه على ثمانى مراحل من ارغيش القائمة على بحيرة وان^(٣) •

كانت اماره قرمان أو قرامان ، أكبر الامارات العشر • وانما سميت بذلك نسبة الى القبيلة التركمانية التى حلت فى هذه الارزاء • وكانت قاعدتها لارندة وقيل لها قرمان أيضا نسبة الى الامارة • ويرقى زمن لارندة الى أيام الروم • وصفها ابن بطوطة ، وقد زارها فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وكتب اسمها بصورة اللارندة فقال « مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين » • وفى ختام هذا القرن استولت عليها جيوش تيمور ونهبتها ، الا انها استعادت بعد ذلك ازدهارها الاول • والى جنوب لارندة مدينة ارمناك ، وقد تكلم عليها المستوفى وقال انها كانت فيما مضى مدينة كبيرة ولكنها انحطت فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فصارت مدينة

(٢) الصواب « شرقا » على ما هو واضح (م) •

(٣) ابن بيبى ٢٦ و ٢٩٢ و ٣٠٨ : ابن بطوطة لا : ٢٨٩ : المستوفى ١٦١ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٩٩ : جهان نما ٤٢٤ و ٦٢٢ و ٦٢٣ •

اقليلية • ونوّه بها جهان نما حين ذكره سلفكة وكان العرب يسمونها قبالا سلوقية (Seleucia of Cilicia) • ودخلت هذه المدينة في أيام العثمانيين ضمن الولاية المسماة ايج ايلي ومعناها بالتركية « الارض الداخلة » • ولما كان هذا الوصف لا يتفق هو ووضع الولاية المبحوث عنها ، اذ انها تحاذى الساحل ، ظنّ ان ايج ايلي ليس الا تصحيفا مقتطعا من الاسم اليونانى القديم قليقية Cilicia .

وكانت قونية (Iconium) على ما بينا دار ملك السلاجقة • ولكنها في عهد امراء قرامان تضائل شأنها فصارت مدينة فى المرتبة الثانية وروى المستوفى انه كان فيها ايوان عظيم فى القصر الذى بناه السلطان قليج ارسلان وهو بانى الحصن أيضا • ثم بنى علاء الدين ، أو استحدث ، أسوار المدينة بالحجارة المقدودة وجعل علوها ثلاثين ذراعا واطاف بها خندقا عمقه عشرون ذراعا • وكان محيط الاسوار عشرة آلاف خطوة وفيها اثنا عشر بابا جعل فوقها أبراجا عظيمة • ومدّ الماء الوافر اليها من الجبل القريب منها • واختزنه فى صهريج عظيم تعلوه قبة عند أحد أبواب المدينة • ومنه كان يخرج ثلثمة قناة ونيف توزع الماء بين سائر انحاء المدينة • واشتهرت قونية ببساتينها التى يكثر فيها المشمش الاصفر وينمو فى مزارعها القطن والقمح •

وذكر المستوفى ، الى ما تقدم ، ان الخراب كان غالبا على قونية فى أيامه وان بقي الرىض الذى فى أسفل الحصن أهلا بالسكان • وكان فى المدينة تربة الشاعر الصوفى العظيم جلال الدين الرومى ، وقد مرّ ذكره • ويزورها كثيرون • ورأى ابن بطوطة هذه التربة • وأشاد بقونية فقال انها « مدينة عظيمة حسنة العمارة كثيرة المياه والانهار والبساتين والفواكه وبها المشمش المسمى بقمر الدين ويحمل منها أيضا الى الشام • وشوارعها متسعة جدا وأسواقها بدیعة الترتيب وأهل كل صناعة على حدة » • وذكر ابن بيى فى تاريخه عن السلاجقة اسماء ثلاثة من أبواب قونية ، هى : باب سوق الخيل (دروازه اسب بازار) وباب دار الفحص (دروازه جاشنى گیر) وباب جسر احمد (دروازه بول احمد) •

وقلعة قره حصار التابعة لقونية ، لا تبعد كثيرا عن شرق قونية • وقال

المستوفى ان بهرام شاه قد بناها • ويلها هرقله (Heraclea) وهو اسم تحريف
فى الازمنة المتأخرة الى اراكلية • وكثيرا ما تردد ذكرها فى جهان نما • وفى شمال
قونية : لاديق سوخته أى لاديق المحروقة (Laodicea Combusta)
وهى Katakekaumena اليونانية) وقد أطلق عليها ابن بيبى قرية لاديق تميزا
لها عن غيرها من المدن التى تسمى (Laodicea (Ad Lycum, Pontica)
وأشار جهان نما الى لوديقية كمبوسته باسم يورغان لاديق وتسمى أيضا لاذقية
قرمان (٤) •

وفى شمال ولاية قرمان : انكورة (Angora) (انقرا Ancyra اليونانية)
وقد كتبها البلدانون العرب القدماء بصورة انقرة والمؤلفون الفرس والترك
المحدثون انكورية (٥) • وصفها المستوفى بقوله انها مدينة ذات هواء بارد يكثر فيها
القمح والقطن والفواكه • وقد اشتهرت فى التاريخ لان فيها تغلب تيمور سنة ٨٠٤
(١٤٠٢) على السلطان بايزيد العثماني وأسره بعد موقعة حامية • وقوشحصار
أو كوج حصار على الحافة الشرقية للبحيرة الملحة الكبرى ، ذكرها المستوفى وقال
انها مدينة وسطية • وقد ورد ذكرها أيضا فى جهان نما • وعلى شئ يسير من شرق
الطرف الجنوبى للبحيرة : آقسرا (القصر الابيض) • بناها السلطان قلعج ارسلان
الثانى فى سنة ٥٦٦ (١١٧١) • وصفها المستوفى بانها مدينة فى ارض كثيرة
الخيرات • وأقسرا (بحسب تسمية ابن بطوطة لها) « يشقها ثلاثة انهار • وداخلها
بساتين كثيرة وفيها الاشجار ودوالى العنب وتصنع فيها (فى المئة الثامنة = الرابعة
عشرة) البسط المنسوبة اليها من صوف الغنم لا مثل لها فى بلد من البلاد • ومنها
تحمل الى الشام ومصر والعراق » • وزاد ابن بطوطة على ذلك ، ان اقسرا فى
أيامه كانت « فى طاعة ملك العراق » •

وعلى نحو خمسين ميلا شرق آقسرا : ملنقوبية (ملكوبية Malacopia)

(٤) ابن بطوطة ٢ : ٢٨١ و ٢٨٤ : المستوفى ١٦٢ و ١٦٣ : على اليزدى ٢ : ٤٥٨ : جهان نما
٦١١ و ٦١٥ و ٦١٦ : ابن بيبى ٨ و ٩ و ٢٨٧ و ٣٢٤ •
(٥) فى معجم البلدان (مادة انقرة) انقرة : هو فيما بلغنى اسم للمدينة المسماة انكورية (م) •

ذكر المستوفى أنها موضع ذو شأن فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) * والى شمال هذه المدينة : قرا حصار أخرى * وصفها المستوفى بأنها من أعمال نيكدة * والى شرق هذه المدينة أيضا : دولو (وجاء أسمها فى جهان نما بصورة دوهلو) * وهى على ما بيننا تقوم عند لحف جبل ارجاست وقد ورد ذكرها غير مرة فى تاريخ ابن بيبى فى كلامه على قيصرية * ووصف المستوفى دولو بأنها مدينة وسطية ، جدد السلطان علاء الدين السلجوقى بناء أسوارها * وفى جنوب ملنقوية : نيكدة (وكتبها ابن بيبى نيكدة) وقد قامت فى موضع طوانة القديمة (تيانة Tyanah) بناها السلطان علاء الدين * وصف المستوفى نيكدة بأنها مدينة لا كبيرة ولا صغيرة * وقد مرّ ابن بطوطة بمدينة نكددة (على ما سماها به) وقال ان بعضها قد خرب وانها من بلاد ملك العراق ويشقها النهر المعروف بالنهر الاسود وعليه ثلاث قناطر ، وعليه النواعير ومنها تسقى البساتين والفواكه بها كثيرة ، وفى جنوب نكددة : لؤلؤة (لولون Loulon) وكثيرا ما ذكرها ابن بيبى * وقد بينا انها قلعة عظيمة فى الطرف الشمالى من درب أبواب قليقية * وفى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وصف المستوفى لؤلؤة فقال هى مدينة صغيرة حولها أرض خصبة وهواؤها بارد وفيها مواطن للصيد مشهورة^(٦) .

والظاهر ان أهم المدن فى بلاد امير تكة : مدينتا العاليا وانطالية وهما ميناءان مشهوران * فالاولى ، على ما بيننا ، اسسها السلطان علاء الدين السلجوقى فوق كوراكسيوم (Coracesium) وقد نزلها ابن بطوطة حين جاء من الشام سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) فوصف العاليا بأنها مدينة كبيرة على ساحل البحر ولها تجارة مع الاسكندرية ولها قلعة صعد اليها ابن بطوطة ووصفها بقوله « لها قلعة باعلاها عجيبة منيعة بناها السلطان المعظم علاء الدين » * وكانت العاليا فى أيامه على ما يظهر من بلاد سلطان قرمان .

أما أنطالية ، وهى الميناء الثانى ، فكانت على نحو مئة ميل من غرب العاليا عند رأس الخليج * وقد اشتهرت بان الصليبيين كانوا يبحرون منها الى فلسطين .

(٦) ابن بيبى ٥ و ٣٤ و ٤٤ و ٢٧٩ و ٣١٤ ؛ ابن بطوطة ٢ : ٢٨٥ و ٢٨٦ ؛ المستوفى ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ٢٠٢ ؛ ياقوت ٤ : ٦٣٥ ؛ عليّ الزيدى ٢ : ٤٢٩ ؛ جهان نما ٦١٧ و ٦٢٠ .

وهى بلد كبير عده ياقوت « من مشاهير بلاد الروم وهى حصن على شط البحر واسع الرستاق كثير الامل » وفيها بنى السلطان قلعج ارسلان السلجوقى قصرا له فوق نشز من الارض يطل على البحر • ووجد فيها ابن بطوطة أيضا ان « كل فرقة من سكانه منفردة بأنفسها عن الفرقة الاخرى : فتجار النصارى ماكون منها بالموضع المعروف بالميناء وعليهم سور • واليهود فى موضع آخر وعليهم سور • وسائر الناس من المسلمين يسكنون المدينة العظمى وبها مسجد جامع ومدرسة • وانطالية ، وهى التى ورد اسمها فى أخبار الحروب الصليبية بصورة ستالية (Satalia) أو اتالية (Attaleia) ، قد جاء ذكرها مرارا فى حروب تيمور لك باسم عدالية • وفى غربها ، على ما ذكر علي اليزدى ، استانوس • وهى مدينة ذكرت فى جهان نما بصورة استاناز (٧) •

وفى شمال تكه كان لامير اماره حميد البلاد التى حول البحيرات الاربع : اكريدور وبردور وبقشهر وآقشهر • وكانت دار المملكة فى أيام السلاجقة ، على ما جاء فى ابن بيسى ، فى مدينة برغلو وهى تطابق الوبرلو الحديثة على ما يظهر (فى غرب اكريدور) وهى سوزوبوليس (Sozopolis) أو ابولونية (Apollonia) عند الروم • وانطاكية (Antioch of Pisidia) ، وكثيرا ما ذكرتها التواريخ الاسلامية القديمة ، قد اضحى اسمها فى العهد التركى يلاواج • وكانت فى البرية بين بحيرتى اكريدور وآقشهر • والظاهر ان أهم مدن هذه الولاية فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، على ما جاء فى المستوفى ، اكريدور وهى مدينة بروسنته Prostanna القديمة (فى جنوب بحيرة اكريدور • ووصف ابن بطوطة مدينة اكريدور بقوله « مدينة عظيمة كثيرة العمارة حسنة الاسواق ذات أنهار وأشجار وبساتين (ثم قال :) ولها بحيرة عذبة الماء يسافر المركب فيها الى آقشهر وبقشهر وغيرهما من البلاد والقرى » التى على شطآن هاتين البحيرتين • وكانت مدينة بقشهر أو بى شهر (وهى كرلية Karallia عند الروم)

(٧) ورد فى العهد الجديد من الكتاب المقدس ذكر اتالية فى سفر الأعمال ١٤ : ٢٥ : ياقوت ١ : ٣٨٨ : ابن بطوطة ٢ : ٢٥٧ و ٢٥٨ : جهان نما ٦١١ و ٦٣٨ و ٦٣٩ : على اليزدى ٢ : ٤٤٧ و ٤٤٩ •

عند طرف بحيرتها وقد بناها السلطان علاء الدين السلجوقي على ما جاء في جهان نما • ولها سور من حجر فيه بابان وفيها مسجد جامع وحمامات حسنة وسوقها في موضع يسمى آلرغة • وإلى غرب اكريدور مدينة بردور على بحيرة بردور وهي بلدة صغيرة • قال ابن بطوطة انها كثيرة البساتين والانهار ولها قلعة في رأس جبل شاهق • وجاء في جهان نما ان اسبارطة وهي في جنوب اكريدور كانت قاعدة حميد في الازمنة المتأخرة • وكتب ابن بطوطة هذا الاسم بصورة سبرتتا • وقال انها « بلدة حسنة العمارة كثيرة البساتين والانهار لها قلعة في جبل شامخ » • وتمثل هذه المدينة مدينة برس (Baris) البنزنية وتعرف اليوم باسم سبارتا^(٨) •

أما بحيرة آقشهر فهي التي سماها ابن خرداذبه (أنظر الصفحة ١٦٧ أعلاه) الباسليون وقد عرفها الروم بحيرة الاربعين شهيدا • وإلى غربها الحصن العظيم قرا حصار • وكثيرا ما جاء اسمه مرتبطا باقشهر في حروب تيمور لك • وفي آقشهر ، على ما ذكر علي اليزدي ، كان السلطان بايزيد يلدرم العثماني المنكود الحظ قد مات كمدا في سنة ٨٠٥ (١٤٠٣) وكان تيمور لك قد قهره في انقرة • وذكر المستوفي هاتين المدينتين : آقشهر وقرا حصار في جملة ما عرف من أمكنة بهذين الاسمين • وقرا حصار هذه تعرف اليوم بافيون قره حصار لكثرة ما يزرع فيها من الافيون وهي تعين موضع مدينة بريمنسوس (Prymnessos) أو اكروينس (Akroenos) اليونانية • وتؤكد الروايات المحلية ان البطال ، وهو بطل عهد بنى امية الاول ، في حروبهم مع الروم قد قتل في وقعة جرت بالقرب منها • على ان الطبرى ، وهو أقدم مرجع لدينا ، روى في حوادث سنة ١٢٢ (٧٤٠) ان عبدالله البطال « قتل في أرض الروم » ولم يشر إلى موضع مقتله^(٩) •

(٨) سبرتتا أو اسبارته هو تصحيف الاسم اليوناني (eis Bápia) أنظر الحاشية في ص ١٩٠ عن أزميد وازنيق (نيقوميديا ونيقية Nicaea , Nicomedia) •
(٩) ابن بيبى ٥ و ٢١٢ و ٢٥١ و ٢٨٣ : ابن بطوطة ٢ : ٢٦٥ و ٢٦٦ : المستوفي ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ : جهان نما ٦١٨ و ٦٣٩ و ٦٤٠ و ٦٤١ : علي اليزدي ٢ : ٤٥٧ و ٤٥٨ و ٤٨٩ و ٤٩٢ رمسى HGAM ٨٧ و ١٣٩ و ٣٩٦ و ٤٠١ و ٤٠٦ : الطبرى ٢ : ١٧١٦ •
ورد في جهان نما (ص ٦٤٢) ان قبر البطال كان قائما في المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) في سيدى غازى على نيف وخمسين ميلا شمال قرا حصار وشرق كوتاهية • أما اليوم فانه

وفى شمال اماره حميد وغربها ، البلاد التى كان يحكمها أمير كرميان أو جرميان وكانت دار حكومته كوتاهية (كوتيوم Cotyaeum) • وكتب المؤرخون العرب هذا الاسم ، على ما بينا ، قطيعة ولا مراة ان المدينة البنزنية قد خربت منذ زمن بعيد • وجاء فى جهان نما ان الذى بنى كوتاهية مدينة القرون الوسطى هو سلطان جرميان • وأشار ابن بطوطة الى ان فيها طائفة من قطاع الطرق • وفى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ذكر هذا الموضع كثيرا فى حروب تيمورلنك وكان قد جعله مقر قيادته بعض الوقت • وفى شرق كوتاهية بمئة ميل قرب روافد سنكاريوس (Sangarius) العليا حصن عظيم يقال له سوري حصار اتخذته تيمور أيضا مركزا لقيادته وقتا ما • ومعنى اسمه فى التركية « الحصن المدب » ، (وكتبها القزوينى بصورة سبرى حصار) ، وكان فوق موضع بسينوس (Pessinus) الرومانى الذى سمي بعدئذ جستنيانوبوليس باليا (Justinianopolis Palia) • وروى القزوينى انه كان فيه فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) بيعة مشهورة تسمى بيعة كمنانوس • « وان الدابة اذا احتبس ماؤها يطاف بها حول هذه البيعة سبعا ينفتح ماؤها » •

والى جنوب سوري حصار : مدينة عمورية (Amorion) وهى عند أسرار قلعة الحديثة (وقد تكلمنا عليها قبلا (ص ١٧٠) • وفى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) أشار المستوفى اليها بقوله انها موضع ذو شأن وان عامة الناس كانوا يسمونها ، لسبب مبهم ، أنكورية أو انكوره (Angora). وكرر جهان نما هذه التسمية الغربية المغلوطة فيها وقال ان انكورية هى التى يقال لها عمورية • وفى جنوب شرقى جرميان ، مدينة لاذق (Laodicea ad Lycum) التى سماها الاتراك دنزلو (المياه الوافرة) لكثرة انهارها ويعرف هذا الموضع اليوم باسم اسكى حصار (القلعة القديمة) وقد وصفها ابن بطوطة فقال « هى من أبدع المدن واضخمها

يرى فى مير شهر • اما انطاكية بسيدية (Antioch of Pisidia) فيظهر ان التواريخ العربية القديمة تميل فى كل وقت الى خلطها بمواضع أخرى بالاسم ذاته ولا سيما بانطاكية الشام • وقد أشار اليعقوبى فى تاريخه (١ : ١٧٧) الى انطاكية المحترقة التى تفسر على ما يظهر معنى انطاكية بسيدية • وتكلم المؤلف نفسه (٢ : ٢٨٥) على غزوة وقعت فى سنة ٤٩ (٦٦٩) • ثم ذكر « انطاكية السوداء » ولعله أراد بهذا الاسم Antioch of Isuria انطاكية ايزورية •

فيها سبعة من المساجد لاقامة الجمعة وأسواقها حسان • وتصنع بها ثياب قطن معلمة بالذهب لا مثل لها وأكثر الصنائع بها نساء الروم • وقد ذكر جهان نما ان اسمها القديم : لاذقية^(١٠) •

وفي اماره أمير المنتشا ، زار ابن بطوطة المدن المتجاورة الثلاث : مغلة وميلاس وبرجين وكان مقام الامير في مغلة (مبله Mobolla القديمة) وهي دار حكمه على ما جاء في جهان نما • وقد أشار ابن بطوطة الى انها مدينة حسنة • وكانت ميلاس (Mylasa أو Melisos) أيضا مدينة من أحسن بلاد الروم واضخمها ، كثيرة الفواكه والبساتين والمياه • وكانت برجين (Bergylia) وتعرف اليوم اسارلك) على بضعة أميال من ميلاس « وهي جديدة على تل هناك بها العمارات الحسنات والمساجد » • وزار ابن بطوطة في القسم الشرقي من المنتشا مدينة قل حصار وقد ذكرها المستوفى باسم « گل » وقال فيها انها مدينة وسطية • وأشار إليها أيضا في حروب تيمور • ووصفها ابن بطوطة فقال « بها المياه من كل جانب قد نبتت فيها القصب فلا طريق لها الا طريق كالجسر مهيا ما بين القصب والمياه ، والمدينة على تل في وسط المياه منيعة لا يُقدر عليها » • وكان في شمال المنتشا حصن طواس ويسمى في وقتنا هذا دوناس (Donas) وهو على مسيرة يوم ونصف من لاذق (Iznodicea ad Iycaum). وصف ابن بطوطة طواس بانه حصن كبير في اسفله ربض • ويقال ان صهييا الصحابي من أهل هذا الحصن^(١١) •

والى شمال المنتشا بلاد امير آيدين وكانت قاعدتها تيرة (Teira) • وحكى ابن بطوطة وقد زار امير آيدين فيها انها « مدينة حسنة ذات انهار وبساتين » • وقد مر أيضا بمدينة بركي (بركيون Pyrgion) على مرحلة من شمال تيرة • وقد أطرى أشجارها الباسقة • وتقوم مدينة آيدين أو گزل حصار في موضع

(١٠) القزويني ٢ : ٣٥٩ ؛ ابن بطوطة ٢ : ٢٧٠ و ٢٧١ و ٤٥٧ ؛ المستوفى ١٦٢ : على اليزدي ٢ : ٤٤٨ و ٤٤٩ ؛ جهان نما ٦٣١ و ٦٣٢ و ٦٣٤ و ٦٤٣ •
(١١) ابن بطوطة ٢ : ٢٦٩ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٨٠ ؛ المستوفى ١٦٣ ؛ جهان نما ٦٣٨ ؛ على اليزدي ٢ : ٤٤٨ •

ترليس (Tralleis) البزنطية وكانت مدينة قليلة الشأن . وكانت أفسس على الساحل ، وقد عرفها البلدانون العرب باسم افسوس أو أبسوس . واشتهرت لان فيها كهف اصحاب الكهف الذين جاء ذكرهم فى القرآن (السورة ١٨ ، الآية ٨) . وقد عرفت هذه المدينة بعد ذلك باسم ايا سلوق (وتكتب أيضا اياثلوخ أو اياسليخ) وهو تصحيف الاسم اليونانى (Agiou Theologou) وسميت بذلك لان فيها كنيسة كبيرة للتديس يوحنا اللاهوتى بناها الملك يسطيناس . وقد زار ابن بطوطة هذه الكنيسة حين كان هناك سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) ووصفها بقوله « مبنية بالحجارة الضخمة ويكون طول الحجر منها عشر أذرع فما دونها ، منحوتة ابدع نحت . والمسجد الجامع بهذه المدينة من أبداع مساجد الدنيا لا نظير له فى الحسن وكان كنيسة للروم . فلما فتحت هذه المدينة جعلها المسلمون مسجدا جامعا ، وحيطانه من الرخام الملون ، وفرشه الرخام الابيض ، وهو مستقف بالرصاص ، وفيه احدى عشرة قبة منوعة . وزاد ابن بطوطة على ما تقدم انه كان لأياسلوق فى أيامه خمسة عشر بابا ، ونهرها يشقها الى البحر . » وعن جانبي النهر الاشجار المختلفة الاجناس ودوالي العنب ومعرشات الياسمين . »

وكان فى آيدين ميناء عظيم آخر هو سمرنة (Smyrna) وسُمّاء الترك أزمير أو يزميز وهى التى ظفر بها تيمور من الفرسان الاستبالية فى مطلع المئة التاسعة (الخامسة عشرة) . وصفها ابن بطوطة ، وكان فيها سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) ، فقال « معظمها خراب ولها قلعة متصلة بأعلاها » . وزاد على ذلك ان امير آيدين « كان كثير الجهاد ، له اجفان غزوية^(١٢) يضرب بها على مدن نصرانية فى سواحل البحر قرب ثغر آيدين فيسبي ويغنم » . ومن هذه المدن : فوجة « أو فوجة وهى فوجية (Phocia) على ساحل امارة صاروخان ، فقد ذكرت بعد ذلك فى أيام تيمور لك بانها حصن اسلامى . وذكر ابن بطوطة فى رحلته انها كانت حينئذ فى ايدى الكفار ، والمراد بهم الجنوبيين (أهل جنوة) . وكانت قاعدة صاروخان مدينة مغنيسية (مغنيسيا وهى Magnesia) قال ابن بطوطة فيها « هى مدينة كبيرة حسنة فى سفح جبل وبسيطها كثير الانهار والعيون والبساتين والفواكه » .

وفيهما يقيم أمير صاروخان • وفي حروب تيمور اطلق على البلاد التي حول مغني سياه (بحسب تهجئة ذلك الزمن) اسم سروهان ايلي (١٣) •

وفي شمال صاروخان بلاد امير قراصى (أو قره سى) وله داران للحكم فى بلي كسري وبرغمة (برغامس Pergamus) • ووصف ابن بطوطة برغمة وقد زارها فى سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) بقوله انها « مدينة خربة لها قلعة عظيمة منيعة بأعلى جبل » • اما بلي كسري ، وقد زارها أيضا ، فكانت « مدينة حسنة كثير العمارة مليحة الاسواق ولا جامع لها يجمع فيه ، وان كان سلطان قراصى دمور (أو تيمور) خان يعيش فيها • وأبوه هو الذى بنى بلي كسري » • وكثر ذكر هذه المدينة فيما بعد أيام حروب تيمور •

ومن بلي كسري سار ابن بطوطة الى برصى وقد كانت فى أيامه قاعدة الدولة العثمانية حين أخذ نجمها يتألق وسطوتها تقوى وبدأت تتبلغ الامارات التركمانية الاخرى • وكانت برصى أو بروسة (Prusa) فى ذلك الزمن « مدينة كبيرة عظيمة حسنة الاسواق فسيحة الشوارع تحفها البساتين من جميع جهاتها والعيون الجارية • وبخارجها نهر ماء شديد الحرارة يصب فى بركة عظيمة وقد بنى عليها بيتان احدهما للرجال والاخر للنساء • والمرضى يستشفون بهذه الحمة ويأتون اليها من أقاصى البلاد » • وقد زار ابن بطوطة سلطانها العثمانى اورخان (وهو جد بايزيد ايلدرم) وقد مرت الاشارة الى تغلب تيمور عليه فى مطلع القرن التالى) • وفى عاصمته من المباني قبر ابيه السلطان عثمان بمسجدها • وكان مسجدها كنيسة للنصارى •

وكانت ميخاليج (ميلتوبوليس Miletopolis) ، وقد سماها الروم (Michaelitze) على نحو خمسين ميلا غرب برصى • وقد ورد ذكرها كثيرا فى حروب تيمور وفى جهان نما • على ان أهم بلاد العثمانيين سنة ٧٣٣ (١٣٣٣)

(١٣) ابن بطوطة ٢ : ٢٩٥ و ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣١١ : على اليزدى ٢ : ٤٦٦ و ٤٦٨ و ٤٧٠ و ٤٨٠ : جهان نما ٦٣٤ و ٦٣٦ و ٦٣٧ : رمسى HGAM ١١٠ و ٢٢٨ : ياقوت ١ : ٩١ : ٢ : ٨٠٦ •
لقد تكلمت على حكاية اصحاب الكهف فى افسوس فى كتابى
Palestine under the Moslems ص ٢٧٤ •

هى نيقية التى أخذها السلطان اورخان من الروم وكان البلديون العرب الاولون يسمون Nicaea : نيقية ، وعرفها الترك باسم يزنيق أو ازنيق . ووصف ابن بطوطة بحيرة يزنيك فقال انها « تبت القصب » . وفى طرفها الشرقى مدينة يزنيك « لا استطاع دخولها الا على طريق واحد مثل الجسر لا يسلك عليها الا فارس واحد » . والمدينة على قوله « خاوية على عروشها لا يسكن بها الا اناس قليلون وبداخل المدينة البساتين » . وعليها أسوار أربعة بين كل سورين خندق وفيه الماء ويدخل اليها على جسور خشب » . والى شمال نيقية : نيقوميديّة (Nicomedia) وقد عرفها البلديون العرب الاولون باسم تقمودية ، وسموها الترك ازنكميد . وبهذه الصورة ورد اسمها فى جهان نما ثم اختصر الى ازמיד وهو ما تعرف به اليوم ولم يصف هذه المدينة ابن بطوطة ولا غيره من المصنفين^(١٤) .

وكانت امارة قزل احمد لى تشرف على ساحل البحر الاسود مما يجاور البوسفور الى سينوب . وأول مدينة كبيرة بلغها ابن بطوطة فى رحلته من يزنيق بعد عبوره نهر سنكاريوس الذى يسميه الترك سَقَرى كانت : مُطرنى أو مدرنى (مدرلو الحديثة وهى Modrene القديمة) وقد ذكر انها بلدة كبيرة . وجاء ذكرها فى جهان نما أيضا . ووصف ابن بطوطة مدينة بولى (كلوديوبوليس Claudiopolis) وهى فى شمال شرقى مطرنى فقال : « بالقرب منها واد ليس بالصغير . وكانت كردي بولى على مرحلة من شرقها » وهى مدينة كبيرة فى بسط من الارض حسنة متسعة الشوارع والاسواق وهى محلات متفرقة كل محلة تسكنها طائفة لا يخالطهم غيرهم » . وكانت كردي بولى فى سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) مقام الامير ، والظاهر انها كانت حينذاك أولى مدن قزل احمد لى .

(١٤) ازنكميد تصحيف للاسم البرنطى eis Nikomeoeian وازنيق تصحيف eis Nikaian
ابن بطوطة ٢ : ٣١٥ و ٣١٦ و ٣١٧ و ٣٢٢ ؛ على اليزدى ٢ : ٤٦٦ ؛ جهان نما ٦٣١ و ٦٥٦ و ٦٦١ و ٦٦٢ ؛ رمسى HGAM ١٧٩ .

والصورة التى وصف بها ابن بطوطة السلطان اورخان مؤسس الفرقة المشهورة بالينيجرية غريبة جدا فقد قال ابن بطوطة « هذا السلطان اكبر ملوك التركمان واكثرهم مالا وبلاداً وعسكراً له من الحصون ما يقارب مئة حصن وهو فى اكثر اوقاته لا يزال يطوف عليها ويقوم بكل حصن منها اياما . ويقال انه لم يقم قط شهرا كاملا ببلد ويقاتل الكفار ويحاصرهم » .

وفى القسم الشرقى من الولاية : قصطمونية (أو قصطمونى وأصلها قصطمون) وقد ذكر المستوفى انها مدينة وسطية • وذكرها ابن بطوطة فقال انها « من أعظم المدن » التى زارها فى آسية الصغرى • « وهى كثيرة الخيرات رخيصة الاسعار » • وفى شمال شرقها ميناء صنوب الكبير (سينوب وهو سينوپ Sinope). ومنها ابجر الى القرم • وقد علمنا من وصفه لصنوب انه « يحيط بها البحر من جميع جهاتها الا واحدة وهى جهة الشرق • ولها هنالك باب واحد ، وهى مدينة حافلة جمعت بين التحصين والتحسين • والمسجد الجامع بمدينة صنوب من احسن المساجد فيه قبة تقلها ارجل من الرخام • وبها قبر الولي الصالح بلال الحبشى » اول من أذن للصلاة فى الاسلام •

وعلى خمسين ميلاً جنوب قصطمونى : المدينة البنظية گنگرة جرمانيكوبوليس (Gangra Germanicopolis) وقد سَمّاها الترك كانقرى • وورد اسمها فى التواريخ العربية القديمة بصورة خنجرة • وغزا المسلمون فى أيام الخليفة هشام الاموي بلاد الروم وتوغلوا فيها حتى بلغوا مدينة خنجرة • وقال القزوينى ، وقد أورد الاسم بصورة غنجرة : « بها نهر يسمى المقلوب لانه آخذ من الجنوب الى الشمال بخلاف سائر الانهار » • وزاد على ذلك ان فى سنة ٤٤٢ (١٠٥٠) « وقعت زلزلة هائلة سقط منها أبنية كثيرة » ولم يبق لها أثر^(١٥) • وللاحاطة فى ذكر مدن امارة قزل أحمد لى ، يحسن بنا ان نذكر ما سماه صاحب جهان نما بـ « كوج حصار » وهى فى نحو نصف الطريق بين قصطمونى وكانقرى • ولعلها هى قوشحصار نفسها عند المستوفى ، وقد مرت الاشارة اليها (ص ١٨٢) • ويعينها هناك المدينة التى بالاسم ذاته على البحيرة الملحة العظمى^(١٦) •

فاذا استثنينا الطريق من طرسوس الى القسطنطينية (وجاء وصفه فى ص ١٦٦) والطريق من شرق سيواس الى تبريز (ووصف فى ص ١٨٠) ألفينا ان ما

(١٥) مافى القزوينى (ص ٣٦٨) : « سقط منها أبنية كثيرة وخسف هناك حصن وكنيسة حتى لم يبق لها أثر » • (م) •
(١٦) المستوفى ١٦٣ و ١٦٤ : ابن بطوطة ٢ : ٣٢٥ و ٣٣٢ و ٣٣٦ و ٣٣٨ و ٣٤١ و ٣٤٨ : جهان نما ٦٤٥ و ٦٤٦ و ٦٤٨ و ٦٤٩ و ٦٥١ و ٦٥٢ : ياقوت ٢ : ٤٧٥ : القزوينى ٢ : ٣٦٨ : الطبرى ٢ : ١٢٣٦ •

دوتنه اصحاب كتب المسالك عما يخترق آسية الصغرى من طرق لا طائل تحته •
على ان جهان نما^(١٧) ذكر عددا من المسالك التي تتفرع من سيواس وذكر اسماء
ما عليها من قرى ومنازل •
وما زال كثير منها يرى فى الخارطة • ومما يؤسف عليه ان ما بينها من
مسافات لم تذكر فى معظم الاحوال • ومن ثم فان ما يمكن استخلاصه من وصف
هذه الطرق قليل الجدوى •

الفصل الحادي عشر

أذربيجان

بحيرة ارمية - تبريز - سراو - المراغة وانهارها - بسوى واشنه ..
مدينة ارمية وسلماس وخوى ومرند - نخجوان - القناطر على
نهر ارس Araxes - جبل سبلان - اردبيل وآهر -
سفيدرود وروافده - الميانج - خلخال
وفيروزاباد - نهر شال وولاية
شاهرود .

كان اقليم اذربيجان الجبلى ، ويلفظ اذربيجان بالفارسية الحديثة^(١) ، فى أيام
الخلافة أقل شأنًا مما صار اليه فى أواخر العصور الوسطى بعد الغزو المغولى ، وكان
فى أقدم أدواره مبتعدا عن طريق خراسان الذى تسلكه القوافل قاطعا اقليم الجبال
(ماذى) . ومما امعن فى انزال اذربيجان أيضا ، ما ذكر المقدسى من انه

(١) انظر الخارطة ٣ (صفحة ١١٤) وصورة الاسم القديمة فى الفارسية اذرباذاكان فصحفه
اليونان الى اتروباتينه (Atropatene) . وذكر المقدسى (ص ٣٧٣) ان اذربيجان والران وارمينية
تؤلف اقليما كبيرا واحدا قد سماه اقليم الرحاب تمييزا له عن اقليم الجبال فى ماذى واقليم اقور
(الارض المطبنة) فى وادى ما بين النهرين . (انتهى) .
قلنا : وراجع أيضا فى أصل اسم اذربيجان ومعناه : القصد والاستطراد فى أصول معنى
بغداد لتوفيق وهبى (تابع الملحق ١ مقابل ص ٢٨ وكذلك الصفحة ٣٠) وقد نشر هذا البحث فى
الجزء الاول من مجلة المجمع العلمى العراقى الصادر فى سنة ١٩٥٠ ص ٤٦ - ٩٤ . وممن تكلم على
أصل هذا الاسم أيضا J. M. Kinneir فى كتابه A Geographical Memoir of the Persian Empire, p. 148 (London 1813) (م) .

« يقال ان به سبعين لسانا » يتكلم بها أهل جباله وهضابه • وليس بين مدنه مدينة عظيمة الكبر •

وبتعاقب الازمان ، علا شأن بعض مدنه فصارت الواحدة بعد الاخرى قصبة الاقليم • فقد كانت قاعدة الاقليم فى صدر العهد العباسى اردبيل أولا ، ثم تبوأ تبريز المقام الاول فى أواخر عهد الخلفاء • ولكن بعد الغزو المغولى أخذت المراغة مكانها ثم استعادت تبريز سابق عزها فى أيام الایلخانيين • ولكن نجمها افل فى أيام الملوك الصفويين الاولين بنهوض اردبيل ثانية • وبعد ذلك الزمن أى فى المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) حين اتخذ الشاه عباس اصفهان عاصمة لبلاد فارس جميعا وانحطت اردبيل ، استعادت تبريز مقامها السابق واضحت المدينة الاولى فى اذربيجان • وما زالت على ذلك الى يومنا هذا • فهى الآن أجل مدينة فى القسم الشمالى الغربى من بلاد فارس •

وابرز العوارض الطبيعية فى هذا الاقليم بحيرة ارمية • وهى أوسع رقعة دائمة الماء فى بلاد فارس • اذ يربو طولها على ثمانين ميلا من الشمال الى الجنوب ونحو ثلث ذلك فى عرض اقسامها • وهى فى غرب تبريز • وقد سميت بذلك نسبة الى مدينة ارمية التى على ساحلها الغربى • وتطلق مراجعنا على هذه البحيرة اسماء مختلفة : ففى زند آفستا سميت چيچستا • واحتفظت الفارسية القديمة بهذا الاسم بصورة چيچست وهو الاسم الذى عرفت به فى الشاهنامه • وقد ظل شائعا حتى أيام المستوفى • وسماها المسعودى وابن حوقل فى المئة الرابعة (العاشرة) بحيرة كبودان وهو اسم مشتق من الارمنية ومعناه « البحيرة الزرقاء » (گابويد معناه : ازرق فى تلك اللغة) • واطلق عليها الاصطخرى اسم بحيرة ارمية (وتابعة فى ذلك المقدسى) • وكذلك بحيرة الشراة ، والشراة فرقة من الخوارج كانت تقيم فى شطآنها • وقال ان هذه البحيرة مالحة الماء وزاد على ذلك ان فيها مراكب كثيرة تختلف بالتجارة بين ارمية والمراغة وحواليها كلها عمارة وقرى ورساتيق • وفى وسط البحيرة جزيرة سماها ابن سرايون جزيرة كبودان ، فيها مدينة صغيرة يسكنها الملاحون ، وفى البحيرة سمك كثير على ما ذكر الاصطخرى • (وخالفه

فى ذلك ابن حوقل فقد قال « ليس فيها دابة ولا سمك » (* وفيها دابة غريبة تسمى كلب الماء * وفى الشتاء « يكون أمواج عظام » وتصير الملاحاة محفوفة بالاختار * وذكر ابو الفداء هذه البحيرة باسم بحيرة تلا - غير ان هذا الاسم لا يدل على شىء معروف * ووصف القزوينى هذه البحيرة فقال « يخرج منها ملح يجلو ، شبه التوتيا » ويحمل منها الى سائر الانحاء * اما المستوفى فقد بينا انه سماها بحيرة جييجست ووصفها أيضا بلفظة « دريا شور » (أى البحيرة الملحة) * وذكرها أيضا باسم بحيرة طروج أو طسوج نسبة الى مدينة ذات شأن على ساحلها الشمالى * وأشار المستوفى وحافظ ابرو الى جزيرة شاهها أو شاهى التى « تصير شبه جزيرة حين يضل الماء » * وفيها قلعة حصينة على جبل ، وبها مدافن هولاكو وغيره من أمراء المغول * وجاء ذكر حصن شاهها فى المثة الثالثة (التاسعة) فان مسكويه حين سرد حوادث الخليفة المتوكل حفيد هرون الرشيد تكلم على شاهها ويكدّر وهما قلعتان كانتا حينذاك بيد رؤساء الشراة فى تلك الانحاء * وفى المثة السابعة (الثالثة عشرة) جدّد هولاكو قلعة شاهها - وقد سماها حافظ ابرو قلعة تلا فى بحيرة أرمية - وجعل فيها أمواله مما نهبه من بغداد وأقاليم الخلافة * ثم صارت هذه القلعة مدفنا له * وكانت تعرف بالفارسية باسم گور قلعة « قلعة القبر » * وحين دوّن حافظ ابرو تاريخه فى أيام تيمور كانت خالية خاوية (٢) * .

ومدينة تبريز على نحو ثلاثين ميلا من شرق البحيرة على نهر يصب فيها قرب جزيرة أو شبه جزيرة شاهها * ويبدو ان تبريز كانت قرية حتى نزلها فى المثة الثالثة (التاسعة) الرواد الازدى فى أيام المتوكل وبنى بها هو وأخوه وابنه

(٢) يلفظ اسم ارمية اليوم عادة اورمية وكذلك جاء فى ابن سرايون (المخطوطة * الورقة ١٢٥) .
الاصطخرى ١٨١ و ١٨٩ ؛ ابن حوقل ٢٣٩ و ٢٤٧ ؛ المقدسى ٣٧٥ و ٣٨٠ ؛ المسعودى ٩٧ ؛ أبو الفداء ٤٢ ؛ ياقوت ١ : ٥١٣ ؛ القزوينى ٢ : ١٩٤ ؛ المستوفى ٢٢٦ ؛ حافظ ابرو ٢٧ ؛ مسكويه ٥٣٩ .

وفى الشاهنامه (ترنرمان * كلكتا ١٨٢٩) ص ١٨٦٠ السطر ٤ وص ١٩٢٧ السطر ٦ من الاسفل ينبغى قراءة جييجست بدلا من خنجست (وهو تصحيف) فالتصحيف حصل من الاعجام * .

قصورا ، وحصنها بسور فنزلها الناس معه • وأشارت رواية متأخرة الى ان باني تبريز : زبيدة زوجة هرون الرشيد ، غير ان التواريخ القديمة لا تؤيد هذا القول • هذا الى انه لم يرد ما يشير الى ان هذه الاميرة قد رأت اذربيجان • ووصف المقدسي مدينة تبريز في المئة الرابعة (العاشرة) فقال « مدينة حسنة والجامع وسط البلد تجرى خلالها الانهار وتميد في سوادها الاشجار » • وذكرها ياقوت ، وكان فيها سنة ٦١٠ (١٢١٣) ، فقال انها في ايامه أشهر مدن اذربيجان • وزاد القزويني على ذلك انه « تحمل منها الثياب العتابي والسقلاطون^(٣) والاطلس والنسيج الى الآفاق » • وافقدي الناس مدينتهم حال استيلاء المغول عليها في سنة ٦١٨ (١٢٢١) فنجحت بذلك مما أحاق بالمدن التي اكتسحها المغول من نهب وسلب • ثم اصبحت بعدهم في أيام الدولة الايلخانية على ما بينا أوسع مدن تلك الانحاء •

وقد اسهب المستوفي في كلامه على تبريز فقال : ان الزلازل دمرتها مرتين ثم أعيد بناؤها بعد كل تدمير وكان ذلك في سنة ٢٤٤ (٨٥٨) و ٤٣٤ (١٠٤٣) وهلك من سكانها في هذه الزلازل اربعون الفا • وبعد أن بنيت حصنت بسور محيطه ستة آلاف خطوة له عشرة أبواب • وظلت على ذلك حتى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) حين شرع غازان خان ببناء ارباض كبيرة في ما يلي سورها القديم ، وحوط هذه الارباط بسور جديد • ولهذا السور ستة أبواب وفي داخله جبل وليمان • وكان محيط السور خمسة وعشرين ألف خطوة • وذكر المستوفي أسماء أبواب تبريز الداخلة والخارجة (والمخطوطات متضاربة في هذه الاسماء) وقال ان غازان خان كان قد دفن في سنة ٧٠٣ (١٣٠٣) في ربض الشام العظيم الذي أنشأه هو • وزاد خلفاؤه على ابنته كثيرا من المساجد الكبيرة وغيرها من الابنية في داخل المدينة وفي الربض الرشيدى في منحدرات جبل وليان • وكان يسقى بساتين تبريز نهر مهران رود ومخرجه في جبل سهند في جنوب المدينة • وكان حول تبريز سبع نواح سمي معظمها باسم النهر الذي يشقه • وسرد المستوفي أسماء

(٣) السقلاطون او السقلاطوني : ضرب من الثياب • والكلمة رومية من سقلاطون Sigillatun

وكان فيه صور منقوشة عليه • وقد اشتهرت بغداد بصنعه • وانظر « مجلة غرفة تجارة بغداد » (٤) [١٩٤١] ٨٥٧ - ٨٦٠) أما العتابي ، فقد مر ذكره في الصفحة ١٠٩ من هذا الكتاب (م) •

هذه النواحي وما جاورها من قرى الا ان قراءة كثير من تلك الاسماء غير موثوق بها . وتكلم ابن بطوطة ، وقد زار تبريز في سنة ٧٣٠ (١٣٣٠) ، فقال « نزلنا بخارجها في موضع يعرف بالشام » . وزاد ان فيه مدرسة حسنة من بناء قازان خان وزاوية . إلى أن قال « دخلت المدينة على باب يعرف بباب بغداد . ووصلنا إلى سوق عظيمة تعرف بسوق قازان واجتازت بسوق الجوهريين فحار بصرى مما رأيته من أنواع الجواهر ويعرضون الجواهر على الناس ودخلنا سوق الغنبر والمسك ثم وصلنا إلى المسجد الجامع الذي عمره الوزير علي شاه المعروف بجيلان ، وصحنه مفروش بالمرمر ، ويشقه نهر جار ، وحيطانه بالقاشاني ، وكان بخارجه عن يمين القبلة مدرسة وعن يساره زاوية » (٤) .

وفي تبريز نهران : اولهما مهران رود وهو يشق ارباض تبريز والثاني سرد رود (النهر البارد) ويجرى إلى الجنوب الغربي وهو كصاحبه منبعه في جبل سهند جنوب تبريز ، ويلتقي النهران بنهر سراو على بعد قليل شمال المدينة . وسراو رود وكان يسمى أيضا نهر سرخاب ينبع في جبال سبلان كوه ، وهي على مئتي ميل شرقي تبريز وتشرف على اردبيل . وبعد ان يجرى نهر سراو متمعجا مسافة طويلة مارا بمستنقعات ملحة يأخذ بعضها برقاب بعض ويستقبل كثيرا من الروافد ، يصب في بحيرة ارمية على نحو اربعين ميلا غرب مدينة تبريز . وقد اسهب المستوفي في وصف جبال سهند وسبلان والنهرين اللذين ينحدران منهما وقال ان مدينة سراو أو سراب ، واليها ينسب النهر الذي بهذا الاسم ، على الطريق من تبريز إلى اردبيل . وكان في ظاهرها اربع نواح ، وهي على ما جاء في المستوفي : ورزند^(٥) ودرند وبراغوش وسقهر . وسمّاها البلدانون العرب الاولون باسم سراو (عوض سراب) . ووصفها ابن حوقل بانها « مدينة طيبة كثيرة الخير والمير والبساتين والمياه والفواكه والزروع والطواحين ولها أسواق حسنة

(٤) المقدسي ٣٧٨ : ياقوت ١ : ٨٢٢ : القزويني ٢ : ٢٢٧ : المستوفي ١٥٣ - ١٥٥ : جهان نما ٣٨٠ : ابن بطوطة ٢ : ١٢٩ .

(٥) في طبعة لسترنج لنزهة القلوب (ص ٨٦) : روند . وقد ذكر سقهر عوضا عن سقهر . (م) .

وفنادق نظيفة » • وذكرها ياقوت باسم سراو أو سرو وقال خرّبها التتر في سنة ٦١٧ (١٢٢٠) وقتلوا كل من وجدوه فيها • على انها استعادت سابق حالها حين كتب المستوفى بعد ذلك بقرن وقال ان بينها وبين تبريز ثلاثة أيام وبينها وبين اردبيل يومان •

وعلى رافد في الجانب الايسر (الجنوبي) لنهر سراو : مدينة آو.جان أو أ.جان وكانت على عشرة فراسخ من تبريز في طريق ميسانته • وصف ياقوت أ.جان وكان فيها في المئة السابعة (الثالثة عشرة) بانها مدينة « عليها سور وبها سوق الا ان الخراب غالب عليها » من فعل المغول فيها • وقد أعاد غازان بناءها في أيام المستوفى وأقام فيها زمنا ما • وأطلق عليها اسما جديدا هو شهر اسلام (أى مدينة الاسلام) ولها سور ذرعه ٣٠٠٠ خطوة من حجارة وجص • وكانت نواحيها وافرّة الخيرات يكثر فيها القطن والقمح والفواكه • ويسمى نهرها آب أ.جان ، وينبع في قمة جبل سهند الشرقية • الى جنوب غربى هذا الجبل ، على نحو ستين ميلا من تبريز واربعة فراسخ من شاطئ البحيرة ، القرية الكبيرة داخل قان بحسب تسمية ابن حوقل والبلدانيين العرب لها • وقد كتبها الفرس ديه خوارقان • وأورد ياقوت اسما آخر لها وهو ده نخيرجان وتفسيره « ده : قرية ونخيرجان : صاحب بيت مال (كسرى ملك فارس) » ووصفها المستوفى بانها بلدة صغيرة حولها ضياع وثمانى قرى تكثر فيها الفاكهة والقمح (٦) •

ومدينة المراغة على سبعين ميلا جنوب تبريز على « نهر صافى » وهو ينحدر نحو الجنوب من جبل سهند اليها ثم ينحرف غربا حتى يصل البحيرة • واسم المراغة « من قرية المراغة (قرية المراعي) فحذف الناس القرية وقالوا مراغة » • وكان الفرس يسمونها افراز هروز • وفي المئة الرابعة (العاشرة) وصف ابن حوقل المراغة بقوله « المراغة تلى اردبيل فى الكبر » • وقد كانت فى أيامه مدينة اقليم اذربيجان • وزاد على ما تقدم انها كانت فى قديم الايام المعسكر ودار الامارة وخزانة دواوين الناحية بها فنقلت الى اردبيل • وكانت المراغة مدينة تزرع عليها

(٦) الاصلطخرى ١٩٠ ؛ ابن حوقل ٢٤٨ و ٢٥٣ ؛ ياقوت ١ ؛ ١٣١ و ١٩٨ ؛ ٢ ؛ ٤٢٥ و ٦٣٦ ؛ ٣ ؛ ٦٤ ؛ المستوفى ١٥٥ و ١٥٨ و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢١٧ و ٢١٨ •

سور كثيرة البساتين والانهار والفواكه واشتهرت بضرب من البطيخ « مستطيل الخلق قبيح المنظر غاية فى الحلاوة وطيب الطعم » • وقال المقدسى : « لهما حصن وبها قلعة ولها ربض » • وقال ياقوت ان هرون الرشيد امر ببناء سورها وتحصينها وقد رُمّ سورها فى أيام الخليفة المأمون •

واضحت المراغة فى أيام المغول الاولين ، على ما رأينا ، قصبة اذريجان • وصفها المستوفى بانها مدينة عظيمة حولها نواح كثيرة الخيرات ذكر اسماء بعضها • وكانت تسقيها انهار كثيرة • وفى ظاهر المراغة الرصد العظيم الذى بناه الفلكى نصير الدين الطوسى بأمر هولاكو وفيه وضع كتابه « الزيج الايلخانى » المشهور • وهذا الرصد ، وما زالت اطلاله ترى هناك ، كان خرابا حين كتب المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • وذكر القزوينى القلعة المسماة روين دز فقال انها « على ثلاثة فراسخ من المراغة وهى بين رياض على يمينها نهر وعلى يسارها نهر وعلى القلعة بستان يسمى عميد اباد ومصنع بئر الماء من تحتها » • وعلى فرسخ منها قرية جنبذق فيها فوارات يحكى عنها عجائب كثيرة •

ونهر صافى يصب فى البحيرة قرب المراغة ، وتختلط مياهه ايام الفيضان بمياه نهر جغتو ورافده تغتو • وذكر المستوفى ان كليهما ينبع فى جبال كردستان • وكان شاطئ البحيرة الجنوبى عند مصب هذه الانهار مستقعا كبيرا • وفى هذا الموضع ليلان (أو نيلان) وهى مدينة صغيرة تلتف حولها الانهار وتحفّ بها البساتين المثمرة • وكانت أهلة بالمغول فى أيام المستوفى • وعلى شىء من جنوب ليلان بحسب المسافات الواردة فى كتب المسالك قرية برزة ، وفيها ينقسم الطريق الصاعد من سيسار (فى اقليم الجبال) • فالايمن يتجه نحو الشمال الشرقى الى المراغة والايسر الطريق الداهب الى ارمية مصافيا غرب البحيرة •

وعلى خمسين ميلا من شاطئ البحيرة الجنوبى بسوى ، وينطق بها الفرس بسوى • وقد زارها ياقوت فقال « رأيتها ، أكثر أهلها حرامية » • واطرى المستوفى بساتينها المثمرة • والى شمالها الغربى مدينة أشنه وكان بها فى أيام ابن حوقل أكراد • وفى المئة الرابعة (العاشرة) كان « يجلب منها ومن سوادها الاغنام والدواب الى بلد الموصل ونواحى بلد الجزيرة • وهى أيضا مدينة كثيرة الشجر

والخضر والخيرات » • ولما راعىها ينتجع اصحاب الاغنام • وقال ياقوت ، وقد زارها ، انها ذات بساتين • ووصفها المستوفى ، وأورد اسمها ، بصورة أشنويه فقال انها فى المنطقة الجبلية التى سماها ده كياهان^(٧) •

ومدينة ارمية ، وبها عرفت البحيرة التى باسمها ، على شىء يسير من شاطئها الغربى • « وهى فى ما يزعمون مدينة زرادشت » • وكانت هذه المدينة على ما ذكر ابن حوقل فى المئة الرابعة (العاشرة) « تلى المراغة فى الكبر • وهى مدينة تزده كثيرة الكروم وافرة الحظ من التجارات » • « والجامع فى البزّازين »^(٨) • وكانت ارمية « بقلعة عامرة ولها حصن وبها نهر » ينحدر الى البحيرة وهى على نحو فرسخ منها • وفى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) اوضحت مدينة كبيرة ذرع سورها عشرة آلاف خطوة • ومن أعمالها عشرون قرية • وعلى الطريق فى شمال ارمية ، على بعد قليل من زاوية البحيرة الشمالية الغربية ، مدينة سلماس وقد وصفها المقدسى بانها بلدة طيبة ذات أسواق حسنة والمسجد الجامع مبنى بالحجارة « وقد أحاط بها الاكراد » فى المئة الرابعة (العاشرة) وقال ياقوت ان معظم سلماس قد خرب فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) • ولكن الوزير علي شاه ، على ما روى المستوفى ، كان فى القرن التالى ، فى حكم غازان خان المغولى ، قد جدد بناء أسوارها ، ومحيطها ٨٠٠٠ خطوة • فاستعادت المدينة شأنها الاول • وهى باردة الهواء ، ولها نهر ينبع فى الجبال التى فى غربها ويصب فى البحيرة •

وعلى شاطئ البحيرة الشمالى مدينة يقال لها طروج أو طسوج ولعلها ترسة الحديثة • والمستوفى ، على ما بينا ، كثيرا ما ذكر بحيرة طسوج أو طروج الملحة وعلى هذا فمدينة طسوج مثل ارمية قد انتقل اسمها الى هذه الرقعة من الماء • وفى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت طسوج ، على ما يبدو ، موزعا ذا شأن ، وكانت أدفا هواء من تبريز وأكثر رطوبة لشدة اقترابها من البحيرة • وحولها البساتين والكروم • والى شمال شرقى سلماس ، مدينة خوي وتلفظ خوي على نهر يجرى

(٧) الاصطخرى ١٨١ : ابن حوقل ٢٣٨ و ٢٣٩ : المقدسى ٣٧٧ : ياقوت ١ : ٢٨٤ و ٥٦٤ و ٦٢٦ : ٤ : ٤٧٦ : القزوينى ٢ : ٣٥٠ و ٣٥٨ : المستوفى ١٥٨ و ١٥٩ و ٢١٨ •
(٨) هذا القول للمقدسى (احسن التقاسيم ص ٣٧٧) • (م) •

شمالا فيصب في نهر ارس (Araxes) وخوي ، على ما ذكر ياقوت والقزويني ،
« ذات سور حصين ومياه وأشجار كثيرة الخيرات يعمل بها الديباج ، بها عين ينبع
منها ماء كثير جدا بارد في الصيف حار في الشتاء » . وقال المستوفي ان دائر أسوار
المدينة ٦٥٠٠ خطوة وان أهلها من قوم بيض الاجسام كأهل الخطا (وهم من
الصين) ولها ثمانون قرية .

وفي المئة الرابعة (العاشرة) وصف المقدسي مدينة مرند وهي في شرق
خوي على ضفاف نهر من روافد الجانب الايمن لنهر خوى بقوله : « مرند : حصينة
لها ريش عامر والجامع في الاسواق تحدد بها البساتين » . وقال ياقوت فيها :
« قد تشعت الآن وبدا فيها الخراب مذ نهبها الكرج^(٩) وأخذوا جميع أهلها » .
وكان نهرها على ما جاء في المستوفي يسمى زولو (أو زكوير) ويقال ان قسما منه
كان يجري مدى أربعة فراسخ تحت الارض . وروى المستوفي ان مرند كانت
في أيامه على نصف سعتها الاولى الا انها بقيت مشهورة بتربية دود القرمز وكان
يستخرج منها صبغ أحمر . وحول المدينة ستون قرية كانت من أعمالها^(١٠) .

وكانت نخجوان أو نخجوان الى شمال نهر أرس وتحسب عادة من أعمال
اذربيجان . وهي تشوّى لدى البلدانين العرب . وذكرتها كتب المسالك كثيرا دون
ان تتطرق الى وصفها . وقد علا شأن نخجوان في أيام المغول . ووصفها المستوفي
بانها بلدة كبيرة بناؤها من الآجر وبالقرب منها في ناحية الشرق قلعة السنجق وفي
شمالها جبل ضارب في الفضاء تغطيه الثلوج يقال له ماست كوه . وفي نخجوان
القبّة التي بناها ضياء الملك ابن نظام الملك وزير ملكشاه السلجوقي العظيم .
ووصف علي اليزدي قنطرة ضياء الملك المشهورة (وما زالت بقاياها قائمة) فوق
نهر ارس عند قلعة كركر على طريق مرند على نحو ١٥ ميلا من نخجوان .

وعلى نهر ارس ، اسفل منها بشي . يسير ، مدينة مجلفا وقد تكتب جولاهها .
دمرها الشاه عباس ملك فارس في سنة ١٠١٤ (١٦٠٥) حين نقل أهلها الارمن

(٩) هذا نص ياقوت (٤ : ٥٠٣) . اما المؤلف فقد ذكر الكرد بدلا من « الكرج » (م) .

(١٠) الاصطخري ١٨١ : ابن حوقل ٢٣٩ : المقدسي ٣٧٧ : القزويني ١ : ١٨٠ :

٣ : ٣٥٤ : ياقوت ١ : ٢١٨ : ٢ : ٥٠٢ : ٣ : ١٢٠ : ٤ : ٥٠٣ : المستوفي ١٥٦ - ١٥٩ و ٢١٨ .

الى ربض جديد ابتناه فى جنوب اصفهان وسماه جلفا نسبة الى جلفا القديمة التى على نهر ارس . ومما ذكره المستوفى من مدن نهر ارس : اردوباد (وما زالت قائمة) وهى قرب ملتقى نهر بأرس من الجنوب . تقوم على ضفافه قلعة دزمار وقد ذكرها ياقوت أيضا . وأسفل منها على نهر ارس أيضا مدينة زنگيان فى كورة مردان نعيم . وهناك قنطرة ثانية ما زالت قائمة على نهر ارس يقال لها بالفارسية بل خدا آفرين (جسر خلقه الله) وقد بناها على ما ذكر المستوفى أحد الصحابة فى سنة ١٥ (٦٣٦) وتشتمل ارض مردان (أو مراد) نعيم على نيف وثلاثين قرية (١١) .

ومدينة اردبيل فى أعلى نهر سماه المستوفى اندراب ، واسفل منها يقع نهر آهر فى يسار نهر اردبيل وهذا يصب فى نهر ارس على شىء يسير أسفل من قنطرة خدا آفرين . ومخرج نهري اردبيل واهر من منحدرات سبلان كوه الشرقية والغربية (على التوالى) وهو الجبل العظيم المطل على اردبيل . ومن منحدراته الجنوبية يخرج نهر سراو ، على ما قد بينا ، فيجرى غربا الى بحيرة ارمية . وذكر ابن حوقل جبل سبلان فى المئة الرابعة (العاشرة) ولكنه أخطأ فى قوله انه اعظم من دماوند (١٢) وهو على بضعة أميال من شمال طهران ، وتكسو الاشجار سفوحه وعليه قرى ومدن كثيرة أحصاها المستوفى . وقال ان الجبل كان يرى من بعد خمسين فرسخا ولا يفارقه الثلج شتاء ولا صيفا . وبالقرب من قمته عين كان سطحها دائم الجمود . وعلى مقربة من جبل سبلان ، قمتان أخريان هما كوه سراهند شمال أهر وسياه كوه (الجبل الاسود) وهو يطل على كلنتر وهى مدينة صغيرة فيها قلعة تحف بها الاشجار ويسقى مزارعها نهر .

وكانت اردبيل ، على ما بينا ، قصبة اذربيجان فى المئة الرابعة (العاشرة) . قال فيها الاصطخرى « عليها سور وهى مدينة تكون ثلثي فرسخ فى مثلها . والغالب على ابنتها الطين والآجر وبها المعسكر . وبها رساتيق وكور جليلة وهى خصبة

(١١) ياقوت ٤ : ٢٦٢ و ٧٦٧ و ٧٨٤ : المستوفى ١٥٧ و ١٥٩ و ٢٠٦ : على البيزى ١ : ٣٩٨ و ٣٩٩ : ٢ : ٥٧٣ .

(١٢) ما فى ابن حوقل (ص ٣٧٢) : دنباوند (م) .

واسعارها رخيصة * وعسل اردبيل مشهور * وتكلم المقدسى على الحصن وقال ان أسواق اردبيل « مصلبة الى اربعة دروب والجامع وسط الصليب وخلف الحصن ربض عامر » * وفى سنة ٦١٧ (١٢٢٠) نهب المغول اردبيل وتركوها قاعا صفصفا ولكنها قيل ذلك كانت آهلة بالسكان حين زارها ياقوت * وكانت اردبيل معروفة لدى الفرس قديما باسم باذان فيروز وهى حين كتب المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وان لم تعد أولى مدن اذربيجان الا انها استعادت كثيرا من سالف عزها * وفى المئة العاشرة (السادسة عشرة) اضحت ، على ما قد بينا ، عاصمة بلاد الفرس كلها فى أيام الدولة الصفوية الجديدة قبل ان ينقلوا قاعدة ملكهم الى تبريز أولا ثم الى اصفهان *

وأهر ، وهى على مئة وخمسين ميلا غرب اردبيل ، على نهر اهر * وقد ذكرها البلدانيون العرب القدماء * وصفها ياقوت بانها « مدينة عامرة كثيرة الخيرات » * والى شمالها جبل سراهند وحولها كثير من البلدان الصغيرة القائمة على سفوح الجبل * وقد ذكر ياقوت والمستوفى اسماءها الا انه يصعب الآن تمييز تلك الاسماء أو تعيين مواضعها * وكانت الناحية المحيطة بها تعرف باسم بيشكين (وهى ميشكين فى الوقت الحاضر) نسبة الى اسرة أميرها التى حكمت فيها فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) * ومدينة بيشكين على مرحلة من اهر وكانت تعرف فى الاصل باسم وراوي وكان على نهر اندراب ، فوق ملتقى نهر اهر به على ما ذكر المستوفى ، قنطرة حسنة بناها علي شاه وزير غازان خان المغولى (١٣) *

ونهر سفيدرود ، أى النهر الابيض ، وروافده الكثيرة تسقى نواحي اذربيجان الجنوبية الشرقية * ويؤلف معظم مجرى هذا النهر الحدود الفاصلة بين اذربيجان واقليم الجبال ويصب هذا النهر أخيرا فى بحيرة قزوین بعد مروره باقليم كيلان * وسماء الاصطخرى وغيره من المصنفين العرب باسم سيذرود * وقال المستوفى ان المغول كانوا يطلقون عليه اسم هولان مولان (والاصح : ألان موران) وتعنى بالمغولية « النهر الاحمر » * ويعرف اليوم قسم من سفيدرود باسم قزل اوزن

(١٣) الاصطخرى ١٨١ : ابن حوقل ٢٣٧ و ٢٣٨ و ٢٤٠ و ٢٦٦ : المقدسى ٣٧٤ و ٣٧٧ : ياقوت ١ : ١٩٧ و ٣٩٧ و ٤٠٩ و ٤٦١ : ٤ : ٩١٨ : المستوفى ١٥٦ و ١٥٧ و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢١٧ *

وهى بالتركية « النهر الاحمر » أيضا • وكتب المستوفى ان مخرج سفيدروود من جبال كردستان فى جبل يسمى بالفارسية پنج انگشت وبالتركية بش یرماق ومعنى التسميتين « الاصابع الخمس » • وفى انحدار سفيدروود شمالا يستقبل اولاً نهر زنجان فى ضفته اليمنى وهو النهر الآتى من مدينة زنجان التى سنصفها فى فصل قادم • ثم يصب فى ضفته اليسرى نهر ميانج الذى يتألف من اجتماع عدة انهار تنحدر من الغرب • وشمال ميانج يعطف سفيدروود غربا ويستقبل فى ضفته اليسرى النهرين المتحدين سنجيده وكديرو المنحدرين من خلخال الى جنوب أردبيل • ويلي ذلك نهر شال من ناحية شاهرود التابعة لخلخال • وأسفل ذلك ، على ضفته اليمنى ، يلتقى نهر طارم الآتى من اقليم الجبال (على ما سنبينه فى الفصل الخامس عشر) بنهر سفيدروود ثم يلتقى به نهر شاهرود (ويجب ان لا يلتبس بناحية شاهرود المارة الذكر) الآتى من بلاد الحشيشيين (الحشاشين) • وأخيراً فان سفيدروود بعد ان يخترق الحاجز الجبلى يصل الى بحر قزوين عند كوتهم فى اقليم كيلان •

وكان نهر ميانج كما بينّا أهم الروافد اليسرى لسفيدروود • وهو يأتى من الغرب وينبع من البلاد التى فى جنوب أوجان (أنظر ص ١٩٨) • ويستقبل فى ولاية كرمروود فى ضفته اليسرى مياه نهر كرمروود (النهر الحار) وهو نهر ينبع فى الجبال التى فى جنوب سراو • وأسفل مدينة ميانج يستقبل النهر الاصلى فى يمينه مياه هشتروود (الانهار الثمانية) ومخرجها فى الجبال شرق المراغة • وكان فى أيام المستوفى عند ملتقى هشتروود بنهر ميانج قنطرة حجر عظيمة ذات اثنين وثلاثين طاقا •

وكانت ميانج أو ميانه « الموضع الوسط » التى تقوم عند ملتقى كل هذه الانهار مدينة ذات مركز خطير منذ الازمنة القديمة • ذكر ابن حوقل فى المثة الرابعة (العاشرة) انها منعمة بالخيرات كثيرة الثمار ومثلها كورتها التى عرفت فى الأزمنة المتأخرة باسم كرمروود • والمقدسى ، وقد أورد اسمها بصورته الحديثة اعني ميانه ، قال انها كثيرة الخير • ونوّه بها ياقوت وقد زارها فى المثة السادسة (الثانية عشرة) • وفى القرن التالى ذكر المستوفى انها قد ضوّلت وأمست قرية

كبيرة الا انها بقيت من المراحل المهمة فى شبكة الطرق التى انشأها المغول • وهى حارة الهواء كثيرة الحشرات (وبعبوض ميانه مؤذ للمسافرين اليوم) • وكان فى ولاية كرمرود نيف ومثة قرية خصبة يكثر فيها القمح •

والانهار الثلاثة المسماة سنجيده وكديو (أو كدپو فى جهان نما) وشال تلتقى بنهر سفيدروود من الشمال منحدره اليه من ناحية خلخال • وكانت خلخال أيضا أولى مدن هذه الناحية وقد وصفت كتب المسالك موضعها بانه على اثني عشر فرسخا جنوب اردبيل • وكانت فيروز اباد فوق قمة الدرب حيث هنالك حمة يغلي ماؤها ويفور فى وسط القمم المغطاة بالثلوج • وعلى ما فى المستوفى قد كانت فى الازمنة السابقة دار الملك • ولما آلت الى الخراب حلت محلها مدينة خلخال • ولا يمكن الآن معرفة الموضع الصحيح لفيروز اباد • وكانت البلدتان كدور وشال ، وما زالت الخوارط تذكرهما ، من أعمال شاهرود وتقومان على نهر شال « يسمى الآن شاهرود الصغير » ومخرجه فى جبل شال • وذكر المستوفى جملة مواضع أخرى فى خلخال غير انه لا يمكن تعيينها فى الوقت الحاضر (١٤) •

اما غلات اذربيجان فقليلة وسنأتى على ذكرها فى آخر الفصل القادم • وفى ختام الفصل الخامس عشر لحصنا القول فى مسالك هذا الاقليم بعد ان وصفنا اقليم الجبال لان كل هذه المسالك تخرج من مواضع عديدة فى طريق خراسان الذى يخترق اقليم الجبال •

(١٤) الاصطخرى ١٨٩ : ابن حوقل ٢٤٦ و ٢٥٣ : المقدسى ٣٧٨ : ياقوت ١ : ٢٣٩ :
٤ : ٧١٠ : المستوفى ١٥٦ و ١٥٨ و ١٩٨ و ٢١٥ و ٢١٨ : جهان نما ٣٨٤ و ٣٨٨ •

الفصل الثاني عشر

كيلان

والاقاليم الشمالية الغربية

الجيلانات - اقليم الديلم وطالش - بروان ودولاب وخشم - لاهيجان ورشت وغيرهما من مدن كيلان -
اقليم موغان - باجروان وبرزند - محمود اباد - ورنان - اقليم الران - برذعة - البيلقان -
كنجه وشمكور - نهر الكر ونهر الرس - اقليم شروان - شماخي - باكويه
وباب الايواب - اقليم كرجستان او جورجيا - تفليس وقرص
- اقليم ارمينية - ديبيل او دوين - بحيرة وان -
اخلات وارچيش ووان وبتليس - حاصلات
وتجارات الاقاليم الشمالية *

اوضحنا في الفصل السابق ان نهر سفيدرود بعد ان يخترق مجراه المتعرج
جبال ألبرز ، يصب في بحر قزوين في النهاية الغربية من ساحله الجنوبي *
وتتكون في هذا الموضع « دلتا » ومناقع على شئ من السعة ووراءها الجبال * ودلتا
سفيدرود هذه التي تحفّ بها من الجنوب والغرب سفوح الجبال المتدرجة المكسوة
بالغابات ، هي اقليم كيلان الصغير الذي سماه العرب الجيل أو جيلان ، وفيه ثلاث
نواح^(١) *

واراضى الدلتا الرسوبية هي التي اطلق عليها البلدانون العرب اسم الجيل
أو جيلان بوجه خاص * وهم اذا أرادوا الاشارة الى الاقليم باجمعه ، أطلقوا عليه

(١) انظر كيلان في الخارطة رقم ٥ في اول الفصل القادم *

اسما بصيغة الجمع فقالوا جيلانات « كيلانات » • وقد يشمل هذا الاسم أيضا الاصقاع الجبلية • وفي جنوب هذا الاقليم وغربه ، مما يحاذي جبال ناحيتي الطالقان وتارم من اقليم الجبال ، كانت بلاد الديلم ، وقد جاء اسمها بصيغة الجمع فقيل الديلمان • واشتهرت هذه البلاد في التاريخ بكونها موطن بنى بويه أى الديلمة • فقد كان رؤساؤهم فى المئة الرابعة (العاشرة) سادة بغداد وذوى النفوذ على الخلافة فى أكثر تلك الحقبة • اما الشقة الساحلية الضيقة والمنحدرات الجبلية الممتدة شمالا من جنوب غربى بحر قزوين والمواجهة من شرقها ذلك البحر فهى بلاد طالش وقد ذكر ياقوت هذا الاسم بصيغة الجمع فقال طالشان أو طلشان • والى الشرق ، على حدود طبرستان ، جبال روبنج ، ويلها الناحية الجبلية العائدة الى اسرة قارن العظيمة وكان رؤساؤها منذ أزمنة غير معروفة سادة هذه البقاع الفسيحة على ما سنبينه أيضا فى الفصل السادس والعشرين •

وحين كتب المقدسى كتابه فى المئة الرابعة (العاشرة) ، وهو الوقت الذى بلغت فيه سيادة البويهيين ذروتها ، كانت جميع جيلان وأقاليم الجبل التى فى شرقها المحاذية لبحر قزوين ، وهى طبرستان وجرجان وقومس ، فى ضمن اقليم الديلم • ثم صار ينظر الى هذه الاقاليم الشرقية فى الازمنة المتأخرة كأنها مستقلة عنه • وبعد ذلك بطل استعمال اسم الديلم نفسه فى الغالب • وانتقل اسم المناقع فى دلتا سفيدرود الى جميع الجهات المجاورة فعرفت باقليم جيلان • على ان جيلان ، بوجه اصح ، لم تكن غير البقاع الساحلية بينما الديلم كان الصقع الجبل المطل عليها • وجرى اطلاق احد هذين الاسمين فى بعض الاحيان على جميع الاقليم الذى يكتنف جنوب غربى بحر قزوين (٢) •

وكانت قصبة بلاد الديلم تسمى ، على ما يقال ، رودبار • الا ان موضعها غير معروف • اما المقدسى فقد قال ان « قصبة الديلم : بروان » • ومما يؤسف له ان لا أثر لها اليوم ، ولم تذكر كتب المسالك موضعها الحقيقى • وزاد المقدسى

(٢) الاصطخرى ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦ ؛ ابن حوقل ٢٦٧ و ٢٦٨ ؛ المقدسى ٣٥٣ ياقوت ١ : ١٧٤ و ٨١٢ : ٢ : ١٧٩ و ٧١١ : ٣ : ٥٧١ ؛ المستوفى ١٤٧ و ١٩١ ؛ ابو الفداء ٤٢٦ •
اسم طالش يكتب اما بالتاء او بالطاء • وبالجمع تالشان أو طالشان • وذكره المستوفى أيضا طوالش •

على ذلك قوله انه لم يكن فى بروان « منازل رشيقة انيقة ولا أسواقها بالواسعة عطيفة ولا جوامع ... » وحيث مستقر السلطان يسمى شهرستان « • وقد كان فيها تجار من أهل الثراء فكثير خيرها • وذكر المقدسى ان « دولاب : قصبة الجبل » وقال فيها : « بلد طيب ، بناؤهم من جص وحجر ، وسوق حسن » والجامع وسط السوق • وعلى ما فى ابى الفداء ان « دولاب تسمى كسكر » • ولم ينته الناشر عن مسالك هذه البلاد غير ما ذكره المقدسى من ان دولاب على اربع مراحل من بيلمان ، وهى قرية على ما جاء فى ابى الفداء • والظاهر انها كانت من أهم المواضع فى بلاد طالش • وعلى مرحلتين من سفيدرود واربعة مراحل من بيلمان ، مدينة خشم وهى مدينة الداعى (العلوى) فى النصف الاخير من المئة الثالثة (التاسعة) وكان يحكم هذه الانحاء حكم السلطان المستقل وخلع الطاعة للخليفة • ووصف المقدسى خشم فقال « لها سوق عامر وعلى طرف الاسواق جامع ثم دار الامير • والنهر منها على جانب عليه جسر هائل » • ويحسن ان نبين ان مواضع هذه المدن القديمة غير متحقق منها^(٣) •

وكانت أكبر مدن كيلان فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) على ما فى المستوفى : لاهجان وفومن • وذكر ابو الفداء لاهجان أيضا وقال انها فى شرق مصب سفيدرود • وكانت حينذاك مدينة وسطية يجلب الحرير منها وينمو فى ناحيتها الرز والقمح والارنج والارنج وغير ذلك من فواكه المنطقة الحارة • وكوتم أو كوتم وهى أقرب الى قم سفيدرود ، كانت ميناء تقصدها السفن من سائر انحاء بحر قزوين • ذكرها ياقوت وابو الفداء • وكانت مدينة تجارية كبيرة فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • وقال ابو الفداء « انها ناقلة عن البحر (بحر قزوين) مسيرة يوم • وفومن ، وناحيتها داخلية أكثر من كوتم ، فى غرب نهر سفيدرود • وكانت أكبر مدن القسم الجبل فى بلاد الديلم • وذكر المستوفى انها مدينة كبيرة فى بقعة خصبة يكثر فيها القمح والرز والحرير وهو ينسج فيها أيضا •

(٣) الاصلطخرى ٢٠٤ و ٢٠٥ : المقدسى ٣٥٥ و ٣٦٠ و ٣٧٣ : ابو الفداء ٤٢٩ (طبع فيه خطأ اسم بيلمان بصورة بيمان) : ياقوت ٢ : ٨٣١ • وللوقوف على اسرة الداعى العلوى (الحسينية) انظر : G. Melgunof, Das südliche Ufer des Caspischen Meeres, P. 53.

والمستوفى من أقدم مراجعنا التى وصفت رشت ، وهى الآن قصبة كيلان والظاهر ان بلدانى العرب لم يتكلموا عليها بل لم يذكروا اسمها . فلقد أشار المستوفى الى ان هواءها شديد الحر عفن . ويكثر فيها القطن والحرير ومنها يحملان الى سائر الانحاء . وكانت هذه المدينة فى أيامه موضعا على شىء من السعة والشأن . وفى غربى رشت اليوم بكورة تولم . ووردت تولم فى المستوفى اسما لمدينة ذات شأن فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) . وعلى ما فى ابى الفداء ، كانت تولم اولى مدن القسم السهل فى جيلان . ونواحيها ذات خيرات فيها القمح والقطن والرز والتارنج والاترنج والليمون . وشفت ، أو شفته ، ذكرها المستوفى اسما للمدينة ولم يبق اليوم من هاتين التسميتين غير ناحية تعرف بشفت وهى فى جنوب رشت . وأخيرا ذكر المستوفى من مدن كيلان : اصفهد وهى مدينة صغيرة كتبها ياقوت اصبهذان . وزاد على ذلك فقال « بينها وبين البحر (قزوين) ميلان » . ولم يشر الى موضعها . وفيها القمح والرز وبعض الفاكهة . وفى ناحيتها نحو مئة قرية^(٤) . وقد اشتق اسم المدينة ، من الاصبهذان وكانوا ملوكا لهذه البلاد خاضعين للساسانيين اعتنقوا الاسلام ظاهرا وظلوا امراء فى طبرستان فى صدر الخلافة^(٥) .

موغان

موغان ومفكان أو موقان^(٦) اسم يطلق على سهل عظيم فيه مناطق يمتد من جبل سبلان حتى ساحل بحر قزوين الشرقى . وهذه البلاد فى جنوب مصب نهر ارس وشمال جبال طالش . وكانت تعد أحيانا من اقليم اذربيجان ولكنها فى الغالب كانت تؤلف اقليما بنفسه .

وقصبة موغان فى المثة الرابعة (العاشرة) مدينة موغان ، ويصعب تعيين موضعها . ذكر المقدسى مدينة موغان فقال انها « مدينة قد احاط بها نهران وحولها حدائق حسان كأنها فى رحبها جنسان هى مع تبريز روضتان » . ومن وصفه

(٤) الكلام على هذه الغلات منقول من المستوفى (ص ١٦٢) (م) .

(٥) ياقوت ١ : ٢٩٨ ؛ ٤ : ٣١٦ ؛ ابو الفداء ٤٢٦ و ٤٢٩ ؛ المستوفى ١٩١ و ١٩٢ ؛ جهان نما

٣٤٣ و ٣٤٤ .

(٦) لمعرفة موغان واقليم التخم الشمالى الغربية انظر الخارطة رقم ٣ ص ١١٤ .

لا يستبعد ان تكون مدينة موغان هذه مطابقة لباجروان التي عدّها المستوفى قصبة الاقليم في القديم وكانت في أيامه قد آلت الى الخراب . وفي وصفه للمسالك عين موضع باجروان على اربعة فراسخ شمال برزند ، وهذا الاسم ما زال يرى في الخارطة . وفي الروايات الاسلامية ان عند باجروان « عين الحياة التي وجدها الخضر عليه السلام » وهو النبي الياس . والى جنوب باجروان ، على ما بينا ، برزند وقد وصفها ابن حوقل بانها مدينة كبيرة . وأشاد المقدسي بأسواقها التي تأتي اليها السلع من الانحاء المجاورة لها وتحمل الى سائر الانحاء ، فهي موئل التجارة في هذه البلاد . وأشار المستوفى الى ان كلاً من باجروان وبرزند كان قرية في أيامه . وهواء نواحيها حار ويكثر فيها القمح^(٧) .

وذكر المستوفى ثلاث مدن في سهل موغان ، هي : بيلسوار ومحمود اباد وهمشرة . وبيلسوار كانت على نهر ينحدر من باجروان على مسافة ثمانية فراسخ من باجروان ويقال انها سميت بذلك نسبة الى الامير ييله سوار الذي ولّاه بنو بويه عليها ومعنى اسمه « الفارس أو الجندي الصنيد » . ومحمود اباد في مفازة كاوباري قرب بحر قزوين وكانت على اثني عشر فرسخا مما يلي بيلسوار . ذكر المستوفى ان بانيها غازان خان المغولي وكانت همشرة المجاورة لها على فرسخين من الساحل وتعرف في الاصل باسم ابرشهر أو بوشهرة وقد أسسها ، على ما في المستوفى ، فرهاد بن كودرز « ويزعمون انه نبوخذ نصر » . وكان في الازمنة القديمة في شمال باجروان : بلدة بلخاب قيل انها « قرية آهلة فيها رباطات وفنادق للسيل تنزلها السيارة » . ووراء هذه المرحلة في الطريق الشمالى على ضفة نهر الرس الجنوبية مدينة ورثان . وهى عند المعبر المؤدى الى بلاد الران . وكانت ورثان في المئة الرابعة (العاشرة) مدينة عليها سور وبها أسواق عامرة ولها ربض خارج السور . وكانت آهلة وهى في سهلة عامرة على فرسخين من ضفة النهر ومسجدها الجامع في الربض . ويقال ان ورثان بنيت بأمر زبيدة زوجة هرون الرشيد^(٨) .

(٧) ابن حوقل ٢٥١ : المقدسي ٣٧٦ و ٣٧٨ : ياقوت ١ : ٤٥٤ و ٥٦٢ : ٤ : ٦٨٦ : المستوفى

١٥٩ و ١٦٠ و ١٦٨ : جهان نما ٣٩٢ .

(٨) ابن حوقل ٢٥١ : المقدسي ٣٧٦ : ياقوت ٤ : ٩١٩ : المستوفى ٢٦٠ و ٢٩٨ : جهان نما

أَرَّان (الران) ^(٩)

أما اقليم الران وشروان وجورجيا ^(١٠) وارمينية ، وهى فى جملتها شمال نهر ارس ، فقد كان يصعب عدها من ديار الاسلام . ولهذا لم يتبسط البلدانون العرب فى وصفها . لقد أقام المسلمون فيها منذ صدر الاسلام وولى الخلفاء عليها عمالهم فى أوقات مختلفة ، غير ان اغلب أهلها بقوا على نصرانيتهم حتى اوشكت العصور الوسطى ان تنتهى ، وما زالت هذه البلاد على ذلك حتى حلّ فيها المسلمون ثانية عقب الفتح المغولى ، ولاسيما بعد الحروب الكثيرة التى شنها تيمور على جورجيا فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، اذ استقرّ فيها الترك فصار الاسلام الدين السائد فيها .

واقليم الران فى الثلث العظيم غرب اقتران سيرس واراكسس - وهما نهرا الكر والرس - فهو اقليم « بين النهرين » على ما سماه به المستوفى . وكتب البلدانون العرب القدماء هذا الاسم بصورة الران (ونطقوا به أرَّان) وما ذلك الا ليجعلوا منه اسما عربيا . وكانت قصبة هذا الاقليم فى المئة الرابعة (العاشرة) برذعة - وما زالت خرائبها باقية . ووصف ابن حوقل مدينة برذعة - وكتب بعدئذ بصورة برذعة - فى المئة الرابعة (العاشرة) بانها نحو فرسخ طولاً فى أقل منه عرضاً وكانت أكبر مدن هذه الديار مربعة الشكل لها قلعة وهى من نهر الكر على نحو ثلاثة فراسخ على ضفة احد روافده المعروف بالثرثور . وقربها فى نهر الكر السمك المعروف بالسرمهى (وشورماهى بالفارسية تعنى السمك المملح) ويحمل منها الى سائر البلاد ويكون من هذا السمك أيضا فى نهر الرس بورثان . « وكان من برذعة على أقل من فرسخ ، ناحية بموضع يدعى الاندراب ، وأقطاره أكثر من مسيرة يوم فى مثله ، مشبكة البساتين والعمارات ، طيبة المنتزهات

(٩) فى المراجع المختلفة تسميتان متشابهتان وهما « الران » و « اران » . ويلاحظ ان بعض البلدانين كابن حوقل والمقدسى وابى الفداء استعملوا تسمية « الران » فى كلامهم على هذا الاقليم . اما ياقوت فقد أشار اليهما (٢ : ٧٣٩) قائلا « الذى عندى ان الران وأران واحد ، وهى ولاية واسعة من نواحي ارمينية » .

اما المستوفى فقد ذكر هذا الاقليم بصورة « أرَّان » (م) .

(١٠) سماها العرب بلاد الكرج . (م) .

والباغات ، ولها فواكه كثيرة ، وتشتمل اجنتها على البندق والشاه بلوط وبها تين ، ويربى فيها دود القز .

وفى ظاهر برذعة عند باب الاكراد ، سوق يجتمع فيها الناس كل يوم أحد ، مقدارها فرسخ ، تعرف بسوق الكركى (من قرياقوس (Kuriakos) اليونانى وتعنى « يوم الرب ») . ويسمون يوم الاحد هناك يوم الكركى . وفى برذعة مسجد جامع حسن فسيح يرتفع سقفه على اساطين خشب وحيطانه من الآجر مكسوة بزخارف الجص . وفيها حمامات كثيرة . وكان بيت مال الاقليم فى أيام بنى أمية فى برذعة . وفى المئة السابعة (الثالثة عشرة) كانت برذعة حين كتب ياقوت قد استولى الخراب عليها اما المستوفى فقد ذكر فى القرن التالى انها مدينة كبيرة على نهر الثرثور . وعند المعبر الذى على نهر الكر ، ولعله اسفل من اقتران الثرثور به على ثمانية عشر فرسخا أى مسيرة يوم واحد فى الطريق من برذعة الى شماخي فى شروان ، مدينة برزنج ، ويقصدها التجار وتحمل السلع الكثيرة اليها ومنها^(١١) .

واضحت مدينة اليلقان وتعرف بالارمنية باسم فيداكران (Phaidagaran) قصبة الران بعد خراب برذعة . ومعالم هذه المدينة ، وان زالت الآن على ما يبدو ، الا ان كتب المسالك العربية قد عرفتنا بموضعها تقريبا . واليلقان على أربعة عشر فرسخا من جنوب برذعة ، وعلى سبعة أو تسعة فراسخ من شمال الرس فى الطريق الصاعد من برزند . وقد كانت موضعا عظيما حتى المئة التاسعة (الخامسة عشرة) . وصفها ابن حوقل فى المئة الرابعة (العاشرة) بانها « مدينة طيبة كثيرة المياه والاجنة والاشجار والطواحين الواسعة على انهارها » . « وبها ناطف^(١٢) موصوف » . وفى سنة ٦١٧ (١٢٢٠) « قصدها التتر ورأوا حصانة سورها ، أرادوا خرابه بالمنجنيق ، فما وجدوا حجرا يرمى به الحائط ورأوا أشجارا من الدلب عظاما قطعوها بالمنشير وتركها قطاعها فى المنجنيق ورموا بها السور حتى خربوا سورها ونهبوا ... ثم احرقوها . فلما انفصلوا عنها تراجع اليها قوم كانوا هربوا

(١١) الاصطخرى ١٨٢ و ١٨٣ و ١٨٧ و ١٨٨ : ابن حوقل ٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٤ و ٢٥١ ؛ المقدسى ٣٧٤ و ٣٧٥ ؛ ياقوت ١ : ٥٥٨ و ٥٦٢ ؛ المستوفى ١٦٠ : القزوينى ٢ : ٣٤٤ .
(١٢) الناطف : ضرب من الحلواء . (م) .

عنها وهى الآن متماسكة *** وعادت الى عمارتها * وفى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، حاصرها تيمور واستولى عليها * ثم أمر باعادة بنائها وحفر نهرٌ حمل اليه الماء من نهر ارس كان طوله ستة فراسخ وعرضه خمس عشرة ذراعا ومنه كان ماء المدينة الجديدة * وكان يقال لهذا النهر برلاسى نسبة الى برلاس قبيلة تيمور *

وجاء ذكر مدينتين آخرين فى الران الى شمال غربى برذعة فى طريق تفليس * أولاهما مدينة كنجة (والاشهر فى تسميتها اليوم اليزايت بول Elizabetpol) وقد كتبها البلدانون العرب بصورة جنزة وسمى القزوينى نهرها باسم قردقاس * والى شمالها الغربى شمكور وخرائبها ما زالت موجودة * وكانت هذه المدينة تعرف فى المئة الثالثة (التاسعة) بالمتوكلية لان الخليفة المتوكل احدثها فى سنة ٢٤٠ (٨٥٤) (١٣) *

والنهران اللذان يحدان اقليم الران المعروفان لدى اليونان باسم اراكسس وسيرس ، سماهما العرب بنهر الرس (أو ارس) ونهر الكر (أو كر) * وينبع نهر ارس فى بلاد قاليقلا فى غربى ارمينية * وبعد ان يجرى بمحاذاة حدود اذربيجان الشمالية يلتقى بنهر كر (على ما ذكر المستوفى) فى بلاد قراباغ فى شرقى الران * ومخرج نهر الكر فى الجبال غرب تفليس ببلاد جورجيا ، أى فى بلاد الخزر التى تتألف من ولايتى أبخاز واللان * وبعد أن يمر نهر الكر بتفليس ينحدر الى شمكور وفيها ، على ما ذكر المستوفى ، يتفرع منه نهر يصب فى بحيرة شمكور العظيمة وبعد ان يلتقى الكر بنهر ارس على بعد قليل أسفل من برذعة يصب فى بحر قزوين بولاية كشتاسفى (١٤) *

(١٣) ليس فى الخارطة العسكرية الروسية اثر لخرائب البيلقان *
ابن خرداذبه ١٢٢ ؛ قدامة ٢١٣ ؛ الاصطخرى ١٨٧ و ١٨٩ ؛ ابن حوقل ٢٤٤ و ٢٥١ ؛ المقدسى ٣٧٦ ؛ ياقوت ١ ؛ ٧٩٧ ؛ ٣ ؛ ٣٢٢ ؛ القزوينى ٢ ؛ ٣٤٥ و ٣٥١ ؛ على اليزدى ٢ ؛ ٥٤٣ و ٥٤٥ *
المستوفى ١٦٠ *
(١٤) جاء فى جهان نما (٣٩٦ و ٣٩٧) وصف طويل لنهر ارس والكر مع روافدهما المختلف *
وفيهذا الوصف فى تصحيح المستوفى وفى توضيح حروب تيمور فى جورجيا ، وان كانت مواضع كثير من هذه المدن غير معروفة *
الاصطخرى ١٨٩ ؛ ابن حوقل ٢٤٦ ؛ المقدسى ٣٧٩ ؛ القزوينى ١ ؛ ١٨٤ و ٢ ؛ ٣٣١ ؛
المستوفى ٢١٣ و ٢١٥ *

شروان

وفى ما يلى نهر الكر على بحر قزوين ، حيث تفنى جبال القفقاس فيه ، اقليم شروان وقصبته الشماخية وهى اليوم شماخي أو شماخي . وفى المثة الرابعة (العاشرة) وصف المقدسى هذه المدينة بقوله « الشماخية على أسفل جبل ، بنيانهم حجارة وجص ولها ماء جار وبساتين ونزعة . وكان ولائها ، وهم خواقين الولاية ، يلقبون بشروان شاه . ويكثر فيها القمح » . وبالقرب منها ، بحسب الروايات الاسلامية ، على ما قال المستوفى ، صخرة موسى (وقد أشار اليها القرآن فى السورة ١٨ الآية ٦٢) وعين الحياة على ما قد بينا فى باجروان . وذكر المقدسى وغيره من المؤلفين مدينتين أخريين فى اقليم شروان لم يعين موضعهما ، هما شابران و « الغلبة فيها للنصارى » وهى على ما يقال على عشرين فرسخا من دربند . وشروان وهى « فى سهلة والجامع فى الاسواق » على مسيرة ثلاثة أيام من شماخي قصبة الاقليم فى طريق دربند .

وكان فى اقصى شمالى بلاد شروان ، باب الابواب وهى تسمية العرب لدربند أجل موانئ بحر قزوين . وفى ابن حوقل ان المدينة كانت فى المثة الرابعة (العاشرة) أكبر من اردبيل التى كانت قصبة اذربيجان « فى وسطها مرسى للسفن . وفى هذا المرسى الخارج من البحر اليها بناء قد بني كالسد بين جبلين مطلين على هذا المرسى الخارج مأوّه من بحر الخزر . وفى هذا السد باب مغلق على الماء قد استحکم من وصيده بعقد قد عقد على الماء نفسه والماء من تحته وعلى فم المدخل الذى تدخل فيه السفن ، سلسلة ممدودة وعليها قفل لمن ينظر فى أمر البحر فلا يخرج المركب ولا يدخل الا بأمر صاحب القفل . والسد من صخر ورصاص وهذه المدينة عليها سور منيع من حجارة » (١٥) . وفيه بابان : الباب الكبير والباب الصغير غير الباب الثالث المارّ الذكر وهو نحو البحر . وعلى الاسوار أبرجة (١٦) . وتصنع فى دربند ثياب الكتان تجلب منها الى سائر البلاد . وبها زعفران كثير .

(١٥) هذا النص من ابن حوقل (٢ : ٣٣٩) (م) .

(١٦) هذا القول للمقدسى (ص ٣٧٦) (م) .

وفى سوق باب الابواب مسجد جامع • فقد كانت ثغرا من ثغور الاسلام لان اهل الكفر كانوا يحيطون بها من كل جانب فى أول العهد • واسهب ياقوت فى ذكر الامم التى فى أعلى جبال القفقاس وهضابها فى ناحية الغرب فان فيها على ما قال « نيفا وسبعين أمة ، لكل أمة لغة لا يعرفها مجاورهم » • وأول تلك الامم الخزر واليهيم نسب بحر قزوين فعرف ببحر الخزر • ووصف ياقوت السور العظيم الذى على المدينة وكان يمتد من دربند حتى الغرب ليصد عنها شر الاعداء ويقال انه من بناء انوشروان ملك فارس فى المئة السادسة للميلاد • ونهر السمر (١٧) وهو يصب فى بحر قزوين على شىء يسير من جنوب دربند قد ذكره المقدسى باسم نهر الملك ، وكان على نهر السمر جسر ، بينه وبين الدربند عشرون فرسخا ، وكان على الطريق الماد من شماخي •

وميناء باكوه أو باكويه (باكو الحالية) فى جنوب دربند وقد اشار الاصطخرى الى نفلها • وتبسط ياقوت وغيره فى الكلام على هذا النفط • قال ياقوت : فيها « عين نفط عظيمة تبلغ قبالتها فى كل يوم الف درهم (٤٠ باونا) • والى جانبها عين أخرى تسيل بنفط ابيض لا تنقطع ليلا ولا نهارا • • • • • وهناك ارض لا تزال تضطرم نارا » • وتكلم المستوفى على قلعة باكويه التى كانت نطل على المدينة فتتشر عليها ظلها فى وسط النهار • والى جنوب باكو ولاية كشتاسفي قرب فم نهر الكر وسقيها من نهر يحمل منه • ويكثر فيها القمح والقطن • وأخيرا كان فى الجبال القريبة من دربند قلعة يقال لها قَبَسَلَة وجامعها « ناء على تل » على ما فى المقدسى • وقد ورد ذكر قبله غير مرة فى حروب تيمور • وزاد المستوفى انه يكثر فيها الحرير والقمح (١٨) •

(١٧) ورد ذكره بهذا الاسم فى البلاذرى (ص ٢٠٦ و ٢٠٨) • (م) •

(١٨) الاصطخرى ١٨٤ و ١٩٠ : ابن حوقل ٢٤١ و ٢٥١ : المقدسى ٣٧٦ و ٣٧٩ و ٣٨١ : ياقوت ١ : ٤٣٧ و ٤٧٧ : ٣ : ٢٢٥ و ٢٨٢ و ٣١٧ : ٤ : ٣٢ : المستوفى ١٥٩ - ١٦١ : القزوينى ٣ : ٣٨٩ : على البيزدى ١ : ٤٠٦ •

كرجستان

وكرجستان ، هى التى نسميها جورجيا الآن ، وابخاز ويقال لها ابخازية ، لم تدخل فى عداد الولايات الاسلامية الا بعد ان فتح تيمور هذه النواحي فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • وتفليس قسبة كرجستان وهى فى أعلى نهر الكر وقد عرفها البلدانون مع ذلك فى المئة الرابعة (العاشرة) فوصفها ابن حوقل بقوله : « عليها سوران وهى حصينة لها ثلاثة أبواب ، وبها حمامات مأوها سخين من غير نار ، وهى خصبة كثيرة الخيرات » • ويخرق المدينة نهر الكر ، وهى جانبان بجسر على ما فى المقدسى •

اما اقليم ابخاس أو ابخاز المجاور لها فكان ، على ما فى المقدسى ، يعد من جبل القبق أى القوقاس • وفيه قرية يونس وبها مسلمون وحولها قبائل من الكرج (أهل جورجيا) واللان وغيرهم • وتنحدر من جبل ألبرز انهار كثيرة على ما ذكر المستوفى الذى زاد على ذلك ان قرص من المدن الكبيرة بجورجيا^(١٩) •

أرمينية

كانت ارمينية الكبرى تنقسم الى ارمينية الداخلة وارمينية الخارجة وهى وان كان اكثر اهلها نصارى ، الا ان خضوعها لحكم المسلمين كان منذ زمن بعيد • وفى هذه البلاد جبال عظيمة تمتد بين بحيرة وان وبحيرة گوگجة • ومن هذه الجبال مخرج نهر ارس ورافدى الفرات • وكانت قسبة ارمينية الاسلامية فى الازمنة الاولى ديل ، وتسمى ايضا دوين أو توين ، وتدل عليها الآن قرية صغيرة فى جنوب اريفان أو اريوان قرب نهر ارس • وكانت ديل فى المئة الرابعة (العاشرة) أكبر من اردبيل وهى اجل ناحية وبلدة بارمينية الداخلة ، وعليها

(١٩) الاصطخرى ١٨٥ ؛ ابن حوقل ٢٤٢ ؛ المقدسى ٣٧٥ - ٣٧٧ ؛ المستوفى ١٦٦ و ٢٠٢ ؛

ياقوت ١ : ٧٨ و ٣٥٠ و ٨٥٧ •

كتب المستوفى جبال البرز بصيغة الجمع وأراد بذلك سلسلة الجبال • على انه اطلق هذه اللفظة دون تدقيق ، اذ ان قسما من هذه السلسلة هو جبل القوقاس • ويلفظ اليوم البرز بصورة البرز أو البروز [بكسر الهمزة فى كليهما] وهو اسم أعلى قمة فى القوقاس • وفى فارس يطلق اسم البرز اليوم على سلسلة جبال كبيرة (وأعلى قمة فيها دماوند) فى شمال طهران •

سور له ثلاثة أبواب^(٢٠) ، وجامعها الى جنب البيعة ، ويطلّ جبل اراراط بقمته على ديبيل وهى فى جنوبه وراء نهر الرس . وقد اشرنا (ص ١٢٣) الى ان الروايات الاسلامية تقول ان جبل الجودى فى الجزيرة هو الجبل الذى استوت عليه سفينة نوح . ويقال لأرارات فى ارمينية جبل الحارث (اما ان يكون الاسم مشتقا من الحرث واما ان الحارث كان علما لرجل فيما قبل الاسلام حلّ فى هذه الديار) . وكانت قمة اراراط الصغرى تسمى الحويرث (تصغير الحارث) ، وقال الاصطخرى ان الثلوج على هذين الجبلين دائمة ولا يُرتقى الى اعلاهما من الارتفاع وصعوبة المسلك . ومحتطب اهل ديبيل ومتصيدهم فى هذه الجبال . وزاد المقدسى على ذلك انه كان بين شعاب هذه الجبال « ألف مدينة » . « ويرتفع (فى ديبيل) ثياب مرعزي وصوف مصبوغ بالقرمز وهو صبغ احمر اصله من دود كدود القز » . ووصف المقدسى فى المئة الرابعة (العاشرة) بلد ديبيل فقال : « الاكراد به الا از الغالب عليه النصارى . ذات ربض عتيق قد حفّ به البساتين » . وآنى ، وهى قصبة ارمينية النصرانية قديما ، وقد استولى عليها الب ارسلان السجلوقى وأمر بنهبها سنة ٤٥٦ (١٠٦٤) قد قال فيها المستوفى ، انها بلد فى الجبال تكثر فيه الفواكه . وعلى بعد يسير من شمال شرقى ديبيل بحيرة عذبة المياه سماها علي اليزدى كوكجة تنكين (البحيرة الزرقاء) . ويبدو انه لم يطلق عليها هذا الاسم من المصنفين المسلمين الاوائل غير المستوفى^(٢١) .

وبحيرة وان أو ارجيش ، على ما سماها به المصنفون الاولون ، كانت ولا مرأء اشهر بحيرات ارمينية . فقد كان على شطآنها مدينة اخلاط وارجيش ووان ووسطان وقد وصفها الاصطخرى ، وطولها عشرون فرسخا يخرج منها سمك صفار يعرف بالطرخ (وهو ضرب من الشبوط ما زال يصاد فيها بوفرة) فيملح ويحمل الى كثير من الاقطار كالموصل ونواحي الجزيرة بل الى اقصى بلاد خراسان . فقد ذكر ياقوت فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) انه ابتاع فى بلخ شيئا

(٢٠) فى المقدسى (ص : ٣٧٧) ان للسور أبوابا عدة ذكر منها ثلاثة فقط . (م) .
(٢١) الاصطخرى ١٨٨ و ١٨٩ : ابن حوقل ٢٤٤ : المقدسى ٣٧٤ و ٣٧٧ و ٣٨٠ : ياقوت ٢ : ١٨٣ و ٥٤٩ : المستوفى ١٢٦ و ١٦١ و ١٦٤ : على اليزدى ١ : ٤١٤ و ٤١٥ : ٢ : ٣٧٨ : ابن الاثير ١٠ : ٢٥ .

من هذا السمك المملح • وماء البحيرة ملح مر • وكانت اخلاط أو خلاط وهي في طرف البحيرة الغربى من اجل مدن ارمينية ، وصفها المستوفى (٢٢) بانها مدينة في سهلة تحف بها البساتين وعليها حصن ، والجامع في الاسواق ، والبرد فيها قارس في الشتاء ، وهي آهلة جدا • والنهر يخرقها ويصل جانبيها جسر • ونوه المستوفى بالبساتين المجاورة لها • ويطل على اخلاط الجبل العظيم المسمى كوه سيان وكان على ما في المستوفى يرى من بعد خمسين فرسخا ولا تفارق الثلوج قمته •

وارجيش ، وهي على الساحل الشمالى للبحيرة ، وكثيرا ما عرفت البحيرة باسمها ، كانت على ما ذكر المستوفى قد احكم تحصينها الوزير علي شاه بامر غازان خان في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • ويكثر القمح في نواحيها ، وتبعد عنها من شرقها مدينة بارگيري أو بهرگري قرب بندماهى (سد السمك) وهي على الطريق من ارجيش الى خوي في اذربيجان • ذكر المستوفى ان فيها قلعة حصينة في رأس الجبل • وكان نهرها ينحدر من مروج ألاطاق حيث ابنتى ارغون الايلخانى قصرا عظيما يصطاف فيه في وسط حير للصيد عليه سور • ومدينة وان وقد عرفت البحيرة بها اليوم ، قرب شاطئها الشرقى ، ولم ينته الينا وصف لها • وكانت قلعة وسطام أو وسطان في ساحل البحيرة الجنوبى وقد تكلم عليها المستوفى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وقال ان بالقرب منها مدينة كبيرة • وأخيرا كان في جنوب غربى بحيرة وان مدينة بدليس (بتلس) • وصفها المقدسى بانها « في واد عميق يجرى فيه نهران في المدينة يجتمعان وهي جانبان فيها قلعة من حجارة » • وعلى ما جاء في ياقوت ان « تفاحها يضرب به المثل في الجودة والكثرة والرخص ويحمل الى بلدان كثيرة » (٢٣) •

وكانت حاصلات وتجارات هذه الاقاليم الشمالية قليلة • فكان يصنع فيها اصناف من الثياب المصبوغة بالقرمز واصله من دود يربى على شجر البلوط الذى يكثر في انحاء اذربيجان • والى القرمز ينسب الحرير القرمزى (Cramoisie)

(٢٢) هذا الوصف في الاصل للمقدسى (ص ٣٧٧) وعنه نقل المستوفى • (م) •
(٢٣) الاصطخرى ١٨٨ و ١٩٠ ؛ ابن حوقل ٢٤٥ و ٢٤٨ ؛ المقدسى ٣٧٧ ؛ ياقوت ١ : ٥٢٦ ؛
٢ : ٤٥٧ ؛ القزوينى ٢ : ٣٥٢ ؛ المستوفى ١٦٤ و ١٦٥ و ٢٠٥ و ٢٢٦ ؛ جهان نما ٤١١ و ٤١٢ ؛
على اليزدى ١ : ٦٨٥ و ٦٨٨ •

ومنه جاءت اللفظتان (Crimson) و (Carmine) (٢٤) • ووصف ابن حوقل
والمقدسى القرمز فقال الاول : « اصله من دود ينسج على نفسه كدودة القز اذا
نسجت على نفسها القز » • وقال المقدسى ان القرمز « دودة تظهر فى الارض
وتخرج اليها النسوان ينقرنها بنحاسة معهن ثم يجعلنها فى فرن » • ويصنع به
المرعزي والحريز والصوف وكان هذا الصبغ معروفا فى كل مكان • ومما اشتهرت
به ارمينية ايضا : « الاثماط والتكك الرفيعة والبسط والمحضوريات والوسائد
والستور • وكذلك التين والشاء بلوط وسمك يقال له الطريخ من بحيرة وان
— على ما اشرنا اليه — وكل ما يعرف من عملهم هذا لا نظير له فى شىء من
الارض » • وكانت تجلب منها هذه السلع وتحمل كلها من ديبيل • وكان يحمل
الابريس من برذعة ومن سائر النواحي المجاورة • ومن باب الابواب تحمل
البغال الجياد • وأخيرا يقع الى هذا الميناء الذى يقال له الدربند رقيق كثير من
سائر البلدان الشمالية المصاغة له (٢٥) •

(٢٤) جاء فى تاج العروس (٤ : ٦٩) :

« القرمز بالكسر هو صبغ ارمنى احمر يقال انه يكون من عصارة دود يكون فى اجامهم •
فارسى معرب وقيل هو احمر كالعس مجبب يقع على نوع من البلوط فى شهر آذار فان غفل عنه
ولم يجمع صار طائرا وطار • وهذا الحب منه شىء يسمى القرمز من خاصيته صبغ ما كان حيوانيا
كالصوف والقز دون القطن » • (م) •

(٢٥) ابن حوقل ٢٤٤ : المقدسى ٣٨٠ و ٣٨١ •

الفصل الثالث عشر

الجبـال

اقليم الجبال اى عراق العجم ، ونواحيه الاربع - قرميسين اى كرمان شاهان - بهستون
ومنحوتاتها - كنگور - الدينور - شهرزور - حلوان - طريق خراسان العظيم -
كرند - كردستان فى عهد السلاجقة - بهار - ججمال - الانى
واليشتر - همدان ورسايقها - دركزين - خرقانين
واؤه الشمالية - نهاوند - كرج روذراور
وكرج ابى دلف - فراهان •

ان البلاد الجبلية الواسعة التى سماها اليونان ميديا (ماذي Media) الممتدة
من سهول العراق والجزيرة فى الغرب الى مفازة فارس الملحية الكبرى فى الشرق،
قد سماها البلدان يون العرب اقليم الجبال • ثم بطل استعمال هذا الاسم ، وصار
الاقليم ايام ملوك السلجوقية فى المئة السادسة (الثانية عشرة) يعرف غلطا بعراق
العجم • وقد سمي بذلك تميزا له عن عراق العرب ، وهو ما يعرف به القسم
الاسفل من ما بين النهرين ^(١) •

وقد حصل هذا التغير فى اسم هذا الاقليم على الوجه الآتى حسبما يظهر :

(١) اطلق العرب بالاصل اسم « عجم » و « اعجمى » على الاجنبى ، اى من لم يكن عربيا كاستعمال
اليونان للفظه بربرى • وبما ان الفرس كانوا اول اجانب صارت للعرب علاقة بهم ، اصبحت عجم
واعجمى مختصة بالاجانب من الفرس ، وهى تقابل الآن فى الاستعمال لفظة فارسي • وجبال بالعربية
جمع جبل • وقد استعمل ابو الفداء (ص ٤٠٨) « بلاد الجبل » فقال « ذكر بلاد الجبل وهى عراق
العجم » •

العراق ، على ما قد بينا (الفصل الثاني ص ٤٢ الحاشية ١) ، اسم أطلقه المسلمون على النصف الاسفل لما بين النهرين ، كما أطلق العرب هذا الاسم بصيغة المثنى على المدينتين الكبيرتين : الكوفة والبصرة فقالوا « العراقيين » أى « عاصمتي العراق » . وكانت هذه التسمية هى التسمية القديمة الوارد ذكرها فى الادب العربى . غير ان السلاجقة ، وقد تولوا حكم بلاد فارس الغربية فى النصف الثانى من المئة الخامسة (الحادية عشرة) ، جعلوا دار حكومتهم فى همذان ، وبسطوا نفوذهم أيضا على ما بين النهرين حيث مقام الخليفة العباسى . وحرص السلاجقة من الخليفة لقب سلطان العراقيين ، فكان اسم عراق العجم يتفق هو ووضعهم هذا على ما يظهر . وسرعان ما اصبح ثانى هذين العراقيين يراد به اقليم الجبال حيث كان السلطان السلجوقى يمضى أكثر وقته . وهكذا صار يعرف لدى العامة بعراق العجم تميزا له عن الآخر . ولياقوت رأى بصدد هذه التسمية . فقد أشار الى ان تسمية العجم لهذا الاقليم بالعراق فى ايامه غلط ، وهو اصطلاح محدث . وقد استعمل ياقوت نفسه الاسم القديم فقال الجبال . ولكن القزوينى معاصره ، وقد كتب بالعربية أيضا ، أطلق على هذا الاقليم ما يرادفه بالفارسية فسماه قوهستان (أى اقليم الجبل) . ومهما يكن من أمر فان لفظ « الجبال » ، بطل استعماله على ما يظهر بعد الفتح المغولى . ولم يستعمله المستوفى البتة فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) . وينقسم اقليم الجبال القديم الى قسمين : الصغير ، وهو كردستان فى الغرب ، والكبير وهو عراق العجم فى الشرق . وما زال اسم « العراق » يطلق عليه حتى اليوم . وما زال ذلك القسم من البلاد الذى كان اقليم الجبال قديما فى جنوب غربى طهران ، يعرفه أهله اليوم باسم « ولاية عراق »^(٢) . وكانت المدن الاربع القديمة - قرميسين (كرمانشاه الحديثة) وهمذان والري واصفهان - أجل مدن النواحي الاربع لهذا الاقليم منذ القدم . وفى أيام بنى بويه ، أى فى المئة الرابعة (العاشرة) ، كانت دواوين الدولة فى الري ، على ما فى ابن حوقل ، ثم اصبحت همذان فى ختام القرن التالى قاعدة سلاجقة بلاد فارس . ولكن اصفهان كانت فى جميع الاوقات على ما يظهر اوسع بلاد الجبال

(٢) ياقوت ٢ : ١٥ : القزوينى ٢ : ٢٢٨ : المستوفى ١٤١ .

واخصبها وأكثرها مالا • وفى بحثنا هذا يحسن ان نصف الاقليم بحسب ولايات
مدنه العظيمة الاربع • ونبدأ بالولاية الغربية التى تتبع كرمانشاه فقد كانت منذ
أيام السلاجقة تعرف عادة بكردستان ويراد بذلك بلاد الكرد •

وقصة كرمان شاهان ، ويختصر اسمها عادة الى كرمانشاه ، قد عرفها العرب
قديما باسم قرميسين (وتكتب أيضا قرماسين وقرماشين) • وصفها ابن حوقل فى
المئة الرابعة (العاشرة) فقال : « مدينة لطيفة فيها مياه جارية وشجر وثمر ورخص
وعيون متدفقة وخيرات وتجارات » • وكان المقدسى أول من ذكرها باسمها الفارسى
كرمان شاهان وقال ان « الجامع فى الاسواق ، وقد بنى عضد الدولة (البويهى)
ثم دارا حسنة ، وهى على الجادة » • وتكلم القزوینى فى المئة السابعة (الثالثة
عشرة) على قرميسين وقال انها « بقرب كرمانشاهان فكأنهما بلدة واحدة » •
واما ياقوت فقد ذكر الاسمين ، ولم يطل فى الكلام على المدينة بل قصر وصفه على
الصور المنحوتة والخرائب وما فى جبل بهستان المجاور من آثار • وكان من أثر
الفتح المغولى فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) ان خربت كرمانشاه ، فقال المستوفى
فى المئة التالية ان هذه المدينة ضوّلت فى أيامه وصارت كالقرية وقال ان اسمها
فى الكتب ما زال يكتب قرماسين (وقد بطل منذ أيامه) • وهو الآخر قد قصر
وصفه على منحوتات بهستان أو بیستون •

وهذه الصور كانت منحوتة فى سفح الجبل العظيم وقاعدته ، على حجر
اسود • وهى على مسيرة يوم من شرق كرمانشاه قرب طريق خراسان • وتحتوى
هذه الصور على بقايا يرقى تاريخها الى الملوك الاخمينيين (المئة الخامسة قبل الميلاد)
والساسانيين (السابعة للميلاد) وقد وصفها الاصطخرى وابن حوقل فى المئة
الرابعة (العاشرة) فذكرا ان اسم الجبل بهستون وبيستون ، وقالوا انه كانت هناك
قرية تدعى ساسانيان^(٣) • ولا ريب فى انها هى القرية التى سماها المستوفى فى
المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وسطام أو بسطام وتعرف اليوم باسم طاق بستان • فيها
صورة دارا المشهور يستقبل الملوك التابعين له • وفيها كتابة مسمارية بثلاث لغات

(٣) فى المطبوع من ابن حوقل (ص ٣٥٩) : « سايسانان » ولعله من اوهام النسخ والطبع (م) •

أشار إليها ابن حوقل وقد وصفها بقوله ان فيه « صورة مكتب ومعلم صبيان من حجارة ، وبيد معلمهم كالسير يومى به لضرب الصبيان ، وان هناك قدورا منصوبة على ائاف ، كل ذلك من حجارة » . واما المنحوتات الساسانية التي اضيفت الى الاولى بعد ما يربو على الف سنة فقد كانت « فى مكان يشبه الغار فيه عين ماء تجرى » . وفيه على ما جاء فى ابن حوقل وتناقله من جاء بعده من مؤلفى الفرس « صورة دابة كسرى المسمى شبداز (شبديز) وعليه صورة كسرى من حجر وصورة امرأته شيرين فى سقف هذا الغار » . وهذه الصور وان نالها بعض التشويه ، ما زالت ترى الى يومنا هذا ، وقد صورت ووصفت غير مرة . وروى ياقوت ، نقلا عن رحلة ابن مهلهل فى المئة الرابعة (العاشرة) ، والمستوفى كثيرا مما كان يحكى فى زمنهما بشأن هذه الصور . فقصة خسرو وشيرين وعشيقهما النحات فرهاد الذى انتحر يأسا ، تسمع محوطة تحويرا محلليا فى كثير من الامكنة المجاورة . وحوادث القصة معروفة جيدا من الشاهنامة للفردوسى ومن شعر نظامى الشاعر العظيم (وعنه نقل المستوفى) بعنوان « عشق خسرو وشيرين » (٤) .

ويطل على كرمانشاه من ناحية الشمال ، فى يسار الذاهب بطريق خراسان ، الجبل الفرد المسمى سن سميرة ومنه يبدأ الطريق الشمالى الى الدينور واقليم اذربيجان . وانما سمي هذا الجبل بسن سميرة نسبة الى امرأة عربية بهذا الاسم كانت لها سن مشرقة على اسنانها فسمى المسلمون الجبل بسنها حين مرت جيوشهم به تريد نهاوند . ومما يلى بيستون فى الناحية الشرقية على طريق خراسان العظيم قرية صحنه وقد ذكرها الاصطخرى ، وما زالت قائمة فلا يلبس أمرها بمدينة سحنة الحديثة التى سيأتى الكلام عليها . ويلي قرية صحنه مدينة كنگوار وقد سماها العرب بقصر اللصوص لأن أهلها سرقوا دواب المسلمين لما سار جيشهم الى نهاوند فى أول الفتح الاسلامى . وكان فى هذه المدينة على ما فى ابن رسته

(٤) ابن رسته ١٦٦ ؛ اليعقوبى ٢٧٠ ؛ الاصطخرى ١٩٥ و ٢٠٣ ؛ ابن حوقل ٢٥٦ و ٢٦٥ و ٢٦٦ ؛ المقدسى ٢٨٤ و ٣٩٣ ؛ القزوينى ٢ : ٢٩٠ ؛ ياقوت ٣ : ٢٥٠ ؛ ٤ : ٦٩ ؛ المستوفى ١٦٨ و ٢٠٣ ؛ جهان نما ٤٥١ . بهستان هى الصورة القديمة للاسم . وبيستون ومعناها بالفارسية « بدون عمد » أى غير المسندة . ولعل هذا الاسم جاء من تسمية الناس لحال هذه الصور .

وغيره ، ابوان على دكة من حجر وهو لكسرى ابرويز ، مبني بالجص والحجارة على اساطين . وكانت مدينة كنگوار جليلة القدر وفيها منبر ، استحدثها مؤسس المظفر حاجب الخليفة المقتدر . وقال ياقوت ان الدكة التي عليها القصور الساسانية ، ارتفاعها عن وجه الارض نحو عشرين ذراعاً . وزاد المستوفى على ذلك قوله ان الحجارة العظيمة التي بنيت بها القصور جيء بها من جبل بيستون^(٥) .

وعلى نحو خمسة وعشرين ميلاً من غربى كنگوار ، اطلال الدينور وكانت فى المئة الرابعة (العاشرة) قصبة للامارة المستقلة الصغيرة المنسوبة الى حسنويه أو حسنوية رئيس القبيلة الكردية الغالبة على هذه الانحاء . وفى أيام الفتح الاسلامى لبلاد فارس ، سميت الدينور ماه الكوفة لأن (على ما فى يعقوبى) « مالها كان يحمل فى اعطيات أهل الكوفة » . وسميت المدينة وما جاورها ماه الكوفة زمناً ما . ووصف ابن حوقل فى المئة الرابعة (العاشرة) الدينور فقال هى « كثلثى همدان وتزيد على همدان من جهة آداب أهلها وتصرفهم فى العلم » . وزاد المقدسى على ذلك انها « حسنة الاسواق وقد احدث بها بساتين » . وكان الجامع ، وهو من بناء حسنويه فى السوق^(٦) « على المنبرقة حسنة ومقصورة ما رأيت أحسن منها » . وكانت الدينور مدينة أهلة حين كتب المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، طيبة الهواء وافرة المياه يكثر فيها القمح والاعناب . ولعل ما يرى فى هذا الموضع من خراب الآن ، قد حل به بعد فتح تيمور ، فقد ذكر علي اليزدى ان تيمور ابقى بعض جنده فى حامية هناك .

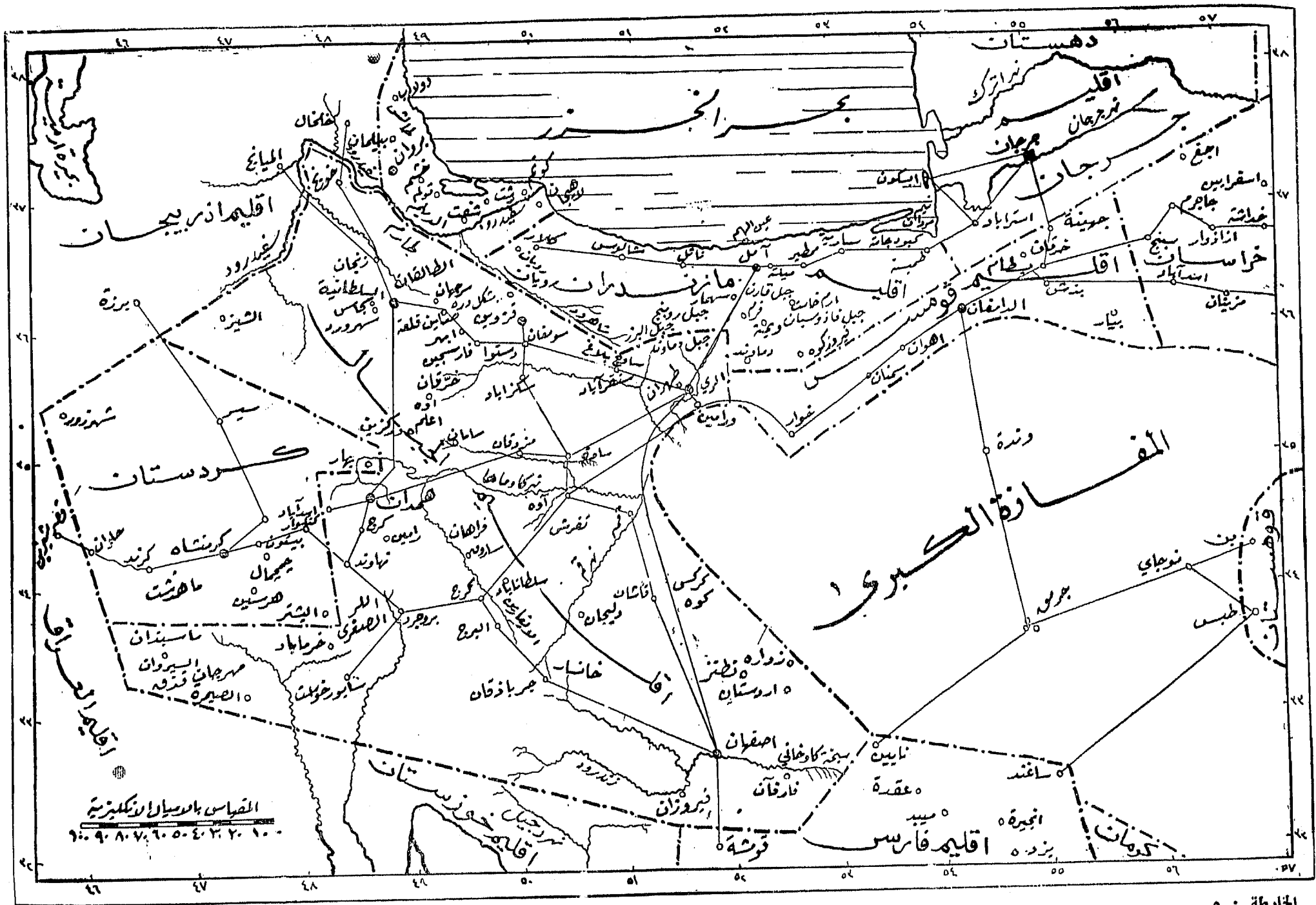
ولعله كانت فى جوار الدينور قلعة سراج العظيمة ، ولا يعرف حتى الآن موضعها على ما يظهر . وصفها ياقوت بأنها حصينة من أحصن القلاع وأشدّها امتناعاً . بناها حسنويه بالصخور المهندمة وتوفى فيها سنة ٣٦٩ (٩٧٩) بعد ان حكم حكماً حافلاً ، على ما فى ابن الاثير ، زهاء خمسين سنة . وفى المئة التالية استولى طغرل بك

(٥) الاضطخري ١٩٦ : ابن حوقل ٢٥٦ : ابن رسته ١٦٧ : المقدسى ٣٩٣ : ياقوت ٣ : ٥٠ .

و ١٦٩ : ٤ : ١٢٠ و ٣٨١ .

وكتب اسم القرية صحنة وسحنة (المستوفى ١٦٨) .

(٦) فى المقدسى (ص ٣٩٤) : « والجامع ناء عن الاسواق » (م) .



اقليم الجبل وجيلان ، مع اقليم مازندران وقومس وجرجان



100
101
102
103
104
105
106
107
108
109
110
111
112
113
114
115
116
117
118
119
120
121
122
123
124
125
126
127
128
129
130
131
132
133
134
135
136
137
138
139
140
141
142
143
144
145
146
147
148
149
150
151
152
153
154
155
156
157
158
159
160
161
162
163
164
165
166
167
168
169
170
171
172
173
174
175
176
177
178
179
180
181
182
183
184
185
186
187
188
189
190
191
192
193
194
195
196
197
198
199
200
201
202
203
204
205
206
207
208
209
210
211
212
213
214
215
216
217
218
219
220
221
222
223
224
225
226
227
228
229
230
231
232
233
234
235
236
237
238
239
240
241
242
243
244
245
246
247
248
249
250
251
252
253
254
255
256
257
258
259
260
261
262
263
264
265
266
267
268
269
270
271
272
273
274
275
276
277
278
279
280
281
282
283
284
285
286
287
288
289
290
291
292
293
294
295
296
297
298
299
300
301
302
303
304
305
306
307
308
309
310
311
312
313
314
315
316
317
318
319
320
321
322
323
324
325
326
327
328
329
330
331
332
333
334
335
336
337
338
339
340
341
342
343
344
345
346
347
348
349
350
351
352
353
354
355
356
357
358
359
360
361
362
363
364
365
366
367
368
369
370
371
372
373
374
375
376
377
378
379
380
381
382
383
384
385
386
387
388
389
390
391
392
393
394
395
396
397
398
399
400
401
402
403
404
405
406
407
408
409
410
411
412
413
414
415
416
417
418
419
420
421
422
423
424
425
426
427
428
429
430
431
432
433
434
435
436
437
438
439
440
441
442
443
444
445
446
447
448
449
450
451
452
453
454
455
456
457
458
459
460
461
462
463
464
465
466
467
468
469
470
471
472
473
474
475
476
477
478
479
480
481
482
483
484
485
486
487
488
489
490
491
492
493
494
495
496
497
498
499
500
501
502
503
504
505
506
507
508
509
510
511
512
513
514
515
516
517
518
519
520
521
522
523
524
525
526
527
528
529
530
531
532
533
534
535
536
537
538
539
540
541
542
543
544
545
546
547
548
549
550
551
552
553
554
555
556
557
558
559
560
561
562
563
564
565
566
567
568
569
570
571
572
573
574
575
576
577
578
579
580
581
582
583
584
585
586
587
588
589
590
591
592
593
594
595
596
597
598
599
600
601
602
603
604
605
606
607
608
609
610
611
612
613
614
615
616
617
618
619
620
621
622
623
624
625
626
627
628
629
630
631
632
633
634
635
636
637
638
639
640
641
642
643
644
645
646
647
648
649
650
651
652
653
654
655
656
657
658
659
660
661
662
663
664
665
666
667
668
669
670
671
672
673
674
675
676
677
678
679
680
681
682
683
684
685
686
687
688
689
690
691
692
693
694
695
696
697
698
699
700
701
702
703
704
705
706
707
708
709
710
711
712
713
714
715
716
717
718
719
720
721
722
723
724
725
726
727
728
729
730
731
732
733
734
735
736
737
738
739
740
741
742
743
744
745
746
747
748
749
750
751
752
753
754
755
756
757
758
759
760
761
762
763
764
765
766
767
768
769
770
771
772
773
774
775
776
777
778
779
780
781
782
783
784
785
786
787
788
789
790
791
792
793
794
795
796
797
798
799
800
801
802
803
804
805
806
807
808
809
810
811
812
813
814
815
816
817
818
819
820
821
822
823
824
825
826
827
828
829
830
831
832
833
834
835
836
837
838
839
840
841
842
843
844
845
846
847
848
849
850
851
852
853
854
855
856
857
858
859
860
861
862
863
864
865
866
867
868
869
870
871
872
873
874
875
876
877
878
879
880
881
882
883
884
885
886
887
888
889
890
891
892
893
894
895
896
897
898
899
900
901
902
903
904
905
906
907
908
909
910
911
912
913
914
915
916
917
918
919
920
921
922
923
924
925
926
927
928
929
930
931
932
933
934
935
936
937
938
939
940
941
942
943
944
945
946
947
948
949
950
951
952
953
954
955
956
957
958
959
960
961
962
963
964
965
966
967
968
969
970
971
972
973
974
975
976
977
978
979
980
981
982
983
984
985
986
987
988
989
990
991
992
993
994
995
996
997
998
999
1000

11

السلاجوقي على سرماج في سنة ٤٤١ (١٠٤٩) بعد ان ضرب الجصار عليها اربع سنين^(٧) ولم يستول على هذه القلعة الا بعد ان انفذ جيشا من مئة الف رجل واستنزل (ينال) من هذه القلعة العظيمة مقهورا^(٨) .

وعلى ستين ميلا شمال خرائب الدينور تقوم اليوم مدينة سحنة الجلييلة ، وهي القاعدة الحديثة لاقليم كردستان الفارسي ، وان لم يذكرها بهذا الاسم بلدانيو القرون الوسطى من عرب وفرس . وكان في موضع سحنة الحديثة في القرون الوسطى ، على ما جاء في كتابي المسالك لابن خرداذبه وقدامة ، مدينة سيسر ومعنى الاسم بالفارسية « ثلاثون رأسا » بحسب تفسير ياقوت الصحيح له . وفي سيسر عيون كثيرة لا تحصى وكانت تدعى صد خانية (أى البيوت المئة) أو منابع المياه لكثرة عيونها ومنابعها . وقد بنى الخليفة الامين حصنها ونزله المأمون بعسكره ، بينهم جند من القبائل الكردية التي كانت في المراعى المجاورة وقد استخدمهم في محاربة أخيه وخلعه من الخلافة . وكانت سيسر رستاقا من الرساتيق الاربعة والعشرين التابعة لهمذان . ولعل اسم سحنة الحديث تصحيف صد خانية اختصرت الى سيخانة (أى ثلاثين بيتا) الا انه لا دليل على ذلك .

وعلى مسيرة اربع مراحل شمال غربى الدينور ، مدينة شهر زور في كورة شهر روز . وقد ذكر ابن حوقل في المئة الرابعة (العاشرة) شهر زور بأنها مدينة حصينة عليها سور يسكنها الاكراد ، وقد سرد اسماء قبائلهم المنبثة في تلك الارزاء . وكانت « من رغد العيش وكثرة الرخص وخصب الناحية بحالة واسعة وصورة رائعة » . ووصفها الرحالة ابن مهلهل في المئة الرابعة (العاشرة) ، على ما اقتبس منه ياقوت بقوله « شهرزور مدينتان وقرى ، فيها مدينة كبيرة وهي قصبتها في

(٧) في الكامل لابن الاثير (حوادث سنة ٤٤١ هـ) « وتحصن ابراهيم ينال بقلعة سرماج وامتنع على أخيه فحصره طغرل بك فيها وكانت عساكره قد بلغت مئة الف من انواع العسكر وقاتله . فملكها في أربعة أيام » . (م) .

(٨) البيعقوبى ٢٧١ : ابن حوقل ٢٦٠ : المقدسى ٣٩٤ : المستوفى ١٧٦ : ياقوت ٣ : ٨٢ .
عل اليزدى ٢ : ٥٣٠ : ابن الاثير ٨ : ٥١٨ و ٥١٩ : ٩ : ٣٨٠ . وعلى ما فى ياقوت (٤ : ٤٠٥)
الكلمة الفارسية « ماه » معناها « قصبة البلد » بالعربية . ولفظه « ماه » التي ترى في الاسمين
القديمين لدينور ونهاوند هي (مادا) بالفارسية القديمة . وقد انتهت اليينا الكلمة نفسها عن طريق
اليونان بصورة مبدية والميديين لانها اسم مكان . وقد زار اطلال دينور أخيرا دى موركن
De Morgan ووصفها في كتابه Mission en Perse (٢ : ٩٥ و ٩٦) .

وقتنا هذا * . يقال لها نيم راه^(٩) عند الفرس * (ومعناه منزل نصف الطريق) لأنها تقوم في نصف الطريق بين المدائن (طيسفون) والشيز، وفيهما بيتا النار العظيمان في أيام الساسانيين * وبقرّب من هذه المدينة جبل يعرف بشعران وآخر يعرف بالزّلم، على ما ذكر القزويني * ينبت حب الزلم الذي يصلح لأدوية الباه * وكان أكراد هذه الكورة حين زارها ابن مهلهل تنشيء ستين ألف بيت * وحين كتب المستوفى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت شهرزور مدينة زاهرة وأهلها أكراد^(١٠) * كان طريق خراسان، وقد مرّ وصفه في الفصل الاول، يأخذ من بغداد فيشرق الى اقصى حدود بلاد الاسلام * فبعد ان يخترق سهل ما بين النهرين، يدخل في منطقة جبال فارس عند حلوان وهي من مدن اقليم الجبال * وقد عدّها بعضهم في ضمن العراق العربي * وقال ابن حوقل في المئة الرابعة (العاشر) ان « حلوان نحو نصف الدينور وبنائها من طين وحجارة * وهي وان كانت مدينة حارة فيها نخيل ورمان وشجرتين كثير موصوف، فان الثلج يكون منها على فرسخين في الصيف غير منقطع ابدا » * وقال المقدسي ان لها حصنا عتيقا فيه الجامع ولسورها ثمانية أبواب سرد اسماءها وقال « ثم كنيسة اليهود يعظمونها خارج البلد » من الجص والحجارة المربعة المتلاحكة * وكانت حلوان حين كتب القزويني في المئة السابعة (الثالثة عشرة) خرابا * « وفي حوالها عدة عيون كبريتية ينتفع بها من عدة ادواء » * وفي المئة التالية نوه المستوفى بقمحها، ولكنه قال ان المدينة كانت خالية خاوية ما خلا مزارات الاولياء وكان في ناحيتها ثلاثون قرية *

وعلى طريق خراسان، على اربعة فراسخ فوق حلوان من ناحية كرند، مدينة ماذرستان على مافى ياقوت، كان فيها « ايوان عظيم وبين يديه دكة عظيمة وأثر بستان خراب بناء بهرام جور » الملك الساساني وقد آل في أيام ياقوت الى الخراب *

(٩) في ياقوت (٣ : ٣٤٠) ان « شهرزور يقال له نيم از راي » (م) *

(١٠) ابن خرداذبه ١٢٠ : قدامه ٢١٢ ؛ ابن حوقل ٢٦٣ و ٢٦٥ ؛ ياقوت ٣ : ٢١٦ و ٣٤٠ ؛

٤ : ٩٨٨ ؛ القزويني ٢ : ٢٦٦ ؛ المستوفى ١٦٧ *

ان كورة شهرزور ما زالت محتفظة باسمها * اما المدينة القديمة فهي حيث الخرائب المسماة الآن ياسين تبه *

قلنا : ولا يمكن الجزم بهذا الرأي، اذ يرى بعضهم ان مدينة شهرزور قد يمثلها تل بكرآوه (قرب حلبجه)، او الخرائب القريبة من خورمال * اما كورة شهرزور فهي اليوم جزء من لواء السليمانية (م) *

وعلى ستة فراسخ مما يلي ماذرستان ، مدينة كرنند ويبدو ان أول من ذكرها المستوفى
فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وقد جمع اسم كرنند الى قرية مجاورة لها يقال
لها خوشان ولا أثر لها اليوم . مع ان المستوفى قال انها فى أيامه أهلة أكثر من كرنند .
وهذان الموضعان عند رأس درب حلوان فى سهل خصب ويتفق موضعهما - اذ كما
بينّا لم يذكر البلدانيون العرب القدماء موضع كليهما - مع المرج المعروف بمرج
القلعة . ووصفها ابن حوقل فقال انها مدينة عليها سور لطيف وحولها رساتيق أهلة
كثيرة الخيرات . وروى اليعقوبى ان « بهذا الموضع دواب الخلفاء فى المروج » .
وعلى أربعة فراسخ مما يلي هذه المروج يمر الطريق بطـَزَر ، فيها على ما فى المقدسى
بقايا ايوان للاكاسرة ، بناء خسرو جرد بن شاهان على ما ذكر ياقوت . وفى طزر
أسواق حسنة . ولعلها قصر يزيد الذى ذكره غير ياقوت من المصنفين . وعلى ستة
فراسخ مما يلي طزر أيضا ، الزبيدية . وهى « منزل صالح » على ما فى ابن حوقل .
ويستدل من وجودها على الطريق العام انها قد تكون فى موضع قرية هرون اباد
الحديثة . وينعطف طريق خراسان هنا نحو الشرق فيخترق سهل مايدشت
(او ماهدشت) قاصدا كرمانشاه . وذكر المستوفى ان فى سهل مايدشت فى أيامه
خمسین قرية ذات مروج خضر يانعة كثيرة المياه المنحدرة اليها من الجبال المجاورة
لها . وفى هذه الارزاء قلعة هرسين وعند قاعدتها مدينة صغيرة ما زالت قائمة على
نحو عشرين ميلا جنوب شرقى كرمانشاه (١١) .

اما ما يقال فى أصل اقليم كردستان ، فيروى انه فى نحو منتصف المثة السادسة
(الثانية عشرة) اقتطع السلطان سنجر السلجوقى القسم الغربى من اقليم الجبال ، أى
ما كان منه من اعمال كرمانشاه وسماء كردستان وولى عليه ابن أخيه سليمان شاه
الملقب أبوه (أو آيـوه) وهو الذى صار فيما بعد - أى من سنة ٥٥٤-٥٥٦ (١١٥٩ -

(١١) ابن حوقل ١٦٨ و ٢٥٦ و ٢٦٢ ؛ ابن رسته ١٦٥ ؛ اليعقوبى ٢٧٠ ؛ المقدسى ١٢٣ و ١٣٥
و ٣٩٣ ؛ القزوينى ٢ ؛ ٢٣٩ و ٣٠٢ ؛ المستوفى ١٣٨ و ١٦٨ ؛ ياقوت ٣ : ٥٣٧ ؛
٤ : ٣٨٢ ؛ جهان نما ٤٥٠ .

ما زالت لخرائب حلوان ترى عند القرية المسماة الآن سربل (رأس الجسر) وعلى النهر هناك
قنطرة .

(١١٦١) - خلفا لعمه في رئاسة البيت السلجوقي وسلطنة العراقيين . وهذه هي رواية المستوفى الذى قال ان كردستان فى أيام سليمان شاه ازدهر ازدهارا عظيما وبلغ ارتفاعه مليونى دينار ذهبا (ما يعادل نحو مليون استرلينى) . وهو عشرة أضعاف ما كان يدّره هذا الاقليم فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) أيام الحكم المغولى حين كان المستوفى نفسه مستوفيا أموال الدولة . واتخذ سليمان شاه بهار - وهى مدينة ما زالت قائمة على نحو ثمانية أميال شمال همذان - قاعدة له . وكان فيها قلعة منيعة . وفى أيام المغول بنى السلطان أبلاتيو عاصمة ثانية فى سلطان آباد جمجمال (چمچمال) قرب حافة جبل بيستون . وقد وصف المستوفى هذه المدينة فقال هى وسط صقع وافر الخيرات كثير القمح . وأشار فى وصف المسالك الى موضع جمجمال أو چمچمال - وهى على اربعة فراسخ من قرية سحنة وستة من كرما نشاء - وما زالت أطلالها قائمة معينة فى الخارطة فى الموضع المنوه به . وقد ذكر على اليزدى هذه المدينة غير مرة حين وصفه زحف تيمور الى كردستان .

ومن المدن التى يقع ذكرها فى أخبار حروب تيمور ، وأشار اليها المستوفى ، مدينة دربند تاج خاتون « مدينة متوسطة السعة أكثرها قد استولى عليه الخراب الآن » . ودربند زنكى وهى دونها . وكانت فيها مراتع حسنة وهواؤها طيب معتدل ، والظاهر انه لم يبق لهاتين المدينتين أثر فى الخارطة . وبما ان دربند تعني الدرب الجبلى ، وان علي اليزدى ذكر اسم الاولى بصورة دربند تاشى خاتون ، فان هاتين المدينتين المشتركتين باسم دربند كانتا فى الحدود الغربية لبلاد كردستان على ما يظهر ، (بين شهرزور وحلوان) فى الجبال التى تهيم على سهول ما بين النهرين .

وذكر المستوفى أيضا اربع مدن أخرى فى كردستان هى : ألانى واليشتر وخفتيان ودربيل . وقال ان هذه المدن كانت فى أيامه جليلة ، اما اليوم فليس من اليسير تعيين مواضعها . وكانت ألانى ، وقد ورد ذكرها فى بعض المخطوطات بصورة ألابى ، فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) قصبة الاقليم المتبصرة على ما يظهر وان لم يذكرها غير المستوفى على ما نعلم . ويكثر فيها القمح وهواؤها طيب ومروجها وافرة المياه ويكثر الصيد فى انحاءها . وفى اليشتر أيضا بيت للنار قديم

يسمى اردخش (اروخش أو ارخش) بيد ان كتب المسالك لم تعين موضعها •
الا ان سهل اليشتر ما زال معروفا ولعل من مواضعه القديمة المدينة التي ذكرها
المستوفى وهى بلا ريب مطابقة لمدينة ليشتير أو لاشتر التي ذكر ابن حوقل وغيره
بانها على عشرة فراسخ جنوب غربى نهاوند واثني عشر فرسخا شمال
شابرخواست^(١٢) • ويحسن بنا ان نين من الجهة الثانية انه يشك كل الشك فى
قراءة اسم اليشتر ، فان كثيرا من اوثق المخطوطات واصحها وكذلك جهان نما
التركية ، أو رده بصورة البشر كما وقعت فيها صور أخرى مختلفة لهذا الاسم •
ولا يعلم شئ عن خفتيان^(١٣) (وأوردها جهان نما حقشيان ، والمخطوطات بصور
أخرى) سوى انها كانت قلعة محكمة البناء حولها القرى على ضفاف نهر الزاب •
وغير واضح ما اذا كان هذا الزاب هو الزاب الاعلى أم الاسفل • فموضعها غير
معلوم والامر كذلك فى دريل (أو دزويل) وهى « مدينة وسطة ذات هواء
طيب » • ولم يشر المستوفى الى موضعها ولو بوجه التقريب • وبهذا يختم المستوفى
كلامه فى اقليم كردستان^(١٤) •

وهمدان (وقد كتبها العرب بصورة همدان)^(١٥) وهى اكبتانا القديمة
قاعدة اقليم مازي • وصف ابن حوقل فى المثة الرابعة (العاشرة) همدان بأنها
« مدينة كبيرة حسنة مقدارها فرسخ فى مثله ، محدثة ، اسلامية • ولها سور
وربض • وللمدينة أربعة أبواب ، كثيرة التجارات والمير ، ولها مياه وبساتين كثيرة
وزروع خضبة » وغللات وافرة ولاسيما الزعفران • وقال المقدسى ان اسواق
المدينة ثلاثة صفوف ، والجامع فى السوق وبنائه عتيق • وقال ياقوت ، وله فى
همدان فوائد كتبها قبيل ان يقوضها الفتح المغولى ويحيلها أرضا يابا فى سنة ٦١٧

(١٢) هذه تسمية ابن حوقل لها (ص ٣٦٠) • وفى المستوفى « شابرخواست » (ص

١٧٢) • (م) •

(١٣) ذكرها ابن خلكان فى وفيات الاعيان (١ : ٥٦٩ و ٥٧٠) (م) •

(١٤) ابن حوقل ٢٥٩ و ٢٦٤ ؛ ياقوت ١ : ٢٧٦ ؛ ٣ : ٥ ؛ المستوفى ١٦٧ و ١٩٢ ؛

على اليزدى ١ : ٥٨٤ و ٥٨٥ و ٥٩٩ و ٦٤٠ ؛ جهان نما ٤٥٠ •

ولم يذكر البلدانون العرب القدماء بلدة بهار والانى وخفتيان ودربيل ولا المدينتين المعروفتين
بالدربند •

(١٥) همدان هى هكمتانا فى الكتابات الاخمينية وقد كتبها اليونان بصورة اكبتانا (Ecbatana)

(١٢٢٠) ، انها اربعة وعشرون رستاقا لكل رستاقي قصبة ، وقد سرد اسماءها .
ثم أورد المستوفى هذه الاسماء فى المثة التالية وقد زاد عليها اسماء القرى التى
فى كل رستاقي . على ان أكثرها لا يمكن تعيين موضعه الآن . ووصف المستوفى
هذه المدينة فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) بانها فرسخان فى مثلها وفى وسطها
تقوم القلعة العتيقة وقد بنيت بالطين ، يقال لها شهرستان . وقلعة همذان العتيقة
هذه كنظيرتها التى فى اصفهان . وسيأتى ذكرها - سماها ابن الفقيه ساروقا^(١٦) ،
ولكنه لم يفسر معنى الاسم . وكان سوق الصاغة فى همذان مشهورا ، أنشئ فى
موضع قرية قديمة يقال لها زمين ديه . وكان محيط أسوار المدينة ١٢٠٠٠ خطوة .
وقوام همذان فى أول ايامها ، على ما ذكر المستوفى ، خمس مدن وهى : قلعة
كبريت وقلعة ماكين^(١٧) ، وكرد لاه وخورشيد وكورشت . وزاد على ذلك « ان
الاخيرة وهى مدينة كانت واسعة فى القديم قد آلت الى الخراب » . ومن أعمال
همذان أيضا النواحي الخمس العظيمة الآتية مع قراها وهى : فريوار قرب
المدينة ثم ازمدين وشرامين وأعلم . وأخيرا يلحق بها كورة سردرود
وبرهندرود . ويحسن بنا ان نقول انه لا يركن الى قراءة هذه الاسماء ، فان
مخطوطات الكتاب المختلفة متباينة فى ذلك كثيرا^(١٨) .

وعلى ثلاثة فراسخ من همذان ، قرية يقال لها جوهسته (ولم تذكر المراجع
فى أية جهة من همذان هى ، كما لم تذكر الخوارط اسمها) فيها اطلال قصر الملك
بهرام جور . وصفه ابن الفقيه فقال ان القصر كله حَجَر واحد منقور فيه الحَجَر
والدروب والغرف « وفى كل ركن من اركانه صورة جارية وفيه كتابة بالفارسية
من أوله الى آخره » تشيد بفتوحات الاكاسرة . وعلى مقدار نصف فرسخ من
هذا القصر ، تل مشرف عليه « ناووس الطيبة » . وروى ابن الفقيه حكاية الملك
بهرام جور وجاريته المحبوبة . جاء فيها خبر صيده كثيرا من الطباء فى البرية القريبة

(١٦) فى هامش ابن الفقيه (ص ٢١٩) : الشاروق (م) .

(١٧) فى حاشية المطبوع من المستوفى (ص ٧١) : قلعة ماكير او مانكرة . (م) .

(١٨) ابن حوقل ٢٥٦ و ٢٦٠ : المقدسى ٣٩٢ : ابن الفقيه ٢١٩ : ياقوت ٤ : ٩٨٨ :
المستوفى ١٥١ و ١٥٢ .

وقد كرر جهان نما التركية (ص ٣٠٠) ما فى المستوفى من اسماء الرساتيق والقرى .

من ذلك الموضع ، ثم قتله جاريته جزاء أقوالها المهينة التي انتقصت فيها من قدرته على الصيد .

والى جنوب غربى همذان يشمخ جبل ألوند العظيم أو أروند ، على ما كتبه ياقوت . وهذا الاسم يرى فى دراهم الفضة التى ضربها فيها أبو سعيد الایلخانى فى سنة ٧٢٩ (١٣٢٩)^(١٩) . وسرد المستوفى حديثا طويلا عن كوه الوند فقال فيه ان محيطه ثلاثون فرسخا وقمته لا تفارقها الثلوج شتاء وصيفا . وكان فى ذروة الجبل عين يخرج مأوها من شق فى صخرة . وزاد على ذلك انه ينبع من ذراع أيضا اثنان واربعون نهرا . فاذا سرنا غربا من همذان وعبرنا درب الوند فى الطريق الى كنگوار الفينا اسدآباد ، وقد وصفها ابن حوقل بانها مدينة آهلة . وذكر المقدسى ان على مقدار فرسخ منها ايوانا فى بناء سماه ياقوت مطابخ كسرى . وكان فى اسداباد جامع وأسواق عامرة وهى كثيرة الخير والعسل . وقال المستوفى انه كان من أعمالها خمس وثلاثون ضيعة^(٢٠) .

والسهل الذى تقوم فيه همذان تنصرف مياهه الى الشمال والشرق ، فتتحد مجاريه العديدة لتؤلف أوائل نهر كاوماها (كاوماسا) وسنذكره فى كلامنا على نهر قم . والى شمال همذان ناحية دركزين وفى شمالها أيضا ناحية خرقان . وقد كتب المستوفى فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) عن دركزين وقال انها مدينة جليلة كانت قبلا قرية وهى قصبة ناحية أعلم وقد مر بنا فى الصفحة السابقة انها واحدة من خمس نواح من أعمال همذان . وقال ان ناحية أعلم - وذكرها ياقوت قبله أيضا - سماها الفرس خطأ باسم آلمر ، وكانت هضبة عالية بين همذان وزنجان . وتكثر فيها الاعناب والقطن والقمح . أما خرقان وتسمى فى الغالب خرقانين فهى الى شمال أعلم وفيها كثير من القرى سرد المستوفى اسماءها (ولكن قراءتها فى مخطوطات كتابه لا يوثق بها) . وقصبتها : آوه أو آبه همذان وما زالت قائمة . وانما سميت بذلك تمييزا لها عن آوه ساوه وسيأتى ذكرها . وقد تكتب آوه

(١٩) هو ابو سعيد بهادر خان تاسع الایلخانيين . وفى المتحف العراقى عدد من هذه النقود بينها نقد باسمه ضرب فى اروند سنة ٣٣ ايلخانية وتعادل سنة ٧٣٥ للهجرة . (م) .
(٢٠) ابن حوقل ٢٥٦ : ابن الفقيه ٢٥٥ : المقدسى ٣٩٣ : ياقوت ١ : ٢٢٥ و ٢٤٥ :
٤ : ١١٠ و ٧٣٣ : القزوينى ٢ : ٢٣٦ و ٣١١ : المستوفى ١٥٢ و ٢٠٢ .

الشمالية هذه احيانا بصورة آوا على ما ذكر ياقوت . وجاء ذكرها منذ المئة الرابعة (العاشرة) فقد نوه بها المقدسي . وكان نهر خرّقان ، على ما فى المستوفى ، يفيض فى الربيع ويسيل ماؤه فى نهر كوشك رود ثم يفتى فى المفاوز الكبيرة فى نواحى الرى . ولا يتجاوز ماء نهر خرّقان فى الصيف حدود هذه الناحية فان السقى يستفد مياهه (٢١) .

ومدينة نهاوند على نحو اربعين ميلا جنوب همذان وكانت مدينة جليلة منذ ايام الساسانيين . وبعد ان فتحها المسلمون بجيش من أهل البصرة صارت تعرف المدينة وناحيتها باسم ماء البصرة لان خراجها كان يحمل فى اعطيات أهل البصرة مثل خراج الدينور الذى كان يحمل فى اعطيات أهل الكوفة (راجع الصفحة ٢٢٤) . وتكلم ابن حوقل فى المئة الرابعة (العاشرة) فقال هى مدينة جليلة كثيرة التجارة والرساتيق . ويرتفع اليها زعفران الروذراور ، وبها جامعان احدهما عتيق والاخر محدث . وذكر ياقوت : يروى ان كثيرا من عرب البصرة سكنوها منذ ايام الفتح الاولى . واشتهرت نهاوند بصنف من العطور . وروى المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ان جل أهلها فى أيامه من الاكراد . ويكثر فى رساتيقها قطن لاسيما فى ثلاثة رساتيق ذكر اسماءها وهى : ملاير واسفيدان وجُوق . وعلى نحو نصف الطريق بين همذان ونهاوند رستاق روذراور « وهو رستاق كبير عظيم يزرع فيه الزعفران ، والمنبر منه بموضع يعرف بكرج الروذراور » وروذراور على ما فى ياقوت « مسيرة ثلاثة فراسخ فيها ثلاث وتسعون قرية » . وجاء اسمها فى المستوفى بصورة رودارود وغير ذلك . وذكر من مدنها سركان وتُوي وكتاهما ما زالت ترى . ويطلق على ناحيتها الآن اسم توي (٢٢) . وفى شرقى نهاوند كورة الايغارين وقصبتها يقال لها كرج ، واشتهرت باسم

(٢١) المقدسي ٢٥ و ٥١ و ٣٨٦ : اليعقوبى ١ : ٣١٦ و ٤٠٨ : المستوفى ١٥٢ و ٢١٧ : جهان نما ٣٠١ و ٣٠٥ .

(٢٢) ابن رسته ١٦٦ : ابن حوقل ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٢ : المقدسي ٣٩٣ : ياقوت ٢ : ٨٣٢ : ٤ : ٢٥١ و ٨٢٧ : المستوفى ١٥٢ و ١٥٣ .

لا ريب ان اطلال كرج روذراور هى التى وصفها دى موركن De Morgan فى كتابه « بعثة الى فارس » Mission en Perse (٢ : ١٣٦) واطلق عليها اسم رودلاور .

كرج ابي دُلَف . ولا يعرف الآن الموضع الحقيقي لكرج هذه . ولكن مع التدقيق في المسافات التي ذكرت في وصف المسالك ومما قاله المستوفى في ان المدينة كانت وراء جبال راسمند (وهي الجبال المعروفة اليوم باسم راسبند) ينبغي أن يبحث عن موضعها بالقرب من منابع النهر المارّ بساروق والملقى بنهر قراصو الحالى . وتكلم ابن حوقل في المئة الرابعة (العاشرة) على كرج فقال انها اصغر من بروجرد ولكنها كانت مدينة ذات شأن « بنائها عال وكانت مدينة طويلة تحو فرسخين ولها سوقان احدهما على باب مسجد الجامع وسوق آخر وبينهما صحراء كبيرة . وتصاقبهما المنازل والمساكن والحمامات . وبنائهم من طين وليس بها كثير بساتين ومنتزهات » وتحف بها اراض قليلة وافرة الخصب . اما ابو دلف ، وهو الذى نسب اليه هذا الموضع ، فقد كان قائدا شهيرا وشاعرا في قصر هرون الرشيد وابنه المأمون . وقد أقام ابو دلف وآله في هذه الكورة وفي ما حول البرج (٢٣) وهو على اثني عشر فرسخا أمام اصفهان . وقد اوغرت لهم ايفارا أى انها معفاة من الخراج ما خلا ما يدفع سنويا من المال الى الخليفة (٢٤) . وروى ياقوت ان « كرج » فارسية وأهلها يسمونها كره . وكانت فرّزين « قلعة على باب كرج » . وقد اشار المستوفى الى نهرها باسم كره - كره رود - وقال ان جبل راسمند كان يطل على السهل في شمالها . وعند حافة الجبل عين ماء غزيرة يقال لها عين الملك كيخسرو تسقى المراتع المجاورة طولها ستة فراسخ في عرض ثلاثة وكانت تعرف باسم مرغزار كيتو وتحميها قلعة فرزين . وجبل راسمند ، على

(٢٣) ابو دلف هو القاسم بن عيسى بن ادريس بن معقل بن عمير وينتهي نسبه الى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان العجلي (ابن خلكان) . وكان أبوه قد شرع في عمارة مدينة الكرج واتمها هو . وكان بها أهله وعشيرته وأولاده . وقد بنى ابو دلف ايضا الحاجر وهي منزل خصيب كبير على طريق الحج بين الكوفة ونجد وماؤها من البرك والآبار (ابن رسته ١٧٦) . واشتهر بالشجاعة والكرم ، وألف جملة كتب وكان من رجال المأمون ثم المعتصم وحبسه الافشين في أيام المعتصم بسبب ما كان بين الترك والعرب من نزاع . ثم سعى ابن ابي دود فاطلقه وكانت وفاته في بغداد سنة ٢٢٥ وقيل ٢٢٦ هـ (تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ١٢ : ٤١٦ - ٤٢٣) . ومدحه كثير من الشعراء كابى تمام وبكر بن النطاح وعلى بن جبلة العكوك (راجع : سومر ٣ [١٩٤٧] ص ٧٦) . وفى سامراء بقايا جامع كبير من بناء المتوكل يعرف اليوم بجامع ابي دلف (م) .

(٢٤) جاء في ياقوت (١ : ٤٢٠) في مادة « الايفارين » تفسير لمعنى « الايفار » قال : « الايفار اسم لكل ما حوى نفسه من الضياع وغيرها ويمنع منه . . . ولا يسمى الايفار ايفارا حتى يأمر السلطان بحمايته فلا تدخله العمال لمساحة خراج ولا مقاسمة غلة فيكون الايفار لعقبه من بعده على ممر السنين خلا الصدقات فانها خارجة عنها يحصيتها المصدق ويأخذ الواجب عنها » (م) .

ما قيل ، صخرة سوداء تشمخ مثل جبل بيستون • وتشق سفوحه وديان صغيرة ومحيطه عشرة فراسخ اما موضع البرج وهى مدينة الايغارين الثانية فلم يُتوصل الى تعيينها ولكن موضعها معروف بوجه التقريب فقد قال ابن حوقل انها مدينة حسنة الحال فى الطريق الذاهب الى اصبهان على اثنى عشر فرسخا من الكرج (٢٥) •
 وأسفل منها بانحدار نهر الكرج وفى شمال كرج أبى دلف، مدينة ساروق فى رستاق فراهان وقد أشار إليها ياقوت والمستوفى وعدّاها من أعمال همذان • ودولة آباد ، وهى ما زالت قائمة فى تلك الانحاء ، ذكرت فى جملة المواضع الجليلة ، وكان بالقرب منها ملاحة وهى بحيرة تكون اربعة فراسخ فى مثلها فاذا كانت ايام الصيف وجفت البحيرة صارت ملحا جيدا يأخذه الناس ويحملونه الى البلدان فيباع • وقد سمي المغول هذه البحيرة ، على ما فى المستوفى ، جغان ناوور ومعناها « البحيرة الملحة » وهى بلا ريب بحيرة تُنوّالة الحالية • وأخيرا فان فى جنوب شرقى همذان ، فى نحو نصف الطريق بين هذه المدينة ونهاوند ، بلدة رامن الصغيرة وقد ذكرها ياقوت فى جملة مدن هذه الناحية الا ان غيره من المصنفين لم يتعرض لوصفها (٢٦) •

(٢٥) ابن حوقل ٢٥٨ و ٢٦٢ ؛ المقدسى ٣٩٤ ؛ ياقوت ١ : ٤٢٠ و ٥٤٨ ؛ ٣ : ٨٧٣
 ٤ : ٢٥٠ و ٢٧٠ ؛ المستوفى ١٥٩ و ٢٠٤ •
 (٢٦) ياقوت ٣ : ٨٧٦ و ٨٨٧ ؛ ٤ : ٦٨٣ [قلنا : هذه الاشارة خطأ فهى تعود الى بلدة باسم رامين من أعمال الموصل • اما رامن فقد وردت فى ياقوت ٢ : ٧٣٧ (م)] ؛ المستوفى ١٥٩ •
 واجل مدن هذه الناحية اليوم المشهورة بصنع السجاد ، هى سلطان آباد وقد أسسها فتح على شاه فى مطلع القرن التاسع عشر • وتعرف عادة باسم شهر ناو (المدينة الجديدة) ١٠ • • •
 قلنا : لم يتعد وصف ياقوت ٢ : ٧٣٧ لبلدة رامن ذكر بعدها عن همذان وبروجرد وهى بينهما • ولكن ابن حوقل قد سبق ياقوت الى مثل هذا القول ووصفها بانها « مدينة صالحة الحال » • (م) •

الفصل الرابع عشر

الجبّال «تابع»

المر الصغرى - بروجرد - خرما باذ - شابرخواست - سيروان
والصيمرة - اصفهان وكورها - فيروزان وفارغان ونهر
زنده رود - اردستان - قاشان - قم وكليكان
ونهر قم - آوه وساوه - نهر
كاوماها .

فى جنوب همذان ، لورستان (لُرستان) أى بلاد المر ، والمر جيل من
الأكراد . وانهار هذه البلاد الجبلية تقسمها الى قسمين : المر الكبرى فى الجنوب
والمر الصغرى فى الشمال ، ويفصل بين المر الصغرى والمر الكبرى نهر كارون
الاعلى . وقد آثرنا بسط القول فى مدن المر الكبرى فى فصلنا عن خوزستان ،
وان عدت بعض المؤلفين كورة المر الكبرى جزءا من عراق العجم أيضا .
وكانت أهم مدن المر الصغرى ، حسبما جاءت فى المستوفى فى المئة الثامنة
(الرابعة عشرة) : بروجرد وخرما باد وشابورخواست . وقد وصف ابن حوقل
فى المئة الرابعة (العاشرة) بروجرد فقال هى مدينة حسنة طولها أكثر من عرضها
وطولها نحو نصف فرسخ . وفواكه الكرج منها ، وبها زعفران كثير . واستحدث
حمويه^(١) فيها منبرا . وكان حمويه وزير آل ابي دلف وقد مر ذكرهم . وحين

(١) هكذا ضبط ابن حوقل هذا الاسم . اما المؤلف فقد ذكره بصورة « حمولة » . (م) .

كتب المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كان فيها جامعان : عتيق ومحدث •
اما المدينة فكان الخراب قد استولى عليها فى ايامه حسب قوله • وأشار اليها
علي اليزدى غير مرة فى سياق وصفه حروب تيمور ، الا انه سماها وروجرد حيثما
ذكرها وقال ان القلعة المسماة أرميان قد جددت بأمر تيمور^(٢) •

وخرماباذ وقد كانت منذ ايام تيمور اجل موضع فى اللر الصغرى بعد
بروجرد ، لم يذكرها أحد من بلدانيى العرب فى القرون الوسطى بهذا الاسم •
ولعل خرماباذ هى مدينة شابر خواست على رأى بعضهم ، فقد كثر ذكرها قبل
ذلك • على ان ما يثبت خطأ هذا الرأى ذكر المستوفى لهما كلا على انفراد ، هذا
الى كونه أشار الى موضع شابور خواست • وكانت خرماباذ حين كتب المستوفى فى
المئة الثامنة (الرابعة عشرة) مدينة حسنة وان دب الخراب فى بعضها • وكان
يكثُر فيها النخيل • وقال ان هذه المدينة هى الموضع الوحيد الذى ينمو فيه النخيل
فى بلاد الجبال ما خلا الصيمرة • على ان هذا القول لا يمكن الاخذ به على
علائمه •

أما شابور خواست وقد كتبها البلدانيون العرب بصورة سابور خواست
فقد اشتهرت بتمورها أيضا منذ أيام ابن حوقل • وفى المئة الرابعة (العاشرة)
خضعت سابور خواست وبروجرد ونهاوند لحسنويه الزعيم الكردى الذى أقام
دولته فى الدينور (أنظر الصفحة ٢٢٤ أعلاه) • وفى دزبز ، قلعة سابور خواست
وهى تضاهى سراج مناعة ، خبأ بدر بن حسنويه أمواله التى وقعت فى سنة ٤١٤
(١٠٢٣) بأيدى البويهيين • وفى المئة الخامسة (الحادية عشرة) ورد ذكر سابور
خواست غير مرة فى أخبار السلاجقة • وفى سنة ٤٩٩ (١١٠٦) استولى عليها
الأتابك منكوبرس كما استولى على نهاوند ولبشتر (البشتر) • وحين كتب المستوفى
تاريخه كزيدة فى النصف الاول من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كان فى اللر
الصغرى فى أيامه مدن أهلة هى : بروجرد وخرماباذ وشابور خواست (على ما
كتبها بالفارسية) وذكر ان هذه الاخيرة وان كانت فى ما مضى مدينة عظيمة أهلة

(٢) ابن حوقل ٢٥٨ و ٢٦٢ ؛ ياقوت ١ : ٥٩٦ ؛ ٢ : ٧٣٧ ؛ المستوفى ١٥١ ؛ على اليزدى
١ : ٥٨٧ ؛ ٢ : ٥١٥ •

فيها اخلاط من الشعوب وعاصمة المملكة ، فان شأنها قد تضاعف وتحولت الى مدينة اقليم ليس الا . وقال ان موضعها مما يلي بروجرد في الجنوب . « فالطريق من نهاوند الى اصفهان يتشعب يمينا الى شاپور خواست » ويسارا (أى الى الشرق) يبقى الطريق الاصلى على اتجاهه الى كرج ابى دلف . وهذا يتفق وما أورده ابن حوقل والمقدسى ، فقد قال الاول ان من نهاوند الى لاشتر عشرة فراسخ (جنوبا) ومن لاشتر الى الشابر خاست اثنا عشر فرسخا . ومن الشابر خاست الى اللور (الكبرى) ثلاثون فرسخا - أى الى المفاوز التي في شمال دزفل ، على ما سيأتي بيانه في الفصل السادس عشر . وزاد المقدسى على ذلك ان من شاپور خواست الى كرج ابى دلف أربع مراحل على مثل ما كان من شاپور خواست الى اللر^(٣) . وفي غرب اللر الصغرى على حد العراق الغربى : كورتا ماسبذان ومهرجان قَدْزَق . واهم مدنها : السيروان والصيمرة . وما زالت ترى اطلال هاتين المدينتين . وماسبذان اسم يطلق الآن على البقعة التي في جنوب سهل ماي دشت . وكانت سيروان (أو السيروان) على ما في ابن حوقل « مدينة صغيرة غير ان الغالب على بنائها الجص والحجر كمدينة الموصل في أبنيتها . وفيها الثمر الكثير والجوز والدستنبويه^(٤) وما يكون في بلاد الصرود والجروم^(٥) » . وكان فيها أيضا النخيل على ما قلنا . وأشار القزويني الى ما في كورة ماسبذان من الكباريت والزاجات والبوارق (جمع البورق) والاملاح . وعلى نحو خمسين ميلا من شرقها : الصيمرة وهي كالسيروان وبقيت زمنا مدينة أهلة بعد زوال المدينة الاخيرة وكانت اصلح موضعا منها . واشتهرت كورة مهرجان قَدْزَق ، وهي التي تحيط بالصيمرة ،

(٣) ابن حوقل ٢٥٩ و ٢٦٤ : المقدسى ٤٠١ : ياقوت ٢ : ٥٧٢ : ٣ : ٤ و ٨٢ و ٢٢٥ : ابن الاثير ٩ : ١٧٤ : ١٠ : ٢٧٤ : المستوفى ١٥١ و ١٩٥ : تاريخ كزیده لناشره كانتان Gantin ١ : ٦٢٢ وفي الورقة ١٥٩ ب من مخطوطته نبذة عن اللر الصغرى في نهاية القسم الحادى عشر من الفصل الرابع . وهي تتقدم القسم الذى يبحث فى المغول .
ووردت كتابة الاسم بصور مختلفة : شاپور خواست وشابر خاست وشاپور خواست ولا يعرف موضع خرائبها .

(٤) فى الالفاظ الفارسيه المعربة لأدى شير (ص ٦٣) : الدستنبويه نوع البطيخ الاصفر معرب عن دستنبوى أى الشمامة وهو مركب من « دست » أى يد ومن « بوى » أى الرائحة . وفى مجلة الزراعة العراقية (٧ [١٩٥٢] ص ٤٥٠) مقال للدكتور مصطفى جواد ذكر فيه نصوصا يدل ظاهرها على ان الدستنبويه هو الليمون المعروف بالمسكى عند العراقيين . (م) .
(٥) فى المعاجم : الصرود الاراضى الباردة وهي خلاف الجروم أى الاراضى الحارة . (م) .

بكثرة خيراتها في المثة الرابعة (العاشرة) • وأشار المقدسي الى انها كبيرة عامرة •
ووصف ياقوت الصيمرة فقال « بها نخل وزيتون وجوز وتلج » • وفي الطريق
بين الصيمرة والطريق حان وهي ضيعة مجاورة لها «قنطرة عجيبة بديعة تكون ضعف
قنطرة خانقين » وهي بين حلوان وخانقين • وحين كتب المستوفي في المثة الثامنة
(الرابعة عشرة) كانت الصيمرة مدينة حسنة وان أخذ الخراب يدب فيها • وكانت
نواحيها مشهورة بنخيلها^(٦) •

وفي الطرف الجنوبي الشرقي من اقليم الجبال ، ليس ببعيد عن شفير
المفازة الكبرى ، مدينة اصفهان (وكتب العرب هذا الاسم « اسبهان » والفرس
« اسباهان ») وكانت منذ اقدم الازمنة موضعا جليل القدر لعظم خيرات اراضيها
ووفرة مياهها الاتية من زائنده رود^(٧) • وتقوم اليوم اصفهان وارياضها على
ضفاف هذا النهر اما في القرون الوسطى فكانت احيائها الالهة على ضفة زائنده
رود الشمالية أي اليسرى فقط • وقد كان في هذا الموضع مدينتان متقاربتان هما :
في الشرق جي ويقال لها أيضا شهرستانه^(٨) يحف بها سور ذو مئة برج ، وعلى
ميلين من جنوبها : اليهودية وهي ضعف جي • وقد نسبت هذه المدينة على ما اجمعت
عليه الروايات الى اليهود الذين اسكنهم نبوخذ نصر فيها •

ووصف ابن رسته في ختام المثة الثالثة (التاسعة) مدينة جي فقال طولها
نصف فرسخ وسعتها نحو ٢٠٠٠ جريب (أي نحو ٦٠٠ أكر) • ولها أربعة
أبواب : الاول باب خور ويقال له أيضا باب زرین رود وهو الاسم القديم للنهر •
والثاني باب اسفيج والثالث باب طيرة والرابع باب اليهودية • وذكر ابن رسته
عدد أبراج السور بين باب وباب وأورد المسافات بينها بالذراع • وبمدينة حى بناء
عتيق يقال له الساروق على مثال الحصون • وهذا الاسم يشبه اسم قلعة همذان
على ما قد بينا • وقال ابن رسته : « لا يعرف بانيه لقدمه فقد بنى قبل الطوفان » •
ووصف ابن حوقل والمقدسي في المثة التالية جي واليهودية فقالا : في كل واحدة

(٦) ابن حوقل ٢٦٣ و ٢٦٤ ؛ المقدسي ٣٩٤ ؛ اليعقوبى ٢٦٩ ؛ القزوينى ٢ : ١٧٢ ؛ ياقوت ٣ : ٤٤٣ و ٥٢٥ ؛ المستوفي ١٥١ •

(٧) سيذكر المؤلف هذا النهر بصورة : زندرود في أوائل الفصل السادس عشر (م) •

(٨) تعنى شهرستان أو شهرستانه بالفارسية : المدينة وهي تطلق على العاصمة من المدن • (م) •

منهما منبر واليهودية وحدها تضارع همدان سعة بل هي أكبر مدينة في اقليم الجبال . وقد تستثنى الرى من ذلك . وكانت اصفهان مركزا تجاريا في اقليم الجبال » يرتفع منها العتابي وسائر ثياب القطن ويجود . تجلب منها الى سائر النواحي . وبها زعفران وفواكه وهي أخصب مدن الجبال واوسعها عرصة وأكثرها ماء وتجارة » . وعلى ما فى المقدسى « يقال ان يختصر لما جلى بنى اسرائيل من الارض المقدسة لم يروا بلدا تشاكله ارضهم غيرها فسكنوها » . وقال ان للمدينة اثني عشر دربا . وبنائهم طين وأسواقها بعض مغطاة وبعض مكشوفة . والجامع فى الاسواق حسن على اساطين مدورة وله منارة فى قبلته طول سبعين ذراعا . وكانت مدينة جى المجاورة لليهودية على ميلين من شرقيها . ويقال لها المدينة على ما فى المقدسى وهي ترادف لفظة شهرستانية . وكان على النهر أسفل قلعتها القديمة جسر سفن فى المئة الرابعة (العاشرة) .

وفى سنة ٤٤٤ (١٠٥٢) زار الرحالة الفارسى ناصر خسرو اصفهان وقال انها أكبر مدينة رآها فى جميع البلاد الناطقة بالفارسية . وكان فيها مئتا صراف وخمسون رباطا ويقال ان طول سورها ثلاثة فراسخ ونصف وله شرفات ومراق يصعد بها الى أعلاه . وكان مسجدها الجامع بناء فخما . وسوق الصرافين مما تحسن رؤيته . ولكل سوق من أسواقها الكثيرة باب يغلق عليها . وحين كتب ياقوت فى مطلع المئة السابعة (الثالثة عشرة) كان الخراب قد دب فى اليهودية وجى وبقيت ثانيتهما أكثر سكانا . وتكلم أيضا على جامع جى الذى بناه الخليفة الراشد بالله ابو جعفر المنصور الذى خلعه عمه^(٩) محمد المقتنى فى سنة ٥٣٠ (١١٣٦) ثم انه قتل فى حرب بينهما^(١٠) ودفن فى ظاهر باب الصحن الا ان اليهودية استعادت شيئا من منزلتها السابقة بعد الفتح المغولى . وحين كتب أبو الفداء فى سنة ٧٢١ (١٣٢١) كانت اليهودية عامرة بينها وبين شهرستان ميل من شرقيها تقوم على قسم من موضع جى القديمة .

(٩) الذى فى التواريخ ، وهو القول المقبول ، ان جماعة من القضاة خلعوه بتحريض السلطان مسعود السلجوقى (الدكتور مصطفى جواد) .
(١٠) ذكر المؤرخون ، ان الباطنية اغتالوه فقتلوه ولم تكن حرب بينه وبين عمه قط (الدكتور مصطفى جواد) .

وسرد معاصره المستوفى حديثا طويلا عن اصفهان وكورها ذاكرا اسما
كثير من مواضعها التى ما زالت موجودة • ويثبت وصفه لها ان يهودية القرون
الوسطى هى مدينة اصفهان التى وصفها شاردان Chardin فى ختام القرن السابع
عشر حين اضحت عاصمة بلاد فارس فى عهد الشاه عباس • وما زالت معالم مجدها
التالذ ظاهرة للعيان اليوم • وعلى ما فى المستوفى كان طول أسوار المدينة ٢١٠٠٠
خطوة • ويرقى زمنها الى المئة الرابعة (العاشرة) اذ بناها عضد الدولة البويهى •
وكان فى بقعة اصفهان قبلا اربعة قرى اتسبت اليها محال المدينة وهى كران
(وذكر شاردان ان باب كران كان فى جبهتها الشرقية) وكوشك وجوبارة
(وكانت هى المحلة الشرقية حين كتب شاردان • وكان باب جوبارة فى الشمال
الشرقى) ودردشت (والباب الذى بهذا الاسم فى الشمال • ومحلة دردشت فى
الشمال الغربى) • وعلى ما ذكر المستوفى ان أكثر المحلات سكنا فى أيام السلاجقة
كانت المحلة التى يقال لها جلبارة (وهى محلة كلبار عند شاردان وكانت حول
ميدان كهنة الحالى « أى الميدان القديم ») حيث كانت مدرسة السلطان محمد
السلجوقى وقبره • وفيها قطعة حجر تزن عشرة آلاف من (ولعل ذلك يعادل
ما يقرب من ٣٣ طنا) وهى صنم (بُد) عظيم حمله السلطان من الهند ونصبه أمام
باب المدرسة (١١) •

ولما استولى تيمور على اصفهان فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ورد
اسم القلعة التى فتحها بصورة قلعة طبرك (وهى تعنى الرابية بالفارسية) • وقد
وصف شاردان اطلال هذه القلعة وهى ما زالت شاخصة بانها فى ظاهر باب دردشت
والى ذلك فقد علمنا ان ملكشاه السلجوقى أقام قلعة حصينة أخرى - شاه دز
« القلعة الملكية » - فوق قمة جبل عند اصفهان فى سنة ٥٠٠ (١١٠٧) • واورد
القزوينى حكاية طويلة تدور على الاحوال التى لابست تأسيسها • وفى مطلع
المئة العاشرة (السادسة عشرة) خضعت فارس للشاه اسماعيل الصفوى وفى

(١١) على ان التاريخ لم يدون ان السلطان محمدا - وقد حكم من سنة ٤٩٨ الى ٥١١ (١١٠٤ -
١١١٧) وهو ابن ملكشاه - قد قام بفتوحاته فى الهند ولعل الاسم اشتبه على المستوفى فذكره وهو
يريد به محمودا الغزنوى • (م)

ختامها نقل الشاه عباس الكبير قاعدة ملكه من اردبيل الى اصفهان • وتقل ايضا جميع الارمن من جلفا ، وهى على نهر ارس ، واسكنهم فى حي جديد بالمدينة انشاء على ضفة نهر زاینده رود الجنوبية أى اليمنى • و اضاف الشاه عباس أيضا الى اصفهان احياء وارباضا جديدة فى شمال النهر • وقد وصف ذلك كله شاردان وصفا وافيا فقد عاش فى اصفهان سنين كثيرة فى خلال النصف الاخير من القرن السابع عشر للميلاد^(١٢) .

والنواحى الثمان حول اصفهان ، وقد عني المستوفى بذكر اسمائها واسماء قراها ، ما زالت موجودة • ووردت هذه الاسماء نفسها فى اليعقوبى وفى غيره من مصنفى المثني الثالثة والرابعة (التاسعة والعاشر) • وكان اربع من هذه النواحى فى شمال النهر • اما الاربع الاخرى ففى يمينه فى الجنوب • فاذا ابتدأنا من الضفة الشمالية رأينا ناحية المدينة ، وكان يقال لها جى ، وهو اسم المدينة العتيقة التى فى شرقها • وكانت ناحية مريين فى غرب اصفهان وفيها بيت نار قديم بناء الملك الاسطورى طهمورث الملقب بـ « ديوبند » أى « مكتف الشياطين » • والى الشمال الغربى على شىء يسير من أبواب المدينة ناحية برخوار • وكانت تجز (كز الحديثة) أوسع قراها • والى الشمال الشرقى ناحية قهاب وهى رابعة النواحى التى فى شمال النهر • وفى جنوب زاینده رود ، والى جنوب شرقى مدينة شهرستانه القديمة ، ناحية برآن • ويلها فى منحدر النهر ناحية رودشت • وقصبتها فارفان وكانت مدينة واسعة فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ولكنها الآن قرية قرب سبخة گاوخاني الكبيرة • وكانت ناحية كراج فى جنوب برآن • والى غربها فى أعلى الضفة اليمنى لنهر زاینده رود ، ناحية خان لنجان الكبيرة وهى آخر النواحى الاربع التى فى جنوب النهر • وكانت أهم مدينة فيها فيروزان • ولم

(١٢) ابن رسته ١٦٠ و ١٦٢ : ابن حوقل ١٦١ : المقدسى ٣٨٦ و ٣٨٧ و ٣٨٨ و ٣٨٩ : ناصر خسرو ٩٣ : ياقوت ١ : ٢٩٥ : ٢ : ١٨١ : ٣ : ٢٤٦ : ٤ : ٤٥٢ : ١٠٤٥ : ابو الفداء ٤١١ • المستوفى ١٤٢ : على اليزدى ١ : ٤٣١ : القزوينى ٢ : ٢٦٥ • ويملا وصف اصفهان المجلد الثامن (أنظر بوجه خاص ص ١٢٢ و ١٢٦ و ١٤٧ و ١٥٣ و ٢١٢ و ٢٢٧ و ٢٢٩ ففيها نبذة خاصة بها) من رحلات الشفاليه شاردان فى فارس Voyage du Chevalier Chardin en Perse (امستردام ١٧١١) أنظر عن اصفهان الحالية هتم شندلر Houtum-Schindler فى كتابه العراق العجمى الشرقى Eastern Persian Iraq (١٨٩٧ ص ١٨ و ١٩ و ١٢٠ و ١٢٢) •

تبقى معالم ما لبقايا هذه المدينة على ما يظهر مع انها كانت مدينة كبيرة ذات جانين
فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وبين يديها نهر زاینده رود . قال ابن بطوطة ،
وقد مرّ بها ، انها تبعد ستة فراسخ من اصفهان . وفى المئة الرابعة (العاشرة)
كانت ناحية خان لنجان مشهورة بفواكهها الوفرة وبخصوبة ارضها . ويكتب
اسمها غالبا خالنجان أو خولنجان كما عرفت باسم خان الابرار . واسم خان لنجان
اذا أريد به المدينة فانها تنطبق ولا ريب على فيروزان المارة الذكر وهى التى
تذكر كتب المسالك انها أول مرحلة باتجاه الجنوب فى الطريق الغربى من
اصفهان الى شيراز . وفى المئة الخامسة (الحادية عشرة) مرّ ناصر خسرو بخان
لنجان فى طريقه الى اصفهان ورأى على باب المدينة كتابة فيها اسم طغرل بك
السلجوقى (١٣) .

ونهر اصفهان يعرف اليوم بنهر زندرود وسماه مصنفونا على اختلافهم باسم
زاینده رود أو زرنروز . ويطلق اسم زرین رود اليوم على أحد فروع هذا
النهر . وكان المجرى الاصلى يسمى فى أعاليه جوي سرد (النهر البارد)
ومخرجه فى زرده كوه (الجبل الاصفر) وما زال هذا الجبل يعرف بهذا الاسم
لأن صخوره من الحجر الكلسى الاصفر ، وهو على ثلاثين فرسخا غرب اصفهان
ولا يبعد كثيرا من منابع نهر دجيل أو كارون فى خوزستان . وفى تلك الانحاء
أيضا ، على ما فى المستوفى ، جبل اشكهران وهو الذى يعين حد اللر الكبرى .
وفى أسفل مدينة فيروزان فى خان لنجان يستقبل نهر زنده رود رافدا يضارع
المجرى الاصلى سعة ينحدر من جوار كليكان (جرباذقان) وبعد ان يمر باصفهان
ويسقى نواحيها الثمان ينحرف زنده رود شيئا يسيرا الى شرق رودشت ويفور
أخيرا فى كاوخانى على شفير المفازة الكبرى . ويقال ، على ما ذكر ابن خرداذبه فى
المئة الثالثة (التاسعة) ، ان هذا النهر « يغور فى رمل فى آخرها ثم يخرج بكرمان

(١٣) ابن خرداذبه ٢٠ و ٥٨ ؛ ابن رسته ١٥٢ ؛ قدامة ١٩٧ ؛ ابن حوقل ٢٠١ ؛ اليعقوبى
٢٧٥ ؛ المقدسى ٣٨٩ و ٤٥٨ ؛ ياقوت ١ : ٢٩٤ ؛ ٢ : ٣٩٤ ؛ ٣ : ٨٣٩ . المستوفى ١٤٣ وأكثر
ما فيه عنها اقتبس صاحب جهان نما : ٢٩١ ؛ ابن بطوطة ٢ : ٤٢ ؛ ناصر خسرو ٩٢ .
وتشتهر خان لنجان أيضا بانها الموضع الذى التجأ اليه الفردوسى حين فر من غضب السلطان محمود
الغزنوى . وورد وصف استقبال والى خان لنجان له فى نسخة من الشاهنامه محفوظة فى المتحف
البريطانى (Or. 1403, Fol. 518 a) وقد نشر نصه وترجمته سى شفر C. Schéfer
فى طبعته لتناصر خسرو (الملحق ٤ ص ٢٩٨) .

على ستين فرسخاً^(١٤) من الموضع الذى غار فيه ثم يصب فى البحر » • ولكن المستوفى لا يؤيد هذا القول بطبيعة الحال لأن بين اصفهان وكرمان جبلا عالية وان روى هو الزعم القائل ان كسر القصب التى ترمى فى سبخة كاوخانى تخرج فى كرمان وعقب ذلك « ولكن هذه الحكاية لا تصدق »^(١٥) •

وكانت نائين ، وهى فى شمال كاوخانى عند حافة المفازة الكبرى وكذلك المدن التى فى جنوب شرقها باتجاه يزد ، تعد من أعمال اقليم فارس فى القرون الوسطى على ما سنبينه فى الفصل الثامن عشر • الا ان اردستان وهى على بضعة أميال شمال غربى نائين كانت من أعمال اقليم الجبال • وقد وصف الاصطخرى اردستان فى المثة الرابعة (العاشرة) بانها مدينة حصينة عليها سور ذو خمسة أبواب • وهى ميل فى مثله ، والمسجد الجامع فى وسط المدينة • وكان يعمل فيها ثياب الحرير وتحمل الى الآفاق • وفى زوارة وهى فى شمال شرقى اردستان أبنية من بناء الملك انوشروان العادل • وذكر المقدسى ان اردستان « أرض على بياض الدقيق ومنه اشتق اسمها » فبالفارسية ، ارد : الدقيق • فمعنى اردستان موضع كالدقيق • والاطلال التى أشار إليها ياقوت باسم أزواره ، قال ان « بناءها أزاج ، وفى وسط حصن منها بيت نار » يقال ان انوشروان ولد فيه • غير ان المستوفى وقد كتب الاسم بصورة زوارة نسب كل هذه الاطلال بما فيها بيت النار الى الملك بهمن بن اسفنديار • وقال ان المدينة التى تقوم فى حافة المفازة كان حولها ٣٠ قرية وذكر أنها من بناء دستان أخى البطل رستم على ما يقال •

وعلى شفير المفازة بين اردستان وقاشان كرگس كوه « جبل النسر » • وصفه المقدسى بانه أعلى جبال مفازة فارس وامنعها ويليه سياه كوه « الجبل الاسود » وهو دونه فى الكبر غير انه منيع • وهذان الجبلان عاليان وعرا المسلك الى ذراههما • وجبل سياه كوه « جبل أسود قبيح المنظر والمخبر » وكلا الجبلين ، على ما قال الاصطخرى ، مأوى للصوفى يعتصمون به • وفى هذا الجبل ماء يسمى آب بنده « اذا صرت عنده كنت كأنك فى حظيرة والجبل محيط بك » • وفى نحو

(١٤) وهم المؤلف فى نقله هذا الرقم فقال تسعين فرسخا • (م) •
(١٥) ابن رسته ١٥٢ ؛ ابن خردادبه ٢٠ و ١٧٦ ؛ المستوفى ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢١٤ •

نصف الطريق في المفازة بين كركس كوه وسياه كوه ، رباط حصين يقال له دير الجص من جص وآجر ، عليه أبواب حديد . وهذا الرباط على ما ذكر الاصطخرى يسكنه بذركة السلطان^(١٦) وفيه حياض الماء يجتمع فيها ماء المطر . وقال المقدسي انه رآه شعنا وعلى باب الرباط بقال مقيم . ووصف المستوفى كركس كوه بانه جبل منقطع عن الجبال ومحيطه نحو عشرة فراسخ^(١٧) . وكانت النسور تعشش في صخور ذراه . وتكثر فيه الوعول التي تحتل العطش اياما طويلة . والى غرب اردستان مدينة نطنز أو نطنزة ولم يذكرها احد من بلدانيي العرب قبل ياقوت^(١٨) . وروى المستوفى ان قلعتها كانت تسمى وشاق نسبة الى وال كان على نطنز . وقد عرفت هذه القلعة قديما باسم كَمَرَت . وفي جوار نطنز أيضا قرية كبيرة يقال لها طَرَق ، هي « شبه بلدة » على قول ياقوت . ولاهلها على ما ذكر القزويني « يد باسطة في الآلات المستظرفة من العاج والابنوس يحمل منها الى سائر البلاد »^(١٩) .

وقد وصف الاصطخرى مدينة قاشان بانها « مدينة صغيرة ، بناؤها وبناء قم الغالب عليه الطين » . وكتب بلدانيو العرب القدماء اسمها بصورة قاشان لا كاشان . واشتهرت قاشان في ديار الشرق بقرميدها الذي يقال له القاشي (والقاشاني) واصبحت هذه التسمية تطلق على القرميد الازرق والاخضر المتخذ في تزويق المساجد حتى يومنا هذا . وعلى ما في المقدسي كان بقاشان « عقارب عجبية » وقد أشار ياقوت الى « ما يجلب منها من الغضائر القاشاني » وقال ان « أهلها كلهم شيعة امامية » . وذهب المستوفى الى ان اول من بنى قاشان زبيدة زوجة هرون الرشيد ، ونوه بقصر رفين وهو بقرب قاشان وقال فيه حياض وكهاريز

(١٦) البذركة بالدال المهملة وقد تعجم : الخفارة . يقال بعث السلطان بذركة مع القافلة أي من يخفرها . وهي فارسية معربة . (م) .

(١٧) في الاصطخرى (ص ٢٣٨) وابن حوقل (ص ٤٠٢) ان دور (بفتح الدال) اسفله نحو فرسخين . (م) .

(١٨) بل سبقه ابو سعد السمعاني الى ذكر هذه البلدة (انظر الانساب ، وجه الورقة ٥٦٤) (م) .

(١٩) الاصطخرى ٢٠٢ و ٢٢٨ و ٢٣٠ و ٢٣١ : ابن حوقل ٢٨٨ - ٢٩١ : المقدسي ٣٩٠ و ٤٩٠ و ٤٩١ : ياقوت ١ : ١٩٨ : ٣ : ٥٣١ : ٤ : ٧٩٣ : [القزويني ٢ : ٢٧٣ (م)] . المستوفى ١٥٠ و ١٥١ و ٢٠٦ : جهان نما ٢٩٩ .

تستمد الماء من نهر يأتي من قهرود • وكان نهر قاشان يجف صيفا قبل ان يصل
ظاهر المدينة ، اما فى الربيع فغالبا ما يطغى فيضانه على المدينة • وبعد ان يجتازها
كان يفنى فى المفازة المجاورة لها •

ومدينة قم ، وهى الى شمال قاشان ، مشهورة الآن عند الشيعة بمشهدها ،
وهو مشهد فاطمة أخت علي الرضا الامام السادس ، وقد عاش فى أيام هرون
الرشيدي • والمعروف انها توفيت مسمومة فى طريقها الى اخيها فى خراسان • وصف
ابن حوقل مدينة قم فى المئة الرابعة (العاشرة) فقال ان جميع أهلها شيعة ،
وكانت حينذاك مدينة عليها سور ، خصبة وبها بساتين وأشجار فستق وبندق •
وكان اسم قم القديم على ما فى ياقوت : « كَمُندَان » فاسقط العرب بعض حروفها
فسميت بتعريبهم « قما » • وقال أيضا (٢٠) « داخل المدينة حصن قديم للعجم »
ما زال يرى • « ولها واد يجرى فيه الماء بين المدينتين (أى بين الحصن القديم
والمدينة الاسلامية) عليه قناطر معقودة بحجارة » • وذكر المستوفى ان دائر أسوار
قم كان عشرة آلاف خطوة ، وقد اشتهرت قم اشتهار آوہ بكثرة مخايب الثلج
التي تحفر فى الارض • ويكثر فيها السرو وتكثر الحمر من عنبها الاحمر الفاخر •
وحين كتب المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كان الخراب قد دب فى
معظم مدينة قم • ومما يحسن ذكره انه لا المستوفى ولا غيره من المصنفين القدماء
لمح الى قبر فاطمة وان كانت المدينة معروفة بانها مركز للشيعة (٢١) •

ومخرج نهر قم فى ناحية كليكان قرب جبل خاسار على ما جاء هذا الاسم
فى المستوفى • وهذا الجبل يرتفع بين نهر قم والرافد الايسر لنهر اصفهان المار
الذكر • وجرباذقان هو الاسم العربى لكليكان • وصورة الاسم القديمة كانت
كربائيكان وقد فسرہ المستوفى بـ « موضع الورود » وكتب اسمه بصورة
كلبادكان • ونوه بخصب ناحية كليكان ، وذكر ان من أعمالها خمسين قرية •
وأشار المقدسى الى جرباذقان فقال هى فى نصف الطريق بين كرج ابى دلف

(٢٠) لم يرد هذا القول فى ياقوت : وقد وجدناه فى البلدان لليعقوبى (ص ٢٧٣) (م) •

(٢١) [اليعقوبى ٢٧٣ (م)] : الاصطخرى ٢٠١ : ابن حوقل ٢٦٤ : المقدسى ٣٩٠ :

ياقوت ٤ : ١٥ و ١٧٥ : المستوفى ١٥٠ و ٢١٧ : جهان نما ٣٠٥ •

واصفهان وان قرية خانسار ، وقد عرفت الناحية باسمها ، كانت مجاورة لها على ما فى ياقوت . وكانت مدينة دليجان اسفل منها على نهر قم . وذكرها ياقوت بصورة دليجان أو دليكان . وقد كانت فى ما مضى عامرة الا انها آلت الى الخراب حين كتب المستوفى . وبعد ان يجتاز نهر قم مدينة قم ، يلتقى بالنهر الكبير الآتى من همدان وهو نهر كاوماها أو كاوماسا . ويستقبل فى يمينه على بعد قليل فوق قم نهر آوه وفى يساره النهر المار بساوه وهذه الانهار يتشعب كلها الى جداول كثيرة توصل فيما بينها سواق ثم تنفى أخيرا فى المفازة الكبرى شمال شرقى قم . ومدينة آوه (وتسمى آوه ساوه تميزا لها عن آوه القرية من همدان . أنظر ص ٢٣١) على شىء يسير غرب قم . وينبع نهر آوه فى تفرش وهى ، على وصف المستوفى لها ، ولاية لا يكون الوصول الى أى طرف منها الا بدروب . وهى وافرّة الخيرات كثيرة الضياع . وقد ذكرها المقدسى باسم آوه الرى . اما ياقوت فقال انها قرية أو بلدة . وكتب اسمها بصورة آبه وقال ان اهلها شيعة . وفى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) وصف المستوفى آوه وقال عليها سور محيطه الف خطوة وفيها مخابىء محفورة لاختزان الثلج لان الحاجة تمس الى الثلج فى اشتداد القىظ . وخزنها ردىء . وذكر ان بين آوه وقم جبل منقطع يقال له كوه كمنك (جبل الملح) لان تربته يخالطها الملح . وبلوغ قمة هذا الجبل ممتع لان ارضه هشة ولا يستقيم الثلج على سفوحه . وملحه لا يستعمله الناس لشدة مرارته . ودور هذا الجبل ثلاثة فراسخ وهو شاهق جدا فىرى من عشرة فراسخ (٢٢) .

ومدينة ساوه فى منتصف المسافة بين همدان والرى على طريق القوافل التى تقطع بلاد فارس (أى طريق خراسان) . وكانت ذات شأن فى المثة الرابعة (العاشرة) . وصفها ابن حوقل بانها « كثيرة الجمال وأكثر الحجاج يحججون على جمالهم لانهم مع قنيتهم الجمال جمّالون » . وقال المقدسى ان المدينة « عليها حصن وبها حمامات ظريفة والجامع بعيد عن السوق وهى على الجادة » . وذكر

(٢٢) الاصلخرى ١٩٥ و ١٩٨ ؛ المقدسى ٢٥ و ٥١ و ٢٥٧ و ٣٨٦ و ٤٠٣ ؛ ياقوت

٥٧ : ٢ ؛ ٤٦ و ٣٩٢ و ٥٨٤ ؛ المستوفى ١٤٧ و ١٥٠ و ٢٠٦ و ٢١٦ .

باسم قراصو (الماء الاسود) • ومنابعه على ما مرّ بيانه في مفازة همذان حيث تنحدر جداول متشعبة من اسداباد وجبل الوند وكورة فريوار فيجري أولا الى ناحية الشمال ثم ينعطف انعطافا حادا الى الشرق فيستقبل من الجنوب رافدا عظيما هو النهر الذي ينبع بالقرب من كرج ابي دلف ويستقبل مما يلي ساوه وآوه رافدين آخرين قد مرّ ذكرهما • وأنشئ في هذا النهر سد عظيم يختزن الماء للسقى في موسم الصيhood • ويختلط مجرى كاوماها بنهر قم الاتي من كليكان • وذكر المستوفى ان مياه هذين النهرين الفائضة بعد ان تتجاوز موضعا يقال له هفتاد بولان أي « القناطر الثمانين » يفنى ما يتبقى منها في المفازة الكبرى • وقال المستوفى ان مثل نهر كاوماها في ناحيته مثل نهر زنده رود في اصفهان • فقد كان كلاهما مصدر الخير والبركة لهاتين المدينتين • ومما تحسن الاشارة اليه ان أحدا من البلدانين العرب القدماء لم يذكر هذا النهر (٢٣) •

(٢٣) ابن حوقل ٢٥٨ : المقدسي ٣٩٢ : ياقوت ٣ : ٢٤٠ : ٤ : ٥٢٠ : القزويني ٢ : ٢٥٨ • المستوفى ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٢ و ٢١٧ •

بنى السد الذي في كاوماها شمس الدين صاحب ديوان السلطان أحمد بن هولاكو ثالث ايلخاني بلاد فارس •

قلنا : هو شمس الدين محمد بن محمد الجويني صاحب دواوين الدولة الايلخانية (م) •

الفصل الخامس عشر

الجبـال «تمة»

الري - ورامين وطهران - قزوين وقلعة الموت - زنجان - السلطانية - شيز
او ستوريق - خونج - ناحيتا الطالقان وطارم - قلعة شميران -
تجارات اقليم الجبال وغلالة - مسالك اقليم الجبال
واذربيجان واقاليم الحدود الشمالية
الغربية .

فى الطرف الشمالى الشرقى من اقليم الجبال ، مدينة الري • وكتبها بلدانيو
العرب مقترنة دائما بال التعريف • وهى مدينة ريجس Rhages عند اليونان •
وقد كانت الري فى المئة الرابعة (العاشرة) على ما يظهر أكبر القصبات الاربع
لاقليم الجبال • قال ابن حوقل « ليس بعد بغداد فى المشرق مدينة أعمر من
الري الا ان نيسابور أكبر منها عرصة وافسح رقعة ، ومقدارها فرسخ ونصف
فى مثله » • وكانت الري فى أيام الخلافة العباسية يقال لها المحمدية ، وانما سميت
بهذا الاسم لان محمدا ، وهو المهدي الخليفة العباسى ، نزلها فى خلافة ابيه المنصور
وبنى أكثر مدينة الري • وبها ولد ابنه هرون الرشيد • وصارت مدينة المحمدية
هذه أكبر دار للضرب فى هذا الاقليم • وقد وجد اسمها هذا على كثير من النقود
العباسية •

« وبناء الري من طين ويستعمل فيها الآجر والجص » • وعلى ما فى ابن

حوقل كان للرى حصن حسن مشهور له خمسة أبواب : باب باطاق (فى الجنوب الغربى) ويخرج منه طريق بغداد • وباب بليسان (فى الشمال الغربى) ويفضى الى قزوين • وباب كوهك (فى الشمال الشرقى) ويفضى الى طبرستان • وباب هشام (فى الشرق) ويخرج منه طريق خراسان • وباب سين (فى الجنوب) ويفضى الى قم • وكانت أسواق المدينة عند هذه الابواب وخارجها • وأعظمها تجارة ريش ساربانان وروذه • وبها معظم التجارات والخانات ، وهو شارع عريض مشتبك الابنية والعقارات والمساكن • وفى المدينة على قول ابن حوقل : « نهران للشرب ، يسمى أحدهما سور قتي ويجرى على روضه ، والآخر الجيلاني يجرى على ساربانان » • وذكر ياقوت أيضا نهر موسى الاتى من جبل الديلم ، فقد يكون هذا النهر هو الجيلاني أو نهر كيلان المار الذكر • وأشار المقدسى الى بنائين جليلين فى الرى أحدهما دار البطيخ وهو اسم يطلق عادة على سوق الفاكهة ، والثانى دار الكتب بأسفل الروذه فى خان ، ولم تكن كثيرة الكتب على قول المقدسى •

وفى المثة الرابعة (العاشرة) قال ابن حوقل والمقدسى ان الرى قد خرب أكثرها وتحولت تجارتها الى ارباض المدينة القديمة • وكان يطل على المسجد الجامع الذى بناه الخليفة المهدي وفرغ من عمارته فى سنة ١٥٨ (٧٧٥) ، على ما روى ياقوت ، الحصن وهو على قلة جبل صعب المرتقى « فاذا صعدت الى تلك القلعة اطلعت على سطوح الرى كلها » على وصف ابن رسته • اما ما رواه ياقوت عن الرى فغير واضح كثيرا الا انه اقتبس فى شطر مما روى وصفا خطليا قديما للمدينة جاء فيه ان المدينة الداخلة فيها المسجد الجامع ودار الامارة وحولها خندق • وأهل الرى يدعونها « المدينة » • والمدينة الخارجة كان غالبيتها يعرف بالمحمدية وقد كانت فى أول أمرها ربضا محصنا • وكان على قلة جبل يطل على المدينة التحتانية (الداخلة) وعلى ما نقله ياقوت كان هذا الحصن يعرف بالزبيدية (وقد ورد اسمه فى بعض المخطوطات بصورة الزيندي)^(١) • وقد كان المهدي

(١) قلنا : سمي ياقوت هذا الحصن بالزيندي بتقديم النون على الباء (٢ : ٨٩٥) • على اننا لم نعثر فى مادتي « الرى » و « الزبيدية » من معجم البلدان على ما يدل على ان الحصن كان يسمى بالزبيدية أيضا (م) •

نزله أيام مقامه بالرى • ثم جعل بعد ذلك سجنا ثم خرب وعمر فى سنة ٢٨٧ (٨٩١) • وكان فى الرى قلعة أخرى يقال لها قلعة القَرْخَان وعرفت أيضا بالجوسق • وفى المئة الرابعة (العاشرة) كره فخر الدولة البويهى القصر القديم القائم فوق قلة الجبل فابتنى له أبنية مشرفة على البساتين سماها فخر آباد^(٢) •

وأشهر رساتيق الرى فى الازمنة الاولى وأكثرها خصوبة : رستاق روذه (أو الروذه) وفيه قرية كبيرة بهذا الاسم فى ما يلى ربض المدينة • وورامين وقد أخذت مكان الرى بعدئذ وصارت اولى مدن ذلك القسم من اقليم الجبال • وبشاويه وما زالت قائمة تعرف باسم فشاويه • وأخيرا قوسين وديزه والقصران الخارج والداخل • وديزه اسم قريتين كبيرتين أو مدينتين على مسيرة يوم من الرى وهما ديزه القصرين وديزه ورامين • وكل هذه الرساتيق وغيرها مما ذكره ابن حوقل كانت اشبه بمدن صغيرة « يزيد ما فى احدها من أهلها على عشرة آلاف رجل » • وفى سنة ٦١٧ (١٢٢٠) استولت جيحافل المغول على الرى ونهبتها واحرقتها ولم تقم لها قائمة منذ نزول هذه الكارثة بها • وحين مرّ بها ياقوت فى ذلك الزمان قال « رأيت حيطان خرابها قائما وقد خربت دورها • وكثير منها مبني بالآجر المنمق المحكم الملمع بالزرقة مدهون كما تدهن الفضائر » • ولم ينبج من أذى المغول غير ربض الشافعية وهو أصغر أحياء المدينة • اما احياء الحنفية والشيعة فقد خربت ولم يبق لها أثر^(٣) •

وقد حاول غازان خان المغولى تعمير الرى وانقاذها من الخراب المستحوذ عليها فأمر باعادة بناء المدينة والسكنى فيها • ولكنه خاب فى ذلك لان سكانها كانوا قد انتقلوا عنها الى مدينتي ورامين وطهران المجاورتين لها لاسيما الى الاولى اذ كانت أطيب هواء من الرى القديمة • واضحت فى مطلع المئة الثامنة (الرابعة عشرة) أكثر مدن هذه الناحية ازدهارا • وخرائب ورامين على شىء يسير من

(٢) اليعقوبى ٢٧٥ : ابن رسته ١٦٨ : ابن حوقل ٢٦٥ و ٢٦٩ و ٢٧٠ : القدسى ٣٩٠ و ٣٩١ : ياقوت ٢ : ١٥٣ و ٨٩٤ و ٨٩٥ : ٣ : ٨٥٥ : ٤ : ٤٣١ •
ولم يتبين ما اذا كانت قلعة الرى التى بناها المهدي واطلق عليها الزبيدية (ان صحت قراءة الاسم) قد نسبت الى زبيدة زوجة هرون الرشيد أم الى امرأة غيرها بهذا الاسم •
(٣) ابن حوقل ٢٧٠ و ٢٨٩ : ياقوت ٢ : ٥٧٢ و ٨٣٣ و ٨٩٣ و ٨٩٤ •

جنوب الرى • الى شمالها ، على ما ذكر المستوفى ، جبل طبرك - وهو على ما يظن غير الجبل الذى بنى عليه (الخليفة) المهدي قلعة المارة الذكر - • وكان فيه معدن الفضة ويأتى منه ربح كثير • وقلعة طبرك هذه ، على ما فى تاريخ ظهير الدين ، قد بناها منوچهر الزيارى فى مطلع المئة الخامسة (الحادية عشرة) • وروى ياقوت ان طغرل الثانى^(٤) آخر سلاطين سلاجقة العراق خربها فى سنة ٥٨٨ (١١٩٢) • وتحدث طويلا عن حصار هذا الحصن المنيع المشهور وقال ان جيل طبرك على يمين القاصد خراسان وعن يساره جبل الرى الاعظم (ويظن انه موضع القلعة التى بناها المهدي) • وهو متصل بخراب الرى • ووصف المستوفى ضريح امام زاده عبد العظيم بانه على مقربة من الرى وما زال هذا المشهد من المزارات المكرمة فى طهران اليوم • وفيه ضريح الحسين بن علي الرضا الامام الثامن •

ومن الولايات المشهورة قرب الرى : ولاية شهریار • وذكر المستوفى عرضا قلعة بهذا الاسم تقوم فى شمالى المدينة • وقد اصبحت هذه القلعة بعد ذلك ذات شأن لان شهریار أو رى شهریار هو الاسم الذى أطلقه علي اليزدى على الرى حين وصف حروب تيمور • اما ورامين فكانت ، على ما بينا ، أول المراكز الآهلة الا ان الخراب قد نال من هذه المدينة فى مطلع المئة التاسعة (الخامسة عشرة) وبعد زمن قام فى موضعها مدينة طهران التى لم تكن فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) غير قرية من أكبر فرى الرى • وفى طهران القديمة (وتلفظ تهران أيضا) كان لاهلها تحت الارض بيوت « كنافقاء اليربوع » على ما فى القزوينى « وفيها اثنتا عشرة محلة كل محلة تحارب الاخرى » • ووصف المستوفى طهران فى القرن التالى فقال هى مدينة وسطية • ولكن فى ختام المئة الثانية عشرة (الثامنة عشرة) اتخذها اقا محمد شاه مؤسس الدولة القاجارية عاصمة لبلاد فارس^(٥) •

(٤) الصحيح : الثالث • الاول طغرل بك الفاتح ، والثانى طغرل بن السلطان محمد بن ملكشاه • والثالث طغرل الثالث بن ارسلان بن طغرل الثانى • (الدكتور مصطفى جواد)
(٥) القزوينى ٢ : ٢٢٨ و ٢٥٠ : المستوفى ١٤٣ و ١٤٤ و ٢٠٥ : ياقوت ٣ : ٥٠٧ و ٥٦٤ على اليزدى ١ : ٥٨٣ و ٥٨٦ و ٥٩٧ •

وروى ظهير الدين (Dorn) فى : Muhammadanische Quellen ١ : ١٥ من النص الفارسى (ان طبرك تعنى « الجبل » فهى تصغير طبر ومعناها « جبل » فى اللهجة الطبرية وقد أشرنا الى طبرك اصفهان فى ص ٢٤٠ •

والانهار التي تسقى سهل الرى وورامين وطهران تنساب من هذا السهل الى حدود المفازة الكبرى فتفنى فيها . وكان من أهم هذه الانهار : نهر موسى ، وقد مر ذكره ، وعليه قرى كثيرة . وتكلم المستوفى أيضا على نهر كرج وكانت عليه قنطرة ذات طاق واحد يقال لها يل خاتون (قنطرة الخاتون) ويقال انها انما سميت بذلك نسبة الى السيدة زبيدة زوجة هرون الرشيد . وما زالت بقايا هذه القنطرة ترى قرب طهران . وذكر القزوينى ان أهل الرى من الشيعة يكرهون نهر سورين ويتطيرون منه لان جنة القتل يحيى حفيد علي زين العابدين الامام الرابع غسلت فيه فلا يقربونه^(٦) . على ان المستوفى ذكر ان أهم انهار الرى نهر جايجروود ومخرجه فى جبل جايج تحت دماوند ويتشعب الى اربعين نهرا عند وصوله سهل الرى .

وعند الحد الغربى لهذا السهل ناحية ساوج بلاغ - ومعناها بالتركية « العيون الباردة » - وهى على ما وصفها المستوفى بقعة كانت ذات شأن فى أيام السلاجقة . وقد بلغ خراجها فى أيام المغول اثنى عشر الف دينار . وكان من أهم قراها العديدة سنة راباد (وما زالت قائمة) وهى مرحلة جلييلة فى المسالك التى وصفها المستوفى . وكان يسقى ناحية ساوج بلاغ كرمود ومخرجه فى الجبال شرق قزوین وهو يسقى نواحي الرى وشهريار وتلتقى به هناك انهار كثيرة تتحدر من الجبال فى الشمال قبل ان تفنى مياهه الباقية من السقى فى المفازة الكبرى^(٧) .

وقزوین على نحو مئة ميل شمال غربى طهران وهى فى أسفل الجبال العظيمة . وقد كانت منذ أقدم الأزمنة موضعا جليلا تحرس الدروب المخترقة اقليم طبرستان وتؤدى الى شطآن بحر قزوین . وكانت البقاع الجلييلة فى الشمال

(٦) وجدنا ان القزوينى (١ : ١٨١) وياقوت (معجم البلدان ٣ : ١٨٦) قد نقلوا ما ذكرناه عن نهر سورين من مسعر بن مهلهل . وقد اتفقا فى ما نقلناه وهذا نصه : « نهر سورين : بالرى . قال مسعر بن مهلهل رأيت أهل الرى يكرهونه ويتطيرون منه ولا يقربونه فسألت شيخا من أهل الرى عن سببه فقال لان السيف الذى قتل به يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضى الله عنه غسل فيه » . (م) .
(٧) القزوينى ١ : ١٨١ : المستوفى ١٤٤ و ١٤٨ و ١٩٦ و ٢١٦ وانظر مخطوطة المتحف البريطانى Add. 543, 23 الورقة ١٧٩ ب ؛ جهان نما ٢٩٢ و ٣٠٤ .

الغربي تؤلف منذ القدم قسما من بلاد الديلم (وقد مرّ وصفها في الفصل الثاني عشر) وكانت وقتا ما مستقلة استقلالاً داخلياً فلم تخضع لحكم العباسيين • وكانت قزوين في هذا العصر أهم ثغر يقف بوجه أولئك الكفار الأشداء • وكانت مشحونة بقوة كبيرة من مقاتلة المسلمين • وفي أيام بنى أمية كان محمد بن الحجاج - والحجاج عامل بنى أمية المشهور على العراق - قد بعثه أبوه على رأس جيش لمحاربة الكفار في جبال الديلم • « فنزل محمد قزوين وبنى بها مسجداً » وصفه ياقوت بأنه « المسجد الذى على باب دار بنى جنيد ويسمى مسجد الثور ، فلم يزل قائماً حتى بنى الرشيد المسجد الجامع » • ووصف ابن حوقل في المثة الرابعة (العاشرة) قزوين فقال « مدينة عليها حصن وداخلها مدينة صغيرة عليها حصن » • وفي المدينة الداخلة مسجدان • وأراضيها خصبة ويكون مقدارها ميلاً في مثله • وأهلها أشداء مقاتلة فكان خلفاء بنى العباس يرسلون من هذه المدينة حملاتهم لمعاينة أهل الطالقان والديلم •

ولقزوين على ما ذكر اليعقوبى واديان ، يقال لاحدهما الوادى الكبير وللآخر وادى سيرم • وكان بالقرب منها آثار لبيوت النار • ونوه المقدسى بكثرة كرومها • وكان اسم احدى المدينتين : مدينة موسى والاخرى مدينة مبارك ويقال لها المباركية أيضاً • وانما سميت الاولى بذلك لان الخليفة موسى الهادى (الاخ الأكبر لهرون الرشيد) قد ابتناها فنسبت اليه • وكان بناؤه لها في خلافة أبيه المهدي • ولما نزل هرون الرشيد بعد ذلك (وقد خلف الهادى) قزوين في طريقه الى خراسان أنشأ الجامع الجديد وبنى أسوار المدينة • وكان مبارك التركي من موالى المأمون أو المعتصم قد بنى قلعة المباركية في مبارك أباد ويقال لها أيضاً مدينة مبارك •

وظلت قزوين في القرون الوسطى مدينة زاهرة غير ان المغول في مطلع المثة السابعة (الثالثة عشرة) خربوها • وبعد ذلك بمئة سنة أفاض المستوفى وكان من أهل قزوين في الحديث عن قزوين • اقتبس بعضه مما يتناقله الناس فيها • فروى انه كان في موضع قزوين الحديثة مدينة فارسية قديمة بناها الملك شاپور يقال لها شاد شاپور « فرح شاپور » • وقرب خرائبها كانت المدينتان الاسلاميتان مدينة

موسى ومبارك اباد (وكان مبارك على قول المستوفى من موالى الخليفة الهادى) •
ثم ان هرون الرشيد حوَّط هذه المدن الثلاث بسور حصين ولم يكمل الا فى
سنة ٢٥٤ (٨٦٨) اذ أكمله القائد التركى موسى بن بغا فى عهد الخليفة المعتز •
ثم ان صدر الدين وزير السلطان السلجوقى ارسلان الثانى جدد بناءه بالآجر فى
سنة ٥٧٢ (١١٧٦) واستطرد المستوفى فقال كان من أعمال قزوين ثلاثمئة قرية
أجملها فارسجین وسكن اباد وورد اسماهما فى سياق وصفه للمسالک • وذكر
أيضا اسماء جملة أنهار كانت تسقى ناحية قزوين وهى : خروء ، وكذلك بوء رود
وکردان رود ، وكانا يأتیان من الطالقان • وتركان رود ويأتى من ناحية خرّقان
(أنظر ص ٢٣١) • وعلى ما جاء فى القزوينى ، كانت الانهار التى تسقى بساتین
المدينة : وادى درج فى الشرق ووادى أترك فى الغرب • وسرد هذا المؤلف أيضا
اسماء جملة مدن وقرى كانت فى سهل قزوين وفى البقاع الجبلية المطلة عليها (٨) •

وكانت دستوا (أو دستبى) فى أيام بنى أمية دار ضرب للنقود • ويطلق هذا
الاسم على كورة كبيرة أجلّ قراها يزد اباد • وكانت دستوا فى أيام الامويين
مقسومة بين الرى وهمذان • والذى انتهى اليها ان طريق الرى الذهاب من الرى
الى اقليم اذربيجان رأسا كان يخترقها عادلا عن قزوين • ولم يبق لاسم دستوا أثر فى
الخارطة ، الا ان موضعها ينبغى ان يكون جنوب قزوين ، وقد صارت تعد فى أيام
بنى العباس من أعمالها •

والى شمال غربى قزوين ، على قنن الجبال الفاصلة بين هذه الكورة ورود بار
التى على نهر شاهرود فى طبرستان ، قلاع الاسماعيلیة المشهورة (الحشيشية

(٨) ابن حوقل ٢٥٩ و ٢٦٣ و ٢٧١ : اليعقوبى ٢٧١ : ابن خرداذبه ٥٧ : القدسى ٣٩١ : ياقوت
٤ : ٨٨ و ٨٩ و ٤٥٤ و ٤٥٥ : القزوينى ٢ : ١٩٠ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٦ و ٢٤٤ و ٢٧٤ و ٢٧٥
و ٢٩٠ : المستوفى ١٤٥ و ١٤٦ و ١٩٦ و ٢١٧ •

وكان القزوينى على ما يدل عليه اسمه ، من أهل قزوين (كالمستوفى) • وقد أورد المستوفى
فى تاريخه (كزیده) حديثا مستقيضا عن بلده ، ترجمه المسيو باربيه دى مينار (Barbier
de Meynard) فى المجلة الآسيوية Journal Asiatique لسنة ١٨٥٧ المجلد الثانى
ص ٢٥٧ • ووضع القزوينى (٢ : ٢٩١) مخططا ارضيا تقريبا للمدينة رسم المدينة فيه داخل
دوائر من اسوار مشتركة المركز فالدايرة الداخلة مدينة شهرستان كانت تحيط بها المدينة العظمى
وحول هذه البساتين وتحف بها المزارع ويخترق نهرها المزارع •

(= الحشاشين) وكانت خمسين قلعة عدآ على ما فى المستوفى منها آموت وكانت كرسى ملكهم ، ويمون دز أمنع حصونهم • ويقال ان معنى ألموت « عش العقاب » أو « ما وجده العقاب »^(٩) بلسان أهل طبرستان • وقيل ان أول من اتخذ له قلعة فى هذه البقاع بعض ملوك الديلم فقد ارسل عقابا للصيد فتبعه فرآه وقع على هذا الموضع فوجده موضعا حصينا • وكان القزوينى ، وهو ولا مرأ ممن يجيد معرفة الموضع ، قد وصف القلعة بقوله انها « على قلة جبل وحولها وهاد لا يمكن نصب المنجنيق عليها ولا النشاب يبلغها » • وقلعة ألموت على ستة فراسخ من قزوين وقد بنى آخر حصونها الحسن الداعى العلوى الملقب بالداعى الى الحق فى سنة ٢٤٦ (٨٦٠) وفى سنة ٤٨٣ (١٠٩٠) أو ٤٤٦ (١٠٥٤) على ما فى القزوينى - صارت ألموت فى حوزة حسن الصباح الملقب بشيخ الجبل ولبت مئة واحدى وسبعين سنة أمنع حصون الاسماعيليه • ثم استولى هولاكو خان المغولى عليها وأمر بتجريدتها من آلاتها الحربية فى سنة ٦٥٤ (١٢٥٦) • وبعد سقوطها سرعان ما انهارت مقاومة قلاع الحشيشية الواحدة تلو الاخرى فوقعت بيده كلها فجعلها قاعا صفصفا • وقد زار كثير من الرحالة ما يظن انه موضعها • وما زالت آثار كثير من قلاع الاسماعيليه الاخرى على ما يقال ظاهرة فى الجبال شمال قزوين^(١٠) •

وأبهر وزنجان ، وهما مدينتان يقترن ذكرهما معا فى الغالب ، على الطريق غرب قزوين ، وقد اشتهرتا منذ قديم الزمان • ذكر ابن حوقل فى المئة الرابعة

(٩) فى القزوينى (٢ : ٢٠٠) ان اسمها بلسان الديلم « آله أموت » أى « تعليم العقاب » وفى « تاريخ العراق بين احتلالين لعباس المزوى (١ : ١٥٢ ح ٢) نقلا عن جامع التواريخ لرشيد الدين ، ان اسم الموت هو تاريخ حكومتهم وظهورهم ، وحروفه تساوى ٤٧٧ • (م) •
(١٠) القزوينى ٢ : ٢٠٠ : المستوفى ١٤٧ •

أورد المستوفى فى تاريخ كزيده (الفصل الرابع - القسم التاسع - الجزء الثانى) تاريخ الاسماعيليه أى الحشيشية (الحشاشين) فى فارس • وقد ترجم هذا القسم وعلق عليه ديفريميرى (Defrémery) فى المجلة الآسيوية (لسنة ١٨٤٩ : ١ : ٢٦) وسرد فيها (ص ٤٨) اسماء قلاع الاسماعيليه التى استولى عليها هولاكو وأمر بتقويضها • غير ان مواضع معظمها غير معروفة • وكانت كرد كوه ولنبسز آخر ما سقط من قلاعهم • ويظهر ان هولاكو لم يخرب ألموت تخريبا تاما ، أو لعلها بنيت ثانية بعد ذلك ، اذ ان الشاه سليمان الصفوى اتخذها سجنا على ما ذكره شاردان فى رحلته فى فارس (١٠ : ٢٠) • وفى القرن الماضى زار الكولونيل مونتيث Monteith اطلالها ووصفها فى JRGs لسنة ١٨٣٣ (ص ١٥) •

(العاشرة) ان ابهر مأهولة بالاكتراد كثيرة المياه والاشجار ويكثر فيها القمح ولها حصن منيع شيد على دكة • وأشار القزوينى الى ان المدينة كلها مشتملة على طواحين تدور على الماء^(١١) • وبها نوع من الكمثرى مدور بحجم النارج يقال له العباسى لذيذ جدا ما فى البلاد شئ مثله • وقال ياقوت : العجم يسمونها أوهر • وذكر المستوفى ان الاتابك بهاء الدين حيدر قد جدد بناء القلعة فى أيام السلاجقة فعرفت بالحيدرية • وكان محيط أسوار المدينة ٥٥٠٠ خطوة • ونهر أبهر بعد ان يسقى نواحيها يجرى نحو مدينة قزوين ثم يقضى فى المفازة • ومدينة زنجان على نحو خمسين ميلا الى شمال غربى أبهر على نهر زنجان وهو يجرى غرب سفيدرود • وقال ابن حوقل ان زنجان أكبر من أبهر وانها على طريق اذربيجان • وذكر ياقوت ان العجم يقولون زنكان • وروى المستوفى ان مؤسسها هو الملك اردشير بابكان وكان اسمها أولا شاهين • وقد خربت زنجان فى خلال الفتح المغولى • وطول أسوارها التى بقيت الى زمنه عشرة آلاف خطوة ، وكانت ناحيتها كثيرة الخيرات • بلغ خراجها عشرين ألف دينار • وقال المستوفى ان اللغة السائدة فيها فى مطلع المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت ما تزال لغة بهلوية صرفة ، يستشف من خلالها بلا ريب انها لهجة محلية فارسية^(١٢) •

وفى نحو نصف الطريق بين ابهر وزنجان ، وسط السهل العظيم الذى يؤلف منقسم الماء بين الانهار الفائضة غرب سفيدرود وشرق المفازة الكبرى ، أطلال السلطانية ، المدينة المغولية التى أنشأها ارغون خان واتمها السلطان ألبايتو فى سنة ٧٠٤ (١٣٠٥) وجعلها قاعدة الدولة الايلخانية • قال ابو الفداء ان اسمها المغولى كان قنغران • وذكر المستوفى ان من أعمالها تسع مدن • ومحيط أسوارها ٣٠٠٠٠ خطوة • وفى وسط حصنها قبر ألبايتو وعليه نقوش منحوتة فى الحجر • وما زالت أطلال هذا القبر المقبب (أو المسجد) قائمة ولكن لا أثر للمدينة اليوم •

(١١) وقد جاء فى ياقوت (١ : ١٠٤) ان معنى ابهر مركب من « آب » وهو الماء و « هر » وهو الرعى • (م) •
(١٢) ابن حوقل ٢٥٨ و ٢٧١ و ٢٧٤ : المقدسى ٣٧٨ و ٣٩٢ : القزوينى ٢ : ١٩١ : ياقوت ١٠٤ : ٢ : ٥٧٤ و ٩٤٨ : ٤ : ١٠١٧ : المستوفى ١٤٦ و ١٤٧ و ٢١٧ •

على ان المستوفى قال ان السلطانية كانت تشتمل فى أيامه على مبان أفخم مما فى أية مدينة فارسية أخرى ما خلا تبريز • وفى طريق أبهر على خمسة فراسخ شرق السلطانية قرية قهود • ويسمىها المغول صاين قلعة • على ما ذكر المستوفى • وما زال هذا الموضع موجودا باسمه الاخير صاين • ويقال له أيضا باتوخان ، وباتوخان حفيد جنكيز خان • وقلعة سرجهان المنية فوق قلة الجبل فى نصف الطريق بين صاين قلعة والسلطانية • وكانت تبعد عن الاخرة خمسة فراسخ • وتتوج قمة جبل وتشرف على السهول الواسعة الممتدة من هناك شرقا الى ابهر وقزوین • ووصف ياقوت سرجهان وكانت من كورة طارم بأنها من احصن القلاع وأحكمها وقد رآها • وحين كتب المستوفى كان الخراب قد استولى عليها بسبب الفتح المغولى فنقل سلاحها وحاميتها الى صاين قلعة •

والى غرب السلطانية : سهرورد وسجاس ، وهما بليدتان متقاربتان بقينا حتى زمن المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) على شىء من حسن الحال ، أما اليوم فقد آلتا الى الخراب • وكتب ابن حوقل فى المئة الرابعة (العاشر) ان سهرورد قد غلب عليها الاكراد وهى كسهرزور فى مساحتها ورقعتها • وهى حصينة فى جنوب زنجان فى طريق همذان • أما سجاس أو سجاس فانها قرب سهرورد • ووصف المستوفى هاتين البلدين بانهما خربتا فى خلال الفتح المغولى فلم تكونا فى أيامه غير قريتين كبيرتين آهلتين • وكانت الكورتان القريتان منها يقال لهما جرود وأنجرود (وتعرفان اليوم باسم أنجرود وانكوران) وكانت سجاس على خمسة فراسخ غرب السلطانية • يحف بها نيف ومئة قرية يسكنها المغول • وكان فى الجبل المجاور لها قبر ارغون خان فجعل « كروغا » (وهو المعبد الطاهر) على عادة المغول ، وابنت ابنته الجاي خاتون خانقاها للدراویش هناك (١٣) •

وفى الحد الغربى لاقليم الجبال قرب منبع من منابع سفيدرود، الآثار المشهورة

(١٣) ابن حوقل ٢٥٨ و ٢٦٣ : القزوينى ٢ : ٢٦١ : ياقوت ٣ : ٤٠ و ٧٠ و ٢٠٣ : ابن الفداء ٤٠٧ • المستوفى ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٦٦ •
والظاهر ان سجاس وسهرورد لا ذكر لهما فى الخارطة اليوم وان كتب السر رولنسون H. Rawlinson (JRGS ١٨٤٠ ص ٦٦) ان سجاس كانت فى زمنه قرية صغيرة • على نحو ٢٤ ميلا جنوب شرقى زنجان • وقال ان سهرورد « قد ضاعت اليوم » •

المسماة اليوم «تخت سليمان» وفيها بركة صغيرة ينبجس الماء منها ولا يشحّ مهما حمل منه . وهذه الآثار قد عدّها بعضهم من بقايا مدينة شيز التي أشار إليها البلدانيون العرب القدماء . وذكرها المستوفى أيضا باسم ستوريق . ووصف ابن خرداذبه في المئة الثالثة (التاسعة) بيت النار في الشيز فقال هو عظيم القدر عند المجوس ويقال له اذرجشنس ، كان اذا ملك منهم الملك زاره من المدائن (طيسفون) ماشيا فيستريح في شهرزور وهي نصف الطريق (وقد مرّ ذكرها في ص ٢٢٥) ثم يتابع سيره الى شيز . فقد ذكرت الاخبار ان في شيز ولد زرادشت . وقال ياقوت ان اسمها الفارسي كان جيس وتسمى أيضا كزن ، وشيز تصحيف عربي لهذا الاسم . واقتبس ياقوت حديثا مستفيضا عن ابن مهلهل الذي كتب في سنة ٣٣٩ (٩٤٣) يصف شيز وكان قد زارها باحثا عن معادن الذهب التي في بطن جبالها على ما يقال فقال ان « هذه المدينة يحيط بها سور وبها بحير في وسطها لا يدرك قراره واستدارته نحو جريب (ثلث اكر) ، ويخرج منه سبعة أنهار . ومتى مُلّ بمائه تراب صار في الوقت حجرا صلدا » . ووصف ابن مهلهل ايضا بيت نار عظيم الشأن في شيز « منه تذكى نيران المجوس من المشرق الى المغرب وانهم كانوا يوقدون فيه منذ سبعة سنة ولا ينقطع الوقود عنه ساعة من الزمان » . ووصف المستوفى مدينة شيز فقال انها اولى مدن ولاية انجروود سماها المغول ستوريق . ووصف قصرا عظيما فيها بناء الملك كيخسرو على ما يقال ، كان في صحنه بركة أو بحيرة صغيرة لا يدرك قرارها ولا يقل مأوها وان كان هناك نهر يأخذ منها على الدوام ، فاذا قطع الماء عن هذا النهر لا يفيض مأوها . وذكر المستوفى ان اباقاخان المغولي ابتنى له فيها قصرا اذ كانت تحيط بها مروج نصره^(١٤) .

وفي الطرف الشمالي الغربي من اقليم الجبال على الطريق من زنجان الى اردبيل مدينة خونج التجارية الجبلية . جاء في ابن حوقل ان هذه المدينة كانت في المئة الرابعة (العاشرة) مشهورة بالخيول الجياد والاغنام والبقر . واورد

(١٤) ابن خرداذبه ١١٩ : ابن الفقيه ٢٨٦ : القزويني ٢ : ٢٦٧ : ياقوت ٣ : ٣٥٣ :

المستوفى ١٤٨ .
وقد عد السرهنرى رولنسون (JRGS) لسنة ١٨٤٠ ص ٦٥) تخت سليمان أو شيز انها اكبتانا Ecbatana الشمالية لدى الكتبة اليونان .

ياقوت ، وقد زار المدينة ، اسمها بصورة خونا ولكنه قال انها تسمى فى أيامه كاغد كنان أى « صناع الكاغد » • « وأهلها يكرهون تسميتها بخونا لقرينة قبيحة تقرن بهذا الاسم » فى معناه الفارسى • والمستوفى وقد ذكر فى مسالكة ان كاغد كنان على ستة فراسخ جنوب سفيد رود وأربعة عشر فرسخا شمال زنجان فى الطريق الى اردبيل قال انها قد تخربت فى اثناء الفتح المغولى وانها حين صنف كتابه صارت كالقرية • وكان يسقى اراضيها فرع من فروع سفيد رود • وكان الكاغد الفاخر يصنع فيها فى أيامه • وأطلق عليها المغول الذين سكنوها اسم « المغولية » ، ولم يشن حتى الآن على ما يظهر تعيين موقع خونج الحقيقى •

وبمحاذاة السفح الجنوبى للجبال التى تفصل اقليم الجبال عن بلاد الديلم وطبرستان فى الشمال الكور الثلاث : بشكل درّة والطالقان وطارم • وكثيرا ما كان يستعمل الاسمان الاخيران بدون تدقيق احدهما فى موضع الآخر • وكانت كل كورة من هذه الكور تنقسم الى قسمين : أعلى وأسفل • فالأعلى ما كان فى الجبال فهو بذلك يعد تابعا لاقليم الديلم • وكانت بشكل درّة ، على ما فى المستوفى ، الى غرب قزوین وجنوب الطالقان وفيها اربعون قرية كان ريعها قبلا وقفا على جامع قزوین ، وقد زالت من الخارطة • والطالقان وهى بين سهل السلطانية وسلسلة الجبال الشمالية ، وقد اختفى اسمها من الخارطة ، كثيرا ما ذكرها بلدانيو العرب القدماء • فقد أشار المقدسى الى انها « كبيرة عامرة نبيلة ليس فى الكورة مثلاً » وقد كان يجب ان تكون حضرة السلطان (أى سلطان الديلم) وعندي انهم كرهوا ذلك لتطرفها • وأشار القزوينى الى ما فى الطالقان من زيتون ورمال • وسرد ياقوت أسماء عدد من قراها • وأورد المستوفى ثبأ طويلا باسماء هذه القرى • على ان أغلبها اليوم لا يمكن رؤيته فى الخارطة الحديثة • وكان من رأيه ان معظم الطالقان يعود الى كيلان دون غيرها •

والى شمال زنجان بامتداد أسفل المرتفعات الجبلية أيضا ، كورة طارم • عرفها البلدانيون العرب بالطارمين ، مثنى الطارم ، ويريدون بذلك طارم السفلى وطارم العليا • وطارم العليا تدخل كلها فى بلاد الديلم ، ونهر طارم على ما ذكرنا من فروع سفيد رود اليمنى وكانت فروعه الكثيرة تسقى هذه الكورة الخصبة • قال

ياقوت وقد كتب الاسم بصورة تارم أو ترم انه ليس فيها مدينة مشهورة • غير ان هذه البلاد اشتهرت فى التاريخ بأسرة وهسودان • وكان ركن الدولة البويهى قد خلع آخر امرائها • وذكر المستوفى ان فيروزاباد كانت قصبة طارم السفلى • واندر (أو ايدى) أهم مدينة فى طارم العليا • ويقال لحصنها قلعة تاج • وسرد اسماء خمسة من أعمالها فى كل عمل منها قرى كثيرة •

وذكر المستوفى فى طارم السفلى قلعة شميران العظيمة وموضعها غير معروف وهى سميران بحسب تهجئة ياقوت لها وقد زار خرائبها • ونقل ياقوت حديثا مستفيضا عن ابن مهلهل الذى رأى سميران فى نحو سنة ٣٣١ (٩٤٣) وكانت يومذاك من أمنع قلاع ملوك الديلم فقال ان فيها « الفين وثمانئة ونيفا وخمسين دارا كبارا وصغارا » • وكان فخر الدولة البويهى قد ملك هذه القلعة فى سنة ٣٧٩ (٩٨٩) وخلع آخر أمراء أسرة وهسودان ، وكان طفلا قد تزوج هذا الزعيم البويهى أمه • وفى نحو هذا الزمن وصف المقدسى هذه القلعة وقد سماها باسم سميروم بانها من أعمال سلاروند وهى قلعة عليها « سبع ذهب وشمس وقمر » وبيوتهم لبن • وفى أواسط القرن التالى كان الرحالة الفارسى ناصر خسرو قد زار شميران فى طريقه الى مكة سنة ٤٣٨ (١٠٤٦) وقال انها قصبة ولاية طارم فى بلاد الديلم وهى على ثلاثة فراسخ غرب ملتقى شاهرود بسفيدرود فى طريق سراو باذربيجان • وفى حافة المدينة قلعة عالية مشيدة على صخر صلد محاطة بثلاثة أسوار يقيم بها الف رجل ويحمل الماء الى القلعة بقناة • وكان ياقوت قد زار سميران فى أوائل المئة السابعة (الثالثة عشرة) فوجدها مخربة ، خربها شيخ الحشيشية صاحب الموت • « وبها آثار حسنة تدل على انها كانت من أمهات القلاع » • وهى على نهر كبير يأتى من جبال طارم • ويظهر ان موضعها لم يعينه أحد من الرحالين المحدثين • وذكر ياقوت أيضا قلعة أخرى فى هذه الكورة يقال لها قلاط كانت فى جبال تارم من جبال الديلم وهى بين قروين وخلخال على قلة جبل ولها روض فى السهل فيه سوق وتحتها نهر عليه قنطرة حجر كثيرة العقود^(١٥) وذكر ياقوت ان هذه القلعة كانت من قلاع شيخ الحشيشية صاحب

(١٥) عبارة ياقوت فى صفة القنطرة : « عليه قنطرة الواح ترفع وتوضع » • (م) •

الموت وهى مثل سميران لا يعرف موضعها^(١٦) .

وحدثنا المقدسى بما قلّ ودلّ عن تجارات وغلّات جملة مدن فى اقليم الجبال، فقال : يحمل من الرى أصناف من النسيج منها صنف يقال له المنّيرات • والقطن ويغزل فيها ويصنع بالنيل • وكانت برود الرى المقلّمة مشهورة • وتصنع فيها المسالّ والامشاط والقصاع • وكانت الامشاط والقصاع على ما ذكر القزوينى تعمل من خشب صلب مخروط يعرف بالخلّسّنج وكان يؤتى به من غابات طبرستان • وكانت الرى مشهورة أيضا ببطيخها وخوخها ويجلب منها طين يغسل به الرأس، فى غاية النعومة •

ومن قزوين : تحمل الاكسية وجوارب الادم للاسفار والقسي والنعناع • ومن قم : الكراسى واللجم والركب وبز وزعفران كثير • ومن قاشان : يحمل القماقم (يابس البسر) والطلّخون (نبات) • وتشتهر اصفهان بحلّله ونمكسودها وأقفالها • ومن همدان ونواحيتها تحمل الاجبان والزعفران وجلود الثعالب والسمّور^(١٧) وبالقرب منها معدن القصدير • وكان يصنع فى المدينة البز والخفاف • وأخيرا يحمل من الدينور جبن مشهور^(١٨) .

وأهم ما كان يخترق اقليم الجبال من طرق : طريق القوافل الكبير المعروف بطريق خراسان ، وهو الذى مرّ وصفه فى الفصل التمهيدى • يبدأ هذا الطريق من بغداد ويصل الى ما وراء النهر وأقصى الشرق • فكان يدخل اقليم الجبال عند حلوان ويقطعه من أوله الى آخره ، فيمر بقرميسين (أو كرمانشاه) أولا ، ومنها الى همدان ثم الى ساوه ثم يتجه شمالا الى الرى ثم يشرّق من اقليم الجبال الى قومس ومنها الى خراسان • واكمل وصف قديم انتهى الينا لطريق خراسان ، وصف ابن رسته فى ختام المثة الثالثة (مطلع العاشرة) ، على ما بيّنا • فقد وصفه

(١٦) ابن حوقل ٢٥٣ ؛ المقدسى ٣٦٠ ياقوت ١ : ٦٣ و ٨١١ : ٢ : ٤٩٩ و ٥٠٠ : ٣ : ١٤٨ و ٤٩٢ و ٥٣٣ : ٤ : ١٥٦ ؛ القزوينى ٢ : ٢٦٨ ؛ المستوفى ١٤٩ و ١٥٠ و ١٩٨ و ٢١٧ ؛ جهان نما ٢٩٧ ؛ ناصر خسرو ٥ [ص ٤ - ٥ من الترجمة العربية] •

(١٧) السبور : حيوان يرى لونه احمر مائل الى السواد ومنه ما يكون اسود لامعا واشقر يتخذ من جلده فراء ثمين • ويعرف فى العراق بالسنسار ويعيش فيه • (م) •

(١٨) المقدسى ٣٩٥ و ٣٩٦ ؛ القزوينى ٢ : ٢٥٠ •

مرحلة مرحلة ذاكرة الانهار والقناطر التي يعبرها مينا نزوله وصعوده والتفافه ودورانه ، مسما ما يمر به من قرى ومدن . و انتهى الينا الى ذلك اربعة اوصاف قديمة اخرى لهذا الطريق آخرها وصف المقدسى وفيه أورد المسافات بالمراحل .

وبعد الفتح المغولى وقيام الدولة الايلخانية فى فارس اضحت السلطانية عاصمة هذه الدولة ومن ثمة صارت مركزا لهذه الشبكة من الطرق . وعليه فان المستوفى فى وصفه المسالك بدلا من ان يبدأ من بغداد ويشرق منها وصف الطرق مبتدئا بها من السلطانية باتجاهها الى بغداد . فاتبع بذلك اتجاهها معاكسا للاول . على ان المراحل من حلوان الى همذان (وهى معكوسة بالنسبة الى الطريق القديم) شئ واحد فى الواقع فى كلا الوصفين . ولكن الطريق بدلا من ان يذهب من همذان الى الرى بطريق ساوه ، جعله المغول يتجه شمالا الى السلطانية مخترقا ناحيتي دركزين وخرقان فلا يمر بمدينة كبيرة ، وليس ما ذكره المستوفى من مراحل هذا الطريق الا اسماء قرى لا يعرف شئ عن جميعها^(١٩) .

ومن قرب كرمانشاه ، عند جبل سن سميرة (أنظر الصفحة ٢٢٣) كان الطريق الذاهب الى مراغة فى اذربيجان والى الشمال يأخذ من طريق خراسان فيتجه أولا الى الدينور ثم الى سيسر (لعلها تطابق سحنة الحالية . أنظر ص ٢٣٣) فالى حدود اقليم الجبال . وهذا الطريق الذى نصف الآن تتمته المارة باذربيجان ، قد وصفه قدامة وابن خرداذبه ، ويرى وصف اجزائه الاولى فى ابن حوقل . فمن كرمانشاه (قرميسين) ومن كنگوار ومن همذان تتفرع طرق من يمينه تذهب نحو الجنوب الشرقى الى نهاوند ومنها ومن همذان كان الطريق يذهب الى كرج ابى دلف مارا ببروجرد ومن كرج ابى دلف الى اصفهان . وأورد المستوفى مراحل الطريق من كنگوار الى نهاوند . ثم يتفرع الطريق عندها باتجاه اصفهان بينما ذكر المقدسى ان الطريق من كرج يتجه الى الرى مارا بآوه ورامين^(٢٠) .

(١٩) ابن رسته ١٦٥ - ١٦٩ ؛ ابن خرداذبه ١٩ - ٢٢ ؛ قدامة ١٩٨ - ٢٠٠ ؛ ابن حوقل ٢٥٦ - ٢٥٨ ؛ المقدسى ٤٠٠ - ٤٠٢ ؛ المستوفى ١٩٢ .
(٢٠) ابن خرداذبه ١١٩ و ١٢٠ ؛ قدامة ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢١٢ ؛ ابن حوقل ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٢٥٨ ؛ المقدسى ٤٠١ و ٤٠٢ ؛ المستوفى ١٩٥

والطريق الحالي من أصفهان الى طهران (مارا بالرى) يأخذ فى الصعود فيمر بقاشان وقم • اما طريق القوافل فى أوائل العصور الوسطى فكان اتجابه الى الشرق أكثر والى حافة المفازة أقرب • وكان يتفرع من يساره نحو الغرب فروع تذهب الى قاشان وقم • على أن المقدسى فى ختام المئة الرابعة (العاشرة) قال ان هذا الطريق كان يذهب رأسا الى قاشان وقم ، أى على ما هو عليه اليوم • والذى فى المستوفى ان هذا الطريق بعد أن يجتاز بهاتين المدينتين ينعطف يسرة فيمر بأوه فساوه ثم الى السلطانية • وعند مرحلة سومغان يلتقى به الطريق الماد من هذه العاصمة الجديدة الى الرى ، على ما سنصفه فى الفقرة التالية (٢١) •

وذكر ابن حوقل وغيره عدد مراحل الطريق فيما بين المدن التى فى غرب الرى حتى اذربيجان ، وكذلك مراحل الطريق من زنجان شمالا الى اردبيل • وقد أفاض المستوفى فى بيان مراحل هذا الطريق • فبين السلطانية والرى يمر الطريق بأبهر الى فارسجين تاركا قزوین فى شماله • ومنها يبلغ مرحلة يقال لها سومغان (قراءة هذا الاسم غير ثابتة) وفيها ينقسم الطريق • فكان طريق خراسان يستقبل الرى مارا بمقام عبد العظيم ومنها الى ورامين • اما الفرع الآخر وهو الايمن فيتجه جنوبا • فيذهب طريق اصفهان أولا الى سكراباد فساوه على ما مرّ وصفه (٢٢) •

ومن الطرق التى كانت تجتاز اذربيجان ، فى اوائل عهد الخلافة على ما سبقت الاشارة اليه ، الطريق الشمالى المتفرع من طريق خراسان عند همذان الذاهب الى سيسر ومنها الى برزة فى اذربيجان ، وهى على ستين ميلا جنوب بحيرة ارمية حيث يتشعب هناك (٢٣) • فالى اليمين يمر الطريق بمراغة فى شرق البحيرة الى تبريز ثم يشرّق الى اردبيل مارا بسرّاو • والفرع الايسر المتفرع عند برزة يلازم غرب البحيرة فيمر بمدينة ارمية ثم الى خوى ومنها يمر بنخجوان (نشوى) فيصل دبيل قاعدة ارمينية • ومن تبريز كان يأخذ طريق فيمر بمرند الى خوى ومنها يمر بارجيش الى خلاط وهى فى الطرف الغربى لبحيرة وان • ولم يصف

(٢١) ابن رسته ١٩٠ و ١٩١ ؛ ابن خرداذبه ٥٨ و ٥٩ ؛ ابن حوقل ٢٨٩ و ٢٩٠ ؛ المقدسى

٤٩١ ؛ المستوفى ١٩٩ •

(٢٢) ابن حوقل ٢٥٢ و ٢٥٨ ؛ المقدسى ٣٨٣ ؛ المستوفى ١٩٦ و ١٩٨ •

(٢٣) أنظر الخارطة ٣ ص (١١٤) •

هذا القسم الاخير من الطريق غير الاصطخرى والمقدسى (٢٤) .

ومن اردبيل يجتاز الطريق كورة موغان فى الشمال فيبلغ ورتان . وهناك يعبر نهر ارس ومنها الى برذعة مارا بالبيلقان . ومن برذعة يتجه طريق يمر بشمكور فيتجه نحو الشمال الغربى ويصل الى نهر الكر ووجهته تفليس بجورجيا . أما فى اليمين فيأخذ طريق آخر يمر ببرزنج عند معبر نهر الكر وينتهى الى شماخى قاعدة ولاية شروان ومنها الى باب الابواب ويقال لها دربند . وذكر المقدسى وغيره طريقا من اردبيل قاعدة ارمينية الى برذعة ولكن ليس من اليسير التحقق من طوله (٢٥) .

وفى أيام المغول ، كان نظام الطرق القاطعة اذربيجان الى الحدود الشمالية الغربية على ما وصفه المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، يبدأ من السلطانية، العاصمة الجديدة ، ويتفرع عند زنجان . فالفرع الايمن وهو الشمالى كان يمر بالخونج أو كاغد كنان ويعبر سفيد رود ثم يمر بمدينة خلخال قاصدا اردبيل ومنها الى باجروان قاعدة موغان . ومن زنجان يعبر الطريق سفيد رود على قنطرة حجر (يقال لها قنطرة سييد روز) وبعض هذا الطريق ذكره أيضا الاصطخرى وابن حوقل مع ذكر طريق من الميانج . وبمتابعة وصف المستوفى للطريق من باجروان نرى انه أشار أولا الى الطريق الفرعى فى الشرق الى محمود أباد . ثم ذكر مراحل الجادة الكبرى الذاهبة من باجروان الى تفليس مارة ببرذعة وشمكور .

وان عدنا الى موضع تفرع الطريق فى زنجان ، رأينا ان الفرع الايسر ، وقد وصفه المستوفى ، يذهب الى الميانج فى اذربيجان ومنها الى تبريز مارا بأوجان متابعا الخط الذى وصفه بلدانيو العرب القدماء (باتجاه معاكس) . وذكر المستوفى أيضا الطريق من تبريز الى ارجيش على بحيرة وان ، ومنها يعدل عن الطريق الايسر المحاذى لشاطئ البحيرة الى خلاط . وذكر المسافات فى الطريق المتجه نحو الشمال الغربى الى ملاسجرد . ثم يمر بارزن الروم (ارضروم) مجتازا ارنجان الى

(٢٤) ابن خرداذبه ١١٩ - ١٢١ : قدامة ٢١٢ و ٢١٣ : الاصطخرى ١٩٤ : ابن حوقل ٢٥٢ - ٢٥٤ : المقدسى ٣٨٢ و ٣٨٣ .
(٢٥) ابن خرداذبه ١٢١ و ١٢٢ : قدامة ٢١٣ : الاصطخرى ١٩٢ و ١٩٣ : ابن حوقل ٢٥١ : المقدسى ٣١٨ .

سيواس قاعدة اقليم الروم السلجوقي • وأخيرا ذكر المستوفى الطريق من تبريز
باتجاه الشمال الشرقي الى باجروان وهو يمر بأهر ويجتاز درين من دروب
الجبيل • وروى المستوفى ان الوزير علي شاه بنى حديثا على هذا الطريق
جملة ربط (٢٦) •

الفصل السادس عشر

خوزستان

نهر دجيل اى كارون - خوزستان والاهواز - تستر او شوستر - الشاذروان العظيم - نهر
المسرفان - عسكر مكرم - جنديسابور - دزفول - السوس ونهر كرخه - بصنا
ومتوث - قرقوب ودور الراسبي - الحويزة ونهر تيرى - الدورق وكورة
سرق - حصن مهدي - فيض دجيل - رامهرمز وكورة
الزط - بلاد اللر الكبرى - ايدج او مال امير -
سوسن - لردكان - تجارات خوزستان
وغلاته - مسالكه *

يتألف اقليم خوزستان من الارض الرسوبية التى كوتها نهر كارون
وروافده الكثيرة * وقد عرف العرب نهر كارون باسم دجيل الاهواز^(١) * وانما
سموه بدجيل (تصغير دجلة) الاهواز لانه يمر بمدينة الاهواز فميزوه بذلك عن
دجيل دجلة فى أعلى بغداد * ومعنى خوزستان « بلاد الخوز » ويكتب هذا الاسم
أيضا بصورة حوز أو هوز * وجمع الهوز بالعربية الاهواز * وكانت الاهواز
قاعدة الاقليم واسمها مختصر من « سوق الاهواز » * وتسمية هذا الاقليم
بخوزستان اليوم قد بطلت ، وصارت هذه الولاية التابعة لبلاد فارس تسمى عربستان
« أى اقليم العرب »^(٢) * وكذلك تغير اسم نهر دجيل وصار يعرف الآن بنهر

(١) انظر عن خوزستان الخارطة ٢ ص ٤٠ *

(٢) عاد الفرس الى تسميتها بخوزستان منذ أيام البهلوى رضا شاه (م) *

كارون وهو اسم مصحف على ما يقال من كوه رنك « الجبل الملوّن » وهو الجبل الذى ينحدر منه هذا النهر فالاسم « كارون » على ما يظهر لم يعرفه بلدانيو القرون الوسطى من عرب و فرس •

وأعلى نهر دجيل ، أى كارون ، تتخلل الشعاب الجبلية فى بلاد اللر الكبرى • اما روافده فتتحد من بلاد اللر الصغرى وجبال كردستان • ومخرج دجيل فى كوه زرد « الجبل الاصفر » (أنظر ص ٢٤٢) • ومن الجانب الثانى لهذه الجبال ينحدر نهر زندروود الذاهب الى اصفهان • وبعد ان يشق مجرى دجيل المتعرج وكثير من روافده الصغيرة سلسلة الجبال يصل الى مدينة تستر وهى التى عداها المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) قاعدة اقليم خوزستان • ولذلك سمي هذا النهر بدجيل تستر • ويخرج من النهر عند تستر فرع يعود ثانية اليه عند عسكر مكرم ومنها يمر بالاهاوز حيث يلتقى هو ونهر جنديسابور أى نهر دزفول • ويأخذ نهر دزفول ماءه من بروجرد فى اللر الصغرى (أنظر ص ٢٣٥) • وكانت أعاليه تعرف باسم قرعة (أو قوغة) وبعد ان يلتقى به نهر آخر يقال له كزكى يجتاز النهر مدينة دزفول فيلتقى بدجيل على ما مر بنا • ولدجيل رافد كبير آخر أكثر اتجاها الى الغرب هو نهر السوس ويعرف أيضا بنهر كرخه • ومخرجه فى جبال اللر الصغرى • وكان يلتقى به نهر كوكلكو ونهر مخرماباد • وبعد أن تجرى هذه الانهار المتحدة مسافة طويلة وتجاوز مدينة السوس تأتى الى أراضي الحويزة فى غرب الاهواز ثم تلتقى بدجيل • وعلى شئ يسير اسفل من ملتقى هذه الروافد ، يصير نهر دجيل فيضا عظيما يحمل مياه انهار خوزستان مجتمعة ويجرى شرق فيض دجلة (على ما مر وصفه فى الفصل الثانى) الى ان يصب فى خليج فارس (٣) •

وكانت الاهواز ، وهى قاعدة الاقليم ، تعرف قديما باسم هرمز شهر (وجاءت فى المخطوطات بصورة هرمز أوشير وهرمز اردشير) وهو اسمها الفارسى • ووصف المقدسى هذه المدينة بانها عانت كثيرا من اذى الزنج ابان ثورتهم فى المئة

(٣) ابن سريون ٣٢ : ابن رسته ٩٠ و ٩١ : ياقوت ٢ : ٤٩٦ و ٥٥٥ : المستوفى ٢٠٤ و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٦ : جهان نما ٢٨٦ •

الثالثة (التاسعة) واتخذها زعيمهم وقتا ما مقرا له • وفى المئة التالية أعاد الامير عضد الدولة البويهى بناء قسم منها • وأشار المقدسى الى ان البضائع والاموال كانت تحمل الى الاهواز من الاطراف فكانت « خزانة البصرة » •

وكانت الاهواز حين بنيت ، جانبيين : الشرقى وهو الكبير ، وفيه الجامع ومعظم الاسواق ، وبينه وبين جزيرة فى نهر دجيل قطرة • وفى الجزيرة جانب المدينة الغربى • والقطرة من الآجر • ويقال لها قطرة هندوان كان عضد الدولة هدمها وبنائها وكان عليها مسجد يشرف على النهر • وعلى هذا النهر دواليب عدة يديرها الماء تسمى النواعير • وكان مجرى نهر دجيل نفسه يمر بجذء جانب الجزيرة الاقصى وهو جانبها الغربى • وعلى شئ يسير أسفل الاهواز ، شاذروان عظيم قد بني من الصخر يتبحر الماء عنده • والشاذروان يرد الماء ويفرقه ثلاثة أنهار تمتد الى ضياعهم وتسقى مزارعهم التى فى يسار النهر فوق الشاذروان • وفى الشاذروان أبواب تفتح اذا كثر الماء لولاها لفرقت الاهواز • وهواء الاهواز على ما فى المقدسى متن ذميم « وفى النهار حر السموم وفى الليل بق وبرايث كالذئاب » على حد قوله • وذكر المقدسى انك تسمع للماء المنحدر من الشاذروان صوتا يمنع من النوم أكثر السنة • وفى المدينة عقارب وحيات وماء حميم وتراب سبخ ويقنات أهلها خبز الرز وهو عسر الهضم^(٤) •

وعلى نقيض سمعة الاهواز السيئة ، كانت شهرة قاعدة خوزستان الثانية التى سماها العرب تستر والفرس شوستر أو شوشتر • وكانت هذه المدينة على ستين ميلا شمال الاهواز بخط مستقيم • وهى على ضعف هذه المسافة بطريق الماء لكثرة منمرجات دجيل • وقد ذكر المقدسى ان بساتين الاترج والعنب والنخل كانت تحف بمدينة تستر • وعلى ما روى ، ليس بالاقليم أطيب ولا أحسن ولا أجل من هذه المدينة • والبحر عندهم شديد ، وكانت أسواقها عامرة « معدن كل حاذق فى عمل الديباج والقطن » ، وديباجها مشهور فى كل مكان • وكان الجامع وسط

(٤) الاصطخرى ٨٨ ؛ ابن حوقل ١٧١ ؛ المقدسى ٤٠٦ و ٤١٠ ؛ ياقوت ١ : ٤١٠ - ٤١٣ ؛

٤ : ٩٦٩ ؛ المستوفى ١٦٩ •

الاسواق فى البرّازين ، وعند الجسر أسفل المدينة موضع نزه به القصارون •
وفى سنة ٢٦٠ للميلاد وقع فاليريان Valerian قيصر الروم أسيرا بيد
الملك شابور (سابور الاول) ثانى ملوك الدولة الساسانية • وفى السنوات السبع
من اسره اشتغل ، على ما ذكر المؤرخون الفرس ، فى بناء الشاذروان العظيم الذى
يقطع دجيل تحت تستر • وكان العرب يعدّون هذا الشاذروان من عجائب الابنية
وما زالت آثاره باقية حتى اليوم : فلقد رصّ قاع النهر بالحجارة ورصف كله فى
غرب تستر حتى تراجع الماء فيه وارتفع الى المدينة وانساب مأؤه فى قناة باتجاه
الشرق كانت تعيد الماء الى النهر أسفل المدينة بأميل بعد ان تسقى تلك النواحي •
وذكرت المراجع القديمة ان شاذروان تستر كان طوله نحو من ميل • وعلى ما جاء
فى المقدسى كان عليه جسر يعبره الطريق الضارب غربا من تستر الى العراق •
ويعلو النهر قنطرة عتيقة ذات عقود صغيرة يربو طولها على ربع ميل وكانت فوق
الشاذروان ، ومنها يعبر الطريق • وليس هناك ما يدل على وجود هذه القنطرة فى
أوائل القرون الوسطى • ووصف المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) مدينة
شوستر فقال : لها اربعة أبواب وفيها قلعة حصينة • وسمى معاصره ابن بطوطة
نهر دجيل (أى كارون) النهر الازرق • وذكر جسرهما فقال انه « كجسر بغداد
والحلة » كان على النهر فى غرب المدينة عند باب دسبول^(٥) • وتبسّط فى ذكر
الترب المختلفة فيها وكانت المدينة حين زارها كثيرة الخيرات^(٦) •

والشاذروان الكبير فى تستر قد بني ، على ما بينا ، ليرفع ماء النهر الى
المدينة وليتسنى لمائه الدخول فى قناة تأخذ من دجيل فوق المدينة فيسقى ناحيتها
الشرقية • ويقال لهذه القناة اليوم آب كركر • وكانت تعرف فى القرون الوسطى
باسم المسرّقان أو المشرقان • وعلى رواية ابن مهلهل - وهو رحالة من أهل المئة

(٥) سيذكر المؤلف لها تسمية أخرى بصورة دزفول (م) •

(٦) الاصطخرى ٨٩ و ٩٢ : ابن حوقل ١٧٢ و ١٧٤ و ١٧٥ : المقدسى ٤٠٥ و ٤٠٩ : ياقوت

١ : ٨٤٧ : المستوفى ١٦٨ : ابن بطوطة ٢ : ٢٤ •

وقد روى الطبرى (١ : ٨٢٧) قصة فاليريان وبناء سابور الاول للشاذروان • ودقق فى ذكر
اسم قيصر الروم هذا بصورة الريانوس (وهو قريب جدا من اسمه الرومانى) • وسرد المسعودى
أخبار هذه الحوادث فى أيام سابور الثانى خطأ (٢ : ١٨٤) •

الرابعة (العاشرة) نقل عنه ياقوت - ان ماء المشرقان أبيض وماء نهر دجيل نفسه أحمر • وكان يجتمع ثمانية بنهر دجيل (وما كان من هذا النهر اسفل شوستر يسمى اليوم الشطيط) نهر المشرقان على نحو ٢٥ ميلا جنوب شوستر عند موضع يقرب من اطلال بندقيير • وتشير هذه الاطلال الى موضع مدينة يقال لها عسكر مكرم وقد كانت فى القرون الوسطى اجل مدينة على المشرقان • وكان هذا النهر يشقها ويسقى اراضيها • وكان يكثر فيها قصب السكر ، وهو أجود ما يزرع منه فى خوزستان كلها على ما يقال •

وفى النصف الاول من المئة التاسعة (الخامسة عشرة) أشار حافظ ابرو وعلي الزيدى ، وقد كتبا بعد زمن تيمور ، الى هذه الانهار بالأسماء الآتية : فضلة مياه نهر دجيل نفسه المناسبة الى الشرق فوق شوستر (أى مياه المشرقان أو آب كركر) كان يقال لها حينذاك دودانكه أى السدسان «مثنى السدس» بينما كانت معظم مياه دجيل التجارية فوق الشاذروان غربى المدينة تسمى جهار دانكه أى « أربعة أسداس » • اما اليوم فيتفرع من دجيل نهر يتجه صوب الجنوب الشرقى يقال له مِينَو يجرى فى سَرَب منقور فى الصخور التى تقوم فوقها قلعة شوستر • وكان يسقى الاراضى العالية التى فى جنوب المدينة • وهذا النهر هو الذى ذكره المستوفى باسم نهر دشتاباد • وأشار اليه حافظ ابرو بقوله ان جهار دانكه كان ينشطر قرب المدينة شطرين احدهما كان يتحد ثمانية اسفلها بدودانكه (أو المشرقان) • وعلى ما يقال ان اول من حفر نهر المشرقان اردشير بابكان مؤسس الدولة الساسانية • وذكر المستوفى مدينة المشرقان فقال انها تقوم على ضفة النهر • وجنوب هذه المدينة ، على ما بينا ، فى نحو نصف المسافة بين تستر والاهواز ، يعود نهر المشرقان فيصب فى دجيل قرب مدينة عسكر مكرم •

وكانت كورة المشرقان مشهورة بصنف فاخر من التمور وبقصب السكر الذى نوهنا به •

واما عسكر مكرم فقد سميت بذلك لان مكرما ، وهو قائد عربى كان الحجاج عامل بنى أمية المشهور على العراق قد بعثه الى خوزستان لاختماد فتنة نشبت هناك ،

قد عسكر قرب اطلال مدينة فارسية يقال لها رستم كُوَاد، وصحّف العرب هذا الاسم وقالوا رستقباد، فعرفت بعسكر مكرم • ونشأت في موضع المعسكر العربي مدينة جديدة بهذا الاسم • وقد زال اسم عسكر مكرم من الخارطة ولكن موضعها تشير اليه الخرائب المعروفة باسم بندقير أي (سد القير) حيث يلتقي آب كركر (المسرقان) بنهر كارون • وفي المئة الرابعة (العاشرة) كانت عسكر مكرم مدينة ذات جانين يشقها نهر المسرقان أعمرهما الجانب الغربي، وبين الجانبين جسران من سفن • والمدينة بهية الاسواق كثيرة الخير وأسواقها وجامعها في الجانب الغربي • ومن عيوب عسكر مكرم عقارب سامة لا يسلم من لسعها أحد • وعلى ما في المستوفى كان يقال للمدينة الفارسية القديمة برج شابور • وانما سميت بذلك لان الملك سابور الثاني جدد عمارتها ووسّعها • وذكر المستوفى انها كانت تسمى في أيامه لشكر ومعنى ذلك بالفارسية «العسكر» وكانت حين كتب في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) اصح مدينة في خوزستان كلها •

ونهر المسرقان، على ما جاء في ابن سراييون وغيره من المصنفين الاولين في المئة الرابعة (العاشرة)، لا يرجع الى دجيل فيصب فيه عند عسكر مكرم بل يواصل جريه وحده بموازة نهر دجيل فينتهي آخره الى الفيض • وقد وصف ابن حوقل في المئة الرابعة (العاشرة) ركوبه نهر المسرقان وقت نزول الماء فيه من عسكر مكرم الى الاهواز وقال «سرنا في الماء ستة فراسخ ثم خرجنا وسرنا في وسط النهر وكان الباقي من هذا النهر (أربعة فراسخ) طريقا يابسا الى الاهواز» • ولا يمكن الآن تعقب معالم القسم الاسفل من مجرى المسرقان القديم لأن مضي الف من السنين على هذه الارض الرسوبية قد غير وجه الارض كل التغيير • وأسفل من الاهواز كان يبدأ في المئة الثالثة (التاسعة) القسم العريض الاخير من دجيل المعروف بنهر السدرة وبعد ان يستقبل كثيرا من الروافد ينتهي الى حصن مهدي قرب رأس فيض كارون (٧) •

(٧) ابن سراييون ٣٢ : الاصطخرى ٩٠ و ٩٢ : ابن حوقل ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٥ : المعدي ٤٠٩ و ٤١١ : علي البيزدي ٥٨٨ و ٥٩١ و ٥٩٩ : حافظ ابرو ٨٢ : المستوفى ١٦٩ و ١٧٠ : ياقوت ١ : ٤١١ و ٤١٢ : ٢ : ٦٧٦ : حمزة الاصفهاني ٤٧ •

وعلى ثمانية فراسخ شمال غربى تستر ، فى الطريق الى دزفول ، الاطلاع
التى يقال لها اليوم شاه آباد . وهى تعين موضع مدينة جند يسابور أو جند يشابور .
وقد كانت جند يسابور فى أيام الساسانيين قاعدة خوزستان . وبقيت حتى أيام الخليفة
المنصور مشهورة بمدرستها الطبية العظيمة التى أسسها الطبيب النصرانى بختيشوع
ومن بعده ابناءؤه وأحفاده وكانوا من ذوى الخطوة لدى غير واحد من خلفاء بنى
العباس . وكان يكثر فى نواحيها قصب السكر ويحمل الى خراسان وأقاصى
الشرق . على ان المقدسى ذكر فى المئة الرابعة (العاشرة) ان جند يسابور « قد
اختلت وغلّب عليها الاكراد » . « ولهم طُرُز كثير ومزارع الارزاز » . وفى المدينة
قبر يعقوب بن الليث الصفار . وكان قد اتخذ هذه المدينة قاعدة له ومات فيها
سنة ٢٦٥ (٨٧٨) . وقال المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ان جندى
شابور آهلة ، فيها قصب السكر . اما اليوم فليس منها الا آثار .

ودزفول أى « قنطرة دز » أو « قنطرة القلعة » ، على نهر دز جنوب
جند يسابور . وانما سميت بذلك لانها عند قنطرة مشهورة يقال ان سابور الثانى
بناها . وقد سماها الاصطخرى قنطرة اندامش ، وما زالت آثارها شاخصة . وكان
يقال للمدينة أيضا فى المئة الرابعة (العاشرة) قصر روناش . على ان المقدسى أشار
اليها أحيانا باسم مدينة القنطرة فقط . ولهذه المدينة وقطرتها المشهورة اسماء
أخرى . فابن سرايون سماها قنطرة الروم . واسم دز اطلقه على نهر
جند يسابور . اما ابن رسته فذكرها باسم قنطرة الروذ « أى قنطرة النهر » .
وابن خردادبه باسم قنطرة الزاب ، فان الزاب اسم نهر دز على رأيه . ووصف المستوفى
فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) القنطرة فقال انها ٤٢ عقدا وطولها ٣٣٠ خطوة
وعرض الطريق الذى فوقها ١٥ خطوة . وكانت تسمى على قوله قنطرة انديمشك
(أو اندامش) .

وكانت مدينة دزفول على جانبي النهر وفوق جانبها الشرقى قناة متقورة
فى الصخر عليها ناعور عظيم يرفع الماء الى علو خمسين ذراعا فيسقى بيوت المدينة .
وحول دزفول مراتع مشهورة يكثر فيها النرجس . وذكر علي البيزدى هذا

النهر باسم « زال » • ووصف القنطرة في دزفول (وقد كتب الاسم بصورة دزبل على الطريقة الفارسية) بانها ذات ٢٨ عقدا كبيرا و ٢٧ عقدا صغيرا تتخلل العقود الكبار ، فكلها ٥٥ عقدا • وان رجعا الى الخارطة الحديثة وجدنا ان نهر دزبل اليوم يلتقى بكارون بازاء بندقيير (عسكر مكرم) • الا انه كان قديما يصب في دجيل اسفل من ذلك بقليل • ولعل مجراه الاعلى كان أقرب الى جند يسابور مما هو عليه الآن • وكان عند ملتقاه بدجيل في القرون الوسطى ، ولعل ذلك في شمال الاهواز ، كورتان خصبتان فيهما مدن كبيرة يقال لهما منازر الكبرى ومنازر الصغرى • وذكر ابن حوقل في المثة الرابعة (العاشرة) ان هاتين الكورتين « عامرتان بالنخيل والزروع » (٨) •

والارض التي في شمال دزفول وتستر وشرقهما كانت تعرف في أوائل القرون الوسطى بصحراء اللر • وأهلها من قبائل اللر • وقد هاجرت منها بعد هذا العهد الى الكورتين الجبلتين : اللر الصغرى واللر الكبرى • وهما من اقليم الجبال على ما بيننا في الفصل الرابع عشر • وحين كتب ابن حوقل في المثة الرابعة (العاشرة) كان اللر قد بدأوا بهجرتهم فقد ذكر هذا المصنف ان الغالب على هذه الانحاء الاكراد • وقال ان بلد اللر « خصب عليه هواء الجبال » (٩) •

والى جنوب غربى دزفول اطلال السوس وهى سوسة القديمة قرب نهر كرخة • وقد كانت في القرون الوسطى مدينة آهلة وقصبة كورة يتبعها مدن كثيرة • ويكثر فيها القز والنارنج وقصب السكر • وكان فيها قلعة محكمة قديمة وبها أسواق بهية وجامع سوي على أساطين مدورة • ويروى ان قبر النبي دانيال قد بني في عتيق نهر كرخة المار في الجانب الابعد من مدينة السوس • وعلى

(٨) ابن رسته ٩٠ : ابن خرداذبه ١٧٦ : ابن سرايون ٣٢ : الاصطخرى ٩٣ و ٩٥ و ١٩٧ : ابن حوقل ١٧٦ و ١٧٧ و ٢٥٩ : المقدسى ٣٨٤ و ٤٠٥ و ٤٠٨ : يعقوبى ٣٦١ : ياقوت ٢ : ١٣٠ : ٤ : ١١١ : المستوفى ١٦٩ : على اليزدى ١ : ٥٨٨ و ٥٩١ •

اما الاطباء المعروفون باسم بختيشوع فكانوا نصارى في خدمة الخلفاء العباسيين منذ أيام المنصور حتى هرون الرشيد ، فقد كانوا اطباء دار الخلافة • راجع عنهم ابن ابى اصيبعة ١ : ١٢٥ - ١٤٣ و ٢٠٢ طبعة ٠ ملر •

(٩) الاصطخرى ٨٨ و ٩٤ : ابن حوقل ١٧١ و ١٧٦ : المقدسى ٤٠٩ •

حافة النهر فى أقرب موضع من القبر المزعوم ، مسجد حسن يشير الى مكان هذا القبر . ووصف المستوفى هذه المدينة فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فقال انها موضع زاهر وذكر قبر النبي دانيال فى غريبها (والظاهر انه كان حينذاك فى ارض يابسة) وقال انهم يحرمون صيد السمك فى هذا النهر تكريما لدانيال . ومدينة كرخا (أو كرخة) وهى قرب السوس ، وبها يعرف الآن نهر كرخة المار بشلول السوس ، على شىء يسير فوق هذه الاطلال وهى فى يمين النهر أى فى جانبه الغربى . وصفها المقدسى فقال : « صغيرة عامرة طيبة ، سوقها يوم الاحد ، وعليها حصن ، ولها البساتين » (١٠) .

وذكر البلدانون القدماء جملة مواضع على نهر كرخة أو بالقرب منه . منها ما كان فى الغرب ومنها ما كان أسفل السوس ، قد كانت مدنا جلييلة فى القرون الوسطى ولكن لا أثر لها اليوم فى الخارطة الحديثة ومع ذلك فقد لمحت كتب المسالك عن مواضعها بوجه تقريبى . وكان من أهم هذه المدن : بصنّا وهى على أقل من مرحلة جنوب السوس على نهر (أو لعله رافد صغير من روافد نهر كرخة) كان يقال له دجيل بصنّا وكانت مركزا تجاريا عظيما . وفى بصنا تعمل الستور التى تحمل الى الآفاق ، المكتوب عليها « عمل بصنا » وينسجون فيها الأنماط (١١) . ويغزلون الصوف « وعليها حصنان محكمان . والجامع حسن على باب المدينة من نحو النهر والنهر منها على رمية سهم » . وفى دجيل نهرها « سبعة ارحية فى السفن » على ما فى المقدسى . وقرب بصنا مدينة بيروت أو بيروت وهى على مرحلة أيضا من السوس ولعلها الى غرب نهر كرخا . زارها ياقوت فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) . وقال المقدسى انها كبيرة بها نخل كثير يسمونها « البصرة الصغرى » لرواج تجارتها .

ومتوت أو متوت فيها قلعة حصينة وهى من مدن هذه الانحاء على تسعة فراسخ من جنوب السوس بين الاهواز وقرقوب . وقرقوب - وبها يعمل النسيج

(١٠) الامصغرى ٨٨ و ٩٢ و ٩٣ : ابن حوقل ١٧٤ : المقدسى ٤٠٥ و ٤٠٧ و ٤٠٨ : المستوفى

٢٩٠ : ابو الفداء ٣١١ : ياقوت ٤ : ٢٥٢ (وطبع فيه اسم كرخا بصورة كرجا خطأ) .

(١١) الأنماط : واحدها النمط . وهو ضرب من البسط . انظر : تاج العروس ٥ : ٢٣١ (م)

المطرز المعروف بالسوسنجر - مدينة ذات شأن في نصف الطريق بين السوس والطيب التي في العراق . وكانت على مرحلة من السوس ومرحلتين من بصنا . وفي هذه الكورة مدينة أخرى لا يعرف موضعها ولعلها في شمال قرقوب ، هي دور الراسبي . وصفها ياقوت بأنها بين الطيب وجند يسابور وفي هذه الدور ولد وعاش الراسبي^(١٢) . وقد مات في سنة ٣٠١ (٩١٣) وتقلد الولاية سنين كثيرة من حد واسط الى حد شهر زور في أيام الخليفة المقتدر . واشتهر الراسبي بثرائه العظيم ، فقد خلف مالا عظيما أورد ياقوت كشفا غريبا به^(١٣) .

وكان يتصل بنهر كرخة في نحو سمت الاهواز أنهار تنحدر من الحويزة (أو الحويزة وهي تصغير حوز أو هوز على ما مر بيانه ، وهم أهل هذا الاقليم) . وقد وصفها المستوفي في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فقال هي من ازهر مدن خوزستان يكثر فيها القمح والقطن وقصب السكر . وكان يسكن المدينة في ذلك الزمن الصابئة^(١٤) . وكانت مدينة نهر تيرا أو نهر تيرين على نهر أو ترعة بهذا الاسم يظهر انه كان من الروافد اليمنى في أسفل نهر كرخة بارض الحويزة . وكانت على مرحلة غرب الاهواز في طريق واسط « وبها ثياب تشبه ثياب بغداد وتحمل إليها فتدلس بها » .

ويأتي نهر كرخة من الغرب فيصب في دجيل تحت الاهواز وربما في أسفل مجراه العريض ، على ما أشرنا اليه ، وهو المعروف بنهر السدرة . وفي الشرق أسفل من ذلك ملتقى نهر الدورق به ، وعليه مدينة باسمه وهي قصبة كورة سمرق يقال لها دورق الفرس « وهي ذات رستاق واسع وسوق كبير وخصائص

(١٢) هو ابو الحسين علي بن احمد الراسبي وكان من عظماء العمال وافراد الرجال (معجم البلدان ٦١٧ : ٢ (م) .
(١٣) الاصطخري ١٧١ و ١٧٥ ؛ ابن حوقل ٩٣ ؛ المقدسي ٤٠٥ و ٤٠٨ ؛ ياقوت ١ : ٦٥٦ و ٧٨٦ : ٢ ؛ ٦١٦ : ٤ ؛ ٦٥ و ٤١٢ ؛ حافظ ابرو ٨٢ ب ؛ ابو الفداء ٣١٣ .
(١٤) ما زال الصابئة يسكنون في تلك الانحاء وعلى ضفاف دجلة الجنوبي في العراق .
راجع عنهم ما كتبه الاب انستاس الكرملي في المشرق (السنوات ١٩٠٠ - ١٩٠٢) وعبد الحميد عبادة .
في كتابه مندائي ، ولا سيما كتاب الليدي دراوير E. S. Drower : The Mandaean .
وكتابنا « العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة تافرنيه » (ص ١٠٠ - ١١٥) وفيه تعليقات ونبذ نافعة عن الصابئة للدكتور عبد الجبار عبد الله ، وهو منهم (م) .

وخيرات وسوقها متشعب واليها يقصد حجاج فارس وكرمان ، فى طريقهم الى مكة • وكانت الدورق مشهورة بستورها ، والجامع على طرف السوق • وعلى نهرها قرى كثيرة وبها الكبريت الاصفر قرب عيون الكبريت الحارة ، يقصد حماماتها اصحاب العاهات ، فمن نزل فيها يسيراً يسيراً انتفع بمائها ، وهى تنبع فى جبل ويجتمع ماؤها فى حوضين^(١٥) • وفى المئة الرابعة (العاشرة) كان فى الدورق أبنية ساسانية عجيبة وبها بيت نار أيضاً على ما ذكر ابن مهلهل •

وفى هذه الكورة قرب الدورق مدينتان ، هما ميراقيان وميراينان وقد وصفهما المقدسى الاولى على « نهر يصل اليه المد والجزر ، وبرستاقها قرى كثيرة وأعمال نفيسة » • وميراينان ، ذات جانبيين فى كل جانب جامع ولها أسواق عامرة • ومياه الاهوار التى فى جنوبى اقليم خوزستان كانت تنصرف فى المئة الرابعة (العاشرة) الى خليج فارس فى انهار تنحدر جنوباً من الدورق وتصب فى البحر عند باسيان • وكان قرب باسيان جزيرة دورقستان وقد ذكرها ياقوت والقزوينى وقالوا « يرفأ اليها مراكب البحر التى تقدم من ناحية الهند ، وفى وسطها قلعة كان فى أيام الخلفاء يحمل اليها المنفيون من بغداد » • وكانت السفن حتى المئة السابعة (الثالثة عشرة) تصعد فيها شمالاً فتسلك انهاراً وترعا تجرى الى عسكر مكرم فى الناحية الشرقية من دجيل^(١٦) •

ونهر دجيل أسفل الاهواز يزداد عرضاً فيصبح فيضاً يصل اليه المد والجزر وهو القسم الأسفل من نهر السدرة • وعلى هذا الفيض سوق بحر ، وهو موضع كان حتى أيام الخليفة المقتدر فى منتصف المئة الرابعة (العاشرة)^(١٧) تجبى فيه مكوس باهظة • ومدينة سوق الاربعاء ، بالقرب منه ، وهى فى شرق دجيل على نهر يشق المدينة الى جانبيين بينهما قنطرة من خشب تحتها السفن • والجانب الشرقى

(١٥) قال القزوينى (٢ : ٢٤٦) ان الماء يجتمع فى حوضين احدهما للرجال والاخر للنساء (م) •

(١٦) الاصطخرى ٩٣ : ابن حوقل ١٧٦ : المقدسى ٤٠٧ و ٤١٢ : ياقوت ١ : ٤١١ : ٢ : ٣٧١ و ٦١٨ و ٦٢٠ : المستوفى ١٦٩ : القزوينى ٢ : ١٣٠ و ٢٤٦ • ويظهر ان كلا من مدينتى نهر تبرا ومناذر كان موضعاً جليلاً فى أيام بنى أمية فقد كانتا بين سنتى ٩٠ و ٩٧ (٧٠٩ - ٧١٦) داراً لضرب النقود •

(١٧) قتل المقتدر سنة ٣٢٠ فهو لم يبلغ نهاية الثلث الاول من المئة الرابعة فضلاً عن منتصفها (م) •

من سوق الاربعاء أعمر وفيه الجامع ، ومدينة مجبًا بقربها ، وفيها يكثر قصب السكر ، وهي ذات قرى عامرة •

وفي رأس فيض دجيل العريض حصن يقال له حصن مهدي ، به جامع ورباطات • وقد بنى الحصن على ما يقال الخليفة المهدي أبو هرون الرشيد • وحصن مهدي على بضعة أميال فوق متفرع النهر العضي الجارى غربا والموصل رأس فيض دجيل بدجلة الأعمى عند بيان • ويحفّ بهذا النهر سبخ وأهوار (أنظر الفصل الثالث ص ٦٩) • أما فيض دجيل فينصب في خليج فارس عند سليمانان • وهي مجاز خطر للمراكب التي كانت على ما يظهر تصل الى الأهواز بصورة أسلم اذا ما جازت في الانهار والجداول المختلفة مارة بآسيان في صعودها الى الدورق ومنها تتابع طريقها في نهر السدرة • أما حصن مهدي ، ولا يعرف موضعه الصحيح ، فيقال انه كان يقوم عند ملتقى طرق كثيرة وسيطر على أعلى فيض دجيل حيث كان يبلغ عرضه هناك نحو فرسخ • وذلك أسفل مصاب انهار كثيرة تأتي من أرض الحويزة من الشمال الغربي ومصب نهر الدورق الآتي من الشرق • ومن فوق هذا الموضع بدء نهر السدرة الصاعد الى الأهواز والأهواز تبعد عشرين فرسخا عن حصن مهدي (١٨) •

وعلى مسيرة ثلاثة أيام من شرق الأهواز مدينة رامهرمز وما زالت تعرف بهذا الاسم • وانما سميت بذلك نسبة الى الملك هرمز حفيد اردشير بابكان • وفي المئة الرابعة (العاشرة) اشتهرت هذه المدينة بدود القز وبالبريس الذي يحمل منها الى سائر الآفاق • وكان في رامهرمز جامع بهي وأسواق عامرة بناها عضد الدولة البويهى • وروى المقدسى انه « جعل على أسواقها دروب تغلق في كل ليلة يسكنها البزازون والطارون والحصارون » • وكان بها على ما قال دار كتب مشهورة يدرس فيها ، أنشأها ابن سوار كدار الكتب التي في البصرة • وشرب أهل رامهرمز من نهر يأخذ من نهر طاب • وكان هذا النهر يجف غالبا في أيام

(١٨) ابن سراجيون ٣٠ : قدامة ١٩٤ : الاصطخرى ٩٣ و ٩٥ : ابن حوقل ١٧٢ و ١٧٦ : المقدسى ٤١٣ و ٤١٩ : ياقوت ١ : ١٨٥ : ٢ : ١٢ : ٣ : ١٩٣ •

الصيف • وكان الناس فيها « يحتاجون في ليالى الصيف الى الكلل مع كثرة البق »
على قول المقدسى • وذكر المستوفى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ان اسم
رامهرمز كان يختصر حينذاك الى رامز وظلت حتى أيامه مدينة زاهرة يكثر في
ارجائها القمح والقطن وقصب السكر •

وعلى ستة فراسخ من جنوب شرقي رامهرمز ، في طريق ارجان ، غير
بعيد عن نهر طاب وهو نهر يعين حدود اقليم فارس : الحومة أو ديار الزط ويقال
لهم أيضا الجات • وهم قبائل جاءت من الهند (وهم التتوار على ما يقال) • ويسقى
هذه الكورة نهر طاب • وفيها قريتان عامرتان هما الزط والخبران • ووراءهما ،
قبل ارجان بمرحلتين عند حدود فارس في الطريق بين ارجان والدورق : آسك وهي
بلدة صغيرة وبناحيها على ما في الاصطخرى بركان صغير^(١٩) • وآسك بلدة ذات
نخيل وبها يعمل الدوشاب - وهو دبس الزبيب - الذى يحمل منها الى الاتفاق •
وبالقرب من آسك آثار ساسانية هي ايوان عال بازاء قبة منيفة ينسف سمكها على
مئة ذراع بناها الملك قباذ على عين غزيرة • والى شرق آسك ، على بضعة أميال
من ارجان غرب القناطر التى على نهر طاب ، مدينة سنبل التجارية فى وسط
كورة باسمها • وكانت متاخمة لحدود فارس^(٢٠) •

وديار اللر فى شرق تستر وشمالها بامتداد نهر دجيل الاعلى (نهر كارون)
وروافده الكثيرة • اما البلاد التى فى شرق كارون الاعلى وجنوبه (ونهر كارون
يؤلف هنا عدوة كبيرة وينشئ راجعا وذلك بين منبعه فى الجبال التى فى غرب
اصفهان وموضع فى شمال تستر ومنها ينحاز أخيرا نحو الجنوب فينحدر الى خليج
فارس) فقد سماها المستوفى اللر الكبرى وهي تتاخم ولاية شولستان عبر الحدود

(١٩) فى الاصطخرى (ص ٩٢) : « ولهم بناحية آسك متاخما لارض فارس جبل يتخذ منه نار
ابدا لا ينطفى • ويرى منها الضوء بالليل والدخان بالنهار وهو فى حد خوزستان • ويشبه فيما اظن
انه عين نفط أو زفت أو غيره مما تعمل فيه النار ، فوقع فيه على قديم الايام نار ، فعلى قدر ما تخرج يحترق
ابدا فيما أحسبه من غير ان رأيت علامة لذلك ولا سمعت به وأنا أقوله طنا » • (م) •
(٢٠) الاصطخرى ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ : ابن حوقل ١٧٥ و ١٧٦ : المقدسى ٤٠٧ و ٤١٣ : ياقوت
١ : ٦١ : المستوفى ١٦٩ •

والغريب ان ياقوتا ذكر (٢ : ٧٩١) قرية الزط خطأ فوضعها بصورة الرط مع انه يعرف
الزط حق المعرفة وقد ذكر فى مادة « الزط » (٢ : ٩٣٠) انه نهر باسمهم •

فى فارس • وكانت أولى مدن اللر الكبرى : ايدج ويقال لها أيضا مال الامير • وصفها المقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) بانها من اجل مدن خوزستان وهى قرب الجبال • وقصر السلطان فى موضع يقال له أسد أباد ويقع بها فى الشتاء تلج كثير يخزن ويحمل الى الاهواز والنواحى الاخرى لبيعه فيها صيفا • ومزارعهم على الامطار وفيها أجود أنواع الفستق • وقال ابن بطوطة ، وقد زارها فى مطلع المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ، ان الغالب على تسمية ايدج فى زمنه مال الامير • وهى ما زالت حتى اليوم تعرف بهذا الاسم ولا يقال لها ايدج •

وكانت ايدج الى ذلك مشهورة بقنطرتها العظيمة على دجيل ، وقد وصفها ياقوت فقال هى من عجائب الدنيا المذكورة • كانت هذه القنطرة وما زالت آثارها باقية تعرف بقنطرة ختره زاد ، وانما سميت بذلك نسبة الى أم الملك اردشير • والقنطرة مبنية على واد ، وهى طاق واحد تعلو مئة وخمسين ذراعا عن الوادى « ودونها بفرسخين صوّر من الماء »^(٢١) يعرف بضم البواب وكان هذا الصور خطرا • وقد جدد هذه القنطرة فى المثة الرابعة (العاشرة) وزير ركن الدولة البويهى^(٢٢) • واستغرق العمل فى ذلك سنتين • وكانت حجارتها تلتحم بالرصاص والحديد • وقيل انه انفق على هذا العمل مئة وخمسين الف دينار^(٢٣) (٧٥ الف باون) وروى ياقوت ان ايدج كثيرة الزلازل وبها معادن كثيرة وبها ضرب من القاقلى تنفع عصارته النقرس • وزاد على ذلك ان بها بيت نار عتيق كان يوقد الى أيام الرشيد •

وعلى ضفتي النهر ، على أربعة فراسخ شمال غربى ايدج ، مدينة صغيرة يقال لها سوسن وتعرف أيضا باسم عروّج (أو عروج) • وحول هذا الموضع بسايتين يكثر فيها العنب والنارنج والاترج والليمون • وقال المستوفى ان الجبال ، انتى لا يفارقها الثلج صيفا ، تبعد عنها نحو اربعة فراسخ • وكان يقال لعروج أو سوسن : جابلق أيضا • ويرى بعض المصنفين انها « شوشن القصر » المذكورة

(٢١) هو مجمع انهار • وكل ماء دائر يسمى صورا (م) •

(٢٢) اسم هذا الوزير « أبو عبدالله محمد بن احمد القمى » (آثار البلاد ص ٢٠١ - ٢٠٢) (م) •

(٢٣) فى القزوينى (٢ : ٢٠٢) : « لم يمكنهم عقد الطابق الا بعد سنتين فانه انفق على ذلك

سوى اجرة الفعلة ٠٠٠ ثلاثمئة الف وخمسين الف دينار » (م) •

فى سفر دانيال^(٢٤) . وعلى نحو مئة وخمسين ميلا شرق مال الامير ، على حدود فارس وقرب أقصى روافد كارون فى الشرق ، مدينة لرجان (وتسمى أيضا لردكان أو لركان وكلها صور مشتقة من اسم لر) • وقد وصفها الاصطخرى بانها قصبة رستاق سردان (أو السردن) وهى مدينة واسعة كثيرة الاشجار أطرى المستوفى عنها الكثير • تعد فى الغالب من أعمال اقليم فارس لانها على حدوده^(٢٥) .

وأهم تجارات خوزستان وغلاتها السكر • فان قصب السكر كان يكثر فى كل ناحية منها • قال المقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) : « كل سكر تراه ببلدان الاعاجم والعراق واليمن فمن خوزستان يحمل » • وقال يعمل بالاهواز فوط من القز حسنة تلبسها النساء • ومن تستر يرتفع الديباج الحسن المشهور فى سائر الاقلاق والانماط والثياب الحسنة • ويحمل من تستر فواكه كثيرة ولاسيما الدستنبوى (البطيخ) • ومن السوس وهى موطن قصب السكر يحمل السكر الكثير الى سائر الجهات وبها بز وخزوز • ومن عسكر مكرم مقانع القز والمناديل والثياب • ومن بصنا الستور الجيدة • ومن قرقوب الانماط • ومن نهر تيرى أزرق كبار^(٢٦) .

وكانت انهار خوزستان صالحة لسير السفن ، وأكثر تجاراتها تنقل بين مدنها فى تلك الانهار • ومجتمع طرقها فى الاهواز ، وللقادم الى الاهواز من البصرة ان يقصدها بطريق الماء فى النهر العضى أو فى البر فيجتاز السبخة من عسكر ابي جعفر يازاء الأبلّة الى حصن مهدى ومنها الى الاهواز مارا بسوق الاربعاء^(٢٧) .

وقد اورد الاصطخرى والمقدسى المسافات بين مدن خوزستان بكثير من التفصيل • فقد كان يخرج من الاهواز طريق يتجه غربا الى نهر تيرى ثم الى واسط

(٢٤) ما فى سفر دانيال (٨ : ٢) : « فرأيت فى الرؤيا وكان فى رؤياى وانا فى شوشن القصر الذى فى ولاية عيلام » • (م) •

(٢٥) الاصطخرى ١٠٣ و ١٢٦ : ابن حوقل ١٨٢ و ١٩٧ : المقدسى ٤١٤ : القزوينى ٢ : ٢٠١ : ياقوت ١ : ٤١٦ : ٤ : ١٨٩ : المستوفى ١٥١ : ابن بطوطة ٢ : ٢٩ •

وعن سوسن راجع ما قاله السر هنرى لايبارد والسر هنرى رولنسون فى JRGS لسنة ١٨٣٩ ص ٨٣ وسنة ١٨٤٢ ص ١٠٣ •

(٢٦) المقدسى ٤١٦ •

(٢٧) قدامة ١٩٤ : المقدسى ١٣٥ •

فى العراق • ويبدأ الطريق الشمالى من قاعدة الاقليم فيمر بعسكر مكرم الى تستر •
ويتجه غربا من جند يسابور والسوس الى الطيب • ومن الطيب طريق آخر يذهب
الى واسط •

وذكر المقدسى الطريق الذى يخترق جبال اللر من جند يسابور الى گل بايكان فى
اقليم الجبال وهو شمال غربى اصفهان • وكان يخرج من عسكر مكرم طريق آخر
(وصفه قدامة وغيره) يتجه شرقا الى ايدج ومنها يجتاز الجبال فيصل الى
اصفهان (٢٨) •

وكان يلتقى فى رامهرمز طريقان احدهما من عسكر مكرم والاخر من الاهواز •
ومن رامهرمز يضربان شرقا ويصلان حدود فارس عند نهر طاب خلف
ارتجان • وقد ذكر قدامة وغيره من المصنفين هذين الطريقين فأشاروا الى انهما قسم
من الطريق الذاهب من البصرة الى شيراز • وذكر الاصطخرى أيضا طريقا آخر
معظمه بالماء من حصن مهدى الى ارتجان يمر بباسيان على الساحل الى الدورق
ومنها الى آسك فارتجان • وقد ذكر المقدسى المراحل من شمال رامهرمز الى ايدج ،
ووصف أيضا طريقا من رامهرمز يجتاز جبال اللر الى اصفهان وطريقا آخر يجتاز
صحراء اللر شمال دزفول فيمر بسابور خواست الى كرج ابى دلف ، على انه لم
يذكر المسافات الا بالمراحل • ومن الصعب ، ان لم يكن مستحيلا ، تعيين مواضع هذه
المراحل الآن • وقد ذكر المقدسى طريقا ثالثا فى الشمال يخترق الجبال من ارتجان
فى سبعة أيام حتى يصل سميرم (فى فارس) فى جنوب اصفهان ويصاقب حدود
خوزستان وفارس (٢٩) •

(٢٨) الاصطخرى ٩٦ : ابن حوقل ١٧٨ : المقدسى ٤١٨ - ٤٢٠ : ابن رسته ١٨٧ و ١٨٨ :
قدامة ١٩٧ •

(٢٩) قدامة ١٩٤ : ابن رسته ١٨٨ : الاصطخرى ٩٥ : ابن حوقل ١٧٧ : المقدسى ٤٠١ و ٤٢٠ :
و ٤٥٣ و ٤٥٩ •

الفصل السابع عشر

فارس

تقسيم الاقليم الى خمس كور - كورة اردشير خره - شيراز - بحيرة ماهلوية - نور
سكان - جويم - بحيرة دشت اوزن - كوار - خير والصيمكان - كارزين
وكورة قباد خره - جهرم - جويم ابي احمد - ماندستان -
ايراهستان - جور او فيروز اباد - اسياف
فارس - جزيرة قيس - سيراف -
نجيرم - توج - الغندجان -
خارك وسائر جزر
خليج فارس .

كان اقليم فارس ، موطن الدولة الاخمينية وقاعدة حكومتها . وقد عرفه
اليونان باسم برسس (Persis) ، وجروا خطأ على استعمال اسم هذا الاقليم
الايوسط وأرادوا به المملكة كلها . وشاع وهمهم في استعمال هذا الاسم في انحاء
أوربة الى يومنا هذا . فالاسم Persia (بلاد فارس) عندنا - وهو مشتق من
Persis اليونانية - قد صار اسما عاما يطلق على دولة الشاه بأسرها ، في حين
ان الفرس أنفسهم يسمون بلادهم مملكة ايران . وما فارس ، أى Persis
القديمة ، الا اقليم واحد من أقاليمها الجنوبية . وقد ورث العرب
عن المملكة الساسانية تقسيم فارس على خمسة أقسام ، يقال لكل قسم منها كورة .
وظل هذا التقسيم - ومن الملائم أن نأخذ به في وصف الاقليم - معمولاً به حتى
أيام المغول . وهذه الكور الخمس ، هي : (١) أردشير خره ، وقصبتها شيراز

أولى مدنها • (٢) سابور أو شاپور خرة ، ومدينتها شاپور وهى أكبر مدنها •
(٣) أرتجان ومدينتها العظمى أرتجان • (٤) اصطخر ، ومدينتها اصطخر القديمة
(برسپوليس Persepolis) قصبة فارس الساسانية • وأخيرا (٥) دار ابجرد ،
ومدينتها بالاسم نفسه دار ابجرد •

ثم ان مما يحسن ذكره ، أن اقليم فارس ، كان فى أيام الخلافة يضم مدينة
يزد وناحيتها وناحية رودان (وهى بين أنار الحديثة وبهرام أباد) • وقد كانت هاتان
الناحيتان جزءا من كورة اصطخر • على ان يزد ، بعد الفتح المغولى ، كانت من
اقليم الجبال • أما اليوم ، فتعدّ جزءا من كرمان • وكذلك القول فى ناحية رودان
القديمة • ومعنى « خرة » بالفارسية القديمة « بهاء » (١) • وعليه يكون أردشير
خره وشاپور خره اسمين لكورتين ، الاولى تخذل مجد أردشير مؤسس الدولة
الساسانية ، والثانية تخذل ذكر ابنه المشهور سابور أو شاپور ، وهو سابور (Sapor)
عند اليونان • وأخيرا قسّم البلدان يون العرب اقليم فارس على قسمين ، هما :
الاراضى الحارة والاراضى الباردة ، أى الجروم والصرود ، يفصل بينهما خط
يمتد شرقا وغربا • وما زلنا حتى اليوم نجد هذا التقسيم متبعا فى الاراضى الحفيضة
القريبة من الساحل ، الممتدة من الهضاب التى تلى الدروب ، فانها تعرف بهاتين
اللفظتين : گرم سير وسرد سير ، أى المنطقة الحارة والمنطقة الباردة ، وهما تسميتان
جرى المستوفى على استعمالهما أيضا (٢) •

وشيراز ، قصبة فارس ، قد مصّرها العرب واتخذ المسلمون موضعها وقت
الفتوح فى أيام الخليفة عمر ، معسكرا لهم لما أناخوا على فتح اصطخر • ولعل ما
بلغته من منزلة ، يرجع ، على ما ذكر المقدسى ، الى كونها فى وسط البلاد ، اذ
يقال انها على ستين فرسخا من الحدود فى كل جهة من الجهات الاربع ، وعلى
ثمانين فرسخا من كل زاوية من زوايا الاقليم الاربع • وجاء فى الاخبار ان شيراز

(١) جاء فى معجم البلدان (١ : ١٩٩) ان اردشير خره « اسم مركب ، معناه بهاء أردشير
واردشير ملك من ملوك الفرس » • (م) •

(٢) انفراد المقدسى (ص ٤٢١) بتقسيم فارس على ست (بدلا من خمس) كور ، مكورا من
النواحي المحيطة بشيراز كورة قائمة بنفسها •

الاصطخرى ٩٧ و ١٣٥ : البلاذرى ٣٨٦ : المقدسى ٤٤٧ •

قد تولى عمارتها في سنة ٦٤ (٦٤٨) محمد أخو الحجاج أو ابن عمه^(٣) ، والحجاج هو عامل بنى أمية المشهور على العراق . ثم اتسعت رقعتها وصارت مدينة كبيرة في النصف الاخير من المئة الثالثة (التاسعة) حين اتخذها بنو الصفار قاعدة لدولتهم نصف المستقلة . وكانت شيراز في المئة الرابعة (العاشرة) نحواً من فرسخ في السعة ، أسواقها ضيقة يزدحم فيها الناس ، وكان للمدينة حينذاك ثمانية أبواب^(٤) ، وهي : باب اصطخر ، تستر ، بنداستانه ، غسان ، سلم ، كوار ، مندر ، مهنر . ومياه شيراز من القناة التي تجرى من جويّم وهي قرية على خمسة فراسخ من شمالها الغربي . ولشيراز بيمارستان ، وفيها دار عضد الدولة البويهى . التي أنشأ فيها خزانة كتب على ما جاء في فارسنامه .

وعلى نصف فرسخ من جنوب شيراز ، بنى عضد الدولة البويهى ، الملعب بفنا خسرو ، قصر آخر له وخط حوله مدينة جديدة نسبت اليه ، فقبل لها كرد فنا خسرو . وجعل الى جنب قصره بستانا أنفق عليه الاموال العظيمة ، سعتة نحو من فرسخ . ونقل الى الدور التي نشأت حوله الصوافين وصناع الخبز والديباج وغيرهم من أصحاب الحرف الذين نقلهم بنو بويه من أقاصى البلاد وأسكنوهم في فارس . وكان يقام في كرد فنا خسرو احتفال في كل سنة . وقد صارت هذه المدينة أيضاً دارا لضرب النقود حيناً من الزمن . ولكن عزّها لم يدم بعد موت مؤسسها فقد أشرفت على الحراب قبل ختام المئة الرابعة (العاشرة) وصار ربضها يعرف بسوق الأمير . وإيجار حوائته عشرون ألف دينار (عشرة الآف باون) في السنة .

وأول من بنى سور شيراز وأحكمه ، صمصام الدولة أو سلطان الدولة (وهما ابن وحفيد عضد الدولة المار ذكره) . وكان عرض حائطه ثمانية أذرع وطوله اثني عشر ألف ذراع . وله ما لا يقل عن أحد عشر باباً . وفي منتصف

(٣) ما في معجم البلدان (٣ : ٣٤٩) : « قيل أول من تولى عمارتها ، محمد بن القاسم بن

مقبل ابن عم الحجاج » . (م) .

(٤) ما في المقدسى (ص ٤٣٠ من المجلد) : لشيراز ثمانية دروب . وسرد اسماءها (على النحو الذى فى أعلاه مضافة الى كلمة « درب » . وقد ذكر ناشر كتاب المقدسى فى الحاشية ، ان فى مخطوطة برلين « ثمانية أبواب » . والظاهر ان لسترنج اخذ بهذه القراءة . (م) .

المئة الثامنة (الرابعة عشرة) تخرب هذا السور فعمره محمود شاه انجو^(٥) ، غريم آل مظفر ، وأحكمه بأبراج من الآجر . وحين زار المستوفى مدينة شيراز رآها ذات سبع عشرة محلة وتسعة أبواب . وهذه الابواب هي باب اصطخر ، وباب دارك (أو دراك موسى) نسب الى جبل بهذا الاسم على نحو من فرسخين من شيراز وفيه يخزنون ثلج الشتاء في مخابى لاستعماله أيام الصيف . ثم باب البيضاء ، وباب كازرون ، وباب سلم ، وباب قبا (وجاء في بعض المخطوطات بصورة فسا وفسا) ، ثم باب نو (الباب الجديد) ، وأخيرا باب الدولة ، وباب السعادة . وزاد المستوفى ، على ايراده أسماء هذه الابواب قوله ، ان شيراز مدينة في غاية الحسن ، ذات أسواق عامرة ، غير انها قدرة على ما وصف . وكان ماؤها من قناة ركن آباد المشهورة ، وهي التي حفرها ركن الدولة البويهى أبو عضد الدولة المار الذكر ، ومن قناة بستان سعدى . وفي أيام الربيع تنحدر السيول من جبل دارك فتخترق المدينة ثم تجتمع في بحيرة ماهلوية .

وكان في شيراز ثلاثة مساجد جامعة ، أولها الجامع العتيق وقد بناه عمرو بن الليث الصفار في النصف الأخير من المئة الثالثة (التاسعة) وأشار المستوفى الى ان هذا الجامع لم يخل من المصلين قط . والثاني الجامع الجديد وهو من النصف الأخير من المئة السادسة (الثانية عشرة) بناه الأتابك سعد بن زنكى السلغرى ، وثالثها مسجد سُتْقُر في مربعة الحلاقين وقد بناه أول أتابك من السلغريين . وما زال بيمارستان عضد الدولة قائما . ويزور الشيعة في شيراز مشهد محمد وأحمد ولدى الامام السابع موسى الكاظم . وما أسلفنا من كلام على شيراز قد عزّزه ابن بطوطة ، معاصر المستوفى ، فقد تكلم هو أيضا على الجامع العتيق فيها وقال : بشماله باب يعرف بباب حسن . كما تكلم على مشهد أحمد وكان فيه مدرسة . ثم انه قد أطرى الانهار الخمسة التي تشق المدينة ، أحدها النهر المعروف بركن آباد ، ينبعث من عين في سفح جبل هنالك يسمى القليعة ، وبقربه بستان مليح يحفّر بغير الشاعر سعدى [الشيرازى] المتوفى سنة ٦٩١ (١٢٩٢) أى قبل

(٥) جاء اسمه في رحلة ابن بطوطة (٢ : ٦٤) ابو اسحق بن محمد شاه ينجوا . (م) -

زيارة ابن بطوطة لها بنصف قرن ، وقد كانت لسعدى منزلة رفيعة فى قصر الاتابك
أبى بكر بن الاتابك سعد باني المسجد الجديد • وكان فى البستان الذى
فيه قبر سعدى ، والناس يزورونه كثيرا ، حياض حسنة من المرمر لغسل الثياب ،
صنعها سعدى عند نهر ركن آباد •

وفى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) نجت شيراز لحسن حظها من محاصرة
تيمورلنك لها الذى تغلب على آل مظفر فى وقعة باتيله فى الارض البسيطة فى
ظاهرها ، فلم تعان المدينة الا شيئا قليلا من الاذى على ما ذكر على اليزدى • لأن
تيمورلنك قد عسكر فى بستان يقال له تخت قراجه فى ظاهر باب سلم وباب السعادة
المفضيين الى يزد • وذكر هذا المؤلف نفسه ان الابواب الثمانية الاخرى كانت
مغلقة حين ذاك ، وأشار أيضا الى كوه قلعة سرخ (أى تل القلعة الحمراء) قرب
شيراز ، ولا يعلم موضعها • ومما ذكره المستوفى من القلاع المشهورة بالقرب من
شيراز ، قلعة تيز ، وتقوم على تل منفرد يبعد ثلاثة فراسخ عن جنوب شرقى
المدينة ، وقد كان فيها عين ماء فى قمة التل ، وأخرى فى السهل أسفلها • وأما ما
يليهام فمفازة معطشة ، مقدارها مسيرة يوم (٦) •

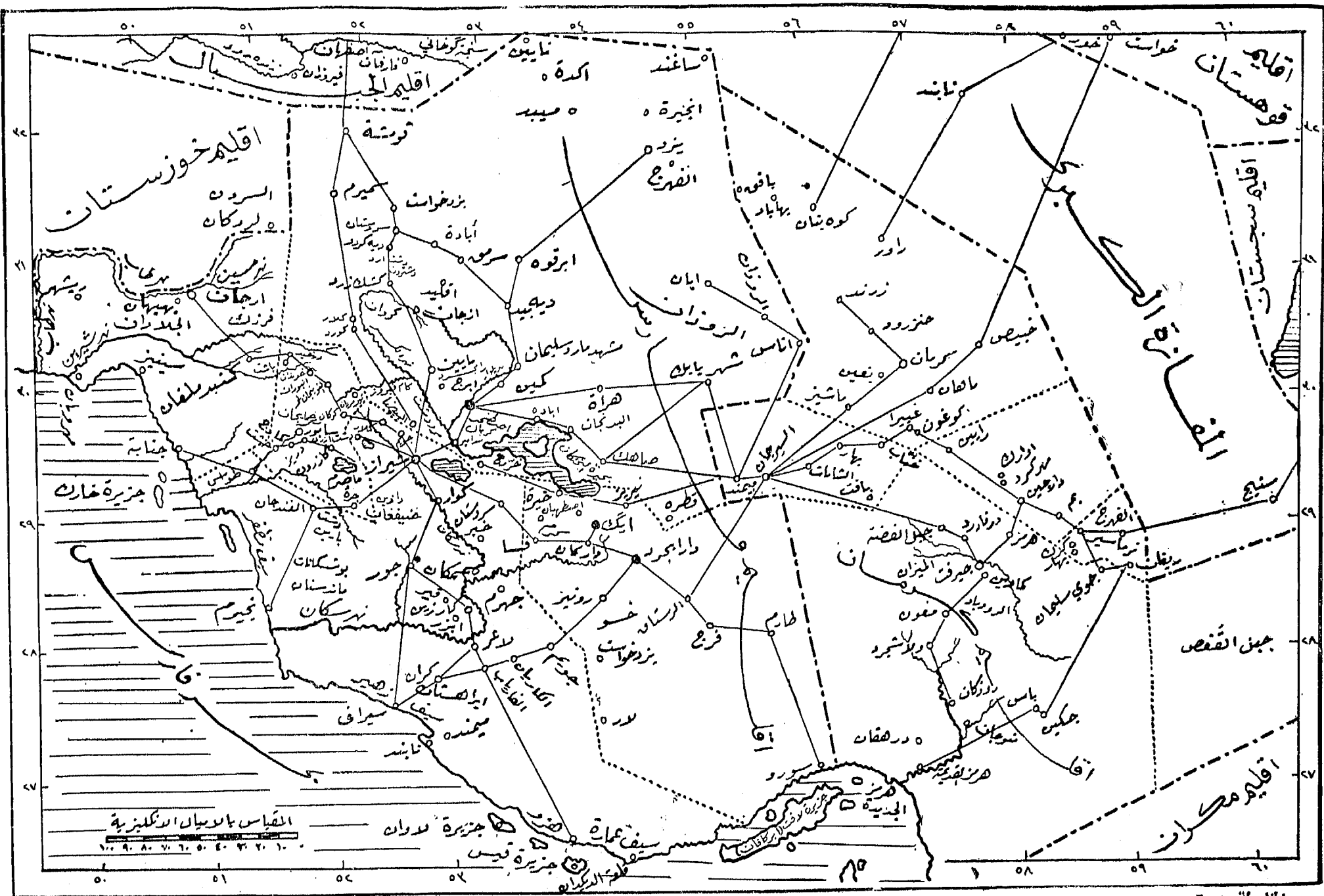
وشيراز لا تقوم على نهر كبير ، غير أن أنهارها تنحدر شرقا ، على ما بينا ،
وتصب فى بحيرة تغمر وهددة فى السهل على بضعة فراسخ من المدينة • وقد سمي
الاصطخرى هذه البحيرة بالجنكان • وجاء اسمها فى أبى الفداء وابن بطوطة
بصورة الجمكان • ووردت فى فارسنامه وفى المستوفى باسم ماهلوية ويقال لها
اليوم بحيرة ماهلو ، وماؤها ملح • ويرتفع من أطرافها الملح ويحمل الى شيراز ،
وصيد السمك فيها كثير ، وطول البحيرة اثنا عشر فرسخا ، وعلى شطآنها
الجنوبية قرى ناحية الكهرجان ، وفى جنوبها الشرقى مدينة خورستان ويقال لها

(٦) قراءة اسم تيز ليست مضبوطة ، فقد جاءت فى غير مخطوطة من كتاب المستوفى بصور
مختلفة : تيز ، تبر ، بير ، تير ، تسير ، تشير •
الاصطخرى ١٢٤ : المقدسى ٤٢٩ و ٤٣٠ و ٤٥٦ : فارسنامه ١٧١ - ب : ياقوت ٣ : ٣٤٩ :
٤ : ٢٥٨ : المستوفى ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٩ و ٢٠٣ : ابن بطوطة ٢ : ٥٣ و ٧٧ و ٨٧ : على اليزدى
١ : ٤٣٧ و ٥٩٤ و ٦٠٩ و ٦١٣ • وانما عرف بستان تخت قراجه (أى عرش قراجه) ، بذلك نسبة الى
الاتابك قراجه الذى حكم فارس على أثر وفاة الاتابك جاولى فى سنة ٥١٠ (١١١٦) • ويقال ان هذا
البستان هو الذى يعرف اليوم بتخت فجر •

أيضا سروستان ويكثر فيها النخيل والقمح وهي خصبة يجتمع فيها ما يكون في بلاد الصرود والجروم . وكانت كوبنجان ، على ما في فارسنامه والمستوفى ، بلدة صغيرة بالقرب من سروستان^(٧) .

وأطول أنهار فارس ، نهر سَكَّان ، مخرجه على ثلاثين ميلا من شمال غربى شيراز ، ويجرى منحرفا باتجاه الجنوب الشرقى مسافة تزيد على مئة وخمسين ميلا ، ثم ينعطف انعطافا كبيرا فيتجه نحو الغرب الى مسافة مئة وخمسين ميلا أخرى ، وتكثر التعاريج في مجراه الأخير ، ثم انه بعد ان يستقبل مياه نهر فيروز اباد من الشمال ، يقع في البحر على شئ يسير جنوب تجيرم^(٨) . وذكر الاصطخرى ان اسم «سكان» مشتق من اسم قرية سك ، وهي في غرب المنعطف الكبير لنهر سكان بالقرب منه أما غيره من المصنفين ، فقد أورد اسمه بالصور المختلفة الآتية : ستجان ، تكان ، سيكان . وأورده المستوفى بصورة زكان أو زكان . وقال صاحب فارسنامه ومن جاء بعده من المصنفين ، أن مخرج هذا النهر في ناحية يقال لها ماصرم . أما الاصطخرى فقال انه يخرج من رستاق الرويحان وهو السهل الذى في جنوب جويم وخلا ، وهاتان قرىتان كبيرتا الشأن ، الاولى على خمسة فراسخ والاخرى على تسعة فراسخ من شيراز في الطريق الذاهب الى النوبنجان في شمال دشت أرزن . ويخرج من قرب جويم ، على ما بينا ، أحد أنهار شيراز . وكانت خلا ، على ما في المستوفى ، تشتهر بحجر الأرحاء وان كان أهلها لا أرحاء لهم . وكانوا يحملون حبوبهم الى أماكن أخرى لطحنها . وكان يحمل منها أيضا غسل كثير . وكان دشت أرزن (أى سهل اللوز المر) معروفا بمراته الممرعة (مر غزار) . وكان طول بحيرة دشت أرزن نحو من عشرة فراسخ في موسم الامطار ، وماؤها عذب . وربما تجف في الصيف حتى لا يبقى فيها من الماء

(٧) ابن خرداذبه ٥٢ ؛ الاصطخرى ١٢٢ و ١٣١ ؛ المقدسى ٤٢٢ و ٤٥٥ ؛ فارسنامه ١٧٣ ؛ ٨٠ ب ؛ المستوفى ١٧٢ و ٢٢٦ ؛ أبو الفداء ٤٣ ؛ ابن بطوطة ٢ ؛ ٦١ ؛ ياقوت ٢ ؛ ١٩٣ . وجاء فيه اسم جيكان (بدلا من : جنكان) وهو من وهم النساخ .
(٨) ويعرف مجراه الاعلى باسم قرا أغاج ، أى الشجرة السوداء (بالتركية) . ومجره الاسفل باسم نهر ماند . ولعل نهر سكان يطابق نهر ستكس (Sitakus) عند نيرخس (Nearchus) انظر الكولونيل روس في PRGS لسنة ١٨٨٣ ص ٧١٢ .



اقليما فارس وكرمان

الا القليل ويصاد فيها سمك كثير على ما ذكر الاصطخرى وزاد المستوفى على ذلك ان الاسود كانت تكثر في غابة قريبة منها^(٩) .

وعلى عشرة فراسخ من جنوب شيراز يمرّ نهر سكَان بمدينة كَوار أو كَوار وهى قرب ضفته اليسرى . وقد أنشئ في هذا النهر ، على ما جاء في المستوفى ، سد من شاطئ الى شاطئ لكي يرتفع الماء به فيدخل انهار السقى . وكانت المراعى القريبة من كوار مشهورة . ويكثر فيها الكرز البرى واللوز وكذلك الرمان الكبير وفي ما يلي كوار ، فى يسار نهر سكان أيضا ، مدينة خَبر ، وهى مشهورة بقبر سعيد أخى الحسن البصرى الفقيه . وذكر المستوفى ان « خبر » كانت أكبر من كوار ، وأن بالقرب منها القلعة المشهورة المسماة تير خدا (سهم الله) ، وانما سميت بذلك لامتناعها واعتصامها ، فقد كانت تقوم على قمة جبل ، فلا تبلغها سهام الاعداء . وأسفل من خبر يتجه نهر سكان جنوبا فينسب فى مجرى متمعج مخترقا ناحية الصيمكان . وكانت مدينة الصيمكان قرب ضفته اليسرى عند ملتقى رافد كبير به ينحدر من دار أبجرى فى الشرق^(١٠) .

وكانت الصيمكان ، على ما جاء فى المستوفى ، مدينة حسنة ، تقوم على النهر وعليه هناك جسر . ومما يلفت النظر ان فى أعلى هذا الجسر ، تنمو أشجار بلاد الصرود (أى أشجار المنطقة الباردة) فقط كالچنار (الدلب) والجوز وفى أسفله يكثر التارنج والليمون وغيرهما من فواكه بلاد الجروم . وما يعصر فيها من خمور فى غاية القوة فلا تشرب الا بعد مزجها بما يعادل ضعفها أو ثلاثة أضعافها من الماء . وهيرك لا تبعد عنها كثيرا ، وهى قرية كبيرة من أعمال الصيمكان . وكان بالقرب من يمين نهر سكان ، فى جنوب ناحية الصيمكان ، المدن الثلاث : كارزين ، وقير ، وأبرز . وكانت كورتها تعرف بقباز خرة (أى بهاء قباز) تخليدا لذكرى

(٩) تكتب جويم أحيانا بصورة جوين ، وهى قرية كوين الحالية .

الاصطخرى ١٢٠ و ١٢٢ ؛ ابن خرداذبه ٤٤ ؛ فارسنامه ٧٧ ب ، ٧٩ ب ، ٨٠ ب ، ٨١ أ ؛

ياقوت ٢ : ٤٥٧ ؛ المستوفى ١٧٧ و ١٧٩ و ٢١٤ و ٢٢٦ .

(١٠) الاصطخرى ١٠٥ و ١٢٠ ؛ فارسنامه ٧١ ب ، ١٧٢ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٦ أ ؛ ياقوت

٢ : ٣٩٩ ؛ المستوفى ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٩ . ويقال اليوم لهذه الناحية سيماكون ، وكثيرا ما تكتب

فى الخوارط خطأ بصورة آكون Akun انظر E. Stack فى Six Months in Persia

٢ : ٢٣٢ .

أحد الملوك الساسانيين • وذكر الاصطخرى ان كارزين نحو الثلث من اصطخر (برسبوليس) ولها قلعة منيعة يرفع الماء اليها من نهر سكان ، وكانت ضاربة في الفضاء حتى لترى منها قلاع كثيرة بعيدة عنها ^(١١) •

ومدينة جهرم (أو جهرم) ، وقد كانت تحسب أحيانا من أعمال كورة دار أبجرد ، في جنوب الصيمكان وشرق كارزين ، وحولها بسيط من الارض خصب ، واشتهرت بقلعتها العظيمة التي تبعد عن المدينة خمسة فراسخ ، يقال لها قلعة خورشه • وكان نظام الملك وزير السلاجقة العظيم ، قد أحكم بناءها وزاد في تحصينها . وأول من بناها خورشه ، وكان عامل بني أمية على جهرم ^(١٢) . وإلى جنوب شرقي جهرم مدينة جويم أبي أحمد ، (وقد عرفت بذلك تميزا لها عن جويم التي في أعالي نهر سكان ، أنظر الصفحة ٢٨٩) ، وصفها المقدسي بانها على نهر صغير ، حولها النخيل ولها جامع حسن ، وبين الجامع والسوق زقاق طويل ، وتعرف الناحية التي في جنوبها الغربي بإيراهستان • وبالقرب من المدينة قلعة منيعة يقال لها سميران (أو شميران) وصفها المستوفى بقوله انها « عش اللصوص وقطاع الطرق » وتكثر حولها المراعى ، وأحسنها ما كان بين جويم وشفة نهر سكان تكثر في نواحيها الخبارى الآسنة وتكثر الأسود في غاباتها •

ومدينة الكاريان ، وتشرف عليها قلعة حصينة ، على مرحلة غرب جويم ، « وبها بيت نار معظم عند المجوس تحمل ناره الى بيوت النار في الآفاق » • وقلعتها على رأس جبل ، حصينة لا تقتحم وفي غرب الكاريان ، في منعطف نهر سكان الى الغرب ، مدينة لاغر وهي موضع كان له حين كتب المستوفى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) بعض الشأن • فقد كان مرحلة في طريق القوافل الذاهبة من شيراز الى جزيرة قيس • وجاء ذكر لاغر أيضا عند الكلام على كهرجان (أو مكرجان) وهذا الموضع لا أثر له في الخارطة • وما بين لاغر والساحل ، وبمحاذاة

(١١) الاصطخرى ١٢٥ : المقدسى ٤٢٢ : فارسنامه ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٨٢ ب ، ٨٣ : المستوفى ١٧٣ و ١٧٩ • ويظهر مما جاء في فارسنامه (الورقة ١٧٨) والمستوفى (ص ١٧٧) أن كورة أخرى غير هذه يقال لها كورة قباد خره قد كانت على ضفاف نهر طاب فوق ارجان •
(١٢) الاصطخرى ١٠٧ : فارسنامه ١٦٩ ، ٨٢ ب : المستوفى ١٧٥ و ١٧٩ •
وقد جاء اسم القلعة في مخطوطات مختلفة بصورة خروشة وخورشة وخرشة ، وكذلك بصورة خرشد وخرشر • ولكن البلدانيين العرب القدماء لم يذكروها •

الجانب الايمن من نهر سكان الى شماله ، مفازة ماندستان وهى فى وسط المسافة بين نجيرم وبوشكانات . وليس فى هذه المفازة قرى أو وديان الا فى ما ندر حين هطول الامطار الغزيرة ، على ما ذكر المستوفى ، فيمكن ان ينمو فى هذه المفازة القطن والقمح ، فيغلّ فى نهاية الشتاء الواحد ألفاً^(١٣) .

وماندستان ، وهو ما كانت تعرف به هذه المفازة فى القرون الوسطى - ومعناه « بلاد ماند » - تحتفظ ولا ريب باسم نهر ماند ، وهذا الاسم ، على ما قد بينّا ، يطلق اليوم على أسفل نهر سكان . ويستقبل هذا النهر من الشمال فى نحو من نصف المسافة بين لاغر والبحر ، رافدا كبيرا يقال له نهر فيروز اباد . ومدينة فيروز اباد كان يقال لها قديما « جور » . وكانت فى أيام الساسانيين مدينة كورة اردشير خرو . بدلا من شيراز المحدثه . وحكى الاصطخرى « يقال ان مكانها كان ماء واقفا كالبحيرة ... فاحتال الملك اردشير فى ازالة ماء ذلك المكان بما فتح من مجاريه ، فبنى بذلك المكان جور ... وفى وسط المدينة بناء مثل الدكة يسمى الطربال^(١٤) » - كان ما زال فيها فى المئة الرابعة (العاشرة) وما بعدها - . ويعرف بلسان الفرس بايوان . وهو بناء بناء اردشير ، على الدكة . وكانت جور فى هذا الزمن « قرية فى السعة من اصطخر ... وعليها سور عامر وخندق ، ولها أربعة أبواب : باب مما يلى المشرق يسمى باب مهر . ومما يلى المغرب باب بهرام . ومما يلى الشمال باب هرمز . ومما يلى الجنوب باب اردشير » .

واسم جور ، ويلفظ بالفارسية گور ، يوافق اسم القبر . فكان اذا خرج اليها عضد الدولة (البويهى) قيل قد ذهب الملك الى القبر . فكره ذلك ، فسمّاها فيروز أباد ومعناه أتم دولته^(١٥) . وتكلم المقدسى ، وقد حكى قصتها ، على رحبتها الواسعة ، وعلى بسايتين فيروز اباد الحسنة . « وهى مدينة نزهة جدا ، يسير الرجل

(١٣) الاصطخرى ١١٧ : المقدسى ٤٢٧ و ٤٢٨ : فارسنامه ٦٩ ب ، ٧٣ ب ، ٨٢ ب ، ٨٦ أ : المستوفى ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٥ و ١٧٩ و ١٨٠ : جهان نما ٢٦٨ : القزوينى ٢ : ١٦٢ .
(١٤) الطربال : علم يبنى . وكل بناء عال . معرب تربال . وهو اسم قصر متين شامخ بناء اردشير بن بابك بقرب مدينة جور من اعمال فارس ، وشيد فوقه معبدا للنار . (الالفاظ الفارسية المعربة لأدى شير . ص ١١١) (م) .
(١٥) هذا التفسير عن ياقوت . وقال المقدسى : ان معنى فيروز اباد فى أتم دولة (ص ٤٣٢) (م) .

منها من كل باب نحووا من فرسخ فى بساين وقصور * وماؤها من جبل قريب * يخرج من قدر نحاس فيه ثقبه ضيقة ، ماء حاد جدا . وكان على نحو من أربعة فراسخ من المدينة قلعة حصينة يقال لها قلعة سَهَادَة « أو شهارة » على قول البلدانين الفرس * وقد سُمى الاصطخرى نهر فيروز آباد بنهر تيرزه * اما فارسنامه والمستوفى ، فقد سَمِياه بنهر بُرَازَة (أو براره) وهو يخرج من ناحية الخنيفغان^(١٦) . ويقال ان الاسكندر الكبير قد غير مجرى النهر الاصلى حين كان ضاربا الحصار على جور ، فأغرق ما حولها من ضياع وكوتن البحيرة التى احتال فى ازالة مياهها من بعده برازة الحكيم فى عهد الملك أردشير ، ثم انه مدّ الماء من النهر الى المدينة ، فى قناة أنشأها ، فنسب النهر اليه فقيل له نهر برازة * وذكر القزوينى ان فى فيروز آباد بيت نار مشهورا ، وأشار الى البئر العجيبة على باب المدينة التى يخرج منها ماء حاد جدا ولا يحتاج الى استقائه * ونوّه بالورد الجورى وهو ورد أحمر من أجود أنواع الورد وله شهرة فى الآفاق * وفى شمالها ، على ما بيننا ، ناحية خَنِيفَغَان أو خَنِيفَقَان ويلفظها الفرس خَنَافْكَان * وكان بين الجبال قرية كبيرة بهذا الاسم يخرج منها طريق صخرى وعر ينحدر الى فيروزآباد^(١٧) .

وكان يقال للساحل البحرى فى كورة اردشير خُزْرَة ، السيف (أى الشاطيء) وكان لها ثلاثة أسياف على خليج فارس كلها فى گرمسير أى المنطقة الحارة وهى : سيف عمارة فى شرق جزيرة قيس ، وسيف زهير على الساحل جنوب ايراهستان وحول سِراف * وأخيرا سيف المظفر الى شمال نجيرم * وكانت عمارة وزهير والمظفر ثلاث قبائل عربية عبرت الى السواحل الشمالية من الطرف الآخر من خليج فارس وأقامت فى هذه الديار من فارس * وكان فى سيف عمارة فى المئة الرابعة (العاشرة) قلعة على البحر لا يقدر أحد أن يرتقى اليها ، يقال لها قلعة الديكدان (أو الديكبابة) وتعرف أيضا بحصن ابن عمارة وسيفها يتسع لعشرين مركبا * « ولا يرتقى الى القلعة الا فى شىء من المحامل » * وعلى مسافة قصيرة من

(١٦) ما فى الاصطخرى (ص ١٢١) : « ونهر تيرزه يخرج من ناحية دارجان سياه ، فيسمى

رستاق الخنيفغان وجور » * (م) .

(١٧) الاصطخرى ١٠٥ و ١٢١ و ١٢٣ : المقدسى ٤٣٢ : فارسنامه ١٧٠ - ٧٢ ب ، ٧٩ ب ، ١٨٢ :

المستوفى ١٧٢ و ١٧٩ و ٢١٩ : القزوينى ٢ : ١٢١ .

غربها ، جزيرة قيس ، ويكتبها الفرس بصورة كيش . وصارت فى المئة السادسة (الثانية عشرة) مرفأً تجارة خليج فارس بعد خراب سيراى التى سنأتى على وصفها قريباً . وفى جزيرة قيس أنشئت مدينة عليها سور مكين . وشربهم من صهاريج كثيرة ، وفى قربها مغاص على اللؤلؤ ، وهى مرفأً مراكب بلاد الهند والعرب ، ويكثر فى الجزيرة النخل . ووصف القزوينى حرّها فى الصيف فقال انها « أشبه شئ بيت حمام حار شديدة السخونة » . ومع ذلك فقد كانت قيس مدينة أهلة عامرة . وكانت الجزيرة على أربعة فراسخ من الساحل . وفى الساحل مرفأً هزو ، واليه كان ينحدر فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) طريق قوافل من شيراز مارا بلاغر . وكانت هزو حين رآها ياقوت قد خربت ، الا انها كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) قلعة حصينة لبنى بويه جعلوها محبساً لمن سخطوا عليه . وكان بالقرب من المدينة قرية يقال لها ساوية (وجاء اسمها فى المخطوطات بصور مختلفة : تابه ، تانه . أما القراءة الصحيحة لها فغير معروفة)^(١٨) .

والى الغرب من سيف عمارة ، بامتداد ساحل البحر ، سيف زهير وكانت مدينته : كران فى الداخل ومرفأه المشهوران سيراى ونايسند . وهذه الناحية كانت تمتد حتى نجيرم مما يلى فم نهر سكان . ومما يلى هذه الناحية نحو الداخل ، ناحية ايراهستان . وفى ناحية كران ، على ما فى الاصطخرى ، « طين أخضر كالسلق ، يؤكل ، ليس فى ما علمته فى بلد مثله » . وعدّ المستوفى كران من أعمال

(١٨) الاصطخرى ١١٦ و ١٤٠ : ابن حوقل ١٨٨ : ياقوت ٢ : ٧١١ : ٤ : ٣٣٣ و ٩٧٤ : فارسنامه

٧٤ ب : المستوفى ١٧١ و ١٧٣ و ١٨٠ : القزوينى ٢ : ١٦١ .

ويلفظ اسم الجزيرة بصورة قيس وقيش وكيش .

وسرد المستوفى (ص ٢٠٠) المراحل التى فى الطريق من لاغر الى هزو . ولكن لما لم يسلك سائج معاصر هذا الطريق ، لا نجد هذه الاسماء فى الخارطة ، فمعظمها لا يعرف موضعه . وقد ذكر المستوفى ما بينها من مسافات بالفراسخ .

قال : (من لاغر ٦ الى ناحية فارياى . ثم ٦ الى مدينة صج (صج ، حج ، ضج ، وغير ذلك من القراءات) . ثم ٥ الى آب أنبار كنار . ثم ٥ الى هرم (سريم أو مرمز) . ثم ٦ فى دروب وعرة واقفة الانحدار الى قرية داروك (داروك ، أورك دورك) . ثم ٦ الى مامان (هامان ، مايان) . ثم ٦ من درب لردك الى هزو على سيف البحر » . وهذه الناحية التى سماها المستوفى بفارياى ، توافق باراب على ما يظهر . وهى فى نصف الطريق بين الكاريان وكران ، على ما جاء فى المقدسى (ص ٤٥٤) . أما مدينة صج ، فأمرها مبهم ، اذ ليس فى الناحية بلدة بهذا الاسم . ولكن قد تقرأ : جم (الاصطخرى ١٠٦) . ومما يؤسف عليه ان صاحب جهان نما أو غيره من بلداتى العرب لم يذكروا هذا الطريق . والظاهر ان سيف بنى الصفار يوافق سيف عمارة ان وازنا بين ما جاء فى الاصطخرى (ص ١٤١) وما كتبه ياقوت (٣ : ٢١٧) .

ايراهستان وقال ان فى أطرافها لا ينمو غير النخيل • وفى جنوبها كانت ناحية ومدينة ميمند ، غير بعيدة عن مرفأ نابند • ونابند عند رأس الخور المعروف بخور أو خليج نابند • ويكثر فى ميمند ، على ما ذكر المستوفى ، العنب وفاكهة المنطقة الحارة (گرمسير) وقد اشتهرت بالمهرة من الصناع^(١٩) •

وعلى الساحل فى أعلى نابند والى شمالها الغربى ، مرفأ سيراف • وكانت فى المئة الرابعة (العاشرة) الفضة العظمى فى خليج فارس قبل اشتهار أمر جزيرة قيس • وذكر الاصطخرى أن سيراف تقارب شيراز فى الكبر والفخامة ، « وبنائهم بالساج وخشب يحمل من بلاد الزنج (زنبار أو زنجبار اليوم) ، وأبنيتهم طبقات ، وهى على شفير البحر » • وقال أيضا ان « أهلها يبالغون فى نفقات الأبنية حتى ان الرجل من التجار لينفق على داره زيادة عن ثلاثين ألف دينار » (١٥ ألف پاون) • ثم قال « وأهلها أيسر أهل فارس ، ومنهم من يجوز ماله ستين ألف ألف درهم (مليون پاون) ما اكتسبه الا من تجارة البحر » • « وليس حوالها بساتين وأشجار ، وانما فواكههم وأطيب مياههم من جبل مشرف عليهم يسمى جم » • وفى هذا الجبل قلعة عظيمة يقال لها سميران • وتكلم المقدسى على سيراف وقال انها أفضل تجارة من البصرة • وان دورها أحسن ما رأى • وحكى انه « جاءت زلزلة سنة ٣٦٦ أو ٣٦٧ (٩٧٧) فقلقلتها وحركتها سبعة أيام حتى هرب الناس الى البحر وتهدم أكثر تلك الدور وتفطرت » • وبذهاب دولة بنى بويه ، أخذت سيراف بالزوال • وروى صاحب فارسنامه ان آخر ما أصابها من خراب أوقعه بها ركن الدولة خمارتكين أمير جزيرة قيس ، فقد اتخذ من هذه الجزيرة مرفأ للتجارة ، ولكنه بقى يبنى سفنه الحربية فى سيراف • وحين زارها ياقوت فى مطلع المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، لم يبق فيها قائما غير جامعها المليح على سوارى ساج ، وقد رآها ، وبها آثار عمارة فى طرف الساحل • ولم يكن للمراكب فيها حينذاك ميناء ، فاذا قدمت اليها استأمنت فى موضع يقال له نابند • وذكر ياقوت ان أهلها يسمونها فى زمنه شيلاو •

(١٩) الاصطخرى ١٠٤ و ١٥٢ ؛ ياقوت ١ : ٤١٩ ؛ ٢ : ٤٨٩ ؛ ٣ : ٢١٢ و ٢١٧ ؛ المستوفى

١٧٢ و ١٧٣ ؛ ابو الفداء ٣٢٢ •

ونجيريم ، ميناء قليل الشأن ، الى غرب سيراف ، وهو مما يلي قم نهر سكان ، وكان فى أول سيف المظفر ، وهذا السيف كان يمتد حينذاك حتى جنابة فى كورة أرتجان . وكان بنجيريم حين كتب المقدسى جامعان وأسواق حسنة « وبرك تملاً من المطر » . وكانت ناحية الدستقان أيضاً فى جملة سيف المظفر ، وكانت أجل مدنها فى المئة الرابعة (العاشرة) صفارة والظاهر ان هذه الناحية كانت بالقرب من جنابة ، غير انه لا يعرف الموضع الحقيقى لمدينة صفارة (٢٠) .

وبالقرب من حد كورة أرتجان ، يصب نهر شابور فى البحر . وعلى مسافة قليلة من فمه ، ولعل ذلك فوق التقاء نهر جرّه به ، وسنأتى على ذكره فيما بعد ، كانت تقوم مدينة توجّ أو توّز ، المركز التجارى المهم . وقد كانت توجّ فى المئة الرابعة (العاشرة) تقارب أرتجان فى الكبر على ما ذكر الاصطخرى ، وهى « مدينة شديدة الحر ، فى وهدة ، وهى كثيرة النخيل » وتوجّ مدينة ذات تجارة ، يعمل فيها ثياب كتان تنسب اليها ، ألوانها حسنة ، ولها طرز مذهبة . وكان نهر شابور المار على مقربة من المدينة يسمى فى الغالب نهر توجّ وقد اسكن عضد الدولة البويهى فيها عربا جاء بهم من الشام وآلت توجّ الى الخراب فى مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) . اما موضعها فلم يعين حتى الآن . ولكن يقال ان المدينة كانت عند نهر شابور أو بقربه فى وهدة من الأرض على ١٢ فرسخا من جنابة على الساحل واربعة فراسخ من الدرب المنحدر من دريز . وكانت توجّ من المواضع المشهورة أيام الفتح الاسلامى ويرقى زمن جامعها الى ذلك العهد . على انها كانت خرابا يبابا حين كتب المستوفى .

(٢٠) لعل ناحية الدستقان هذه توافق سيف بنى الصفار وقد مر ذكره .
الاصطخرى ٣٤ و ١٠٦ و ١١٦ و ١٢٧ و ١٤١ و ١٥٤ : المقدسى ٤٢٢ و ٤٢٦ و ٤٢٧ :
فارسانه ٧٣ ب ، ١٧٤ : ياقوت ٣ : ٢١١ و ٢١٧ : المستوفى ١٧٢ .
وقد وصف خرائب سيراف الكاتب ستيف Stiffe فى JRGS لسنة ١٨٩٥ ص ١٦٦ .
قلنا : بل راجع عن وصف خرائب سيراف كتاب البر أوريل شتاين وهو أحدث وأكمل ما وقفنا
عليه فى بابهِ وعنوانه :

Stein (Sir Aurel), Archaeological Reconnaissances in North-Western India and South-Eastern Iran. (London, 1937; pp. 202-212).

وقد عزز هذا المؤلف بحثه عن سيراف بخارطة وصور كثيرة لاطلال هذه المدينة الاثرية هياها بنفسه
حين تحرى ذلك الموضع . (م) .

وكانت مدينة الغندجان المشهورة ، فى دشت بارين ، بالقرب من توج • وقد وصف فارسنامه موضع الغندجان ، ولم يبق لها أثر اليوم على ما يظهر ، بانها على أربعة فراسخ من جرّه و ١٢ فرسخا من توج • وتكلم أيضا على نهر جرّه وقال انه يشق قسما من الغندجان • وكانت هذه المدينة فى المئة الرابعة (العاشرة) تقارب ، على ما يقال ، اصطخر (پرسپولیس) أو جنابة فى الكبر • ويرتفع منها البسط والستور • وكانت تعد من بلاد الجروم • ووصف المقدسى نهرا فى جبال الغندجان فقال : « وبها نهر بين جبلين يخرج منه دخان لا يمكن أحدا ان يقربه ، وان اجتاز به طائر سقط فيه فاحترق » • وكان فيها أيضا عيون حارة معدنية يبرأ من يقتسل بمائها • وأكثر أهل الغندجان على ما جاء فى المستوفى ، من صنّاع النعال والخفاف ومن الحاكة • وفى أيامه صار اسم الغندجان يطلقه الناس على ناحية دشت بارين • وبالقرب منها قلعة حصينة يقال لها قلعة رمزوان (وجاءت بصورة دمدران وغير ذلك) وفيها صهاريج كبيرة أنشئت لخزن المياه • وناحية بوشكانات فى نصف الطريق بين الغندجان ومفازة ماندستان (أنظر الصفحة ٢٩١) الى شمال نجيرم • وكانت هذه المفازة ، على ما ذكر المستوفى ، خالية من المدن ، الا ان التمور أهم غلاتها • لان بوشكانات من بلاد الجروم فى الخليج^(٢١) •

وجزيرة خارك ، البعيدة عن فم نهر شابور ، كانت من ضمن كورة اردشير خره • وكانت ميناء للسفن اذا خرجت من البصرة تريد جزيرة قيس والهند • وقد زار ياقوت هذه الجزيرة وقال : « يقابلها فى البر جنباه ومهروبان ، تنظر

(٢١) ذكر المقدسى وياقوت وغيرهما من المصنفين الاقدمين ، ان دشت بارين كان اسم « المدينة » والغندجان اسم « الناحية » • على ان الامر فى الاصل لا يمكن ان يكون كذلك لان الاسم دشت بارين ، معناه سهل بارين ، وهذا لا يطلق على مدينة • وكثيرا ما حصل فى الشرق ان أطلق على أهم مدينة فى ناحية أو اقليم اسم تلك الناحية أو ذلك الاقليم ، فيحتمل جريا على هذه القاعدة انه حين بطل استعمال اسم الغندجان ، حل محله دشت بارين فاطلق اسم دشت بارين على المدينة وعلى الناحية فى وقت واحد ، على ما بينه المستوفى أيضا بعد ذلك ولكنه خالفهم فى الاسم الذى اتخذ للناحية والمدينة فقال انه الغندجان •

الاصطخرى ١٠٦ و ١٢٨ و ١٣٠ و ١٥٢ و ١٥٣ : المقدسى ٤٢٢ و ٤٢٣ و ٤٣٢ و ٤٣٥ و ٤٤٥ و ٤٤٨ : فارسنامه ١٧٣ ، ١٧٦ ، ٧٩ ب ، ٨٢ ب ، ٨٦ : المستوفى ١٧١ و ١٧٧ و ١٧٩ و ٢١٨ : ياقوت ١ : ١٩٩ و ٨٩٠ : ٢ : ٥٧٦ : ٣ : ٥ و ٨٢٠ • وقد كان البلدانيون القدماء يعدون توج فى الغالب من أعمال كورة شابور خره •

هذه من هذه للبحر النظر » • وكانت كلتاهما على ساحل كورة أرتجان • وهذه الجزيرة خصبة وافرة الخيرات تكثر فيها الفاكهة ويجود فيها النخيل وفي بحرهما من أحسن مفاص اللؤلؤ • وقد ذكرت مراجعنا جزرا كثيرة في خليج فارس غير هذه ، وعدته من كورة أردشير خرّم • غير ان أعظمها شأنا في التجارة ، جزيرتا خارك وقيس • اما الجزر الاخرى فليس من اليسير التحقق لها • وكانت أوّال أهم جزيرة في جزر البحرين عند الساحل العربي • وقد جاء ذكرها في أخبار الفتوحات الاسلامية الاوّل • وأول من ذكر بوشهر (بوشير اليوم) ياقوت ، ويقابلها في الداخل ريشهر أو راشهر توجّ على ما ذكر البلاذري • والجزيرة التي يقال لها لاوان (اللان ، ولان ، أو لار) ، هي اليوم بالاستناد الى المسافات التي أوردتها البلدانون ، جزيرة الشيخ شعيب في غرب جزيرة قيس • وجزيرة أبرون هي ولا شك هندرابي الحالية ، وهذه مع چين (أوّخين) بالقرب من جزيرة قيس •

والجزيرة الكبرى عند مضائق الخليج التي يقال لها اليوم - كشم ، وتسمى أيضا الجزيرة الطويلة • ربما كانت الجزيرة التي أشارت اليها مراجعنا المؤلفة في العصور الوسطى ، بالاسماء المختلفة الآتية - لعل منشأ ذلك اختلاف النسخ - : جزيرة بني (أو ابن) كوان ، وجزيرة أبركافان ، وجزيرة أبركمان • وذكر ياقوت انها تسمى أيضا لاف • وكانت جزيرة خاسك ، أو جاسك ، إحدى الجزر القريبة منها ، وقد لا تكون غير اسم آخر لجزيرة كشم (الجزيرة الطويلة) • وكان « لأهلها جلادة وخبرة في حرب البحر » • وعلى ما ذكر القزويني كانوا يسطون على السفن ويسلبون ما فيها ، وفي هذه الجزر مفاوص اللؤلؤ ، الا ان معظم هذه الجزر غير مأهول الا في مواسم الفوص • ومما يلي جزيرة كشم ، في شرقيها ، جزيرة هرمز • وبما ان هذه الجزيرة كانت من اقليم كرمان ، فستكلم عليها في الفصل الذي عقدناه عن هذا الاقليم (٢٢) •

(٢٢) الاصطخرى ٣٢ : ابن خرداذبه ٦١ : البلاذري ٣٨٦ و ٣٨٧ : ياقوت ١ : ٣٩٥ و ٥٠٣ :

٣٨٧ و ٥٣٧ : ٤ : ٣٤١ و ٣٤٢ : المستوفى ١٨١ و ٢٢٢ : القزويني ٢ : ١١٧ •

الفصل الثامن عشر

فارس «تابع»

كورة شابور خرة - مدينة سابور وكهفها - نهر دئين - النوبجان - القلعة
البيضاء وشعب بوان - زموم الاكراد - كازرون وبحيرة كازرون -
نهر اخشين ونهر جرشيق - جره وقنطرة سبوك -
كورة ارجان ومدينة ارجان - نهر طاب -
بهبهان - نهر شيرين - كنبد ملغان -
مهروبان - سينيز وجنابة
- نهر الشاذكان *

كانت كورة سابور خرة أى « بهاء سابور » (سابور هو التسمية العربية
للاسم الفارسي شابور ، على ما قد بينا) ، أصغر الكور الخمس فى إقليم فارس *
ولا تتعدى حدودها حوض نهر شابور الاعلى وروافده *

وكانت قصبة هذه الكورة فى الزمن القديم ، مدينة شابور * وأصل اسمها
كان بشابور^(١) * وأكثر ما كانت تعرف بشهرستان ، أى « موضع المدينة »
أو القصبة والعاصمة * قال ابن حوقل : « أما سابور فمدينة هى فى السعة نحو
اصطخر الا انها أعمر وأجمع وأيسر أهلا » * غير ان المقدسى تكلم عليها فى

(١) جاء الاسم فى المخطوطات بوجه عام (وربما كان ذلك خطأ) بصورة نشابور (بفتح النون وكسرها) *
اما بشابور فاصلها به شابور * وكانت قديما وشابور ، ومعنى ذلك « سابور الصالح » أو « رفعة
سابور » * و « به » قد تصدرت أسماء أماكن أخرى أنظر : به اردشير ، أو كواشير فى أوائل الفصل
الحادى والعشرين *

النصف الاخير من المثة الرابعة (العاشرة) بقوله انها « اليوم قد اختلت وخرب أطرافها ... وخفّ البلد وقلّ أهلها وأذهبت كازرون دولتها » . ومع ذلك فقد كانت سابور وافرة الحيرات فيها قصب السكر والزيتون والغنم والفواكه والازهار . ويكثر فيها التين والياسمين والخرنوب . وتسمى دُنْبُلَاء وفي سورها أربعة أبواب : باب هرمز ، وباب مهر ، وباب بهرام ، وباب شهر (أى باب المدينة) . ولها جامع فى ظاهر البلد ، ومسجد آخر يسمى مسجد الخضر ، أى مسجد الياس . وقال صاحب فارس نامه فى مطلع المثة السادسة (الثانية عشرة) ان شاپور فى أيامه قد استولى عليها الخراب . وحين كتب المستوفى بعد ذلك بقرنين ، كان اسم شاپور أو بشابور ، قد انتقل الى كورة كازرون المجاورة لها .

والظاهر ان المستوفى ، عرف نهر شاپور باسم شيريار رود ، وقال ان المدينة كانت تسمى دين دار ، نسبة الى مؤسسها الأول الملك طهمورث الاسطورى « مكتف الشيطان » . ثم خربها الاسكندر الكبير ، وأعاد الملك شاپور بناءها فعرفت باسم بناشابور ، على ما قال المستوفى . ثم صارت نشابور أو بشابور . وكانت فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) وافرة الجبوب ، يكثر فيها النيلوفر والبنفسج والياسمين والرجس ، وينسج فيها الحرير . والى ذلك فقد أشار المستوفى الى تمثال هائل معروف للملك سابور كان فى كهف قرب أطلالها ، ووصفه بقوله انه « تمثال أسود لرجل يفوق الحجم الطبيعى ، منتصب فى هيكل قال بعضهم انه طلسم ، وزعم آخرون انه كان انسانا مسخه الله حجرا . وكان ملوك تلك البلاد يزورونه ، ويكرّمونه بمسح تمثاله بالزيت » . وقد سبق للمقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) ان نوّه بهذا الكهف وقال انه « على فرسخ من النوبندجان » . ووصف « صورة سابور على باب كهف عليه تاج . خلفه ماء واقف لا مدّ له ولا منفذ ، وثم ريح تخرج شديدة ، وتحتة ثلاثة أوراق خضر . طول مشط رجله ثلاثة عشر شبرا ، ومن رأسه الى قدميه أحد عشر ذراعا » (٢) .

(٢) ابن حوقل ١٩٤ : المقدسى ٤٣٢ و ٤٤٤ : فارس نامه ٧٤ ب ، ٧٥ ا حيث جاءت تهجئة الاسم بصورة بيشاور وبشاپور : المستوفى ١٧٥ و ١٧٦ . أنظر C.A. De Bode فى كتابه Travels in Luristan لندن ، ١٨٤٥ ، ١ : ٢١٤ .

وكان البلدان يون العرب يسمون أعلى نهر شابور بنهر رتين ، ومخرجه في ناحية خمياجان أو خمياگان العليا • وكان أكبر قراها ديه علي على ما ذكر المستوفى • وكانت خمياجان السفلى تعد من أعمال كورة اصطخر (پرسپولیس ، وسيأتى وصفها في الفصل القادم) وهى حول البيضاء على رافد لنهر كر • وكان في هاتين الناحيتين ، خمياجان العليا والسفلى ، ثمار البلاد الباردة كالجوز والرمان ويحمل منها العسل الجيد • وأكثر أهلها من المكارين وأصحاب البغال ، وفي غرب خمياجان ناحية أنبوران ومدينتها النوبندجان ويقال لها أيضا النوبندگان أو النوبنجان ، وكانت هذه المدينة ، حين كتب الاصطخرى ، أكبر من كازرون • وهواؤها حار ويكثر فيها النخيل • وتكلم المقدسى على أسواقها الحسنة العامرة ، وبساتينها ذات العيون الكثيرة ، وجامعها • وآلت النوبنجان في أيام السلاجقة الى الخراب ، ولكن الأتابك الأمير جاولى المشهور^(٣) ، قد جدد بناءها في المئة الخامسة (الحادية عشرة) •

وعلى فرسخين من النوبنجان ، يبدأ الشيعب المشهور الذى يعده المسلمون احدى جنات الدنيا الاربع وهو شعب بوآن • وتقع مياهه في نهر كر في كورة اصطخر • وطول هذا الشعب ثلاثة فراسخ ونصف ، وعرضه فرسخ ونصف • وكان لا نظير له في الخصب والرخاء ، وعلة ذلك ، على ما في المستوفى ، طبيعة الجبال التى تكتنف جانبيه ، فانها تخزن ثلوج الشتاء فاذا ذابت صيفا أمدت الوادى بالمياه • وعلى فرسخين من شمال شرقي النوبنجان التحصينات الجبلية المعروفة بقلعة سفيد أى القلعة البيضاء ، واسفيد دز - أى قلعة اسفنديار ، وهى على ظهر جبل دوره عدة أميال وجافته حادة قائمة الانحدار • ولعل المقدسى قد أشار اليه باسم قصر أبى طالب الذى يقال له « عيان » على ما ذكر • وقال صاحب فارس نامه ان قلعة سفيد قد جدد بناءها أبو نصر وهو من أهل تيرمردان ، في أوائل عهد

(٣) كان الامير جاولى (بالجيم الثلاثة ويكتب غالبا جاولى بالجيم) وقد ورد اسمه كثيرا في فارس نامه والمستوفى ، مقرونا بما جده من مدن وقلاع في اقليم فارس ، وبما أنشأه من سدود في الانهار ، حاكم اقليم فارس عن السلطان محمد السلجوقى • وقد لقب الاتابك جاولى سقاووه (ومعناه الباز) بفخر الدولة • ومات في سنة ٥١٠ (١١١٦) بعد أن حكم اقليمى كرمان وفارس زهاء عشرين سنة •

السلاجقة ، ثم صارت فى أيدي عاملهم فى مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) .
ولا يرتقى الى قمة الجبل البالغ محيطها عشرين فرسخا ، الا بدرج واحد وكان
يحمى أسفل هذا الدرب حصن يقال له دزك نشناك ، وكانت هذه القمة منبسطة
السطح ، فيها عيون كثيرة وبساتين وافرة الفواكه . ومحاصرة تيمور لقلعة سفيد
فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) قد أكسبتها شهرة تاريخية . فانه فى
مسيره من بهبهان الى شيراز استولى عليها عنوة بعد تضيق الخناق عليها ومقاتلتها
يومين كاملين وذلك فى ربيع سنة ٧٩٥ (١٣٩٣) (٤) .

وعلى مرحلة من شرق النوبنجان فى الطريق الذاهب الى شيراز ، تقع
تيرمردان . وهى بليدة حولها ست قرى ، أجلها كرجى أو جركن وهى على خمسة
فراسخ من النوبنجان . وكان رستاقها وافر الماء خصب عامر ، يحمل منه غسل
كثير . ومدينة انبوران من هذه الكورة وهى فى غرب النوبنجان فى الطريق
الى أرتجان . وتجاورها أيضا ناحية باشت قوطا وقصبتها باشت وما زالت قائمة .
ويشقق هذه الاراضى نهران هما درخيد والخوبندان . وعلى ضفاف نهر خو رواذان ،
ويقال له أيضا الخوبندان ، مدينة تعرف باسمه على اربعة فراسخ من
النوبنجان . وكانت مدينة الخوبندان فى المئة الرابعة (العاشرة) مدينة آهلة ،
لها جامع وأسواقها عامرة . وعلى أربعة أو ستة فراسخ غرب هذا النهر ، وعلى
مرحلتين من النوبنجان ، كانت المدينة الصغيرة درخيد ، على نهر درخيد ومخرج
هذا النهر فى بحيرة صغيرة ، ويرى بعضهم انه يصب فيها . وقد جاء فى الأخبار
ان نهر درخيد واسع عريض فلا يعبر . ونهر الخوبندان رافد من روافد نهر
شيرين ، وسيأتى وصف هذا النهر فى الكلام على كورة أرتجان . وكان على نهر
الخوبندان أو نهر درخيد قنطرة عظيمة بناها رجل يسمى أبا طالب النوبنجاني
باني قلعة عيان وقد مر ذكرها فى الفقرة السابقة . ولم يتفق الاصطخرى

(٤) الاصطخرى ١١٠ و ١١١ و ١٢٠ و ١٢٧ : المقدسى ٤٣٤ و ٤٣٧ و ٤٤٧ : فارس نامه ٧٦ ب ،
٧٨ ا ٨٢ ب : المستوفى ١٧٧ و ١٧٨ و ٢١٩ : على اليزدى ١ : ٦٠٠ .
وجاء فى المخطوطات صور مختلفة لاسم القلعة السفلى ، وهى دزكى نشكمان واستناك . وقلعة
سفيد وصفها وصفا حسنا ، مكدونالد كينر Macdonald Kinneir فى كتابه Persian Empire
ص ٧٣ .

والمقدسى على أى النهرين كانت تقوم هذه القنطرة الشهيرة • وقد زاد المصنفون المحدثون هذا الموضوع التباسا وارتباكاً ، حين أعطوا أسماء مختلفة لهذين النهرين ، فصار من الصعب علينا الآن ان لم يكن مستحيلاً ، معرفة أى من هذين النهرين هو الذى تعينه خوارطنا • وقد وصف المقدسى هذه القنطرة فقال « وجسر أبى طالب عمل فى هذا العصر ، يعجز عن مثله كل بناء بالشام وأقور »^(٥) • فكان بناؤها فى النصف الاخير من المئة الرابعة (العاشرة) ، والظاهر ان ياقوت الحموى أشار فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) الى انها ما زالت باقية • وقد ذكر علي اليزدى كثيراً من هذه المواضع فى وصفه مسير تيمور لك من بهمان الى شيراز^(٦) •

وفى هذا القسم الجبلى من فارس ، وقد عرف بعدئذ بجبل جيلويه ، قبائل الأكراد الخمس ويقال لها زمّ الأكراد ، وكانت فيها فى المئة الرابعة (العاشرة) مراعيهم ومنازلهم • وتكلم المقدسى على قلعة لهم فى الجبل قرب منازلهم ، « لها رستاق ونهر وهى وسط الجبال ذات بساتين ونخيل وفواكه وخيرات »^(٧) •

ومدينة كازرون ، أضحت منذ النصف الاخير من المئة الرابعة (العاشرة) حين خربت سابور ، أجل مدن كورة سابور • ووصفها ابن حوقل بقوله انها فى أيامه أصغر من النوبندجان ، حسنة البناء وبيوتهم من جص وحجارة • وأشار اليها المقدسى بعده بزمان قليل ، فقال هى « دمياط الأعاجم » وكانت واسعة التجارة ، تعمل فيها ثياب الكتان « وقد بنى عضد الدولة [البويهى] داراً جمع

(٥) يريد المقدسى بـ « أقور » اقليم الجزيرة • (م) •

(٦) تتباين تهجئة الاسماء تبانياً كبيراً • فخورا واذاًن اختصر الى الخوبدان • وكتبه بعضهم بصورة خوابدان وخباذان وخاودان ، أو خاوران على ما فى على اليزدى • وكتب اسم درخيد بصورة درخويد ، الا ان دخوند (على ما جاء فى المقدسى) ربما كان من وهم النساخ ليس الا •

الاصطخرى ١١٠ و ١٢٠ ؛ المقدسى ٤٣٥ و ٤٤٠ ؛ فارس نامه ٧٦ أ ب ، ٧٩ أ ب ؛ المستوفى ١٧٦ و ٢١٨ ؛ ياقوت ١ : ٩٠٥ ؛ ٤٨٧ ٢ ؛ ٨٣٨ ٣ ؛ ابن الاثير ٨ : ١٢٢ و ٢٠٢ • على اليزدى ١ : ٦٠٠ •

(٧) الاصطخرى ٩٨ و ١١٣ ؛ المقدسى ٤٣٥ ؛ ياقوت ٢ : ٨٢١ ؛ المستوفى ١٧٦ و ٢٠٦ • معنى زم بالكردية « قبيلة » (وأصح وجه لكتابتها « زومه ») وقد وردت هذه الكلمة خطأ بصورة رم • انظر : ترجمة البروفسور دى غويه لابن خرداذبه • ص ٣٣ الحاشية •

فيها السماسرة ، دخلها على السلطان كل يوم عشرة آلاف درهم ،^(٨) (أى أربعمائة باون) • ووصف المقدسي دور المدينة فقال انها كانت كلها قصورا لها بستين « والجامع على تل يصعد اليه » • وذكر المستوفي ان كازرون كانت تتألف في الاصل من ثلاث قرى متجاورة ، هي : نورد ودر بست وراهشان ، أنشئت على قني بهذه الاسماء وظل شرب أهلها من هذه القني التي صارت من ضمن أحياء المدينة • وتمور كازرون فاخرة لاسيما المعروف منها بجيلان • وكان يحمل منها ثياب قطن تسمى الكرباس • ويقال لمراعيتها المشهورة مرغزار نرگس أى مراعى النرجس • وكان ما حولها يعرف ببلاد شول على ما ذكر ابن بطوطة وقد مرّ بها سنة ٧٣٠ (١٣٣٠) • وهى اليوم تعرف بشولستان • وكان فى السهل ، على شىء يسير من شرق المدينة ، بحيرة كازرون وكان يقال لها فى المئة الرابعة (العاشرة) بحيرة موز^(٩) أو مورك (وقراءة الاسم غير مضبوطة) طولها نحو من عشرة فراسخ « وماؤها مالح وفيها صيد كثير » • والدربان المشهوران فى الطريق الذى فوق البحيرة الصاعدان الى شيراز ، والمعروفان اليوم عند المسافرين باسم كتال بير زن (درب المرأة العجوز) وكتال دختر (درب البنت) قد سمى المستوفي أولهما هوشنگ وهو على ثلاثة فراسخ من كازرون ، والثانى مالان وهو فوقه وكلاهما شديد الانحدار^(١٠) •

والطرق المنحدرة الى الساحل البحرى من كازرون تمرّ بدريز الى كمارج ثم تمرّ بخشت على نهر سابور الى توجّ وقد مرّ وصفها فى الفصل السابق (ص ٢٩٥) • وكانت دريز مدينة صغيرة • وكان بها فى المئة الرابعة (العاشرة) « صنّاع كتّان كثير » • وخشت تليها ولها قلعة حصينة على ما جاء فى المقدسي ، ولها رستاق واسع • وورد ذكر خشت وكمارج فى فارس نامه سوية • ووصف

(٨) هذا نص المقدسي ، اما المؤلف فقد وهم بنقله ، فقال « دخلها على السلطان كل سنة عشرة آلاف درهم » • (م) •

(٩) ذكرها الاصطخرى (ص ١٢٢) بصورة : بحيرة توز • (م) •

(١٠) الاصطخرى ١٢٢ : ابن حوقل ١٩٧ : المقدسي ٤٣٣ : المستوفي ١٧٦ و ١٨٠ و ٢٠٠ و ٢٦٦ •

جاءت أسماء الاحياء الثلاثة فى كازرون بصور مختلفة فى نسخ خطية أخرى للمستوفي : نور ، دريست ، ورحيان أو رحيان • ابن بطوطة ٢ : ٨٩ • وقد جاء فى فارس نامه (الورقة ٨٠ ب) اسم البحيرة « مور » فى غاية الوضوح ، ويقال لها أحيانا درياجه شور « البحيرة الملحة » •

المستوفى أهل هذين الموضعين برداءة الخلق وقال انهم لصوص دهاة •

وعلى شيء يسير أسفل من خشت ، يستقبل نهر سابور في يساره مياه نهر جرّه ، وهو الذى عرفه البلدانون العرب بنهر جرشيق • وهذا النهر قبل التقائه بنهر سابور بضعة أميال ، يقع في يساره نهر صغير سموه نهر اخشين • ويخرج نهر اخشين من خلال جبال ناحية داذين • وماء هذا النهر ، على ما في الاصطخرى ، عذب « يشرب ويسقى الاراضى • واذا غسل به ثياب خرجت خضرا » • واما نهر جرشيق فانه يخرج من جبال في جنوب جرّه في رستاق ماصرم (وعلى ما في المستوفى ، كانت ماصرم ناحية تمتد من هذا النهر شمالا حتى أعلى نهر سكان) • وقبل أن يبلغ مدينة جرّه « يجرى تحت قنطرة حجارة عادية [أى عتيقة] تعرف بقنطرة سبوك » • ثم يسقى هذا النهر رستاق داذين • وأخيرا بعد أن يستقبل نهر اخشين يقع في نهر سابور على شيء يسير فوق توج • وذكر فارس نامه والمستوفى ان البلاد التى عند أعلى نهر جرّه قرب مدينة جرّه ، تؤلف قسما من رستاق الغندجان وهذا الخبر يقودنا الى معرفة موضع دشت بارين ، وقد مرر بنا القول في صفحة سابقة انه من أعمال كورة أردشير خرّه • ووصف المقدسى مدينة جرّه فقال انها « على رأس جبل ، كثيرة النخيل » • وقال ياقوت ان العامة تقول لها في أيامه « گرّه » • وقد أيدته في ذلك صاحب فارس نامه والمستوفى • وقد أشارا أيضا الى قمحها ونخيلها والى شدة خصب رستاقها (١١) • أما كورة أرتجان فهي أبعد كور فارس الخمس غربا • وقصبتها مدينة أرتجان في أقصى حدها الغربى على نهر طاب • ونهر طاب يؤلف في هذا الجانب الحد الفاصل بين اقليمي فارس وخوزستان • وأطلال أرتجان على بضعة أميال من شمال مدينة بهبهان الحالية التى انتقل اليها أهلها وصارت أهم مدن هذه الكورة منذ ختام المئة السادسة (الثانية عشرة) •

وكانت أرتجان في المئة الرابعة (العاشرة) « مدينة كبيرة كثيرة الخير بها نخيل كثير وزيتون » • وكان عليها ستة أبواب تغلق كل ليلة ، وهى : باب

(١١) الاصطخرى ١٢٠ و ١٢٧ و ١٥٢ : المقدسى ٤٣٣ و ٤٣٤ و ٤٣٥ : فارس نامه ٧٥ ب ١
١٧٦ ، ٧٩ ب : المستوفى ١٧٦ و ١٧٧ و ٢١٨ و ٢١٩ : ياقوت ٢ : ٣٦ و ٦٧ •

الاهواز ، وباب ريشهر ، وباب شيراز ، ثم باب الرصافة ، وباب الميدان ، وأخيرا باب الكياليين . وبها جامع حسن وأسواق عامرة . وفي المدينة يعمل الصابون . وكان قرب أرّجان قنطرتان مشهورتان من حجر على نهر طاب تعبرهما الطرق الذاهبة الى خوزستان ، وما زالت بقاياهما شاخصة ، ويقال ان احدهما تنسب الى الديلمي طيب الحجاج ، عامل بنى أمية على العراق . قال الاصطخرى في وصفها « هي طاق واحد سعة الطاق على الارض ما بين العمودين نحو ثمانين خطوة وارتفاعه مقدار ما يجوز فيه راكب الجمل بيده علم من أكبر ما يكون » . وكانت هذه القنطرة ، وتعرف بقنطرة ثكان ، على رمية سهم من مدينة أرّجان في الطريق الى سنبل . أما القنطرة الثانية فكان طولها أكثر من ٣٠٠٠ ذراع ، وهي من بناء الساسانيين . وتعرف بالقنطرة الكسروية ، وكانت في الطريق الذاهب الى قرية دهلزان . وفي جبل قرب أرّجان كهف قال القزويني في وصفه « ينبع منه الموميا الجيد » ، وله خواص طبية وفي أرّجان أيضا بئر لا قرار لها يقال لها بئر صاهك « يفور الدهر كله منها ماء » يسقى تلك القرية حتى في أجف أيام الصيف .

وفي مطلع المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ذكر المستوفي ، ان أرّجان كان يسميها العامة أرخان أو أرغان . وأشار علي الزدى في نهاية هذه المئة الى نهر طاب باسم آب أرغون . وعلى ما جاء في المستوفي ، قاست أرّجان كثيرا من الاهوال حين استولى عليها في المئة السابعة (الثالثة عشرة) الاسماعيليه (وهم الحشيشية أصحاب شيخ الجبل) . ولم يقيظ لها ان تستعيد ازدهارها الاول . وقد كان للاسماعيلية قلاع في قمم الجبل المجاور لها اسم احداها قلعة طيغور والآخرى دزكلات . وكثيرا ما كان رجال هذه القلاع ينزلون الى المدينة فينهبون ما فيها وما في رستاقها . ثم ان أرّجان في النصف الاخير من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) استحوذ عليها الخراب وقام مقامها بعد وقت قصير مدينة بهبهان وهي على نحو من ستة أميال أسفل منها على نهر طاب . ولم يذكر أحد من البلدانين العرب اسم بهبهان . وأول من ذكرها علي الزدى في وصفه مسير تيمور من الاهواز الى شيراز في ربيع سنة ٧٩٥ (١٣٩٣) . وصارت بهبهان منذ هذا

التاريخ أجل مدينة في هذه الناحية التي كانت تعرف قبلا بكورة أرتجان^(١٢). والنهر الذي سماه البلدانون العرب نهر طاب ، يقال له اليوم جراحية وجراحی أو نهر كردستان . أما الاسم « طاب » فانه اليوم انتقل اعتباطا الى أنهار خيراباد وهي روافد نهر هندیان أو نهر زهرة الذي يصب في خليج فارس عند هندیان وهو غير نهر طاب . فقد كان مخرج طاب في القرون الوسطى ، ان أخذنا بما ذكره الاصطخرى والمقدسى ، في جبال جنوب غربى اصفهان بقرب البرج مقابل سميرم في كورة اصطخر . ثم ينحدر الى ناحية يقال لها السردن في خوزستان . وكان يلتقى بيسار طاب نهر مسين ، وقرية مسين تقع بالقرب من اجتماعه به ، ثم يجرى النهران المتحدان الى أرتجان . وأسفل هذه المدينة يسقى طاب رستاق ريشهر ثم يتجه جنوبا ويقع في البحر غرب مهربان . وينبع نهر مسين المار الذكر في جبال قرب سميرم أيضا ويمر بموضع يقال له سيسخت قبل التقائه بطاب على ما ذكر صاحب فارس نامه والمستوفى . ويقال ان طوله اربعون فرسخا وعرضه من السعة ما لا يسهل معها عبوره . وكان بالقرب من أعالي نهر طاب ، بلاد شاپور أو بلاسابور . وقصبتها تسمى جومة وهي على الحد بين فارس وخوزستان . وكان رستاق بلاسابور شديد الخصب ، غير ان الزراعة فيه أيام المستوفى قد انعدمت . وكان بامتداد مجرى طاب ، على ما في فارس نامه ، كورة قباذ خرم . غير ان جميع المصنفات القديمة تطلق هذا الاسم على الكورة التي حول كارزين على ما جاء وصفه في الصفحة ٢٨٩^(١٣) .

(١٢) الاصطخرى ١٢٨ و ١٣٤ و ١٥٢ ؛ ابن رسته ١٨٩ ؛ ابن خرداذبه ٤٣ ؛ المقدسى ٤٢٥ ؛ القزوينى ٢ : ٩٤ و ١٦٠ ؛ المستوفى ١٧٧ و ١٧٨ ؛ على اليزدى ١ : ٦٠٠ .
وقد ذكر صنيع الدولة في كتابه « مرآة البلدان » (المطبوع بالحجر في طهران سنة ١٢٩٤ هـ ، المجلد الاول ص ٣٠٦) ان اول من نزل بهبهان بأمر تيمور عشائر الكوهكلو البدوية وقد انتقلوا اليها من الكوفة . وعن اطلال أرجان والقنطرتين المعروفتين اليوم باسم بل بكم وبل دختر « أى قنطرة السيدة وقنطرة البنت » راجع De Bode في كتابه Luristan ١ : ٢٩٥ و ٢٩٧ . وغالبا ما ذكرت المخطوطات اسم القنطرة الاولى بصورة قنطرة ركان أو تكان . والى ذلك فقد ذكر ابن حوقل (ص ١٧٠) جسرا من خشب فوق نهر طاب « معلقا بين السماء والماء ، وبينه وبين الماء نحو عشر اذرع » .
(١٣) الاصطخرى ١١٩ ؛ المقدسى ٢٤ و ٤٢٥ ؛ فارس نامه ٧٧ ب ، ١٧٨ ، ١٧٩ ؛ المستوفى ١٧٦ و ١٧٧ و ٢١٨ .
والظاهر ان البلدانين العرب قد خلطوا بين أعالي نهر أرجان (طاب) ورافده (مسين) وبين

وفى أسفل أَرَجَان ، يدور نهر طاب ، على ما قد بينّا ، حول رستاق ريشهر (فلا يلتبس اسم هذا الرستاق بريشهر بوشير المار الذكر فى صفحة ٢٩٧) وما عدا ريشهر ، فقد كان هنا فى نصف الطريق بين ارجان ومهروبان ، مدينة يقال لها دريان (وكذلك ديرجان أو درجان) وقد كان بها فى المئة الرابعة (العاشرة) أسواق عامرة ورستاقها خصب كثير الخيرات • ودام شأن ريشهر فى أيام السلاجقة • وتكلم صاحب فارس نامه على قلعته وقال ان السفن كانت تصنع فيها • وذكر المستوفى ان الفرس عرفوا الموضع باسم بريان وقال ان اسمها الاول كان ريصهر • وفيها تعمل ثياب الكتان ، ولأهلها تجارة واسعة مع موانئ الخليج • والبحر فيها صيفا شديد مؤذ فيصعد أهلها الى دزكلات وهى على فرسخ منها ، وقد مرّ بنا انها كانت قبلا من قلاع الاسماعيلية • وبالقرب من ريشهر بلدة هنديجان وهى مدينة ورستاق على نهر أَرَجَان الاسفل وحكى المقدسى ان هنديجان ، أو هندوان ، كانت سوقا عظيمة للسبك ولها جامع حسن • وفى رستاق هنديجان بقايا بيوت نار وأرخاء من الزمن القديم • وبها الى ذلك ، على ما يقال ، « دفائن كما فى أرض مصر » وتكلم القزوينى على بشر « يعلو منها دخان لا يتهأ لاحد أن يتربها ، واذا طار طائر فوقها سقط محترقا » • وأخيرا ، حبس ، وهى مدينة فى هذه الكورة فى الطريق الى شيراز ، كان فيها مأصر أيام بنى سلجوق (١٤) •

وكانت الجلا دگان ، وتلفظ أيضا الجلا دجان ، ناحية قريبة منها بين أسافل نهري طاب وشيرين • ويخرج نهر شيرين - الماء الحلو - فى جبل يسمى جبل دينار فى ناحية بازرنج أو بازرنك • ويشق ناحية فرزك وهى على أربعة فراسخ

الانهار التى هى على ما نعلم الفروع العليا لنهر كارون • ومما يلاحظ أيضا ان نهر ارجان فى أسفله قرب خليج فارس قد تغير مجراه على ما يظهر منذ المئة الرابعة (العاشرة) وقد قال المقدسى انه يقع فى البحر قرب سينيز ، ولعل ذلك من وهم النساخ لا غير بدلا من « قرب [نهر] تستر » أى فيض دجيل •

(١٤) الاصطخرى ١١٢ و ١١٣ و ١١٩ و ١٢١؛ المقدسى ٤٢٢ و ٤٢٦ و ٤٥٣؛ فارس نامه ١٧٨ - ب؛ المستوفى ١٧٧ و ١٧٨ ؛ ياقوت ٤ : ٩٦٣ و ٩٩٣ ؛ القزوينى ٢ : ١٨٦ •
الظاهر ان هنديجان وهندوان وهنديان يشير كلها الى موضع واحد • وقد أوردت المخطوطات صورا كثيرة لما يحتل ان يكتب به اسم حبس • فجاء : حبس ، جيس ، جنس • وقد كانت مرحلة بريد على ما ذكرت كتب المسالك •

من جنوب شرقي أرتجان • وذكر علي اليزدي ان تيمورلنك ، فى مسيره من بهبهان الى شيراز ، عبر نهر شيرين بعد مغادرته بهبهان يوم ، ثم وصل بعد أربعة أيام الى نهر خاودان (وقد مرّ ذكره فى الصفحة ٣٠١ باسم : الخوبدان) • ثم سار منه الى النوبنجان • وقد مرّ بنا ان الخوبدان رافد لنهر شيرين ، وهذا الاخير يطابق ، على ما يظهر ، النهر المعروف اليوم فى أعاليه باسم نهر خيراباد (مع روافده الكثيرة) وفى أسفله باسم نهر زهرة وهو ما تسميه الخوارط الحديثة بنهر طاب أو هنديان • وكان على أحد روافد نهر شيرين ، گنبذ ملتغان ، وهى موضع ذو شأن فى الطريق من النوبنجان الى أرتجان ، ويقال لها اليوم دوگنبدان « أى القبتان » وترى فيها خرائب واسعة • وكان بجوارها جبل دينار وناحية بازرنك على ما مرّ بيانه • وكذلك صرام ، حيث يقسو الجو فى الشتاء • ولا يفارق الثلج قمم الجبل المجاور لها حتى فى الصيف • على ان مدينة گنبذملتغان كانت من بلاد الجروم ومشهورة بنخيلها • ويلفظ اسمها أيضا بصورة گنبذ ملتجان أو ملتغان • وتكلم المقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) على القرية هنا وقال هى خربة • وذكر صاحب فارس نامه فى مطلع المثة السادسة (الثانية عشرة) هذه المدينة الصغيرة وقال : كان يحميها قلعة يخزن فيها ما يكفى من المؤونة لحايتها مدة ثلاث أو أربع سنوات • وكانت تكلل رؤوس الجبال المجاورة قلاع أخرى مثلها ، نذكر منها بوجه خاص قلعة خنك • وقال المستوفى ان الناحية القريبة منها كانت تعرف باسم پول بولو (وجاءت فى بعض المخطوطات بصورة : پول لولو) وقد كانت ناحية عظيمة الخصب معروفة بمشمشها الجيد • وقال ان قلعة گنبذ ملتغان كانت من المنعة والقوة بحيث يتمكن رجل واحد فيها من ان يصدّ جيشاً (١٥) •

وغير بعيد من قم نهر شيرين - وهو نهر طاب الحديث أو زهرة ، على ما

(١٥) الاضطخري ١١١ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٩ و ١٢٠ : المقدسى ٤٣٥ : فارس نامه ٧٦ ب ، ١٧٧ ، ٧٨ ب ، ٧٩ أ ، ٨٣ ب ، ٨٥ ب : المستوفى ١٧٦ و ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩ و ٢١٨ : ياقوت ٣ : ٤ : ٥ : ٦٣٠ : علي اليزدي ١ : ٦٠٠ : حافظ أبرو ٣١ ب : De Bode لورستان ١ : ٢٥٨ • يقوم اليوم فى شمال دوگنبدان القلعة المعروفة بقلعة آرو ، ولعلها هى التى جاءت فى فارس نامه باسم خنك •

قد بيّنا - ميناء مهروبان ، على حدّ فارس الغربى . وكانت أول فرضة تصلها السفن الذاهبة الى الهند بعد خروجها من البصرة وفيض دجلة ، ومهروبان تعدّ فرضة أرجان . وكانت فى المئة الرابعة (العاشرة) مدينة آهلة لها جامع حسن وأسواق عامرة . قال المستوفى ان الفرس يسمونها ماهي رويان أو مهروبان . ويعمل فيها الكتان ويحمل منها التمر ، غير ان الملاحة وسير السفن أهم مورد لاهلها . وفى سنة ٤٤٣ (١٠٥٢) بلغ ناصر خسرو مهروبان ووصفها فقال : هى مدينة على ساحل البحر فى جانبه الشرقى ، أسواقها عامرة ، مسطور على مسجدتها الجامع اسم يعقوب بن الليث الصفار . ويحفظ أهلها الماء فى حياض وبنى بها ثلاثة ربط ينزل فيها من قصد أرجان من المسافرين . وتجارها عظيمة . ويلى مهروبان شرقا على ساحل الخليج من أسفلها ، سينز أو شينز ، وبقاياها عند سيف يقال له اليوم بندر ديلم . وقد وصف الاصطخرى فى المئة الرابعة (العاشرة) هذه البلدة فقال انها أكبر من مهروبان . وهى على خور صغير ، فتكون المدينة على نصف فرسخ من البحر . وهى « شديدة الحر ، وبها نخيل وما يكون فى الجروم من الفواكه » . وقال المقدسى لها جامع ، ودار الامارة . وأسواقها عامرة جيدة . وذكر ياقوت ان القرامطة فى سنة ٣٢١ (٩٣٣) أغاروا على سينز فقتلوا أهلها وخرّبوها ولم يبق الا اليسير . أما فارس نامه فى المئة السادسة (الثانية عشرة) والمستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فقالا انها ما زالت مدينة عامرة مزدهرة يزرع فيها الكتان وينسج . وكان يحمى هذه الفرضة قلعة (حصار) . وكان زيت المسارج يحمل من رستاقها الى الآفاق (١٦) .

وفى جنوب سينز كانت جنّابة (أو جنّابا) ، وما زالت خرائبها ترى . وهى بالقرب من فم النهر الذى سماه البلدانون العرب الشاذكان . وجنّابة على ما فى الاصطخرى ، شديدة الحر ، وخور جنّابة « مكان مخوف لا تكاد تسلم منه سفينة عند هيجان البحر » . وهى أكبر من مهروبان ولها أسواق عامرة وفيها ولد أبو طاهر القرمطى . والفرس يعرفونها باسم گنفه أو آب گنده لماثها القذر .

(١٦) الاصطخرى ٣٤ و ١٢٨ ؛ المقدسى ٤٢٦ ؛ ناصر خسرو ٩٠ = [١٠٠ من الترجمة العربية] ؛

ياقوت ١ : ٥٠٢ ؛ ٣ : ٢٢١ ؛ فارس نامه ٧٨ ب ، ٧٩ ؛ المستوفى ١٧٨ .

ومن أعمالها أربع قرى على سيف البحر مجاورة لها • أما نهر الشاذكان فإنه يخرج من ناحية بازرنك ويسقى سهل الدستقان ، ثم يقع فى البحر • وغير واضح أى نهر يطابقه فى الحارطة الحديثة • على أنه ولا شك أحد النهرين الصغيرين اللذين يقعان فى خليج فارس قرب جنابة • ويحسن بنا ان نذكر ان هذه الناحية خالية من أنهار كبيرة ، وان قال المستوفى ان نهر الشاذكان « نهر كبير لا يهون عبوره ، طوله تسعة فراسخ » لانه كان يتصوره نهرا على شىء من الكبير (١٧) •



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Alexandria, Egypt

الفصل التاسع عشر

فارس «تابع»

كورة اصطخر ومدينة اصطخر اى برسيوليس - نهر الكر وبلوار - بحيرة البختكان
وما حولها من مدن - سهل مرو دشت - البيضاء وماين - كوشك زرد -
سرمق ويزدخواست - الطرق الثلاث من شيراز الى اصفهان -
ابرقوه - يزد : ناحيتها ومدنها - ناحية
الروذان ومدنها - شهر بابك
وهرة *

تشمل كورة اصطخر جميع القسم الشمالى من اقليم فارس * وكانت هذه
الكورة فى القرون الوسطى ، على ما قد بينا ، تشتمل على يزد والمدن والرساتيق
القريبة منها مما يكون فى حد المفازة الكبرى * ومدينة هذه الكورة كانت اصطخر
على ما قد سمي به العرب المدينة الساسانية التى كانت تعرف عند اليونان باسم
برسيوليس *

وتقوم مدينة اصطخر على نهر بلوار ، على بضعة أميال فوق اقترانه بنهر
الكر ، وعلى مسافة يسيرة غرب بقايا القصور الاخمينية العظيمة * وفى أيام الفتح
الاسلامى كانت اصطخر من أجل مدن فارس الساسانية ، ان لم تكن أجلها ، وكان
أخذها صلحا بمعاهدة * وصفها ابن حوقل فى المثة الرابعة (العاشرة) فقال :
« سعتها مقدار ميل * وكان فى قديم الايام على اصطخر ، سور قد تهدم ، »

« وقنطرة خراسان خارج من المدينة ، على بابها » ، ولا يعرف لم سميت هذه القنطرة بذلك . وهى قنطرة فخمة حسنة ، وراءها أبنية ومساكن تكتنفها البساتين ، وفيها كثير من الرز والرمال . ولم يزد البلدانون العرب الآخرون شيئا على ما قاله ابن حوقل ، كما ان المصنفين المسلمين لم يذكروا شيئا مفيدا عن القبور والابنية الاخمينية المشهورة التى ينسبونها عادة الى جمشيد والملك سليمان . وقال المستوفى ان حراب اصطخر (ويصعب أن يعثر اليوم على معالم المدينة الاسلامية) سببه الفتن الهوجاء التى نشبت فيها ، فاضطر أخيرا صمصام الدولة ابن عضد الدولة البويهى الى أن يرسل اليها جيشا بقيادة الامير قطلمش ، فى النصف الاخير من المئة الرابعة (العاشرة) ، فكان مصيرها الدمار والخراب . وتضاءلت اصطخر منذ ذلك الحين وأمسست قرية لا يسكنها أكثر من مئة انسان على ما ذكر صاحب فارس نامه فى مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) .

وتكفل الجبال التى فى شمال غربى المدينة ، ثلاث قلاع ، هى : قلعة اصطخريار (صديق اصطخر) ، وقلعة شكسته (القلعة المنكسرة) ، وقلعة شنكوان . وكان يطلق عليها جملة سى كنبذان (أى القباب الثلاث) وكان يرفع الماء الى أولى هذه القلاع من غور عميق فى الجبل ، أنشئ فيه سد . وعمل عضد الدولة البويهى فى هذه القلعة حياضا عظيمة ترتفع على عشرين سارية ، يكفى ماؤها ألف رجل اذا ما ضرب الحصار عليها مدة سنة . وكان قرب هذه القلاع فوق الجبل ، ميدان لتدريب الجند ، أمر بعمله وانشائه عضد الدولة أيضا^(١) .

ونهر بلوار - وسماء البلدانون العرب فرواب ، وكتبه الفرس بصورة پرواب - يخرج فى شمال أوجان أو أُرْجان عند قرية قَرَوَاب فى الجوبرقان . فيجبرى أولا الى الشرق ، ثم يدور الى الجنوب الغربى فوق بازاركد Pasargadae عند قبر كورش . وقد سمى المسلمون هذا القبر بمشهد أم سليمان (مشهد ادر سليمان) . ثم يخترق النهر غور اصطخر فيمر بهذه المدينة

(١) البلاذرى ٣٨٨ ؛ ابن حوقل ١٩٤ ؛ المقدسى ٤٣٥ ؛ فارس نامه ٦٧ ب ، ٨١ ب ، ٨٣ ؛ المستوفى ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٨ و ١٧٩ ؛ حافظ أبرو ٨٥ ب .
ما زالت ترى اطلال القلاع الثلاث . وقد زار احداها J. Morier انظر : Second Journey Through Persia (لندن ١٨١٨) ؛ ص ٨٣ - ٨٦ ؛ دى بود : لرستان ١ : ١١٧ .

ويدخل سهل مرو دشت حيث يسقط في نهر الكر على مسافة قليلة فوق السد العظيم المسمى بند أمير • ومخرج نهر الكر في ناحية كروان على شيء يسير جنوب أوجان ، فهو لا يبعد عن مخرج نهر بلوار ، لكنه يتجه في أوله اتجاهها معاكسا له • ويجري نهر الكر نحو الشمال الغربي ، ويدور دورة عظيمة ، جاريا تحت قنطرة شهياري وهي في الطريق الصيفي من شيراز الى اصفهان في ناحية الأرد • ثم يتجه الكر جنوبا فيمر قرب قرى كورد وكلا ، ثم يميل الى الجنوب الشرقي فيستقبل رافدا من شعب بوان (أنظر صفحة ٣٠٠) ويشق ناحيتي رامجرد وكام فيروز • ثم يخترق سهل مرو دشت حيث يستقبل في يساره نهر بلوار ويسقى ناحيتي كربال العليا وكربال السفلى • ثم يمر قرب القرية الكبيرة المسماة خرمة ويقع في بحيرة البختكان بين ناحية جفوز في الجنوب وناحية كاسكان في يساره •

وقال صاحب فارس نامه وغيره من المصنفين الفرس ، ان نهر الكر ، يعرف في أعلاه باسم رود عاصي ، لأنه وان سكر مأوه بسكر (بند) ، الا ان ماءه عصى عن سقى الارض فلم ينتفع به • وأول هذه السدود التي على الكر ، يعرف ببند مجرّد • وقد كان هذا السد من الزمن القديم ، فلما انهار أعاد بناءه الانابك فخر الدولة جاولي ، في مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) وسماه فخرستان نسبة اليه • وكان يعرف بذلك في زمن حافظ أبرو أيضا • وسكر نهر الكر أسفل اقتران نهر بلوار به ، ببند أمير المشهور أو البند العضدي ، ويعرف قسم من هذا السكر أيضا باسم سكر فنا خسرو خرّه • وهذه الاسماء كلها منسوبة الى عضد الدولة البويهى الذى أنشأ السكر ليسقى ناحية كربال العليا • وقد كان هذا البند من عجائب فارس على ما ذكر المقدسى ، وهو من أهل ذلك الزمن • قال : « قد سكر عضد الدولة النهر بحائط عظيم جعل أساسه بالرصاص ، فتجر الماء حوله وارتفع فجعل عليه من الجانبين عشرة دواليب وتحت كل دولا ب رجا وجر الماء في قنى فأسقى ثلاثمئة قرية ، وبنى ثم مدينة » قرب البند وكان يقال للسكر الاسفل على الكر ، بند قيصار ، وقد أنشئ ليرفع الماء ويسقى ناحية كربال السفلى • وكان هذا السد منذ قديم الزمن ، ولكنه انهار في مطلع المئة السادسة (الثانية

عشرة) ، فأصلحه الاتابك چاولى المار الذكر الذى رم أيضا بند أمير^(٢) .
وبحيرة البختكان التى يقع فيها نهر الكر ، وان كان حولها اليوم مفاوز ، الا
انها كانت فى العصور الوسطى محاطة بقرى ومدن ذات رساتيق خصبة . ومياه
هذه البحيرة تؤلف بحيرتين متصلتين : الجنوبية منهما كانت تعرف فى العصور
الوسطى ببحيرة البختكان ، والشمالية تسمى بحيرة الباسفوية أو جوبانان . وماء
هذه البحيرة ملح ، وصيدها كثير ، وعامة سمك شيراز منها ، وفى أطرافها آجام
كثيرة ومنها قصب وبردى . وناحية جفوز فى الطرف الغربى من البحيرة ، وفيها
مدينة خرمة (وما زالت الآن قرية ذات شأن) وهى على ١٤ فرسخا من شيراز
فى طريق كرمان المحاذى لشاطيء بحيرة البختكان الجنوبى . وذكر المقدسى فى
المئة الرابعة (العاشرة) ان خرمة لها رستاق واسع وبها قلعة فوق رأس جبل ،
وكانت قلعة حصينة محكمة البناء ، على ما قال المستوفى وقد كتب فى العهد المغولى .
وأشار فارس نامه الى حياضها^(٣) .

وكان الطرف الجنوبى الشرقى من بحيرة البختكان ، فى كورة دار أبجرد ،
وعليه خير و نيريز ، وستكلم عليهما فى الفصل القادم . وبالقرب من طرفها
الشرقى ، حيث اليوم مفازة معطشة ، كانت تقوم فى المئة الرابعة (العاشرة)
المدينتان الجليلتان : صاهك أو صاهيك ، الكبرى والصغرى . وكتب الفرس
هذا الاسم بصورة چاهك (ومعناه حفرة صغيرة أو بئر) . ويجتمع عند صاهك
الكبرى طريقان - أولهما يمتد فى الجانب الشمالى من بحيرة البختكان آتيا من
اصطخر ، والثانى يمتد بمحاذاة شاطئها الجنوبى آتيا من شيراز - ، ويخرج منها
طريق واحد نحو كرمان . ووصف المقدسى صاهك الكبرى فقال انها مدينة
صغيرة ولأهلها « حذق فى كتابة المصاحف » . وبالقرب منها ، على ما فى
المستوفى ، معدن الحديد . وتكلم فارس نامه على ما يعمل فيها من السيوف الصقيلة .
وفى الطريق من صاهك الكبرى الى اصطخر ، وعلى الساحل الشمالى من شطر

(٢) الاصطخرى ١٢١ : المقدسى ٤٤٤ ؛ فارس نامه ٧٩ ب ؛ المستوفى ٢١٦ و ٢١٨ ؛ حافظ ابرو
١٣٢ . ياقوت ٣ : ١٠٧ .
(٣) الاصطخرى ١٢٢ و ١٣٥ ؛ المقدسى ٤٣٧ ؛ فارس نامه ٨٠ ، ٨٢ ب ، ٨٧ ب ؛ المستوفى
١٧٤ و ١٧٩ و ٢٢٥ و ٢٢٦ .

بحيرة البختكان المعروف ببحيرة الباسفوية أو جوبانان ، مدينتان كانتا على شأن كبير في القرون الوسطى ، ولا أثر لهما في الخارطة الآن . أقصاهما شرقا على ستة أو ثمانية فراسخ من صاهك الكبرى ، هي مدينة البُدْنجان ، وتعرف بقرية الآس . وسماها المستوفى بالفارسية « ديه مورد » . ويكثر في رستاقها القمح والآس ، فعرفت المدينة به . وفي غرب قرية الآس ، على ستة أو سبعة فراسخ فوقها في طريق اصطخر ، قرية عبد الرحمن ويقال لها أيضا أباده ، وهي مدينة في ناحية بَرْم . وفي هذه المدينة بيوت وقصور حسنة . وحكى القزويني أن آبارها : « عمقها قامات كثيرة ، جافة القعر عامة السنة . حتى إذا كان الوقت المعلوم عندهم في السنة ، نبع ماء يرتفع على وجه الأرض . ويجرى ويتفجع به في سقى الزروع ثم يغور » . وكان لأبادة في أيام السلاجقة قلعة حصينة فيها آلات الحرب وبها حياض عظيمة للماء^(٤) .

أما سهل مرو دشت الرحب ، فتخترقه أسافل نهر الكر بعد أن يسبق مياه بلوار . وتشرف على هذا السهل من الشمال اصطخر وقلعها الثلاث ، وكان السهل ينقسم بين عدة نواح . فبالقرب من الطرف الغربي لبحيرة البختكان ، ناحيتا كربال السفلى وكربال العليا ، وأعلى من ذلك ، على نهر الكر ، ناحيتا حَفْرَك وقالى . وعلى ضفاف نهر بلوار مراعى ناحية قالى . وكانت في ناحية حفرك (وجاء اسمها بصورة : حبرك في مخطوطات أقدم) القلعة العظيمة خوار ، قرب قرية تعرف بهذا الاسم . وقد ذكر الاصطخرى هذا الموضع ، كما ذكره فارس نامه غير مرة وقال انه في نصف الطريق بين السكر العضدى على الكر وأباده على بحيرة البختكان ، فهو على عشرة فراسخ من كل منهما . وقد أشار ياقوت الى خوار أيضا مرتين ، ولكنه لم يعرف موضعها على ما يظهر . وماؤها من الآبار ، وكانت قلعتها محكمة حصينة ، أما سهل مرو دشت فقد كان مشهورا بكثرة قمحه ، وسقيه من السكور التى على الكر . وذكر فارس نامه انه اشتق اسمه من قرية

(٤) ابن خردادبه ٤٨ و ٥٣ : قدامة ١٩٥ : الاصطخرى ١٠١ و ١٣١ : المقدسى ٤٣٧ : فارس نامه ١٦٦ ، ١٦٨ - ب ، ١٨٣ : المستوفى ١٧٥ و ١٧٩ : القزوينى ٢ : ١٦٠ .
وقد كان ما خلا مدينة أباده (أو أباده) قرية بهذا الاسم أيضا في الطريق من اصطخر الى اصفهان ، سنأتى على وصفها .

مرو التي كانت بالأصل حيا من أحياء مدينة اصطخر حيث قامت بعدئذ بستان جمشيد أسفل من الاطلال الاخمينية^(٥) .

وفوق مروذشت تقع ناحية كام فيروز، ومعظمها على يمين نهر الكر، وكانت قصبتها وهي كذلك اليوم ، مدينة البيضاء . واسم البيضاء عربى التجار . وهذا الاسم من الاسماء العربية النادرة التي اتخذها الفرس (الا انهم لفظوا الاسم بيزا) وظلوا على الأخذ به الى وقتنا هذا ، وانما سميت هذه المدينة البيضاء « لان لها قلعة بيضاء تبص من بعد » . وزاد ابن حوقل على قوله هذا ان « اسمها بالفارسية نساتك »^(٦) ومعناه على ما ذكر ياقوت دار اسفيد أى القصر الابيض ، « وكانت هذه المدينة معسكرا للمسلمين يقصدونها فى فتح اصطخر » . وكانت البيضاء نحوا من اصطخر كبيرا على ما كانت عليه هذه الاخرة فى المئة الرابعة (العاشرة) . وأشار إليها المقدسى فقال « البيضاء ظريفة طيبة ، بها جامع حسن ومشهد يقصد » . وحولها مراعى مشهورة ، وكانت المدينة ، وهي فى وسط حقول القمح الخضر ، تبرز ببياضها اللامع . وفى ناحية كام فيروز عدة قرى ، سرد الاصطخرى أسماءها ، وفى أيامه كان فى غابات البلوط بالقرب منها ، أسود مفترسة تخشاها قطعان الماشية التى ترعى فى مراعيها .

وكان الى شمال كام فيروز وشرقها ، ناحية رامجرد ، وقصبتها مدينة مايين . وفى نصف الطريق بينها وبين شيراز ، مدينة يقال لها هزار ، أو أزار سابور ، وتسمى أيضا نيسابور . وكثيرا ما تردد ذكرها فى المئة الرابعة (العاشرة) . قال المقدسى فيها : « صغيرة لها رستاق واسع ، شربهم من قني » . وهى أول مرحلة يريد فى الطريق الذهاب من شيراز الى مايين ، وفى الطريق الصيفى أى الجبلى من شيراز الى اصفهان . وكانت مايين قصبة رامجرد ، وصفها المقدسى بقوله : « عامرة كثيرة الفواكه » . وقال المستوفى ان دخلها فى أيام الدولة المغولية ٥٢٥٠٠ دينار ايلخانى (نحو ١٧٥٠٠ باون) . وكان فى هذه المدينة مشهد

(٥) الاصطخرى ١٠٤ : فارس نامه ٦٦ ب ، ٦٧ ب ، ١٨٣ ، ٨٤ ب ، ١٨٦ - ب ، المستوفى ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٨٠ : ياقوت ١ : ١٩٩ : ٢ : ٤٨٠ .
(٦) جاء الاسم بصورة « نساك » فى ابن حوقل (٢ : ٢٨١) وياقوت (١ : ٧٩٢) وبصورة « نسانك » فى الاصطخرى (ص ١٢٦) . (م) .

مشهور للشيخ گل أندام • وعند حافة الدرب ، في الطريق المذهب شمالا ، مشهد اسماعيل ابن الامام السابع موسى الكاظم • وكانت ناحية رامجرد كثيرة الغلات وافرة الخيرات لوفرة أنهار السقى فيها الآخذة من فوق السكر الذى على الكر عند بند مجرد • وهو الذى كان الاتابك چاولى قد أصلحه وعمّره ، على ما بيننا ، وفي رامجرد أيضا قلعة يقال لها سعيد آباد ، « وهى على جبل شاهق يرتقى اليها فرسخا • وكانت فى الشرك [أى فى زمن قبل الاسلام] تعرف بقلعة اسفيد باز (أى الموضع الأبيض) » • وبها امتنع غير مرة رؤساء الفتن على جيوش بنى أمية التى جردوها عليهم لتأديبهم • ثم استولى عليها فى ختام المئة الثالثة (التاسعة) يعقوب بن الليث الصفار ، وأعاد بناءها وأحكم حصونها « وجعلها محبسا لمن سخط عليه » • ولعل فى قراءة اسفيد باز وهما ، فانه يكتب أحيانا بصورة اسفنديار ، وهذا يطابق ، على ما يظهر ، اسم اسفيدان فى فارس نامه والمستوفى ، وقد كانت بقربه قرية قمستان وكهف فى الجبل المجاور لها^(٧) •

وعلى مقربة من يسار نهر الكر ، غير بعيد عن ماين ، تقوم مدينة وقلعة أبرج (وغالبا ما تكتب خطأ بصورة ايرج) • وقد ذكرها الاصطخرى فى ضمن هذه الكورة • وما زال موضعها ظاهرا فى الخارطة • وفى فارس نامه والمستوفى ان أبرج قرية كبيرة ، فى أسفل جبل قامت بعض بيوتها على منحدره • اما قلعتها دز أبرج ، فبعضها ما أحكم تحصينه بالبناء وبعضها ما حصّته جروف وأسنان قمة الجبل الذى تقوم عليه ، فكانت منيعة لا تقتحم • وكان لها بساتين ، ومياهها زاخرة وافرة • وذكر المستوفى مدينة أوجان أو أزجان ، وهى على مرحلة شمال ماين ، الا انه لم يفدنا بأخبار عنها • ولعل أوجان توافق الموضع الذى سماه قدامة حوسكان (أو حوسجان) حيث طبع الاسم خطأ بصورة حوسكان

(٧) قدامة ١٩٦ : الاصطخرى ١١١ ، ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٣٢ : ابن حوقل ١٩٧ : المقدسى ٤٣٢ ، ٤٣٧ ، ٤٥٨ : فارس نامه ٦٦ ، ٨١ ب : المستوفى ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨٠ : ياقوت ٢ : ٥٦١ : ٣ : ٩٣ و ٨٣٨ •

لعل قلعة سعيد آباد هى منصور إباد الجالية ، وقد وصفها شندلر (H. Schindler) فى PRGS لسنة ١٨٩١ ص ٢٩٠ •

كما انه صحف أيضا في طبة المقدسى فجاء فيها بصورة حرسكان^(٦) .

وأعدل الطرق الذاهبة من شيراز الى أصفهان ، هو الطريق المتجه نحو ماين ومنها الى كوشك زرد مارا بديه گردو ويزد خواست الى قومشه على حد اقليم فارس . ومن ماين يصعد الطريق في الدرب الى الشمال فيعبر نهر الكر عند قنطرة شهریار ، وبالقرب منها كانت مسلحة صلاح الدين في سهل يقال له دشت رون أو دشت روم . ويليها شمالا ، على ما في المستوفى ، درب الائم والبنت (گريوه مادر ، ودختر) . ثم كوشك زرد (الجوسق الاصفر) ولعله يوافق قصر أعين عند الاصطخرى والمقدسى . وكانت سهول دشت رون الكبرى والصغرى مشهورة بمراعيها . وأرضها الزراعية وافرة الخصب ، وتؤتي أربع غلات في السنة ، ويسقيها نهر الكر وروافده . وأول ذكر لكوشك زرد جاء في فارس نامه ، حيث ورد في الغالب بصورة كوشك زر أى الجوسق الذهبى . والى الشمال أيضا ، بين كوشك زرد وديه گردو ، تمتد أرض أوفر خصبا وأعم مرتعا تعرف بناحية أرد أو أورد ، وأهم مدينتين فيها ، على ما في الاصطخرى ، بجه وتيسمرستان (وجاءت في فارس نامه بصورة طيمرجان) . وأشار المستوفى الى ديه گردو . وجاء في فارس نامه بصورة ديه گوز (بدل جوز) وهما يدلان على اسم قرية معناه قرية الجوز . ولم يذكر البلدانون العرب القدماء هذا الاسم (وهو فارسى بحسب الصور التى أوردناها له أعلاه) ، ولكن يتبين من موضعه فى المسالك ، ان ديه گردو الحالية تقابل اصطخران عند قدامة والاصطخرى .

وتقوم على حدود سهل دشت أرد الشرقية ، اقلید و سمرق و قرية أباده ، ثم شورستان و قرية سروسن في منتصف الطريق بين ديه گردو ويزد خواست . وكان لاقلید قلعة حسنة ، على ما جاء في فارس نامه . وكانت مثل سمرق ،

(٨) قدامة ١٩٦ : الاصطخرى ١٠٢ و ١٣٦ : المقدسى ٤٥٧ و ٤٥٨ : فارس نامه ٦٦ ب ، ١٨٣ : المستوفى ١٧٤ و ١٧٩ .

لا شك في أن اسم أبرج ، على ما ورد في فارس نامه ، هو اللفظ الصحيح . أما أبرج (على ما طبع في كتابي الاصطخرى والمقدسى) فقد جاء من وهم نسخ المخطوطات ، فنقل ياقوت ذلك عنهم (١ : ٤١٩) . والقلعة القديمة القائمة فوق أبرج ، المعروفة اليوم باسم اشكنوان ، تذكرنا باسم شنكون المار الذكر (في الصفحة ٣١٢) . وقد كان اسم قلعة من قلاع اصطخر الثلاث . انظر : Schindler في PRGS لسنة ١٨٩١ ص ٢٩٠ .

مشهورة بحقول القمح • وقد كتب المقدسي اسم سمرق بصورة جرمق • وقال فيها حسنة البناء « أخصب هذه المدن وأكثرها أشجارا » • ويكثر فيها الأجاجص الأصفر ، فيجفف ويحمل منها الى سائر البلدان • وقرية أباد ، مرحلة في طريق البريد الحالي من شيراز الى اصفهان ، وأول من ذكرها فارس نامه ، ثم المستوفى • وكذلك يقال عن شورستان وهي على نهر ملح يجرى شرقا الى المفازة • أما قرية سروسن فقد قال فيها المقدسي ، في المثة الرابعة (العاشرة) : « الجامع وسط البلد ، وفيهم ظاهرة » تحمل ماءها من الجبال المجاورة • أما يزد خواست ، المدينة التي في شمال سروسن ، فأول من ذكرها فارس نامه ، ولكن لا ريب في انها هي التي تحت المقدسي اسمها فجعله أركاس • وأورد المستوفى يزد خواست مع ديه گردو ولكنه لم يصفها • وغالبا ما يكتب اسمها بصورة يزدخاس^(٩) •

أما قومشه ، وقد سماها المقدسي قومسه ، فانها على ما بينا ، في حد اقليم فارس الشمالي • وكانت في الغالب تعد من أعمال اصفهان • وقد أشار المستوفى الى قلعة قولنجان المبنية بالطين التي كانت تحميها ، وذكر انه كان لهذه القلعة رستاق خصبة • والى غرب يزدخواست ، تقوم مدينة سميرم قرب منابع نهر طاب • ويشقها الطريق الغربي من شيراز الى اصفهان • قال المقدسي فيها « بها جامع حسن محدث ناء عن الاسواق ، كثيرة الجوز والفواكه • وثم قلعة مذكورة ، فيها عين ماء » • وذكر ياقوت ان اسم هذه القلعة كان وهان زاد • والطريق الغربي الآتي من شيراز الى اصفهان ، يشق مدينة البيضاء في سهل مرو دشت ، ثم يتابع سيره الى مهرجاناواذ (أو مهرجاناباد) • وقد وصفها المقدسي بقوله : « لها رستاق واسع ، شربهم من أنهار » • والظاهر انها كانت على ضفاف الكر ، أو على أحد روافده الغربية • وبين هذه المدينة وسميرم ، لم يكن من المدن المهمة غير كورد وكلاّر (على نهر الكر ، حسبما بينا) ، وهما مدينتان متجاورتان على ما قال المقدسي والمستوفى ، تشتهران بكثرة القمح وثمار بلاد الصرود • وأشار

(٩) ابن خرداذبه ٥٨ : قدامة ١٩٦ : الاضطخري ١٠٣ و ١٣٢ : المقدسي ٤٣٧ و ٤٥٨ : فارس نامه ٦٥ ب ، ١٦٦ ، ٨٠ ب ، ١٨١ ، ١٨٣ ب ، ١٨٤ ب - ب : المستوفى ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ، ٢٠٠ : ياقوت ١ : ١٩٧ : ابن بطوطة ٢ : ٥٢ •

الاصطخرى الى حسن بنائها وقصورها • والظاهر انه لا أثر اليوم لهذين
الموضعين^(١٠).

وأقصر الطرق الثلاثة من شيراز الى اصفهان ، هو الطريق الذى وصفناه
آنفا ، المارّ بباين وسهل دشت رون ، وهو الذى سماه فارس نامه بالطريق
الشتوى • اما الطريق الصيفى ، فقد كان أطول الطرق الثلاثة وأقصاها شرقا •
وكان يمرّ باصطخر مخترقا كمين ومحاذيا قبر كورش الى ديهيد ، حيث يتفرع
من يمينه طريق الى يزد • ويواصل طريق اصفهان سيره الى الغرب ، مارا بسرمرق
وقرية اباده الى يزد خواست وقومشه • وكسمين وهى غير بعيدة عن ضفة نهر
بلوار الشرقية ، كانت ، على ما ذكر المستوفى ، مدينة كبيرة الشأن فى المئة
الثامنة (الرابعة عشرة) تقوم فى رستاق خصب كثير القمح • ولها مراعى واسعة
بامتداد النهر • وفى أعلى ذلك ، عند منحى نهر بلوار ، بازاركد Pasargadae
وقبر كورش ، وقال المسلمون انه قبر أم سليمان على ما سبق بيانه ، وهذا الضريح
الملكى المربع الجوانب ، المبني بالحجر ، ما زال يرى هناك ، ويقال ان طلسمًا
يحرسه • وكل من حاول السكنى داخل جدرانها باغته العمى على ما جاء فى
فارس نامه • وكان يقال لما حوله من مراعى ، مرغزار كالان • أما ديهيد « قرية
الصفصاف » فانها المرحلة التالية فى شماله ، حيث يتشعب الطريق • وهى التى
ذكرها المقدسى وغيره من البلدانين العرب باسم قرية البيذ • والى شمالها أيضا ،
فى نحو من نصف الطريق بين اصطخر ويزد ، تقوم مدينة أبرقوه •

وأبرقوه ، أو أبرقويه ، - وتختصر أحيانا الى برقوه - قد قال فيها ابن
حوقل ، انها مدينة محصنة^(١١) « تكون نحو الثلث من اصطخر » ، ولها أسواق
عامرة • وذكر المقدسى ان لها جامعا جيدا • وقال المستوفى ، ان أهلها من الصناع

(١٠) الاصطخرى ١٢٦ : فارس نامه ١٦٦ ، ١٨٤ - ب ، المقدسى ٣٨٩ ، ٤٣٧ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ :
المستوفى ١٧٥ : ياقوت ٣ : ١٥١ : ٤ : ٩٤٢ •
ومما يحسن أن نشير اليه ، ان المقدسى ، فى وصفه المسالك (ص ٤٥٨) قد أشار الى
كورد وكلاز ، وكان الواحدة جنب الاخرى • اما فارس نامه ، فقد ذكر فى المسالك (الورقة ٨٤ ب)
ان كلاز على خمسة فراسخ من شمال كورد •
(١١) القول للمقدسى (ص ٤٣٧) (م) •

وتغلّ رساتيقها كثيرا من القمح والقطن ، وزاد على ما تقدم ان لجوّها مزية خاصة هي ان اليهودى لا يبقى فيها حيا اذا جاوز مكته فيها أربعين يوما ؛ ومن ثم لا تجد فى أبرقوه يهوديا • ووصف المستوفى قبرا فى المدينة نفسها لولي مشهور يسمى طاووس الحرمين (مكة والمدينة) • ومن الامور الشائعة عن هذا القبر ، انه لشدة تواضع صاحبه ، يأبى القبر ان يرتفع فوقه سقف ومع ان كثيرين أقاموا سقفا فوق القبر مرارا الا انه تهدم بقدرة خارقة على ما ذكر المستوفى ، حتى لا يكون من عظام الولي ما يتعبد الناس له • وكان بالقرب من أبرقوه قرية مراغة (أو فراغة) وفيها أشجار السرو العظيمة المشهورة فى سائر البلدان بأنها أكبر وأحسن حتى مما فى بلخ أو كشمير فى قهستان^(١٢) •

أما يزد ، فقد كانت تعرف فى قديم الزمان باسم كته • وقد انتقل هذا الاسم حين غلب اسم يزد على المدينة الى ناحيتها ، فقليل لها حومة يزد أو جومة يزد • ووصف ابن حوقل فى المثة الرابعة (العاشرة) مدينة يزد بقوله « الغالب على أبنيتها آراج الطين ، وبها مدينة محصنة بحصن ، وللحصن بابان من حديد ، ويسمى أحدها باب ايزد والآخر باب المسجد لقربه من الجامع ، وجامعها فى الربض » ولها نهر يخرج من ناحية الجبل الذى عليه القلعة ، ورستاقها يشتمل على رخص ، وهى على طرف المفازة ، وثمارها كثيرة تحمل الى أصبهان • وبالقرب منها « معدن الآتك »^(١٣) • وتكلم القزوينى وغيره على حريرها بقوله : « بها صنّاع الحرير السندس فى غاية الحسن والصفاء » يحمل منها الى سائر البلاد • وزاد المستوفى على ذلك ان بنيان المدينة من اللبن ، وهو يدوم هنا دوام الآجر فى سائر البلاد ، اذ يندر أن يهطل المطر فيها ، غير ان مياهها وافرة ، من القنى الآتية

(١٢) الاصطخرى ١٢٩ : ابن حوقل ١٩٦ : المقدسى ٤٣٧ و ٤٥٧ : فارس نامه ٨١ ب ، ٨٤ ب : المستوفى ١٧٤ و ١٧٥ و ١٨٠ و ٢٠٠ : جهان نما ٢٦٦ •
وظاهرة قبر لا قبة عليه ، قد وصفها أيضا ابن بطوطة (٢ : ١١٣) فى كلامه على قبر ابن حنبل ببغداد • وللبروفيسور جولدسيهر ، ملاحظات نافعة على هذه الخرافة الفريية فى كتابه :
Muhammedanische Studien (١ : ٢٥٧) •

(١٣) جاء فى طبعة ابن حوقل لسنة ١٩٣٩ (٢ : ٢٨٠) والحاشية : فى الاصل باب اندور وكتبه ناشر الطبعة الاولى بصورة ايزد تبعا لياقوت •
أما معدن الآتك فهو الرصاص الابيض • واللفظة فارسية • (م) •

من الجبل • وفى كل بيت حوض للماء •

وعلى مرحلة من شمال يزد ، أنجيرة « قرية التين » • ثم فى المرحلة الثانية خزانة (وقد طبعت وهما : خزانة) وهى قرية كبيرة • « بها زرع وضرع وبساتين وكروم » • وعليها قلعة فوق جبل قريب منها • وفى المرحلة الثالثة ، على حدّ المفازة ، ساغند • وساغند ، على ما ذكر ابن حوقل ، « قرية فيها نحو اربعمئة انسان ، وعليها حصن • لها عين ماء جار يزرع عليها ، وعليها قني وبساتين عامرة » • أما المدن الثلاث : ميسبد وعقدة ونايين ، فانها فى شمال غربى يزد ، تلي احداها الاخرى على حدّ المفازة • وهى تعد فى الغالب من أعمال يزد ، وان ألحق بعض المصنفين مدينة نايين باصفهان • وكان على ناين قلعة ، ومحيط أسوارها ٤٠٠٠ خطوة ، على ما ذكر المستوفى • على ان مراجعنا لم تصف هذه المواضع ، بل اقتصر على ذكر اسمائها^(١٤) •

وعلى نحو من ٧٥ ميلاً جنوب يزد ، فى نصف الطريق بين هذه المدينة وشهر بابك ، مدينة أنار • وتبعد عنها بهرام أباد ستين ميلاً باتجاه الجنوب الشرقى • وكلتا هاتين المدينتين معدودة اليوم من أعمال اقليم كرمان • غير ان هذه الناحية جميعها كانت فى القرون الوسطى تؤلف قسماً من اقليم فارس ، وكان يقال لها الروذان • والمدن الثلاث المهمة فى هذه الناحية هى : أبان (اليوم : أنار) وأذكان وأناس (بالقرب من بهرام اباد)^(١٥) •

(١٤) الاصطخرى ١٠٠ : ابن حوقل ١٩٦ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ : المقدسى ٤٢٤ ، ٤٣٧ ، ٤٩٣ : القزوينى ٢ : ١٨٧ : المستوفى ١٥٣ : ياقوت ٣ : ٦٩٤ ، ٤ : ٧١١ و ٧٣٤ •

(١٥) ذكرت مراجعنا ان أبان كانت على ٢٥ فرسخاً من الفهرج (وهى على خمسة فراسخ من جنوب شرقى يزد) • ومدينة الروذان على ١٨ فرسخاً من أبان • وكانت أناس على مرحلة قصيرة أو بريدان من الروذان • والى ذلك ، فان أناس على مرحلة طويلة وفرسخين (أى بريد واحد) من بيمند • وبيمند على أربعة فراسخ غرب السيرجان • وكان من الروذان الى شهر بابك مسيرة ثلاثة أيام • فمسيرة اليوم الاول الى قرية الجمال • وهذه المسافات تربنا ان موضعى أنار وبهرام أباد الحديثتين يوافقان بالتعاقب ما كان يعرف فى القرون الوسطى بأبان وأناس • أما مدينة الروذان التى يظن انها الموضع المسمى أذكان ، فقد كانت اذا بين الاثنتين بالقرب من قرية كلناباد الحالية : الاصطخرى ١٣٥ و ١٦٨ : ابن خرداذبه ٤٨ ، المقدسى ٤٥٧ و ٤٧٣ •

وقد زاد ياقوت الامر تعقيداً ذكره (٣ : ٩٢٥) ان مدينة أنار توافق أناس وذلك غير واقع بالنظر الى المسافات التى بينها ، ولعل أنار هنا ليست الا من وهم النساخ فى كتابة اسم أناس التى عدّها فى مادة أخرى (١ : ٣٦٧) من أعمال اقليم كرمان •

أما أناس قصبة الناحية فهي على ما ذكر الاصطخرى نحو من أبرقوه في الكبر .
وتكلم المقدسى على جامعها ، فقال : « بها جامع لطيف حسن يصعد اليه بدرج » .
وقال ان بها حمامات وبساتين حسنة « وليس بها ربض » وقد أحاطت بها الرمال .
وحصن أناس منبع بثمانية أبواب ، سرد المقدسى اسماءها ، فانه زار هذا الموضع .
و « هي معدن القصارين والحاقة » . ويقال ان ناحية الروذان كانت نيفا وستين
فرسخا مربعا وكانت في أول أمرها ، كما هي اليوم ، من أعمال كرمان . الا انها
في المئة الرابعة (العاشرة) أضيفت الى فارس . وقد دام هذا التنظيم على ما في
فارس نامه الى أيام ألب أرسلان السلجوقي الذي بعد أن تم له الاستيلاء على هذه
الديار في منتصف المئة الخامسة (الحادية عشرة) ، أعاد الحاق الروذان نهائيا
بكرمان (١٦) .

وبين الروذان وشهربابك ، المدينة الصغيرة ديه أشتُران ، وهي بالعربية قرية
الجيـمال . وذكر المقدسى : « لها جامع به منارة طويلة » والنهر تحت البلد ،
وحولها بساتين حسنة » . أما شهر بابك فمعناها مدينة بابك أو بابك ، وهو أبو
أردشير أول ملوك الساسانيين . وكانت تعد في إقليم كرمان . وما زال هذا الموضع
قائما ، وذكره الاصطخرى والمقدسى وغيرهما ، الا انهم لم يأتوا بوصف له .
وقد عدها المستوفى من كرمان ، وقال يكثر فيها القمح والقطن والتمر . وعلى
مرحلتين من غرب شهر بابك ، في الطريق الى اصطخر ، المدينة الصغيرة هراة
التي جمع صاحب فارس نامه بينها وبين صاهك (وقد مرّ ذكرها في صفحة
٣١٤) . قال الاصطخرى فيها ان هراة كانت في المئة الرابعة (العاشرة) أكبر
من أبرقوه . ويحمل منها ، على ما في المقدسى ، سائر الفواكه لاسيما التفاح
والزيتون . ولها أسواق عامرة ، وفيها جامع حوله طرق . ولها نهر كبير يتخلل
بساتينها . ولمدينة هراة باب واحد . وذكر المقدسى ان « قَرَعا » مدينة صغيرة يقرب
هراة . وذكر القزويني ، وقد كتب في المئة السابعة (الثالثة عشرة) ان في

(١٦) الاصطخرى ١٠٠ ، ١٢٦ ؛ المقدسى ٤٣٧ و ٤٣٨ و ٤٦٢ ؛ فارس نامه ٦٤ ب ؛ ياقوت

٢ : ٨٣٠ .

ما زالت أنار ذات خيرات كثيرة تزيد غلتها من القمح عن حاجتها فيحمل منها الى سائر الجهات .

هراة تكثر أشجار الغبراء ، وقال : « قالوا ان نساءها يغتلمن اذا أزهرت أشجار
الغبراء » • والى جنوب شرقى صاهك ، على حد كورة دار أبجرد ، مدينة قطر •
وهى ما زالت على شىء من المكانة • وفيها ، على ما ذكر فارس نامه والمستوفى
(وقد كتب اسمها بصورة گدرو) ، معدن الحديد الجيد (١٧) •

(١٧) وجد ميجر سايكس (Major Sykes) بالقرب من شهر بابك ، بقايا بيت نار •
انظر : Ten Thousand Miles in Persia ص ٧٨ •
الاصطخرى ١٠٢ ؛ ابن حوقل ١٨٢ ؛ المقدسى ٥٢ و ٤٢٣ و ٤٢٤ و ٤٢٥ و ٤٣٦ و ٤٣٧ و ٤٥٥ ؛
فارس نامه ٦٦ أ ، ٦٨ أ ؛ ياقوت ١ : ٧٥ و ١٧٨ ؛ المستوفى ١٧٥ و ١٨٢ ؛ القزوينى ٢ : ١٨٦ •
تتقابه تهجئة اسم قرية هراة مع هراة المدينة المشهورة فى خراسان •

الفصل العشرون

فارس «تتم»

كورة دار أبجرد أو كورة شبانكاره - مدينة دار أبجرد - دركان وايك -
نيريز واصطهبانات - فسا ورونيذ وخسو - لار وفرج -
طارم - سورو - تجارات فارس وصناعاتها •
مسالك اقليم فارس •

كانت كورة دار أبجرد ، أبعد كور فارس الخمس الى الشرق • وهى تكاد تطابق ولاية شبانكاره التى سلخت من فارس أيام السيادة المغولية وتآلف منها حكومة قائمة بنفسها • وقد كانت شبانكاره ، على ما ذكر صاحب فارس نامه ، (وهو على كل حال لم يطلق هذا الاسم على كورة دار أبجرد) ، قبيلة انحدرت من فضلويه وهى أسرة ديلمىة الاصل ، كان أبناؤها على مذهب الاسماعيلية من فرق الشيعة • وفى أيام السلاجقة ، تغلبت قبيلة شبانكاره والاكراذ على الاتابك جاولى • وبعد انهيار الدولة السلجوقية ، استولت قبيلة شبانكاره على القسم الشرقى من اقليم فارس ، فنسب اليهم • وقد ذكر ماركوپولو ولاية شبانكاره تحت اسم سنكاره (Soncara) فقال انها سابعة الممالك الثمان حسب تقسيمه لبلاد فارس ومهما يكن من أمر ، فقد بطل هذا الاسم أيضا • وهى تعرف اليوم باسم دار أبجرد^(١) •

(١) انظر سر يول Sir H. Yule : The Book of Ser Marco Polo

(لندن ١٨٧٤ الطبعة الثانية) ١ : ٨٤ • (بقية الحاشية فى الصفحة الآتية) •

وقد كانت قصبة هذه الكورة أيام الخلافة ، مدينة دار أبجرد ، أو دار أبسگرد . وصفها الاصطخرى بقوله « عليها سور عامر ، وعليها خندق ، ولها أربعة أبواب ، وفي وسط المدينة جبل حجارة » . وقال المقدسى « والمدينة دورها فرسخ مكسر ، ذات بساتين ونخيل ، حسنة الاسواق ، ولهم آبار وقنى » وكان بالقرب من دار أبجرد قبة المومياء المشهورة وعلى هذه القبة باب حديد يفتح مرة فى السنة ويدخله عامل السلطان فيجمع ما نزل فى تلك السنة من المومياء ، ثم يجعل فى صندوق ويختم عليه ويبعث به الى شيراز ليستعمله الملوك^(٢) . وفى مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) حلّ الخراب فى أكثر مدينة دار أبجرد ، على ما فى فارس نامه . وان بقى فى وسطها حصن منيع . وكانت حولها مراعى مشهورة تعرف بمر غزار دار ابجرد . وبناحية دار أبجرد جبال من الملح بسبعة ألوان يؤخذ منها الملح^(٣) . وذكر المستوفى انه كان قريبا من دار ابجرد درب منيع حصين عليه قلعة عظيمة يقال لها تنك زينه^(٤) .

وحين حكم الشبانكاره دار ابجرد ، نقلوا قصبة الولاية الى داركان (أو زركان) وفى شمالها كانت تقوم قلعة ايگ (أو أويگ) . أما البلدانيون العرب فانهم ذكروا هذين الموضعين فى المئة الرابعة (العاشرة) وسموها الداركان أو الداركان وايچ . وقال الاصطخرى كان فى كل منهما منبر . أما المستوفى

ووردت شبانكاره فى تاريخ ابن الاثير (١٠ : ٣٦٢) بصورة الشوانكاره . أما من حارب الاتابك جاولى من رؤساء هذه القبيلة فى مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) فقد كان فضلوه وإخاه خسرو ، ولعل كتابة فارس نامه للاسم الاخير بصورة حسويه أصوب (بدلا من حسويه) .

(٢) أما ما قاله المقدسى (ص ٤٢٨) فهو : « على قبة المومياء باب حديد ، وقد وكل رجل بحفظه ، فإذا كان شهر مهرماه ، صعد العامل والقاضى وصاحب البريد والعدول ، وأحضرت المفاتيح وفتح الباب ، ثم دخل رجل عريان ، فيجمع ما نزل فى تلك السنة ، ولا يبلغ رطلا على ما سمعت من بعض العدول ، ثم يجعل فى شيء ويختم عليه . ويبعث مع عدة من المشايخ الى شيراز . ثم يغسل الموضع . فكل ما ترى فى أيدي الناس ، فانما هو معجون بذلك الماء ، ولا يوجد الخالص الا فى خزائن الملوك » . (م) .

(٣) قال الاصطخرى (ص ١٥٥) : « وبناحية دار ابجرد جبال من الملح الابيض والاصفر والاخضر والاسود والاحمر ، تنحت من هذه الجبال موائد وغير ذلك وتحمل الى سائر المدن » . (م) .

(٤) الاصطخرى ١٢٣ و ١٥٥ : المقدسى ٤٢٨ : فارس نامه ٦٨ ب ، ٨١ أ ، ٨٦ ب ؛ المستوفى ١٨١ .

وذكر ابن الفقيه (ص ١٩٩) ان قبة المومياء أو قبة تشبهها ترى بالقرب من أرجان (انظر ص ٣٠٥ أعلاه) .

فقد كتب الاسم بصورة زركان وسمى القلعة بقلعة أوينك ، وقال ان هذه الناحية كانت وافة الخصب ، يكثر فيها القطن والقمح والتمر وغير ذلك من الفواكه . وذكر أيضا أن قبيلة خسويه كانت أول من أحكم تحصين قلعة أوينك في أيام السلاجقة . وزاد ياقوت عليه ، ان فواكهها كانت تجلب منها الى جزيرة كيش (أى قيس) .

والى شمال شرقى ايج ، مدينة وناحية نيريز (أو نيريز) ، وهى فى الطرف الشرقى من بحيرة البختكان ، وقد سرى اسم المدينة حيناً على البحيرة . وقال المقدسى ان « نيريز كبيرة ، الجامع الى جانب السوق » وما زالت ترى أطلال هذا الجامع عليه مكتوب سنة ٣٤٠ (٩٥١) . وعند ساحل البحيرة مدينة خير (وجاءت أيضا بصورة خيار والخيره) ، وقد ورد ذكرها من المئة الرابعة (العاشرة) فما بعدها بأنها مرحلة فى الطريق المحاذى لجانب بحيرة البختكان الجنوبى ، الذاهب من شيراز الى كرمان . وأطلق المستوفى وفارس نامه على الناحية التى حول خيره اسم ميشكانات ، وكانت مشهورة بالكشمش ، وكان على كل من نيريز وخيره قلعة حصينة^(٥) .

وفى نصف الطريق بين خيره واينك ، مدينة اصطهبانات ، وقد كتب البلدانون العرب هذا الاسم أيضا بصورة الاصطهبانان وأحياناً الاصطهبانات ، فاختصره الفرس الى اصطهبان . وصف المستوفى هذه المدينة بأن الاشجار تلتف عليها ، ويجوارها قلعة حصينة خربها الاتابك چاولى ، ثم أمر بعد ذلك بتجديدها . وفى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) استولت قبيلة خسويه على القلعة .

اما مدينة فسا ، ويلفظها الفرس فسا ، فقد كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) ثانية المدن فى كورة دار أبجرد وتقارب شيراز فى الكبر . كانت حسنة البناء ، وأكثر الخشب فى أبنيتهم السرو ، صحيحة الهواء ، أسواقها عامرة عليها حصن وخندق ، ولها ربض واسع يمتد خارج أبواب المدينة وفيها الرطب والجوز والأترج

(٥) الاصطخرى ١٠٧ و ١٠٨ و ١٣٢ و ١٣٦ و ٢٠٠ : المقدسى ٤٢٣ و ٤٢٩ و ٤٤٦ و ٤٥٥ : فارس نامه ٦٨ ب ، ١ - ٦٩ ب : المستوفى ١٨١ : ياقوت ١ : ٤١٥ : ٢ : ٥٦٠ . وانظر كابتن لوفيت Lovett فى JRGs لسنة ١٨٧٢ ص ٢٠٣ .

وغير ذلك • وقال المقدسي : « الجامع فيها من آجر ، له صحنان ، على عمل جامع مدينة السلام » • وقال صاحب فارس نامه ان فسا تقارب اصفهان في الكبر • خربت بها قبيلة شبانكاره ثم أعاد بناءها الاتابك چاولي • وزاد المستوفى على ذلك ، ان المدينة كانت تسمى قديما ساسان ، وكانت مبنية بهيئة مثلث • مياهها وافرة تحمل اليها بقتى وليس فيها آبار • وكانت شق ميسكاهان وشق رودبال (رودبار) من أعمالها • وبالقرب منها قلعة خوادان المنيعه ، فيها حياض عظيمة للماء^(٦) • ومدينة كُرم ، على بضعة أميال شمال فسا في الطريق الى سروسن ، على ما وصفت به في كتب المسالك • وكانت ناحيتها وناحية روينز (أو روينز) من أعمال فسا ، على ما جاء في فارس نامه • وتؤلف الاخيرة قسما من ناحية خسو التي ذكر المقدسي انها على مرحلة جنوب غربى دار ابجرد في الطريق الى جويم أبى أحمد (أنظر الصفحة ٢٩٠ أعلاه) • وقد أورد البلدانون الاقدمون هذا الاسم بصورة روينج (أو روينج) • ولعل هذه المدينة تطابق خسو (أو كسو) الحالية • وقال المستوفى في كرم وروينز انهما مدينتان هواؤهما حار كثيرا الماء • وعلى ما ذكر المقدسي ، كانت ناحية خسو (أو خسو) توغل نحو الشرق لائنها كانت تشتمل ، الى روينج ، على مدن رستاق الرستاق وفرج وطارم • وعد المستوفى خسو من أعمال دار ابجرد^(٧) •

والى الجنوب من روينز ، المدينة الصغيرة يزد خواست ، وقد ذكر المقدسي وياقوت انها من كورة دار ابجرد • والى جنوب هذه المدينة ، مدينة لار • ولم يذكر أحد من البلدانين العرب القدماء لار ، كما لم ترد في فارس

(٦) الاصلطخرى ١٠٨ و ١٢٧ و ١٣٦ ؛ المقدسى ٤٢٣ و ٤٣١ و ٤٤٨ ؛ فارس نامه ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٨٢ ب ، ٨٣ ؛ المستوفى ١٧٥ و ١٧٩ و ١٨١ ؛ جهان نما ٢٧٢ •
(٧) ابن خرداذبه ٥٢ ؛ الاصلطخرى ١٠٨ ، ١١٦ ، ١٣٢ ؛ المقدسى ٤٢٢ و ٤٢٣ و ٤٥٤ و ٤٥٥ ؛ فارس نامه ٦٩ ب ؛ المستوفى ١٨١ •

والظاهر أن تهجئة الاسم بصورة روينج وهى ما أخذ به ناشر كتاب المقدسى ، قد استند فيها الى ياقوت (٢ : ٨٢٨) فانه ضبط تهجئة الاسم حرفا حرفا • وجاءت في مخطوطات فارس نامه والمستوفى بصورة روينز (عوضا عن روينج وهى تهجئة ترجع الى زمن أقدم) وكانت ما زالت اسم ناحية فى تلك الجهات حينذاك • وعلى هذا يتبين ان « روينج » بحسب ورودها فى المطبوع من الاصلطخرى والمقدسى قد تكون من وهم النساخ وانه بتغيير طفيف فى نقاط الحروف تقرأ روينج أو روينز بدلا من روينج وروينز •

نامه ، الذى يرقى الى مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) * وأول من تكلم على
الار من المصنفين ، المستوفى فى النصف الاول من المئة الثامنة (الرابعة عشرة)
قال ان لار اسم ولاية على البحر ، أغلب أهلها من التجار الذين يجوبون البحر
كثيرا * وكان ينمو فيها القمح والقطن والتمر * وقد زار ابن بطوطة معاصره مدينة
لار فى نحو سنة ٧٣٠ (١٣٣٠) ووصفها بقوله : « مدينة كبيرة كثيرة العيون
والمياه المطردة والبساتين ، ولها أسواق حسان » * وصارت لار فى أيام شاه شجاع
المظفرى فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ثم فى أيام الامراء التيموريين ،
مدينة لضرب النقود ، وهذا يدلنا على انها كانت حينذاك موضعا على شىء غير قليل
من الكبر والشأن *.

أما فرك ، وهى على ثلاث مراحل من جنوب شرقى دار ابجرد ، فانها ما
زالت من المدن الكبيرة * ذكر المقدسى ، وقد كتبها بصورة فرج ، ان بجانبها مدينة
برك * ويظهر ان هذين الاسمين لم يأتيا الا من اختلاف قراءة اسميهما الفارسيين
الاولين * ومدينة برك « فى هودة على فرسخين من الجبل ، والجامع على جانب
السوق ، حسن نظيف » * أما جارتها فرج فقد كان لها قلعة على تل ، وكانت فى المئة
الرابعة (العاشرة) مدينة غير كبيرة « الا ان بها جامعا وحماما » ، والماء فيهما كثير *
ومن الطبيعى ان يقع اللبس فى اسمى هاتين المدينتين فيطلق اسم احدهما على
ال اخرى * وكتب فارس نامه هذا الاسم بصورة برك وقال انه كان للمدينة قلعة
مكنية لا تقتحم مبنية بحجارة غاية فى الكبر * وزاد المستوفى على ذلك انه كان
يكثر فى برك (على ما كتب الاسم) القمح والتمر * أما رستاق الرستاق ، فقد
وصفها المقدسى بقوله « صغيرة ليس لسوقها ذاك الكبر ، الا ان رستاقها أربعة
فراسخ فى مثله » وهى على مرحلة شمال غربى فرج فى الطريق الى دار ابجرد^(٨) *
ومدينة تارم ، وتلفظ أيضا طارم ، على اسم ناحية فى إقليم الجبال (أنظر
الصفحة ٢٦٠ أعلاه) ، على مرحلتين شرق فرگ فى الطريق الى ساحل البحر *

(٨) المقدسى ٤٢٨ و ٤٥٤ الحاشية II ؛ فارس نامه ٦٩ ، I ٨٣ ؛ المستوفى ١٨١ ؛ ياقوت

٢ : ٥٦٠ ؛ ابن بطوطة ٢ : ٢٤٠ .

والظاهر ان مدينة برك ، توافق القلعة القديمة بهمن وهى ذات ثلاثة أسوار وخندق ، وكانت
على نحو من ميل جنوب مدينة فرك الحالية * أنظر : ستاك Stack فى Persia ١ : ٧٥٦ .

أشار المقدسى إليها فقال : « تارم : جامعهم ناء عن السوق ، وشربهم من شعبة نهر يدخل عليهم ، لهم بساتين ونخيل ، وبها غسل كثير » . وعلى ما فى فارس نامه ، كانت تارم تقارب فرج فى الكبر لها قلعة قوية فيها حياض للماء كثيرة . وكان طريق القوافل يخرج من طارم آخذا صوب الجنوب الى الساحل حيث ميناء سورو أو شهرو مقابل جزيرة هرمز . وقد سمي المستوفى هذا الميناء بتوسر ، الا ان قراءته غير مضبوطة . وتكلم البلدانون العرب على سورو ، فقالوا انها قرية « بها صيادون ، وليس بها منبر » . وشرب أهلها من آبار حفرت فى جبل قريب منها^(٩) . وزاد المقدسى على ذلك ان سورو « قد بدت تعمّر لان حمولات عمان إليها » وقال هى مدينة « بحرية صغيرة على رأس حد كرمان »^(١٠) .

أما تجارات وصناعات إقليم فارس فقد عني بوصفها فى المثة الرابعة (العاشرة) الاصطخرى والمقدسى . ففى هذا الزمن كانت مدينة سيراف أجل فرصة فى فارس على ساحل الخليج ، على ما قد بينا . فاليها كانت تقع أمتعة البحر وما يجلب من الهند من الاشياء النادرة والتمينة التى كان يقال لها بالعريية بر بهار . وسرد الاصطخرى ما يرد الى سيراف ، بقوله : « يقع اليها من أمتعة البحر من العود والعنبر والكافور والجواهر والخيزران والعاج والآبنوس والفلفل والصندل وسائر الطيب والادوية والتوابل » التى تحمل من الهند . ويرتفع من سيراف القوط وأزر الكتان ، وكانت سوقا كبيرة للؤلؤ .

وقد ذاع صيت فارس فى كل زمان بما يعمل فيها من العطور وماء الورد . بشتى صنوفه ، ولاسيما المعمول من الورد الاحمر وهو يكثر فى رساتيق جور أو فيروز اباد . وكان ماء الورد ، على ما ذكر ابن حوقل ، يحمل الى سائر البلدان لاسيما الى الهند والصين وخراسان والمغرب والشام ومصر . ويرتفع من جور أيضا ، الى ماء الورد ، ماء الطلع وماء القيصوم وماء الزعفران وماء السوسن وماء الخلاف . ويعمل بسابور ، على ما جاء فى المقدسى ، عشرة أدهان : « دهن بنفسج

(٩) قال المقدسى (ص ٤٢٧) : « شربهم من ماء يقبل من الجبل ، فيجتمع فى موضع ، فاذا انقطع حفروا ذلك الموضع نحو خمسة أذرع فيخرج عليهم ماء حلو » . (م) .

(١٠) الاصطخرى ١٦٧ : ابن حوقل ٢٢٤ : فارس نامه ٦٩ ا : المقدسى ٤٢٧ و ٤٢٩ : المستوفى ١٨١ و ٢٠١ .

ونينوفر ونرجس وكارده وسوسن وزنبق ومرسين ومرزنجوس وبادرنك
ونارنج » وتحمل هذه الادهان الى سائر آفاق المشرق .

وكانت لبسط فارس وثيابها الموشاة شهرة بعيدة في كل العصور . وفي
الشرق حيث كانت الثياب تدل على منزلة الشخص وعلو مقامه ، كان للسلطان في
كل بلد من فارس طراز يوشى فيه اسمه وطغراؤه . وكانت أشهر هذه الطرز
ترتفع من توتج ، وكان يرتفع كذلك من فسا أنواع من الثياب بها طراز الوشى
مذهبا ، منه ما كان أزرق كلون الطاووس وأخضر ، يعمل ذلك كله للسلطان .

أما تجارات فارس الاخرى ، فيحسن أن نصنفها بحسب المدن التي تعمل
فيها . فمن شيراز يرتفع « الاكسية البمر » كانات والمسيرات والابراد الجياد ، ويعمل بها
خز وديباج وقصب وحلل » . ويرتفع من جهرم « البسط والنخاخ والستور
والمصليات »^(١١) هذا الى الادهان التي ترتفع منها على ما ذكرنا . ويرتفع من
سابور الادهان من كل جنس وقصب السكر والاترج والجوز والزيت والفواكه
والصفصاف . ويرتفع من كازرون ودريز ثياب كتان وثياب القصب على عمل الديقى
المصرى ، والمناديل المخملة . ومن الغندجان ، قصبة دشت بارين ، البسط والستور
والمقاعد ، وبها طراز للسلطان . ويرتفع من أرتجان الدوشاب يعمل من الزيب
ويقال له أيضا الدبس . ويرتفع منها أيضا « الصابون والقوط وثياب الكندكية » .
وكان يحمل الى أرتجان ما يقال له البريهار . ويحمل من فرضة مهربان « الاسماك
والتنمر والقرب الجياد » ومن سينز « ثياب تشاكل القصب » . ويرتفع منها أيضا
الكتان وكذلك من جنابة .

ويرتفع من اصطخرالآزر^(١٢) . ومن الروذان ثياب جياد والشمشكات
(نوع من الخفاف) والقيرب . ويحمل منها التوابل . ومن يزد وأبرقوه ثياب
القطن .

(١١) جاء في تاج العروس (٢ : ٢٨٢) : « النخ : بساط طويل ، طوله أكثر من عرضه ،
وهو فارسى معرب ، وجمعه نخاخ » . والمصليات : واحدها المصلى وهو السجاد الصغير الذى يصلى
عليه . (م) .

(١٢) ما فى المقدسى (ص ٤٤٣) : الارز . (م) .

ويرتفع من دار أبجرد « كل شيء نفيس من الثياب المرتفعة والوسط والدون وما يشاكل الطبرستاني والبسط الجيدة والحصر » • ويحمل منها دهن الرازقي والطيوب والبزر الكثير • ويحمل من أرتجان ودار أبجرد المومياء على ما قد بينا • وقال الاصطخرى « ودار ابجرد سمك بالخندق الذى يحيط بالبلد ، لا شوك فيه ولا عظم ولا فقار ، وهو من ألد السموك » • ويرتفع من فُرج « الثياب والبسط والستور والدبس الجيد والبزر والكتان » • ومن طارم « الدوشاب والقرب والدلاء الحسان » • ويرتفع من فسا ثياب الشعر والقز والبسط والزلالى والفوط والمناديل والستور المذهبة المعلمة وبزر الهان والعصفر والفروش والخر كاهات^(١٣) • وأخيرا ، بفارس ، على ما ذكر ابن حوقل ، الفضة فى نائين والحديد والزئبق فى جبال اصطخر ، وكذلك فى نواح مختلفة من فارس معدن الاتك والصفر والكبريت والنفط • وليس بها ذهب^(١٤) • وبفارس أصباغ من مختلف الانواع ، فكثر فيها الصباغون وعملهم صبغ الثياب^(١٥) •

أما الطرق فى فارس ، فقد أسهبت فى وصفها جملة كبيرة من المراجع العربية والفارسية ، وذكرت مسافات هذه المسالك بالفراسخ بوجه عام • على ان ما يؤسف عليه ، ان يعقوبى ، وهو من أجل مراجعنا فى المسالك ، يفتقر كل الافتقار الى ما يتعلق بفارس منها • ولم يوفر لنا ابن رسته كثيرا فى هذا الباب • وأول الواصفين لهذه المسالك ، ابن خرداذبه وقدامة فى المئة الثالثة (التاسعة) ، ثم الاصطخرى والمقدسى فى المئة الرابعة (العاشرة) • وفى مطلع المئة السادسة عني مؤلف فارس نامه الفارسى بذكر مسالك فارس عناية فائقة ، فلم يترك منها شاردة ولا واردة • فلهذا الكتاب قيمة جليلة الشأن فى جغرافية اقليم فارس خلال تلك الحقبة ، ما أحوجنا الى مثلها لسائر بلاد ايران • وقد دون المستوفى ، فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وهو مؤلف فارسى أيضا ، ما أحدثه الفتح المغولى من

(١٣) الخركاهات واحدها الخركاه وهى الخيمة الكبيرة • فارسية معربة • (م) •

(١٤) فى ابن حوقل (٢ : ٣٠٠) : « وبها معدن ذهب » • اما الاصطخرى (ص ١٥٥) فقد قال : ولا أعرف بها معدن ذهب • (م) •

(١٥) الاصطخرى ١٥٢ - ١٥٥ : ابن حوقل ٢١٣ - ٢١٥ : المقدسى ٤٤٢ - ٤٤٣ •

التبدلات • ثمّ فى ختام هذه المثة ، أسهب علي اليزدى فى وصف زحف تيمور من الاهواز الى شيراز ، وهى تقع على طريق من أهم الطرق •
تتشعب طرق هذا الاقليم كلها من شيراز • ومن الاوفق ان نبدأ بالطرق
الذاهبة الى ساحل البحر • فان سيراى وجزيرة قيس ثم جزيرة هرمز ، وقد
أضحت كل واحدة منها بالتعاقب أهم فرضة على خليج فارس ، كانت الطرق
تؤدى اليها ، على نحو ما هى عليه اليوم طرق القوافل والبريد المنحدرة الى بوشير
التي بلغت اليوم شأو هرمز فى القديم • فأبعد هذه الطرق شرقا ، الذاهبة الى
الساحل ، كان الطريق المؤدى الى الفرضة المقابلة لجزيرة هرمز • ومنها يحاذى
الساحل ، فينتهى الى مدينة هرمز • وسنأتى فى الفصل الثانى والعشرين على
وصف هذين الموضعين • فاذا بارح الطريق شيراز ، مرّ بسروستان وفسا الى دار
ابجرد وفرج وطارم • فاذا دار الى الجنوب فانه كان يصل قديما الى مدينة سورو
أو شهرو أو على ما سماها به المستوفى توسر • ونشأ فى أيام الصفويين ، غير بعيد
منها ، بندر عباس ، وهى ما زالت قائمة ، على ما سيأتى بيانه ، وقد انتهت الينا
صفة هذا الطريق فى خمسة من مراجعنا^(١٦) •

وثانى هذه الطرق ، الطريق الآخذ من شيراز جنوبا ، وكان ينتهى فى
الآزمنة الاولى بسيراى • ولكن بعد خراب هذه الفرضة سلكت القوافل طريقا
يتفرع منه فى منتصفه فيتجه الى الجنوب الشرقى نحو الساحل • وكان هذا
الطريق الجديد ، ينتهى الى الفرضة المقابلة لجزيرة قيس ، وهو الطريق الذى
وصفه المستوفى • وذكر المقدسى أيضا طريقا مهما آخر يخرج من دار أبجرد
على طريق هرمز ، يتجه نحو الجنوب الغربى الى سيراى ، وكان يقاطع الطريق
من شيراز الى جزيرة قيس الذى وصفه المستوفى بعد هذا الزمن • وكل هذه
الطرق البادئة من شيراز كانت تمر بكوار الى جور أو فيروز اباد وكان فيها يتفرع
الطريق القديم ذات اليمين منحدرًا الى سيراى • والطريق الذى جاء ذكره فى
فارس نامه ، ينعطف فى فيروز اباد الى اليسار فيمر بكارزين الى لاغر ، ومنها

(١٦) ابن خرداذبه ٥٢ و ٥٣ ؛ الاصطخرى ١٣١ و ١٣٢ و ١٧٠ ؛ المقدسى ٤٥٤ و ٤٥٥ ؛
فارس نامه ٨٥ ؛ المستوفى ٢٠٠ •

يأتى الى كران وينتهى بسيراف . أما طريق المستوفى ، فانه اذا بارح فيروزاباد ، اتجه شرقا بضعة فراسخ ، ثم انحدر مثل طريق فارس نامه الى لاغر ، وفيها يتفرع نحو الجنوب الشرقي ونحو اليسار فيمرّ بفارياب ثم بالمفازة الى هزو وهى الفرضة المقابلة لجزيرة قيس . ولا يرى وصف هذا الطريق من لاغر الى هزو الا فى المستوفى يا للأسف . وقراءة ما جاء فى المخطوطات عن أسماء مراحل لا يركن اليها فى الغالب . والظاهر أيضا انه لم يسلك هذا الطريق أحد من السياح المحدثين . ليتسنى لنا تصويب قراءة هذه الاسماء ، فبقيت خوارطنا خالية من ذكرها . ويمر الطريق من دار ابجرد ، على ما وصفه المقدسى ، بجويم أبى أحمد الى فارياب . أو باراب ، وهى مرحلة فى طريق المستوفى ، ثم الى كران فى طريق فارس نامه . ومنها ينتهى بسيراف (١٧) .

والطريق الغربى الذاهب الى الساحل ، كان يسلك فى قسمه الاعلى ، الطريق الحالى من شيراز الى بوشير ، فكان يمرّ بكازرون ودريز الى توج ، المدينة التجارية الجبلية فى المئة الرابعة (العاشرة) ، ومنها الى فرضة جنّابة . وجاء فى فارس نامه وصف طريق آخر ذى شأن مغاير لهذا الطريق ، وهو المار بأرض ماصرم الى جره ومنها الى توج مارا بالغندجان ، وعند الغندجان كان يتفرع منه فرع ينحدر جنوبا الى فرضة نجيرم ، وهى على مسافة قليلة من غرب سيراف . ولم يشر غير المستوفى الى الطريق الذاهب الى الغرب من شيراز حتى كازرون . وكانت توج فى أيامه قد خربت . وأول فرضة على خليج فارس حينذاك كانت جزيرة قيس (١٨) .

وأوفى طرق فارس وصفا ، الطريق الذاهب من شيراز باتجاه الشمال الغربى الى أرتجان وخوزستان . فقد انتهى الينا عن هذا الطريق ما لا يقل عن الثمانية أوصاف . وان اختلفت فى ذكر بعض المراحل . وآخر وصف منها ، لعلي اليزدى ، فقد وصف مسير تيمور فى سنة ٧٩٥ (١٣٩٣) من الاهواز الى

(١٧) الاصلطخرى ١٢٨ و ١٢٩ ؛ المقدسى ٤٥٤ و ٤٥٥ ؛ فارس نامه ٨٦ ا - ب ؛ المستوفى ٢٠٠ وانظر صفحة ٢٩٣ الحاشية ١٨ من كتابنا هذا .

(١٨) الاصلطخرى ١٣٠ ؛ المقدسى ٤٥٣ و ٤٥٤ ؛ فارس نامه ٨٦ ا ؛ المستوفى ٢٠٠ -

شيراز مارا ببهبهان ، حين هاجم فى طريقه قلعة سفيد • فجاء وصفه هذا الطريق منتهيا بشيراز بخلاف من سبقه • وكان الطريق من شيراز الى خوزستان ، على ما جاء وصفه فى كتب المسالك ، يتجه نحو الشمال الغربى مارا بجويم الى النوبنجان ، ومنها مارا بكنبد ملغان الى أرتجان ، ثم يقطع نهر طاب على قنطرته العظيمة فينتهى الى بستانك على حد فارس • وقد ذكر المقدسى والبلدانيون الاولون المسافات من أرتجان الى فرضة مهران ، ومنها نحو الجنوب الشرقى بمحاذاة الساحل الى فرضة سينز ، ثم الى جنتابه^(١٩) •

وكان فى القرون الوسطى ، ثلاثة طرق منفصل بعضها عن بعض ، من شيراز الى اصفهان • وأبعد هذه الطرق غربا ، الطريق الآخذ يمينا من طريق أرتجان عند جويم • وقد كان هذا الطريق يذهب الى البيضاء فى سهل مرو دشت ، ثم يمر بكورد وكلاّر الى سميرم واصفهان • وقد وصف هذا الطريق ابن خرداذبه والمقدسى • أما الطريق الاوسط ، فهو الطريق الصيفى المار بالبلاد الجبلية • وقد كان يذهب من شيراز الى مائين ، ومنها يمرّ بكوشك زرد وديه گردو ، ويخترق يزدخواست الى أصفهان • وقد وصف هذا الطريق ، شىء من الاختلاف فى أسماء المراحل ، البلدانيون العرب الاولون ، وكذلك المصنفون الفرس المتأخرون أما أبعد هذه الطرق الثلاثة شرقا ، فهو الطريق الشتوى أو طريق القوافل الذى يقطع السهول • وكان يخرج من شيراز ميمماً ناحية الشمال الشرقى الى اصطخر ، ومنها الى ديه بيد • وفى هذا الموضع كان يخرج من يمينه طريق يمرّ بأبرقوه الى يزد • أما الطريق الى أصفهان ، فكان ينعطف الى اليسار • فيمر بسرمق وقرية اباده ، ثم يلتقى بالطريق الصيفى فى يزد خواست ، الى قومشه وينتهى بأصفهان • وقد وصف هذا الطريق الشتوى ، وهو طريق البريد الحالى من شيراز الى اصفهان ، المقدسى وفارس نامه • وسردت جميع المصادر تقريباً أسماء ما فيه من مراحل الى يزد^(٢٠) •

(١٩) ابن خرداذبه ٤٣ : ٤٤ : قدامة ١٩٥ : ابن رسته ١٨٩ و ١٩٠ : الاصطخرى ١٣٣ و ١٣٤ : المقدسى ٤٥٣ و ٤٥٥ : فارس نامه ٨٥ ب : المستوفى ٢٠١ : على اليزدى ١ : ٦٠٠ •
(٢٠) عن الطريق الغربى ، أنظر : ابن خرداذبه ٥٨ : المقدسى ٤٥٧ و ٤٥٨ • وعن الطريق الصيفى

والطرق من شيراز الى شهر بابك ومنها الى السيرجان احدى قصبات
كرمان ، كانت تسلك مسلكين . الاول : فى شمال بحيرة البختكان . والثانى
بمحاذاة ساحل البحيرة الجنوبي . فالطريق الشمالى كان يخرج أولا من شيراز
الى اصطخر (پرسپولیس) ومن اصطخر الى شهر بابك طريقان : الاول كان يمر
بقريّة هراة ، والآخر بمدينة اباده الى صاهك حيث يلتقى بالطريق المحاذى
لساحل البحيرة الجنوبي . أما هذا الطريق الجنوبي ، فقد كان اذا بارح شيراز ،
يتجه الى ناحية الشرق فى الجانب الشمالى لبحيرة ماهلو الى خرّمة . ثم يصل خيرة
من جنوب بحيرة البختكان . وقد ذكر فارس نامه مسافات طريق فرعى من خيرة
الى نيريز وقطره . أما الطريق الكبير فكان يذهب من خيرة الى صاهك الكبرى
حيث يلتقى بالطريق الآتى من اصطخر بمحاذاة ساحل البحر الشمالى ، على ما قد
بيّنا . ومن صاهك الكبرى ، كان يقطع طريقا صحراويا باتجاه الشمال الشرقى
الى شهر بابك . وقد ذكرت المراجع العربية والفارسية وصفا كاملا لهذه المسالك
التى فى شمال بحيرة البختكان وفى جنوبها . غير ان أسماء بعض المراحل التى
تتوسطها لا يركن الى صحة قراءتها ، نعني بذلك أسماء القرى التى لم يبق لها
أثر اليوم ، اذ ان جميع هذه البقاع قد أجذبت وأمحلت وخلت من سكانها منذ
نهاية القرون الوسطى (٢١) .

أو الجبل : قدامة ١٩٦ و ١٩٧ ؛ الاصطخرى ١٣٢ و ١٣٣ ؛ المقدسى ٤٥٨ ؛ فارس نامه ٨٣ ب ؛
المستوفى ٢٠٠ . وعن الطريق الشتوى : المقدسى ٤٥٨ ؛ فارس نامه ٨٤ ب . وعن طريق يزد : ابن
خرداذبه ٥١ ؛ الاصطخرى ١٢٩ ؛ المقدسى ٤٥٧ ؛ فارس نامه ٨٦ ب ؛ المستوفى ٢٠١ .

(٢١) عن الطريق المار بهراة : المقدسى ٤٥٥ و ٤٥٦ و ٤٥٧ . عن الطريق المار باباده وشمال
البحيرة : ابن خرداذبه ٥٣ ؛ قدامة ١٩٥ ؛ الاصطخرى ١٣٠ و ١٣١ ؛ فارس نامه ٨٤ ب . عن الطريق
المار بخيرة وجنوب البحيرة : ابن خرداذبه ٤٨ ؛ المقدسى ٤٥٥ ؛ فارس نامه ٨٥ أ ؛ المستوفى ٢٠١ .
عن الطرق الملتقية فى السيرجان والآتية من فارس ، أنظر : الفصل القادم ، والفصل الثانى
والعشرين .

الفصل الحادي والعشرون

كرمان

كور كرمين الخمس - قصبتا الاقليم - القصبة الاولى : السيرجان ،
موضعها وتاريخها - القصبة الثانية : بردسير ، وهي مدينة
كرمان اليوم - ماهان ووليها - خبيص - زرنند
Cobinan وكوه بنان وهي كوبنان
لدى ماركو بولو .

اقليم كرمين ، على ما ذكر الاصطخرى ، أكثره من بلاد الجروم ، ونحو من
ربعه فقط جبلى يؤتى غلات بلاد الصرود . فان معظم الاقليم فى المفازة العظمى .
« وفى أضعاف مدنه مفاوز كثيرة ، وليس اتصال عماراتها مثل اتصال عمارات فارس » .
وقال ياقوت « قد كانت [أى بلاد كرمين] فى أيام السلجوقية من أعمر البلدان
وأطيبها » . ثم حين كتب فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) كانت « قد تشعنت بقاعها
واستوحشت معاملها وخربت أكثر بلادها » . وأخيرا استولى عليها الخراب وتمكن
منها الدمار من جراء غزو تيمور لها فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) .

وجعل المقدسى فى المئة الرابعة (العاشرة) اقليم كرمين خمس كور ، كل
كورة باسم قصبتها ، وهى : (١) بردسير ، ولها ناحية خبيص فى شمالها . ثم
(٢) السيرجان ، على حد فارس . ثم (٣) بَم . و (٤) نرماسير وهى على سفير المفازة
شرقا . وأخيرا (٥) جيرفت وهى تتاخم ساحل بحر هرمز . وكان الحد فى الشمال

والشرق : المفازة الكبرى • وفي الجنوب الغربي : البحر • ولها في غرب كرمان « في حد السرجان ، دخلة في حد فارس ، مثل الكم ، حسب وصف الاصطخري لها • وكانت شهر بابك ، على ما روته بعض الاخبار القديمة ، تعد من اقليم كرمان (١) » .

وقصبة الاقليم الحالية ، مدينة كرمان • وهذا الاقليم وقصبته يعرفان باسم واحد على ما هو جار في بلاد الشرق غالبا • ومع ذلك ، فقد كان لاقليم كرمان في القرون الوسطى قصبتان ، هما : السرجان وبردسير • وتوافق المدينة الاخيرة مدينة كرمان الحالية القائمة قرب الناحية التي ما زالت تعرف بناحية بردسير •

أما السرجان قصبة كرمان الاسلامية القديمة ، فانها كانت أجل مدينة في أيام بني ساسان • وكتب البلدانون العرب اسمها بصورة السرجان والشيرجان (معرفة بأل) • ومع انه لم يبق اليوم مدينة بهذا الاسم ، الا ان ناحية السرجان ما زالت تؤلف القسم الغربي من ولاية كرمان وأجل مدنها سعيد آباد • وما الخرائب التي اكتشفت حديثا في قلعة سنك (٢) الجائمة على سن جبل ، على خمسة فراسخ شرق سعيد اباد في طريق بافت ، إلا موضع السرجان القصبة القديمة على ما يبين • اذ يستدل بحالها أنها أطلال مدينة عظيمة • وتدل مسافات المسالك في القرون الوسطى ، على ان موضع هذه الخرائب هو حيث كانت مدينة السرجان • ومع ان ناحية السرجان الحالية لا تؤلف الا جزءا فقط من الكورة القديمة ، فانها قد احتفظت بالاسم القديم • ظلت السرجان بعد الفتح العربي ، قصبة الاقليم الاسلامي حتى أواسط المئة الرابعة (العاشرة) ، حين صارت ايران الجنوبية كلها تحت سلطان بني بويه • فانهم عينوا على كرمان عاملا اسمه ابن الياس • فنقل هذا العامل ، لسبب غير معروف ، مقامه الى بردسير (مدينة كرمان الحالية) ثم

(١) الاصطخري ١٥٨ و ١٦٣ و ١٦٥ : المقدسي ٤٦٠ و ٤٦١ : ياقوت ٤ : ٢٦٣ •

(٢) تقوم قلعة سنك ، وتسمى أيضا القلعة البيضاء ، على جبل من حجارة الكلس ، يعلو نحو من ثلاثمائة قدم عن السهل ، بيض الشكل ، طوله نحو من ٤٠٠ يارد • وما زال يحيط بالاطلال سور خفيض من اللبن • يقوم على أسس أقدم زمنا • وأول من زارها مستكشفا الميجر سايكس في سنة ١٩٠٠ وأسهب في وصف هذه الخرائب في الصفحة ٤٣١ من كتابه Ten Thousand Miles in Persia المطبوع في لندن سنة ١٩٠٢ •

بانتقال دواوين الحكومة من السيرجان اليها ، سقطت منزلة السيرجان وقل شأنها . ومع ذلك ، فقد ظلت السيرجان حين كتب الاصطخرى « أكبر مدينة بكرمان ، وأبنيتها آزاج لقلة الخشب بها » على ما ذكر . اما المقدسى فقد قال ان السيرجان كانت فى أيام بنى بويه « أبهى وأوسع من شيراز ، ولها سوقان : عتيق وجديد . والاموال كثيرة جمعة . وبها خصائص وصناعة ، وشوارع فرجة ، ودور حسنة ، بها بساتين . ولها ثمانية دروب » (وقد سرد المقدسى أسماءها ، ولكن قراءة بعضها فى المخطوطات لا يركن اليها) . وبني عضد الدولة البويهى على باب حكيم ، دارا حسنة وكان مسجدها الجامع بين السوق العتيق والسوق الجديد ، أقام منارته عضد الدولة . ومياه البلد من قناتين شقهما عمرو وظاهر ابنا لىث الصفار فى المئة الثالثة (التاسعة) .

أما ياقوت ، وقد كتب فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) فقد قال ان السيرجان فى أيامه ثمانية مدن كرمان « وهى خمسة وأربعون منبرا كبارا وصغارا » وقد نص على ان مدينة السيرجان ، « كانت تسمى القصرين » ولم يوضح لم سميت بذلك . وورد فى تاريخ ابن الاثير وميرخواند اسم السيرجان غير مرة فى الكلام على بنى بويه والسلاجقة . وقال المستوفى فيها بعد الفتح المغولى ، ان لها قلعة حصينة ، وارضها خصبة ، كثيرة القطن والقمح . ثم انتقلت السيرجان الى أيدي الامراء المظفرين الذين قامت دولتهم فى شيراز وحكموا فارس ، وفى مطلع المئة الثامنة (الرابعة عشرة) قهروا دولة قراختاي ، فدانت لهم كرمان كلها . وفى سنة ٧٨٩ (١٣٨٧) زحف تيمور الى فارس وحشد قواته ازاء شيراز فانتقاد له الامراء المظفريون طائعين . ثم انه لما غادر فارس لفتح العراق ، جعل منهم فيها حكاما تابعين له . فلما خلا لهم الجوى وتمكنوا من الامر ، تمرّدوا وخلعوا طاعته ، فما كان من تيمور الا أن أعاد الكرة على فارس فى سنة ٧٩٥ (١٣٩٣) وتغلب على القوات المظفرية بعد وقعة حامية ، وولى ابنه الامير عمر شيخ على فارس وكرمان .

على ان كثيرا من النواحي ، لا سيما نواحي كرمان ، أبت ان تستكين لتيمور وثبت گودرز والى السيرجان على الحكم فيها باسم آل مظفر . واضطر الامير عمر

شيخ أخيرا الى ان يوجه جيشا لمحاصرة هذا الحصن المنيع . وكانت قلعة السيرجان قد جددت حصونها منذ عهد قريب ، على ما ذكر علي اليزدى ، فكانت مكنية الجوانب يرتد عنها من هاجمها ، فمضت سنة على حصارها وهي ثابتة لا تززعها الشدائد . فما كان من عمر شيخ الا ان قصد السيرجان بنفسه ليحسم أمرها . على انه ، وهو يتأهب لذلك ، استدعاه أبوه . ولكن المنية ادركته حين كان يجتاز كردستان للتحاق بتمور في معسكره الذي ضربه أمام آمد في الجزيرة . وكان ذلك في سنة ٧٩٦ (١٣٩٤) . وظلت السيرجان مقاومة سنتين فاستسلم مقاتلتها بعد ذلك لما لحقهم من جوع لا من غلبة القوة عليهم . وأخيرا لما اضطر گودرز الى التسليم . أمر تيمور بقتله هو ومن بقى من رجاله القلائل ، غدرا ليكونوا عبرة لمن اعتبر في هذا الاقليم . وترك السيرجان قاعا صفصفا . وقد تكلم حافظ أبرو على السيرجان ، مع انه كتب في عهد من جاء بعد تيمور ، قال انها المدينة الثانية في كرمان (تلى بردسير) لها قلعة حصينة تتوج صخرة عالية . ثم خفى اسم السيرجان بعد هذا الزمن من التاريخ ولم يعرف موضعها الصحيح الا حديثا في أطلال قلعة سنك على ما قد بينا (٣) .

بيننا آنفا ، ان قصبة الاقليم الحالية مدينة كرمان . وهذه المدينة ، وان لم

(٣) الاصطخرى ١٦٦ : المقدسى ٤٦٤ و ٤٧٠ : ياقوت ٤ : ١٠٦ و ٢٦٥ : المستوفى ١٨٢ : حافظ أبرو ١٤٠ : علي اليزدى ١ : ٦١٨ و ٦٦٧ و ٧٨٤ : ميرخواند القسم الرابع ص ١٧٠ : القسم السادس ٤٨ و ٦٩ .

ذكر البلدانون العرب موضع السيرجان بالمراحل من امكنة مختلفة معروفة . وهم غالبا ما ذكروا المراحل بما يساويها بالفراسخ . ولكن مما يؤسف عليه ان وصف المسالك في كرمان يفتقر الى ما في كل طريق من مراحل مع وصف المدن التي تمر بها (بخلاف ما ذكروه عن مسالك اقليم الجبال وفارس) . ومع ذلك فانتنا نلخص فيما يأتى المسافات التي ذكروها ، وهي تجمع على ان موضع قلعة سنك هو مدينة السيرجان . فمن شهر بابك في الشمال الغربى حيث تجتمع الطرق الآتية من شيراز واصطخر الى السيرجان ٢٤ أو ٣٢ فرسخا بحسب اختلاف الطرق . وكانت السيرجان على ٢٨ الى ٤٦ فرسخا أى ثلاث مراحل طويلة من صاهك الكبرى . ومن رستاق الرستاق (وهي على مرحلة يوم قصيرة من شمال غربى فرج) كانت السيرجان على أربع مراحل ، وكانت تبعد عن نيريز خمس مراحل ونصف مرحلة . وكان الطريق الذهاب الى الشرق والى الجنوب الشرقى من السيرجان الى جيرفت يقدر بست مراحل أى ٥٤ فرسخا . وكان الى راين خمس مراحل والى سروسستان (فى الجنوب الشرقى من راين) ٤٥ أو ٤٧ فرسخا . وأخيرا كانت المسافة من السيرجان الى ماهان ثلاث مراحل، والى بردسير (مدينة كرمان) مرحلتين . اما المراجع عن هذه المسافات ، فهي : ابن خردادبه ٤٨ و ٤٩ و ٥٣ : قدامة ١٩٥ و ١٩٦ : ابن الفقيه ٢٠٦ و ٢٠٨ : الاصطخرى ١٣١ و ١٣٥ و ١٦٨ و ١٦٩ : المقدسى ٤٥٥ و ٤٦٤ و ٤٧٣ .

تكن القصة الاسلامية الاولى ، الا انها كانت على ما يظهر مدينة جلييلة منذ أيام الساسانيين . أما أصلها ، فقد قال فيه حمزة الاصفهاني ، وهو من مؤرخي المئة الرابعة (العاشرة) ، انها من بناء الملك اردشير مؤسس الدولة الساسانية ، فسماها بيه أردشير ومعناها الموضع الطيب لاردشير . فحرف العرب هذا الاسم حين تلفظهم به وقالوا بهرسير (أو بهدسير) وبردسير (أو بردشير) . أما الفرس فانهم على ما ذكر المقدسي « يسمونها بلسانهم گواشير » من ويه ارتخشير وهو اللفظ الأعرق زمنا لاسم بيه أردشير . وزاد ياقوت على ذلك أنه في أيامه كانت تسمى جواسير وجواشير ويقال گواشير . وهذه الصور كلها تقابل الاسم العربي بردسير وتستعمل بدلا منه دون تقييد^(٤) .

ومدينة بردسير هذه ، التي أصبحت قصبة إقليم کرمان الجديدة في عهد بنى بويه ، لا ريب في انها تطابق كل المطابقة مدينة کرمان الحالية ، ثبت ذلك : ما ذكرته كتب المسالك عن موضعها ، ووصف البلدان العرب لكثير من الأئمة في بردسير ، والعوارض الطبيعية فيها ، وكل ذلك ما زال موجودا يرى في مدينة کرمان . كما دعمت التواريخ العربية والفارسية ، على ما سيأتى بنا ، هذه المطابقة وعززتها . فمدينة بردسير صارت تعرف بعد المئة الرابعة (العاشرة) باسم گواشير ، وجرى على ألسنة الناس عدّهم اياها قصبة کرمان . وبمرور الزمن حل محل هذه الاسماء اسم « مدينة کرمان » أو « کرمان » فقط اختصارا . فخلع الاقليم اسمه - على ما هو الحال غالبا - على القصبة .

والمقدسي ، وقد أطل في كلامه على بردسير ، قال في بردسير حين اتخذها ولاية بنى بويه قصبة الاقليم الجديدة ، انها : قصبة ليست بالكبيرة لكنها حصينة . على جانبها قلعة كبيرة عالية فيها بساتين ، وقد حفر فيها بئر عظيمة عجيبة ، وهذه القلعة

(٤) حمزة الاصفهاني ٤٦ : المقدسي ٤٦٠ و ٤٦١ ؛ ياقوت ١ : ٥٥٥ ؛ ٢ : ٩٢٧ ؛ ٤ : ٢٦٥ . وقد وردت تهجئة الاسم احيانا بصورة « يزديشير » وليس ذلك الا من وهم النساخ جاء من اعجام الحروف في الكتابة العربية . اما اليوم ، فان بردسير يطلق على ناحية صغيرة في جنوب غربى مدينة کرمان الحالية ، وقصبتها ماينيز . وليس اليوم مدينة باسم بردسير . وانظر ص ٢٩٨ الحاشية ، من هذا الكتاب ، ان اردت مثالا آخر على ورود « به » أو « وه » على أسماء الامكنة الفارسية .

من بناء أبي علي بن الياس ، كان يصعد اليها ابن الياس على الدواب الجبلية المعتادة لصعودها ، وينام فيها كل ليلة . وعلى الباب حصن ثان وخندق ذو قناطر . وفي وسط البلد قلعة ثالثة والجامع قريبا وهو لطيف ويحرق بالبلد . وللمدينة أربعة أبواب الثلاثة الاولى منها سميت باسماء المدن التي تؤدي اليها الطرق الخارجة منها ، وهى : باب ماهان وباب خيصر وباب زرند . والرابع باب مبارك . ولعله سمى بذلك نسبة الى رجل اسمه مبارك . وزاد المقدسى على ذلك ان فى المدينة بساتين كثيرة وأكثر شربهم من آبار ، والقني تسقى بساتينهم المحيطة بها^(٥) .

ومنذ أن نقل ابن الياس ، فى أيام عضد الدولة ، دواوين الاقليم الى بردسير ، دامت هذه المدينة قصبة لكرمان ، على ما بينا ، وارتبط مصيرها بمصير الاقليم كله . فقد كان كل من حكم بلاد فارس ألحقها به على جارى العادة . وفى النصف الاول من المئة الخامسة (الحادية عشرة) ، سقط بنو بويه بقيام السلاجقة فكانوا سادة اقليم كرمان من سنة ٤٣٣ الى ٥٨٣ (١٠٤١ الى ١١٨٧) . والسيرجان وان كانت فى أيامهم من أجل مدنها ، الا ان بردسير ظلت دارا للملك . وفى تاريخ السلاجقة لابن ابراهيم جاء اسم القصبة احيانا بصورة بردسير وأحيانا بصورة گواشير ، بينما أشار ميرخواند فى فصول كتاب روضة الصفا التى تتناول هذا العصر ، الى القصبة السلجوقية باسم « مدينة كرمان » أو « كرمان » بوجه الاختصار . ولم يرد قط اسم « بردسير » عنده . وعليه فاسما بردسير وكرمان ، كانا يستعملان دون تقييد للإشارة الى موضع واحد دون غيره ، فابن الاثير مثلا ذكر فى أخبار سنة ٤٩٤ (١١٠١) اخراج ايرانشاه السلجوقى « عن مدينة بردسير التى هى مدينة كرمان »^(٦) .

(٥) المقدسى ٤٦١ .

(٦) ابن الاثير ١٠ : ٢١٩ . ولقول ابن الاثير هذا مظهر خداع ، يستشف منه الجزم بان بردسير كانت مدينة كرمان الحديثة على ان الامر وان كان صحيحا لا شك فيه من الناحيتين التاريخية والخطية ، فان هذا القول لا يصح الاخذ به كبرهان عليها ، لان « مدينة كرمان » يراد بها قصبة (أى مدينة اقليم) كرمان . فهى عبارة مبهم . وقد روى ابن الاثير فى جزء سابق من تاريخه (٣ : ١٠٠) كيف فتح العرب فى أيام عمر السيرجان وزاد على ذلك هذه الكلمات « وهى مدينة (أى قصبة)

وفى سنة ٥٨٣ (١١٨٧) اكتسحت قبائل الغز التركمانية ، اقليم كرمان ، ونهبت بردسير وخربت معظمها ، واتخذت مدينة زرنند قصبة موقفة للأقليم . وكانت قوة السلاجقة حينذاك آخذة فى الضعف والاضمحلال . وفى سنة ٦١٩ (١٢٢٢) خضعت كرمان كلها لنفوذ الدولة المعروفة بقراختاي « قراخطاي » القصيرة العمر . وقال ميرخواند ان قتل خان أول أمراء هذه الاسرة ، استولى على « مدينة كرمان » ، ويقال انه دفن فى المدرسة التى أنشأها فى حيّ يقال له ترك آباد فى ظاهر مدينة كرمان . ومن الجهة الثانية ذكر المستوفى فى تاريخ كزیده ، وابن ابراهيم فى تاريخ السلاجقة ، ان قتل خان استولى فى سنة ٦١٩ (١٢٢٢) على « مدينة بردسير » (أو گواشير على ما فى كزیده) . فأضحى بذلك أميرا على مملكة كرمان كلها . وأخيرا ، فمعاصره ياقوت ، ذكر بردسير اسما لقصبة كرمان فى هذا الزمن (أى فى المئة الثالثة عشرة للميلاد)^(٧) .

أما الفتح المغولى لایران ، فلم يؤثر فى كرمان تأثيرا محسوسا . وفى أوائل المئة الثامنة (الرابعة عشرة) تزوجت ابنة آخر أمير من أمراء قراختاي أمير فارس المظفرى الذى تولى الحكم فى اقليم كرمان تحت ظل المغول . والمستوفى ، فى كلامه على القصبة گواشير ، أى بردشير ، وصف جامعها القديم ، وقال ان زمنه یرقى الى ختام المئة الاولى للهجرة ، فى عهد الخليفة الاموى عمر الثانى المتوفى سنة ٧٢٠ للميلاد . ووصف أيضا البستان الذى أنشأه ابن الیاس عامل بنى بويه ، وكان يعرف بباغ سيرجانى أى « بستان الآتى من السيرجان » . وكان هذا البستان حين كتب ذلك فى سنة ٧٣٠ (١٣٣٠) زاهرا زاهيا . وزاد المستوفى على ذلك ، ان ابن الیاس بنى أيضا القلعة التى فوق الجبل وهى التى وصفها المقدسى على ما بیّنا . وكان فى المدينة جامع يسمى جامع تبریزى ، بناه توران شاه السلجوقى ،

كرمان . مع ان السيرجان فى الواقع ليست كرمان الحالية على ما يفهم من هذه العبارة فى اول نظرة .

قلنا : وجدنا ان ابن الاثير (١٠ : ٢١٩) ذكر تیرانشاه لا ایرانشاه فى سیاقه هذا

الخبر . (م) .

(٧) المستوفى : كزیده . الفصل الرابع ، القسم العاشر ، عهد براق حاجب : ابن ابراهيم

٤ : ٥٤ و ٢٠٠ و ٢٠١ ؛ ميرخواند : الجزء الرابع ١٠٤ و ١٠٥ و ١٢٨ و ١٢٩ ؛ ياقوت ٤ : ٢٦٥ .

والمزار المشهور المنشأ على قبر الولي شاه شجاع الكرمانى • وذكر حافظ أبرو ، وقد نشأ بعيد سلفه ، ان ترخان خاتون ابنة قنلق خان القراختائى ، ابنت فى سنة ٦٦٦ (١٢٦٨) جامعا فخما كبيرا فى كرمان الى غيره من الجوامع والمدارس ، وسنشير الى احداها عما قريب • وهذا المؤلف نفسه ، وقد كتب سنة ٨٢٠ (١٤١٧) ، أشار الى المدينة دون تفريق بين تسميتها بردسير (أو گواشير) وكرمان^(٨) •

وهذه الاوصاف التى انتهت اليها عن بردسير من مختلف مراجعنا ، من المقدسى فى المئة الرابعة (العاشرة) حتى حافظ أبرو فى أوائل المئة التاسعة (الخامسة عشرة) ، قد أشارت اشارة واضحة الى كثير من الابنية التى ما زالت قائمة ، وبعضها مشعث خرب فى مدينة كرمان الحالية • وذكر المقدسى ، على ما بينا ، القلاع الثلاث التى اشتهرت بها المدينة • وردد ابن ابراهيم غير مرة فى تاريخ السلاجقة الاشارة الى القلعة التى فوق الجبل (قلعة كوه) والقلعة العتيقة والقلعة الجديدة - وهى توافق ، على ما يتضح ، المواضع الثلاثة التى وصفها المقدسى - • أما فى كرمان الحديثة فاننا نجد أولا قلعة عتيقة تتوج جبلا قريبا منها من الشرق يقال لها اليوم قلعة دختر أى « قلعة البنت » وهى تنسب الى الملك أردشير على ما يزعمون ، ونجد ثانيا فى جنوب المدينة الشرقى ، جبلا آخر ، محكم التحصين فى الزمن القديم بأسوار وأبراج ، وقد تداعت الآن ، تعرف بقلعة أردشير • فينبغى ان تكون هى القلعة التى فى ظاهر باب المدينة • وأخيرا نجد القلعة العتيقة فى وسط البلد وكانت ولا شك حيث قصر الوالى الآن^(٩) •

أما جامع توران شاه ، وهو الذى ذكره المستوفى ، فما زال قائما يعرف بمسجد ملك • وفى كرمان أيضا بناء آخر ، يصل مدينة كرمان بالزمن الذى كانت تسمى فيه بردسير ، وهو القبة الخضراء (أو الزرقاء) العظيمة ، المسماة قبة سبز ، وقد كانت حتى وقت قريب تقوم فوق قبر ترخان خاتون ابنة قنلق خان أمير

(٨) المستوفى ١٨٢ ؛ حافظ أبرو ١٣٩ ب ، ١٤٠ •

(٩) وضع الميجر سايكس تخطيطا لمدينة كرمان (ص ١٨٨) وكتب لمحة عن مدين الحصين القديمين ص ١٩٠ من Ten Thousand Miles in Persia .

قراختاي ، على ما مرّ آنفاً • وجاء في التاريخ عن هذه الاميرة ، انها بعد وفاة أبيها ، خلعت أخاها عن العرش واصبحت مدى خمس وعشرين سنة الحاكم الحقيقي لكرمان ، تحكم باسم زوجها - ابن عم قتلخ خان - وباسم ابنها اللذين سمحت لهما بتولى العرش اسميا الواحد تلو الآخر • وروى ميرخواند انها توفيت في سنة ٦٨١ (١٢٨٢) ودفنت تحت قبة مدرسة شهر ، أي مدرسة المدينة • وفي القبة الخضراء القائمة فوق قبرها ، كتابة على الجدران تنوه بأسماء البنائين وبسنة ٦٤٠ (١٢٤٢) وهي سنة الانتهاء من عمارتها أي في أيام الحكم الاسمي لابن قتلخ خان الذي خلعت اخته ترخان خاتون فيما بعد (١٠) •

ولم يذكر البلدانيون العرب عن غيرها من المدن في ناحية بردسير الالمحات خفيفة • فلم تقم فيها مجاميع من القرى ، على ما كان الامر عليه في فارس ، وكان في أضعاف مدن كرمان مفاوز • فعلى عشرين ميلا من جنوب غربى كرمان مدينة بغين • ويليهما ، على نحو المسافة نفسها ماشيز • وهاتان المدينتان في الطريق من كرمان الى السيرجان • وليس في هذه البقعة اليوم غير هاتين المدينتين • وقد ردّد ابن ابراهيم ذكرهما في تاريخ السلاجقة في أخبار النصف الاخير من المئة الرابعة (العاشرة) • ومما يدعو الى العجب ، ان بغين وماشيز لم يذكرهما لا البلدانيون العرب الاولون ولا المستوفى ، بل ولا المصادر الفارسية التي وصفت حروب تيمور على ما يظهر • وعلى مرحلتين قصيرتين من جنوب شرقى مدينة كرمان ، مدينة ماهان ، وهي مشهورة اليوم بمزار نعمة الله الولى الصوفى ونستردامس (Nostradamus) (١١) ايران الذى ما زالت تبوّاته تُروى في تلك

(١٠) انهارت قبة سبز انهيارا كاملا بزلزال سنة ١٨٩٦ • وقد وصفها ميجر سايكس الذى نشر صورة لها تمثلها حين رآها قبل الزلزال (Persia ص ٢٦٤) • واورد ميجر سايكس أيضا وصفا لهذه القبة ص ١٩٤ ، وكذلك لجامع توران شاه ، وقد حكم من ٤٧٧ الى ٤٩٠ (١٠٨٤ - ١٠٩٧) • ابن ابراهيم ٢٨ ، ٣٤ ، ١٧٧ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ميرخواند ٤ : ١٢٩ و ١٣٠ رانظر أيضا Stack في Persia ١ : ٢٠٢ و ٢٠٤ ؛ وشندلر : Reise in Persien : Schindler في Zeitschrift der Gesellschaft für Erdkunde (برلين) ١٨٨١ ص ٣٢٩ و ٣٣٠ •

(١١) منجم مشهور ، عاش في سنة ١٥٠٣ - ١٥٦٦ م • ولد في اقليم بروفنس بفرنسة • وكان طبيب الملك شارل التاسع • (م) •

الانحاء الاسلامية من آسية • وقد توفي سنة ٨٣٤ (١٤٣١) وله من العمر نيف ومئة سنة • ويقال انه كان من أصحاب الشاعر حافظ (الشيرازى) • وفى المثة الرابعة (العاشرة) وصف المقدسى ماهان بقوله « مدينة العرب ، الجامع وسط البلد ، وفى وسطها قلعة بباب واحد يحيط بها خندق • وتسير منها مرحلة الى القصبة فى أشجار مشتبكة ومياه جارية ، شربهم من نهر » •

اما نغسيرا ، وكوغون ، وبينهما فرسخ ، ولم يبق لهما اليوم أثر على ما يظهر ، فقد كانتا جنوب ماهان على مرحلة غرب راين (وهى ما زالت قائمة) • وصف المقدسى غيرا فى المثة الرابعة (العاشرة) بقوله « صغيرة لها قرى •••• فى وسطها قلعة ، وقد بنى ابن الياس (الوالى البويهى) خارج البلد سوقا • • ولمدينة غيرا وكوغون جامع حسن ، وشرب أهلها من نهر وقنى • وعلى نحو من خمسين ميلا شرق كرمان ، فى شفير المفازة العظمى ، خيىص ، وكانت على ثلاث مراحل من ماهان • وكان مستوى المفازة خفيضا ، اذ ان المفازة هنا أكثر اطمئنانا بكثير من هضبة ايران الوسطى التى تقوم عليها مدينة كرمان • فكانت خيىص ، على ما أشار اليه الاصطخرى ، من جروم كرمان ، وبها نخل كثير • وزاد المقدسى على ذلك « عليها حصن بأربعة أبواب عامرة ، معدن الابريس ، كثيرة التوت ، شربهم من نهر ، جيدة التمور » (١٢) •

وعلى مرحلتين من شمال غربى كرمان ، مدينة زرند • وكان فى نصف الطريق بين المدينتين فى القرون الوسطى ، مدينة جنزروذ ، لم يبق لها أثر على ما يظهر • وقد وصف المقدسى جنزروذ بقوله « الجامع فى الاسواق ، كثيرة الفواكه ، ولهم نهر » يسمى نهر جنز • أما زرند فما زالت قائمة ، قال المقدسى « قد بنى ابن الياس على حافتها قلعة » وكانت زرند فى المثة الرابعة (العاشرة) كبيرة ،

(١٢) ابن ابراهيم ٦٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٢١ ؛ الاصطخرى ٢٣٤ ؛ المقدسى ٤٦٢ و ٤٦٣ ؛ كولونيل سى • اى • يت Khurasan and Sistan : G. E. Yate ص ١١ • وجد ميچر سايكس (Persia ص ٤١) فى خبيىص شاهد قبر ، فيه تاريخ ١٧٣ (٧٨٩) وكذلك بقايا بناء يظهر منه انه كان كنيسة نصرانية أو معبدا لغير المسلمين • وذكر المقدسى (ص ٤٦٠) أربع مدن فى ناحية خبيىص ، هى : نشك ، كشيد ، كوك ، وكثروا (بفتح أوله وثالثة ورابعة وسكون ثانيه) ، ولكنه لم يشر الى مواضعها • والظاهر انه لا اثر لها اليوم •

« عليها حصن بسة أبواب ، والجامع فى الميدان عند السوق » • وكان يرتفع منها نسيج يقال له البطانة ، وكانت البطانة الزرندية تحمل الى فارس والعراق فى المئة الرابعة (العاشرة) لشهرتها هناك •

وعلى خمسين ميلا شمال زرنند ، مدينة راور ، على شفير المفازة الكبرى •
والى الغرب من راور : كوبنان ، وقد زارها ماركو پولو • وصف المقدسى هاتين المدينتين وقال ان راور فى المئة الرابعة (العاشرة) كانت « أكبر من كوه بيان (كوبنان) لها حصن على رأس الحد » • وقال فى كوبنان أو كوه بيان « صغيرة ، لها بابان ، وربض فيه حمامات وخانات • والجامع على الباب ، قد التفت بها البساتين ، والجبل منها قريب » • وبالقرب منها مدينة بهاباد ، وقد كتبه المقدسى بصورة بهاوذ ، وذكره مع مدينة قواق وقال هما عامرتان ، بينهما ثلاثة فراسخ وهما من المنطقة الباردة ، كلها بساتين • وما زالت بهاباد قائمة • اما قواق فليس لها أثر فى الخارطة • وذكر ياقوت فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) ان « فيها وفى قرية أخرى يقال لها بهاباذ ، يعمل التوتيا الذى يحمل الى أقطار الدنيا » وأشار المستوفى فى المئة التالية للسابعة الى كوه بنان التى سماها معاصره ماركو پولو بمدينة « كوبنان Cobinan » وقد وصف هذا الرحالة البندقى ، التوتيا التى تصنع فيها بقوله « شىء فى غاية الصلاح للعيون » • وقد كانت التوتيا فى المئة الرابعة (العاشرة) من أهم تجارات اقليم كرمان • وقال المقدسى « التوتياء المرازبى ، وانما سمي مرازبيا لانهم يتخذون شبه أصابع من الخزف كبارا ، ثم يصبونه عليه فيلتزق به فيبقى كالمرازيب • ورأيتهم يجمعونه من الجبال وقد بنوا أكوارا عجيبة طويلة يصفونه كما يصفى الحديد » (١٣) •

(١٣) الاصلطخرى ٢٣٣ ؛ ابن حوقل ٢٢٤ و ٢٩٢ ؛ المقدسى ٤٦٢ و ٤٧٠ و ٤٩٣ ؛ ياقوت ١ : ٧٦٧ ؛ ٤ : ٣١٦ ؛ المستوفى ١٨٣ • انظر Yule, The Book of Ser Marco Polo, I, 127-130 للاطلاع على وصف عمل التوتيا • وقد شاهد ميجر سايكس (Persia ص ٢٧٢) عملها فى كوه بنان فى وقتنا فى الطريقة نفسها الموصوفة اعلاه •

ويغلب أن يصحف اسم راور الى زاور ، وهو من وهم النساخ ، وكذلك ظهر اسم كوه بنان بصورة كوهيان وكوه بيان بسبب الاعجام • وبنان الاسم الفارسى للفستق البرى ، فمعنى كوه بنان جبل الفستق •

وعلى نحو من خمسين ميلا غرب كوه بنان ، على شفير المفازة في نصف الطريق بين هذه المدينة ويزد ، تقوم بلدة بافق في وقتنا هذا • وفي اقليم كرمان مدينتان اسمهما متشابه كثيرا وهو بافق المارة الذكر ، وبافت أو بافد • وهذه الاخيرة على ثمانين ميلا جنوب مدينة كرمان وتبعد مئتي ميل عن بافق الشمالية • وهذا التشابه بين الاسمين قد ازداد لبسا بكون بافق (الشمالية) غالبا ما تلفظ اليوم بافد • ومن ثمة ، فانها تتفق اسما مع المدينة التي في جنوب ماشيز ، اذ ان من الشائع في اللغة الفارسية قلب القاف دالا أو تاء • وذكر ياقوت بلدة باسم بافد قال فيها « بلدة بكرمان ، على طريق شيراز ، من البلاد الحارة » • وذكر ابن ابراهيم في تاريخ السلاجقة ، اسمى المدينتين بافد وبافق ، ولكن لم يورد ابن ابراهيم ولا ياقوت ، وصفا يفي بتعيين مواضعهما^(١٤) •

(١٤) ياقوت ١ : ٤٧٤ ؛ أبو الفداء ٣٣٦ : ابن ابراهيم ٣١ ، ٤٣ ، ٦٧ ، ٩٠ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،
Persia : Stack ١٧٢ : ٢ : ١٣ •

الفصل الثماني والعشرون

كرمان «تممة»

كورة السيرجان - كورتا بم ونرماسير - ديكان - جرفت وقمادين : كمادى
Camadi لدى ماركوبولو - دلفريد - جبال البارز والقفص -
روذكان والمنوجان - هرمز العتيقة والجديدة وكمبرون -
تجارات اقليم كرمين - مسالكها •

تقوم كورة السيرجان - وكانت مدينة السيرجان أجل مدن هذا الاقليم، وقد كانت
قصبه اقليم كرمين القديمة التي مرّ وصفنا لها في الفصل السابق - في غرب ناحية
بردسير على حد فارس • وقد ذكر المقدسى جملة مدن في هذه الكورة لم يعد
لها أثر اليوم يا للأسف في الخارطة ، مع ان مواضعها بالنسبة الى موضع مدينة
السيرجان معروفة •

فعلى أربعة فراسخ غرب السيرجان ، عند حد اقليم فارس : مدينة يميند ،
قيل فيها في المئة الرابعة (العاشرة) « عليها حصن منيع وأبواب حديد » • وكانت
موضعا جليلا أيضا لكونه ملتقى ثلاث طرق - هي الطريق الآتى من شهر بابك
(في الشمال) والآتى من الروذان (في الشمال الشرقى) والآتى من صاهك
(في الغرب) - ومنها الى السيرجان حيث تلتقى جميعا • وصف المقدسى يميند
بأن « الجامع وسط السوق ، شربهم من قني » • ثم انه على مرحلة يوم من شرق
السيرجان ، في طريق راين ، موضع يقال له الشامات مدينة « كثيرة البساتين

والكروم ، فواكهها تحمل الى النواحي ، والجامع وسط البلد ، • ويقال لهذه البلدة أيضا قوهستان • وعلى مرحلة واحدة أيضا شرق الشامات ، بهار • وعلى مرحلة أخرى : خنثاب • وفي الموضعين الآخرين نخل كثير • ويلي خناب ، غبيرا وقد مرّ وصفها في كورة بردسير • وعلى مسيرة يومين من جنوب شرقي السيرجان ، في طريق جيرفت ، تقوم مدينة باسم يكتب اما واجب أو ناجت (وللاسم قراءات أخرى) • وقال المقدسي في واجب انها « عامرة كثيرة البساتين لهم منازل ، شربهم من قني ، الجامع في الاسواق » (١) •

أما كورة بسم (ويكتبها البلدانون العرب بتشديد الميم) ، فهي حول المدينة التي بهذا الاسم ، في الجنوب الشرقي من ماهان ، على شفير المفازة العظمى ، وعند الحد الشرقي لكرمان • وصف ابن حوقل مدينة بسم في المئة الرابعة (العاشرة) • بأنها أكبر وأصح هواء من جيرفت ، بها نخل ، ولها قلعة منيعة مشهورة • • وبمدينة بسم ثلاثة مساجد يجمعون فيها الجمعات ، فمنها مسجد للخوارج ، ومسجد جامع في الزازين ، ومسجد جامع في القلعة • • « ويعمل بسم ، ثياب من قطنهم فاخرة حسنة ، تحمل الى أباعد الديار ، ويحمل من بسم أيضا العمائم والمناديل والطبالسة » • وذكر المقدسي : « عليها حصن بأربعة أبواب : باب نرماسير ، باب كوسكان ، باب أسيكان ، باب كورجين • فيها بعض الاسواق وبقية الاسواق خارج • وفي وسط البلد نهر يجري على حافة البلد ويدخل القلعة • ومن أسواقها سوق جسر جرجان • ومن حماماتهم المذكورة ، حمام زقاق البيذ • وجبل كود منها على فرسخ ، بقربها قرية عظيمة ، أكثر ما يعمل من الثياب بها » وأشار المستوفي في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) الى قلعة بسم المنيعة وتكلم على هوائها وقال انه حار (٢) •

(١) ابن خرداذبه ٤٩ و ٥٤ : الاصطخرى ١٦٨ و ١٦٩ : المقدسي ٤٦٤ و ٤٦٥ • وجاء اسم ناجت في ابن حوقل بصورة ناجته ، وفي ابن خرداذبه : باخته وفاخته أو قاخته ، وكلها ولا شك تصحيف لبانت المدينة المارة الذكر في الفصل السابق (ص ٣٤٨) • وما زالت قائمة في نحو من الموضع الموصوف •

(٢) قد وصف قلعة بسم القديمة وهي ما زالت قائمة الى اليوم ، ميجر سايكس (انظر Persia ص ٢١٦ و ٢١٨) • واطلال المدينة التي كانت في القرون الوسطى ، ترى على ضفة النهر عند كزاران ، تبعد نحو من ميل عن الحصن •

أما راين ، فهي الى جنوب ماهان ، على نحو من سبعين ميلا شمال غربى بم .
وصفها المقدسى بقوله : « صغيرة ، الجامع وسط الاسواق ، كثيرة البساتين » .
وفى ثلث الطريق من راين الى بم ، تقوم أوارك ومهر كرد (أو مهر جرد) وهما
ملتصقتان . أما الاولى فما زالت ، وهى تلفظ اليوم : أبارك . وكانت تقوم بين
الاثنين فى المئة الرابعة (العاشرة) قلعة ، بناها ابن الياش عامل بنى بويه . وشرب
أهلها من نهر ، وبناؤهم طين . وتقوم بين أبارك وبم مدينة دهرزين وكتبها
المقدسى بصورة دارزين ، وغيره بصورة دارچين وديروزين « بها جامع حسن ،
ولهم منازة وبساتين ومزارع ، وشربهم من نهر » (٣) .

اما كورة نرماسير (وبالفارسية نرماشير) ، فانها جنوب شرقى بم ، على
شفير المفازة . وتقوم قصبته مدينة نرماسير فى نصف الطريق بين بم والفهرج ،
وما زالت الفهرج قائمة . وكانت نرماسير فى المئة الرابعة (العاشرة) ، مدينة
جليلة الشأن ، نوه المقدسى بقصورها الحسنة الانيقة وكثرة أهلها . وبها تجار من
خراسان ، لهم تجارة مع عمان « وعليها طريق حاج سجستان ، ومنها ينقل
البهر بهار » . وكانت نرماسير فى المئة الرابعة (العاشرة) أصغر من السرجان
« عليها حصن بأربعة أبواب : باب بم ، باب صوركون ، باب المصلى ، باب كوشك .
والجامع وسط الاسواق ، يصعد اليه بعشر درجات من الآجر ، به منارة ليس لها
فى الاقليم من نظير . وثم قلعة يقال لها كوش وران (ولم يفسر هذا الاسم) ،
وعلى باب بم ثلاثة حصون يعرفن بالاخوات . يحدهن بالبلد البساتين والنخيل » .
ولا أتر اليوم فى الخارطة لمدينة نرماسير . ولكن الاطلال المعروف موضعها باسم
جكك اباد « أى مدينة العصفور » القائمة على يمين النهر البطىء الذى يدور فى
سهل نرماسير ، ينبغى أن تكون هى بقايا مدينة القرون الوسطى العظيمة . وهذا
الموضع اليوم فى قفر بلقع وان كان المستوفى حتى المئة الثامنة (الرابعة عشرة)
قد أشار الى نرماسير بانها بلدة آهلة .

وعلى عشرين ميلا من جنوب الفهرج ، مدينة ريكان (وتكتب أيضا ريقان

(٣) ابن حوقل ٢٢٣ و ٢٢٤ : المقدسى ٤٦٥ و ٤٦٦ و ٤٧٠ : المستوفى ١٨٢ : ياقوت ٤ : ٧٠٠ .
وقد وصف ميجر سايكس أبارك ودارزين . انظر : Persia ص ٢١٤ .

أو ريغان) • ذكر المقدسي ان لها حصنا « والجامع على بابها ، كثيرة النخيل والبساتين » • وأشار المستوفى اليها ، فقال هي بلد في غاية الحر ، يكثر فيها النخيل والقمح • وبين ريغان وبم ، مدينة كرك ، وقد جمع المقدسي بينها وبين جارتها باهر (ولا يلتبس هذا الاسم باسم بهار في السيرجان أنظر ص ٣٤٩) • وقد كانت هاتان المدينتان في المئة الرابعة (العاشرة) « عامرتين لهما بساتين ونخيل » • وكانت مدينة نسا من كورة نرماسير أيضا ، ولكن موضعها غير معروف كان (لها بساتين ، في سهلة ، والجامع في الاسواق ، شربهم من نهر » (٤) •

وقد كان جميع النصف الجنوبي من اقليم كرمان حتى ساحل البحر ، تحتويه كورة جيرفت (أو جيرفت) • وكانت جيرفت في القرون الوسطى مدينة جليلة الشأن ، يتخللها نهر ، لم يسم البلدانون العرب غيره في هذا الاقليم • وتعرف خرائب جيرفت اليوم (وقد بقى هذا الاسم اليوم على ناحية جيرفت فقط) بشهر دقيانوس (أى مدينة الملك Decius) الذى يضرب المثل بطغيانه في الشرق وفي أيامه دخل أهل الكهف السبعة كهفهم على ما في القرآن (السورة ١٨ الآية ٨ ؛ وأنظر صفحة ١٨٨ أعلاه) وقد أضحت قصة أهل الكهف من الاقاصيص الشعبية • ويمر بالقرب من هذه الخرائب ، نهر يقال له خليل رود (أو خليل رود) وهو الذى سماه البلدانون العرب والفرس بـ « ديو رود » (أى نهر ابليس) لشدة جريه • وهو أحد روافد بم پور ، ويصب شرق الهامون أى المناقع •

وفي المئة الرابعة (العاشرة) ، وصف ابن حوقل جيرفت فقال « مدينة طولها نحو من ميلين ، وهى متجر خراسان وسجستان ، ويجتمع فيها ما يكون فى الصرود والجروم » • « وترتفع من نواحي جيرفت النيل الكثير والكمون ولهم فانيد ودوشاب » (٥) • وبقرى جيرفت ناحية تعرف بالميزان (وفي الاصطخرى : الميجان) عامرة بالبساتين والقرى ، يكثر فيها الرطب والجوز والاترج • والثلوج

(٤) ابن خرداذبه ٤٩ : المقدسي ٤٦٣ ، ٤٦٤ • فى الطبعة الحجرية للمستوفى ، (ص ١٨٢) اقرا « نرماسير » بدل « ماشيز » وذلك استنادا الى أحسن المخطوطات المؤيدة بنص جهان نما التركية (ص ٢٥٧) • وأنظر عن جكك آباد سايكس : Persia ص ٢٢٠ •
(٥) الفانيد : السكر •

تحمل إليها من الجبال القريبة • وماؤها من نهر يعرف بـ « ديو روز » له وجبة ،
 وجرى سريع يجرى على الصخور ، وفيه ماء بالتقدير يدير خمسين رحى •
 ومن شعب درفارد القريب من جيرفت ميرتها وفيه ، على ما جاء فى المقدسى ،
 البطيخ الحلو والرجس الذى يعمل منه الطيب المشهور • وعلى المدينة حصن
 بأربعة أبواب ، هى : باب شاپور (سابور) ، باب بم ، باب السيرجان ، باب المصلى •
 « والجامع على طرف عند باب بم من آجر وجص ، بعيد عن الاسواق » • وزاد
 المقدسى على ذلك قوله « هى أكبر من اصطخر ، بناؤهم طين ، أساسه حجر » •
 وقال ياقوت ، ان ولاية جيرفت خصبة كثيرة الخيرات يقال لها جردوس •
 وأشار المستوفى الى الغابات المكتظة بالسباع ، التى كانت تحيط بالمدينة قبلا •
 أما فى أيامه ، فقد نشأت فى موضعها بساتين النخيل • وكثيرا ما أشار ابن ابراهيم
 فى تاريخ السلاجقة الى قمادين فى المئة السادسة (الثانية عشرة) بقوله انه موضع
 عند باب جيرفت ، وفيه يختزن تجار بلاد الروم والهند سلعمهم وحيث يجتمع
 المسافرون بحرا وبراً • وذكر فى مكان آخر ان السلع الفاخرة النفيسة الآتية
 من الصين وبلاد ما وراء النهر وخطاي ومن هندستان وخراسان ومن الزنجبار والحشة
 ومصر ومن الروم وأرمينية والعراق والجزيرة واذريجان ، كان كلها يباع فى
 أسواق قمادين • وقمادين الفارسية هى الموضع الذى ذكره ماركو پولو باسم
 Camadi أو مدينة كمادى • وقد كانت قبلا موضعا عظيما جليلا • ولكن حين
 زارها ماركو پولو كانت حقيرة من جراء ما لحقها من غارات التتر المتعاقبة • وهذا
 يفسر لنا سبب اختفاء جيرفت وقمادين من التاريخ بعد ختام المئة السابعة (الثالثة
 عشرة) وخلو الخارطة من اسميهما • وكان حول جيرفت ناحية الروذبار التى
 ذكرها البلدانيسون العرب وجاءت عند ماركو پولو باسم Reobarles
 ريوبارلس (٦) •

(٦) عن اطلال شهردقيانوس وهى على يمين نهر خليل روز ، على مسافة قصيرة من غرب
 سرجاز ، انظر : Keith Abbott فى JRGS لسنة ١٨٥٥ • ص ٤٧ وسايكس :
 Persia ص ٢٦٧ : الاصطخرى ١٦٦ : ابن حوقل ٢٢٢ : المقدسى ٤٦٦ ، ٤٧٠ : ياقوت
 ٥٧ : المستوفى ١٨٢ : ابن ابراهيم ٤٨ ، ٤٩ ، ٨٣ : شندلر : JRAS لسنة ١٨٩٨ ص ٤٣ • و
 (Yule) The Book of Ser Marco Polo ١ : ٩٨ •

وعلى مرحلة من شمال شرقي جيرفت وفي نصف الطريق الى دارجين ، بلدة هرمز الملك (وقد سميت بذلك تمييزا لها عن فرضة هرمز) وكان يقال لها أيضا قرية الجوز . وهى على ما جاء فى الادريسي - ولكن غير واضح من أين استقى روايته - مدينة قديمة أسسها الملك هرمز الساساني فى المئة الثالثة للميلاد ، وكانت قصبة اقليم كرمان . وظلت على ذلك حتى خرابها ، فنقلت دواوين الدولة الى السيرجان ، فظلت هذه المدينة قصبة الاقليم فى الدور الساساني الاخير . وقد أشار المقدسي وغيره من البلدانين الاولين الى موضع هرمز الملك ، غير انهم لم يذكروا شيئا عنها . وزاد الادريسي ان هرمز هذه كانت فى أيامه (أو على أكثر احتمال فى أيام المؤلف المجهول الذى استقى منه روايته) مدينة أنيقة لطيفة على صغرها . أهلها أخلاط ، يكثر فيها الماء وأسواقها عامرة حسنة . وكانت تبعد ، على قوله ، مرحلة من بم (٧) .

وعلى مرحلة يوم شمال خرائب جيرفت ، دلفريد ، وقد سماها المقدسي درفاني ، وابن حوقل درفارد . وهى فى شعب خصب تجتمع فيه فواكه الصرود والجروم على ما بينا ومنه ميرة جيرفت . وعلى مرحلة أخرى من شمال غربى دلفريد ، جبل المعادن حيث الفضة . وتكثر بوجه خاص فى واد فى جبل الفضة (٨) .

والى شرق جيرفت ، جبل البارز ، وكان فى المئة الرابعة (العاشرة) تكسوه غابات كثيفة . واليه التجأ المجوس المطاردون فى أيام الفتح الاسلامى الاول تخلصا من الجيش الذى جرده عليهم خلفاء بنى أمية ، ولم يخضع هذه البلاد للإسلام الا بنو الصفار . واشتهرت بعد ذلك بمعادن حديد . وأقرب منها الى ساحل البحر ، فى جنوب شرقي جيرفت ، بلاد جبل القفص . كان بها فى المئة الرابعة

(٧) الاصطخرى ١٦١ و ١٦٩ ؛ ابن حوقل ٢١٩ و ٢٢٥ ؛ المقدسي ٤٧٣ ؛ الادريسي (طبعة جوبرت) ١ : ٤٢٣ ومخطوطتا باريس : الرقم ٢٢٢١ عربيات ، الورقة ١٥٧ ب ، والرقم ٢٢٢٢ ، الورقة ١١٠٤ ؛ ياقوت ٢ : ١٥٦ .

وقد طابق ميجر سايكس (Persia ص ٤٤٤) بين هرمز الملك (ولا وجود لها الآن بهذا الاسم) وبين Carmana omnium mater لدى أميانس مرشليينوس .

(٨) الاصطخرى ١٦٥ . وقد كتب الاسم بصورة درباى ، ولعل ذلك من وهم النسخ . ابن حوقل ٢٢١ و ٢٢٢ ؛ المقدسي ٤٦٧ و ٤٧١ ؛ أبو الفداء ٣٣٥ .

(العاشرة) قبائل جبلية ، وفي شرقيها البلوص (أو البلوج) وكانوا يتنقلون عند تخومها الشرقية أمام الحدود السفلى للمفازة الكبرى • وسيأتى الكلام على أجيال القفص من اللصوص عند وصفنا المفازة الكبرى • وكان يقال لقسم من هذه البلاد البعيدة : الخواش ، نسبة الى قبائل يعرفون بالاخواش • وهم أصحاب ابل ومراع وكانوا فى شعب شديد الحر يكثر فيه قصب السكر ويحمل الى سجستان وخراسان • وهذه الرقعة الجبلية هى التى تفصل بين الطرف الجنوبى للمفازة الكبرى ومكران • وقد كانت هذه المرتفعات سبعة أجبل ، ولكل جبل رئيس منهم ، وقد حمل عليهم عضد الدولة البويهى فى المئة الرابعة (العاشرة) لاختضاعهم • وهم « رجالة لا دواب لهم » • « وهم صنف من الاكراد كانوا أصحاب نعم وبيوت شعر مثل البادية » ، لا مدن لهم • وفى الاقسام السفلى من بلادهم نخل كثير^(٩) •

وعلى خمسين ميلا جنوب غربى جيرفت ، مدينة «كلاشكرد» وقد كتبها المقدسى بصورة ولاشجرد وقال فيها : « عليها حصن ولها قهندز يسمونه كوشه ، شربهم من قنى ذات بساتين » • ومغون « كثيرة البساتين والنارنج ، وهى من معادن النيل ، شربهم من قنى » وهى على مرحلة شمال ولاشجرد نحو جيرفت ، ولعل خرائبها هى ما يعرف اليوم باسم فرياب أو يرياب^(١٠) • وعلى خمسين ميلا من جنوب ولاشجرد المدينة الجبلية منوقان ، ويقال لها اليوم منوجان • قال فيها المقدسى « هى بصرة كرمان » اشارة الى مكائنها التجارية • وهى جانبان ، بينهما واد يابس يقال له كلان ويعرف أحد جانبيها باسم كونين والآخر زامان ، بينهما قلعة [ما زالت قائمة] وجامع يسمى جامع سيان • وعلى مرحلة منها ، فى رملة قريبة من البحر ، مدينة درهقان ، ولا أثر لها اليوم على ما يبدو • وكان الجامع وسط البلد ، ولها بساتين فيها نيل ، وشربهم من قنى •

(٩) الخواش اليوم ، قصبة سرهد ، وهى ناحية جبلية وصفها ميجر سايكس Persia ص ١٣٠ و (٣٥٣) • وتقوم فى شرق نرماشير • الاصلطخرى ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٨ : ابن حوقل ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ : المقدسى ٤٧١ : ياقوت ٤ : ١٤٨ • وينبغى ان يقرأ فيه : البارز بدلا من القارن •
(١٠) وقد اشار ميجر سايكس (Persia ص ٢٦٩) الى فرياب بقوله كانت حينما ما مدينة عظيمة ثم خربها طوفان على ما ترويه الاساطير المحلية •

وبين ولاشجرد ومنوجان نهر كثير الروافد يقال له الآن رودخانه دزدی ، ذكره الاصطخری باسم نهر الزنكان ، وياقوت باسم نهر راغان . وأشار المقدسی الى مدينة روزكان وقال انها عامرة ، بها بساتين ونخيل ونارنج كثير ، ولعلها كانت على هذا النهر . والى شمال شرقي منوقان ، فى طريق ريگان ، وهى على ثلاث مراحل من ميناء هرمز ، مدينتا باس وجكين ، متجاورتان ، لكل منهما جامع وسوق . ونهر سليمان أو جوي سليمان ، مدينة عامرة كثيرة الاهل على مرحلة غرب ريگان ، وقد ذكرها المقدسی فى كورة جبرفت . « وفيها نهر يتخلل البلد ، والجامع وقهندز وسطها » . وأخيرا ذكر المقدسی فى القسم الشمالى من ناحية جبل القفص مدينة قوهستان ، ويقال لها قوهستان أبى غانم تميزا لها عن غيرها وهى « وسطه حارة كثيرة النخيل ، والجامع وسطها وبها قهندز » (١١) .

أما هرمز القديمة ، أى هرمز التى فى البر ، فهى تبعد نحو بريدين أو مرحلة نصف يوم من ساحل البحر . على خليج من بحر فارس يسمى الجير على ما فى الاصطخرى « يدخل فيه السفن من البحر » . وما زالت خرائب المدينة ترى فى موضع يقال له اليوم مناب واسمها الدارج مناو . وكانت هرمز القديمة فى المئة الرابعة (العاشرة) مجمع تجارة كرمان وسجستان وفى الأزمنة الاخيرة ، لما بنيت هرمز الجديدة فى الجزيرة ، حلت محل قيس مثلما حلت قيس محل سيرا ف قبلها ، وأصبحت أجل فرضة تجارية فى خليج فارس . وتكلم الاصطخرى على هرمز (القديمة) وقال « بها مسجد جامع ، ومساكن التجار فى رستاقها ، متفرقين فى القرى نحو فرسخين ، والبلد كثير النخل ، والغالب على زرعهم الذرة ، ويزرع فيها النيل والكمون وقصب السكر » . وأطرى المقدسى أسواق هرمز فقال « سوقهم جاد ، وشربهم من قنى ، وبنائهم من طين » . والعمرصة على ساحل البحر ، تبعد عن هرمز مرحلة نصف يوم ، ويظن انها كانت عند مدخل خليج هرمز .

وقد ذكر ابن خرداذبه فى أواسط المئة الثالثة (التاسعة) ، الجزيرة القريبة

منها باسم أرموز (وكتبها المستوفى : أرموص) ولا ريب فى انها هى الجزيرة التى تعرف بجزيرة جرون . وفى مطلع المثة الثامنة (الرابعة عشرة) - وذكر أحد مراجعنا السنة ٧١٥ (١٣١٥) - هجر ملك هرمز المدينة التى على ساحل البحر ، لاتصال غزوات اللصوص لها ، وبنى هرمز الجديدة فى الجزيرة المارة الذكر المعروفة باسم جرون (أو زرون) وهى تبعد فرسخا عن الساحل . وفى هذا الزمن ، زار ابن بطوطة هرمز الجديدة . وقد وصفها معاصره المستوفى وأطرى كثرة نخلها وقصب سكرها . وحكى ابن بطوطة ان هرمز القديمة كانت تسمى فى أيامه موغ أستان ، وأطلق على المدينة الجديدة اسم الجزيرة المعروفة بجزيرة جرون ، وهى مدينة حسنة لها أسواق حافلة ، وبها جامع ، وهى متجر سلع الهند والسند .

وفى ختام المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ، جرد تيمور حملة على المدن الساحلية القريبة من هرمز القديمة ، فاستولى على سبع قلاع هناك أحرقها كلها وفرن مقاتلتها الى جزيرة جرون . أما هذه القلاع السبع ، فان علي اليزدى سرد أسماءها ، وهى : قلعة الميناء فى هرمز القديمة ، وتنك زندان ، وكشكك ، وحصار شامل ، وقلعة منوجان (وقد مر ذكر المدينة) ، وترزك ، وتازيان . وفى سنة ٩٢٠ (١٥١٤) استولى البرتغاليون على هرمز ، واسمها الشائع أرمز ، بقيادة ألبو كرك (Albuquerque) وعرفت الميناء الساحلية التى نزلوا فيها باسم گمبرون (Gombroon) . وهو الموضع الذى اطلق عليه الشاه عباس بعد قرن اسم بندر عباس . وهو فرضة كرمان الحالية . ولعلها تقوم فى موضع سورو أو شهرو المارة الذكر فى الفصل المعقود لفارس . ويقال ان الاسم گمبرون هو الذى حرف الى كمرک (من اليونانية Koumerki) ومن هذا الاسم شاعت كلمة الكمرک فى أنحاء الشرق . وأشارت جهان نما التركية الى ان گمرو ميناء هرمز . ومنها الى مدينة لار (فى فارس) مسيرة أربعة أو خمسة أيام (١٢) .

(١٢) ابن خرداذبه ٦٢ : الاصلطخرى ١٦٣ و ١٦٦ و ١٦٧ : ابن حوقل ٢٢٠ و ٢٢٢ و ٢٢٣ : المقدسى ٤٦٦ و ٤٧٣ : المستوفى ١٨٢ و ٢٢٢ : ابن بطوطة ٢ : ٢٣٠ : ابو الفداء ٣٣٩ : على اليزدى ١ : ٧٨٩ و ٨٠٩ و ٨١٠ : جهان نما ٢٥٨ و ٢٦٠ .
وقد اختلف فى اسم الملك الذى نقل القصة الى الجزيرة فقليل انه شمس الدين وقطب الدين

وتجارات كرمان تقصر كثيرا عن تجارة فارس ، ولم ينته إلينا من البلدانين العرب شيء كثير عن تجارة هذا الاقليم . ذكر المقدسى ان فى كرمان تمورا وذرة وهى طعامهم . وتحمل من كرمان التمور الى خراسان ، والنيل الى فارس ، وغلات تاحية ولا شجر الى هرمز ، ومنها تحمل فى السفن الى أقصى البلدان^(١٣) .

وما ذكره بلدانيو المئة الثالثة والمئة الرابعة (التاسعة والعاشرة) عن مسالك اقليم كرمان ، أقل كثيرا مما وصفوا به مسالك اقليم فارس . وهم الى ذلك أوردوا المسالك بالمراحل فقط ، وهو مقياس غير دقيق . ويفتقر وصفهم لمعظم الطرق الى ذكر مراحلها الواحدة تلو الاخرى بالفراسخ .

فالطرق الآتية من فارس الى كرمان ، تجتمع فى بيمند ، وهى على ما بيننا ، على أربعة فراسخ من غرب السيرجان . فمن الشمال الشرقى ينحدر طريق من أناس وناحية روذان الى بيمند (وقد ذكره الاصطخرى والمقدسى) . ومن صاهك الكبرى الى بيمند (والسيرجان) طريقان جاء وصفهما بالفراسخ ، الاول يمر بشهر بابك (ولم يذكره غير ابن خرداذبه) والآخر يقطع المفازة الى بيمند رأسا . وكان يبلغ إليها بطريقين : الاول (ذكره ابن خرداذبه) يمر بقرية الملح ، والآخر يمر برباط پشت خم (ذكره قدامة والاصطخرى) . وإلى ذلك ، ذكر المقدسى الطريق من نيريز (بالمراحل) الى بيمند والسيرجان . وقد وصف هو والاصطخرى ، الطريق من الجنوب الغربى الذاهب رأسا من رستاق الرستاق الى السيرجان ومسيرته نيف وأربعة أيام^(١٤) .

وكان من السيرجان الى بردسير (مدينة كرمان) مسيرة يومين . وذكر المستوفى انها عشرون فرسخا . ولم ينته إلينا اسماء ما بينهما من محطات . مع انه كان بالقرب من هذا الطريق : ماشيز وبغين على ما قد بينا . ذكرهما ابن ابراهيم ،

او فخر الدين . وقد استولى الانكليز على جزيرة هرمز فى سنة ١٦٢٢ . وعن وضعها الحال انظر : Stiffe فى Geographical Magazine لسنة ١٨٧٤ ، ١ : ١٢ ، و JRGS لسنة ١٨٩٤ ص ١٦٠ . وقد كتب الاسم بصورة هرمز وهورموز .

(١٣) المقدسى ٤٧٠ .

(١٤) ابن خرداذبه ٤٨ و ٥٣ ؛ قدامة ١٩٥ ؛ الاصطخرى ١٣١ و ١٦٨ ؛ المقدسى ٤٥٥ و ٤٧٣ ؛

المستوفى ٢٠١ .

وقد كتب فى المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) ، غير مرة ، وقال انها كانتا قائمتين فى المئة الرابعة (العاشرة) • ومن بردسير (كرمان) الى زرنند مرحفتان • وكانت جنزروذ تتوسطهما • ومن السيرجان الى ماهان مسيرة ثلاثة أيام • ومنها الى خييص ثلاثة أيام أخرى • ولكن لا يعرف ما بينهما من محطات (١٥) •

وكان طريق القوافل العظيم ، من السيرجان فشرقا الى مكران ، يمر بجملة مدن لم يبق لها أثر • فقد كان يأتى الى راين ، ومنها فى طريق يمر بدرزين وبم ونرماسير الى الفهرج على شفير المفازة • وقد ذكر ابن خرداذبه وقدامة المراحل فى هذا الطريق بالفراسخ ، هذا الى ما انتهى الينا فى مرجعين آخرين عن المحطات التى فى مرحلة كل يوم (١٦) •

اما الطريق من السيرجان ، نحو الجنوب الشرقى الى جيرفت ، فمع ان ابن خرداذبه قد وصفه بالفراسخ ، والاصطخرى بالمراحل ، لا يمكننا ان نعين من المواضع التى جاء ذكرها فيه غير درفارد ، فلربما لا يمكن العثور عليها فى الخارطة ما خلا مدينة بافت الجنوبية • كما ان القراءات المختلفة لهذه الاسماء فى المخطوطات لا يصح الركون اليها فى أى حال ، ومن جيرفت ينعطف الطريق جنوبا فيمر بولاشجرد ومنوقان ثم ينتهى بالساحل عند هرمز (القديمة) • وعلى ما جاء فى الاصطخرى ، كان يتفرع منه عند ولاشجرد طريق يضرب غربا الى حد اقليم فارس ، يمر بسلسلة من المدن والقرى قد اختفت اليوم كلها ، بل لا يمكن ، يا للأسف ، تعيين منتهى هذا الطريق فى حد اقليم فارس (١٧) •

والطريق من هرمز القديمة الى ريگان ونرماسير ، قد ذكره المقدسى بالمراحل • وكان يمر بمدينتى باس وجكين • أما الطريق نحو الجنوب من راين الى جيرفت ، فقد ذكر الاصطخرى المسافات فيه ما بين دارجين وهرمز الملك بالمراحل (١٨) •

(١٥) الاصطخرى ١٦٩ : المقدسى ٤٧٣ : المستوفى ٢٠١ •

(١٦) ابن خرداذبه ٤٩ : قدامة ١٩٦ : الاصطخرى ١٦٨ : المقدسى ٤٧٣ •

(١٧) ابن خرداذبه ٥٤ : الاصطخرى ١٦٩ •

(١٨) الاصطخرى ١٦٩ : المقدسى ٤٧٣ •

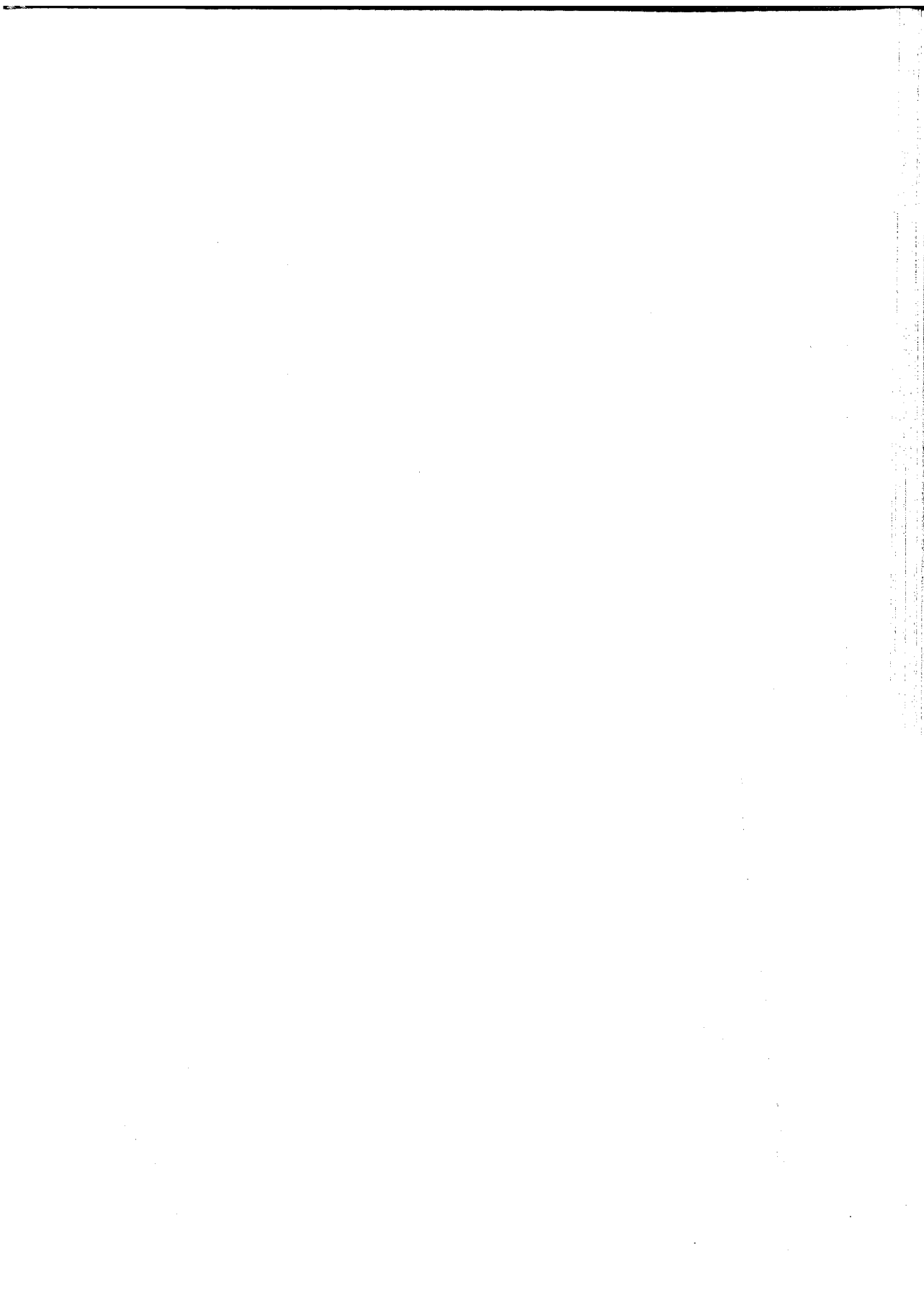
الفصل الثالث والعشرون

المفازة الكبرى ومكران

امتداد المفازة الكبرى وخواصها - الواحات الثلاث : الجرمق ونابند وسنج -
أهم مسالك المفازة - اقليم مكران - فنزبور وميناء التيز -
مدن أخرى - السند والهند - ميناء الديبل - المنصورة
والملتان - نهر مهران (Indus) - كورة
طوران وقصدار - كورة البدهة
وقندهايبيل *

تمتد المفازة الكبرى في ايران فتقطع هضبة ايران العالية ، من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى ، فتفصل الاقاليم الخصبة في هذه البقاع الى مجموعتين • فان هذه المفازة تبدأ من جنوب جبال ألبرز التى يشرف شمالها على بحر قزوين ، وتمتد الى جبال مكران المجدة ، الاقليم المتاخم لبحر فارس • ويقدر طول المفازة بنحو من ٨٠٠ ميل ، ولكن عرضها يختلف باختلاف بقاعها ، لان شكل هذه الرقعة الفسيحة من الفيافي القاحلة أشبه شئ بزجاجة الساعة الرملية الضيقة العنق ، لا يتجاوز عنقها الضيق مئة ميل وهو يفصل بين كرمان وسيستان ، بينما يتسع عرضها كثيرا في الشمال والجنوب حتى ليتجاوز في بعض المواضع مئتي ميل^(١) •

(١) بينا حدود المفازة الكبرى بوجه عام في الخارطة رقم ١ (أمام الفصل الاول) ، وتفاصيل القسم الشمالى منها في الخارطة رقم ٥ (أمام الفصل ١٣) • والقسم الاسفل منها في الخارطة رقم ٦ (أمام الفصل ١٧) والخارطة رقم ٧ (أمام الفصل ٢٣) والخارطة ٨ (أمام الفصل ٢٤) •



وقد عرف البلدانون العرب في القرون الوسطى هذه الصحراء بالمفازة ،
وعنوا كثيرا بتعيين حدودها • فمن غربها وجنوبها الغربي يحدها اقليم الجبال
وكورة يزد (وكانت تعد بالاصل جزءا من اقليم فارس) وكرمان ، وفي جنوبها
تتداخل في أضعاف جبال ساحل مكران • ومن شرقيها وشمالها الشرقي خراسان
والاقليم التابعة لها والمجاورة : وهي قومس في شمال المفازة ، ثم زاوية من اقليم
خراسان نفسه ، ثم قوهستان ، وفي أسفل ذلك سجستان وهي عند القسم الضيق
من المفازة مقابل كerman • وسجستان اليوم مفازة بلوچستان ، وكانت في العصور
الوسطى تعد جزءا من مكران •

وما كتبه ابن حوقل والمقدسي عن المفازة انما كان عن خبرة ومشاهدة ، اذ أن
كليهما اجتاز قفارها غير مرة • أوجز ابن حوقل وصفها فقال : « ليست في حيز
اقليم بعينه ، وهي من أكثر المفاوز لصوصا وفسادا » قد جعلوا منها ملجأ يعتصمون
به ويأوون اليه • وليس فيها قرية ولا مدينة سوى في ثلاثة مواضع • أما المقدسي
فقد تبسط في الكلام عليها • ونحن نلخص شيئا مما ذكره قال : مثل المفازة كمثل
البحر ، كيفما شئت فسر اذا عرفت السميت وسلكت حيث تلمح الحياض والقباب
المعمولة فيها فوق حياض المياه التي كان يعنى بانشائها في المئة الرابعة (العاشرة)
بامتداد أهم طرقها بين مرحلة كل يوم وأخرى • وقد أمضى المقدسي في هذه
المفازة سبعين يوما ، مخترقا اياها من اقصاها الى اقصاها • وتكلم كلام خبير على
ما فيها من دروب ومعارض في جبال فيها وكلها مخيف ، سباحها وسرودها
وجرومها ، وقال ان فيها رمالا قليلة ونخيلا وزروعا في أضعاف كثير من وديانها
الصغيرة •

وكانت المفازة في ذلك الزمن مخيفة ، لان عصابات من البلوص (وهم

وتعرف هذه المفازة اليوم بـ « دشت لوط » أي مفازة لوط • ويعرف ما فيها من مستنقعات ملحة
وسبخ بـ « دشت كوير » [بوژن : صغير] • ويطلق أحيانا اسم كوير على المفازة باجمعها أيضا •
لما اشتقاق اسم لوط (وهو لوط التوراة بحسب التسمية العربية) وكوير ، فغير معروف • انظر :
Major Sykes في Persia ص ٣٢ •

قلنا : وانظر أيضا الطبعة الجديدة من كتاب :

Sir Percy Sykes, A History of Exploration (London, 1949; p. 341, 372..

ففيه أحدث وصف للرحلات في ساحل مكران ومفازة لوط الجنوبية • (م) •

البلوج) كانوا يعتصمون فى جبال القفص عند تخوم كرمان ، وهم « قوم لا خلاق لهم ، وجوه وحشة وقلوب قاسية ، وبأس وجلادة ، لا يقون على أحد حتى يقتلوا من ظفروا به بالأحجار كما تقتل الحيات ، تراهم يمسون رأس الرجل على بلاطة ويضربونه بالحجارة حتى ينصدع ، وسألهم المقدسى عن سبب ذلك ، فقالوا له لثلاث تفسد سيوفنا • وفى أيام المقدسى أبادهم عضد الدولة البويهى ، وحمل منهم أمة رهائن الى فارس • فسلم الطريق من شرهم ، اذ كان مع القوافل بذرة من قبل السلطان • وكان هؤلاء البلوص ، على ما ذكر المقدسى ، « رجالة ، وربما ركبوا الجمّازات »^(٢) • وهم وان كانوا يدعون الاسلام ، الا انهم « أشدّ على المسلمين من الروم والترك : اذا أسروا الرجل أمروه بالعدو معهم نحو عشرين فرسخا حافى القدم جائع الكبد • زادهم شىء مثل الجوز يتخذ من النبق • وهم أصبر خلق الله على الجوع والعطش » •

وبعد المقدسى بنحو من نصف قرن ، أى فى سنة ٤٤٤ (١٠٥٢) ، قطع ناصر خسرو الجزء الشمالى من المفازة فى عودته من حجه الى مكة • ولم يطلق ناصر خسرو على المفازة الكبرى اسما خاصا بها ، بل أشار اليها فقط بلفظ بيابان ، أى « أرض لا ماء فيها » • على انه ذكر أهم صفتين خطرتين فيها : الرمال المتحركة (ريك روان) والسباح (شورستان) التى قد يبلغ طولها ستة فراسخ • غادر ناصر خسرو ناين فى اقليم الجبال الى الواحات الوسطى فى الجرمق ، ومنها الى طبس فى قوهستان ، سالكا الطريق الذى سنصفه الآن • على ان وصفه هذا الطريق غامض لم يزد الا القليل على ما نعرفه عنه • فقد تكلم على گيلكى أمير طبس وقال انه نشر الاثمن والسلام فى المفازة ، وهابه لصوص القفص الذين سماهم كوفج ، وزال خطرهم • وذكر ان بين كل فرسخين من الطريق الذى سلكه ، قبا فوق حياض الماء ، شيدت حتى لا يضلّ المسافرون الطريق ولكى يأووا اليها فى الحر والقر • وذكر انه لو لا العناية بهذه الحياض لما استطاع أحد اجتياز المفازة وهم فى خوف من اللصوص • وقد عزّز قول ناصر خسرو هذا ، ما جاء

(٢) الجمّازات : واحدها الجمّازة • وهى ناقة تعدو الجمزى • والجمزى نوع من العدو السريع كالوثوب (م) •

فى وصف كتابى المسالك لابن حوقل والمقدسى عن طرق القوافل العديدة فى هذه القفار الممتدة الى كثير من الجهات ، وفى جميعها ، حياض للماء بين مرحلة ومرحلة (٣) .

وعلى مدى الخط الاوسط لهذه المفازة الكبرى ، ثلاث واحات تبعد احداها عن الاخرى بعدا كبيرا . والىها طبعا تتوجه طرق المفازة المختلفة التى تقطعها من الغرب الى الشرق . كانت هذه الواحات تعرف فى القرون الوسطى بالجرمق وناوند (وما زالت تسمى بذلك) وسنيج . ولم يكن فى المفازة ، على ما ذكر المقدسى ، من مدن غير هذه الاخيرة .

وتتوسط القسم الاعلى الواسع من المفازة ، عند منتصف الطريق بين اصفهان وطبس فى قوهستان ، واحة يقال لها اليوم جندك أو بيابانك وهى التى كان يعرفها العرب فى القرون الوسطى بالجرمق ، وكانت تكتب بالفارسية بصورة گرمه . وهى ثلاث قرى : الجرمق (أو گرمه) وبيادق (أو يياده بالفارسية) وأرابه . وأطلق ابن حوقل على هذه القرى اسم سهده وتفسيرها ثلاث قرى . وذكر ناصر خسرو انه كان فى هذا الموضع فى المئة الخامسة (الحادية عشرة) من عشر الى اثنتى عشرة قرية . وكان فى يياده أيضا حصن صغير فيه بذرقه الامير گيلكى لحماية مسالك المفازة . وكان فى هذه الواحة نخيل وزروع ومواش كثيرة . وقال ابن حوقل كانت هذه القرى الثلاث فى رأى العين قرية بعضها من بعضها . وكان فيها فى المئة الرابعة (العاشرة) نحو ألف رجل . ولم يزد من جاء بعده من المصنفين شيئا على ما ذكر . وكل من كتب عنها حتى زمن المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) يطابق قول ابن حوقل ، وكلهم ناقل عنه .

أما ناوند ، الواحة الثانية ، فما زالت تعرف بهذا الاسم . وهى فى الطرف الشمالى من جزء المفازة الضيق بين راور فى كرمان وخور فى قوهستان . قال ابن حوقل فى ناوند انها « رباط فيه مقدار عشرين مسكنا وفيه ماء يجرى ، عليه رحي صغيرة ، ولهم نخل ، ولهم زرع على ماء عين . وقبل ناوند بفرسخين عين ماء

(٣) ابن حوقل ٢٨٧ و ٢٨٨ ؛ المقدسى ٤٨٨ و ٤٨٩ ؛ ناصر خسرو ٩٣ - ٩٤ ؛ ١٠٣ - ١٠٤

من الترجمة العربية () ؛ ياقوت ٤ : ١٤٧ .

وعندها نخيلات وقباب ، وليس بها أحد ، وهى ملجأ للتصوص * .

أما الواحة الثالثة فالى الجنوب أيضا ، فى أضيق قسم من المفازة وهى مرحلة فى نصف الطريق بين نرماسير فى كرمان وزرنج قصبة سجستان * وفى هذا الموضع واد صغير فيه عيون ، يسميه الفرس اليوم بنصرت أباد ، ولكن ما زال البلوج يعرفونه باسم اسبى أو اسفى وهذا الاسم يطابق قراءة الاسم « اسبيذ » لهذه الواحة فى المقدسى الذى سماها أيضا سنيج أو سنيك ، وعدّها من مدن سجستان * أما ابن حوقل فقد جعلها من أعمال كرمان * ولم يكن فى المفازة ، على ما بنا ، مدينة غيرها بحسب قول البلدانيين العرب * وقال فيها المقدسى : « عامرة آهلة ، بها مزارع كثيرة وقنى ، غير انها كانت فى حدود المفازة » (٤) .

وتبسط بلدانيو المئة الرابعة (العاشرة) فى صفة طرق المفازة * فمن غربها كان يخرج ، من اصفهان ومن نايين ، طريقان يجتمعان فى الجرمق : أولهما (وقد وصفه المقدسى) ثمانى مراحل * ومن نايين الى الجرمق خمس مراحل * وبين كل بضعة فراسخ منه حياض للماء وقباب *

والمقدسى مرجعنا فى وصف الطريق من الجرمق المتجه شمالا الى الدامغان فى قومس رأسا وطوله تسعون فرسخا * خمسون فرسخا الى موضع يقال له وند ، ثم أربعون فرسخا الى الدامغان * ومن الجرمق . يشرق ، وبعد مسيرة أربعة أيام يبلغ موضعا يقال له * نوخانى أو نوجاى * وبين كل ثلاثة أو أربعة فراسخ منه قباب للماء * ويتفرع الطريق فى نوجاى الى فرعين : يتجه أحدهما نحو الشمال الشرقى الى ترشيز ، والاخر نحو الجنوب الشرقى الى طبس * وكلا الموضعين فى إقليم قوهستان * والمسافة من نوجاى الى ترشيز أربع مراحل * تتوسطها بن أفريدون (وتعرف اليوم باسم ده نابد ولا يلتبس هذا الموضع بواحة نابد ، وقد مر ذكرها الآن) * وذكر المقدسى أيضا طريقا يقطع المفازة من الجرمق الى

(٤) ابن حوقل ٢٨٩ و ٢٩٣ : المقدسى ٤٨٨ و ٤٩٤ و ٤٩٥ : ناصر خسرو ٩٣ و ٩٤ (= ١٠٣ - ١٠٤ من الترجمة العربية) : المستوفى ١٨٣ : ياقوت ٣ : ١٧٠ .
 وواحة بيبانك (ويقال لها جندك أو خور) قد ذكرها تافرنيه فى المئة السابعة عشرة للميلاد .
 (الرحلات ١ : ٧٦٩ : لاهى ١٧١٨ م) . وزارها الكولونيل ماك كريكور (Macgregor)
 فى سنة ١٨٧٥ أنظر : Khorasan ١ : ٩١ . ثم زار الميجر سايكس نابد واسفى أى نصرت اباد (أنظر Persia ص ٣٦ و ٤١٦ .

بن أفريدون هذه فى سبعة أيام ، فى كل مرحلة منه حوض • ومن نوجاى يتجه الطريق نحو الجنوب الشرقى فيبلغ طبس بعد مسيرة ثلاث مراحل • وذكر ابن خرداذبه المسافات بين طبس وترشيز عن طريق بن بالفراسخ • أما فى غير هذا الطريق ، فإن طرق المفازة قد وردت بذكر مرحلة اليوم فقط^(٥) •

والطريق من يزد الى طبس رأسا ، كان يمرّ بأنجيرة وخزانة فيبلغ ساغد وهى فى شفير المفازة • وقد مرّ ذكر هذه المواضع فى إقليم فارس (أنظر ص ٣٢٢) • من ساغد الى طبس ذكر ابن خرداذبه المراحل الست التى فيه بالفراسخ • وقد نقل ابن حوقل والمقدسى وصفه لهذا الطريق ، ولكنهما ذكراه بالايام واتبعوا طريقا يخالفه بعض الشئ • وكان على مرحلتين من ساغد حصن يقال له رباط آب شُتران (أى رباط نهر الجمل) • وكان الماء يأتى من قناة ويصب الى بركة • وقد وصف المقدسى هذا الرباط بقوله « ما رأيت أحسن منه » من الحجارة والجص ، عليه أبواب حديد ، وفيه قوم يحفظونه • بناه ناصر الدولة ابن سيمجور وهو من قادة بنى بويه المشهورين • وكان والى هذه الجهات فى أواسط المئة الرابعة (العاشرة) •

وبعد هذا الحصن بثلاث مراحل ، تنتهى المفازة • وعندها يجانب الطريق طبس ، على ما ذكر ابن حوقل (معيدا قول الاصطخرى) ، ويسير سيرا متصلا من المحطة التى فى جنوب هذه المدينة بمرحلة ، الى المحطة التى فى شمالها بمرحلة فى الطريق الذاهب الى بن^(٦) •

والطريق الآخر الذى يقطع المفازة ، يبدأ من قرية بيرة فى ناحية يقال لها شور ، أى الماء المالح ، وكانت عند حدّ كرمان قرب كوه بنان • والطريق من هذا الموضع الى كُري تسع أو ثمان مراحل - فى كل مرحلة منها حوض ماء - وكُري قرية عند حد المفازة فى قوهستان ، تقوم على بضعة أميال من جنوب شرقى طبس • وذكر الاصطخرى عن هذا الطريق ، وقد كان يعرف بطريق شور ، ان

(٥) الاصطخرى ٢٣١ : ابن حوقل ٢٩١ : ابن خرداذبه ٥٢ : المقدسى ٤٩١ •

(٦) ابن خرداذبه ٣١ : الاصطخرى ٢٣٦ : ابن حوقل ٢٣٥ : المقدسى ٤٩١ و ٤٩٣ •

على نحو فرسخين من شماله « حجارة فى صور الفواكه (لا ريب فى انها من المتحجرات) من اللوز والتفاح ونحوه ، وفيها صور تقارب الناس والاشجار وغير ذلك » . وذكر المقدسى انه الى الطريق المار الذكر ، طريق آخر يتجه رأسا من كوه بنان الى كرى طوله ستون فرسخا ، وعند كل ثانى مرحلة حياض للماء . وراور^(٧) ، وقد جاء ذكرها فى الفصل الحادى والعشرين ، على بضعة فراسخ من شرق كوه بنان فى حد كرمان . وكان يتجه من هذا الموضع طريق فيه خمس مراحل الى نابند وهى الواحة المارة الذكر ، ومنها طريق فيه ثلاث مراحل الى خور فى قوهستان . وكان بين كل ثلاثة أو أربعة فراسخ من هذا الطريق ، حياض الماء المألوفة . أما مدينة خييص ، وهى على ثلاث مراحل من ماهان ، فى حد كرمان ، فقد كانت ، على ما ذكرنا ضمن حدود المفازة تقريبا (راجع ص ٣٤٦) . وكان يخرج منها طريق ينتهى الى خوست (خوسف الحالية) فى قوهستان ، ويقطع فى عشر مراحل . وكان حد قوهستان يقع على مرحلتين قبل بلوغ خوست عند قرية كوكور وهى فى منتهى المفازة . وهذا الطريق ، عند مكان يقال له قبر الخارجى ، « حصى صفار بعضه فى لون الكافور بياضا ، وبعضه أخضر فى لون الزجاج » . وفى موضع آخر يبعد عن الطريق نحو أربعة فراسخ « حجارة صفار سود » مظهرها يسترعى النظر^(٨) .

والطريق الاخير من نرماسير فى كرمان الى زرنج قسبة سيستان ، يقطع الجزء الضيق من المفازة مارا بواحة سنيج أو اسبي ، وقد مرّ وصفها . وكانت المرحلة الاولى فى هذا الطريق الى فهرج وهى فى حد المفازة ، وبعد أربع مراحل ينتهى الى سنيج . وقد ذكر ابن خرداذبه المسافة بين مرحلة ومرحلة من هذا الطريق بالفراسخ . أما الاصطخرى فقد ذكره بالايام . وذكر أيضا طريقا ثانيا ينتهى الى سنيج سماه الطريق الجديد . الا انه أطول مسافة . ومن سنيج الى زرنج سبعة أو ثمانية أيام . وكان هذا الطريق يجتاز حد سيستان فى گاوينشك .

(٧) وجاءت فى الاصطخرى (ص ٢٣٣) وابن حوقل (ص ٤٠٦) من الطبعة الثانية والمقدسى .

(ص ٤٩٢ و ٤٩٣) بصورة زاور . (م) .

(٨) الاصطخرى ٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٣٤ : ابن حوقل ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٤ : المقدسى ٤٩١ و ٤٩٢ .

وهي لا تبعد عن كندر الموضع الذي ما زال يرى في الخارطة • وكان بين كاوشيك وكندر ، على ثلاث أو أربع مراحل جنوب زرنج ، رباط بناء عمرو الصفار في المئة الثالثة (التاسعة) كان يعرف ، على ما ذكر الاصطخري ، بقنطرة كرمان ، فقد قال « ليس هناك قنطرة ولكن تسمى كذلك » • ولهذا الموضع شأن خاص ، اذ ان بحيرة زره كانت تمتد جنوبا في العصور الوسطى حتى هذا الموضع ، على ما سنبينه في الفصل القادم^(٩) •

اقليم مكران

ليست جبال ساحل مكران القاحلة في مظهرها الطبيعي العام ، الا امتدادا للمفازة الكبرى • ومع ان بلاد مكران كانت في القرون الوسطى أوفر خصبا وأكثر أهلا عما هي عليه اليوم ، على ما يظهر ، فان هذا الاقليم لم يكن قط غنيا أو ذا شأن سياسي • وأهم ما في مكران قصب السكر وصنف من السكر الابيض عرفه العرب بالفانيد (من يانيد الفارسية) وكان يحمل منه الى البلدان المجاورة^(١٠) •

وسرد البلدانون الاوائل أسماء كثير من المدن في مكران ، ولكنهم لم يتبسطوا في وصفها • كان أجل مركز تجارى فيه ، فرضة التيز على ساحل خليج فارس • وكانت قصبه الاقليم فتزبور أو بنجبور وهي في داخل البلاد في موضع يعرف اليوم باسم پنج گور • وكان لبنجبور في المئة الرابعة (العاشرة) على ما ذكر المقدسى ، حصن من طين حوله خندق ، وهي بين النخيل ، لها بابان ، باب ذكر التيز في الجنوب الغربى يفضى الى الطريق الذهاب الى فرضة الخليج - وباب طوزان - في الشمال الشرقى كان يفضى الى الطريق الذهاب الى ناحية طوزان ،

(٩) ابن خرداذبه ٤٩ و ٥٠ : الاصطخري ٢٣٧ و ٢٥١ و ٢٥٢ : ابن حوقل ٢٩٦ و ٣٠٦ و ٣٠٧ : المقدسى ٤٩٢ • سر ف • كولدسميد Sir F. Goldsmid في Eastern Persia ١ : ٢٥٦ •

(١٠) ابن حوقل ٢٦٦ و ٢٣٢ و ٢٣٣ : المقدسى ٤٧٥ و ٤٧٦ : ياقوت ٤ : ٦١٤ • وقد توفر على البحث في مواضع مدن العصور المتوسطة في مكران ، سر ت • ه • هولديج Sir T. H. Holdich في Geographical Journal لسنة ١٨٩٦ ص ٣٨٧ • والمعلومات التي لدينا الآن ليست بأحسن مما توصل اليه •

وكانت قصبتها قصدار (أو قزادار) ، وشربهم من نهر والجامع وسط الاسواق .
وعلى رأى المقدسى ، ان أهل الاقليم « قوم غتم ، ليس معهم من الاسلام الا اسم ،
لسانهم بلوصي » (١١) .

وبقايا فرضة التيز العظيمة ، تقوم فى رأس ما كان فى العصور الوسطى ميناء
حسنا تدخله السفن الصغيرة . قال المقدسى فى التيز : « كثيرة النخيل ، بها رباطات
فاضلة وجامع حسن ، وهم قوم متوسطون ، غير انها فرضة مشهورة » . وفى
المئة السادسة (الثانية عشرة) استحوذت هذه الفرضة على تجارة هرمز التى آلت
الى الخراب وصارت أطلالا (١٢) .

أما مدن مكران الاخرى ، فالبلديون العرب ، لم يذكروا غير أسمائها دون
أى وصف لها . فاسما المدينتين المشهورتين بمبور وفهرج المجاورة لها ، جاء فى
المقدسى بصورة بربور (بدلا من بنبور) وفهل فهرة . وذكر ياقوت الاسم الاخير
بصورة بهره (١٣) . أما مدينة قصرقد ، فى شمال التيز ، فما زالت موضعا
ذا شأن . وكج ، وهى على مسافة قليلة فى شرق قصرقد ، جاء اسمها بصورة
كيج وكيز ، وورد أيضا اسم جالك ودذك . أما خواش ، أو خواص ، ويحتمل
انها كوشت الحالية ، فانها الى شرق خواش فى ناحية السرهده (وقد مر ذكرها
فى صفحة ٣٥٥) . وكانت راسك فى العصور الوسطى مدينة ذات شأن لخصب
ناحيتها المعروفة بالخروج . على انه لا يمكننا من وصف المسالك مطابقتها بالبلدة
الحالية التى بهذا الاسم . وكانت أرمابيل وقمبلى ، مدينتين جليلتين على الساحل

(١١) وما قنزبور ، وقنجبور ، الواردة فى بعض المطبوعات ، الا من وهم النساخ جاء بوضع نقطتين.

فوق أول حرف من قنزبور .

الاصطخرى ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٧ : ابن حوقل ٢٢٦ و ٢٣٢ : المقدسى ٤٧٨ . وقد اطلق على
هذه المدينة اسم بنج كور « أى القبور الخمسة » نسبة الى خمسة من المقاتلين العرب الذين استشهدوا
فيها اثناء الفتح العربى الاول . وهى على مرحلة واحدة من غرب قلعة ناغة ، وتسمى الناحية المحيطة
بها باسم بنج كور أيضا . انظر Sykes فى Persia ص ٢٣٤ .

(١٢) المقدسى ٤٧٨ : ياقوت ١ : ٩٠٧ . وللإطلاع على ما هى عليه الآن خرائط تيز ، راجع :

Sykes فى Persia ص ١٠١ و ١١٠ . وكذلك Schindler فى JRAS

لسنة ١٨٩٨ ص ٤٥ . وانظر أيضا : تاريخ أفضل كرمانى ، طبعة هوتسما فى ZDMG لسنة ١٨٨١

ص ٣٩٤ و ٤٠٢ .

(١٣) تقوم فهرج على بضعة أميال من شرق بمبور فى مكران . ولا يلتبس اسمها بمدينة فهرج

التي على بضعة أميال من شرق نرماسير فى كرمان . وهناك فهرج ثالثة قرب يزد .

أو بالقرب منه في نحو نصف الطريق بين التيز والديبل عند فم نهر مهران (الاندس) • وقال الاصطخرى في هاتين المدينتين « مدينتان كبيرتان ، وبينهما مقدار منزلتين • وبين أرمابيل والبحر مقدار نصف فرسخ » • وكان أهلها من أغنياء التجار ، أكثر تجارتهم مع الهند^(١٤) •

وكتابتنا هذا لم نرم فيه الى البحث عن الهند في العصور الوسطى • بل ان البلدانين العرب أنفسهم لم يعنوا بوصف هذه البلاد وصفا كاملا شاملا • فهم لم يعرفوا من الموانئ الهندية ، فيما يلي الطرف الشرقي لخليج فارس ، أكثر من معرفتهم فرضة الديبل • فقد كانت حينذاك ميناء حسنا عند أكبر فم لنهر الاندس (Indus) ، والديبل في اقليم السند ، وكانت قصبته المنصورة ، واسمها بالهندية برهمناباذ ، وكانت مدينة عظيمة على فرع من فروع نهر الاندس الاسفل • وكان العرب يسمون نهر اندس نهر مهران • وذكروا كثيرا من المدن التي على ضفافه ، أهمها المدينتان وهى المدينة العظيمة التي في أعلى رافد من روافد السند وهو السندروذ ، وكان فيها بيت صنم (بد) مشهور • والاصطخرى الذى شبه نهر مهران بالنيل فى الكبر والنفع ، قال ان فيه تماسيح مثل تماسيح نيل مصر ، وقال « ان مخرجه من ظهر جبل (فى الشمال يخرج منه بعض أنهار جيحون) • وعرف العرب أهل اقليم السند بالزط • واسمهم بالفارسية جت • والمقول اليوم انهم أسلاف النور أو العجر »^(١٥) •

(١٤) الاصطخرى ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٧ و ١٧٨ : ابن حوقل ٢٢٦ و ٢٢٢ : المقدسى ٤٧٥ و ٤٧٦ : ياقوت ١ : ٧٦٩ : ٤ : ٣٣٢ •

ويكثر وهم النساخ في كتابة ارمابيل بدلا من ارمابيل • ولعل أطلال أرمابيل في لس بلا (Lus Bela) • وأطلال قبلى في خيروكوت (Khayrokot) انظر سر تى • هولديج في JRGs. لسنة ١٨٩٦ ص ٤٠٠ •

ومما ينبغي ذكره ، ان البلدانين العرب القدماء لم يعرفوا الا شيئا قليلا عن مكران ، ولم يزد عليهم من جاء بعدهم ما يستحق الذكر • فقد أعاد ياقوت قول من سبقه من بلدانيين المئة الرابعة (العاشرة) لا غير • وغاية ما أفادنا به القزوينى (٢ : ١٨١) عن هذا الاقليم ذكره القنطرة العجيبة فيه : قال : « ان بأرض مكران نهرا عليه قنطرة من الحجر ، قطعة واحدة ، من عبر عليها يتقيا جميع ما فى بطنه بحيث لا يبقى فيها شئ ولو كانوا ألوا ، هذا حالهم • فمن أراد من الناس القىء عبر على تلك القنطرة » •

(١٥) الاصطخرى ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٥ و ١٨٠ : ابن حوقل ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٣٠ و ٢٣٤ و ٢٣٥ : المقدسى ٤٧٦ و ٤٧٩ و ٤٨٢ و ٤٨٣ •

ترى أطلال ميناء الديبل اليوم فى داخل البلاد على نحو عشرين ميلا جنوب غربى ثنا (Thatta)

وقد وصف البلدانون العرب ، كورتين عند حدود مكران الشمالية الشرقية مصابقتين لحد الهند ، هما طوران وقصبتها قصدار ، والبُدْهَة الى الشمال منها وقصبتها قندايل . وجاء اسم قصدار بصورة القزدار أيضا ، فقد ورد ذكرها بهذه الصورة في فتوحات السلطان محمود الغزنوي الاولى . قال فيها ابن حوقل انها على واد ، وفي وسط الوادى حصن . « وهى ناحية خصبة ، وبها أعناب وفواكه الصرود ورمات حسن » . وزاد المقدسى عليه انها « ذات جانبين ، بينهما واد يابس بلا جسور ، فى أحدهما دار السلطان فيه قلعة ، ويسمى الجانب الآخر بودين وفيه دور التجار والمطابخ ، واليها يقصد نفر خراسان » . وزاد المقدسى على ذلك ان بنيانها من طين وشربها من قنى ، « الا أن ماءها ردى » . قليل .

أما طوران ، وهو اسم ناحية قصدار ، فغالبا ما كانت تضم اليها ما فى شمالها من أرض الناحية المعروفة بالـ « بدْهَة » وقصبتها قندايل . والمتحقق انها قندوه الحالية وهى فى جنوب سيبى وشرق كلات . قال ابن حوقل فى قندايل « مدينة كبيرة ، وليس بها نخيل ، وهى فى برية مفردة بذاتها » . ومن أعمالها مدينة كيزكانان أو كيكان . ويمكن القول استنادا الى وصف موضعها فى المسالك انها كلات الحديثة . وهاتان المدينتان كثيرا ما تعدان من أعمال طوران . وجاء ذكر أسماء غيرهما أيضا بما لا يمكن التحقق منها الآن لضالة أخبارها ولشدة اختلاف المخطوطات فى تهجتها^(١٦) . وإلى شمال هاتين الناحيتين : بالس أو والشتان ومدينتا سيبى ومستنج . الا ان البلدانين القدماء عدّوها من أعمال سجستان . وعليه سنشير اليها فى الفصل القادم .

وعلى ٤٥ ميلا شرق الجنوب الشرقى لكراشى . أما المنصورة فهى على فرع قديم من فروع دلتا الاندس ، على نحو من أربعين ميلا شمال شرقى حيدر اباد . والسند ليس بطبيعة الحال الا التسمية الفارسية القديمة للهند ، ولكن استعمال العرب لها كان مبهما ، أرادوا به الدلالة على الاقليم العظيم الذى فى شرق مكران وبعضه اليوم يقال له بلوچستان ، وبعضه الآخر بلاد السند الحالية أما السند رود فهو نهر السند .

قلنا: لقد وفقت دائرة آثار الحكومة الباكستانية إلى الوقوف على بقايا الدليل . انظر مجلة «سومر» (١٩٥١٧) ص (١١٤). (م).

(١٦) ابن خرداذبه ٥٦ ؛ الاصطخرى ١٧١ و ١٧٦ و ١٧٨ ؛ ابن حوقل ٢٢٦ و ٢٢٢ و ٢٢٣ ؛ المقدسى ٤٧٦ و ٤٧٨ .

أما طرق مكران ، فانها استمرار لطرق المفازة الكبرى التي سبق وصفها وهي تنتهى فى بلاد الهند • على ان مما يؤسف عليه ، ان هذه الطرق قد ذكرت بايجاز ولم يتعد وصفها ، على ما هو مألوف ، ذكر الايام التي بين بلدة وأخرى ، ولا يوثق بما قيل عن المسافات التي بينها • ومع ذلك ، فان ابن خرداذبه قد أفاض فى القول فى أحد هذه الطرق فذكره بالفراسخ ووصفه مرحلة مرحلة وان كان يستحيل علينا اليوم تعيين خطه الحقيقى فى المفازة • يبدأ هذا الطريق من الفهرج عند شفير المفازة فى شرق بم ونرماسير فى كرمان • وذكر ابن خرداذبه مراحلہ الاربع عشرة الى فنزبور قصبة مكران ، ومنها يتجه شرقا الى قصدار ، أشار فيه الى أسماء ثلاث محطات • وذكر المقدسى طريقا موازيا له تقريبا ، واصفا اياه بالاتجاه المعاكس وهو من قصدار الى جى أو نهر سليمان ، وهي على عشرين فرسخا شرق بم ، الا ان هذا الطريق يكون مسيره شمال فنزبور ويمر بجالك وخواص (١٧) • ومن فرصة التيز الى كيز خمس مراحل ، ثم مرحلتان الى فنزبور وكان ينتهى الى هذه المدينة طريق آخر من قصر قند ولكنه لا يأتياها رأسا • ومن كيز ومن قصر قند الى أرمابيل ست مراحل على ما انتهى اليها ، ثم مرحلتان الى قمبري ومنها أربع مراحل الى الديبل فى قم الاندس (١٨) •

والمعروف انه كان من فنزبور الى الديبل أربع عشرة مرحلة • وجاءت المسافات من قصدار الى قنابيل والى كيز كانان (كلات) بأرقام تقريبية ، وكذلك من هذين الموضعين الى سيبى ومستنج فى والشستان • وتختتم كتب المسالك وصفها بسرد موجز لعدد الايام التي يتطلبها الوصول الى الملتان والمنصورة ، المدينتين اللتين على نهر مهران من قصدار ومن قنابيل ومن حدود والشستان مما على سيبى (١٩) •

(١٧) ابن خرداذبه ٥٥ : المقدسى ٤٨٦ •

(١٨) الاسطخرى ١٧٨ : ابن حوقل ٢٣٣ : المقدسى ٤٨٥ •

(١٩) الاسطخرى ١٧٩ : ابن حوقل ٢٣٣ و ٢٣٤ : المقدسى ٤٨٦ •

الفصل الرابع والعشرون

سجستان

سجستان أى نيمروز وزابلستان - زرنج وهى القاعدة - بحيرة زره - نهر هيلمند
والانهار الآخذة منه - العاصمة العتيقة للأقليم وهى رام شهورستان - نه - فره
ونهر فره - نهر خاش ورستانق نيشك - قرنين ومدن اخرى -
روذ بار وبست - رساتيق زمينداور - رنج وبالس
اى والشستان - قندهار - غزنة وكابل -
معدن الفضة - المسالك فى
سجستان .

سيستان - وسمتها المراجع العربية القديمة سجستان ، من الاسم الفارسى
سگستان (Sagistan) - هى البلاد السهلية حول بحيرة زره وفى شرقها ،
ويدخل فيها دلتا نهر هيلمند وغيره من الانهار التى تصب فى هذا البحر الداخلى
[أى بحيرة زره] ، وكانت مرتفعات رستانق قندهار ، وهى بامتداد أعلى هيلمند ،
تعرف بزابلستان . وسيستان يقال لها بالفارسية نيمروز أيضا ، ومعناه نصف يوم
أو الارض الجنوبية . ويقال ان هذا الاقليم انما سمي بذلك ، لوقوعه فى جنوب
خراسان . وقال الاصطخرى ، ان سجستان « خصبة كثيرة الطعام والتمور
والاعناب ... ويرتفع منها غلة عظيمة من الحلتيت^(١) ، حتى انه قد غلب على

(١) جاء فى تاج العروس (مادة : حلت : ١ : ٥٣٨) : « قال ابن سيده : الحلتيت عربى أو
معرب . قال : ولم يبلغنى انه ينبت ببلاد العرب ولكن ينبت بين بست وبلاد القيقان . قال : وهو نبات

طعامهم ويجعلونه فى عامة أطعمتهم» (٢) .

ولا يغرب عن البال ، ان بحيرة زره كانت فى القرون الوسطى أوسع رقعة مما صارت اليه فى أيامنا . وكان يقع فى البحيرة غير نهر هيلمند ، وهو نهر عظيم ذو روافد كثيرة ، ثلاثة أنهار أخرى كبيرة ، هى نهر خواش ونهر فره والنهر الآتى من أنجاء أسفزاز (وهى سبزوار هراة) ويقال له اليوم هارود . وفى الاساطير الفارسية ، ان سيستان وزابلستان اشتهرتا بكونهما موطن زال أبى البطل القومى « رستم » الذى ما زال يتحدث الناس بأعماله وماثره (٣) . وفى صدر أيام الدولة العباسية ، اشتهرت سيستان أيضا ، بأن فيها نشأ أمراء بنى الصفار الذين حكموا فى النصف الثانى من المئة الثالثة (التاسعة) معظم بلاد ايران الجنوبية والشرقية ، وقد كانوا أمراء مستقلين .

وكانت قاعدة الاقليم فى العصور الوسطى ، مدينة زرنج العظيمة ، وقد خربها تيمور وما زالت أطلالها تنتشر فى رقعة واسعة من الارض . على ان اسم زرنج قد خفي اليوم ، بل ان استعماله بطل منذ أواخر العصور الوسطى ، ولم يكن البلديون العرب المتأخرون يعرفونها الا بمدينة سجستان . ويقابلها بالفارسية شهر سيستان . وكان ذلك اسمها حين خربها تيمور أخيرا ولم يبق منها حجرا على حجر (٤) . وكانت زرنج فى أيام الملوك الساسانيين مدينة عظيمة ،

يسلنطخ ثم يخرج من وسطه قصبة تسمو فى رأسها كعبرة . قال : والحلتيت أيضا صمغ يخرج فى أصول ورق تلك القصبة . قال : وأهل تلك البلاد يطبخون بقله الحلتيت ويأكلونها ، وليست مما يبقى على الشتاء . (م) .

(٢) الاصلخرى ٢٤٠ : ابن حوقل ٣٠١ .

(٣) قال ياقوت (معجم البلدان ٢ : ٩٠٤) : زابلستان ، منسوبة الى جد رستم بن دستان .

(م) .

(٤) ترى خرائب زرنج حول القريتين الحديثتين : زاهدان وشهرستان ، بامتداد عقيق أكبر نهر آخذ من هيلمند . وقد جف ماؤه فى القرون الوسطى . وللاطلاع على حال هذه الخرائب اليوم وغيرها من المواضع الخربة ، راجع السير هنرى رولنسن (Sir H. Rawlinson) فى JRGS لسنة ١٨٧٣ ص ٢٨٠ و ٢٨٣ و ٢٨٤ ؛ والسير ف . كولد سمد (Sir F. Goldsmid) كتاب Eastern Persia (١ : ٣٠١) ؛ وسايكس (Sykes) فى Persia (ص ٣٧٥ و ٣٨٢ و ٣٨٣) . ونشر سافج لندر (A.H. Savage Landor) مخططا لأهم اطلالها فى كتاب Across Coveted Lands . ٢ : ٢٢٨ .

وما زال يرى بالقرب من زاهدان ، بقايا برج علوه نحو من ثمانين قدما ، يسمى ميل زاهدان ،

وجاء ذكرها غير مرة فى أخبار الفتوحات الاسلامية الاولى ، سنة ٢٠ (٦٤١) • وكانت تقوم بالقرب من نهر سنارود وهو من الانهار الكبيرة الآخذة من هيلمند نحو الغرب ، وتصل مياهه فى أيام الفيضان الى بحيرة زره •

وذكر يعقوبى فى المثة الثالثة (التاسعة) ان محيط زرنج اربعة فراسخ • وانتهى النيا من ابن حوقل فى المثة التالية لها ، وصف مفصل لهذه المدينة ، قال : « هى مدينة عليها حصن ، ولها خمسة أبواب • ولها ربض واسع ، وعليه سور وحصن دائر بالربض ، وخندق على الربض حصين ، وفيه ماء ، وماؤه ينبع من مكانه ويقع فيه فضل من المياه الجارية اليها • وللربض ثلاثة عشر بابا • • والابواب الخمسة للمدينة الداخلة كلها حديد • اثنان متجاوران يفضيان الى الجنوب الشرقى يخرج منهما الى فارس ، يعرفان ببابى فارس ، ويسمى أحدهما الباب الجديد والآخر الباب العتيق وباب يفضى الى الشمال ، يخرج منه الى خراسان ، هو باب كركويه نسبة الى مدينة كركويه القريبة منها • وكان باب نيشك فى الطريق الشرقى يخرج منه الى بست • ويعرف الباب الخامس باب الطعام ، وهو أعمر أبوابها ، يفضى الى الطريق الذاهب جنوبا الذى يخترق الاسواق والبساتين فى ظاهر زرنج •

والمسجد الجامع كان فى الربض قرب البابين اللذين فى الجنوب الغربى على طريق فارس • والحبس عند الجامع • وهناك أيضا دار الامارة • وبين باب نيشك وباب كركويه فى الشمال الشرقى من المدينة ، أبنية عظيمة تسمى أرك أى قلعة ، وفيها كانت الخزانة • بناها عمرو بن الليث الصفار ، ثانى أمراء الدولة الصفارية • وكان أخوه الأمير يعقوب ، مؤسس هذه الدولة ، قد بنى له قصرا صار دار الامارة الجديدة وهى فى هذا الجزء من المدينة الداخلة بين البابين اللذين فى الجنوب الغربى وباب الطعام • وبالقرب منها قصر عمرو أيضا • وكانت هذه الابنية ، كسائر أبنية المدينة ، من طين ، آراج معقودة ، لان الخشب بها يتسوس ولا

وله درج لولبية ، وفيه كتابتان بالكوفية يمكن قراءة شيء منها • ويرى ان هذا البرج قد خربه تيمورلنك • انظر : تيت (G. P. Tate) فى JRAS. لسنة ١٩٠٤ ص ١٧١ •
وتقوم نصرت اباد ، قاعدة سيستان الحالية ، على بضعة أميال جنوب هذه الخرائب • وكانت تعرف أولا باسم ناصر اباد ، الا ان هذا الاسم قد بطل اليوم • وعلى ما ذكر المستر سافج لندر ، تعرف اليوم بشهر نصرية أيضا •

بُثت « لرطوبة جوها وانتشار الارضة فيها • وفي المدينة الداخلة وربضها ، كثير من الفنادق • وفي الربض دور الامارة • وأسواق المدينة الداخلة حوالى المسجد الجامع • وأسواق الربض أسواق عامرة أيضا ، منها سوق يسمى سوق عمرو ، بناه ثانى الامراء الصفاريين • • وغلة هذا السوق فى كل يوم نحو ألف درهم (٤٠ باونا) ووقفه على المسجد الجامع واليماستان والمسجد الحرام • •

والسوق فى الربض متصل غير منقطع نحو نصف فرسخ ، ممتد من باب فارس فى السور الداخلى ، الى باب فارس فى سور الربض • وكانت المياه وافرة فى انحاء زرنج ، تجرى اليها فى أنهار صغيرة وفى متصلة تأخذ من نهر سنارود وتدخل الى المدينة الداخلة من ثلاثة مواضع : من الباب العتيق ، ومن الباب الجديد ، ومن باب الطعام • • ومقدار هذه الانهار ، اذا اجتمعت ، ما يدير الرحى • وعند المسجد الجامع حوضان عظيمان يدخلهما الماء الجارى ويخرج ويتفرق فى بيوت أهل البلد • • وبيوت الربض تجرى اليها المياه فى قنى أيضا ولا غنى عن هذه المياه لشدة حر المدينة • • وفى كل بيت سرداب يعيش فيه الناس فى فصل القيظ لاشتداد الحرارة فى زرنج • وأرض المدينة سبخة ورمال ، بها نخيل • وتشتد رياحهم وتدوم ، وتنقل رمالهم من مكان الى مكان • ولولا انهم يحتالون فيها بسياسات ، لطمت القرى والمدن بها ، وذلك ان جميع البلد رمل • • ولدوام رياحهم • نصبوا عليها أرحية لطحن قموحهم ، يديرونها بالريح • • وهو أمر اختصت به هذه البلاد • وكانت « الرمال المتحركة » مبعث خطر وضرر دائم لأهل المدينة • ولابن حوقل حديث طويل بلغه فى سنة ٣٦٠ (٩٧٠) ، ذكر فيه كيف ان الرياح قبل ذلك بسنة « أكبت بالرمال على الجامع » •

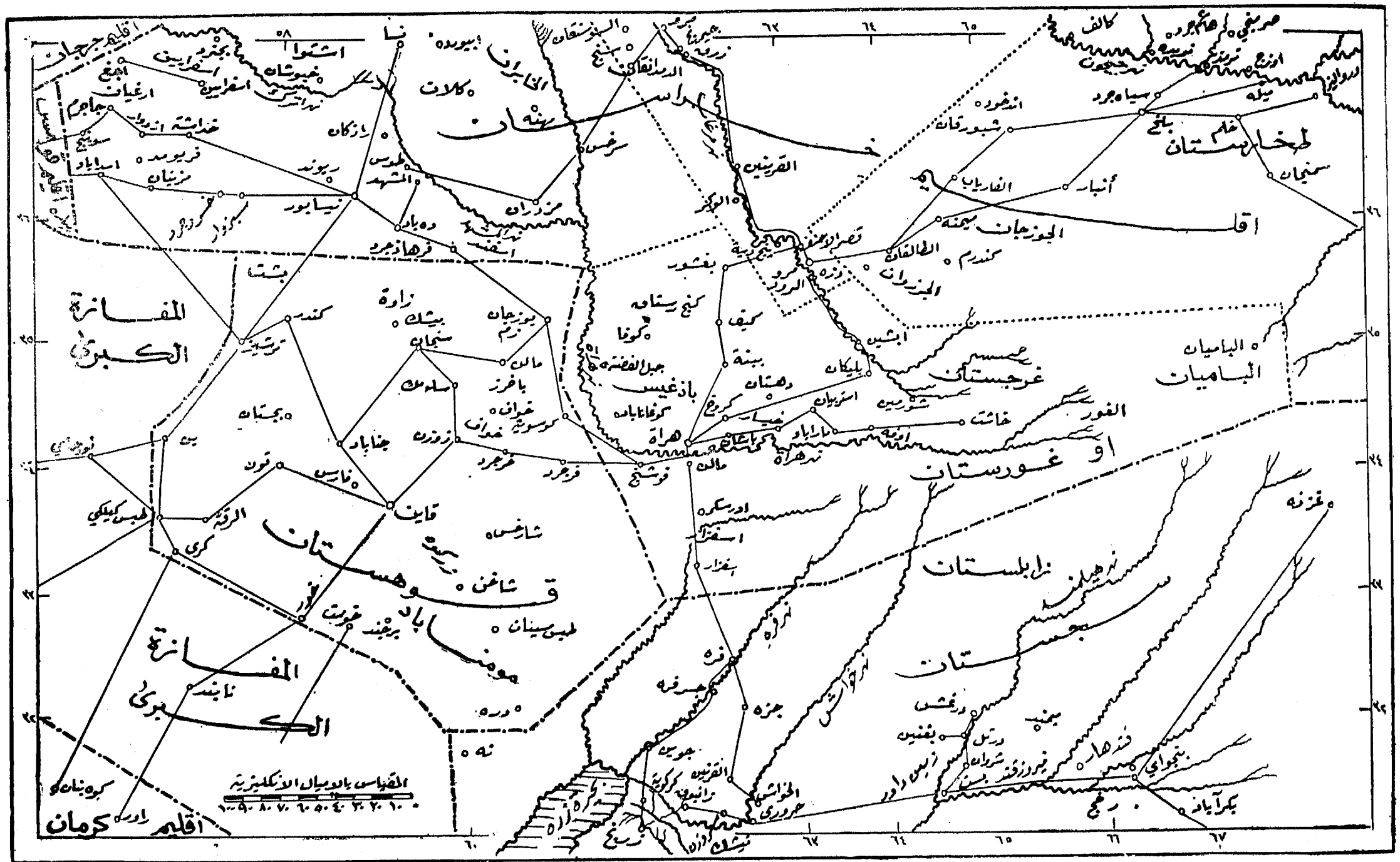
هذا ما كان من حال زرنج فى المئة الرابعة (العاشرة) • وقد ردّ المقدسى هذا الوصف أيضا • فأشار الى غنى أهلها والى انهم ذوو عقل وعلم ، ونوه بقلعتها الحصينة وبمنارتها المشهورتين فى مسجدها الجامع • بنى احدهما يعقوب بن الليث الصفار^(٥) • وبقيت هذه المدينة على ازدهارها قرونا كثيرة حتى انها

(٥) قال المقدسى (أحسن التقاسيم • ص ٣٠٥) : « • • • الجامع فيها ، له منارتان : القديمة واخرى من صفر بناها يعقوب من الليث » (م) •

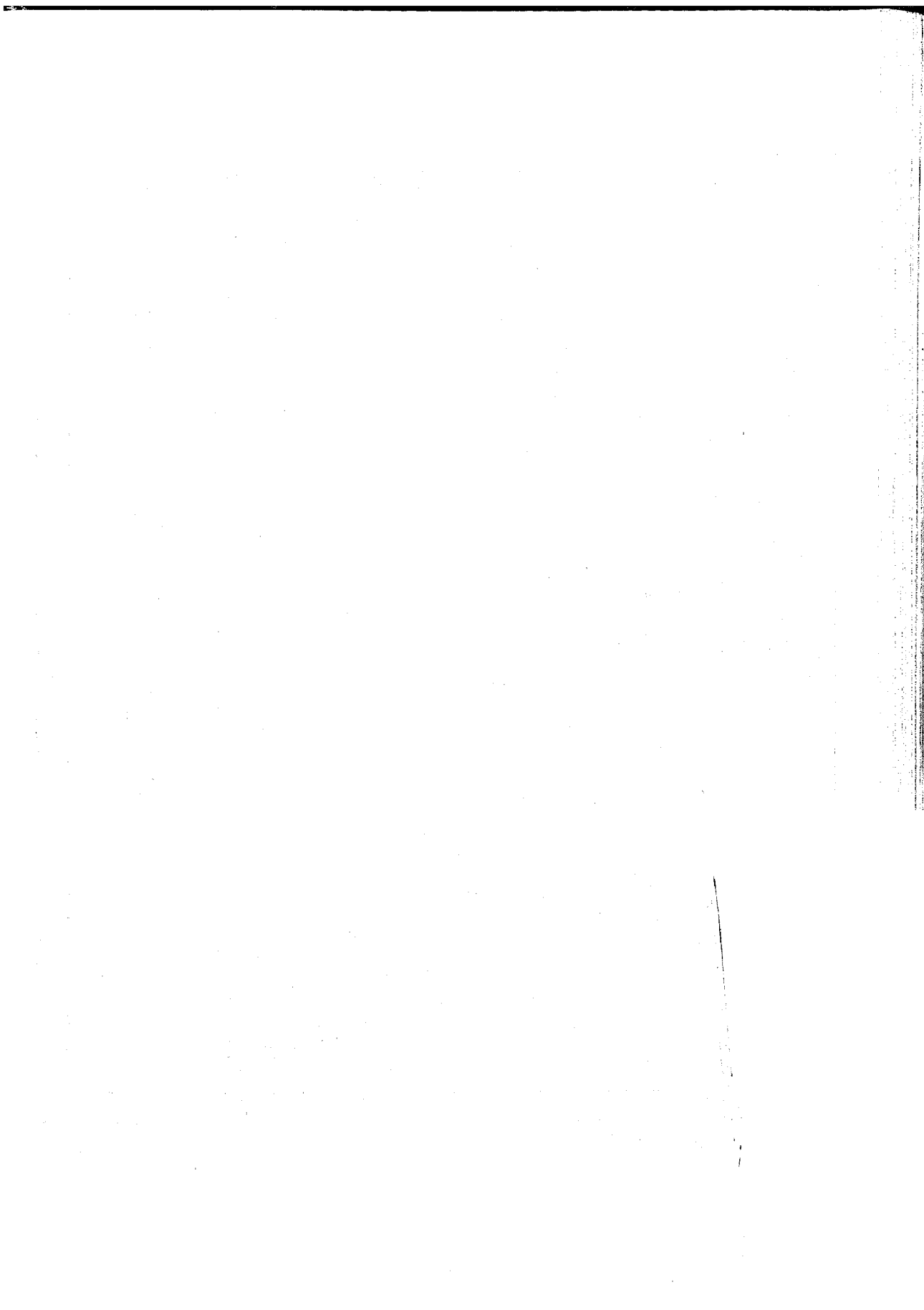
على ما يبدو قد نجت من التدمير في خلال الغزو المغولي سنة ٦١٩ (١٢٢٢) ، حين بعث جنكيز خان بجموعه لتخريب سيستان . وبقيت زمنا بعد هذا التاريخ يحكمها وال مغولى . وفى النصف الاول من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) تكلم المستوفى على زرنج (ويلفظ الفرس اسمها زرنك) وقال انها مدينة على غاية من الازدهار ، وكان يحمى زرنج من الرمال المتحركة التى تأتياها من المفازة المجاورة لها ، « بند » عظيم يقال ان أول من بناء الملك گرشاسف فى قديم الزمان . وجدده بعد ذلك الملك بهمن بن أسفنديار . وأطرى المستوفى بساتين زرنج التى تكثر فيها الفواكه الطيبة . وكان يسقى هذه البساتين سياه رود (النهر الاسود) وهو يأخذ من أحد فروع هيلمند . على انه فى أواخر هذا القرن أى سنة ٧٨٥ (١٣٨٣) ، ظهر تيمور بجحافله أمام المدينة ، وكانت تعرف حين ذاك ، على ما بينا ، بشهرسيستان (أى مدينة سيستان) وما عتمت أن لاقت مصيرها المحتوم . ذلك ان تيمورلنك استولى على قلعتها وقوضتها ، وهى القلعة المعروفة بـ « حصار زره » ولعلها كانت تقوم فى شمال زرنج بالقرب من حافة البحيرة . أما سيستان العاصمة نفسها ، فقد سدت أبوابها بوجهه وامتنعت عن التسليم ، فحاصرها حصارا لم يطل أمده ، فقد استولى عليها عنوة وأعمل السيف فى رقاب أهلها ، وذلك أسوارها وخرب دورها . ومنذ ذلك الحين تحولت زرنج الى خرائب لا اسم لها^(٦) .

وبحيرة زَرَّه ، أو زَرَّه ، كانت فى القرون الوسطى على ما بيننا ، أوسع بكثير مما هى عليه اليوم . الا ان هذه البحيرة ، كانت فى كل الازمان « يتسع الماء فيها وينقص على قدر زيادة الماء [فى الانهار] ونقصانه »^(٧) . وقال ابن حوقل فى وصفها فى المئة الرابعة (العاشرة) : « طولها نحو ثلاثين فرسخا (مئة ميل) من ناحية كَيَوِين (أو كَرِين) على طريق قوهستان الى قنطرة كرمان على

(٦) البلاذرى ٣٩٢ و ٣٩٤ ؛ اليعقوبى ٢٨١ ؛ الاصطخرى ٢٣٩ - ٢٤٢ ؛ ابن حوقل ٢٩٧ - ٢٩٩ و ٣٠١ ؛ المقدسى ٣٠٥ ؛ المستوفى ١٨٣ ؛ على اليزدى ١ : ٣٦٢ .
(٧) وقد نشر ميچر سايكس فى كتابه Persia فى الصفحة ٣٦٤ و ٣٧٢ عددا من الخوارط البيانية ، توضح حالة دلتا هيلمند والبحيرة فى يومنا . ففى أقصى الطرف الجنوبى من خوض البحيرة العظمى ، تتصل بمجرى كبير - طوله نحو من خمسين ميلا ومقابل عرضه ٣٥٠ ياردة وله جروف



اقلیم خراسان و قزوین، مع قسم من اقلیم سجستان



طريق فارس » عند حد سجستان فى المرحلة الثالثة فى الطريق من زرنج الى نرماسير (أنظر ص ٣٦٦ أعلاه) • وعرض هذه البحيرة مقدار مرحلة (أى مسيرة يوم وهو نحو ثلاثين ميلا) وهى عذبة الماء ، وافرة القصب ، ويرتفع منها سمك كثير • و « حوالها كلها قرى سوى الوجه الذى يلى المفازة » وفى هذه القرى كان هذا السمك يجفف ويحمل الى سائر البلاد •

وأكبر الانهار التى تحمل الماء الى بحيرة زره ، هو نهر هيلمند العظيم الذى أجاد ياقوت فى وصفه « انه ينصب اليه مياه ألف نهر » • وقد ضبط اسمه بصورة هند مند • أما هيد مند فلعله من خطأ النساخ • وكذلك هير مند (أو هيرميد) وبهذا الاسم الاخير ذكر المستوفى النهر ، كما سماه أيضا آب زره ، أى نهر زره • وما هيلمند الا الصيغة الحديثة الأكثر شيوعا • ونخرج هذا النهر الكبير فى الجبال بين غزنة وباميان ، وتؤلف هذه الجبال اليوم قسما من أفغانستان ، وقد كانت فى القرون الوسطى تعرف بناحية (أو مملكة) الغور • ويجرى هيلمند نحو الجنوب الغربى فينحدر فى الوادى العريض المعروف بزمينداور الى مدينة بست حيث يلتقى بضمته اليسرى نهر قندهار الذى يسقى بلاد رُخْج • وكانت بست أولى مدن سجستان التى يبلغها النهر • ومن هذه المدينة ينعطف هيلمند انعطافه العظيم نصف الدائرى ، باتجاهه جنوبا غربا فشمالا حتى يبلغ زرنج ومنها يدور نحو الغرب ثانية ثم يقع فى بحيرة زره •

وتقوم فى نهر هيلمند ، على بعد مرحلة ، أى مسافة نحو ثلاثين ميلا من زرنج ، سدود أنشئت لتقسيم مياهه على أنهار الرى • وفى هذا الموضع تفرغ أعظم كمية من مائه فى أنهار خمسة كبيرة تجرى نحو زرنج والبحيرة • فأول هذه الانهار المنشقة عنه : نهر الطعام وهو أبعدا جنوبا • وكان يسقى الرساتيق خارج باب الطعام من أبواب زرنج وقد مر ذكره • ومن هذه الرساتيق ما ينتهى

ارتفاعها خمسون قدما - يقال له شلا ، ويجرى هذا النهر نحو الجنوب الشرقى فيقع فى كود زره ، أى وهدة زره وهى عقيق ثان للبحيرة الى جنوب غدوة هيلمند الاسفل • وتستقبل هذه الوهدة (كود) فى موسم الفيضان فضلة مياه البحيرة ، ومساحة كود زره نحو مئة ميل من الشرق الى الغرب وثلاثين ميلا عرضا • انظر : ساينس فى Persia ص ٣٦٥ •

الى حد نيشك ويليهِ نهر يقال له نهر باشتروذ • ثم نهر ثالث هو نهر سناروذ • كان يأخذ من هيلمند على فرسخ من زرنج ، وهو النهر الذى يحمل الماء الى قاعدة الاقليم • ولهذا فقد أشار ابن حوقل الى ان فى موسم الفيضان كانت تجرى فيه السفن من بست الى زرنج • أما النهر الرابع ، فكان يسقى مقدار ثلاثين قرية ويقال له نهر شعبة • والنهر الخامس كان نهر ميلمى • وكانت فضلة ماء نهر هيلمند بعد ذلك تجرى فى نهر يسمى نهر كرك ، « وقد سكر هناك سُكَّر يمنع الماء ان يجرى الى بحيرة زره حتى يجيء المد » ، فاذا جاءت أيام المد زال السكر ووقع فضل هذا النهر الى بحيرة زره « (٨) » .

ويؤخذ من أقوال البلدانين العرب الأولين ، أن زرنج لم تكن قاعدة سجستان فى أيام ملوك العجم القدماء ، بل كانت مدينة اسمها رام شهرستان ويقال لها أيضا أبر شهریار • وهذه المدينة كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) قد دفنتها رمال المفازة ، وأبنيتها وبعض بيوتها بقيت قائمة الى ذلك الزمن • ويقال ان موضع هذه العاصمة القديمة كان على ثلاث مراحل من زرنج ، عن يسار الذهاب من زرنج الى كرمان « اذا جرت » (مدينة) دارك بجزاء (مدينة) راسك » وهما موضعان مجهولان • ويقال ان الفرع الكبير المنشق من هيلمند « كان يجرى عليها فى الايام الخالية فيسقى رساتيقها • تم انقلع السكر فى هذا النهر وانبتق الماء منه ومال الى نهر آخر فانقطع عنها » ومن ثم تحول ما كان يكتنف المدينة العتيقة من رساتيق الى مفازة ، فهجرها الناس وبنوا زرنج •

وعلى مسافة يسيرة غرب بحيرة زره ، على حد قوهستان ، عند شفير المفازة العظمى ، مدينة نه أو نيه ، وقد ذكرها البلدانون العرب الاولون بكونها من أعمال سيستان • قال فيها المقدسى « عليها حصن ، بناؤهم طين ، وشربهم أكثره من قنى » يجرى اليها الماء من الجبال • وأشار الى نه أيضا ياقوت والمستوفى • ولم يزد الاخير شيئا الا قوله : بناها الملك أردشير بابكان • وما يشاهد اليوم من بقايا

(٨) الاصطخرى ٢٤٢ - ٢٤٤ ؛ ابن حوقل ٣٠٠ - ٣٠١ ؛ المقدسى ٣٢٩ ؛ ياقوت ١ : ٥١٤ ؛ ٤ : ٢٧٢ و ٩٩٢ و ٩٩٣ ؛ المستوفى ٢١٦ و ٢٢٦ • وأشار المقدسى الى البحيرة باسم بحيرة الصنط ولعل ذلك من وهم النساخ •

الحصون والخرائب الهائلة لا يدل الا على انها كانت فى القرون الوسطى موضعا جليل الشأن^(٩) .

أما ما يقع من أنهار فى بحيرة زره من الشمال ، وهى الانهار المنحدرة من أسفـُزار (سبزوار هراة) ويقال لها اليوم هارود ، فلم يذكرها البلدانون العرب على ما يبدو ، الا انهم أشاروا الى نهر فره • ومخرجه فى جبال ناحية الغور • ووادى فره هذا ، بعد ان يجتاز الجبال ، يدخل إقليم سجستان ويصل الى مدينة فره • وقد وصفها ابن حوقل بقوله هى أرض سهلة ومدينة كبيرة ، أبنيتها طين ولها رستاق يشتمل على نحو من ستين قرية ، وبها نخيل وفواكه وزروع • وزاد المقدسى على ذلك قوله « فره : ذات جانبين ، جانب للخوارج وجانب لأهل الجماعة » • وعلى مرحلة من جنوب المدينة ، قنطرة على نهر فره يقال لها قنطرة فره (وبالفارسية بل فره) • وعندها يعبر الطريق الآتى الى زرنج من ضفة النهر اليمنى الى اليسرى • وكانت هذه القنطرة ، وعندها مدينة أيضا ، على أربع مراحل فوق جوین • وكان فى نحو نصف الطريق بين المدينتين (على ما ذكر ابن رسته) موضع يقال له كهن • وقرب كهن ، على بعد فرسخ من غربها ، كتب رمل كبير ، ذو خاصية اسماع الاصوات • فان القيت على رمل هذا التل الماء أو أى شىء حتى الصغير « سمعت منه صوتا شديدا ودويا هائلا مسمعا » • وذكر البيرونى أيضا هذا الجبل العجيب ، وقد كتب فى المثة الخامسة (الحادية عشرة) • ومثل هذه الخاصيات التى فى الرمال المتحركة تلاحظ اليوم فى كتابان المفازة بين سجستان وقوهستان • والمدينة المزدوجة الحديثة لاش - جوین ، وهى فى يومنا موضع جليل الشأن قد ذكرها المقدسى باسم كوين (عوضا عن كوين) ، وقال فيها « كوين ، عليها حصن منيع كبير ، وليس بها منبر من أجل انهم خوارج » •

(٩) الاصطخرى ٢٤٢ ؛ ابن حوقل ٣٠٠ ؛ المقدسى ٣٠٦ ؛ ياقوت ٤ : ٨٧١ ؛ المستوفى ١٨٣ • لا يعلم موضع رام شهرستان بالضبط • وقد جعل سر ه • رولنسن (JRGS لسنة ١٨٧٣ • ٢٧٤) موضعها فى رامود بالقرب من مخرج شلا ، حيث ترى هناك اطلال واسعة كبيرة • وقد وصف هذه الخرائب التى تسمى اليوم شهر رستم أى مدينة رستم ، ووضع لها مخططا : سفج لاندز ، فى كتابه Across coveted Lands ٢ : ٢٧٠ • ووصف ميجر سايكس خرائب نه فى كتابه Persia (ص ٤١٣) •

أما غير المقدسى من بلدانى القرون الوسطى ، فلم يذكروا هذا الموضع الا بكونه مرحلة فى الطريق • ولم يذكروا الاسم « لاش » •

وفى نحو نصف المسافة بين جوين وزرنج ، يعبر الطريق أكبر فروع هيلمند على قنطرة • وعلى بضعة فراسخ جنوبها ، المدينة الجبلية كركوويه كانت هذه المدينة على مرحلة شمال زرنج ، وباسمها على ما بيننا ، سمي باب زرنج الشمالى • وكان أهل كركويه من الخوارج على ما ذكر ياقوت • وفى كركويه بيت نار معظم عند المجوس • وأسهب القزوينى ، وقد كتب فى ختام المئة السابعة (الثالثة عشرة) فى صفة هذه البناية • قال « بها قبتان عظيمتان ، زعموا انهما من عهد رستم الشديد • وعلى رأس القبتين قرنان قد جعل ميل كل واحد منهما الى الآخر تشبيها بقرنى الثور ، بقاؤهما من عهد رستم الى زماننا ••• وتحت القبتين بيت نار للمجوس ••• ونار هذا البيت لا تطفأ أبداً ، ولها خدم يتناوبون فى اشعال النار ، يقعد الموسوم بالخدمة على بعد من النار عشرين ذراعاً ، ويغطى فمه وأنفاسه ويأخذ بكلبتين من فضة عوداً من الطرفاء نحو الشبر يقلبه فى النار • وكلما همّ النار بالخبو يلقى خشبة خشبة • وهذا البيت من أعظم بيوت النار عند المجوس » • وعلى شىء يسير من كركويه ، على ثلاثة فراسخ من زرنج ، كانت مدينة كركونك • وقال ياقوت ان بعضهم يسميها كركون وهى ما زالت الى يومنا تعرف بهذا الاسم • وزاد ياقوت على ذلك انها « بليدة نزهة كثيرة الخيرات ، وأهلها كلهم خوارج ، حاكة » (١٠) •

(١٠) ابن رسته ١٧٤ • وبصدد الكتبان الرملية المسماة أصواتاً ، راجع البيرونى : الآثار الباقية من القرون الخالية وقد نقله الى الانكليزية سنجو (C. E. Sachau) ص ٢٣٥ من الترجمة (ص ٢٤٦ من المتن العربى) • وللإطلاع على مثال فى يومنا هذا لتل رملى يسمع أصواتاً كأصوات « القيثارة الايولية » (Aeolian Harp) انظر : سر ف • كولد سمد (Eastern Persia ١ : ٣٢٧)
فقد زار هذا التل العجيب فى مشهد الامام زيد على خمسة أميال غرب قلعة كاه •
الاصطخرى ٢٤٤ : ابن حوقل ٣٠٣ و ٣٠٤ : المقدسى ٣٠٦ و ٣٢٩ : المستوفى ٢١٥ : القزوينى ٢ : ١٦٣ : ياقوت ٣ : ٤٢ و ٨٨٨ : ٤ : ٢٦٣ و ٢٦٩ •
أما موضع كركويه ، فيمكن البحث عنه بين الخرائب الواسعة فى جنوب بيشاوران ، وعندها قنطرة قديمة ذات عقدتين ، يقال لها تخت بول • انظر أيضاً : سر كولد سمد فى Eastern Persia (١ : ٣١٥) ويت Yate فى كتابه خراسان وسيستان (ص ١١٨) •
كان الزردشتيون يسمون بيت النار المذكور أعلاه ، مينيو كركو • (انتهت حاشية المؤلف) •

أما نهر خاش ، أو خَواش ، أو خَواش (١١) ، فانه يقع فى بحيرة زره بين نهر فره وهيلمند . وقد سماه ابن حوقل نهر نيسشك . ونيشك اسم الناحية العامرة فى شرق زرنج ، وبها سمى ، على ما ذكرنا ، الباب الشرقى فى العاصمة زرنج . ومخرج هذا النهر فى جبال الغور أيضا . ومدينة خواش راكبة عليه ، وهى على نحو مرحلة من زرنج . وذكر ابن حوقل ان مدينة خواش أكبر مدن هذه الناحية ، بها نخيل وأشجار . وحين كتب ياقوت ، صار اسمها يلفظ بصورة خاش ، على ما هو اليوم . وأجل مدينة فى هذه الناحية ، وإن كانت

قلنا : القيثارة الايولية آلة موسيقية تتألف من صندوق مستطيل فارغ ، مربوط على وجهه أوتار ، تعزف من تلقاء نفسها بفعل الريح . وانتهى اليها من أخبار رؤساء اليهود (الربانيين) ان الملك داود كان يعلق قيثارته فوق منامه ليلا ، فاذا انتصف الليل سمع منها صوت ناعم . والمعروف ان الصينيين الى يومنا يطرون طيارات من الورق يعلق فى خيطها آلة تعطى أصواتا موسيقية اذا لامستها الريح . ونجد مثل ذلك فى العراق لدى الصبيان الذين يطرون طيارات ورقية ، فانهم يعلقون فى خيط الطيارة آلة خفيفة تسمى « الدبركة أو السنطور » تعطى أصواتا موسيقية وهى فى الجو . وتنسب القيثارة الايولية الى ايولس (Aeolus) وهو فى الاساطير اليونانية ، على ما ذكر هوميرس ، ابن هيبوتس (Hippotus) ضابط الريح وحاكم جزيرة ايولية العائمة . وايولية Aeolia مقاطعة يونانية قديمة فى آسية الصغرى (راجع دائرة المعارف البريطانية . مادة : Aeolian Harp من الطبعة الرابعة عشرة) .

ان الظاهرة العجيبة التى تسمى « موسيقى الرمال » ، قد سمعها الكثير من علماء الجيولوجية ، ورواد الصحارى والقفار . روى بعضهم ، ان نوعا من الموسيقى الصاخبة التى تشبه الى حد ما « الجاز » العنيف ، تسمع فى بعض الاحيان فى صحراء كلهارى (فى جنوبى افريقية) ، حيث يوجد « لسان » من الرمل الابيض مستقر على « شهر » من الرمل الاحمر . وقد ترتفع هذه الموسيقى حتى تشبه صوت محرك الطائرة . ويرون فى تفسير ذلك ، ان هذا « اللسان » من الرمل الابيض ، يزحف كله على الرمل الاحمر المستقر فيحدث الصوت .

وذكر غيرهم ، انهم سمعوا غير مرة فى صحراء بيرو ، أصواتا موسيقية واضحة تشبه طنطنة الاجراس النحاسية ، وقال آخرون انهم سمعوا موسيقى الرمال جلية فى بلاد الافغان ، على اربعين ميلا من مدينة كابل الى الشرق . وفى مصر عرفت ظاهرة موسيقى الرمال أيضا . فان البدو ، فى أقصى الجنوب الغربى من صحارى مصر ، يزعمون ان هذه الموسيقى اما ان تكون أصوات الاجراس فى الكنائس والاديرة التى طمرتها الرمال ، أو انها صغير الجن وعويل الشياطين . ولو زرت « جبل الناقوس » فى وادى العربى شمال مدينة الطور بشبه جزيرة سيناء ، لسمعت عجا عجا : رنين يبدأ خافتا ثم يعلو رويدا رويدا حتى يزعج السامع ويخيفه ، وقد فسر بعضهم سبب ذلك ان الطبقة العليا من الرمل تكون شديدة الحرارة ، فتأتى الريح فتخركها فتحث الموسيقى . (م) .

(١١) فى هذه الاجزاء ، ثلاثة مواضع بهذا الاسم أو بما يشابهه ، هى نهر ومدينة خاش الحاليين . ثم مدينة بهذا الاسم فى جبل القفص (انظر ص ٣٥٥) وأخيرا خواص مكران (انظر ص ٣٦٨) .

أصغر من خواش ، مدينة قرنين أو القرنين . وهى موطن آل الصفار يعقوب وعمرو ابني الليث الصفار المشهور . وكانت قرنين فى المفازة فى شمال غربى خواش ، على مرحلة منها فى الطريق الذاهب الى فره . وفيها ، على ما ذكر ابن خردادبه ، « أثر مربوط فرس رستم » . وتكلم المقدسى على قرنين فقال : هى صغيرة وعليها حصن ولها نهر وبها جامع ولها ربض . وأشار المستوفى إليها أيضا وقال : يكثر فى رساتيقها الخصب القمح والفواكه .

وفى نصف الطريق بين قرنين وفره ، مدينة جزء الصغيرة وهى نحو قرنين سعة . ذكر ابن حوقل انها تشتمل « على قرى ورساتيق ، وهى خصب ، وماؤهم من قنى لهم ، وأبنيتهم أيضا من طين » . وذكر ياقوت ان أهلها فى أيامه كانوا يقولون لها كزه . ويقال للناحية التى تحف بنهر خواش : نيشك ، وكانت فى المئة الرابعة (العاشرة) كثيرة السكان ، على ما بينا . وحرورى ، « قرية عامرة سلطانية » وهى ما زالت قائمة على ضفة النهر أسفل خواش حيث يعبر الطريق الآتى من بست نهر خواش على قنطرة آجر . وكانت قرية سروزن المرحلة التالية لها فى طريق زرنج . وبين هاتين القريتين زانبوق ، وهى قرية عليها حصن منيع قال المقدسى انها نحو جوين سعة .

وعلى مسيرة يوم شمال زرنج ، مدينة الطاق الجبلية ، ولم تعين كتب المسالك موضعها الصحيح . قال المقدسى : « الطاق صغيرة كثيرة الاعناب واسعة الرستاق » . وذكر ابو الفداء فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، نقلا عن ابن سعيد ، وقد سماها حصن الطاق : « هو على جبل مرتفع عند التواء النهر » (أى نهر هيلمند) ، وعنده ينعطف النهر غربا بعد أن تتفرع منه الانهار الجارية الى زرنج فيقع فى بحيرة زره . وقد جاء ذكر هذا الحصن مع قلعة زره (أو حصار زره) فى جملة المدن التى استولى عليها تيمورلنك قبيل هجومه على زرنج . وفى أخبار الفتوح الاسلامية الاولى ، جاء ذكر قلعة أخرى فى هذه الانحاء ، هى زالق ، قيل انها على خمسة فراسخ من كركويه ومن زرنج . ولا يعرف عنها شيء غير ذلك . ولم يرد لها ذكر فيما بعد (١٢) .

(١٢) البلاذرى ٣٩٣ و ٣٩٥ : ابن حوقل ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٤ : ابن خردادبه ٥٥ :

أما بست ، فانها على نحو خط عرض زرنج • والطريق من زرنج يأخذ شرقاً ماراً بحرورى ، على ما بيننا ، ويقطع المفازة • اما مجرى هيلمند ، فانه يضاعف المسافة اذ يلتوى التواء نصف دائرى باتجاه الجنوب ، وفي منتصف امتداد مجراه تقوم مدينة رودبار • وقد ذكر البلاذرى هذا الموضع على ما يظهر فى أيام الفتوحات الاسلامية الاولى ، فتكلم على مدينة يقال لها الروذبار فى سجستان ، فى طريق قندهار وبالقرب من الروذبار هذه ، كانت كئش (أو كس) • ويبدو انها هى الموضع المعروف اليوم باسم كاج أو كهيج • ولم يذكر البلدانون العرب الروذبار الا عرضاً ، ولعلها تطابق رودبار التى وصفها الاصطخرى وقال انها من أعمال فيروز قند قرب بست • « وأكثر غلاتها الملح ، ولهم مع ذلك زروع وفواكه ومياه جارية » • وفى هذه الانحاء موضع آخر هو الزالقان ، وتكتب أيضاً الصالقان أو الجهاالكان • وصفها ابن حوقل بكونها من بست على مرحلة واحدة ، ولكنه لم يذكر فى أى اتجاه هى منها • ولم يرد هذا الاسم فى كتب المسالك • وكانت مدينة « أكثر أهلها حاكّة ، وبها فواكه ونخيل وزروع ، وماؤهم أنهار جارية » وكانت فى المئة الرابعة (العاشرة) نحواً من القرنين فى الكبر •

وُبت (أو بَست) على نهر هيلمند ، عند ملتقى النهر الآتى من ناحية قندهار معه • وقد كانت دائماً موضعاً جليلاً • قال الاصطخرى « على باب بست ، جسر من السفن كما يكون على أنهار العراق » وعليه يعبر الطريق الآتى من زرنج • وكانت بست فى المئة الرابعة (العاشرة) ثمانية المدن الجبلية فى سجستان • « وزيّ أهلها زي أهل العراق ، وبها متاجر الى بلد الهند ، وبها نخيل وأعناب ، وهى خصبة جدا » • وكانت بست تعد أجمل مدن البلاد الجبلية فى شرق سجستان التى تشتمل على الناحيتين الكبيرتين : زمين داور ورخج • قال المقدسى ان حول بست وقلعتها أرباضاً كبيرة على فرسخ فوق ملتقى نهر خردروى (نهر أرگنداب الحالى) بهيرمند (هيلمند) • ولها جامع حسن

وأسواق عامرة • « وعلى نصف فرسخ من نحو غزنين (غزنة) ، مدينة صغيرة تسمى العسكر ، ينزلها السلطان » وقال ياقوت فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) ، ان الخراب فى بست ظاهر ، ونوّه بانها « من البلاد الحارة المزاج ، وهى كثيرة الانهار والبساتين » • وفى ختام المثة الثامنة (الرابعة عشرة) أوقع تيمور بها وبما جاورها ، الدمار حين زحفه اليها من زرنج ، وخرّب فى طريقه أحد السكور العظيمة فى هيلمند المسمى بند رستم ، وكان هذا السكر يسكر المياه التى تسقى الرساتيق فى غرب سيستان^(١٣) •

وما زال الوادى العريض الذى يجرى فيه نهر هيلمند متحدرا من جبال هندوكش الى بست ، يعرف باسم زمين داور ، وهو الاسم الذى أطلقه البلدانون العرب على ناحيته • وهذه هى التسمية الفارسية ، ويقابلها بالعربية أرض الداور أو بلد الداور • ومعنى هاتين التسميتين واحد ، هو أرض الأبواب أى دروب الجبال • وكانت هذه البلاد فى القرون الوسطى خصبة عامرة كثيرة السكان ، بها أربع مدن جليلة ، هى درتل ودرغش وبغنين وشروان • ولها قرى ورساتيق عديدة • وأكبر مدن هذه الناحية درتل أو تل ، على ما كتب الاصطخرى اسمها • والظاهر انه يطابق المدينة التى وصفها المقدسى باسم الداور وقال « الداور : كبيرة طيبة وهى ثغر جليل عليها حراس مرتبون » اذ كانت فى المثة الرابعة (العاشرة) على حد جبال الغور وهى عند ضفة نهر هيلمند على ثلاث مراحل فوق بست • وورد فى أخبار الفتوحات الاسلامية الاولى ، ان بالقرب منها جبل الزور حيث الصنم العظيم المسمى زور أو زون • وقد غنمه العرب • وكان هذا الصنم كله من ذهب وعيناه مرصعتان بياقوت •

ومدينة درغش ، على هيلمند فى الضفة التى عليها درتل ، وهى أعلى منها بمرحلة • أما بغنين ، فكانت على مرحلة من غرب درتل فى البلاد التى تسكنها القبائل التركية المعروفة بالبشلك • وتقيم بينهم قبيلة الخلج • وقد هاجرت

(١٣) البلاذرى ٣٩٤ و ٤٣٤ ؛ الاصطخرى ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٨ ؛ ابن حوقل ٣٠٢ و ٣٠٤ ؛ المقدسى ٢٩٧ و ٣٠٤ ؛ ياقوت ٢ : ١٠ و ٦١٢ ؛ ٤ : ١٨٤ ؛ على اليزدى ١ : ٣٧٠ •

قبائل الخليج هذه بعد ذلك نحو الغرب ، الا ان ابن حوقل فى المثة الرابعة (العاشرة) ، وصفهم بقوله انهم من بلد الداور « على خلق الاتراك وزبيهم ولباسهم » . وفى زمين داور مدينة خامسة هى خواش (واسمها كاسم الموضع الذى على نهر خواش ، وقد مر ذكره) . قال الاصطخرى انها بلد لا سور عليه ، وبها قلعة . ومما يؤسف عليه ان موضعها لم تذكره المراجع ، غير ان بعضهم عدّها من أعمال كابل .

وبين بست ودرتل ، على مرحلة جنوب المدينة الاخيرى ، سروان أو سروان ولم تكن على نهر هيلمند على ما يظهر ، قال فيها ابن حوقل : مدينة صغيرة نحو القرنين ، الا انها أعمر وأكثر أهلا ، وبها فواكه واسعة تحمل ، ونخيل وكروم تجلب منها وتنقل من رساتيقها ومن فيروز قند . وهذه الاخيرى جنوب ناحية سروان . وعلى مرحلة من شرق بست^(١٤) .

ورستاق رخج ، يتألف مما حول قندهار من بلاد ، وهو فى شرق بست بامتداد ضفاف النهرين المعروفين اليوم بـ « ترنك » و « أرگنداب » . وكانت قاعدة رخج فى العصور الوسطى : پنجواى . وهى الصيغة العربية لـ « پنج واى » (أى الانهار الخمسة) . وما زال هذا الاسم يطلق على الناحية غرب قندهار قرب التقاء نهري ترنك وارگنداب . وقد كانت بلاد رخج على غاية الرفاهة والخصب والسعة فى القرون الوسطى . « وعامتها صوّاف يرتفع لبيت المال منها مال عظيم جسيم » . ومن الصعب تعيين موضع پنجواى ، فقد كانت على طريق بست على اربع مراحل منها ، وعندها كانت تتشعب الطرق : طريق يتجه شمالا فيصل غزنة فى اثنى عشرة مرحلة . وطريق آخر الى الشرق يبلغ سيبى فى ست مراحل . ولعلها لم تكن بعيدة عن قندهار . غير ان المسافة بين المدينتين لم تذكرها المراجع . وعلى مرحلة من غرب پنجواى ، قلعة كوهك (أى الجبل) . وحول القلعة المدينة . وكانت پنجواى نفسها منيعة ، وبها جامع حسن . وشرب

(١٤) البلاذرى ٣٩٤ ؛ الاصطخرى ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٨ ؛ ابن حوقل ٣٠٢ و ٣٠٤ ؛ المقدسى

٣٠٥ ؛ ياقوت ٢ : ٥٤١ ؛ ٤ : ٢٢٠ .

لم يبق اليوم مدينة من مدن زامين داور . الا ان درتل قاعدة هذه البلاد ينبغى انها كانت حيث موضع كيرشك الحديثة .

أهلها من نهر •

وعلى مرحلة من هذا الموضع فى طريق سيبى ، مدينة بكر اواذ (عوضا عن بكر اباد ، وقد أشار اليها الاصطخرى وابن حوقل باسم تكى ناباذ ، ولعل ذلك من وهم النساخ) • وهى « مدينة كبيرة ، الجامع فى السوق » • وكانت على نهر يلتقى بنهر قندهار •

أما مدينة قندهار (أو القندهار) فقد ذكرت غير مرة فى أخبار الفتوح الاسلامية الاولى ، فى جملة المواضع القريبة من حدود الهند • وأشار البلاذرى الى ان المسلمين وصلوها من سجستان بعد أن اجتازوا المفازة ، ثم اتوا المدينة فى السفن من ناحية النهر ففتحوها وكسروا البد العظيم ، وقد كان ولا شك تمثالا لبوذا • وبعد الفتوحات ، لم يرد اسم قندهار الا عرضا فى المقدسى وابن رسته واليعقوبى ، وذكروها انها فى الهند أو على حدود الهند • ولم يوصلنا أحد من أصحاب المسالك الى قندهار يا للأسف • ولا ذكر لهذا الاسم فى الاصطخرى وابن حوقل فى سياق كلامهما على هذا الاقليم • وربما تكون پنجواى قد حلت محلها فى صدر القرون الوسطى • اذ ان ياقوت الحموى ، لم يأتنا بوصف لها ، وبرز اسمها ثانية فى التاريخ عند الكلام على تخريب المغول لها فى النصف الاول من المئة السابعة (الثالثة عشرة) ثم تدمير تيمور لها فى ختام المئة التى تليها^(١٥) •

وكانت ناحية سيبى ، تعرف لدى البلدانين العرب باسم بالس ، ويقال لها أيضا بالس أو والشتان • وقاعدتها ، على ما فى الاصطخرى : سيبى ، وكتبت أيضا سيوي أو سيوى • ولكن الوالى كان يقيم عادة فى القصر ، (أى القلعة) • والقصر بلدة صغيرة على فرسخ من أسفنجاي أو سفنجاي ، وهى ثانية مدن هذه الناحية ، ولم يعين موضعها الصحيح ولكنها كانت على مرحلتين شمال سيبى فى طريق پنجواى رنج • أما مدينة مستك أو مستنج فقد ذكرها أيضا الاصطخرى

(١٥) البلاذرى ٤٣٤ و ٤٤٥ : الاصطخرى ٢٤٤ و ٢٥٠ : ابن حوقل ٣٠١ و ٣٠٢

و ٣٠٥ : المقدسى ٣٠٥ : ياقوت ٤ : ٣٣١ : على اليزدى ١ : ٣٧٦ : الدكتور هـ • و • بلو H. W. Belleu فى كتاب From the Indus to the Tigris ص ١٦٠ •

والمقدسى وقال الاخير ان فى هذه الناحية الفين ومثى قرية • ولكن لم ينته اليها وصف لأى موضع من هذه المواضع^(١٦) •

وغزنة أو غزنين ، اشتهرت فى التاريخ فى ختام المئة الرابعة (مطلع المئة الحادية عشرة) اذ كانت عاصمة السلطان محمود الغزنوى العظيم وقد ساد فى وقت واحد على الهند فى الشرق وبغداد فى الغرب • ولكنه لم ينته اليها يا للأسف وصف واف لغزنة حين جدد محمود بناءها وزينها بما غنمه من غزواته فى الهند • وقد وصف الاصطخرى هذه المدينة قبل هذا الزمن بجبل ، فقال انها كالباميان ، ولا بساتين لها • ولها نهر « وليس فى هذه المدن التى فى نواحي بلخ أكثر مالا وتجارة من غزنة ، فانها فرضة الهند » • وسرد المقدسى أسماء كثير من رساتيقها وقرائها ومدنها ومعظمها لا يعرف موضعه اليوم • وكتب اسمها بصورة غزنين ، بصيغة المثنى ، ولكنه لم يشر الى ما يقصده بغزنين وان استعمل اسم غزنين فى الأزمنة أكثر من غزنة • وزاد المقدسى على ذلك ان البلاد التى ما بين غزنة وكابل كانت تعرف بكابلستان •

جدد السلطان محمود بناء غزنة فى نحو سنة ٤١٥ (١٠٢٤) حين رجوعه الى بلاده محملا بالغنائم من الهند • وبلغت المدينة أوج ازدهارها فى أيامه واستمرت على ذلك نحو نصف قرن • وقد لقب السلطان علاء الدين الغورى هذه المدينة بجهان سوز ، (أى مفسدة العالم) ، انتقاما لموت أخيه على يد بهرام شاه الغزنوى ، واستولى على غزنة عنوة سنة ٥٤٤ (١١٤٩) ثم أمر بنهب المدينة وحرقتها ، فلم يبق لها قائمة بعد هذه الكارثة • ولكن الظاهر ان قبر محمود العظيم فى الجامع قد نجا من هذا الدمار أو قد جدد بناؤه ، فقد رآه ابن بطوطة حين كان فى هذا الموضع فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • وقال ان غزنة فى أيامه معظمها خراب ولم يبق منها الا يسير • وكانت قبل ذلك مدينة كبيرة • وتكلم عليها معاصره المستوفى فقال انها بلدة صغيرة ، البرد فيها شديد جدا لعظم ارتفاع موضعها • ولم يزودنا بوصف ذى وزن لها^(١٧) •

(١٦) الاصطخرى ١٧٩ و ٢٤٤ : ابن حوقل ٣٠١ : المقدسى ٢٩٧ •

(١٧) الاصطخرى ٢٨٠ : ابن حوقل ٣٢٨ : المقدسى ٢٩٦ و ٢٩٧ : ابن بطوطة ٣ : ٨٨ : المستوفى

وكان البلدان يون العرب ، على ما قد رأينا ، يسمون الاقليم الجبلى فى أعالى نهر هيلمند ونهر قندهار ، بزابلستان • وهو اسم مبهم الاستعمال ، ولكنه فى الغالب يعين البلاد التى حول غزنة • ومن جهة ثانية ، كانت كابليستان اقليم كابل ، وهى أبعد شمالا من غزنة ، على حدود الباميان • وهذا هو التقسيم الموجود فى أخبار فتوحات تيمور • وقد وصف يعقوبى فى المثة الثالثة (التاسعة) مدينة كابل بقوله : « التجار يدخلون اليها ويحملون منها الاهليلج الكابلى الكبار » (١٨) • وقال أيضا : « مدينة كابل العظمى ، يقال لها جُروَس » • اما الاصطخرى فى المثة التالية ، فقد قال ان اسمها طابان • ولكن الظاهر ان اسمها الشائع كان كابل ، وأكثر ما كان يطلق ، على ناحيتها •

وكان فى كابل قهندز - أى قلعة - مشهور • وعلى المدينة سور منيع ، ولا يؤدى اليها الا طريق واحد ، وكانت فرضة لتجارة الهند • « يباع بها من الليل فى كل حول ، ما يعمل بقصبتها على ما يذكره تجارهم بألفى ألف دينار (١٩) وزائد » • وفيها تجارات الهند والصين الثمينة • وللمسلمين فى كابل ربض ، ومثله لليهود والوثنيين • وفيها أسواق عامرة كثيرة السلع • وذكر المقدسى أيضا ان فى قلعتها بئرا عجيبة وان كابل فى نظره « بلد الهليلج الرفيع » • وعدّ كابليستان فى آخر اقليم سجبستان • وقال القزوينى فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) : « يجلب منها

• ١٨٤

ولم يأتنا المتبى فى كتابه « سيرة محمود صاحب غزنة » بوصف مسهب عن عاصمة هذا السلطان • وانظر مادة (غزنة) التى كتبها سر هـ • يول (H. Yule) فى دائرة المعارف البريطانية (الطبعة التاسعة) المجلد العاشر • ص ٥٦٠ وفيها تخطيط للمدينة •

(١٨) الاهليلج أطلق فى القرون الوسطى ، على ثمر جاف وحب قابض الخاصية • يجلب من الهند • اشتهر كثيرا فى طبخ العقاقير فى تلك الايام • وهذا الاسم يونانى الاصل • وثمره الهندى المستعمل فى تركيب التوابل مختلف الانواع • وأجودها يقال له الكابلى أى المنتج فى كابل • وسمى العرب هذا العقار (على ما انتهى اليها) اهليلج أو هليلج • ولابن البيطار فى كتابه « الجامع لفردات الادوية والاغذية » (وقد نقله الدكتور جى • سونثيرم Dr. J. Sontheimer راجع ١ : ١٦٣ : ٢ : ٥٧٢) نبذتان فيه • انظر أيضا دوزى فى تكملة المعجمات العربية (مادة : اهليلج) و Glossary of Anglo-Indian Terms تأليف يول وبرنل Yule and Burnell فى مادة : Myrobalan •

(١٩) هذا ما ذكره الاصطخرى ، اما المؤلف فقد جعل المبلغ ألف ألف دينار ، أى ما يساوى نصف مليون باون استرلينى (م) •

(أى من كابل) النوق البخاتى ، وهى أحسن أنواع الابل « فى أنحاء آسية الوسطى • وذكر ابن بطوطة مدينة كابل وقد زارها فى المئة التالية ، فقال : « كانت فيما سلف مدينة عظيمة ، وبها الآن قرية يسكنها طائفة من الاعاجم يقال لهم الافغان » •

ونهر كابل ، رافد من روافد نهر الاندس (نهر مهران) ، ويتكون من التقاء جدولين ينحدران من جبال هندوكش وهى الجبال التى فى شمال كابل (٢٠) • وعند منبعه الشرقى جبل الفضة ، وقد سماه العرب بنجهير (من بنج - هير أى خمسة جبال ، فى لغة تلك البلاد) • ومنه كان يستخرج مقدار كبير من هذا المعدن الثمين • وصارت بنجهير دارا للضرب (٢١) فى أيام بنى الصفار فى المئة الثالثة (التاسعة) • وكان على دراهمها اسم الخليفة العباسى ولا شك • وصف ابن حوقل مدينة بنجهير بقوله « مدينة على جبل ، وتشتمل على نحو عشرة آلاف رجل ، ويغلب على أهلها الغث واللغث والفساد » • وجارية ، تجاورها على نهر بنجهير أيضا ، أى نهر كابل ، وكان هذا النهر حين ذاك ينحدر منها الى سهول الهند مارا بقرّوان وهى مدينة كبيرة لها جامع • وذكر المقدسى أيضا مدينة شيان ، وقال انها من رستاق اسكيمشت « وبها عين عجيبة ، وعلى حافتها مسجد قتيبة بن مسلم » وهو القائد المشهور فى الفتوح الاسلامية الأولى • وأسهب ياقوت فى حديثه عن جبل الفضة وعن المعدنين من أهله ، وفيهم شرّ ، قال : ان الجبل كان كالغربال من كثرة الحفر • وكان الرجال يتبعون عروق الفضة فى أعماق الارض ، مستعينين بالمصابيح ، وهم يتسابقون ويتنافسون فى البلوغ اليها • « والرجل منهم يصبح غنيا ويمسى فقيرا ، أو يصبح فقيرا ويمسى غنيا » •

(٢٠) هندوكش معناها بالفارسية (الجبل) « قاتل الهنود » • وابن بطوطة (٣ : ٨٤) أول من ذكر هذا الاسم ، فلم ينوّه به قبله البلدانون العرب • وقال انما سعى بذلك « لان العبيد والجوارى يؤتى بهم من بلاد الهند (الى فارس) يموت هنالك الكثير منهم » •

(٢١) بنجهير ، فى أفغانستان اليوم • وكانت من دور الضرب أيام بنى الصفار والسامانيين والداوديين • وجاء اسمها فى بعض النقود بصورة « بنجير » • راجع : O. Codrington, A Manual of Musulman Numismatics, (London, 1904, p. 145).

ويتفق أن ينفق الرجل منهم على الحفر ثلاثمائة ألف درهم (١٢ ألف باون) (٢٢).
وقد خرب جنكيزخان هذا الموضع • وحين زارها ابن بطوطة في المئة الثامنة
(الرابعة عشرة) وتكلم على نهر بنجهير العظيم الأزرق ، لم يشاهد هناك من
مناجم الفضة الا بقايا الحفر القديمة •

أما تجارات سجستان ، قليلة • وما ذكره المقدسي منها : « التمور والزنايل
والجبال من الليف والحصر » (٢٣) •

اما المسالك في سجستان ، فكلها تجتمع في زرنج ، فاليها ينتهى طريق المفازة
من نرماسير مارا بسنيج وقد جاء وصفه في الفصل السابق • ومن زرنج يتجه
طريق نحو الشمال قاصدا هراة مارا بكر كويه ومنها يعبر جسرا على نهر هيلمند
الى جوين وهى على نهر فره • ومن جوين يصل طريق الى فره يصعد مع النهر
ويعبر النهر على قنطرة فره (وقد ذكرها في الصفحة ٣٧٩) • وما وراءها
مدينة فره نفسها • وعلى ثلاث مراحل شمال فره مدينة أسفزار (أو سبزوار
هراة) أولى مدن خراسان • ولم تنته الينا يا للأسف مسافات هذا الطريق
بالفراسخ ، بل وصلنا ما فيه من مراحل الايام • وأوثق مراجعنا فيها : الاصطخرى

(٢٢) ولطرافه وصف ياقوت للطريقة التي كان أهل بنجهير يتبعونها في استخراج الفضة ، نقل
وصفه بحروفه (معجم البلدان ١ : ٧٤٣ - ٧٤٤) لما فيه من فائدة عمرانية • قال : « بنجهير ٠٠٠
فيها جبل الفضة • وأهلها أخلاط ، وبينهم عصبية وشر وقتل ٠٠٠ والفضة في أعلى جبل مشرف
على البلدة والسوق • والجبل كالغربال من كثرة الحفر ، وانما يتبعون عروقها يجدونها تدلهم على
انها تفضى الى الجواهر • وهم اذا وجدوا عرقا حفروا ابدا الى أن يصيروا الى الفضة ، فيفتق ان
للرجل منهم في الحفر ثلاثمائة ألف درهم أو زائدا أو ناقصا ، فربما صادف ما يستغنى به هو
وعقبه ، وربما حصل له مقدار نفقته ، وربما أكلدى واقتقر للغلبة الماء وغير ذلك ، وربما يتبع رجل
عرقا ويتبع آخر شعبة أخرى منه بعينه ، فيأخذان جميعا في الحفر • والمادة عندهم ، ان من سبق
فاعترض على صاحبه فقد استحق ذلك العرق وما يفضى اليه • فهم يعملون عنده هذه المسابقة عملا
لا تعمله الشياطين • فاذا سبق أحد الرجلين ، ذهب نفقة الآخر هدرا ، وان استويا اشتراكا •
وهم يحفرون ابدا ما حبيت السروج واتقدت المصابيح • فاذا صاروا في البعد الى موضع لا يحيى
السراج لم يتقدموا ، ومن تقدم مات في أسرع وقت ٠٠٠ »

وهذا يشبه ما يتبعه المعدنون اليوم في المناجم البعيدة الغور ، باتخاذ مصابيح خاصة يقال
لها مصابيح الامان • (م) •

(٢٣) البقوي ٢٩٠ و ٢٩١ : الاصطخرى ٢٧٨ و ٢٨٠ : ابن حوقل ٣٢٧ و ٣٢٨ : المقدسي
٢٩٧ و ٣٠٣ و ٣٠٤ : ياقوت ١ : ٧٤٣ : ٢ : ٩٠٤ و ٩٠٥ : ٣ : ٤٥٤ : القزويني ٢ : ١٦٢ •
على اليزدى ١ : ٥٥٨ : ابن بطوطة ٣ : ٨٥ و ٨٩ : المستوفى ١٨٨ •

وابن حوقل^(٢٤) . والى ذلك ، فيشك في تهجئة أسماء كثير من المحطات .
ومن زرنج يتجه الطريق شرقا الى حرورى على نهر خواش ، ومنها يقطع
المفازة بخط مستقيم فيبلغ مدينة بست فى خمس مراحل . وعند بست تنقسم
الطرق : طريق يذهب الى بلاد زمين داور فى أعالي هيلمند ، وطريق الى پنجواى
رخج فى انحاء قندهار . وعند پنجواى تنقسم الطرق ثانية : طريق يأخذ الى
الشمال الشرقى الى غزنة ، وطريق ثان الى سيبى مارا بلدة يقال لها أسفنجاي .
ومما يلاحظ ، ان المسافات فى هذه الطرق قد جاءت أيضا بالمراحل فقط . وان
كثيرا من أسماء المراحل يشك جدا فى قراءته^(٢٥) .

(٢٤) ابن رسته ١٧٤ ؛ الاصطخرى ٢٤٨ و ٢٤٩ ؛ ابن حوقل ٣٠٤ و ٣٠٥ ؛ المقدسى

٣٥٠ .

(٢٥) الاصطخرى ٢٤٩ - ٢٥٢ ؛ ابن حوقل ٣٠٥ - ٣٠٧ ؛ المقدسى ٣٤٩ و ٣٥٠ .

الفصل الخامس والعشرون

قوهستان

اقليم قوهستان ، هو تونوكاين (Tunocain) لدى ماركو بولو - قاين وتون - ترشيز ورستاق
بشت : سروة زرادشت العظيمة - زارة - بوزجان واقليم زم - رستاق باخرز
ومالن - خواف - زيركوه - دشت بياض - كتاباد وبجستان -
طيس التمر - خوست او خوسف برجند ومومناباد -
طيس مسينان ، ودره •

• عدّ البلدانون العرب اقليم قوهستان ، من أعمال خراسان كسجستان •
• وقوهستان معناه بلاد الجبل • وانما سمى هذا الاقليم بذلك ، لطبيعة أرضه •
فالجبال فيه تناظر السهول في اقليم سجستان ، الذي في شرق قوهستان على
دلتا هيلمند • وأشار ابن حوقل الى ان أكثر مدن قوهستان صرودية وان النخيل
لا ينمو الا في طيس گيلكى عند حافة المفازة الكبرى • وكان « يسكنها في المئة
الرابعة (العاشرة) الأكراد وأصحاب السوائم من الابل والغنم » • ولا ريب
في ان هذا الاقليم يطابق « مملكة تونوكاين » التي ذكرها ماركو بولو • وقد
ركّب اسمها من اسمي مدينتيها الكبيرتين : « تون » و « قاين » ، ويريد به
البلاد كلها^(١) •

(١) الاصطخرى ٢٧٣ و ٢٧٤ ؛ ابن حوقل ٣٢٤ و ٣٢٥ ؛ المقدسى ٣٠١ ؛ ماركو بولو (طبعة يول)
١ : ٨٧ و ١٣١ •

كتب العرب الاسم قوهستان (بالقاف) وهو كوهستان بالفارسية • ومعنى « كوه » فيها الجبل •

وأجلّ مدن قوهستان : قاين • قال فيها ابن حوقل : « لها قهندز ، وعليه خندق ، ومسجد جامع ودار الامارة فى القهندز • وماؤهم من القنى ، وبساتينهم قليلة ، وقراها متفرقة ، وهى ناحية من الصرود » • ولقاين ثلاثة أبواب ، وهى فرضة خراسان • وذكر ابن حوقل « فى حد قاين منها ، على مسيرة يومين مما يلى نيسابور ، الطين النجاحى الذى يحمل الى الآفاق للأكل » وزار ناصر خسرو مدينة قاين سنة ٤٤٤ (١٠٥٢) ووصف المدينة الداخلة وقال هى قلعة حصينة ، وبها مسجد جامع به مقصورة عليها عقد عظيم لم أر أكبر منه فى خراسان • وعلى جميع بيوت المدينة قباب • وأهم ما نوه به المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) موقع قاين المركزى بين المدن • فهى حسب قوله على عشرين فرسخا من كل مدينة جليلة من مدن قوهستان • وكانت مدينة حسنة ، وشرب أهلها فى البيوت من قنى ، ولها سراديب تتخذ فى أيام القيظ • وتبكر أثمارها فى النضج وتجنى محاصيلها قبل غيرها • ويكثر فيها القمح والفواكه ولاسيما الزعفران • وتوجد المواشى فى مراعيها لكثرة عشبها • وزاد المستوفى على ذلك ان أهلها شديدا السمرة •

أما مدينة تون ، فهى على نيف وخمسين ميلا من غربى قاين الى شمالها قليلا • قال المقدسى فيها ، انها عامرة أهلة ، أصغر من قاين ، عليها حصن ولها جامع حسن ، وأكثر أهلها حاكّة • وأطرى ناصر خسرو سجادها ، وكان بها اربعمئة نول لعمل السجاد حينذاك ولما رآها كان الحراب غالبا عليها ، أما حصنها فكان ما زال باقيا • وفى أرباضها الشرقية بساتين كثيرة حسنة ، وافرة الفستق • وقال المستوفى ، ان تون أول ما بنيت ، بنيت على غرار مدينة صينية ، ولكنه لم يوضح أمر ذلك • وتكلم على قلعتها العظيمة وخندقها الجاف العميق • وكان يحف بالقلعة شوارع وأسواق المدينة الخارجة • ورساتيقها وافرة الخيرات لأن أهلها ، على ما ذكر ، يحذقون بناء السدود (البند) فيجمعون عندها مياه الأمطار ويحسبونها ، وكانوا ينتجون من أراضيهم البطيخ وهو مشهور بحلاوة

وغالبا ما يكتب قوهستان بدون واو ، فيقال قهستان •

طعمه • ويكثر عندهم القمح والفواكه • وتغلّ كثيرا من الحرير لأن هواء تون معتدل ، وقتيها عديدة (٢) •

وفي شمال غربي قوهستان ، رستاق بشت أو پوشت ، أو بشت العرب • وأجل مدنه : ترشيزو كُنْدُر (٣) • وقد ذكر البلدانون العرب اسمها القديم بصورة طريث وطرثيث ثم كتبت ترشيش وترشيس • وعرفت أحيانا بحومة نيساپور • وقال ابن حوقل ان ترشيز كثيرة الأهل والخير • وكان في رستاق بشت سبع مدن أخرى فيها مساجد جامعة. ووصف المقدسي جامع ترشيز بقوله: بها جامع ليس بعد جامع دمشق أغنى منه، وعند باب حوض للماء مدور وبها أسواق عامرة فكانت خزانة خراسان، ومنها تحمل التجارات إلى فارس واصفهان ومنهما إليها. وكانت مدينة كندر القريبة منها، في نحو ترشيز خيرات وغنى، وفي رستاقها ٢٢٦ قرية كبيرة.

وذكر ابن الاثير انه في سنة ٥٢٠ (١١٢٦) ، حاصر وزير السلطان سنجر السلجوقي مدينة ترشيز ونهبها ، وهي التي أصبحت بعدئذ من مدن الاسماعيلية أى الحشيشية • فان « شيخ الجبل » استولى على أكثر الاماكن الحصينة في جوارها وبنى كثيرا من القلاع لارهاب هذه الانحاء من قوهستان • وقد جعل ياقوت قدوم الاسماعيلية الى هذه المواضع في سنة ٥٣٠ (١١٣٦) وروى ان رئيس هذه الناحية ، استمد الاتراك لنصرته ، لردّ الملاحدة ، وهم الاسماعيلية ، فرأى ثقل وطأة الاتراك وقلة غنائهم ، ولم تكن همتهم صادقة في دفع العدو ، وانما كان قصدهم تحصيل ما يحصلونه مما ألحق الدمار بترشيز • وفي منتصف المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، تمكن هولاءكو خان المغولي من القضاء على قوة الاسماعيلية

(٢) ابن حوقل ٣٢٤ و ٣٢٥ ؛ المقدسي ٣٢١ ؛ ناصر خسرو ٩٥ ؛ المستوفي ١٨٤ • وفي جامع قايين ، كتابة فيها سنة ٧٩٦ (١٣٩٤) ، راجع سر كولد سمد في Eastern Persia ١ : ٣٤١ • (٣) ما زال في يومنا ناحية باسم ترشيز ، ولكن لا مدينة فيها بهذا الاسم • ومدينة كندر الصغيرة مؤشرة في الخارطة واستنادا الى الاصطخرى فان مدينة ترشيز ، على مرحلة من غرب كندر ، وعليه ان موضع ترشيز تعينه خرائب فيروز اباد قرب قرية عبد الابد الحالية • وعلى كل حال ، فمدينة ترشيز التي كانت في القرون الوسطى لا تطابق سلطانا باد القاعدة الحديثة لناحية ترشيز ، لان هذه المدينة في شرق كندر •

واستولت جيوشه فيما يقال على سبعين قلعة من قلاعهم فى اقليم قوهستان • ثم سرعان ما استعادت ترشيز مكاتها حتى ان المستوفى بعد ذلك بقرن ، قال انها من أجل مدن قوهستان وان كان بعضها ما زال خرابا • وذكر القلاع الاربع المشهورة القريبة منها وهى قلعة بردارود ، وقلعة ميكال (أو هيكال) ، ومجاهد اباد ، وآتشگاه (بيت النار) - وقد كانت كلها ولا ريب من قلاع الاسماعيليه • ونوه بوفرة قمح ترشيز ، وقال انه كان يحمل الى الانحاء الشمالية حول نيسابور • وفى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، كانت ترشيز من القلاع المنيعة التى لا تقتحم لعلو أسوارها ، ولكنها ما عثمت ان انهارت أمام تيمور ولم يبق من ترشيز قائما بعد نهبها غير أنقاض • وكان ذلك فى سنة ٧٨٣ (١٣٨١) • ومنذ ذلك الحين ، اختفى اسم ترشيز من الخارطة^(٤) •

وذكر المستوفى ، انه ما زالت فى قرية كشمير قرب ترشيز ، شجرة السرو المشهورة التى غرسها زرادشت تخليدا لاغتناق الملك كشتاسب المجوسية • وقد نمت هذه الشجرة نموا عظيما ، حتى أضحت شجرة لم ير مثلها فى عظمتها • وهى ، على ما جاء فى الشاهنامه ، قد نشأت من غصن أتى به زرادشت من الجنة • وقد كان لهذه السروة من المقدرة شىء عظيم حتى انها حالت دون وصول ضرر الزلازل الى كشمير • وذكر القزوينى ان الخليفة المتوكل ، أمر بقطع هذه السروة العظيمة فى سنة ٢٤٧ (٨٦١) وحملها قطعاً على الجمال عبر فارس لاستعمالها فى بناء قصره الجديد فى سامراء ، فقطعت ولم تنفع شفاعاة الشافعين وتضرعهم • ولما وصلت السروة الى ضفاف دجلة كان المتوكل قد لقي حتفه غيلة على يد ابنه^(٥) •

(٤) ابن حوقل ٢٩٥ و ٢٩٦ : المقدسى ٣١٧ و ٣١٨ : ياقوت ١ : ٦٢٨ : ٣ : ٥٣٤ : ٤ : ٣٠٩ : المستوفى ١٨٣ : على اليزدى ١ : ٣٤٤ : ابن الاثير ١٠ : ٤٤٥ • ويمثل شيخ الجبل فى زمننا (على ما أقرته المحاكم الانكليزية) ، اغا خان ، رئيس طائفة الخوجة فى بومبى • ومما يدعو الى العجب ان نجد جماعة من الاسماعيليه ما زالوا باقين فى قوهستان ، وهم يؤدون الاعشار الى اغاخان ، على نحو ما كان يفعل أسلافهم لشيخ الموت • وقد رأى ميجر سايكس (Persia ص ٤٠٩) فى قرية سهده (بكسر اوله وثالثه) فى جنوب قاين ، نحو الف عائلة من هؤلاء الاسماعيليه يبعثون فى كل سنة مبلغا كبيرا من المال الى رئيس طائفتهم الدينى فى الهند • ماركو بولو (طبعة يول ١ : ١٤٥) •

(٥) المستوفى ١٨٣ : الشاهنامه (طبعة ترنمکان ٤ : ١٠٦٧ الاسطر الثمانية من الاسفل) :

والى شرق رستاق ترشيز ، رستاق زاوة • وكان رستاق زاوة ، أو بعضه ، يعرف أيضا باسم رُخ وقصبتها بيشك أو مدينة زاوة • وكان اسم رخ حين كتب ياقوت ، يلفظ رخ عادة • وفى المئة السابعة (الثالثة عشرة) اشتهرت زاوة : بكونها مقام الولي المعروف بحيدر كان يلبس اللباد وفى الصيف يدخل النار وفى الشتاء يدخل فى وسط الثلج • واليه تنتسب طائفة الحيدرية من الفقراء (الدراويش) • وكان هذا الشيخ باقيا الى مجيء التتر سنة ٦١٧ (١٢٢٠) • ثم عرف باسم الشيخ قطب الدين • ولما زار ابن بطوطة زاوة فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وصف مريدى الشيخ فقال « يجعلون حلق الحديد فى أيديهم وأعناقهم وآذانهم » ويجعلونها فى أعضاء أخرى من أجسامهم فكان ذلك اظهارا لتقواهم وزهدهم • ووصف المستوفى زاوة بانها مدينة حسنة تقوم فى ناحية كثيرة الخيرات ومن أعمالها خمسون قرية ، ولها قلعة حصينة من اللبن ، وسقيها وافر يكثر فيها القمح والقطن والاعناب والفواكه وكذلك الحرير • وتكلم أيضا على تربة الشيخ الذى كان مكرما فى زمنه • وزاوة اليوم ، هو الاسم الشائع للناحية ، أما المدينة فتعرف عادة بتربة الحيدرى • وما زالت هذه التربة تزار (٦) •

والى شرق رستاق زاوة ، فى شمال شرقى قوهستان ، قرب نهر هراة : ناحية زام ، أو جام وكانت قصبتها فى المئة الرابعة (العاشرة) بوزجان • وكانت مدينة كبيرة ، من أعمالها : مئة وثمانون قرية • وكان الفرس يلفظون بوزجان بصورة بوزكان ، وفى الازمنة الحديثة كتبوه بوجكان • ووصفها المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وقد سماها جام ، فقال تقوم فى ناحية عظيمة الخيرات وافرة المياه والحرير بها كثير. لكثرة شجر التوت • واشتهرت المدينة بكثرة مزاراتها ،

القزوينى ٢ : ٢٩٩ وفيه جاء الاسم بصورة كشم وهو من خطأ الطبع • وما ذكره القزوينى (المئة الثالثة عشرة للميلاد) بصدها لا يتعدى ما تناقلته الروايات ، ولم يرد فى الطبرى ولا فى غيره من التواريخ العربية القديمة ذكر لسروة كشمر على ما يظهر • وأطال كتاب دبستان ، وهو من مؤلفات المئة السادسة عشرة للميلاد (وقد ترجمه شيا Shea وتروير Troyer ١ : ٣٠٦ - ٣٠٩) ، فى حكاية قصة السروة • وينبغى ان يكون عمر سروة زرادشت نحو ١٤٥٠ سنة • ولعلها هى التى ارادها ماركو بولو فى عبارته Arbres sol (رحلة ماركو بولو • طبعة يول ١ : ١٣١) • (٦) المقدسى ٣١٩ : ياقوت ٢ : ٧٧٠ و ٩١٠ : القزوينى ٢ : ٢٥٦ : ابن بطوطة ٣ : ٧٩ : المستوفى ١٨٨ : سر كولد سمد فى Eastern Persia ١ : ٣٥٣ •

فقد دفن فيها كثير من الرجال الصالحين • وذكر ابن بطوطة أشهرهم وهو
الولى الزاهد شهاب الدين أحمد الجامى ، وأولاده وأحفاده « ولهم بها نعمة
وثرورة » • وكان هذا الولى مشهورا حتى ان تيمور ، فى ختام المئة الثامنة (الرابعة
عشرة) زار قبره بنفسه • وتعرف المدينة اليوم ، وما زالت موضعا زاهرا ،
بشيخ جام ، وهى اليوم عامرة ^(٧) •

أما ناحية باخرز ، أو گواخرز ، ففى جنوب جام الى غرب نهر هراة ،
وعندها يتجه مجراه نحو الشمال • وكانت قصبة باخرز مدينة مالين • ويظهر من
المسافات الواردة فى كتب المسالك ان موضعها يطابق مدينة شهرناو (المدينة
الحديثة) الحالية • وكانت فى المئة الرابعة (العاشرة) مدينة عامرة « ويرتفع
منها الجبوب والزيب وثياب كثيرة » • وفسر ياقوت اسم باخرز فقال « اصلها
باد هرزه لانها مهب الرياح ، وهى باللغة البهلوية ، تشتمل على مئة وثمان
وستين قرية » منها جَوَذقان • أما المستوفى فقد ذكر اسم قصبتها بصورة مالان •
وأفاض فى ذكر خيراتها ولاسيما بطيخها الطويل وقد كان مشهورا فى انتحاء
خراسان ^(٨) •

والى جنوب غربى باخرز ، ناحية خَوَاف (وهى خواب قديما) وتكتنف
قصبتها المسماة باسمها • واشتهرت خواف فى المئة الرابعة (العاشرة) بكثرة ما
فيها من الزيب والرمان • وكانت سَلَوَمَك ، ثم كتبت سلام ، أكبر مدن هذه
الناحية فى الازمنة الاولى ، ومن مدنها المهمة أيضا سنجان (أو سنكان)
وخرجرد • وقد ذكر ابن حوقل هذه المدينة بصورة خرکرد ، وكذلك مدينة
فرکرد (وقد كتبها ياقوت فرجرد أو فليجرد) على مرحلة من شرقها • أما كُوسُوي
أو كوسويه ، فكانت أقرب الى نهر هراة شمال فرکرد • وكانت كوسويه أكبر هذه
المدن الثلاث ، ونحو ثلث مدينة بوشنج المجاورة لها فى خراسان ، وسنأتى على

(٧) ابن خرداذبه ٤٤ : ابن رسته ١٧١ : اليعقوبى ٢٧٨ : ابن حوقل ٣١٣ : المقدسى ٣١٩
و ٣٢١ : ياقوت ١ : ٧٥٦ : ٢ : ٩٠٩ : ٣ : ٨٩٠ : المستوفى ١٨٨ و ١٩٧ • ابن بطوطة ٣ : ٧٥ •
على اليزدى ٢ : ٢١١ و ٢٢٩ • وانظر : سى • اى • يات • فى : خراسان وسيستان •
ص ٣٧ •

(٨) المقدسى ٣١٩ : ياقوت ١ : ٤٥٨ : ٢ : ١٤٥ : ٤ : ٣٩٨ : المستوفى ١٨٧ •

وصفها • ويعدّ كثير من المراجع هذه المدن الثلاث من أعمال إقليم خراسان • وبناء أهل كوسوى من طين • ومع صغر المدينتين الآخريين ، فإن فيهما بساتين حسنة ومياه كثيرة • وذكر ياقوت أيضا مدينتي سيراوند ولاز ، وقال انهما في زمنه من المدن المهمة في ناحية خواف ، ولا يعرف موضعهما • وأطرى المستوفى الاعناب والبطيخ والرمان والتين في خواف ، وقال ان الحرير يكثر في ناحيتها • وذكر أن سلام وسنجان وزوزن (أو زوزن) أهم مدنها في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • وكانت زوزن لما كتب المقدسى ، « عامرة كثيرة الحاكة وصنّاع اللبود » • وكانت نقطة مهمة في نظام الطرق ، فهي تتصل بقاين وسلام (سلومك) وفرجرد • وسمى ياقوت زوزن « البصرة الصغرى » لكثرة تجارتها ، وأشار الى ان فيها بيت نار للمجوس ، ومن أعمالها مئة وأربع وعشرون قرية^(٩) •

وذكر المستوفى ، وقد كتب في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، جملة مواضع في أواسط قوهستان ما زالت ترى في الخارطة الا ان البلدانين العرب الاولين لم يذكرها • فقد أشار الى ناحية زيركوه (أى أسفل الجبل) وقال انها كثيرة الخيرات يكثر فيها القمح والقطن والحرير ويحمل الى سائر البلاد • وما زالت البلاد الجبلية جنوب زوزن وشرق قاين تعرف بهذا الاسم • وذكر المستوفى المدن الثلاث المهمة فيها ، وهي : شارخس ، وإسفند ، وإستند ومازالت الى يومنا • وفي شمال غربى قاين ، ناحية كتب اسمها بصورة دشت بياض ومعناه السهل الابيض ، وينطق بها الفرس اليوم دشت يياز ، وكانت قصبتها مدينة فارس ، وقد أطرى المستوفى جوزها ولوزها وقال انها كانت ييلاق ، أى مصايف لأهل تون وجناباد •

وتعرف المدينة الاخيرة اليوم باسم گناباد ، وهي مدينة كبيرة في شمال شرقي تون ، سماها ابن حوقل يناد ، والمقدسى جناد ، وفيها غير ذلك من

(٩) الاصطخرى ٢٦٧ ؛ ابن حوقل ٣١٣ و ٣١٩ ؛ ابن رسته ١٧١ ؛ البغوي ٢٧٨ ؛ المقدسى ٢٩٨ و ٣٠٨ و ٣١٩ ؛ ياقوت ٢ : ٤٨٦ و ٩٥٨ ؛ ٣ : ٩١٠ ؛ ٤ : ٣٤١ المستوفى ١٨٨ • وانظر سى • اى • يات C. E. Yate : خراسان وسيستان (ص ١٢٨ و ١٢٩) للاطلاع على حال هذه المواضع اليوم •

القرى • كان بناؤها في المئة الرابعة (العاشرة) من طين ، ومن أعمالها سبعون قرية ، وماؤها من القنى • وقال ياقوت انها تسمى گنابذ عوضا عن جنابذ • وقال المستوفى : لها قلعتان كل قلعة على جبل في طرف من المدينة ، يقال لاحدهما قلعة خواشر وللأخرى قلعة درجان ، وكان يرى منهما القرى المجاورة وما وراءها من المفازة • ونوه بان الرمل لم يغز بساتين گناباد على نحو ما حدث في بعض انحاء قوهستان • وماؤها من قنى ، طول تلك القنى في الغالب أربعة فراسخ ، ماؤها من عيون في سفح الجبل وذكران مياهها عند رأس العين تجتمع في آبار يبلغ عمقها أحيانا سبعة ذراع • وكان يرتفع منها حرير كبير وقمح ويحمل الى المدن الأخرى • وعلى ثلاثين ميلا شمال غربى گناباد ، ومثلها من شمال تون ، المدينة الصغيرة بجستان ، ويبدو ان ياقوت الحموى أول من ذكرها وقال انها قرية في زمنه • وذكر المستوفى انها تشبه تون ، ولم يزد على ذلك^(١٠) •

وقد كانت وما زالت في قوهستان ، مدينتان يقال لهما « طبس » ، ولذلك كثيرا ما ذكرهما البلدانون العرب بصيغة المثنى ، فقالوا طبسين • وإلى ذلك ، فقد كان أحيانا يطلق خطأ الاسم طبسين (المثنى) على هذه المدينة أو تلك ويراد واحدة منهما ، على ان البلدانين العرب ، كان يميزون بين المدينتين ، فسموا الواحدة طبس التمر ، والأخرى طبس العنّاب •

وكانت طبس التمر ، على شفير المفازة العظمى ، وينتهى إليها كثير مما كان يجتاز المفازة من طرق • ولذلك سماها البلاذرى باب خراسان • وكانت هذه المدينة في المئة الرابعة (العاشرة) ، على ما ذكر ابن حوقل ، أصغر من قايين ، وعليها حصن ، ونخيلها كثير « وهى ناحية جرومية » لانها على حافة المفازة •

(١٠) دشت بياض ، أو دشت بياز ، اسم مركب من الفارسية والعربية ، ومثل ذلك نادر جدا في تسميات بلاد إيران • فان كانت الكلمة الأخيرة عربية حقا ، لا يبعد ان الفرس نسوا معناها الاول (أى البياض) وعدوها علما •

ابن حوقل ٣٢٥ ؛ المقدسى ٣١٩ و ٣٢٠ و ٣٢٢ ؛ المستوفى ١٨٣ و ١٨٤ ؛ ياقوت ١ : ٤٩٧ ؛ ٢ : ١٢٠ ؛ ٤ : ٢٠٦ •

تعرف مدينة فارس اليوم باسم قلعة كهنه (أى القلعة المتبقية) انظر Bellew في From Indus to Tigris ص ٣٢٩ •

وماؤها من القنى ، كثير • وتكلم المقدسى على جامعها اللطيف وقال « شربهم من حياض تجرى اليها قنى ظاهرة ، ورأيت بها حمامات طيبة ، ولم أر بقوهستان نهراً جارياً ولا موضعاً ذا مشاجر الا طبس ، فانى سرت نحو مرحلة كلها قرى ونخيل وقنى » •

وقال ناصر خسرو ، وقد مرّ بطبس سنة ٤٤٤ (١٠٥٢) انها مدينة حسنة عامرة لا سور عليها ، وتحفّ بها البساتين والنخيل • وكان يقبض على زمامها بيد من حديد أبو الحسن گيلكى بن محمد - وهو من گيلان - مما أشاع الامن والسلام فى أنحائها ، فعرفت بطبس گيلكى نسبة الى هذا الامير المشهور ، وكان على ما ذكر ناصر خسرو معروفا بحزمه وعدله • وفى النصف الثانى من المئة الخامسة (الحادية عشرة) ، انتقلت طبس الى ايدى الاسماعيليه • وفى سنة ٤٩٤ (١١٠٢ هـ) حاصرها الجيش الذى بعثه السلطان سنجر السلجوقى لمقاتلة الحشيشية وخرّب بعض أبينتها • وسمى ياقوت والمستوفى طبس التمر هذه بطبس گيلكى • وذكرها المستوفى فى موضعين ، وذلك فى كلامه على المفازة العظمى وفى وصفه قوهستان • ويرتفع من طبس ، ما سوى التمر ، الليمون وال نارنج أكثر من سائر مدن خراسان • وماؤها كثير من عين ، وهو يكفى لادارة رحلين • وكان على طبس حصن منيع ، وحولها كثير من القرى (١١) •

وعلى حافة المفازة شمال طبس ، فى نصف طريق ترشيز ، قرية بن • وكانت ، على ما ذكر ابن حوقل ، عامرة وفيها نحو من خمسمئة رجل • والظاهر ان هذا الموضع يطابق أفريدون ، المرحلة التى ذكرها ابن خرداذبه • ويؤخذ ان ابن حوقل ذكر فى مسالكة قرية أخرى وقال انها « بن » أخرى • ويؤخذ مما أورده من مسافات ان هاتين المرحلتين ان لم تكونا موضعاً واحداً ، فهما قريتان متجاورتان باسم واحد • وبن اليوم ، تمثلها دهناوند (فلا تلبس بالمدينة التى فى المفازة ذات الاسم نفسه ، وقد مرّ وصفها فى الصفحة ٣٦٣) • وكانت قرية مهمة ، لان عندها يدخل قوهستان أحد طرق المفازة الآتية من

(١١) البلاذرى ٤٠٣ : ابن حوقل ٣٢٤ و ٣٢٥ : المقدسى ٣٢١ و ٣٢٢ : ناصر خسرو ٩٤ :

ياقوت ٣ : ٥١٣ و ٥١٤ : ٤ : ٣٣٣ : المستوفى ١٨٣ و ١٨٤ : ابن الاثير ١٠ : ٢٢١ •

جَمْرَ مَق (١٢) •

وعلى نحو من ثلاثة فراسخ جنوب شرقي طبس ، على حافة المفازة ، حيث يدخل المفازة طريق شور الاتى من كوه بنان ، كانت كُري أو كرين • قال البلاذري انها احدى قلعتى طبس • وهذا قد يسوغ تسمية طبس التمر وحدها بطبسين • وقد وصف ابن حوقل كرى بأن عندها تتجمع طرق كثيرة ، « وهى قرية فيها نحو ألف رجل ولها رستاق كبير » • وذكرها المقدسى باسم كرين وقال انها أصغر من طبس • ومن أعمالها قرية الرقة • - وقد كانت على ١٢ فرسخا من طبس و ٢٠ من تون • وكانت الرقة حين زارها ناصر خسرو فى سنة ٤٤٤ (١٠٥٢) قد صارت مدينة حسنة لها مسجد جامع وحولها بساتين ومياها وافرة • وعلى نحو ثلاث مراحل جنوب شرقي طبس مدينتا خور وخوست ، وكانتا مرحلتين ينتهى اليهما الطريقان اللذان يقطعان المفازة من راور وخييص فى كرمان (أنظر الصفحة ٣٦٦) • وكانت خور ، على ما ذكر ابن حوقل ، أصغر من طبس ، ولها جامع وماؤها شحيح ولها بساتين قليلة ولم يكن لها حصن على قول المقدسى •

أما خوست ، فهى وان لم يكن فيها مسجد جامع فى المئة الرابعة (العاشرة) ، الا انها كانت موزعا ذا شأن • فهى حصينة ولها قلعة ، وأبنتها من طين ولها بساتين قليلة « وشربهم من القنى ، وبمائهم ضيق » • وقال المقدسى « هى أكبر وأقل أهلا من تون ، قليلة الاشجار » • ووراءها ، تقوم جبال قوهستان الجرد • وكتب ياقوت اسمها خطأ بصورة جوسف وهو وهم من الناسخ فى كتابه خوسف ، أو خوسب ، الحديثة لاسمها • وأول من ذكره المستوفى • وياقوت ، وان اعترف بأنه لم يتحقق ضبط الاسم وقال « ووجدتها فى بعض الكتب هذا ، وبعضهم يسميها جوزف ، بالزاء » ، الا انه ذكرها فى مادة أخرى باسمها الصحيح خوست ، حين نقل عن المقدسى • وقد أشرنا الآن ، ان المستوفى أول من ذكر اسمها بتهجئته الحديثة ، ووصف خوسف بانها بلدة صغيرة ولها قرى « يسقيها نهر ، فيكثر فيها

القمح (١٣) •

وعلى نحو من عشرين ميلا شرق خوسف، مدينة برجند، وقد صارت اليوم
قصة قوهستان عوضا عن قاين • ولم يذكر برجند قبل ياقوت، على ما يظهر أحد
من البلدانين العرب • قال ياقوت في المثة السابعة (الثالثة عشرة) انها من أحسن
قرى الاقليم • وأشار المستوفى اليها في المثة التالية لها، فقال انها قصة اقليم جليلة،
تحف بها الرساتيق والقرى العامرة، وكان يكثر فيها الاعناب والفواكه الاخرى
والزعران • ولا وجود فيها القمح • وعلى مسيرة يوم شرقي برجند، الناحية
الجبليّة التي ما زالت تعرف بمومناباد - أى بلد المؤمن - قال فيها المستوفى :
عليها حصن منيع وكانت قبلا من قلاع الحشيشية • ولها قرى عامرة كثيرة، أشار
المستوفى بوجه خاص الى شاخن وكانت على نهر يقال له فشارود، وهى ما زالت
قائمة على مسيرة ثلاثة أيام من جنوب شرقي قاين (١٤) •

وعلى نحو خمسين ميلا من شرق برجند، مدينة طبس الثانية التي عرفها
البلدانيون العرب بطبس العنّاب، وسماها الفرس طبس مسينان • وقد وصف ابن
حوقل هذه المدينة في المثة الرابعة (العاشرة) وقال هى « أكبر من يابذ (گناباد
فى شمال غربى قاين)، ولها حصن خراب ولا قهندز لها، وأبنيتها من طين » •
وذكر المقدسى انها كثيرة العنّاب • وقال القزوينى في المثة السابعة (الثالثة عشرة):
على قلة جبل، بقرب طبس، قرية ايراوة، ولها قلعة حصينة، كثيرة البساتين
والاشجار والمياه • وأشار المستوفى الى أن مياه طبس مسينان تكفى المدينة أيام
الجذب سبعين يوما • أما رساتيقها فلا يكفيها ماؤها أكثر من سبعة أيام • وروى
انه كانت فيها بئر، فى قاعها مادة سامة، كل من شرب منها صدفة مقدارا ضيلا،
حتى وإن كان بقدر حبة الدخن مات لساعته، ولهذا كان الناس يحكمون مد

(١٣) البلاذرى ٤٠٣ : الاصطخرى ٢٣٢ و ٢٧٤ : ابن حوقل ٢٩١ و ٣٢٥ : المقدسى ٣٢١ و ٣٢٢ :
ياقوت ٢ : ١٥٢ : ٤ : ٢٣ و ٢٧٠ : المستوفى ١٨٤ : ناصر خسرو ٩٤ •

(١٤) ياقوت ١ : ٧٨٣ : المستوفى ١٨٤ : سايكس فى Persia ٣٠٥ و ٣٠٦ •
وتكلم ميجر سايكس، وقد كتب اسمها بصورة شاخن، على قلعة قديمة بالقرب منها ولعلها كانت
قبلا من قلاع الحشيشية التي مر ذكرها •

قوهتها • وكان فيها بئر أخرى تبتلع في الشتاء كل ما اجتمع فيها من ماء • وفي الصيف تسقى رساتيق المدينة كلها دون ان ينضب ماؤها • وفيها بئر ثالثة كل من حديق بباطنها رأى صورة سمكة • وما زالت هذه المدينة الى اليوم تعرف بطبس مسينان ، وهى مدينة جليلة يقال لها أيضا سنى خانه (أى بيت أو منزل السنة) لان أكثر أهلها اليوم من الافغان السنة • وعلى نحو ستين ميلا جنوب طبس الغناب ، قرية دُرْء ، وفيها قلعة قديمة تقوم على جبل قريب منها • والظاهر ان البلدانين العرب لم يذكروا دره ، وأول من نوّه بها المستوفى فقد ذكر ان قلعة دره من الامكنة المشيعة ، فيها عين ماء قد انبسطت فى داخل القلعة • ويكثر فيها شجر الغناب والقمح ، وأقل من ذلك الاعناب والفواكه الأخرى •

أما تجارات قوهستان ، فقليلة • أوجز المقدسى ذكرها بقوله : « يرتفع من قوهستان ثياب تشابه النيسابورية ، بيض ، وبسط ومصليات حسنة » (١٥) •

أما ما يعرف من المسالك فى قوهستان ، فالأفضل ان تتكلم عليها فى فصل آت لاتصالها بطرق خراسان • وقد ذكر المقدسى وغيره المسافات بين مدن قوهستان بالمراحل • ولكنه لم يذكر ما بينها من فراسخ • ويظهر ان الطرق المستقيمة فى هذا الاقليم الجبلى قليلة •

(١٥) ابن حوقل ٣٢٥ ؛ المقدسى ٣٢١ و ٣٢٤ ؛ ياقوت ٣ : ٥١٣ و ٥١٤ ؛ القزوينى ٢ : ٢٠٢ ؛ المستوفى ١٨٤ ؛ سايكس فى Persia ٣٩٦ و ٣٩٧ •

الفصل السادس والعشرون

قوميس وطبرستان وجرجان

القليم قومس - الدامغان - بسطام - بيار - سمنان وخواار - طريق خراسان المار بقومس -
القليم طبرستان او مازندران - آمل - ساوية - جبل دماوند ورساتيق فادوسيان
وقارن وروبنج - فيروز كوه وغيرها من القلاع - نائل وسالوس وناحية
رويان - حصن الطاق وناحية رستمدر - ممطير وطهميسة -
كبود جامه وخليج نيم مردان - اقليم كركان او جرجان -
نهر جرجان ونهر اترك - مدينة جرجان
واستراباد - ميناء ايسكون - ناحية
دهستان وآخر - مسالك
طبرستان وجرجان .

يمتد اقليم قومس الصغير في محاذاة جبل ألبرز الذي سيأتي وصفه أدناه
وتجده من الشمال هذه المرتفعات ، وتؤلف أراضيها رقعة ضيقة بين حافة هذه
الجبال وبين المفازة الكبرى في جنوبه . ويقطع طريق خراسان هذا الاقليم من
أقصاه الى أقصاه ، آتيا من الري ، في اقليم الجبال ، الى نيسابور في خراسان .
وتقوم أهم مدن اقليم قومس ، على امتداد هذا الطريق . وقد بطل اليوم استعمال
اسم قومس ، وصار معظم الاقليم ضمن حدود خراسان الحديثة . أما طرفه في
أقصى الغرب ، فقد صار ناحية من نواحي الري أي طهران الحديثة^(١) .

(١) راجع الخارطة ٥ في الصفحة ٢٢٠ حول هذه الاقليم . المقدسي ٣٥٣ ؛ ياقوت ٤ : ٢٠٣ ؛
المستوفى ١٩١ .

وكانت قاعدة الاقليم : دامغان ، وكتبها العرب الدامغان . وكثيرا ما أشاروا اليها ، على عاداتهم ، باسم قومس (أى مدينة قومس) ، فاقبست العاصمة اسم اقليمها . والدامغان ، على ما ذكر ابن حوقل ، « قليلة الماء ، وهى متوسطة العمارة ، ويرتفع منها أكسية معروفة تحمل الى الامصار ، وهى فاشية فى جميع الارض » . وقال المقدسى ان الدامغان قد خربت أطرافها فى المئة الرابعة (العاشرة) ولكن كان « عليها حصن بثلاثة أبواب : باب الرى وباب خراسان » ولم يذكر اسم الباب الثالث . وقال لهم سوقان : أعلى وأسفل « والجامع فى الازقة بهيّ نظيف ولهم حياض مثل مرو » . وذكرت جميع المراجع المتأخرة ، كثرة رياحها ، وقال ياقوت وغيره ان الرياح تهب عليها من واد مجاور لها . فكانت أشجار الدامغان لا تنقطع عن الاهتزاز . وفى المدينة ، بناء عظيم من زمن الاكاسرة ، يقسم المياه التجارية الى الدامغان على مئة وعشرين نهرا للسقى^(٢) . وتكثر فى بساينها الكمثرى الفاخرة . وقال المستوفى ان محيط أسوار دامغان عشرة آلاف خطوة . وقال ياقوت ان على مسيرة يوم من الدامغان (ثلاثة فراسخ ، على ما ذكر المستوفى) ، فى وسط الجبل ، قلعة گرد كوه ، والواقف بالدامغان يراها ، وهى من قلاع الحشيشية المشهورة . وقال المستوفى ان هذه القلعة كان يقال لها دزگُـنْـبَدان (أى القلعة المقببة) ، ويعرف رستاقها الخصب ، بمنصور اباد . وأشار المستوفى أيضا الى معدن الذهب فى جبل كوه زر (جبل الذهب) قرب الدامغان ، ولكنه لم يعين موطن الذهب^(٣) .

والمدينة الثانية فى الكبر بقومس : بسطام (أو بسطام) وتلفظ اليوم

وقومس ، الصيغة العربية للاسم . اما الصيغة الفارسية فهى كومس . وسماه المستوفى ديار قومس .

(٢) هذا ما قاله ياقوت بصدد مقسم الماء فى الدامغان ، نقلا عن الرحالة مسمر بن مهلهل (معجم البلدان ٢ : ٥٣٩) : « وبها (أى بالدامغان) مقسم للماء ، كسروى عجيب ، يخرج ماؤه من مغارة فى الجبل ، ثم ينقسم اذا انحدر عنه على مئة وعشرين قسما لمئة وعشرين رستاقا ، لا يزيد (بتشديد الياء الثانية) قسما على صاحبه ، ولا يمكن تأليفه على غير هذه القسمة ، وهو مستطرف جدا ، ما رأيت فى سائر البلدان مثله ولا شاهدت أحسن منه » ا . هـ . وانظر ذلك أيضا فى آثار البلاد للزوينى (ص ٢٤٥) . (م) .

(٣) ابن خرداذبه ٢٣ : قدامة ٢٠١ : ابن حوقل ٢٧١ : المقدسى ٣٥٥ ، ٣٥٦ : ياقوت ٥٣٩ : القزوينى ٢ : ٢٤٥ : المستوفى ١٩١ ، ٢٠٤ .

بسطام • قال ابن حوقل ان رستاقها أخصب رساتيق الاقليم • وتكثر الفواكه
فى بساتينها • وأشار المقدسى الى جامعها فقال « ظريفة ، الجامع كأنه حصن ،
فى وسط الاسواق » • ويظهر ان ناصر خسرو ، وقد زارها فى سنة ٤٣٨
(١٠٤٦) ، عدّها قصبّة الاقليم ، اذ سماها مدينة قومس • وأشار الى قبر مشهور
فيها للصوفى العظيم الشيخ ابى يزيد المعروف بابى يزيد البسطامى وقد توفى ودفن
فيها سنة ٢٦٠ (٤) (٨٧٤) • وما زال قبره مكرما فى يومنا • وأطرى ياقوت
تفاح بسطام اطراء عارف به • وقال « وعلى تل بازائها ، قصر مفرط السعة ،
عليه سور ، ويقال انه من بناء سابور ذى الاكتاف (سابور الثانى) » • وأشار
ياقوت أيضا الى أسواق المدينة وكثرة نعمها • وذكر ابن بطوطة عنها ، وقد
زارها فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، مثل ذلك وأشار الى القبة التى فوق
قبر الشيخ الصوفى (٥) •

وعلى أربعة فراسخ من بسطام ، فى الطريق الذهاب الى استراباد : مدينة
خرقان ، وقد كانت موضعا ذا شأن فى المئين السابعة والثامنة (الثالثة عشرة
والرابعة عشرة) • قال المستوفى انها كالقرية ، هواؤها طيب ، وماؤها كثير ،
وفيها قبر الولى ابى الحسن الخرقانى المشهور • وعلى نحو من خمسين ميلا جنوب
شرقى بسطام ، عند شفير المفازة الكبرى ، المدينة الصغيرة بيسار ، ويقال لها اليوم
بيار جمنند • وصفها المقدسى فى المئة الرابعة (العاشرة) فقال انها مدينة صغيرة
ليس بها مسجد جامع ، وفيها حصن ، وأسواق عامرة ، ومزارعها خصبة • وتكثر
فى بساتينها الكروم والثمار • « وهى معدن الابل والأسمان والأغنام » • وفى
حصنها الداخل مسجد ، وعلى المدينة حصن له ثلاثة أبواب حديد ، وفيه باب

(٤) فى شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى (٢ : ١٤٣) انه توفى سنة ٢٦١ هـ (م) •

(٥) ابن حوقل ٢٧١ : المقدسى ٣٥٦ : ناصر خسرو ٣ : ياقوت ١ : ٦٢٣ : ابن بطوطة
٨٢ : ٣ • أما مدينة شاهرود التى على ميلين جنوب بسطام ، وهى اليوم مركز التجارة فى هذه
الانحاء ، فلم يذكرها احد من البلدانين العرب أو الفرس ، وقد اعترف صنيع الدولة انه لم يتمكن
من معرفة زمن بنائها • راجع : مرآة البلدان ١ : ٢١٠ •

واحد الى الحصن الداخل^(٦) .

وقال المستوفى ان هواءها طيب معتدل ، وفيها قمح جيد . وفي أقل من نصف الطريق بين الدامغان والرى ، مدينة سمنان أو سمنان ، على طريق خراسان . قال المقدسى بها جامع لطيف فى السوق ، وحياض للماء عظيمة . وقال المستوفى ان فستق سمنان مشهور ، وتكثر فيها صنوف الفواكه . وذكر أيضا أهوان ، وقال انها مدينة صغيرة بين سمنان والدامغان ، فيها قبور للصالحين ، ويكثر فيها القمح والفواكه^(٧) .

وُخوار ، أبعد مدن قومس غربا ، على طريق خراسان ، وأهم مدينة فى شرق الرى ، وقد كتبها العرب : الخوار . قال ابن حوقل فى المثة الرابعة (العاشرة) ان مدينة خوار « مدينة لطيفة صغيرة ، نحو ربع ميل ، وهى عامرة وفيها ماء جار يخرج من ناحية زَنْبَاوَنْد (جبل دماوند) » ، وزاد على ذلك قوله « وخوار ، أشد تلك النواحي (أى قومس) بردا ولها ضياع ورساتيق » . وقال القزوينى فى خوار « بها قطن كثير ، يحمل منها الى سائر البلاد » . وذكر المستوفى انها مشهورة بالقمح والشلتوك ، وهو الرز الشلب . وسميت هذه المدينة خوار الرى ، تميزا لها عن خوار التى فى فارس (أنظر ص ٣١٥) ، وبهذه التسمية جاءت فى أخبار حروب تيمور . وذكر المستوفى ، ان خوار هذه كان يقال لها أيضا بالفارسية محلة باغ ، أى محلة البستان .

وذكر المقدسى تجارات قومس ، فقال : « لهم المناديل البيض من القطن المعلمة ، صغار وكبار ، وسواذج ومحشاة ، ربما يبلغ المنديل منها ألفى درهم

(٦) أطال المقدسى فى صفة مدينة بيار ، لان منها أخواله ، قال : « وانما استقصينا وصفها كالقصبات ، لان أصل أخوالى منها ، وكل قومى تراه ببيت المقدس ، فاعلم انه منها . وقد كانوا عرفوا جدنا أبا الطيب الشوا ، وذكروا انه رحل الى الشام مع ثمانية عشر رجلا » (احسن التقاسيم ص ٣٥٧) - (م) .

(٧) المقدسى ٣٥٦ و ٣٥٧ ؛ القزوينى ٢ : ٢٤٣ ؛ ياقوت ٢ : ٤٢٤ ؛ المستوفى ١٨٦ و ١٩١ . خرقان (بضم أوله وسكون ثانيه) هى تهجئة القزوينى لهذا الاسم . وهى تشبه خرقان (بفتح أوله وتشديد ثانيه مع الفتح) فى اقليم الجبال ، فأحدهما غير الاخرى .

(نحو ثمانين باونا) * ولهم أيضا أكسية (من الصوف) وطبالسة (للرأس) *^(٨) .
واقليم قومس ، كان يخترق طوله كله طريق خراسان العظيم ، على ما يتنا .
وقد أجمعت على ذلك كتب المسالك من ابن خرداذبه الى المستوفى . فاذا غادر
هذا الطريق مدينة الري ، وصل خوار في ثلاث مراحل . يليها بمرحلة ، قصر
أو قرية الملح ، ويقال لها بالفارسية دهنك على ما فى المستوفى ، وهو اسمها اليوم .
والمرحلة التالية ، على ما فى كتب المسالك كلها ، كانت رأس الكلب ، ولا يرى
هذا الاسم الآن فى الخارطة ، ولكن موضعه حيث قلعة لاسگرد العجيبة (ولا أثر
لهذا الاسم فيما كتبه بلدانيو القرون الوسطى) . وهذه القلعة اليوم تتوج جرفا
جبليا يشرف على المفازة . وتليها ، بعد مرحلة طويلة : سمنان . والى شرقها ،
على مرحلة طويلة أيضا : الدامغان (وهى التى ذكرتها كتب المسالك القديمة
باسم قومس) . وعلى مرحلة مما يلي الدامغان ، كانت الحدادة وقد جاءت
فى المستوفى باسم مهمان دوست (أى الضيف الصديق) . ومنها الى بسطام
مسيرة يوم . أما اذا سلك الطريق الأسفل ، فالمرحلة عند محطة البريد التى
على فرسخين من المدينة ، وقد كانت وما زالت تعرف بقرية بدش ، ومنها تدخل
اقليم خراسان فتسلك طريق البريد الى نيسابور . وجاء فى المقدسى ، ان
الطريق من بسطام الى بيار يقطع فى ثلاثة أيام . ومن بيار كان يقطع المفازة مسافة
٢٥ فرسخا ويرجع غربا الى الدامغان^(٩) .

(٨) ابن حوقل ٢٧٠ : المقدسى ٣٦٧ : القزوينى ٢ : ٢٤٣ : المستوفى ١٩١ و ١٩٦ : على
اليزدى ٢ : ٢١٢ .

تقوم اليوم فى موضع خوار ، مدينة اردون ، الا ان ناحيتها ما زالت تحتفظ باسم مدينتها
القديمة خوار .

(٩) ابن خرداذبه ٢٢ و ٢٣ : قدامة ٢٠٠ و ٢٠١ : ابن رسته ١٦٩ و ١٧٠ (وقد أسهب
فى مسالك هذا الاقليم) : الاصطخرى ٢١٥ و ٢١٦ : ابن حوقل ٢٧٤ و ٢٧٥ : المقدسى ٣٧١
و ٣٧٢ : المستوفى ١٩٦ .

وللاطلاع على صورة تمثل لاسكرد الحديثة ، انظر : H.W. Bellew فى From the
Indus to the Tigris ص ٤٠٤ .

أما بدش ، فمن الغريب ان ياقوت الحموى ، ذكر الاسم فى معجمه مرة بتهجئته الصحيحة ،
ومرة (بصورة مغلطة) باسم « ندش » أى بالنون . ياقوت ١ : ٥٣٠ : ٤ : ٧٧٣ .

طبرستان اى مازندران

كانت منطقة الجبال العالية - ويتألف معظمها مما يعرف اليوم بجبال البرز^(١٠) الممتدة فى حذاء الساحل الجنوبى لبحر قزوين ، مما فى شرق قومس وشمالها - تعرف لدى البلدانين العرب الاولين بطبرستان • و « طبر » فى لغة تلك البلاد معناها « الجبل » • فطبرستان ، تعنى « بلاد الجبل » •

وفى المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، أى فى نحو من زمن الفتوحات المغولية ، بطل استعمال اسم طبرستان ، على ما يظهر ، وحل محله مازندران • ومنذ ذلك الحين أصبح مازندران الاسم الشائع لهذا الاقليم • وربما شمل اسم مازندران أيضا اقليم جرجان المجاور له • ونوه ياقوت ، وهو أول من ذكر اسم مازندران ، بانه لا يدري متى أخذ بهذه التسمية • ومع انه لم يعثر عليه فى الكتب السالفة ، فانه كان شائع الاستعمال فى جميع أنحاء البلاد • وقد كان الاسمان : طبرستان ومازندران فى تلك الايام مترادفين فى واقع الامر • ولكن بينما كان الاسم الاول يطلق على الجبال العالية بوجه خاص ، ويشمل بصورة ثانوية الرقعة الضيقة من الارض الخفيضة المحاذية للبحر ، الممتدة من دلتا سفيد رود الى جنوب شرقى بحر قزوين ، ظهر اسم مازندران أول مرة دالا فى بادىء امره على هذه الاراضى الخفيضة فقط • ثم شمل المنطقة الجبلية أيضا • ولا يستعمل اليوم اسم طبرستان •

(١٠) البرز (بفتح الهمزة وضم الباء) ، ويلفظ اليوم البرز (بكسر الهمزة وضم الباء) ، هو الاسم الحالى لسلسلة الجبال العظيمة الفاصلة بين هضبة بلاد فارس والاراضى الخفيضة على ساحل بحر قزوين • على ان هذا الاسم لم يرد قط لدى البلدانين العرب الاولين الذين لم يعطوا أى اسم لهذه الجبال • اما لفظة البرز ففارسية • جاء فى معجم فلرس (Vullers) الفارسى اللاتينى انها مشتقة من كلمتين زنديتين ، معناهما « الجبل العالى » أما المستوفى ص ٢٠٢ ، ولعله أول من ذكر الاسم ، فقد استعمله بمدلول غير واضح الحدود • قال فى الفصل الذى عقده عن جبال بلاد فارس ، ان البرز سلسلة جبلية عالية ، تمتد حتى تتصل بجبال باب الابواب (أى جبال القفقاس) ، وانها : « فى الحقيقة ، الجبال العظيمة الآخذ بعضها برقاب بعض ، التى تؤلف سلسلة تمتد الى ما ينيف على الف فرسخ من تركستان (فى آسية الوسطى) الى الحجاز (فى بلاد العرب) ولهذا ، فان كثيرين حسبوا انها جبال القاف (الاسطورية ، التى تحيط بالارض) وتتصل من الغرب بجبال كرجستان (جورجيا) » • راجع بصدد قمة البرز فى القفقاس ، الصفحة ٢١٦ اعلاه •

وفى صدر أيام الخلافة ، لم يكن لهذا الاقليم من الوجهة السياسية الا بعض الشأن . فقد كان فى الواقع ، آخر جزء من أجزاء الدولة الساسانية قبل بالاسلام دينا . وظل ملوكه من أهل البلاد - ويعرفون باصفهذ أو اصفهذ طبرستان نيقا وقرنا من الزمان بعد فتح العرب بقية بلاد فارس مستقلين فى بلادهم الجبلية ، يضربون نقودهم وعليها الرموز الفهلوية حتى منتصف المئة الثانية (الثامنة) . كما ظل الدين المجوسى يهيمن على غابات الجبال العظيمة وغياضها . وكانت غلات هذا الاقليم فى المئة الرابعة (العاشرة) ، على ما ذكر المقدسى : الثوم والرز والقنب وطير الماء والاسماك . فان هذا الاقليم غزير الامطار ، بخلاف بقية بلاد ايران . وبعد ذلك الزمن ، ذكر القزوينى ان أهلها « يتعاونون تربية دود القز ، فيرتفع منها الابريسم الكثير ، ويحمل الى سائر البلاد » . وتعمل فيها أكسية الصوف والسجاد والميازير والمناديل الرفيعة والثياب . « وبها الخشب الخلنج ، يتخذ منه الظروف والآلات والاطباق والقصاع » . « وأكثر أبنيتها الخشب والقصب » . على ما ذكر ابن حوقل . وقال أيضا هو اقليم كثير الامطار ، وربما اتصل المطر فى الصيف والشتاء ، فجعلوا سطوح بيوتهم مسنمة بالقراميد « (١١) » .

وكانت قصبة طبرستان فى العصر العباسى الأخير : آمل . وان أقام الطاهريون ، فى المئة الثالثة (التاسعة) فى مدينة سارية . وكانت آمل ، على ما ذكر ابن حوقل ، أكبر من قزوین وليس فى نواحيها أعمر منها . وقال المقدسى بها بيمارستان وجامعان ، العتيق فى طرف الاسواق ، بين الاشجار . والآخرة بقربه ، قرب سور المدينة . وفى كل جامع رواق عظيم . وتجارات آمل كثيرة . يكثر فيها الرز ، ولها نهر كبير يشق المدينة ويسقى المزارع . ولم يزد ياقوت . على وصف المقدسى شيئا . الا ان المستوفى أشار الى حرها ووخامة هوائها ، وقال : تكثر فيها التمور والاعناب والجوز والنارنج والاترنج والليمون ، ولطيوبها وعطورها شهرة واسعة فى سائر البلاد . وكانت فرضة آمل تقوم حيث يقع نهرها فى بحر قزوین ، وهى بلدة صغيرة يقال لها عين الهُـم ، وقد كتب ياقوت اسمها

(١١) ابن حوقل ٢٧٠ و ٢٧١ : المقدسى ٣٥٤ : القزوينى ٢ : ٢٧٠ : ياقوت ٣ : ٥٠٢ : وانظر لفظة طبر : ص ٢٥٢ أعلاه .

بصورة أهلم وقال انها ليست بالكبيرة • وقد خربَ تيمور مدينة آمل في ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وأمر بنقض قلاع ماهانه سر الثلاث ، وكانت هذه القلاع على أربعة فراسخ من المدينة بازاء ساحل البحر •

وكانت قصبة طبرستان الثانية ، وهى القديمة ، مدينة سارية ، ويقال لها اليوم سارى ، فى شرق آمل • قال المقدسى ان سارية عامرة فيها ثياب فاخرة وأسواق ، وهى حصينة ، حولها خندق ، ولها جامع فيه نارنجة ، وفى قنطرة الجسر تينة ظاهرة وجسورها مشهورة • ولم ينته الينا الا شئ قليل عن سارية فى أواخر أيامها ، فقد عانت كثيرا من الأذى فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) خلال الفتح المغولي • وكانت حين كتب المستوفى خرابا يابا • غير ان رسائيقها كانت كثيرة الاعناب والقمح ، وبها التحرير لكثرة ما يربى فيها من دود القز^(١٢) •

ويهيمن جبل دماوند العظيم على أنحاء طبرستان كلها ، وترى قممه التى لا يفارقها الثلج من سهول بلاد ايران التى تبعد مئة ميل أو أكثر عن جنوب طهران • بل قال المستوفى انها ترى من مسافة مئة فرسخ ، وأشار الى أن قممه لا تفارقها الثلوج • وجبل دناوند على ما كتب اسمه البلدانون القدماء ، تعدّه الاساطير الفارسية موطن سيمرغ ، الطير الخرافى الذى ربى زال أبا رستم وحاماه • وحكى المستوفى كثيرا من القصص الخيالية عن هذا البطل القومى • وقال ابن حوقل ، ان هذا الجبل العظيم يرى من قرب سطوره « وهو فى وسط جبال يعلو فوقها كالقبة ، ولم أسمع ان أحدا ارتقاه الى أعلاه » • وزاد على ذلك « ويرتفع من قلته دخان دائم ، الدهر كله » • « ويتحدث فى خرافات الفرس ، ان السحرة من جميع أقطار الارض ، تأوى اليه وان الضحاك (زهاك ، طاغية بلاد ايران القديم) حيّ فى هذا الجبل » •

وسميت باسم دماوند ، بلدة صغيرة تقوم على قلله الجنوبية ، قال المستوفى انها تعرف بشيان أيضا ؛ كما سميت به الناحية الخصبة العريضة الشقة الممتدة حول سفوحه • وكان فى هذه الناحية ، فى المئة الرابعة (العاشرة) مدينة ويسمه

(١٢) ابن حوقل ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٥ : المقدسى ٣٥٤ و ٣٥٩ : ياقوت ١ : ٣٥٤ و ٤٠٩ : المستوفى ١٠٩ : على اليزدى ١ : ٣٩١ و ٥٧١ : ابر الفداء ٤٣٧ •

وتجاورها شلنبه • وقد وصفهما ابن حوقل ، بقوله : « لهما زروع ومياه وبساتين وأعناب كثيرة » • وقال ياقوت ، وقد رأى ويمه (أو ويمه) ، قد استولى عليها الخراب وذكر ان قلعة (فيروزكوه ترى منها • وقد زار ياقوت هذه القلعة أيضا • وذكر المستوفى ان ماءها من ينابيع النهر الذى ينساب الى السهل ويشق خوار الرى فى قومس • وكانت فيروزكوه ، من قلاع مازندران التى ذكرت فى جملة ما حاصره تيمور من قلاع واستولى عليه • وفى سفوح دماوند ، قلعة أخرى ، لا تقل شأنًا عن الاولى ، هى قلعة أستوناوند ، أو أستاباد • قال القزوينى « عمريت منذ ثلاثة آلاف سنة ، لم يعرف انها أخذت قهرا » ، الى ان ورد التتر سنة ٦١٣ (١٣) ، فاستولوا عليها عنوة • وذكر ياقوت ان هذه القلعة يقال لها جرهد أيضا • وتبعد عشرة فراسخ عن الرى • وقال كانت حصنا للاصبهد ، الملك المجوسى القديم لتلك البلاد ، وقد حاصره يحيى البرمكى حتى غلبه وأخذ بناته الى بغداد ، واحداهن ، واسمها البحرية ، تزوجها الخليفة المنصور وصارت أم المهدي أبى هرون الرشيد (١٤) • ثم ان فخر الدولة البويهى قد جدد بناء هذه القلعة سنة ٣٥٠ (٩٦١) ثم استولى عليها الحشيشية (١٥) •

وذكر بلدانيو العصور الوسطى ، أسماء كثيرة من القلاع والمدن فى طبرستان ، لم يعد لها ذكر فى الخارطة • وهى اما ان الخراب لحقتها من الغزو المغولى فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) أو ان تيمور لك دمرها ، فقد اكتسح مازندران غير مرة فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • والى ذلك ، فان أسماء معظم هذه المدن والقلاع الضائعة ، لم تذكرها كتب المسالك ، فحال كل

(١٣) ما فى القزوينى (٢ : ١٩٥) : سنة ٦١٨ • (م) •

(١٤) قال ياقوت (معجم البلدان ١ : ٢٤٤) : « استوناوند ٠٠٠٠ كان فى أيام الفرس معقلا للمصفغان ملك تلك الناحية ، يعتمد بكليته عليه • ومعنى المصفغان : مس مفان ، والمس : الكبير ، ومفان : المجوس • فمعناه كبير المجوس • وحاصره خالد ابن برمك حتى غلب على ملكه وقلع دولته • وأخذ بنتين له ، وقدم بهما بغداد ، فشرهما المهدي وأولدهما ، فاحداهما أم المنصور بن المهدي ، واسمها البحرية • وأولد الاخرى ولدا آخر » • (م) •

(١٥) الاصطخرى ٢٠٢ : ابن حوقل ٢٦٥ و ٢٧٠ : المقدسى ٣٩٢ : القزوينى ٢ / ١٩٥ : ياقوت ١ : ٢٤٣ و ٢٤٤ : ٣ : ٩٣٠ : ٤ : ٩٤٤ : المستوفى ١٩١ و ٢٠٣ و ٢٠٤ : على البزدي ٥٧٧ : مازالت فيروزكوه قائمة ، الا ان موضع استوناوند غير معروف على ما يظهر •

ذلك دون تعيين مواضعها فى الخارطة ، ولو بصورة تقريبية . وفى المثة الرابعة (العاشرة) وصف ابن حوقل ثلاث نواح جبلية بقوله : « فيها أشجار عالية ، والغياض والمياه ، وهى خصبة جدا » ، كانت فى جنوب سارية ، بينها وبين هذه النواحي مرحلة ، وتمتد غربا الى حدود الديلم فى اقليم گیلان . وأولى تلك النواحي : جبل فاذوسبان وهو جبل بادوسبان (الصيغة الفارسية للاسم) . وبادوسبان اسم الاسرة الحاكمة شبه المستقلة التى ساد رؤساؤها هذه النواحي نحو من ثمانمئة سنة ، أى من أيام الفتح الاسلامى حتى زمن الغزو المغولى ، وكانت القرى تنتشر فى هذه الناحية الجبلية ، وأكبرها ، قرية يقال لها قرية منصور . ويلها أرم خاست ، أو أرم خاسته ، وهى قريتان : عليا وسفلى ، وتبعد هذه القرية نحو أرم خاست ، أو أرم خاسته ، وهى قريتان : عليا وسفلى ، وتبعد هذه القرية نحو من مرحلة عن سارية ، ولم يكن فى هذه الجبال مدينة كبيرة ذات مسجد جامع . وكان يجاور فاذوسبان ، الناحية الجبلية المسماة جبل قارن ، وهى مستقر آل قارن . ويقال انهم من الفريين . ومهما يكن من أمر ، فقد جاءت اسماء آل قارن فى أخبار الساسانيين وفى الزمن الاسلامى ، وكانوا ما زالوا رؤساء تلك الناحية ، وكان أمنع معاقل آل قارن التى توارثوها منذ أيام أكاسرة الساسانيين : فيرم (فريم) وأعمر مدنههم ، مدينة سهمار (أو شهمار) . وفيها المسجد الجامع ولا ثانى له فى سائر تلك الانحاء . ولم تذكر كتب المسالك ، يا للأسف ، موضع فريم ، بوجه التحقيق . ذكرها ياقوت ، وكذلك المستوفى فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ، فقال انها عند حد قومس . وكانت الناحية الجبلية الثالثة ، جبل الروينج ، وهى شمال اليرى ، ومن ثمة ، فهى أقرب من غيرها الى حدود الديلم . ولم ينته الينا اسم مدينة أو قرية فى هذه الناحية ، الا انها على ما يقال كانت فى غاية الخصب وماؤها كثير ، وفى جبالها الأشجار والغابات (١٦) .

(١٦) الاصطخرى ٢٠٥ و ٢٠٦ : ابن حوقل ٣٦٨ و ٣٦٩ : ياقوت ١ : ٢١٢ : ٣ : ٣٢٤ و ٨٩٠ : المستوفى ١٩١ . وجاء اسم فاذوسبان بصورة قادوسيان فى الاصطخرى وغيره من البلدانين ، وهو من تصحيف الطبع . ومن ثمة ، كثيرا ما ظن بعضهم ان هذه الاقوام تمثل شعب « كدوسى » (Cadusii) القديم الذى ذكره اسطرابون (انظر : نلدكه فى Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sassaniden ص ١٥١ حاشية ٢) وقد أوضح

وعلى مسيرة يوم ، أى خمسة فراسخ ، من غرب آمل ، فى السهلة التى قرب البحر ، مدينة ناتل أو ناتلة • وعلى مثل تلك المسافة من غرب ناتل ، مدينة سالوس أو شالوس ، قال المقدسى « بها قلعة من حجارة ، الجامع على جانب » • وجاء اسمها أيضا بصورة سالوش • وبالقرب منها مدينتان أخريان هما الكبيرة وكچه • وورد اسم شالوس فى أخبار حروب تيمور بصورة جالوس • والظاهر ان تيمور لك قد خرب فى خلال حروبه جميع هذه البلاد وكذلك البلاد الجبلية التى فى جنوبها ، أى رويان ورستمدار (١٧) •

ومدينة كلار ، وقد ظننا ياقوت انها مدينة كچه المذكورة أعلاه ، كانت على مرحلة من شالوس ، ولكن فى الجبال • ومن كلار الى حدود الديلم مرحلة • وفى هذه الاسماء شىء من اللبس • ولكن يظهر ان كلار وكچه ورويان مدن متجاورة ان لم تكن تشير الى مدينة واحدة بذاتها • وكانت رويان ، الى ذلك ، اسم رستاق كبير من رستاق البلاد الجبلية عند الحد الغربى لطبرستان • وذكر ابو الفداء ان مدينة رويان ، كان يقال لها شارستان أيضا ، وانها كانت تتوج قمة درب جلى بعد ١٦ فرسخا عن مدينة قزوين • وذكر ياقوت ان رويان قسبة الناحية الجبلية فى طبرستان ، مثلما كانت آمل قسبة السهول الخفيضة فيه • كان بها أبنية حسنة وبساتين كثيرة الثمار • وكان بالقرب من رويان (أو كلار) مدينة سعيد اباد الصغيرة •

أما حصن الطاق العظيم عند حدود الديلم ، وهو آخر معقل لجأ اليه اصهبند طبرستان بعد ان غلبته جيوش الخليفة المنصور ، فينبغى ان يكون فى ناحية

ان البادوسبان كانوا فى أيام الساسانيين ولاية هذه الناحية مقابل الاصهبند الذين كانوا القادة العسكريين لهذا الاقليم الواقع فى تخوم المملكة • راجع أيضا : Justi, Iranisches Namenbuch ص ١٥٦ مادة : (Karen) (قارن) • وص ٢٤٥ مادة : (Patkospan) (فادوسبان) • وللإطلاع على أسماء رؤساء البادوسبان فى العصر الإسلامى ، انظر : G. Melgunof فى : Das Südliche Ufer des Kaspischen Meeres ص ٥٠ •

وعلى أسماء رؤساء قارن ، انظر المرجع نفسه ص ٥٢ • (١٧) ابن حوقل ٢٧٥ : المقدسى ٣٥٩ : ابن الفقيه ٣٠٥ : ياقوت ٣ : ١٣ و ٢٣٧ و ٥٠٤ : ٤ : ٧٢٦ : على اليزدى ١ : ٣٩١ • وقيل ان شالوس ، لا تبعد الا ثمانية فراسخ عن الرى ، وهذا وهم ولا شك ، فان هذه المسافة تجعلها على بحر قزوين أو فى القرب منه •

رويان هذه ، وقد أسهب ياقوت والقزويني في وصف هذا الموضع ناقلين عن سبقهما من المصنفين • كان الطاق حصنا منيعا ، « وكان في قديم الزمان خزانة ملوك الفرس ، وهو نقب في موضع عال في جبل صعب المسلك • وهذا النقب شبيه بالباب الصغير ، فاذا دخل فيه الانسان مشى فيه نحواً من ميل في ظلمة شديدة • ثم يخرج الى موضع واسع شبيه بالمدينة قد احاطت به الجبال من جميع الجوانب ، وفي هذه الرحلة مغارات وكهوف ، وفي وسطها عين غزيرة الماء ينبع من صخرة ويفور ماؤها في صخرة أخرى « على مقربة من الاولى • وأفاض ياقوت بعد هذا الكلام في ذكر عجائب هذا الموضع •

وعند منابع شاهرود - وهو الفرع الشرقي لسفید رود (أنظر ص ٢٠٤ أعلاه) - ناحية رستمدر • قال المستوفى ان فيها نحواً من ثلاثمئة قرية • وهذه الناحية التي كانت تسقيها أنهار كثيرة تأخذ من شاهرود ، كانت بين مدينة قزوین وآمل ، وفي شرق ناحية رويان • وكان على شاهرود ، على ما بيننا في الفصل الخامس عشر (في الصفحة ٢٥٥) أعظم قلاع الاسماعيلية أي الحشيشية • وربما كان في ناحية رستمدر هذه ، قلعة كلام ، وقد وصفها ياقوت بقوله انها « قلعة قديمة في جبال طبرستان ، ملكها الملاحدة ، فأنفذ السلطان محمد بن منكشاه (السلجوقي) من حاصرها وملكها وخرّبها » (١٨) •

وعلى فرسخين من شرق آمل ، في طريق الساحل ، مدينة ميله • وعلى ثلاثة فراسخ مما يليها : أبرجى ، وهي على مرحلة من سارية • وكانت مدينة ممطير ، أو مامطير ، على مرحلة من كل من آمل وسارية ، على ستة فراسخ من البحر ، وهي تطابق بارفروش الحديثة • قال ياقوت : « بها مسجد ومنبر ، ولها رساتيق وقرى وعمارات كثيرة » • وبالقرب من سارية ، وربما الى شرقها ، كانت نامية (أو نامشة) ولها رستاق حسن ، وهي على عشرين فرسخاً من سارية • ومهروان ، على عشرة فراسخ من سارية ، بها مدينة ذات منبر وحامية من

(١٨) ابن حوقل ٢٧٥ : ياقوت ٢ : ٨٧٣ : ٣ : ٩٣ و ٤٩٠ و ٥٠٤ : ٤ : ٢٤٠ و ٢٩٦ و ٢٩٧ : القزويني ٢ : ٢٣٨ أبو الفداء ٤٣٥ : المستوفى ١٩٠ •

ألف رجل • ولا يعرف ، وآأسفا ، الموضع الصحيح لهاتين المدينتين • وفي آخر الحدود الشرقية لطبرستان ، على ثلاث مراحل من سارية ، فى طريق استراباد على مرحلة من الاخيرة : مدينة طميس ، أو طميسة • وتقوم على درب عظيم ممدود من الجبل الى جوف البحر ، وسط المنافع • قال ياقوت ان كسرى أنوشروان (العادل) بناه ليكون دربا يسلكه من يخرج من طبرستان^(١٩) •

وفى جنوب شرقى بحر قزوين ، خليج^١ شراده ، على ما يسمى اليوم ، وعنده لسان رملي طويل يمتد شرقا حتى يكاد يصل ساحل جرجان • وقد وصف المستوفى هذا الخليج وجزيرته ، أو شبه جزيرته ، باسم نيم مردان ، فيها موضع آهل فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وكان فرضة تقصدها السفن من سائر أنحاء بحر قزوين • وكانت الفرضة تبعد ثلاثة فراسخ عن استراباد • ويقال للمدينة التي وراءها : شهرآباد وهي ذات تجارات رائجة . وبجوارها ناحية يكثر فيها الحرير والقمح والكروم ، يقال لها كبود جامه ، وقد كانت بلادا كثيرة الغنى والخير ، الا ان الخراب استولى عليها فى حروب تيمور ، فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • ومدينة روعد ، أو روعد ، وقد جاء ذكرها فى خبر مرور تيمور بها فى زحفه على مازندران ، ربما كانت فى ناحية كبود جامه • قال المستوفى كانت مدينة وسطة محيطها ٤٠٠٠ خطوة ، تقوم فى وسط رساتيق خصبة يكثر فيها القمح والقطن وصنوف الفواكه •

أما تجارات طبرستان ، فالى ما نوّنها به فى الصفحة ٤١٠ ، ذكر المقدسى الأكسية الحسنة والطيايسة وثياب الخيش المحمولة الى الاتفاق • وكان يرتفع منها أيضا خشب الخلنج ، وقد مرّ ذكره ، وكان يقطع قطعاً ويحمل منها فتصنع منه فى الرى القصاع والاطباق والاوانى • والخلنج خشب متنوع الالوان طيب

(١٩) ابن حوقل ٢٧٥ ؛ ياقوت ٣ : ٥٠٣ و ٥٠٤ و ٥٤٧ ؛ ٤ : ٣٩٨ و ٦٤٢ و ٦٩٩ و ٧٣٣ • وأقدم من ذكر بارفروش ، باسم باره فروش ده (أى القرية التى تباع فيها الاحمال) : أحمد الرازى فى « هفت اقليم » وهو مؤلف من المئة العاشرة (السادسة عشرة) • أنظر : دورن (Dorn) فى Muhammedanische Quellen الجزء الرابع ، ص ٩٩ من المتن الفارسى •

الرائحة تصنع منه أحيانا خرز السبجات • وأحسن أنواعه ما ينمو فى جبال
طبرستان (٢٠) •

جرجان

يمتد اقليم جرجان ، أو گرگان ، على ما ينطق به الفرس ، فى جنوب
شرقى بحر قزوين • ويضم فى الاغلب السهول العريضة والأودية التى يسقيها
نهر جرجان وأترك • وقد كان هذا الاقليم فى الأزمنة الاولى ، قائما بنفسه ،
وان كان مضافا الى خراسان • ولكن ما أحدثه الفتح المغولى من تغير أدى الى
الحاقه سياسيا بما زندران • وهذا الاقليم ، كغيره من نواحى جنوبى بحر قزوين ،
قد أغارت عليه جيوش المغول وخربته فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) ثم دمرته
حروب تيمور فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) •

وجرجان ، على ما ذكر المقدسى ، وافر الانهار ، وفى سهوله وجباله النخل ،
ويكثر فيها النارج والاعناب • وأهم نهر فى هذا الاقليم كان يعرف باسمه ، أى
نهر جرجان • وهو النهر الذى قال المقدسى ، فى المئة الرابعة (العاشرة) ، انه
يعرف بـ « طيفوري » • كما انه لم يذكر نهر أترك • وفى المئة الثامنة
(الرابعة عشرة) ، جاء اسم النهر فى المستوفى بصورة آب جرجان ، وقال ان
نهر جرجان ينبع فى وادى شهر ناو (المدينة الجديدة) ومنها يشق سهل سلطان
درين فيصل الى مدينة جرجان فاذا جاوزها وقع فى بحر قزوين قرب جزيرة
ابسسكون فى خليج نيم مردان • ومجرى هذا النهر برمته كان عميقا لا يكاد يعبر •
وكثيرا ما غرق فيه من حاول عبوره من المسافرين • وكانت مياهه فى موسم
الفيضان تجرى فى أنهار للسقى ، وان كانت تذهب هدرا فى الغالب •

أما نهر أترك ، فهو أطول من جرجان ، ومخرجه فى سهول خراسان بين

(٢٠) المقدسى ٣٦٧ ؛ المستوفى ١٩٠ و ١٩١ ؛ جهان نيا ٣٣٩ و ٣٤١ ؛ على اليزدى ١ : ٣٤٩ •

لقد تغيرت طبعها هيئة خليج أشراذه وشبه جزيرته تغيرا كبيرا منذ المئة الرابعة عشرة للميلاد حين
كتب المستوفى ، ولا يعلم الموضع الصحيح للمدينة والفرضة •

نسا وخبوشان قرب منابع نهر المشهد • ويجرى نهر المشهد نحو الجنوب الشرقى فى اتجاه معاكس للاول • ونهر أترك عميق الغور ومعظمه صعب العبور ، كنهر جرجان ، على ما ذكر المستوفى • وبعد ان يجرى محاذيا حدود دهستان فى الجانب الشمالى من اقليم جرجان ، يقع فى بحر قزوين • وطول مجراه نحو من ١٢٠ فرسخا • ويقال ان اسم أترك ان هو الا صيغة جمع ترك • فنهر أترك انما سمي بذلك لان الاترك كانوا يعيشون فى زمن ما على ضفافه • ولم نثر على اسم لهذا النهر فى كتب البلدانين العرب الاولين • والمستوفى ، فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ، من أقدم من سماه بنهر أترك ، وهى التسمية التى ما زال يعرف بها (٢١) •

أما قصة جرجان ، فهى مدينة بالاسم نفسه ، ويقال لها اليوم « من گرگان » • وصفها ابن حوقل فى المثة الرابعة (العاشرة) بقوله انها مدينة حسنة « بناؤها من طين ، وهى أيس من أمل تربة » والمطر فى جرجان أقل منه فى طبرستان • وجرجان جانبان ، بينهما يجرى نهر جرجان ، « عليه قطرة معقودة بين الجانبين » • فجرجان الجانب الشرقى ، وبكر أباذ الجانب الغربى • والجانبان ، على وصف ابن حوقل وقد رأهما ، فى نحو مدينة الرى كبرا • وتكثر فى بساينها الفواكه ، ويعمل بها الابريس • وسمى المقدسى الجانب الشرقى من جرجان : شهرستان • وقال انها حسنة المساجد والاسواق ، وفى بساينها رمان وزيتون وبطيخ وباذنجان ونارنج وليمون وأعناب ، وهى جيدة فاخرة رخيصة • وفيها أنهار عليها جسور وطبقان ، وبها ميدان بازاء دار الامير • ولها تسعة أبواب • وحر جرجان شديد ، وذبابها كثير ، وحشرات مؤذية ، لا سيما براغيثها فانها ضارية تعرف بگرگان ، أى الذئب • وكانت بكر أباذ ، حسب تهجئة المقدسى لها « شبه مدينة عامرة بها مساجد » وتبعد أبنتها مسافة كبيرة عن النهر وتمتد قليلا بمحاذاة ضفته الغربية •

(٢١) المقدسى ٣٥٤ و ٣١٧ : المستوفى ٢١٢ ر ٢١٣ : جهان نما ٣٤١ : حافظ ابرو ١٣٢ • يكتب الاسم اترك بدون الفاء قبل آخره • بينما جمع ترك : اترك • ومن ثمة قد يكون التفسير الشائع له لا يقوم على أساس صحيح •

ولما كتب القزويني في المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، كانت جرجان مشهورة لدى العلويين ، لان فيها مشهدا يقال له گورُ سرخ (أى القبر الاحمر) ويقال انه لبعض أولاد علي الذي سماه المستوفى محمد بن جعفر الصادق الامام السادس . وذكر المستوفى ، ان حفيد ملكشاه السلجوقي قد جدّد بناء المدينة ، وكان محيط أسوارها سبعة آلاف خطوة . ولما كتب في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، كان الخراب قد دبّ فيها ، ولم تقم لها قائمة بعد اكتساح المغول لها . وأطرى فواكهها الفاخرة وقد ذكر ، عدا الفواكه المتوّه بها قبلا : شجر العنّاب وهو ينبت من نفسه وتثمر اشجاره ، وعمرها لا يزيد على الستين أو الثلاث ، مرتين في السنة . وكان أهل جرجان في أيامه من الشيعة ولكنهم غير كثيرين . وفي سنة ٩٧٥ (١٣٩٣) كان تيمور ، الذي خرّب مازندران والبلاد المجاورة لها ، قد وقف في جرجان وابتنى له على ضفاف نهرها قصره العظيم شاسعاً . وقد نوّه حافظ أبرو بذكره (٢٢) .

وثانية مدن اقليم جرجان : استراباد ، قرب حدود مازندران ، وصفها المقدسي في المئة الرابعة (العاشرة) بقوله انها مدينة أطيب هواء وأصح ماء من جرجان كلها . ويكثر فيها القز . وقد خرب حصنها في أيامه لان البويهيين خربوا كل هذه البلاد في أثناء قتالهم بنى زيار . وزاد المقدسي على ذلك انه كان لها مسجد جامع بنى في أيام الفتوحات الاسلامية الاولى ، وما زال قائما في السوق قرب باب المدينة . وكل ما أورده ياقوت والمستوفى عنها ان هو الا تأييد لما مرّ ذكره ، وأطريا هواء استراباد ووفرة طعامها ، ولم يزيدا على ذلك شيئا . وكانت فرضة جرجان واستراباد على بحر قزوين ، مدينة آبسكُون ، وتبعد عن كل منهما مسيرة يوم . والظاهر ان موضعها قد غمره البحر في غضون المئة السابعة

(٢٢) ابن حوقل ٢٧٢ و ٢٧٣ : المقدسي ٣٥٧ و ٣٥٨ : القزويني ٢ : ٢٣٥ : المستوفى ١٩٠ : على البزدي ١ : ٥٧٨ : حافظ أبرو ٣٢ .

وكان يملك جرجان في المئة الرابعة (العاشرة) ، بنو زيار ، وهم منها . وكان سلطانهم قد امتد الى طبرستان والنواحي المجاورة لها . وأشهر رجال بنى زيار ، قابوس ، المتوفى سنة ٤٠٣ (١٠١٢) وقبره ما زال قائما قرب خرائب مدينة جرجان ، يقال له كنيذ قابوس . انظر : سي . اى . يات C.E. Yate في كتاب خراسان وسيستان : ص ٢٣٩ - ٢٤١ .

(الثالثة عشرة) بعد الغزو المغولى . وقد جاء فى الاصطخرى وابن حوقل ، فى المئة الرابعة (العاشرة) ، ان أبسكون سوق كبير لتجارة الحرير وكانت فى ذلك الزمن ثغرا تصدّ الاتراك والغزّ ، وهى فرضة تجارة بحر قزوين التى تحمل الى كيلان . وكان عليها حصن منيع من الآجر ، ومسجدها الجامع فى السوق . وقال المقدسى « هى فرضة جرجان » . وزاد ياقوت على ذلك ان بحر قزوين كان يسمى غالبا بحر أبسكون . واشتهرت أبسكون فى التاريخ بكونها آخر مدينة التجأ اليها محمد ، آخر من حكم من شاهات خوارزم ، وقد فرّ أمام جحافل المغول ومات فيها ذليلا فى سنة ٦١٧ (١٢٢٠) (٢٣) .

وعلى مسيرة ستة أيام (أو خمسين فرسخا) من شمال أبسكون ، وعلى أربع مراحل من مدينة جرجان ، موضع يعرف بدهستان فى ناحية بالاسم نفسه . وكانت فى المئة الرابعة (العاشرة) ثغرا فى حد الترك . قال ابن حوقل : دهستان بالقرب من بحر قزوين . ولم يكن فيها غير القرى وبعض البساتين ، وأهلها مبعثرون فيها . وبالقرب منها ، خليج ضحل فى بحر قزوين كانت السفن ترسو فيه ، ويصيد أهل الساحل سمكا كثيرا منه . وأهم تلك القرى : آخر ، وقد أشار المقدسى الى انها مدينة ، حولها أربع وعشرون قرية وهذه القرى « من أجل أعمال جرجان » . وفى آخر : « منارة ترى من البعد فى وسط القرى » .

والى شرق آخر ، مدينة الرباط وهى « على فم المفازة » حيث يدخل هذه الناحية الطريق الذاهب الى خوارزم . قال المقدسى : « قد خرب السلطان حصنه ، وكان بثلاثة أبواب ، وهو عامر ظريف . وأسواق بهية ومنازل لطيفة ومساجد حسنة . والمسجد العتيق فيه سوارى خشب » وكان النصف الاسفل منه ، فى أيام المقدسى ، تحت الأرض . وللمدينة جامع آخر ، فيه منارة جميلة (٢٤) . وذكر

(٢٣) الاصطخرى ٢١٣ و ٢١٤ ؛ ابن حوقل ٢٧٣ و ٢٧٤ ؛ المقدسى ٣٥٨ ؛ ياقوت ١ : ٥٥ و ٢٤٢ ؛ المستوفى ١٩٠ و ٢٢٥ .

وذكر ابن سراييون (الورقة ٤٦ ب) ان مدينة أبسكون تقوم على نهر جرجان قرب مصبه فى بحر قزوين . المسعودى : التنبيه ٦٠ و ١٧٩ .

(٢٤) قال المقدسى : (ص ٣٥٩) فى الرباط « مسجد بمنارة لاصحاب الحديث » . (م) .

ياقوت هذه المواضع مع مواضع أخرى في ناحية دهستان ، هي : خرتير وفرغول وهبرائان ، ولم يصفها . وذكر المستوفى ، وقد وصف الطريق من جرجان الى خوارزم ، مخترقا دهستان ، ان هذه الناحية ، كانت الحد بين المسلمين والكفرة من الترك والكرد . وهوأوها حار ، ولها نهر يسقيها ، ولكن فواكهها قليلة^(٢٥) .

وعلى أربع مراحل من دهستان ، عند حد المفازة ، حيث يبدأ الطريق باجتيازها الى خوارزم ، تقوم مدينة فراوة . ذكر الاصطخرى انها ثغر في بادية الغز . وكان « يقيم بها المرابطون » في المئة الرابعة (العاشرة) . وكان بها رباط يحمى البلاد التي وراءها لئلا يتنابها الاتراك « وليست لهم بساتين ولا زروع الا مباقل ، وأهلها دون ألف رجل » . وقد كتب المقدسى اسمها بصورة أفرأوة . وقال ياقوت انها كانت رباطا بناء عبدالله الطاهري في خلافة المأمون . أما موضعها ، فأكبر الظن ان فراوة تطابق قزل أرواات الحديثة ، وهذا الاسم تحريف قزل رباط (أى الرباط الاحمر) . ولم يذكر ياقوت غير أسماء بعض المواضع الاخرى في اقليم جرجان وقد كانت قرى من أعمال مدينة جرجان أو استراباد . ولم ينته الينا شيء عنها ولم تحدد مواضعها . ويغلب ان تكون قراءة الاسم غير مضبوطة^(٢٦) .

وذكر المقدسى مما اشتهر من تجارات جرجان ، صنفا من « المقانع القزمية » كان يحمل في أيامه الى اليمن في جنوبى بلاد العرب . وكان بها دياج دون . وكان يكثر في جرجان الاعناب والتين والزيتون^(٢٧) .

(٢٥) ترى خرائب هذه المواضع عند حد مفازة خوارزم ، في مسريان قرب الجبال المعروفة بـ « كورن داغ » . وقد انقطعت الزراعة في هذه الناحية منذ امد طويل ، وهى اليوم صحراء لا ماء فيها .

ابن حوقل ٢٧٧ و ٢٨٦ ؛ المقدسى ٣٥٨ و ٣٥٩ ؛ ياقوت ١ : ٥٩ و ٥٠٠ : ٢ : ٤١٨ و ٦٣٣ : ٣ : ٨٨٠ : ٤ : ٩٤٩ ؛ المستوفى ١٩٠ و ١٩٧ .

(٢٦) الاصطخرى ٢٧٣ ؛ ابن حوقل ٣٢٤ ؛ المقدسى ٣٣٣ ؛ ياقوت ٣ : ٨٦٦ ؛ المستوفى ١٩٧ .

وقد ذكر ياقوت من هذه القرى ستة عشر اسما . ياقوت ٢ : ١٣٧ و ٤٨٩ و ٧٨٢ ؛ ٣ : ٣٢٣ و ٩٢٣ و ٩٣٠ : ٤ : ٢٧٧ و ٣٧٦ و ٣٩٥ و ٣٩٦ و ٥٥٥ و ٦٩٩ و ٧٢٨ و ٩٢٦ و ٩٢٧ .

(٢٧) المقدسى ٣٦٧ .

وليست المسالك في طبرستان وجرجان كثيرة • لان الجبال في الاقليم الاول تكاد لا تخترقها الطرق • وذكر الاصطخرى (ومنه اقتبس ابن حوقل) والمقدسى ، الطريق الاتخذ شمالا من الرى الى آمل ، قاطعا الجبال ، مارا بآسك وبلور (بلور) • ويصعب اليوم بل يستحيل تعيين كثير من مراحلہ • والطريق الذهاب غربا من آمل في محاذاة الساحل ، ذكر فيه ابن حوقل والاصطخرى المراحل الى ناتل وسالوس فالى حد كيلان (الديلم) ، وكذلك ذكرا مراحل الطريق الذهاب شرقا من آمل الى استراباد ومدينة جرجان • والطريق من مدينة جرجان الذهاب شمالا الى دهستان ، ذكر المقدسى مراحلہ ، وكذلك ذكر المستوفى المراحل فى كلامه على الطريق من بسطام فى قومس الى عاصمة خوارزم • وجاء فى المقدسى أيضا وصف الطريق من بسطام الى مدينة جرجان قاطعا الدرب الجبلى مارا بجهينة ، وهى ، على ما ذكر ابن حوقل « واد لقرية حسنة » • وأخيرا وصف المقدسى الطريق من جرجان الذهاب شرقا الى خراسان وهو يقطع فى خمسة أيام الى اسفرايين فى سهل جوين فيجتاز أجغ ويقال لها اليوم أشك • وسنأتى على وصف هذه الناحية فى الفصل القادم (٢٨) •

(٢٨) الاصطخرى ٢١٤ - ٢١٧ ؛ ابن حوقل ٢٧٤ - ٢٧٦ ؛ المقدسى ٣٧٢ و ٣٧٣ •
المستوفى ١٩٧ •

الفصل السابع والعشرون

خراسان

أرباع خراسان الأربعة - ربع نيسابور - مدينة نيسابور وشاذياخ -
كورة نيسابور - طوس والمشهد - بيهق وسبزوار - جوين
وجاجرم واسفرايين - استوا وكوجان - رادكان
ونسا واييورد - كلات - خابران
وسرخس .

خراسان في الفارسية القديمة ، معناها « البلاد الشرقية » . وكان هذا الاسم في أوائل القرون الوسطى ، يطلق بوجه عام ، على جميع الأقاليم الإسلامية في شرق المفازة الكبرى حتى حد جبال الهند . فخراسان في مدلولها الواسع هذا ، كانت تضم كل بلاد ما وراء النهر التي في الشمال الشرقي ، ما خلا سجستان ومعهما قوهستان في الجنوب . وكانت حدودها الخارجية ، صحراء الصين والپامير من ناحية آسية الوسطى ، وجبال هندكوش من ناحية الهند . إلا أن حدودها هذه صارت بعد ذلك ، أكثر حصرا وأدق تعينا . حتى يمكن القول أن خراسان ، وقد كان أحد أقاليم بلاد ايران في القرون الوسطى ، لم يكن يمتد إلى أبعد من نهر جيحون في الشمال الشرقي ، ولكنه ظل يشتمل على جميع المرتفعات في ما وراء هراة ، التي هي اليوم القسم الشمالي الغربي من أفغانستان . وإلى ذلك ، فإن البلاد في أعالي نهر جيحون ، من ناحية الپامير ، كانت على ما عرفها العرب

في القرون الوسطى ، تعد ناحية من نواحي خراسان البعيدة • وكان اقليم خراسان في أيام العرب ، أى في القرون الوسطى ، ينقسم الى أربعة أرباع ، نسب كل ربع الى احدى المدن الأربع الكبرى التى كانت فى أوقات مختلفة ، عواصم للأقليم بصورة منفردة أو مجتمعة وهذه المدن هى : نيسابور ، ومرو ، وهراة ، وبلخ • وبعد الفتح الاسلامى الاول ، كانت عاصمتا خراسان فى مرو وفى بلخ • الا ان الامراء الطاهريين ، نقلوا دار الامارة الى ناحية الغرب فجعلوا نيسابور فى أيامهم عاصمة الاقليم ، وهى أيضا أكبر مدينة فى أقصى الارباع غربا^(١) •

وفى الفارسية الحديثة يلفظ اسمها : نيشابور • وهى فى العربية : نيسابور • وهو مشتق من نيوشاهبور فى الفارسية القديمة ، ومعناه : « (شىء أو عمل أو موضع) سابور الطيب » • وانما سميت المدينة بذلك ، نسبة الى الملك سابور الثانى الساسانى الذى جدّد بناءها فى المئة الرابعة للميلاد ، اذ ان مؤسس نيسابور كان سابور الاول بن أردشير بابكان • وقد سرد البلدانون العرب فى المئة الثالثة (التاسعة) ثبنا طويلا بأسماء أكبر المدن فى كورة نيسابور التى كانت تضم معظم اقليم قوهستان ، وقد مرّ وصفه • وأهم ما قد يفيدنا به هذا الثبت ، التهجئة القديمة لبعض الاسماء ، وكثير من هذه المواضع لا يمكن تعيينه اليوم^(٢) •

وفى صدر العهد الاسلامى ، كان يقال أيضا لنيسابور : أبرشهر ، ومعناه : مدينة القيم فى الفارسية • وبهذه التسمية ظهرت فى الدراهم القديمة التى ضربها فيها الخلفاء الامويون والعباسيون • وسماها المقدسى وغيره باسم ايرانشهر - أى مدينة ايران - أيضا • ولكن هذا الاسم ربما لم يكن غير اسم رسمى ولقب شرف

(١) الاصطخرى ٢٥٣ و ٢٥٤ : ابن حوقل ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣١٠ : المقدسى ٢٩٥ : المستوفى

• ١٨٥

(٢) الاصطخرى ٢٥٨ : ابن حوقل ٣١٣ : ابن خرداذبه ٢٤ : اليعقوبى ٢٧٨ : ابن

رسته ١٧١ •

المقطع الأول من اسم نيشابور ، فى الفارسية القديمة : « نيو » أو « نيك » • وهو موجود فى الفارسية الحديثة بصورة « نيكو » أى : الطيب • وقد تحول « نى (سابور) » العربى فى الفارسية الحديثة ، الى نيشابور ، لان « ب » تلفظ « ب » (مثلثة) بالفارسية • أنظر : نللكه فى Sassaniden ص ٥٩ •

لها • كانت نيسابور فى المثة الرابعة (العاشرة) مدينة عامرة جليلة مقترشة البناء ، نحو فرسخ فى مثله ، ولها مدينة وقهندز وربض • ومسجدها الجامع فى الربض ، وهو من بناء عمرو الصفار ، مقابل ميدان يعرف بالمعسكر • وبقربه دار الامارة ، وتفضى الى ميدان آخر يقال له ميدان الحسينيين والحبس لا يبعد كثيرا عن دار الامارة ، وبين بناء وبناء من هذه الابنية الثلاثة نحو من ربع فرسخ •

وللقهندز بابان • وللمدينة أربعة أبواب • أحدها يعرف باب القنطرة ، والثانى باب سكة معقل ، والثالث باب القهندز (أى باب القلعة) والرابع باب قنطرة تكين • وأرباضها فى خارج قهندزها ومدينتها ، وتحفّ بهما • وأسواقها فى أرباضها ، ولها أبواب كثيرة • منها باب يعرف باب القباب • ويخرج منه الى الغرب • ويقابله باب جنك (أى باب الحرب) أمام ناحية بشتفروش^(٣) • وباب فى الجنوب يعرف باب أحوص أباذ وهناك أسماء أبواب أخرى • وأعظم أسواقها : سوقان أحدهما يعرف بالربعة الكبيرة ، والاخر بالربعة الصغيرة • وكان سوق الربعة الكبيرة ، قرب المسجد الجامع ، وقد تقدم ذكره • وسوق الربعة الصغيرة على بعد قليل من السوق الآخر ، فى الارباض الغربية قرب ميدان الحسينيين ودار الامارة • وهى أسواق طويلة مكتظة بالدكاكين ، تمتد من مربعة الى المربعة الاخرى ، وتقطعها متعامدة معها أسواق أخرى ، بقرب المربعة الكبيرة وهى تمتد جنوبا الى مقابر الحسينيين ، وتنتهى شمالا برأس القنطرة على النهر • وفى هذه الاسواق ، خانات وفنادق يسكنها التجار ، وفيها التجارات كل حنّف منها على حدة • وللاساكفة والبزازين والخرازين وغيرهم من أصحاب الحرف خاناتهم • ولكل دار فى المدينة قناة تأخذ ماءها من نهر يقال له وادى سغاور ، ينحدر الى نيسابور من قرية بشتقان المجاورة لها • وعلى هذا الوادى والقنى قوّم وحفظة ، وعمق بعض القنى تحت الارض ربما بلغ مئة درجة • وهذه القنى ، اذا ما جاوزت المدينة ظهرت على وجه الارض فتسقى المزارع والبساتين •

(٣) قال ياقوت (معجم البلدان ١ : ٦٣٠) : « بشتفروش ، ويقال : بشتفروش ، بغير نون : كورة من أعمال نيسابور ، أحدثها بشتاسف الملك ، بها مئة وست وعشرون قرية » • (م) •

وليس فى كل خراسان ، على ما ذكر ابن حوقل ، مدينة « أصح هوا »
وأفسح فضاء وأشد عمارة من نيسابور . • وتجارها أهل ثراء ، وتؤمها السائلة
والقوافل فى كل يوم . • ويرتفع منها من أصناف ثياب القطن والابريسم ،
ما ينقل الى سائر البلدان . • وأيد المقدسى ما سبق ذكره ، وزاد عليه اشياء أخرى
قال : **قل** نيسابور اثنتان وأربعون محلة ، منها ما يكون مثل نصف شيراز .
ودروبها المؤدية الى الابواب زهاء الخمسين . • ومسجدها الجامع أربع رحبات ،
بناه عمرو الصفار ، على ما قد بينا ، ويقوم سقفه على أساطين الآجر ، يدور
على صحنه ثلاثة أروقة . • وأهم بناء فيه قد زوقت حيطانه بالقرميد المذهب .
• وللجامع أحد عشر بابا بها أعمدة رخام . • وحيطانه وسقفه مجسمة مزوقة .
• ونهر نيسابور ، على ما سبق ذكره ، يأتى من قرية بشتقان ، كان يدير
سبعين رحى . • ومنه تحمل قني كثيرة تجرى تحت الارض ، ويجرى النهر
فيها مسافة فرسخ . • وكان فى داخل المدينة وفى دورها آبار كثيرة عذبة الماء^(٤) .
وقال ياقوت ، ان فى أيامه ، أى فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) كانوا
يلفظون اسم هذه المدينة : نشاوور . • وأبان عن ان نيسابور بالرغم مما أصابها
من الخراب فى زلزال سنة ٥٤٠ (١١٤٥) ، فقد أعقب ذلك نهب عشائر الغز
لها سنة ٥٤٨ (١١٥٣) ، ولم ير ياقوت فى خراسان مدينة أحسن منها ،
واشتهرت بساكنيها بالرياس^(٥) وغيره من الفواكه . • وبعد فتك الغز بها وأسروهم
السلطان سنجر السلجوقى وتخريبهم المدينة انتقل الناس الى محلة منها يقال لها
شاذياخ ، عمرها وسورها المؤيد عاملها من قبل الملك الأسير سنجر . • ومحلة
شاذياخ ، ويقال لها الشاذياخ ، كانت قديما بستانا لعبدالله بن طاهر فى أوائل
المئة الثالثة (التاسعة) حين نزل نيسابور واتخذها دارا للامارة . • وقامت حول
قصره ، حيث نزل جنده ، وصارت أكبر أرباض نيسابور ، ثم أضحت بعد غزو

(٤) الاصلطخى ٢٥٤ و ٢٥٥ : ابن حوقل ٣١٠ - ٣١٢ : المقدسى ٣١٤ - ٣١٦ و ٣٢٩ .

(٥) الرياس ، على ما فى تاج العروس (٤ : ١٥٩) : « نبت له عساليح غضة الى الخضرة ،
عراض الورق ، طعمها حامض مع قبض ، ينبت فى الجبال ذوات الثلوج والبلاد الباردة من غير
زرع » . • وفى جبال السليمانية فى العراق نبت يقال له هناك « ريواس » يشبه الرياس فى صفته
واسمه ولعل هذه من تلك (م) .

الغز عاصمة • ونزل ياقوت ، حين مقامه وقتا قصيرا بنيسابور سنة ٦١٣ (١٢١٦) ،
فى الشاذياخ ، وقد وصفها • وبعد ذلك بزمن يسير ، أى فى سنة ٦١٨ (١٢٢١)
استولى المغول عليها بقيادة جنكيز خان ونهبوها ، على ما انتهى خبره الى ياقوت •
وقد كان حينذاك استأمن فى الموصل • وقال ياقوت ان المغول « لم يتركوا بها
جدارا قائما » •

على ان نيسابور ، صلح أمرها بعد غزو المغول ، فان ابن بطوطة حين زارها
فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وجدها مدينة عامرة • وقال ان مسجدتها بديع
ويليه أربع مدارس ، ويقال لها دمشق الصغيرة لكثرة فواكهها وبساتينها • وتسقيها
أربعة أنهار تنحدر اليها من الجبال المجاورة • وزاد ابن بطوطة على ذلك انه
يصنع بنيسابور « ثياب الحرير من النخ والكمخاء » ويحمل الى أسواقها كثير من
التجارات • أما المستوفى ، معاصره ، فقد روى حديثا طويلا عن مدينة نيشابور
وكورتها • قال ان مدينة نيشابور القديمة أسست فى أيام الاكاسرة على تخطيط
كرقعة الشطرنج ، فى كل ضلع ثمانية مربعات على ما يقال • ثم اتسعت رقعتها
وعظمت ثروتها فى أيام بنى الصفار وصارت أجل مدن خراسان ، حتى حلت سنة
٦٠٥ (١٢٠٨) فخرتها الزلازل • وقد كان بعد هذا التاريخ ، على قول المستوفى ،
انتقال السكنى منها لاول مرة الى الشاذياخ • وكان حول هذه البلدة ، سور دوره
٦٧٠٠ خطوة • على ان نيشابور ، قد جدد بناؤها فى الوقت نفسه ، ولكن
الزلازل خربتها ثانية فى سنة ٦٧٩ (١٢٨٠) ، فابتنيت مدينة نيشابور الثالثة فى
موضع آخر ، وهذه هى المدينة التى وصفها المستوفى • وكان دور أسوارها
حينذاك ١٥٠٠٠ خطوة ، وهى تقوم عند حافة الجبل مقابلة للجنوب • وكانت
مياها كثيرة ، لان نهر نيشابور ، وهو ينبع فى الجبال على فرسخين أو أزيد
فى شرقها ، وافر الماء يدير أربعين رحى قبل وصوله الى المدينة • وقال أيضا ان
لاكثر دور نيشابور صهاريج يخزن الماء فيها لأجل موسم الجفاف •

وتقوم مدينة نيسابور الحالية ، فى الجانب الشرقى من سهل نصف دائرى ،
تكتنفه الجبال ويواجه المفازة وهى فى جنوبه • ويسقى هذا السهل أنهار كثيرة

تنحدر اليه من المرتفعات التي في شماله وشرقه • وسرد المستوفى أسماء عدد كبير من هذه الانهار ، وهى بعد أن تسقى رساتيق نيسابور ، تنفى في المفازة • وعلى خمسة فراسخ من شمال المدينة ، عند منابع نهر نيشابور ، كانت بحيرة صغيرة في الجبال في أعلى المضيق يقال لها چشمه سبز ، أى « العين الخضراء » • ومنها كان يخرج ، على ما ذكر المستوفى ، نهران يجرى أحدهما الى الغرب والآخر الى الشرق • وينحدر النهر الشرقي الى وادى المشهد • والظاهر ان هذه البحيرة ، كانت في جبل يقال له كوه گلشان ، وفيه كانت مغارة الرياح العجيبة ، التي يهب من أعماقها ريح ويندفع منها في الوقت نفسه ماء تكفى قوته لإدارة رحى • وذكر ان محيط بحيرة چشمه سبز نحو فرسخ ، وحكى عنها عجائب كثيرة ، وقيل انها لا قرار لها ، وان رمي منهم من جانب ، لا يقطعها الى الجانب الآخر •

واشتهرت في سهل نيسابور ، أربعة رساتيق بوفرة خصبها ، وذكر المقدسى في المثة الرابعة (العاشرة) هذه النواحي ، وهى : الشامات (أى شامات الحسن) ، وريوند ، وما زالت قائمة في غرب نيشابور ، ومازل ، وبُشتَفَرُوش • وكان رستاق ما زل في الشمال وأكبر قراه بشتقان (أو بشتقان) وهى على فرسخ من نيسابور وفيها أنشأ عمرو الصفار بستانا له مشهورا • ويرتفع منها ريباس فائق • ويعرف رستاق بشتفروش اليوم باسم بشت فروش ، يمتد مسيرة يوم الى الشرق من باب جنك في نيسابور ، على ما ذكر المقدسى ، وكانت بساتين قراه المثة والست والعشرين ، على ما ذكر ياقوت ، ذات غلة كبيرة من المشمش الذي يحمل الى سائر الانحاء • وكان رستاق الشامات ، يسميه الفرس على ما ذكر المقدسى تك آب ، أى « اليه يجرى الماء » وهذا الرستاق في غاية الخصب • أما ريوند ، فمدينة صغيرة في رستاق على اسمها وهى على مرحلة غرب نيسابور • وكان للمدينة في المثة الرابعة (العاشرة) جامع بالآجر ، ويشقها نهر ، وهى كثيرة الاغاب ، وبها سفرجل جيد لا نظير له •

ومن أكبر انهار كورة نيسابور ، على قول المستوفى ، شورة رود

« النهر الملح » • وكانت تلتقى فيه مياه النهر الآتى من دزباد ، وبعد ان يسقى رساتيق كثيرة ، يقنى فى المفازة • وقد ذكر المستوفى أيضا انها را أخرى ، غير ان كثيرا من أسمائها مغلوطة التهجئة ويصعب اليوم معرفتها ، على ان بعضها لا صعوبة فى معرفته • من ذلك نهر بشتقان ، ومخرجه من جهة چشمه سبز ، على ما قد بيتا • ونهر بشتفروش ، وكلاهما يفيض فى الربيع ، على قول المستوفى ، ويلتقى مع شوره رود • ثم هنالك نهر يقال له عطشاباد « أى نهر العطش » وهذا النهر ، وان كان مأؤه فى الربيع كافيا لادارة عشرين رحى فى مدى عشرين فرسخا من مجراه ، فانه فى الفصول الاخرى لا يبقى فيه من الماء ما يروى عطش انسان ، ومن ذلك جاء اسمه المشؤوم^(٦) •

والى جنوب شرقى نيسابور ، ينقسم طريق خراسان العظيم ، عند مرحلة عرفها العرب باسم قصر الريح ، والفرس باسم دزباد أو ده باد • وقد مر بنا آنفا ذكر نهرا بين الانهار التى تصب فى نهر شوره • ومنها كان طريق مرو يتجه شرقا ، وطريق هراة يدور الى الجنوب الشرقى • وعند هذه الاخيرة ، وعلى مرحلتين من ده باد ، كانت قرية فرهادان ، وهى التى سماها ياقوت فرهاذ جرد • وأطلق المقدسى على ناحيتها التى كانت تعد من أعمال نيسابور ، اسم أسفند ، وكتب ابن رسته اسمها بصورة أشبند ، وكتبه ياقوت : أشفند ، وزاد على ذلك ان بها ثلاثا وثمانين قرية • والظاهر ، ان اسم الناحية القديم قد ضاع اليوم ، ولكن القرية التى يقال لها فراجرد (عوضا عن فرهاذ جرد القديم) ما زالت يؤشر عنها فى الخوارط فى الموضع الذى ذكرته كتب المسالك^(٧) •

ومدينة المشهد - أو مشهد الامام - فى الجهة الشرقية من نيسابور ، وتفصلها عنها سلسلة الجبال التى فيها مخارج أكثر أنهار سهل نيسابور • وهى اليوم

(٦) ابن رسته ١٧١ : المقدسى ٣٠٠ و ٣١٦ و ٣١٧ : ياقوت ١ : ٦٣٠ : ٣ : ٢٢٨ - ٢٣١ : ٤ : ٣٩١ و ٨٥٧ و ٨٥٨ : ابن بطوطة ٣ : ٨٠ و ٨١ : المستوفى ١٨٥ و ٢٠٦ و ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٢٦ : جهان نما ٣٢٨ • وراجع G.E. Yate فى كتابه خراسان وسيستان ص ٣٥١ و ٣٥٣ عن بحيرة چشمه سبز ومغارة الرياح • وهما ما زالتا مشهورتين فى خراسان •

(٧) ابن رسته ١٧١ : المقدسى ٣٠٠ و ٣١٩ : ياقوت ١ : ٢٨٠ : ٣ : ٨٨٧ : المستوفى ١٩٦ •

قاعدة القسم الايراني من خراسان • وعلى بضعة أميال من شمال المشهد ، أطلال طوس المدينة القديمة^(٨) • وكانت طوس في المئة الرابعة (العاشرة) المدينة الثانية في ربع نيسابور من أرباع خراسان • وتتألف من المدينتين التوأمين الطاببران و'نوقان • وعلى مرحلتى يريد عنها : البستان العظيم فى قرية سناباذ ، حيث قبر الخليفة هرون الرشيد وقد توفى فيها سنة ١٩٣ (٨٠٩) وقبر الامام الثامن علي الرضا وقد مات من سم دسه له المأمون^(٩) سنة ٢٠٢ (٨١٧) ، وكان يقال لقرية سناباذ هذه : برذعة أيضا ، وتسمى كذلك المثقب^(١٠) • ويظن ان هذه التسمية جاءت من الكوى التى فى الضريح أو من سبب وهمى آخر •

وكانت نوقان فى المئة الثالثة (التاسعة) ، على ما ذكر اليعقوبى ، أكبر نصفى طوس ، الا ان الطابران قد جاوزتها كبيرا فى المئة التالية لها ، وبقيت المدينة الكبرى حتى أيام ياقوت ، حين أخربت جحافل المغول طوس • وكانت نوقان مشهورة بصنع البرام التى تحمل منها الى سائر البلدان ، ويستخرج من جبالها معدن الذهب والفضة والنحاس والحديد • وبالقرب من طوس أيضا : الفيروزج ، وحجر يقال له الخماهن والدهنج ، وكانت هذه المعادن تجلب الى أسواق نوقان للبيع • وهذا القسم من طوس مأوّه قليل • وكان الحصن المجاور للطابران بناء فخما عظيما يرى من بعيد ، على قول المقدسى • وأسواق هذا النصف من المدينة عامرة وجامعها حسن البناء بديع التزييق • وكان على القبرين فى سناباذ ، فى المئة الرابعة (العاشرة) ، حصن حصين منيع ، وفيه قوم معتكفون ، على ما ذكر ابن حوقل • وقال المقدسى : ان الامير عميد الدولة فائقا ، بنى على قبر الامام علي الرضا ، مسجدا

(٨) نشر السيد محمد مهدى العلوى رسالة فى « تاريخ طوس » طبعت فى بغداد • (م) •

(٩) راجع هذا الموضوع فى كتاب « الامام على الرضا » لعبد القادر احمد اليوسف : (بغداد

١٩٤٧ ؛ ص ١٠٠ - ١١٠) • (م) •

(١٠) أطلق اسم المثقب على حصون مختلفة ، أحدها قرب المصيصة (Mopsuestia) وقد مر ذكرها فى الفصل التاسع صفحة ١٦٢ • ولم يفسر أصل تسميتها ببرذعة • أما نوقان ويلفظ نوكان ، فهو ما زال اسم المحلة الشمالية الشرقية وبابها فى « المشهد » الحديثة وبابها المؤدى الى نوقان فى طوس وما زال ماء سناباذ اليوم يسقى القسم الشمالى الغربى من المشهد •

ابن رسته ١٧٢ ؛ ابن خرداذبه ٢٤ ؛ ياقوت ٤ : ٤١٤ ؛ C. E. Yate فى كتاب خراسان وسيستان • ص ٣١٦ و ٣١٧ •

« ما بخراسان أحسن منه » وُني قبر هرون الرشيد بجانب ضريح الامام • وقامت في أرض البستان الكبيرة دور كثيرة وسوق •

ولم يزد ياقوت في وصفه مدينة طوس شيئا على ما مرّ ذكره ، غير انه ذكر ان من أشهر القبور في الطابران : قبر الفقيه السني العظيم الامام الغزالي^(١١) المتوفى سنة ٥٠٥ (١١١١) وقد عاش في بغداد بضع سنين مدرسا في المدرسة النظامية • وكان اسم طوس حين كتب ياقوت في المئة السابعة (الثالثة عشرة) يدل في الغالب على ناحيتها ، وكان بها أكثر من ألف قرية • على ان هذه البلاد ، وبضمنها مدينتا طوس والقبران في سنا باز (المشهد) ، قد خربت ونهبتها جحافل المغول في سنة ٦١٧ (١٢٢٠) • والظاهر ان طوس لم تقم لها قائمة بعد نهب المغول لها ، ولكن القبرين المجاورين لها ، نالا عناية الاثرياء من الشيعة فاستعادا بهما هما السابق ، فكان المستوفى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) من أوائل من أشار الى قرية سنا باز مسميا اياها « المشهد » ، وهو الاسم الذي عرفت به منذ ذلك الحين •

وقال القزويني في قبري الخليفة والامام « أن الرشيد في القبر الذي يعرفه الناس للرضا ، والرضا في القبر الذي يعرفه الناس للرشيد ، وذلك من تدبير المأمون (وهو ابن هرون الرشيد الذي دس السم لعلي الرضا) • والقبران متقاربان في قبة واحدة • وأهل تلك القرية شيعة ، بالغوا في تزيين القبر الذي اعتقدوا انه للرضا وهو للرشيد » • ولما كتب المستوفى ، صارت المشهد مدينة عظيمة حولها قبور عديدة مع قباب مشهورة كثيرة منها قبر الغزالي وقد مرّ ذكره الآن وهو في شرق قبة الضريحين ، وهناك أيضا قبر الفردوسي الشاعر المشهور • وحول المدينة أرض سهلة خصبة يقال لها مرغزار تكان ، طولها اثنا عشر فرسخا وعرضها خمسة • يكثر فيها العنب والتين • وأهل ناحية طوس ، على ما ذكر المستوفى ، من أحسن الناس أخلاقا ولطفهم مع الغرباء •

وانتهى إلينا من ابن بطوطة • وقد زار مشهد الامام الرضا بعد ذلك بضع

(١١) وفي بغداد اليوم في الجانب الشرقي قرب محلة باب الشيخ قبر منسوب الى الغزالي المذكور ولا يصح ذلك أبدا • (الدكتور مصطفى جواد)

سنين ، وصف حسن للضريح ، قال : مدينة كبيرة ضخمة عامرة الاسواق وحولها جبال ، وعلى المشهد قبة عظيمة ، وتجاوره مدرسة • وهذه الابنية قد زوقت جدرانها بالقاشاني « وعلى قبر الامام ، دكانة خشب ، ملبسة بصفايح الفضة ، وعليه قناديل فضة معلقة • وعتبة باب القبة فضة • وعلى بابها ستر حرير مذهب ، وهي مبسوطة بأنواع البسط » • وازاء هذا القبر ، قبر الخليفة « وعليه دكانة خشب ، يضعون عليها الشمعدانات » واذا دخل الشيعي للزيارة ركل قبر هرون الرشيد برجله وسلم على قبر الامام الرضا • وقد تنبه الى فخامة ضريح الامام وجلاله ، السفير الاسباني كلافيجو Clavijo الذي زار بلاط تيمور في سنة ٨٠٨ (١٤٠٥) فقد مرّ في طريقه بالمشهد • ومما يذكر ان النصاري في تلك الايام كان يسوغ لهم دخول المشهد ، فلم يكن الشيعة الفرس على ما هم عليه اليوم من تعصب في هذا الامر (١٢) •

وعلى مسيرة أربعة أيام من غرب نيشابور في رستاق بيهق ، مدينتا سبزوار وخسروجرد ، وبينهما فرسخ • وسبزوار أكبرهما ، وكانت تسمى هي نفسها في العصور الوسطى بيهق • ورستاق بيهق يمتد الى آخر حدود ريوند ، وقطره خمسة وعشرون فرسخا من كل جهة • وبه ، على ما قال ياقوت ٣٢١ قرية ، وزاد على ذلك ان أصل بيهق بالفارسية بيهه أى بَهاين ومعناه الأجود • وأشار ياقوت أيضا الى أن سبزوار أصح تسمية للمدينة ، وان قالت العامة سبزوار • وقد كانت خسرو جرد في الاصل قصبة الرستاق ، ولكن سبزوار قد حجبته في أيامه وصارت في مكانها • وقال المستوفي ان أسواق هذه المدينة كانت

(١٢) يلفظ الفرس اليوم ، اسم الامام الرضا ، بصورة رزا •

اليقوبى ٢٧٧ : الاصطخرى ٢٥٧ و ٢٥٨ : ابن حوقل ٣١٣ : المقدسى ٣١٩ و ٣٣٣ و ٣٥٢ • ياقوت ٣ : ١٥٤ و ٤٨٦ و ٥٦٠ و ٥٦١ : ٤ : ٨٢٤ : القزوينى ٢ : ٢٦٢ : المستوفى ١٨٦ : ابن بطوطة ٣ : ٧٧ - ٧٩ Narrative of the Embassy of Ruy Gonzalez de Clavijo ص ١٢٠ (Hakluyt Society) جاء فيها : « ذهب السفراء لمشاهدة الجامع ، ثم لما سمعهم الناس في بلدان أخرى يتحدثون عن زيارتهم هذا الضريح ، قبلوا ثيابهم قائلين انهم كانوا قرب مشهد خراسان المقدس » •

ذات سقوف من الخشب تقوم على طيقان متينة البناء • وتكثر في هذا الرستاق الاعناب والفواكه الاخرى • وكان جلّ أهله من الشيعة في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) (١٣) •

وقد كان يصل بين بسطام (في اقليم قومس) ونيسابور : طريقان ، أقصرهما طريق البريد ، وكان في محاذاة شفير المفازة ويشق سبزوار • وأطولهما طريق القوافل وهو في الشمال ، ويدور في هضبة جوين التي يفصلها عن المفازة الكبرى سلسلة من الجبال • وكان رستاق جوين هذا ، وهو ما قد سماه المقدسي گويان ، رستاقا واسعا كثير الخير ، واسم مدينته : أزاوار أو آزادوار • وكان رستاق اسفرايين في شماليه • وفي الطرف الغربي على حد قومس كان رستاق أرغیان ، حول جاجرم • وكان من أعمال أزاوار نحو من مئتي قرية ، على قول ياقوت • وأزاوار ، على وصفه ، كانت مدينة عامرة بها مساجد حسنة ، وبظاهرها عند الباب خان كبير للتجار • وأسواقها زاخرة بالتجارات • وكانت بساتين قراها متصلة حتى الوادى • وسقيها من قنى تأخذ ماءها من عيون في الجبال الجنوبية • وفي المئة الثامنة (الرابعة عشرة) انتقلت قسبة رستاق جوين ، على ما ذكر المستوفى ، الى فريومد ، وهى على بضعة أميال جنوب ازاد وار • وكانت خداشة ، وهى على مرحلة شرق ازاد وار في طريق القوافل ، موضعا ذا شأن حيث قُتل في ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) حاجي برلاس عم تيمور ، حسبما ذكر علي اليزدى في تاريخه (١٤) •

أما مدينة جاجرم ، ويقال لها أيضا أرغیان ، وهو اسم ناحيتها بوجه خاص ، فان المقدسي قال فيها جامع حسن وكانت محصنة ومن أعمالها سبعون قرية • ووصف ياقوت مدن سملقان أو سمنقان الثلاث وقال انها شرق جاجرم ، وهى

(١٣) المقدسي ٣١٧ و ٣١٨ : ياقوت ١ : ٨٠٤ : ٢ : ٤٤١ : المستوفى ١٨٦ • وللإطلاع على اطلال بيهق ، أنظر : G.E. Yate في كتاب خراسان وسيستان • ص ٣٩٨ •
(١٤) المقدسي ٣١٨ : ياقوت ١ : ٢٣٠ : ٢ : ١٦٥ : المستوفى ١٨٦ و ١٩٦ : علي اليزدى ٥٨ : ١ •
وقد يلتبس بين اسم خداشة ، وهى على أربعة فراسخ من شرق ازادوار ، وخراشة ، وهى على نحو المسافة نفسها شمال ازاد وار ، لأن هذين الاسمين يكادان يتشابهان في كتابتهما بالعربية •

راونير (أو راونسر) وبان وهما فى رستاق أرغيان أو جاجرم ، ولم يعين موضعيهما . وذكر أيضا : سبنج أو اسفنج ، وهى ما زالت قائمة فى جنوب غربى جاجرم على طريق بسطام . وقد سمي المستوفى هذا الموضع رباط سونج . ووصف المستوفى جاجرم بانها مدينة لا بالكيرة ولا بالصغيرة ولا يمكن لأى جيش أن يهاجمها . لكونها وسط برية تحيط بها مسيرة يوم من كل جهة يكسوها عشب سام يفتك بالماشية . ولكن قد كان عند قاعدة قلعتها ، شجرتان من الجنار من مضغ شيئا من لحائها فى صباح الاربعاء شفى من وجع الاسنان . وزاد المستوفى على ذلك ان هذا اللحاء كان يحمل الى سائر البلدان . وكان رستاقها كبير الخير ، فيه الفواكه والقمح . ونهر جاجرم ، وكان يجرى نحو الجنوب وينتهى بالمفازة ، قد سماه المستوفى جغان رود ، ومخرجه من ثلاثة ينابيع كل منها يدير رحى . وبعد ان يجتمع ماؤها ، يجرى مسافة اثنى عشر فرسخا أو أكثر . وهذا الماء كان يستعمل أكثر للسقى^(١٥) .

وسهل أسفرايين العظيم ، قد قال المقدسى فيه ان به مزارع الارزاز الكثيرة والاعناب . ومدينته على اسمه ، عامرة ذات أسواق حسنة . وذكر ياقوت ان مدينة اسفرايين كان يقال لها قديما مهرجان ، وقد كان هذا الاسم حين كتب فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) ما زال اسما لقرية قرب المدينة الخربة . ومن أعمالها احدى وخمسون قرية . واسم اسفرايين على ما قال ياقوت ، أصله « من اسبراين ، وأسبر بالفارسية هو الترس ، واين هو العادة . فكأنهم عرفوا قديما بحمل التراس ، فسميت مدينتهم بذلك » . وروى المستوفى انه كان فى جامع اسفرايين وعاء عظيم من النحاس لم ير أعظم منه ، فان محيط حافته الخارجة كان اثنتى عشرة ذراعا . وكان فى شمال المدينة قلعة زر ، أى قلعة الذهب . وماء البلدة من نهر يمر من أسفل التل الذى عليه القلعة . وكانت تكثر فى

(١٥) المقدسى ٣١٨ : ياقوت ١ : ٢٠٩ و ٢٤٩ و ٤٨٥ : ٢ : ٤ و ٧٤٢ : ٣ : ٣٥ و ١٤٥ :

المستوفى ١٨٦ و ١٩٦ و ٢٢٠ .

رستاقها أشجار الجوز • وهوؤها رطب ويكثر فيها الاعناب والقمح^(١٦) •
وفى المستنقعات التى يخرج منها نهر أترك فيجرى الى الغرب ، ثم ينعطف
باتجاه معاكس لمجرأ الاول، أى الى الشرق، ويخرج أيضا نهر المشهد : تقوم مدينة
كوچان • وكان يقال لها فى العصور الوسطى خبوشان أو خوجان • وقد سمي
البلدانيون العرب رستاقها أستوا وأطروا خصوبة أرضه ، ويقال ان معنى اسمها
« الأرض المشرفة »^(١٧) • وكان يلى أستوا من الشرق ، رستاق نسا • قال ياقوت
ان اسم قصبته كان يلفظ فى أيامه خوشان ويشتمل على ثلاث وتسعين قرية •
وجاء اسمها فى جهان نما بصورة خوجان • وذكر المستوفى انه وان كان اسم استوا
ما زال يشار به الى الرستاق فى السجلات المالية ، فانه لم يكن شائعا فى أيامه •
وأطرى خصوبة أرضه وزاد على ذلك ان هولاكو خان المغولى قد أعاد بناء خبوشان
فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) ثم وسّع حفيده أرغون ، من ايلخاني فارس ،
هذه المدينة كثيرا • وفى نحو من نصف الطريق بين خبوشان وطوس ، مدينة
راذگان ، ذكرها ابن حوقل ووصفها ياقوت بقوله : بليدة ، يقال ان منها نظام الملك
وزير ملكشاه السلجوقى^(١٨) •

ورستاق نسا أو نسا المشهور ، هو الوادى العريض المعروف اليوم بـ
« درمگز » أى وادى المن وقد وصف ابن حوقل مدينة نسا بانها فى الكبر
نحو سرخس ، ومياها جارياة ، مخرجها فى الجبال المجاورة • وامتدح المقدسى
جامعها الظريف وسوقها العامرة وقال « أقل دار ، الا وبها بستان وماء جار » •
وبها قرى كبار تنتشر حولها فى الوادى • أما ياقوت فقد قال فى نسا « هى

(١٦) المقدسى ٣١٨ : ياقوت ١ : ٢٤٦ : المستوفى ١٨٦ •
ولعل مدينة اسفرايين القديمة (وما زال السهل هناك يعرف باسمها) تطابق الخرائب المعروفة
بشهر بليقيس • انظر C.E. Yate فى كتاب خراسان وسيستان • ص ٣٧٨ و ٣٧٩ •

(١٧) جاء فى معجم البلدان (١ : ٢٤٣) : « استوا ٠٠٠ معناه بلسانهم المضحاة والمشرقة » (م) •
(١٨) ابن حوقل ٣١٣ : المقدسى ٣١٨ و ٣١٩ : ياقوت ١ : ٢٤٣ : ٢ : ٤٠٠ و ٤٨٧ و ٧٣٠ :
المستوفى ١٨٦ : جهان نما ٣٢٣ •

لقد بنيت مدينة بجنرد (بضم الباء والنون ، وسكون الجيم والراء) الحالية ، وهى فى شمال
اسفرايين ، على ستين ميلا شمال غربى كوچان ، منذ قرنين • ولكن بالقرب منها مدينة قديمة يقال
لها بزهان وهى ما زالت قائمة • ويقال لقلمتها الغربية : القلعة • انظر C.E. Yate فى كتاب
خراسان وسيستان ص ١٩٥ و ١٩٦ : وسايكس فى Persia ص ٢٢ •

مدينة وبثة جدا يكثر بها خروج العرق المدينى^(١٩) حتى ان فى الصيف قل من ينجو منه من أهلها » ، وذكر القزوينى ، ان نسا كان يقال لها شهر فيروز ، لان فيروز الملك الفارسى القديم قد بناها على ما يقال^(٢٠) .

والى شرق نسا ، فى ما وراء الجبل ، وعلى حافة مفازة مرو : كانت أبيورد ويلفظ هذا الاسم أحيانا باورد . قال المقدسى « ابیورد أعجب اليّ من نسا وأحر سوقا وأرخی وأخصب ، والجامع بالسوق » . وأطرى المستوفى فواكهها . وقال ان الرباط فى كوفن تابع لأبيورد ، وهو فى قرية على ستة فراسخ منها . بنى هذا الرباط عبدالله بن طاهر فى المئة الثالثة (التاسعة) ، وكان له اربعة أبواب ، وفى وسطه جامع . وكان يقال لرستاق أبيورد : خابران ، أو خاوران . وقصبت مِهْنَه أو مِهْمَه . وذكر ياقوت مواضع أخرى مهمة فى هذا الرستاق ، منها أزجاء وباذن وخرو الجبل وشوكان ، الا ان مِهْنَه كانت خرابا حين كتب . وفى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) تكلم المستوفى على بساين رستاق خاوران الكثيرة الحسنة - وجاء فيه الاسم بصورة خوردان أيضا - وقال ان فى قصبتها كان يعيش الشاعر أنورى ، من أهل المئة السادسة (الثانية عشرة) مادح السلطان سنجر السلجوقى^(٢١) .

وفى الجبال ، فى نحو من نصف الطريق بين أبيورد ومِهْنَه ، تقوم القلعة الطبيعية الهائلة المعروفة اليوم بـ « كلات نادر » ، نسبة الى نادرشاه ملك بلاد

(١٩) العرق المدينى واسمه بالانكليزية Guinea-worm واسمه العلمى Filaria Medinensis دودة بالغة ، الاثنى منها طفيلية تحت جلد الانسان فى الهند وغرب آسية الجنوبى وأفريقية الحارة وبعض جهات من اميركة ، وقد يبلغ طول الدودة ست أقدام . وبنضجها يتكون خراج فى جلد الثوى المصاب بها . وتخرج منه لولادة آلاف من الاجنة الصغيرة . وقد تكلم عليه ابن سينا . (راجع : معجم شرف . الطبعة الثانية القاهرة ١٩٢٨ ، ص ٣٤٨) . (م) .

(٢٠) الاسطخرى ٢٧٣ : ابن حوقل ٣٢٤ : المقدسى ٣٢٠ : ياقوت ٤ : ٧٧٦ : القزوينى ٢ : ٣١١ . ولعل مدينة نسا تطابق محمد اباد الحديثة ، اكبر مدن دره كز .

(٢١) المقدسى ٣٢١ و ٣٣٣ : ياقوت ١ : ١١١ و ٢٣٢ و ٤٦٢ : ٢ : ٣٨٣ و ٣٩٥ و ٤٢٨ : ٣ : ٣٣٧ : ٤ : ٣٢١ و ٧٢٣ : المستوفى ١٨٩ : على اليزدى ١ : ٣٨٢ : جهان نما ٣١٨ . واسم خاوران جاء من خوروان - بفتح أوله وسكون ثانيه - القديم ومعناه البلاد الغربية (مقابل : خراسان أى البلاد الشرقية) . الذى كان يطلق قديما على بلاد فارس الغربية مما لم يكن يعد حينذاك من خراسان (أى من البلاد الشرقية) .

فارس المشهور فى المثة الثامنة عشرة للميلاد الذى أخفى كنوزه فيها • والظاهر ان هذا المعقل الحصين لم تذكره كتب المسالك ولم ينوه به البلدانيون العرب فى المتين الثالثة والرابعة (التاسعة والعاشره) ولم يتنبه اليه ياقوت وأقدم ذكر انتهى اليها عن كلات ، جاء به العتبى فى كتابه تاريخ محمود الغزنوى • فقد ذكر عرضا ، ان أميرا من الامراء ذهب من نيشابور الى كلات ، وتكتب بالعربية بصورة قلعة • وقد أوجز المستوفى وأفاد فى صفة هذا الموضع وقال ان أهم مدنه يقال لها جرم ومرينان ، وان كلات بها ماء وافر وأرضها زراعية وفى نواحيها كثير من القرى • وأول اشتهاها فى التاريخ جاء من حصار تيمور لقلعتها فى ختام المثة الثامنة (الرابعة عشرة) وبعد ان سقطت بيده ، أمر باعادة بناء حصونها وتمكين بنائها (٢٢) •

وتقوم مدينة سرخس فى أقصر طريق من طوس الى مرو الكبرى ، على ضفة نهر المشهد اليمنى أى الشرقية ، ويقال له اليوم تجند • والظاهر ، ان هذا النهر لم يذكره بلدايو القرون الوسطى • ومخرجه ، على ما قد مرّ بيانه ، فى المناقع القريبة من كوجان • وهو يجرى أولا نحو الجنوب الشرقى مارا بالمشهد • فاذا ما جاوزها مسافة تقرب من مئة ميل ، استقبل من الجنوب رافدا كبيرا هو نهر هراة • ثم يتجه نحو الشمال فيجرى الى سرخس • وعلى مسافة قليلة من شمال ذلك ، عند خط طول ابورد ، تتوزع مياهه ثم تفتى فى رمال المفازة عند موضع يقال له الأجمة حيث تكثر أشجار الطرفاء • ولم ينوه الاصطخرى وابن حوقل بنهر تجند هذا الا بقولهما انه نهر « من فضل مياه هراة » • وقال ابن رسته ، وقد كان رأيّه فى هذا النهر رأى من ذكرنا ، اذا صار نهر هراة (أى القسم الاسفل من تجند) على فرسخين من سرخس ، انشعب منه نهر

(٢٢) العتبى : كتاب اليمىنى • المتن العربى (القاهرة سنة ١٢٨٦ هـ) ، ١ : ٢١٥ : المتن الفارسى (طهران ١٢٧٢ هـ) ص ١٥١ : المستوفى ١٨٧ : على اليزدى ١ : ٣٣٤ و ٣٣٧ : جهان نما ٣٢٣ •

كلات بالفارسية ترادف كلك بالارمنية ، ويراد بها « مدينة » وهى بالعربية « قلعة » • قد زار كلات نادر ، كولونيل ماك كريكر Mac Gregor فى سنة ١٨٧٥ ووصفها بدقة فى كتابه (Journey Through Khurasan) (الجزء الثانى ص ٥١) •

الى هذه المدينة ، واشعبت أيضا انهار كثيرة تسقى رستاق سرخس ، أهمها نهر يعرف بـ « خَشْكِرُود » (أى النهر الجاف) وعليه قنطرة حجارة عظيمة • ولكن فى أكثر أيام السنة ، لا يدوم الماء فى النهر ، حتى عند سرخس •

وكانت سرخس فى المئة الرابعة (العاشرة) ، مدينة عظيمة نحو من نصف مرو ، صحيحة التربة والهواء ، وتكثر فى مراعيها الجمال والاغنام ، ولو ان ما يزرع من أراضيها محدود المساحة لقله مائها • وقال المقدسى ان فيها جامعا وأسواقا حسنة ولها بساتين كثيرة فى أرباضها • وقال القزوينى ان سرخس مدينة كبيرة آهلة « ولاهلها يد باسطة فى عمل العصائب والمقانع المنقوشة بالذهب ، منها تحمل الى سائر الآفاق » • وفى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وصف المستوفى أسوار سرخس وقال ان دورها خمسة آلاف خطوة ، وعليها قلعة حصينة ، وشربهم من نهر يأتى من طوس وهرارة (ولم يذكر اسم تجند) • وهو نهر حسن ، مأؤه يساعد على الهضم ، وكان يسقى مزارع سرخس التى يكثر فيها البطيخ والعنب (٢٣) •

(٢٣) ابن رسته ١٧٣ : الاصطخرى ٢٧٢ : ابن حوقل ٣٢٣ و ٣٢٤ : المقدسى ٣١٢ و ٣١٣ : القزوينى ٢ : ٢٦١ : المستوفى ١٨٩ •
تقوم سرخس الحديثة على الضفة الغربية لنهر تجند •

الفصل الثامن والعشرون

خراسان «تابع»

ربع مرو - نهر مرغاب - مرو الكبرى وقراها -
آمل وزم على جيحون - مرو الروذ أو
مرو الصغرى وقصر احنف •

يمتد ثانی أرباع خراسان ، وهو ربع مرو ، على نهر مرغاب أى نهر مرو •
وينحدر هذا النهر من جبال الغور فى شمال شرقى هراة ، ثم يمر بالمرو الصغرى
ويدور منها شمالا الى مرو الكبرى ، حيث تشعب منه جملة أنهار ، ثم يقضى ماؤه
فى رمال مفازة الغز ، وهى فى نحو من خط طول سباخ نهر تجند أى نهر هراة ،
ولكنها تبعد نحو من ميلا عن شرق هذا النهر •

وما خلا المدن المختلفة المنتشرة على نهر مرغاب ، فان ربع مرو ، يشتمل أيضا
على المواضع القائمة على طريق خراسان العظيم ، مما يلى مرو الى الشمال الشرقى
من نهر جيحون عند آمل ، حيث معبر الطريق الى بخارا •

واسم مرغاب ، أو مرغاب ، أصله على ما ذكر ابن حوقل ، مرو آب (أى
ماء مرو) الا ان الاصطخرى قال ان مرغاب اسم موضع ينبع فيه هذا النهر •
وسمى المقدسى نهر مرغاب نهر المروين ، وقال هو « يمد الى مرو العليا (أى
الصغرى) ثم يعطف الى السفلى (أى مرو الكبرى) ، فاذا صار من مرو الكبرى
على نحو من مرحلة مسد قاعه من الجانبين بالحطب فتنحس بذلك الماء وامتنع

مجرأه عن أن يتحول • وكان على هذا السد فى المثة الرابعة (العاشرة) أمير
لحمائته تحت يده عشرة آلاف رجل ، وعليه حراس يحفظونه لثلا ينبثق « ولا
ترى أحسن ولا أتقن من قسمته » • وقد أقيم لوح على السد لقياس علو الماء
وقت الفيضان • « وربما علا الماء فبلغ طوله فى اللوح ستين شعيرة ، ويستبشر
الناس بذلك ، وإذا كانت ست شعيرات ، كانت سنة قحط » •

وعلى فرسخ من جنوب مدينة مرو الكبرى ، أقيم فى النهر سد شبه حوض
عظيم مستدير ، منه تخرج أربعة أنهار الى محلات وارباض المدينة المختلفة • وقد
أقيم فى الحوض أبواب ومقاسم تضبط علو الماء فى الحوض • وبتهدج الناس حين
يصل الفيضان حدا عاليا ، فتفتح السدود المختلفة ويوزع الماء على الأنهار « قدر
الحاجة » • وأسماء هذه الأنهار الاربعة ، المادة الى المدينة ، على ولاء ، هى :
نهر هرمز فرّ • ويجرى غربا • وفى شرقه نهر الماجان ، ثم نهر الزرق أو
الرزيق ، وآخرها نهر أسعدى • ويبدو ان عمود نهر مرغاب هو نهر الماجان أحد
هذه الأنهار الاربعة • وهو بعد أن يشق البلد ويتخلل أرباضها ، وعليه هناك
جسور ، يخرج الى المفازة فيوالى جريه حتى تضيق مياهه فى السبخة • وذكر
ياقوت فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) ان نهر مرغاب كان يعرف فى أيامه بنهر
رزيق (ولعله يطابق النهر المذكور أعلاه) وقال ان هذا الاسم كثيرا ما أخطأوا فيه
فقالوا : زريق • وهناك صورة ثالثة سماها بها كتاب جهان نما وهى زريق • وجاءت
هذه الاسماء فى المستوفى أيضا ، وقد ذكر ان مرغاب هى التسمية الشائعة فى أيامه •
وما زال هذا النهر الكبير معروفا بهذا الاسم حتى اليوم^(١) •

وكانت مرو الكبرى تعرف فى العصور الوسطى بمرو الشاهجان تميزا لها
عن مرو الروذ وهى مرو الصغرى • ولعل الشاهجان ليس الا الصيغة العربية لـ
« شاهگان » الفارسية القديمة ، ومعناها « السلطاني » أو « يخص السلطان » •

(١) الاصطخرى ٢٦٠ و ٢٦١ ؛ ابن حوقل ٣١٥ ؛ المقدسى ٣٣٠ و ٣٣١ ؛ ياقوت ٢ ٧٧٧ ؛
المستوفى ٢١٤ ، جهان نما ٣٢٨ •

وأطلق حافظ أبرو على الموضع الذى تفنى فيه مياه مرغاب بين الرمال اسم ماياپ • راجع حافظ
٢٣ ب • وأنظر الخارطة ١٠ أمام الفصل الثانى والثلاثين للاطلاع على ما حول مرو من مدن •
ويخمن ان ستين شعيرة تعادل ذراعا •

٢ ما ياقوت الحموى وغيره فقالوا ان الشاهجان معناه « نفس السلطان » • ومرو ، على ما وصفها الاصطخرى وابن حوقل والمقدسى ، تتألف من قلعة داخلية (قهندز) ، والقهندز مرتفع « ومقداره مقدار مدينة » حوله المدينة الداخلية ، ولها أربعة أبواب ، ويلها أرباض واسعة تمتد على ضفاف الانهار الكبيرة • والابواب الاربعة للمدينة الداخلية : باب المدينة (فى الجنوب الغربى) ، واليه ينتهى طريق سرخس • وباب سنجان (فى الجنوب الشرقى) ، ويفضى الى ربض بنى ماهان ونهر أسعدى • وباب درمسكان (فى الشمال الشرقى) ، ومنه يخرج الى ما وراء النهر • والباب الرابع يعرف باب بالين (فى الشمال الغربى) • وكان فى مرو فى المئة الرابعة (العاشرة) ثلاثة مساجد جامعة : أولها مسجد القلعة ، ويقال له مسجد بنى ماهان • ثم المسجد العتيق ، وكان على باب المدينة المفضى الى سرخس • والمسجد الثالث هو المسجد الجديد فى ربض ماجان فى خارج باب ماجان ، جنب الاسواق الكبرى فى مرو •

ونهر رزىق يدخل المدينة من باب يقال له باب المدينة ثم يدخل المسجد العتيق ، فتتفرق مياهه فى حياض لشرب أهل المحلة • ويجرى نهر ماجان فى غربه وهو يسقى ربض ماجان الكبير ، وكان حول الميدان ، وفى الميدان المسجد الجديد ودار الامارة والحبس ، وهى من بناء أبى مسلم (الخراسانى) أكبر دعاة العباسيين ، وكان له الفضل الأول فى نيلهم الخلافة ، على ما فى التاريخ • وفى دار الامارة ، قبة من الاجر سعتها خمسة وخمسون ذراعاً على ما ذكر الاصطخرى ، وعندها « صبح أول سواد ولبسته المسوودة » واتخذ السواد شعاراً للدولة الجديدة •

وفى غرب نهر ماجان ، على ما بيننا ، نهر هرmez فرّه ، وكان فى نهاية أرباض مرو • وعلى ضفافه أبنية وبيوت كثيرة وعليه بنايات حسين الطاهرى ، وكان قد نقل كثيراً من الاسواق الى هذا الربع • وتكلم ياقوت بعد ذلك بزمان على ربض ماجان الغربى العظيم وذكر دربين من دروبه هما الدرب المعروف بـ « برادرجان » (عوضاً عن برادرجان) أى « نفس الاخ » فى ماجان الاعلى • ودرب تخاران به • ثم

يصل نهر هرمز فره الى بلدة بهذا الاسم قرب سباح نهر مرغاب، فيها جامع . وكان على فرسخ من هرمز فره بلدة باشان ، فيها أيضا مسجد جامع . وفي هذا الجانب من مرو بلدة خرق (أو خره) وبلدة السوسنقان^(٢) ، وبينهما فرسخ . وكان في كل واحدة منهما مسجد جامع .

وعلى مرحلة من غرب مرو ، مدينة يقال لها سننج^(٣) (وكتبها المقدسي : سنك) . وفيها مسجد جامع حسن على نهر وبها بساتين كثيرة . ويلها على مرحلتين من جنوب غربي مرو ، في الطريق الى سرخس ، مدينة الدمدانقان . وكانت مدينة صغيرة محصنة لها باب واحد وحمامات في ظاهر سورها . ورأى ياقوت خرائبها في المئة السابعة (الثالثة عشرة) فان الاتراك الغزية خربوها في سنة ٥٥٣ (١١٥٨) . وعندها تنتهي مزارع مرو في الجنوب الغربي . أما كشميهن ، وهي على مرحلة من مرو في طريق بخارا آخر حد الزراعة من الشمال الشرقي . وكانت كشميهن أو كشماهن مشهورة ، على ما ذكر اليعقوبي ، بالزيب الكشماهني . وفيها مسجد جامع حسن وأسواق عامرة ويسقيها نهر عظيم وفيها كثير من الخانات والحمامات . وتكثر في بساتينها الفاكهة . وفي ظاهر باب درمسكان من أبواب مرو ، وكان يفضى الى بلدة كشميهن ، قصر المأمون وفيه عاش أيام مقامه بمرو ، حتى أفضت اليه الخلافة بعد أخيه الامين ، فانتقل الى بغداد . وكان باب مرو الجنوبي الشرقي ، وهو باب سنجان ، يفضى الى نهر أسعدى ، وعليه كانت دور بني ماهان (أو ميرماهان) وقصر مرزبان مرو وهو حامى السباح الفارسي . ومن هذا الباب ، كان الطريق يذهب الى نهر مرغاب بالقرينين الى مرو الروذ . وعلى ستة فراسخ من المدينة في اتجاهه هذا ، كانت مدينة جيرنج (وهي كيرنك في المقدسي) على ضفة النهر . وعلى فرسخ مما يليها زرق . وبجنبها الطاحونة التي اختفى فيها يزدجرد الثالث آخر ملوك الساسانيين وقتله الطحان طمعا بكنوزه . وكان في قرية زرق هذه ، على

(٢) ذكرتها المراجع البلدانية بصورة « سوسقان » و « السوسقان » بحذف النون الاولى . (م) .

(٣) قال ياقوت (معجم البلدان ٣ : ١٦١) : سنج قرستان بمرو ، احدهما يقال لها سنج عباد

(يفتح العين وتشديد الباء) ، والثانية من أعظم قرى مرو الشاهجان . ولم يذكر المؤلف في كلامه أعلاه أمى الاولى أم الثانية (م) .

ما ذكر ابن حوقل ، مقسم ماء نهر مرغاب ، فتخرج منه أنهار تسقى البساتين حول مرو^(٤) . وكانت هذه البساتين مشهورة بجودة بطيخها . وفي مفازتها يكون الاشتراغ^(٥) الذى يحمل الى نواح أخرى من خراسان . ويرتفع من مرو : الابرسم والقز الكثير والثياب المروية المشهورة^(٦) .

وفى النصف الثانى من المئة الرابعة (العاشرة) ، زار المقدسى مدينة مرو ، فرأى ثلث ربيضها مهدها ، وقهندزها ليس بأحسن حالا . على ان فى المئة التالية اتسعت المدينة وعظم شأنها فى أيام السلاجقة . وفيها دفن السلطان سنجر آخر السلاجقة العظام سنة ٥٥٢ (١١٥٧) وما زالت بقايا قبره فيها حتى اليوم . ووصف ياقوت ، وقد كان فى مرو سنة ٦١٦ (١٢١٩) قبر السلطان سنجر ، قائلاً « قبره بها ، فى قبة عظيمة زرقاء تظهر من مسيرة يوم ، لها شبك الى الجامع . بلغنى ان بعض خدمه بناها له بعد موته » . وفى قرية أندرابه ، على فرسخين من مرو ، وهى من أملاك السلطان سنجر كانت ترى بقايا قصره فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) . وكانت أسواره باقية الا ان سائرته قد استولى عليه الخراب وكذلك كان حال القرية المجاورة له ، على ما ذكر ياقوت .

وقال ياقوت ان بمرو فى أيامه كان « جامعان للحنفية والشافعية ، يجمعهما

(٤) قال ابن حوقل (٢ : ٤٣٦ طبعة كريمز) : « ومقاسم الماء من رزق ، قرية بها مقسم ماء مرو ، وقد جعل لكل محلة وسكة من هذا النهر ساقية صغيرة عليها ألواح خشب فيها ثقب مقدرة لا يترك أحد يزيد فيها ولا ينقص . ويأتى كل قوم من شربهم بمقدار ، ان زاد الماء دخلت عليهم الزيادة ، وان نقص نقصوا بأجمعهم ، لا ايثار لقوم على قوم » . (م) .
(٥) الاشتراغ : نبت طويل الشوك ترعاه الابل . مركب من اشتر أى جبل ومن غاز أى شوك
(٦) الالفاظ الفارسية المعربة . ص ١٠ (م) .

(٦) اليعقوبى ٢٨٠ : الاصطخرى ٢٥٨ - ٢٦٣ : ابن حوقل ٣١٤ - ٣١٦ : المقدسى ٢٩٨ و ٢٩٩ و ٣١٠ - ٣١٢ و ٣٣١ : ياقوت ١ : ٥٣٤ و ٨٢٧ : ٢ : ٦١٠ : ٤ : ٥٠٧ .
كانت قرية زرق وطاحونة زرق على سبعة فراسخ من مرو . وكان الحوض الذى منه تقسم مياه مرغاب على أنهار المدينة الاربعة ، وأحدها نهر رزق ، على مسافة فرسخ واحد من مرو . وعليه فنهر رزق وطاحونة زرق لم يكونا متجاورين . وكان للتصنيف أثر فى حصول الالتباس بين : زرق أو رزق ، وزريق أو رزق . فقد جاء اسم الطاحونة أحياناً بصورة زرق (بضم الاول وسكون الثانى) أو زرق (بضم الاول وتشديد الثانى مع الفتح) ، وجاء نهر زريق بصورة زريق ، وعلى ضفافه ، حسب قول بعضهم ، لقى الملك يزدجرد حنفة . أنظر : ياقوت ٢ : ٧٧٧ و ٩٢٥ : ٤ : ٥٠٨ . وذكر المقدسى (ص ٣٣٣) ان على فرسخين من مرو ، دون ان يعين الجهة ، رباطاً « فيه قبر صغير قالوا هو قبر رأس الحسين بن على » حفيد الرسول . الا انهم ذكروا مواضع أخرى دفن فيها رأس الحسين والثابت ان رأس الحسين بعد وفاته لم يرسل الى مرو .

السور » • وأقام ياقوت في مرو ثلاثة أعوام يجمع مادة لكتابه « معجم البلدان » لان مرو كانت قبل ورود التتر اليها مشهورة بخزائن كتبها فنوه بذلك قائلا لو لا ما عرا من ورود التتر الى تلك البلاد وخرابها ، لما فارقتها الى الممات » وذكر من بين خزائنها ، خزائنين في الجامع ، « احدهما يقال لها الغريزية ، وكان فيها اثنا عشر الف مجلد أو ما يقاربها • والاخرى يقال لها الكمالية ، وبها خزانة شرف الملك في مدرسته • وخزانة نظام الملك (الحسن ابن اسحق) في مدرسته ، وخزانتان للسمعانيين ، وخزانة أخرى في المدرسة العميدية ، « وفيها أيضا خزانة المدرسة الخاتونية وخزانة لمجد الملك ، وبها خزانة الضميرية في خانقاه أى زاوية الدراويش وليس فيها الا ٢٠٠ مجلد ، ولكن كل مجلد قيمته على ما ذكر ياقوت مائتا دينار ذهبا ، لان كل كتبها فريد لا يقدر بثمن ^(٧) » •

وبورود التتر الى مرو في سنة ٦١٧ (١٢٢٠) ، هرب ياقوت الى الموصل في اقليم الجزيرة ، أما ما في خزائن مرو من نفائس الكتب فقد أضحت طعمة للنيران عقب نهب المغول لهذه المدينة العظيمة • وبقي من جراء ذلك تسعة ملايين جثة بين أنقاضها لم تدفن ^(٨) • وقال ابن الاثير « ثم انهم أحرقوا تربة السلطان سنجر » • وأحرقوا أيضا الجوامع والخزائن وغيرها • وزاد حافظ أبرو على ذلك ، ان التتر كسروا السدود وخربوا المستنبات ومقاسم الماء في نهر مرغاب التي كثرت في أيام السلاجقة • فان السلاجقة قد عنوا بجماء هذا النهر عناية فائقة ورتبوا أمر توزيعها على هذه الواحة التي تحولت الآن سبخة مقفرة وحين اجتاز ابن بطوطة بمرو في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) رآها فاذا هي جميعا خربة عظيمة •

وتكلم معاصره المستوفى على ماضى مرو الزاهر ومجدها الغابر في المئة الثانية (الثامنة) حين كان يتولاها أبو مسلم الذى مكن العباسيين من الوصول الى

(٧) اما ياقوت فقد قال في هذا الصدد ما هذا نصه (٤ : ٥٠٩ - ٥١٠) : « ... والضميرية في خانكاه هناك ، وكانت سهلة التناول ، لا يفارق منزلى منها مائتا مجلد وأكثر بغير رهن ، تكون قيمتها مائتى دينار • فكنت ارتع فيها واقتبس من فوائدها ... وأكثر فوائد هذا الكتاب وغيره مما جمعته فهو من تلك الخزائن » • (م) •

(٨) قلنا : لا يعقل ان يكون القتل في مدينة واحدة بهذا العدد الجسيم • وقد رجعنا الى ابن الاثير (الكامل ١٢ : ٢٥٦) فالفيناه يقول : « وأمر [جنكيزخان] باحصاء القتل فكانوا نحو سبعائة ألف قتيل » • (م) •

الخلافة ، وحين كان يقيم بها المأمون قبل شخوصه الى بغداد . ثم نقل بنو الصفار عاصمة خراسان الى نيسابور ، الا ان السلاجقة جعلوا مرو أولى المدن مرة أخرى . وبنى السلطان ملكشاه سورا عظيما حول المدينة دوره ١٢٣٠٠ خطوة ، وكانت غلات واحدة مرو مفرطة المحصول . فقد روى المستوفى ان قمحها كان يعطى الواحد فى السنة الاولى مئة ضعف وما تخلف من حب يعطى الواحد فى السنة الثانية ثلاثين . ويعطى الواحد فى السنة الثالثة عشرة حتى وان لم تزرع ، على ان هواءها كان وخما ويثا . وكان « الرشته » فيها أى « العرق المدينى » من الاتفات الخيشة التى تعترى أهلها . وكانت الرمال المتحركة من المفاوز المجاورة لها قد طمرت فى أيامه كثيرا من رساتيقها الخصبة ، ولكن بطيخها الجيد بقى يزرع فيها ويجفف ويحمل الى سائر البلدان وكذلك كان فيها غناب وكمثرى . وقال المستوفى فى سياق وصفه مرو ، ان الخراب ما زال مستوليا على أكثرها ، وان استعادت فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) شيئا من بهائها الاول . فان تيمور لك كان كثيرا ما ينزل عندها حين يخفت دوى الحرب . وكان غالبا ما يقيم فى موضع سماه علي اليزدى ماخان ، ولعله تصحيف النساخ لاسم ماجان ، وهو على ما بينا ، كان يطلق قديما على الرىض الغربى العظيم فى مرو . وذكر ياقوت موضعا سماه أيضا ماخان وقال انه قرية قرب المدينة . واستعادت مرو عظمتها الاولى فى أيام شاه رخ ، حفيد تيمور . فقد جدد قسما كبيرا من المدينة فى سنة ٨١٢ (١٤٠٩) ، حتى ان حافظ أبرو ، حين كتب فى سنة ٨٢١ (١٤١٨) ، قال انها قد عادت ثانية الى ما كانت عليه من عمران وازدهار^(٩) .

ومدينة آمل كانت فى يسار نهر جيحون ، على نحو من ١٢٠ ميلا شمال شرقى مرو ، حيث يعبره طريق خراسان الذهاب الى بخارا وما وراء النهر . وعلى نحو من مئة ميل من شرق آمل فى أعلى هذه الضفة نفسها ، كانت مدينة زَمّ وهى عند معبر النهر أيضا . أما آمل ، وقد كانت تعرف فى العصور الوسطى بأمويه ، ثم عرفت بجهار جوى (أى الاربعة أنهار ، وما زال موضعها يعرف

(٩) ابن الاثير ١٢ : ٢٥٦ : ياقوت ١ : ٣٧٣ : ٤ : ٣٧٨ و ٥٠٩ و ٥١٠ : ابن بطوطة ٣ : ٦٣ : المستوفى ١٨٩ : على اليزدى ١ : ١٤٧ و ١٥٠ : حافظ أبرو ٣٢ ب .

بهذا الاسم) . فقد وصفها ابن حوقل بأنها مدينة صغيرة طيبة عظيمة الشأن ، لان بها مجمع طرق خراسان الى ما وراء النهر . وفى طريق مرو الماد نحو الجنوب الغربى ، آبار فى كل مرحلة . وما سوى ذلك ، فقد كانت المفازة تحيط بها من كل جانب حتى ضفة النهر . وامتدح المقدسى أسواق آمل العامرة . وقال ان جامعها على نشزة ، وهى على فرسخ من نهر جيحون ، كثيرة الضياع ، وفيها أعناب نفيسة . وكان بازاء آمل ، على ضفة النهر اليمنى فى رستاق بخارا ، مدينة فرّبر .

ولكى يميز بين آمل هذه ومدينة آمل الاخرى التى كانت قاعدة طبرستان ، (أنظر صفحة ٤١٠ أعلاه) فقد ذكرتها المراجع ، على ما جاء فى ياقوت ، باسم آمل زم (نسبة الى مدينة زم ، وهى فى أعلاها على نهر جيحون) وآمل جيحون ، وآمل الشط ، وآمل المفازة . على ان آمل ، فى زمنه كان يقال لها أمو وأمويه ، وبهذه التسمية وردت فى أخبار حروب المغول وأخبار حروب تيمور . وكانت تعرف أيضا بقلعة أمويه . وفى المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) أطلق أبو الغازى عليها اسم أمويه حين وصف زحف جنكيزخان . ولكنه حين تكلم على حوادث زمنه ، ذكر اسم جهار جوى وهو يقصد هذا الموضع على نهر جيحون ، وانما أراد بهما موضعا واحدا . أما مدينة زم ، وقد بينّا انها على جانب خراسان من النهر ، فهى كرخي الحديثة . وفى العصور الوسطى ، كان بازائها من جانب بخارا ، مدينة أخسيسك . وتكلم ابن حوقل على زم وقال انها نحو من آمل فى الكبر . ولا يمكن الوصول اليها من آمل ، الا من جانب خراسان ، فى الطريق الصاعد بمحاذاة جيحون بعد مسيرة أربع مراحل . فالطريق من زم الى مرو كان يخترق المفازة المجذبة . ومن زم ، يصل باتجاه الشرق الى بلخ وبعد عبوره نهر جيحون يبلغ ترمذ . وقد أشار المقدسى الى زم أيضا بـايجاز فقال ان الجامع وسط الاسواق . وهذا يدل على انه كان لمدينة زم ، فى المئة الرابعة (العاشرة) ، بعض الشأن (١٠) .

(١٠) الاصطخرى ٢٨١ و ٣١٤ : ابن حوقل ٣٢٩ و ٣٦٣ : المقدسى ٢٩١ و ٢٩٢ : ياقوت ٦٩ : ٢ : ٩٤٦ : على اليزدى ١ : ١٤٨ و ٣٣٤ و ٥٦٨ : أبو الغازى ١٢٤ و ٣٢٩ .

ولنعد الى الكلام ثانية على نهر مرغاب . فعلى نحو من ١٦٠ ميلا فوق مرو العظمى ، تقوم مرو العليا أو الصغرى ، فى موضع من النهر حيث ينعطف شمالا بعد خروجه من جبال الغور فيقطع البرية الى مرو الكبرى . ومرو الصغرى أى مرو العليا على ما سماها المقدسى وغيره ، هى الموضع المعروف لدى الفرس باسم بالا مرغاب أى « مرغاب الاعلى » . وهى اليوم خراب وقد ظلت على خرابها منذ غزو تيمور لها . الا ان مرو الروذ ، أى مرو الشط ، على ما كانت تسمى به فى المثة الرابعة (العاشرة) ، كانت حينذاك أكبر مدينة فى هذا الرستاق العامر الآهل . وهنالك ما عداها ، أربع مدن أخرى بها منابر . ومن مرو الروذ الى نهر مرغاب ، غلوة . ولها عليه بساتين وكروم ، وتبعد ثلاثة فراسخ عن الجبال التى فى غربها ، وفرسخين عن الجبال التى فى شرقها . وجامعها فى السوق ، وهو على ما ذكر المقدسى ، على سوارى خشب . وزاد قدامة على ذلك ان على فرسخ من « مرو الاعلى » (حسب تسميته لها) موضعا يقال له قصر عمرو ، فى الجبل على قم الشعب . وذكر ياقوت ان اسم مرو الروذ فى أيامه كان يلفظه الناس مروذ . والظاهر انها لم يصبها من التدمير ما أصاب مرو الكبرى على أيدي المغول . ومهما يكن من أمر فان المستوفى ، فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ، قال انها موضع ، عامر ، عليه سور دوره خمسة آلاف خطوة ، بناه السلطان ملكشاه السلجوقى . وكانت رساتيقها فى غاية الخصب ، يكثر فيها العنب والبطيخ . والمعيشة فيها رخيصة^(١١) .

وعلى مسيرة يوم من مرو الروذ ، على الضفة نفسها من ناحية مرو الكبرى ، كان القصر المعروف بقصر أحنف ، نسبة الى أحنف بن قيس القائد العربى فى أيام الخليفة عثمان ، وقد أخضع هذه البلاد للإسلام فى سنة ٣١ (٦٥٢) . وكانت بلدة قصر أحنف كبيرة على ما ذكر ابن حوقل ، لها بساتين وكروم حسنة . وهى طيبة الهواء والتربة . وقال المقدسى ان جامعها فى السوق . وتؤشر موضع

(١١) قدامة ٢١٠ ؛ الاصطخرى ٢٦٩ ؛ ابن حوقل ٣٢٠ ؛ المقدسى ٣١٤ ؛ ياقوت ٤ : ٥٠٦ .
المستوفى ١٩٠ ؛ وعن خرائب بالامرغاب ، انظر : Northern Afghanistan C.E.Yate
ص ٢٠٨ .

قصر أحنف اليوم قرية مروچك أى مروكوجك (مرو الصغرى) على ما يسميها
الفرس • وكان فى العصور الوسطى ، على أربعة فراسخ فوق مرو الروذ ، بلدة
دزه ، ويشقها نهر مرغاب الى نصفين ، بينهما قنطرة • ولها جامع حسن • وزاد
ياقوت على ذلك انها كانت تسمى فى الاصل سنّوان^(١٢) •

وقرى پنج ديه (أى الخمس قرى) ، أسفل من مروچك ، على نهر
مرغاب • وقد زارها ناصر خسرو • فى سنة ٤٣٧ (١٠٤٥) فى طريقه الى مكة •
ورآها ياقوت فى سنة ٦١٦ (١٢١٩) وذكر انها مدينة حسنة • وجاء ذكر هذا
الموضع أيضاً فى زمن تيمور فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فقد
قال علي اليزدى انها تعرف باسم يندى (ولكن قراءتها غير مضبوطة
على ما يظهر ، وقد جاءت فى بعض المخطوطات بصورة يندى) • وفى أوائل
العصور الوسطى ، كانت البلاد من مرو الصغرى الى مرو الكبرى ، على جانبى
مرغاب ، مزروعة تبت فيها القرى والمدن ، وكانت القرينين ، وقد نوهنا بها ،
على أربعة فراسخ فوق مرو الكبرى وفرسخين أسفل من مرو الروذ • وفى نصف
الطريق بين القرينين والمدينة الاخيرة : لوكر أو لوكرآ ، وكانت على ما ذكر
المقدسى عامرة ، فى كبر قصر أحنف • وفوق مرو الروذ فى أعلى مرغاب فى
جبال غرجستان ، نواح ورساتيق عامرة كثيرة ستكون موضوع بحثنا فى
الفصل القادم فى كلامنا على الغور فى ربيع هراة^(١٣) •

(١٢) يفهم مما ذكره ياقوت (٤ : ١٠٨) ان قصر أحنف كان فى الاصل حصناً يقال له سنوان
فلما افتتحه الاحنف فى سنة ٣٢ أيام عثمان نسب اليه • (م) •

(١٣) اليعقوبى ٢٩١ : الاضطرى ٢٧٠ : ابن حوقل ٣٢١ : المقدسى ٢٩٩ و ٣١٤ : ناصر خسرو
٢ : ياقوت ١ : ٧٤٣ : ٤ : ١٠٨ : على اليزدى ١ : ٣٥٣ • وعن خرائب مروچك انظر : C.E. Yate
فى كتاب افغانستان ص ١١٠ و ١٢٠ و ١٩٤ •

الفصل التاسع والعشرون

خراسان «تابع»

ربع هراة - نهر هراة أو هري رود - مدينة هراة - مالن والمدين التي
في اعل نهر هري رود - بوشنج - كورة اسفزار - كورة
بادغيس ومدنها - كنج رستاق - رساتيق
غرجستان والغور - الباميان •

يقع ربع هراة برمته ، في البلاد المعروفة اليوم بأفغانستان • ويسقى معظمه
نهر هراة أو هري رود • ومخرج هذا النهر في جبال الغور • ويجرى في أوله
مسافة نحو الغرب • ولسقى وادي هراة شقت منه أنهار كثيرة ، بعضها في أعلى
مدينة هراة وبعضها في أسفلها • وقد سمي المقدسى سبعة من هذه الانهار بوجه
خاص وقال انها تسقى ما حول القصبة من رساتيق خصبه •

ويجى نهر هراة في أوله من الشرق الى الغرب ويمر بمدينة هراة على
سبعة أميال من بابها الجنوبي بالقرب من مدينة مالن • وعليه هناك جسر قال
المقدسى فيه « ليس بجميع خراسان أعجب عملا منه • بناء رجل مجوسى وكتب عليه
اسمه - ويقال ان سلطانا أراد ان يكتب عليه اسمه - منهم من قال أسلم ، ومنهم
من قال طرح نفسه في النهر » • وذكر المستوفى أسماء تسعة من أنهار السقى
الكبيرة التي كانت تأخذ من هري رود من جوار هراة • وفي ما يلي هراة ،
كان هري رود يمر بمدينة فوشنج قرب ضفته الجنوبية ، ثم يعطف شمالا فيجى

الى سرخس ، وقبل ان يصلها ، يستقبل مياه نهر المشهد ، على ما بينا فى الفصل السابق . ثم فى ما يلى ذلك تفنى مياهه فى المفازة شمال سرخس . وقال حافظ ابرو ان نهر هراة يعرف أيضا باسم خجاچران (وتهجئة هذا الاسم تتعدد بتغير نقاط الاعجام ، أما التهجئة الصحيحة فغير معروفة) . وهو يؤكد ان مخرجه كان فى عين لا تبعد كثيرا عن موضع مخرج نهر هيلمند^(١) .

وفى المثة الرابعة (العاشرة) كانت هراة ، على ما وصفها به ابن حوقل والمقدسى ، مدينة جليلة عليها حصن وسور له أربعة أبواب : باب سراى مما يلى الشمال فى الطريق الى بلخ . والباب الثانى الى الغرب يفضى الى نيسابور ، وهو باب زياد . وباب فيروز اباد ، وقد سماه المقدسى باب فيروز ، كان فى الجنوب ، يخرج منه الى سجستان . وكان فى الشرق باب خشك ، ويؤدى الى جبال الغور . وكانت أبوابها هذه خشبا الا باب سراى فقد كان حديدا ، على قول ابن حوقل . وكان لحصن هراة (ويقال له القهندز) أربعة أبواب أيضا « بحذاء كل باب من أبواب المدينة باب لهذا الحصن ويسمى باسم ذلك الباب » . والمدينة مقدار نصف فرسخ فى مثله . ودار الامارة بمكان يعرف بخراسان أباذ فى ظاهر البلد بينهما ميل ، على طريق فوشنج الذهاب غربا . وعند كل باب من أبواب المدينة الاربعة ، سوق وفى ظاهر الباب ربض واسع . وكان المسجد الجامع فى وسط أسواق المدينة . « وليس بخراسان وسجستان مسجد أعمر بالناس من مسجد هراة » . « والسجن على ظهر قبة مسجد الجامع » أى فى غربه .

وفى شمال هراة : الجبال ، وهى من المدينة على فرسخين . والاراضى هنا بادية لا تسقى . ويرتفق الناس من هذه الجبال « بالحجارة للأرحية والفرش . وعلى رأس هذا الجبل بيت نار (قديم) يسمى سرشك » كان يقصده المجوس فى المثة الرابعة (العاشرة) . وفى نصف المسافة بين بيت النار والمدينة بيعة للنصارى . والى جنوب هراة ، فى طريق مالن ، قنطرة على هرى رود . وبينها

(١) الاصلطخرى ٢٦٦ : ابن حوقل ٣١٨ : المقدسى ٣٢٩ و ٣٣٠ : المستوفى ٢١٦ : حافظ ابرو

وبين المدينة بساتين كثيرة ورساتيق عامرة تسقيها أنهار عديدة • وقراها متصلة
مقدار مرحلة على طريق سجستان •

واستمرت هراة على ازدهارها وعمرانها حتى اجتياح المغول لها • وحين
كان ياقوت فيها سنة ٦١٤ (٢) (١٢١٧) أى قبل أن تنكب بهذه الكارثة بأربع
سنوات ، وصفها بقوله « لم أر (بخراسان) مدينة أجل ولا أعظم ولا أفخم
ولا أحسن ولا أكثر أهلا منها ، فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة » • وأيد معاصره
القزويني كلامه هذا وأشار الى أرحيتها التي « تديرها الريح بنفسها كما يديرها
الماء » وهو منظر لم يألفه القزويني • على ان هراة قد انتعشت بعد ما أصابها من
كوارث على يد التتر ، فان المستوفى فى المئة التالية لها ، أيد قول ابن بطوطة
فى انها كانت أكبر المدن العامرة فى خراسان ، بعد نيسابور • ودور أسوارها حينذاك
تسعة آلاف خطوة ، ولها ١٨ قرية يسقيها نهر (نهريجه) يأخذ من هرى رود •
وكان يوجد فيها صنف من الاعناب يقال له « الفخرى » وكذلك التين • وكان أهل
هراة فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) من السنة • وقد كان أقصى ما بلغته هراة من
ازدهار ، على قول المستوفى ، فى المئة السادسة (الثانية عشرة) أيام حكم الدولة
الغورية فيها • فقد كان فيها حينذاك ١٢٠٠٠ دكان ، و ٦٠٠٠ حمام ، و ٦٥٩
مدرسة ، وعدد سكانها ٤٤٤ •

وكان فى شمال هراة ، حين كتب المستوفى ، حصن مكين يقال له
شميران ، بنى فى موضع بيت النار المسمى سِيرَشَك وقد ذكره ابن حوقل ، وهو
على رأس جبل يبعد فرسخين عن المدينة • وعرف هذا الحصن أيضا بقلعة
امكلجه • وفى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، بعد ان تملك تيمور هراة ،
نقض أسوارها وأرسل معظم الحذاق من صناعها الى مدينته الجديدة شهر سبز
فى ما وراء النهر تكثيرا لسكانها • وجاء فى كتاب جهان نما بالتركية ، انه كان
لهراة فى زمن كتابته ، أى سنة ١٠١٠ (١٦٠٠) خمسة أبواب : باب يقال له
دروازه مُملك فى الشمال ، وباب عراق فى الغرب ، وباب فيروز آباد فى الجنوب ،

(٢) ذكر ياقوت (معجم البلدان ٣ : ٩٥٨) انه كان فى هراة سنة ٦١٧ (١٢٢٠) • (م) •

وباب خُشس في الشرق ، وباب كِچاق في الشمال الشرقي ، والاخير أحدثها .
وذكر جهان نما أيضا البلوكات العشر أى الرساتيق التي حول هراة ، ولكنه لم يذكر موضع كل بلوك من الآخر (٣) .

وعلى فرسخين ، أى مسيرة نصف يوم ، من جنوب هراة ، مدينة مالين أو مالن ، ويخمن أنها في ما يلي القنطرة العظيمة التي كانت على هرى رود وبها عرفت القنطرة . وحول المدينة رستاق على اسمها مداه مسيرة يوم . وكان يقال لمالن هذه السفَلَقَات ومالن هراة ، تميزا لها عن مدينة بالاسم نفسه في رستاق باخرز بقوهستان (وقد مر ذكرها في الفصل الخامس والعشرين ، ص ٣٩٧) . كانت مالن بلدة صغيرة مشتبكة البساتين كثيرة الكروم . زارها ياقوت وكتب اسمها مالين ولكنه قال ان الناس في أيامه يسمونها مالان . وفي رستاقها خمس وعشرون قرية خص بالذكر منها أربعة : مُرغاب وباشينان وزَنَمَان وَعَبَسْتَان .

وعلى مرحلة من شمال هراة ، بلدة كروخ أو كاروخ . قال ابن حوقل انها كانت في المئة الرابعة (العاشرة) أكبر مدن كورة هراة بعد قصبتها . ويرتفع من كروخ الشمس والزيب ويحمل الى سائر البلدان « ومسجدها الجامع بمحلة منها تعرف بسيدان ، وبنائها من طين ، وهى في شعب بين جبال مقدار عشرين فرسخا وجميعها مشتبكة البساتين والمياه والاشجار والفياض والقرى العامرة » . ويصب أكبر أنهارها في هرى رود ، ويظهر انه هو النهر الذى سماه ياقوت نهر كراغ .

(٣) الاصطخرى ٢٦٤ - ٢٦٦ : ابن حوقل ٣١٦ - ٣١٨ : المقدسى ٣٠٦ و ٣٠٧ : ياقوت ٩٥٨ : القزوینی ٢ : ٣٢٢ : ابن بطوطة ٣ : ٦٣ : المستوفى ١٨٧ : جهان نما ٣١٠ - ٣١٢ . على اليزدى ١ : ٣٢٢ و ٣٢٣ .

ومما أورده الحاج خليفة من أخبار في جهان نما ، قد اقتبس بعضه من مقالة عن هراة كتبها معين الدين الاسفزاری سنة ٨٩٧ (١٤٩٢) وهى المقالة التي أدخلها بحذافيرها ميرخواند في خاتمة كتابه « روضة الصفا » الجزء السابع ص ٤٥ - ٥١ ، وقد ترجمها بارييه دى مينار في Journal Asiatique لسنة ١٨٦٠ (٢ : ٤٦١) ولسنة ١٨٦١ (١ : ٤٣٨ و ٤٧٣)

ص ٢٥ - ٢٨ . (انتهت حاشية المؤلف) .
قلنا : نشر محمد زبير الصديقى كتاب « تاريخ نامه هراة » (بالفارسية) ، تأليف سيف بن محمد بن يعقوب الهروى (ولد سنة ٦٧١ هـ - ١٢٨٢ م) وقد طبع في كلكتة سنة ١٩٤٣ . (م) .

والى شرق هراة ، فى وادى هرى رود العريض ، تقوم مدن تلى احداها
الاخري ذكرها بلدانيو المئة الرابعة (العاشرة) ، وهى بشان على يوم من هراة ،
م خيسار فاستتر بيان فماراباذ فأوفه . تبعد الواحدة عن الاخري شرقا مسيرة يوم .
ثم على يومين مما يلى أوفه ، مدينة خشت وكانت تعد من ناحية الغور . ومن
بين هذه المدن التى ذكرناها كانت أوفه نحو كروخ فى الكبر وتليها فى الشان .
أما المدن الاربع الاخري ، فقد تشابهت فى الوصف ، فلكلها مياه وبساتين
وزروع . وكلها أصغر من مالن وكانت استريان لا كروم فيها ، وهى فى جبال .
وماراباذ « يرفع منها أرز كثير يجلب الى النواحي » (٤) .

وعلى مسيرة يوم من غرب هراة مدينة بوشنج أو فوشنج الجبلية . والظاهر
انها حيث تقوم غريان الحالية على شىء يسير من ضفة هرى رود اليسرى فى
جنوبها . وقد وصف ابن حوقل بوشنج بانها كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) ،
نحوا من نصف هراة ، « وهى وهراة فى مستواة ومن بوشنج الى الجبل نحو
فرسخين » . وبنائها حسن تحف بها الاشجار . وبها من أشجار العرعر ما ليس
فى غيرها ويحمل خشبه الى سائر النواحي . ولبوشنج سور وخذق وثلاثة
أبواب . باب يسمى باب علي يفضى الى نيسابور ، وباب هراة الى الشرق ، وباب
قوهستان الى الجنوب الغربى . وكان ياقوت ، قد رآها وهو مار فى طريقه ،
فى واد كثير الشجر ، وسماها بوشنج وفوشنج وذكر ان « العجم يقولون
بوشنك بالكاف » . ووصف المستوفى مدينة فوشنج ، فى المئة الثامنة (الرابعة
عشرة) وقال انها مشهورة بالبطيخ والاعناب ، وبها من الاعناب مئة وخمسة
أصناف . ومما خصت به ، الأرحية التى تديرها الريح . وأصلها يعزى الى فرعون
مصر من أيام موسى ، فقد بلغ هذه المدينة فى احدى حملاته نحو الشرق . وفى
سنة ٧٨٣ (١٣٨١) غزا تيمور مدينة فوشنج ونهبها ، وقد استولى عليها بالرغم
من علو أسوارها وعمق ماء خندقها ، على ما نوّه به علي اليزدى . وبعد ذلك
اختلف اسم فوشنج من التاريخ لغير ما سبب واضح ثم قامت بعد زمن مدينة غريان ،

(٤) الاصطخرى ٢٦٧ و ٢٨٥ : ابن حوقل ٣١٨ و ٣٣٤ : المقدسى ٥٠ و ٢٩٨ و ٣٠٧ و ٣٤٩ :
ياقوت ١ : ٤٧٠ : ٢ : ٩٥٠ : ٣ : ٦٠٥ : ٤ : ٢٤٧ و ٣٩٧ و ٤٩٩ .

وباب خُشس في الشرق ، وباب كِچاق في الشمال الشرقي ، والاخير أحدثها .
وذكر جهان نما أيضا البلوكات العشر أى الرساتيق التي حول هراة ، ولكنه لم يذكر موضع كل بلوك من الآخر (٣) .

وعلى فرسخين ، أى مسيرة نصف يوم ، من جنوب هراة ، مدينة مالين أو مالن ، ويخمن انها فى ما يلى القنطرة العظيمة التى كانت على هرى رود وبها عرفت القنطرة . وحول المدينة رستاق على اسمها مداه مسيرة يوم . وكان يقال لمالن هذه السفلتقات ومالن هراة ، تميزا لها عن مدينة بالاسم نفسه فى رستاق باخرز بقوهستان (وقد مر ذكرها فى الفصل الخامس والعشرين ، ص ٣٩٧) . كانت مالن بلدة صغيرة مشتبكة البساتين كثيرة الكروم . زارها ياقوت وكتب اسمها مالين ولكنه قال ان الناس فى أيامه يسمونها مالان . وفى رستاقها خمس وعشرون قرية خص بالذكر منها أربعة : مُرغاب وباشينان وزَنَمَان وعَبَسْتَان .

وعلى مرحلة من شمال هراة ، بلدة كروخ أو كاروخ . قال ابن حوقل انها كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) أكبر مدن كورة هراة بعد قصبته . ويرتفع من كروخ المشمش والزيب ويحمل الى سائر البلدان « ومسجدها الجامع بمحلة منها تعرف بسيدان ، وبنائها من طين ، وهى فى شعب بين جبال مقدار عشرين فرسخا وجميعها مشتبكة البساتين والمياه والاشجار والفياض والقرى العامرة » . ويصب أكبر أنهارها فى هرى رود ، ويظهر انه هو النهر الذى سماه ياقوت نهر كراغ .

(٣) الاصطخرى ٢٦٤ - ٢٦٦ : ابن حوقل ٣١٦ - ٣١٨ : المقدسى ٣٠٦ و ٣٠٧ : ياقوت ٩٥٨ : القزوینی ٢ : ٣٢٢ : ابن بطوطة ٣ : ٦٣ : المستوفى ١٨٧ : جهان نما ٣١٠ - ٣١٢ . على اليزدى ١ : ٣٢٢ و ٣٢٣ .

ومما أورده الحاج خليفة من أخبار فى جهان نما ، قد اقتبس بعضه من مقالة عن هراة كتبها معين الدين الاسفزاری سنة ٨٩٧ (١٤٩٢) وهى المقالة التى أدخلها بحذاقها ميرخواند فى خاتمة كتابه « روضة الصفا » الجزء السابع ص ٤٥ - ٥١ ، وقد ترجمها باريه دى مينسار فى Journal Asiatique لسنة ١٨٦٠ (٢ : ٤٦١) ولسنة ١٨٦١ (١ : ٤٣٨ و ٤٧٣)

ص ٢٥ - ٢٨ (انتهت حاشية المؤلف) . قلنا : نشر محمد زبير الصديقى كتاب « تاريخ نامه هراة » (بالفارسية) ، تأليف سيف بن محمد بن يعقوب الهروى (ولد سنة ٦٧١ هـ - ١٢٨٢ م) وقد طبع فى كلكتة سنة ١٩٤٣ . (م) .

والى شرق هراة ، فى وادى هرى رود العريض ، تقوم مدن تلى احداها
الاخرى ذكرها بلدانيو المئة الرابعة (العاشرة) ، وهى بشان على يوم من هراة ،
م خيسار فاستتر بيان فماراباذ فأوفه . تبعد الواحدة عن الاخرى شرقا مسيرة يوم .
ثم على يومين مما يلى أوفه ، مدينة خشت وكانت تعد من ناحية النور . ومن
بين هذه المدن التى ذكرناها كانت أوفه نحو كروخ فى الكبر وتليها فى الشأن .
أما المدن الاربع الاخرى ، فقد تشابهت فى الوصف ، فلكلها مياه وبساتين
وزروع . وكلها أصغر من مالن وكانت استريان لا كروم فيها ، وهى فى جبال .
وماراباذ « يرفع منها أرز كثير يجلب الى النواحي » (٤) .

وعلى مسيرة يوم من غرب هراة مدينة بوشنج أو فوشنج الجبلية . والظاهر
انها حيث تقوم غريان الحالية على شئ يسير من ضفة هرى رود اليسرى فى
جنوبها . وقد وصف ابن حوقل بوشنج بأنها كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) ،
نحوا من نصف هراة ، « وهى وهراة فى مستواة ومن بوشنج الى الجبل نحو
فرسخين » . وبنائها حسن تحف بها الاشجار . وبها من أشجار العرعر ما ليس
فى غيرها ويحمل خشبه الى سائر النواحي . ولبوشنج سور وخذق وثلاثة
أبواب . باب يسمى باب علي يفضى الى نيسابور ، وباب هراة الى الشرق ، وباب
قوهستان الى الجنوب الغربى . وكان ياقوت ، قد رآها وهو مار فى طريقه ،
فى واد كثير الشجر ، وسماها بوشنج وفوشنج وذكر ان « العجم يقولون
بوشنك بالكاف » . ووصف المستوفى مدينة فوشنج ، فى المئة الثامنة (الرابعة
عشرة) وقال انها مشهورة بالبطيخ والاعناب ، وبها من الاعناب مئة وخمسة
أصناف . ومما خصت به ، الأرحية التى تديرها الريح . وأصلها يعزى الى فرعون
مصر من أيام موسى ، فقد بلغ هذه المدينة فى احدى حملاته نحو الشرق . وفى
سنة ٧٨٣ (١٣٨١) غزا تيمور مدينة فوشنج ونهبها ، وقد استولى عليها بالرغم
من علو أسوارها وعمق ماء خندقها ، على ما نوّه به علي اليزدى . وبعد ذلك
اختفى اسم فوشنج من التاريخ لغير ما سبب واضح ثم قامت بعد زمن مدينة غريان ،

(٤) الاصطخرى ٢٦٧ و ٢٨٥ : ابن حوقل ٣١٨ و ٣٣٤ : المقدسى ٥٠ و ٢٩٨ و ٣٠٧ و ٣٤٩ :
ياقوت ١ : ٤٧٠ : ٢ : ٩٥٠ : ٣ : ٦٠٥ : ٤ : ٢٤٧ و ٣٩٧ و ٤٩٩ .

المدينة العامرة اليوم ، على خرائب المدينة التي نهبها تيمور وخرّبها • ومما تحسن الإشارة إليه ، ان المدن الثلاث : فرجرد وخرجرد وكوسوى ، وقد سبق وصفها بين مدن إقليم قوهستان (أنظر ص ٣٩٧ - ٣٩٨) ، غالبا ما عدت من أعمال فوشنج^(٥) .

وكورة أسفزار ، فى جنوب هراة فى طريق زرنج • كان فيها فى المئة الرابعة (العاشرة) أربع مدن مهمة ، ما خلا القصبة أسفزار ، وهى آدرسكر وكوران وكوشك وكواشان • وأسفزار اليوم أكبر المدن ، ويقال لها فى وقتنا سبزوار (وتسمى أيضا سبزوار هراة ، تميزا لها عن سبزوار التى فى غرب نيسابور • أنظر ص ٤٣٢) • الا ان أكبر مدن هذه الكورة قديما كانت كواشان • ومقدار الكورة مسيرة ثلاثة أيام من الشمال الى الجنوب ، وعرضها مرحلة يوم • قال الاصطخرى كان عندها شعب يسمى كاشكان ، وفيه قرى عامرة • ونهرها ومنابعه بالقرب من اسفزار (سبزوار) هو النهر المعروف اليوم بهارود سيستان ويقع فى رأس بحيرة زره غرب جوين • ومدن أسفزار هذه تحيط بها كلها الاراضى الخصبة والبساتين • وذكرت كتب المسالك اسما ثانيا لاسفزار ، هو خاشتان (أو جاشان فان قراءته غير محققة) ولا يستبعد ان تكون خواشان صورة أخرى لهذا الاسم • فتكون هذه المدينة فى الواقع اذآ ، مطابقة لاسفزار (سبزوار) • ومدينة أدرسكر أو أدرسكر ، على ما تلفظ به أيضا ، ما زالت قائمة فى شرق أسفزار ، ويكتب اسمها اليوم بصورة أدرسكن • وذكر ياقوت ان اسفزار من أعمال سجستان ، وتكلم عليها المستوفى بانها مدينة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة ، لها قرى كثيرة وبساتين وافرة الاعناب والرمان • وكان جل أهلها فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) من السنة على المذهب الشافعى • ومما يؤسف عليه ان كتب المسالك لم تبين مواضع المدن الاخرى فى هذه الكورة ، بالنسبة الى بعضها^(٦) .

(٥) الاصطخرى ٢٦٧ و ٢٦٨ : ابن حوقل ٣١٩ : المقدسى ٢٩٨ : ياقوت ١ : ٧٥٨ : ٣ : ٩٢٣ • المستوفى ١٨٧ : على اليزدى ١ : ٣١٢ • وذكر صنيح الدولة (مرآة البلدان ١ : ٢٩٨) انه مر قرب خرائب بوشنج ورآها حين قدومه من نيسابور الى هراة ، وقال انها قرب غريان وليست فيها • (٦) الاصطخرى ٢٤٩ و ٢٦٤ و ٢٦٧ : ابن حوقل ٣٠٥ و ٣١٨ : المقدسى ٢٩٨ و ٣٠٨ و ٣٥٠ : ياقوت ١ : ٢٤٨ : المستوفى ١٨٧ •

والطريق من هراة الضارب شمالا الى مرو الروذ ، يجتاز كورة باذغيس العظيمة ، وكانت تمتد بين نهر هراة من الغرب (فى شمال فوشنج) ومياه نهر مرغاب الاعلى من الشرق وهى الاتية من جبال غرجستان • وكان يسقى باذغيس نفسها كثير من روافد نهر مرغاب اليسرى • وكان القسم الشرقى من باذغيس ، وهو يبدأ على نحو من ١٣ فرسخا من شمال هراة ، يعرف بكنج رستاق ، وله ثلاث مدن كبيرة هى : ببن ، وكيف ، وبغشور • وقد عينت كتب المسالك مواضعها على وجه التقريب أما فى بقية باذغيس ، فقد ذكر المقدسى تسع مدن كبيرة ولكن مما يؤسف عليه انه لا يمكن تعيين موضع واحدة من هذه المدن ، لان كتب المسالك لم تذكرها • وهذه البلاد اليوم ، غامرة لا سكان فيها ، فقد خربتها الغزوات المغولية فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) • وتشهد الخرائب الكثيرة المنتشرة فى تلك البقعة على ما كانت عليه هذه البلاد قبلا من وفرة فى المياه وازدهار فى العمران • الا ان اسماءها الحديثة هى غير تلك التى ذكرها بلدانيو القرون الوسطى •

أما أطلال مدينة بغشور ، وهى من مدن كنج رستاق الكبيرة ، فالظاهر انها هى المعروفة بقلعة مور • وصف ابن حوقل فى المئة الرابعة (العاشرة) مدينة بغشور بقوله انها من أحسن مدن خراسان وأكثرها ثروة ، وهى نحو بوشنج • وكان سلطان هذه الناحية يقيم فى ببن أو ببنه وهى أكبر هذه المدن ، بل أكبر من بوشنج • أما « كيف » فكانت نحوا من نصف بغشور • وهذه المدن حسنة ، بناؤها من طين • وحولها البساتين والزروع ، وفيها مياه كثيرة جارية وآبار • وقد رأى ياقوت هذه البلاد فى سنة ٦١٦ (١٢١٩) ، وأيد ما كانت عليه بغشور السابقة والمدن المجاورة لها من ثروة ، ولكنه قال « الخراب فيها ظاهر » مع ان ذلك كان قبل الغزو المغولى • وزار ياقوت ببنه وسماها : بون و بون • وزار أيضا بلدة أخرى يقال لها الباميان ، أو بامنج ، وهى على شىء يسير من ببنه • وقال انها « ذات خير ورخص يكثر فيها شجر الفستق » (٧) •

(٧) ابن رسته ١٧٣ : الاصلطخى ٢٦٩ : ابن حوقل ٣٢٠ : المقدسى ٢٩٨ و ٣٠٨ : ياقوت ٤٦١ : ٤٨١ و ٤٨٧ و ٦٩٤ : ٢ : ٧٦٤ : ٤ : ٣٣٣ • وللإطلاع على حال كورة باذغيس.

أما القسم الجنوبي من كورة باذغيس ، فإن ما يقال عن سابق عمران كنج رستاق وازدهارها ، يقال عن هذا القسم أيضا . الا ان مدنه قد زالت اليوم جميعا من الخارطة ، ويصعب تعيين مواضع أسمائها التي عرفت في القرون الوسطى أو مطابقتها مع أسماء الخرائب الحالية . وقد اتفقت الاخبار على ان قصبة هذا القسم كانت دهستان ، وموضعها قد يتفق هو ومرقد خواجه دهستان الحالى فى شمال شرقى هراة . وذكر المقدسى أسماء سبع مدن أخرى ، هى : كوغاناباذ و كوفابُشت وجاذاوا وكابرون وكالوون وجبل الفضة . ولا يمكن معرفة مواضعها الا بوجه تقريبي . كانت دهستان فى المئة الرابعة (العاشرة) ثانى المدن الكبرى فى باذغيس ، مثل نصف بوشنج ، وهى على جبل ، وبناء أهلها طين ولهم أسراب تحت الأرض لآيام الحر ، وبساتينها قليلة ومزارعها مباحس . وكان سلطان الناحية يقيم فى كوغاناباذ ، وهى أصغر من دهستان . ومدينة جبل الفضة كانت على ما يدل عليه اسمها ، عند جبل فيه معدن الفضة فى الطريق الماد رأسا من هراة الى سرخس . والظاهر انها فى شمال كوغاناباذ . ويكثر فى ناحيتها الحطب . وكانت كوفأ أكبر من جبل الفضة ، فى برية ، لها بساتين حسنة . ولكن المقدسى لم ينوه بشئ عن المدن الاربع الاخرى ، الا قوله ان هذه المدن كانت تقوم قرب الطريق الذاهب شمالا من هراة الى سرخس .

وذكر ياقوت ، وقد قال ان دهستان « ناحية باذغيس » ، ان « أصلها بالفارسية باذ - خيز ، معناه قيام الريح أو هبوب الريح لكثرة الرياح فيها » . أما كلام المستوفى على باذغيس فيصعب فهمه لان أسماء الامكنة كثيرة التصحيف فى المخطوطات . قال ان دهستان كانت القصبة وأشار الى جبل معدن الفضة بالتسمية الفارسية كوه نقره « جبل الفضة » . وفيها موضع ثالث ذو شأن هو كوه غناباد (عوضا عن كوغاناباذ) ، وفيها كان يقيم الامير . وجاء ذكر مدينة رابعة يقال لها بزرگترین . ولكن قراءة الاسم غير معتمد عليها . وذكر المستوفى أيضا مدينة

اليوم وخرائبها ، انظر : G.E. Yate فى كتاب افغانستان ص ٦٧ و ٦٨ . وترى بقايا قلاع واطلال فى كلران وسكردان وقراباغ (ص ١٠١) وايضا فى قلعة مور (ص ٩٦ و ١٠٣) وفى غربته . ولا شك ان بعض هذه الاطلال هى بقايا المدن التى ذكرها البلدانون العرب .

باسم كاريز (أو كاريزه) أى « الكهريز » وقال انها كانت مقام حكيم برقى
- « الحكيم المبرقع » - المعروف لدى الناس بصانع القمر بنخشب ، وهو نبى
خراسان المبرقع الذى ثار فى المثة الثانية (الثامنة) على الخليفة المهدي واقتضى
لقمع ثورته جهد كبير^(٨) .

وقد انتهت الينا أسماء مواضع أخرى أيضا ذكرها المقدسى والبلدانيون العرب
الاولون (ويعتور اسماءها كثير من التصحيف فى متون كتبهم) دون ان يذكروا
شيئا عنها . وفى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ، كانت باذغيس على قول المستوفى ،
مشهورة بغابات الفستق . وفى موسم جمعه كان يخرج كثير من الناس فيحملون
منه ما قدروا على حمله ، وكان يحمل الى سائر البلدان المجاورة . وكانت
أشجار الفستق من الكثرة فيها حتى ان المستوفى قال ان كثيرا من الناس يعتاشون
السنة كلها على ما يريحون مما جمعه فى موسم جنيه . وما أعجب مرأى أشجاره .
وفى ختام المثة الثامنة (الرابعة عشرة) استولى الخراب على باذغيس نهائيا على
ما يظهر بمرور جيوش تيمور بها فى اثناء زحفها المالحق من هراة الى
مرو الروذ^(٩) .

(٨) هذا ما قاله المستوفى بنصه الفارسى (نزهة القلوب . ص ١٥٣ طبعة لسترنج) : (كاريزكه
مقام حكيم برقى كه سازنده ماه بنخشب » . وحكى القزوينى (ص ٣١٢) فى كلامه على بنخشب فى
شان هذا الحكيم ما يأتى : « بنخشب : مدينة مشهورة بأرض خراسان ؛ منها الاولياء والحكماء ، ينسب
اليها الحكيم ابن المقفع (ابن المقنع ؟) الذى أنشأ بنخشب بئرا يصعد منها قمر يراه الناس مثل
القمر ، واشتهر ذلك فى الاتفاق . والناس يقصدون بنخشب لرؤيته ويتمجبون منه . وعوام الناس
يحسبونونه سحرا ، وما كان الا بطريق الهندسة وانعكاس شعاع القمر ، لانهم وجدوا فى قعر البئر
طاسا كبيرا مملوءا زئبقا ، وفى الجملة قد اهتمت الى امر عجيب سار فى الاتفاق واشتهر حتى ذكره
الناس فى الاشعار والامثال ، وبقي ذكره بين الناس » .

أما المقنع الذى ثار فى أيام الخليفة المهدي فهو المقنع الخارجى . (م) .

(٩) الاصطخرى ٢٦٨ و ٢٦٩ ؛ ابن حوقل ٣١٩ و ٣٢٠ ؛ المقدسى ٢٩٨ و ٣٠٨ ؛ ياقوت
١ : ٤٦١ ؛ ٢ : ٦٣٣ ؛ المستوفى ١٨٧ و ١٨٨ ؛ جهان نما ٣١٤ و ٣١٥ ؛ على اليزدى ١ : ٣٠٨ .
C.E. Yate فى كتاب افغانستان ص ٦ .

كان الطريق من هراة الى مرو الروذ ، على ما وصفه البلدانيون العرب الاولون فى مسالكهم ،
يسير من مدينة الى مدينة مخترقا كنج رستاق . وأقصى المراحل فيه جنوبا مرحلة « ببنه » ، على يومين
من هراة . أما المستوفى (ص ١٩٨) فقد وصف طريقا آخر فيه سبع مراحل وهو من هراة الى هنكاماباد
فى خمس مراحل ، ومنها الى باذغيس فى خمس مراحل (وهى ولا شك دهستان ، القصبة) .
ومنها الى بون (يفتح أوله وثانيه ، أو ببنه) فى خمس مراحل . ثم الى مرغزار دره « آى وادى
المراعى » فى خمس مراحل . ثم الى بفعج شور (بفعشور) فى ثمانى مراحل . ثم الى أسرود أو
لوسرود فى خمس مراحل . وأخيرا الى مرو الروذ فى أربع مراحل .

والى شرق باذغيس عند منابع نهر مرغاب ، البلاد الجبلية المعروفة لدى بلدانيي العرب الاولين بـ « غرج الشار » . ويلقب ملك هذه الجبال بـ « الشار » . والفرج على ما ذكر المقدسي ، هي الجبال في لغتهم ، فتفسير غرج الشار جبال الملك . وصاروا يسمون هذه البلاد في أواخر العصور الوسطى : غرجستان . وبهذا الاسم جاءت في أخبار الحروب المغولية . ثم ان ياقوت الحموي أشار الى ان غرجستان تكتب غالبا : غرستان أو غرستان وكثيرا ما كان يلتبس اسمها بغورستان أى بلد الغور الذى فى شرقها وهى مدار بحثنا الآن . والشار ، أى ملك غرجستان ، كان يعرف لدى العرب بملك الغرجة . وفى المئة الرابعة (العاشرة) كان فى هذه الناحية الواسعة ، عشرة جوامع فى مختلف بلدانها . وأكبر مدينتين فى غرجستان ، هما : أبشين وشورمين ، ولا يعرف موضعاهما الصحيحان . كانت أبشين (أفشين أو بشين) على غلوة من الضفة الشرقية لآعلى نهر مرغاب ، وعلى أربع مراحل فوق مرو الروذ ، حولها بساتين حسنة ، ويرتفع منها أرز كثير يحمل الى بلخ . وكان لها حصن مكين ومسجد جامع . وشورمين (او سورمين) فى الجبال على اربع مراحل جنوب ابشين ، وعلى مثل ذلك من كروخ ، فى شمال شرقى هراة . ويرتفع منها زبيب كثير يحمل الى النواحي . وليس مقام ملك هذه الناحية ، وهو الشار ، بهما بل بقرية كبيرة فى جبل ، تعرف بـ « بليكان » (أو بلكيان) . وذكر ياقوت اسم مدينتين أخريين فى غرجستان ، هما سنجة وبيوار . وغاية ما ذكره عنهما انهما فى الجبال ، نقلا عن رجل من هذه البلاد . ولم يشر الى موضعيهما^(١٠) .

والبقعة الجبلية العظيمة التى فى شرق غرجستان وجنوبها ، كانت تعرف بالغور أو غورستان ، تمتد من هراة الى الباميان وتخوم كابل وغزنة . وهى جنوب

وعن الغانات الخربة التى ما زالت تعين هذا الطريق ، انظر : C.E. Yate افغانستان ص ١٩٤ و ٢٢٢ .

(١٠) الاصطخرى ٢٧١ و ٢٧٢ : ابن حوقل ٣٢٣ : المقدسي ٣٠٩ و ٣٤٨ : ياقوت ١ : ٨٠٣ : ٣ : ٧٢ و ١٦٣ و ١٨٦ و ٧٨٥ و ٧٨٦ و ٨٢٣ .

وليس لغرجستان فى خراسان ، علاقة بكرجستان فى جنوبى القفقاس (راجع الفصل الثانى عشر . ص ٢١٦) وهى المعروفة اليوم بجورجيا . ومن الخطأ ان يطلق اسم جورجيا على غرجستان ، على نحو ما فعل بعض الكتبة فى وصفهم حروب المغول فى بلدان أعالي مرغاب ، فلا جورجيا فى افغانستان .

نهر هراة • وأشار بلدانيو العصور الوسطى الى انها البلاد التى فيها مخارج كثير من الانهار الكبيرة ، أى منابع نهر هرى رود ، وهيلمند ، ونهر خواش ، ونهر فره (ويقع فى بحيرة زره) ، وكان يخرج من حدود غرجستان نهر مرغاب • أما صفة هذه البلاد الجبلية الواسعة فلم ينته الينا شئ عنها يا للأسف • فلا يعرف مواضع مدنها وقلاعها المذكورة فى تاريخها • وفى المثة الرابعة (العاشرة) كانت الغور دار كفر على ما ذكر ابن حوقل ، وان كان بها مسلمون • وفيها شعاب عامرة ذات عيون وبساتين وأنهار • وقد اشتهرت بمعادن الفضة والذهب ، وأكثرها عند الباميان وپنجهير (أنظر ص ٣٨٩ - ٣٩٠) • وأغزر هذه المعادن ، فى موضع يقال له خرخيز • وبعد سقوط دولة محمود الغزنوى ، استقل رؤساء الغور وقد كانوا قبلا من أعوانه • وأنشأوا لهم عاصمة فى فيروز كوه ، وهى قلعة عظيمة فى الجبال لا يعرف موضعها •

وقد استقل الغوريون فى حكمهم منذ منتصف المثة السادسة (الثانية عشرة) حتى سنة ٦١٢ (١٢١٥) حين غلبهم خوارزمشاه • وبعد بضع سنين ، زالت دولتهم لما غزاهم المغول • الا ان الغوريين قبل ذلك ، تمكنوا فى سنة ٥٨٨ (١١٩٢) من فتح معظم شمالى الهند وبسط سلطانهم على جميع البلدان من دهلى الى هراة • وبعد أن قضى المغول على دولتهم قضاء مبرما ، استمر ممالكهم على حكم دهلى فى سلسلة طويلة من السلاطين ، حتى سنة ٩٦٢ (١٥٥٤) •

وبلغت الغور ، أو غورستان ، أوج عزها وأعظم ثرائها ، ما بين سنة ٥٤٣ و ٦١٢ (١١٤٨ و ١٢١٥) فى أيام السلاطين الغوريين من سلالة سام • وقد تكلم ياقوت على عاصمتهم العظيمة فى فيروز كوه أو بيروز كوه (أى جبل الفيروز) ولكنه لم يفصل القول فيها • ولمح المستوفى أيضا الى هذه القلعة ، وذكر ، ان من مدنها الكبيرة أيضا : هنگران ، غير انه يشك فى هذه القراءة • وفى سنة ٦١٩ (١٢٢٢) اكتسح جنكيزخان هذه البلاد جميعا ، واستولى على فيروز كوه عنوة وأنزل فيها الخراب والدمار • وجاء ذكر قلعتين أخريين أتعبتا الجيش الغولى ، وهما : كليون وفيوار ، وبينهما عشرة فراسخ • ولكن لا يعرف موضع

كليهما • ويقال ان جنكيز خان قد خربهما تخريبا تاما • وذكر القزويني في المثة السابعة (الثالثة عشرة) مدينة أخرى من مدن الغور الكبيرة ، وهي *خوست* ، ولعلها تطابق مدينة خشت وقد مر ذكرها في صفحة ٤٥٣ ، بانها قرب منابع هري رود • ولم يذكر من مواضع الغور في أيام تيمور ، على ما يبدو ، غير قلعة خستار ، وهذه أيضا لا يعرف شيء عن موضعها^(١١) •

أما مدينة الباميان ، فقد كانت قصبة كورة عظيمة على اسمها • وتؤلف القسم الشرقي من الغور • ويستدل ببقاياها السحيقة في القدم انها كانت مركزا بوذيا عظيما قبل الاسلام بزمن طويل • وقد وصف الاصطخرى الباميان في المثة الرابعة (العاشرة) فقال « تكون نحوا من نصف بلخ ، وهي على جبل وليس لها سور » وناحتها في غاية الخصب يسقيها نهر كبير • وأشار المقدسي الى مدينة اللحوم^(١٢) وقرأ اسمها مشكوك فيه ، وقد أشاد بذكر هذه المدينة وقال « هي احدى فرض خراسان وخزائن السند • البرد فيها شديد والثلوج كثيرة • ومن اختلف اليها أفاد انها جيدة لا براغيث ولا عقارب بها » • وفي المدينة جامع وأسواق عامرة في أرباضها • ولها أربعة أبواب تفضي الى خارج المدينة • وفي المثة الرابعة (العاشرة) كان في ناحية الباميان مدن كبيرة كثيرة ولكن مواضعها قد ضاعت علينا اليوم • ومن أكبر مدنها ، ثلاث ، هي : بسغورفند وسكيوند ولخراب •

وفي أوائل المثة السابعة (الثالثة عشرة) أفاض ياقوت في وصف أصنام البد العظيمة التي كانت حينذاك في الباميان • قال : « وبها بيت ذاهب في الهواء بأساطين مرفوعة منقوش فيه كل طير خلقه الله تعالى على وجه الارض • وفيه صنمان عظيمان تقرا في الجبل من أسفله الى أعلاه ، يسمى أحدهما *سرخيبد* ، والآخر

(١١) الاصطخرى ٢٧٢ : ابن حوقل ٣٠٤ و ٣٢٣ : ياقوت ٣ : ٨٢٣ : ٤ : ٩٣٠ : القزويني ٢ : ٢٤٤ : المستوفى ١٨٤ و ١٨٨ : علي اليزدي ١ : ١٥٠ : وعن بلاد الغور راجع ما كتبه Sir H. Yule في دائرة المعارف البريطانية (الطبعة التاسعة ١٠ : ٥٦٩) •

(١٢) لم نعث على ذكر مدينة باسم « اللحوم » لا في المقدسي ولا في غيره من كتب البلدان • الا اننا لا حظنا ، من مراجعة الصفحتين ٣٠٣ و ٣٠٤ في المقدسي ، اللتين ذكرهما المؤلف في حاشيته ، ان ما ذكره من وصف لمدينة زعم ان اسمها « اللحوم » جاء في سياق كلام المقدسي على مدينة غزنين في الصفحتين المذكورتين • فقد قال المقدسي في غزنين « رخيصة الاسعار كثيرة اللحوم طيبة الفواكه » الى آخر النص الذي نقله المؤلف أعلاه وعزاه الى مدينة اللحوم • وهو وهم ولا شك • (م) •

خَشَكْبُد (أى بوذا الاحمر وبوذا الاشهب) وقيل ليس لهما فى الدنيا نظير *
وتكلم القزوينى على « بيت ذهب »^(١٣) فى الباميان كما تكلم على الصنمين العظيمين
للبد * وذكر أيضا ان بها معادن زئبق وعين كبريت * وخراب الباميان ومدن
كورتها كلها حتى پنجهير ، على ما قد بينا ، انما كان من غضب جنكيزخان
وسخطه لمقتل حفيده العزيز موتوكن بن جغتای فى حصاره الباميان ، فأمر جنكيز
جيشه بتخريب أسوار المدينة وبيوتها ودكها الى الارض * ومنع الناس من العودة
الى بنائها أو العيش فيها * وغيّر اسم الباميان الى موبلق ومعناه بلغته التركية :
المدينة الملعونة * وأصبحت الباميان منذ ذلك الحين قفرا بلقعا^(١٤) .

(١٣) ما فى القزوينى « بها بيت ذاهب فى الهواء » (آثار البلاد . ص ١٠٣) (م) *
(١٤) الاصطخرى ٢٧٧ و ٢٨٠ ؛ ابن حوقل ٣٢٧ و ٣٢٨ ؛ المقدسى ٢٩٦ و ٣٠٣ و ٣٠٤ ؛
ياقوت ١ : ٤٨١ ؛ القزوينى ٢ : ١٠٣ ؛ المستوفى ١٨٨ ؛ أبو الغازى ١١٤ و ١٤٩ . وللوقوف على
رسوم لصنمى البد العظيمين فى الباميان ، انظر : Talbot and Maitland فى JRAS
لسنة ٨٨٦ ص ٣٢٣ .

الفصل الثمانون

خراسان «تمه»

ربع بلخ فى اقليم خراسان - مدينة بلخ والنوبهار - ناحية الجوزجان - الطالقان
والجرزوان - ميمنة او اليهودية - الفارياب ، شبرقان ، انبار ، واندخود -
ناحية طخارستان - خلم ، سمنجان واندراية - ورواليز
والطايقان - تجارات خراسان وغلاته - المسالك فى
خراسان وقوهستان .

بلخ ، - « أم البلاد » - قد سمي بها رابع ارباع خراسان وما كان من
هذا الربع خارج حد قصبته ، انقسم الى قسمين : الغربى منهما فى الجوزجان ،
والشرقى فى طخارستان ، ناحيتيه العظيمتين .

وفى المئة الثالثة (التاسعة) تكلم اليعقوبى على بلخ ، وقال انها مدينة خراسان
العظمى ، وكان عليها فى متقدم الايام ثلاثة أسوار وثلاثة عشر باباً^(١) . وزاد
المقدسى عليه : « يقال ان اسمها فى كتب الاعاجم بلخ البهية » . وفى ظاهر المدينة
ربض النوبهار . وكانت مساحة المدينة ثلاثة أميال فى مثلها . وبلخ ، على
ما ذكر اليعقوبى نيف وأربعون منبراً^(٢) . وأشار الاصطخرى الى ان مدينة بلخ
« فى مستو وبينها وبين أقرب الجبال اليها نحو أربعة فراسخ ، ويسمى جبل كو » .
وقال ان بناءها من الطين وكذلك سور المدينة . ويحف بالسور خندق عميق .
وكان المسجد الجامع فى المدينة فى وسطها ، وأسواقها حوالى المسجد الجامع ،

(١) ما فى اليعقوبى (البلدان . ص ٢٨٧) : اثنا عشر باباً (م) .

(٢) ذكر اليعقوبى (البلدان ٢٨٨) : ان لبلخ سبعة واربعين منبراً (م) .

ولها نهر يسمى دهاس ومعناه (بالفارسية) على قول ابن حوقل « عشر أرحية » .
وهو بعد ان يديرها يمر على باب النوبهار ويسقى رساتيقها الى سياه جرد فى طريق
ترمذ . ويحف ببلخ البساتين وفيها النارنج والنيلوفر وقصب السكر والاعناب ،
وتحمل منها الى سائر الجهات . وأسواقها عامرة كثيرة التجار .

وللمدينة سبعة أبواب ، هى : باب النوبهار ، وباب رجة ، وباب الحديد ،
وباب الهندوان (أى باب الهندوس) وباب اليهود ، وباب شست بند (أى باب
الستين سداً) وباب يحيى . ووصف المقدسى حسن موقعها وبهاها ويسارها
وكثرة أنهارها ورخص أسعارها ووفرة غلاتها وسعة طرقها . وذكر سورها
ومسجد جامعها واشراق قصورها . وبقيت بلخ على ما كانت عليه من بهائها هذا
وحسبها ، حتى منتصف المئة السادسة (الثانية عشرة) حين استحوذ عليها
الخراب أول مرة باستيلاء الغزّ الأتراك عليها فى سنة ٥٥٠ (١١٥٥) . الا
انهم بعد أن تخلّوا عنها عاد اليها أهلها وجدّدوا بناء مدينتهم فى موضع آخر
مجاور لموضعها الاول ، وما عتمت بلخ ان استعادت بعض سابق عزّها ، فوصفها
ياقوت فى أوائل المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، وهى فى حالها هذا ، قيل خرابها
الثانى على يد المغول .

أما ربض بلخ الكبير ، المسمى النوبهار ، وقد كان فيه أيام الساسانيين على
ما ذكر المسعودى ، بيت نار من أكبر بيوت المجوس ، فقد جاءنا عن ياقوت وصف
طويل له ، نقله عن عمر بن الأزرق الكرمانى . وللقزوينى وصف مشابه له .
كان السادن الأكبر لبيت النار هذا ، يسمى برمك ، وهو جد البرامكة . وكانت
هذه الاسرة فى أيام الساسانيين تتوارث رئاسة الدين الزردشتى فى هذه المدينة .
وجاء عن النوبهار انهم اتخذوا بيت النار فيها « مضاهاة لبيت الله الحرام » فى مكة .
فزينوا جدرانها بالجواهر النفيسة وعلقوا عليها ستائر الديباج والحرير وكانوا
يكتلون به بالريحان لا سيما فى وقت الربيع . فمعنى نوبهار أول الربيع وبواكيره .
وفيه يكون الحج الى هذا البيت . وكان على البناء قبة عظيمة يسمونها الأستن ،
« وارتفاعها فوق مئة ذراع بأروقة مستديرة حولها ، وكان حول البيت ثلاثمئة

وستون مقصورة يسكنها خدامه وقوامه وسدنته • وكان على كل واحد من سكان تلك المقاصير خدمة يوم لا يعود الى الخدمة حولا كاملا • وكانت الاعلام تنصب على أعلى قبه • ويقال ان الريح ربما حملت الحرير من العلم الذى فوق القبة مسافة لا تصدق • وكان فى هذا البيت كثير من الأصنام ؛ بينها الصنم الاكبر ، يحج الناس اليه من كابل ومن الهند والصين ، فيسجدون له ثم يقبلون يد برمك السادن الاكبر • وكان ما حول النوبهار من الارضين سبعة فراسخ فى مثلها وقفا على هذا البيت تغلّ مالا عظيما • ولما افتتح الأحنف بن قيس بلاد خراسان فى أيام عثمان بن عفان ، نقض بيت النوبهار العظيم وأدخل أهلها فى الاسلام (٣) •

وفى سنة ٦١٧ (١٢٢٠) دمر المغول مدينة بلخ • وذكر ابن بطوطة ان جنكيزخان « هدم من مسجدها نحو الثلث بسبب كنز ذكر له انه تحت سارية من سواريه » • ولما زار ابن بطوطة هذه الناحية فى النصف الاول من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت بلخ « خاوية على عروشها غير عامرة ، ومساجدها ومدارسها باقية الرسوم » • يزورها أهل التقى والورع • وكثيرا ما تردد ذكر بلخ فى أخبار حروب تيمور ، فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وهذا يدل على انها استعادت حينذاك شيئا من سالف مجدها • وكان تيمور قد جدّد القلعة التى فى ظاهر أسوارها المعروفة بقلعة الهندوان أى قلعة الهندوس ، وأخذت مقاما لعامله عليها • ثم انه جدد بناء قسم كبير من المدينة القديمة •

أما اليوم ، فان بلخ تعد من أجل مدن أفغانستان الحديثة • وفيها المزار العظيم المشهور المعروف بـ « مزار شريف » حيث دفن على ما يقال ، الخليفة علي

(٣) اليعقوبى ٢٨٧ و ٢٨٨ : الاضطخري ٢٧٥ و ٢٧٨ و ٢٨٠ ؛ ابن حوقل ٣٢٥ و ٣٢٦ و ٣٢٩ ؛ المقدسى ٣٠١ و ٣٠٢ ؛ المسعودى ٤ : ٤٨ ؛ ياقوت ١ : ٧١٣ ؛ ٤ : ٨١٧ و ٨١٨ • القزوينى ٢ : ٢٢١ •

ترجم هذه النبذة الغربية عن النوبهار بهذا غيرها ، باريه دى مينار Barbier de Meynard فى معجمه Dictionnaire Géographique de la Perse ص ٥٦٩ • واستنتج السر هنرى رولنسن (H. Rawlinson) من وجود الاصنام الكبيرة والصغيرة والاعلام (المقدسة) ان النوبهار ، كان فى الاصل ، معبدا بوذيا - فسر اسمه بـ « نوبهاره » « أى فهار الجديد » - أو هيرا بوذيا • انظر JRGS لسنة ١٨٧٢ ص ٥١٠ •

- ويسمى شاه مردان « أى ملك الرجال » - . وعلى قول خواندامير ، ان هذا القبر الوهمى لعلي الشهيد قد اكتشف فى سنة ٨٨٥ (١٤٨٠) يوم كان ميرزا بيقرا حفيد تيمور واليا على بلخ . وفى السنة المذكورة أطلع ميرزا بيقرا على كتاب تاريخ كتب فى أيام السلطان سنجر السلجوقى ، جاء فيه ان عليا مدفون فى قرية خواجا خيران وهى تبعد ثلاثة فراسخ عن بلخ . وبناء على ذلك ، ذهب الولى الى تلك القرية ، ليتحرى الامر فاكتشف لوحا فيه ما نصه بالعربية : « هذا قبر أسد الله ووليّه علي أخى (عوضا عن ابن عم) رسول الله » . فأقيم على هذا القبر مزار عظيم ، وصار منذ ذلك الحين مكرما عظيم التكريم لدى أهل آسية الوسطى ، وهو ما زال من المواضع الشريفة التى تزار^(٤) .

وكانت الجوزجان (الجوزجان أو جزجانان) الناحية الغربية من ربع بلخ ، وبها يمرّ الطريق من مرو الروذ الى مدينة بلخ . وكانت فى العصور الوسطى من أعمر النواحي وأكثرها أهلا ، فيها مدن كثيرة لم يبق منها اليوم غير ثلاث تعرف بأسمائها القديمة . أما مواضع المدن الاخرى فقد ذكرها بلدانيو العرب ، ومن الممكن تعيينها بالاستناد الى كتب المسالك . ومع ان اسماءها قد تبدلت ، غير ان الخرائب ما زالت تعين مواضعها القديمة . وكانت هذه الناحية عظيمة الخصب كثيرة التجارات ، وأكثر ما كان يرتفع منها الجلود المدبوغة التى تحمل الى سائر خراسان^(٥) .

وعلى ثلاث مراحل من مرو الروذ من جهة بلخ ، مدينة الطالقان . ولم يبق لهذا الاسم ذكر فى الخارطة . غير ان المرتفعات وبقايا الآجر بالقرب من چاچكتو ، قد تعين موضعها . وكانت الطالقان فى المئة الثالثة (التاسعة) مدينة جليلة الشأن . قال اليعقوبى « بها تعمل اللبود الطالقانية » . وهى بين جبلين عظيمين ، بها مسجد جامع واسع . وفى المئة التالية لها ، قال الاصطخرى « الطالقان مدينة نحو من

(٤) ابن بطوطة ٣ : ٥٨ و ٥٩ ؛ على اليزدى ١ : ١٧٦ ؛ خواندميز ٣ (الجزء الثالث) ص ٢٣٨ ؛ G.E. Yate فى كتاب افغانستان ص ٢٥٦ و ٢٨٠ . (انتهى) .

قلنا : وراجع مادة « بلخ » فى دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية ٤ : ٧٨ - ٨١) . (م) .

(٥) الاصطخرى ٢٧١ : ابن حوقل ٣٢٢ : المقدسى ٢٩٨ : ياقوت ٢ : ١٤٩ .

مرو الروذ في الكبر • وهى أصبح هواءً وبنائها من طين • وكان بالقرب منها قرية جندوئية وفيها على ما قال ياقوت وقعت فى المئة الثانية (الثامنة) « أول وقعة بين أصحاب أبى مسلم الخراسانى (داعى العباسيين) وبين أصحاب بنى أمية ، وهى وقعة مشهورة لها ذكر » • وبعد مضى زمن يسير على ما كتبه ياقوت ، استولى جنكيزخان على الطالقان فى سنة ٦١٧ (١٢٢٠) بعد أن حاصرها سبعة أشهر ، وقتل جميع أهلها وسوى قلعها بالأرض •

وكانت الجرزوان بين الجبال - وهى أشبه شىء بمكة ، لأنها بين جبلين - وفيها كان أمير الجوزجان يقضى أيام الحر • واسم المدينة بهذه الصورة ، انما هو بحسب تسمية العرب لها • أما الفرس فيقولون كرزوان • وكانت تكتب أيضا جرزبان أو كرزبان • وهى بين الطالقان ومرو الروذ فى ما كان من نحو تخوم الغور • قال ياقوت « هى مدينة آهلة ، وأهلها كلهم مياسير » • ولا يرى اليوم فى الخارطة موضع بهذا الاسم • الا ان الخرائب المعروفة بقلعة والى ، تشير فى أكثر الاحتمال اليها (٦) •

أما مدينة ميمنة ، وهى على مرحلتين مما يلى الطالقان فى طريق بلخ ، فما زالت مدينة عامرة • وكان يقال لها فى العصور الوسطى اليهودان أو اليهودية • وكانت تعد فى الغالب قصبة الجوزجان • قال ابن حوقل ان لمسجدها الجامع منارتين • ذكر ياقوت ، وقد أورد أسمها بصورة يهودان الكبرى أيضا ، ان اليهود لما أخرجوا من البيت المقدس فى أيام بختنصر كانوا أول من نزل موضعها • ثم بدل اسمها الى ميمنة « أى المدينة الميمونة أو الموقفة » تيمناً بذلك ، لأن اسم اليهودية يأباه المسلمون • وما زالت تعرف باسم ميمنة الى هذا اليوم • والظاهر

(٦) البقوبى ٢٨٧ ؛ الاصطخرى ٢٧٠ ؛ ابن حوقل ٣٢١ و ٣٢٢ ؛ ياقوت ٢ : ٥٩ و ١٢٩ ؛ ٣ : ٤٩١ ؛ ٤ : ٢٥٨ ؛ أبو الفاضل ١١٤ ؛ G.E. Yate : افغانستان ١٥٧ و ١٩٤ و ١٩٥ و ٢١١ •

تبعد خرائب جاجكتو (الطالقان) ٤٥ ميلا فى أقصر الخطوط عن بالامرغاب (مرو الروذ) وهى تعادل مسيرة ثلاثة أيام فى أرض جبلية من الموضع الاخير الى الطالقان • وقد ذكر على اليزدى اسم جاجكتو (وكتبها : جيچكتو) فى أخبار حروب تيمور (١ : ٨٠٦ ؛ ٢ : ٥٩٣) ولكنه لم يذكر الطالقان • وترى خرائب قلعة والى (لعلها الجرزوان) على ٢٧ ميلا من بالامرغاب وهناك موضع آخر قد يشير الى بقاياها العظيمة بالقرب من تخت خاتون • فلعل أحد هذين الموضعين هو كرزوان ، ومما يحسن ذكره انها كانت دار ضرب للنقود فى أيام ملوك خوارزمشاه •

ان المستوفى ذكر ميمنة أيضا في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فقال هي بلدة وسطة من البلاد الحارة ، ينمو فيها القمح والفواكه والتمور ، وماؤها من نهر قريب منها . ولعل هناك بعض الالتباس بين ميمنة الجوزجان هذه وميمند ، عوضا عن ميوند في زابلستان ، في نصف الطريق بين گرشك وقندهار . وظهر مثل هذا الالتباس في صفحات معجم ياقوت وقد كتب عن ميمند غزنة قال هي « بين باميان والغور » ويريد بذلك على ما يبدو ميمنة أى اليهودية . وعلى مرحلة من اليهودية أى ميمنة ، كانت مدينة كندرم ، وتكتب أيضا كندردم . وهى على ما ذكر اليعقوبى « يسكنها ملك الجوزجان » . وقال الاصطخرى « كندردم فى الجبل ، وهى مدينة كثيرة الكروم والجوز ولها مياه كثيرة » (٧) .

ومن أجلّ مدن الجوزجان فى العصور الوسطى : الفارياب . ولم يبق لاسمها ذكر فى الخارطة . الا انه يؤخذ من وصف كتب المسالك لموضعها ، ان خرائبها قد تطابق ما يعرف اليوم بـ « خيراباد » حيث توجد قلعة قديمة تحيط بها تلّول من الآجر . كانت الفارياب ، على ما ذكر ابن حوقل ، فى المئة الرابعة (العاشرة) ، مدينة أصغر من الطالقان ، الا انها أكثر بساتين ومياها ، وأصح هواءً منها ، « جامعة للصنائع والتجارة » ، وليس لمسجد جامعها منارة » . أما ياقوت ، وقد كتب اسمها فيرياب ، فانه ذكر موضعها بالنسبة الى الطالقان وشبورقان ، ولم يزد شيئا على ذلك . وفى سنة ٦١٧ (١٢٢٠) أى بعد مقامه فيها بشئ يسير ، خرب المغول مدينة الفارياب عن آخرها . ولم يذكرها المستوفى الا لمّا . وكان بين اليهودية والفارياب ، على قول ابن حوقل ، مدينة مرسان (٨) . وكانت « تقارب اليهودية فى الكبر » فى المئة الرابعة (العاشرة) . ولعلها تطابق قرية نريان التى ذكرها ياقوت فى ما يشبه هذا الموضع . وفى هذه البلاد الجبلية كانت بلدة سان الصغيرة ، قال فيها ابن حوقل لها بساتين كثيرة مثمرة بها الأعناب والجوز ،

(٧) اليعقوبى ٢٨٧ : الاصطخرى ٢٧٠ و ٢٧١ : ابن حوقل ٣٢١ و ٣٢٢ : ياقوت ٢ : ١٦٨

٤ : ٧١٩ و ١٠٤٥ ، المستوفى ١٨٥ . G.E. Yate افغانستان ٣٣٩ .

(٨) رجعنا الى ابن حوقل فى طبعته الثانية (ص ٤٤٢ و ٤٤٣ ، المقابلة لصفحة ٣٢٢ من طبعته

الاولى) فلم نعثرفيه على مدينة باسم مرسان . بل انه تكلم على مدينة « سان » فقط فى ثلاثة مواضع . كما ذكر مدينة باسم « نريان » مما يدل على انها مدينتان لا مدينة واحدة . (م) .

وميائها وافرة^(٩) .

وشبرقان ، وجاء اسمها بصورة أشبورقان ، أو أشبرقان ، وكذلك شبورقان أو سبورغان ، ما زالت قائمة ، صارت في المئة الثالثة (التاسعة) مرة قاعدة الملك في ناحية الجوزجان ، ثم انتقلت منها الى اليهودية (ميمنة) وكانت حينذاك تقاربها كبرا . وساتينها ومزارعها في غاية الخصب ، كثيرة الفواكه ، تحمل منها الى سائر الانحاء . وقال ياقوت ، وقد كتبها بصورة شبرقان وشفرقان وشبورقان ، انها كانت في سنة ٦١٧ (١٢٢٠) في أيام الغزو المغولي « عامرة آهلة يقصدها التجار ويبيعون فيها الامتعة الكثيرة » . وتكلم عليها المستوفى بعده بقرن بما يشبه ذلك ، جامعا بين شبورقان وفارياب ، وقال ان القمح فيهما كثير رخيص .

وعلى يوم جنوب شبورقان ، في نحو من المسافة نفسها شرق اليهودية ، مدينة أنبار ، وكتبت أيضا أنبار . قال فيها ابن حوقل : هي أكبر من مرو الروذ وبها مقام سلطان تلك الناحية في الشتاء . ولم يبق مدينة باسمها اليوم ، غير انه يؤخذ من موضعها ان أنبار قد تطابق سريول في أعلى نهر شبورقان ، وهذه ما زالت ذات شأن . وكانت الكروم تحف بأنبار ، وبنائها من طين . وتعد في الغالب أكبر مدن الجوزجان ، ولعلها هي البلدة التي زارها ناصر خسرو في طريقه الى شبورغان وجعلها قصبه الجوزجانان ، وتكلم على مسجدتها الجامع العظيم ، وأشار الى ادمان أهلها شرب الخمر . وفي البرية ، شمال غربي شبورقان ، مدينة أندخوى ، وقد كتب البلدانون الاولون اسمها بصور مختلفة : أندخذ ، أدخود ، أنخذ ، وقال ابن حوقل في المئة الرابعة (العاشرة) انها « مدينة صغيرة في مفازة لها سبع قرى وبيوت للأكراد من أرباب الأغنام ، ولهم ابل » . وذكرها ياقوت دون أن يزيد شيئا على ما تقدم . وكثيرا ما ورد اسمها أيضا في أخبار حروب

(٩) الاصطخرى ٢٧٠ : ابن حوقل ٣٢١ و ٣٢٢ : ناصر خسرو ٣ : ياقوت ٣ : ٨٤٠ و ٨٨٨ : ٤ : ٧٧٥ : المستوفى ١٨٨ : افغانستان ٢٣٣ .

وقد سمي ناصر خسرو فارياب الجوزجان بـ « ده بارياب » وكان مر بها حين ذهابه من شابرقان الى الطالقان . وذكرها جهان نما بصورة باراب (ص ٣٢٤) . وينبغي ان لا يلتبس اسمها بفاراب التي يقال لها أيضا باراب ، وهي اترار على نهر سيحون على ما سنبينه في الفصل الرابع والثلاثين .

• تيمور (١٠) •

وناحية طخارستان العظيمة ، فى شرق بلخ ، ممتدة بحذاء الضفة الجنوبية لنهر جيحون حتى حدود بدخشان • وتحدها من الجنوب الجبال التى فى شمال الباميان وبنجهر • وكانت تنقسم الى قسمين : طخارستان العليا وهى فى شرق بلخ فى محاذة نهر جيحون ، وطخارستان السفلى وهى فى جنوبها الشرقى على حدود بدخشان • وقد ذكر بلدانيو القرون الوسطى عددا من مدن طخارستان ، ولكنهم لم يأتوا بشيء كثير عنها ، ولهذا اذا استثنينا المدن التى ذكرتها كتب المسالك ، وما زالت قائمة ، تعذر علينا معرفة مواضع معظم المدن الاخرى •

وعلى يومين من شرق بلخ ، مدينة خلم • وصفها المقدسى بقوله « صغيرة » الا ان قراها ورستاقها ومزارعها كثيرة ، وهواءها صحيح • وعلى يومين أيضا من خلم ، سمنجان ورؤب وهما متصاقتان • ولعل مدينة هيمسبك الحالية تمثل كليهما وهى جنوب مدينة خلم القائمة فى أعلى نهر خلم • قال المقدسى : « سمنجان أكبر من خلم ، بها منبر واحد وبها ثمار » • وقال ياقوت فيها انها بين شعاب ، وقد نزلها عرب من بنى تميم • وذكر المستوفى سمنجان بقوله : انها مدينة كبيرة وكانت خرابا فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ولكن القمح يزرع فيها بكثرة وكذلك القطن والعنب • وذكرها علي اليزدى بصورة سمنكان فى سياق وصفه لرحلته تيمور من خلم الى حدود الهند •

وفىما يلي سمنجان ، فى جنوبها الشرقى كانت بغلان : العليا والسفلى والاخيرة كانت القصبة ، على ما ذكر المقدسى فى المئة الرابعة (العاشرة) وبها جامع • ويظهر ان بغلان ، أو بقلان ، بحسب تهجئة علي اليزدى لاسمها ، كانت تتاخم طريق اندراب وهى اندراب ، وقد وصفها المقدسى بقوله « لها أودية مشجرة وبها أسواق حارة » • وكانت هذه الاودية فى سفوح جبل بنجهر الشمالية ، وفيها معدن الفضة على ما ذكر ابن حوقل ، وقال أيضا ان نهر أندراب

(١٠) اليعقوبى ٢٨٧ : الاضطرى ٢٧٠ و ٢٧١ : ابن حوقل ٣٢١ و ٣٢٢ : ناصر خسرو ٢ : ياقوت ١ : ٣٦٧ و ٣٧٢ : ٣ : ٢٥٤ و ٢٥٦ و ٣٠٥ و ٨٤٠ : المستوفى ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٠ : علي اليزدى ١ : ٨٠٥ : ٢ : ٥٩٣ : C.E. Yate : افغانستان ٣٤٦ •

ونهر كاسان ، ينحدران من هذه الناحية • ولم يزد ياقوت شيئا على ما مر ذكره ، وقد كتب اسمها بصورة أندراب أو أندرابة^(١١) •

ونهر خلم ، لا يصب في جيحون • بل تفنى مياهه في المناقع على بضعة أميال شمال خرائب المدينة القديمة • وفي عدوة جيحون القريبة من خلم ، كان رباط حصين منيع في المئة الرابعة (العاشرة) يقال له رباط ميلا ، حيث يعبر الطريق الاتي من بلخ ، النهر العظيم الى ما وراء النهر وبلاد الختل في ثلاث مراحل • وعلى مرحلتين من شرق خلم ، كانت ورواليز أو ورواليج ، وقد وصفها ابن حوقل وغيره بأنها كانت في المئة الرابعة (العاشرة) مدينة كبيرة ، وليس هناك اليوم مدينة قائمة بهذا الاسم ، الا ان موضعها ، بناء على وصف كتب المسالك ، ينبغي ان يكون قريبا جدا من موضع قندز • ولم يصف ياقوت الى ذلك شيئا الا انه وهم ، على ما يظهر ، في كتابة اسمها فجعله وزوالين ، كما ان قندز لم يذكرها ياقوت ولا غيره من البلدانين الاولين ، ولا ريب ان اسمها مختصر من قهندز اللفظة الفارسية الدارجة للقلعة • وعلى ذلك فان قندز قد تكون القلعة القديمة لورواليز^(١٢) •

وعلى يومين من شرق ورواليز ، مدينة الطايقان أو طالقان طخارستان وهي ما زالت قائمة (وينبغي ان لا يلتبس اسمها مع طالقان الجوزجان وقد مر وصفها في صفحة ٤٦٦) كانت في المئة الرابعة (العاشرة) من أعمر مدن هذه الناحية وأكثرها سكانا • وذكرها المقدسي بصورة الطالقان ، وان كانت الطايقان الصيغة المفضلة لاسمها • وقال « لها سوق كبير » وكانت « في مستواة ، وبينها وبين الجبل غلوة » وكانت في المئة الرابعة (العاشرة) نحوا من ثلث بلخ • يسقيها نهر يأخذ من جيحون يقال له ختكلاب (وقد كتب أحيانا خيلاب) ونهر وتراب (أو تراب ، فإنه يشك في قراءة هذين الاسمين) • والظاهر ان هذا النهر كان من فروع

(١٢) الاصلخرى ٢٧٩ : ابن حوقل ٣٢٦ و ٣٣٢ : المقدسي ٢٩٦ : ياقوت ٣ : ٥١٨ ، ٢ : ٨٢٧ : ٣ : ١٤٢ و ٥١٨ : المستوفى ١٨٨ : علي اليزدي ٢ : ١٩ C. E. Yate افغانستان ٣١٧ • وأنظر الخارطة رقم ١ مقابل الفصل الاول ، لمعرفة مواضع هذه الامكنة •
(١١) الاصلخرى ٢٧٩ : ابن حوقل ٣٢٦ : المقدسي ٢٩٦ و ٣٠٣ : ياقوت ١ : ٣٧٢
٤ : ٩٢٦ •

نهر ختلاب ويلتقى به فوق قندز • وكانت هذه البقعة فى غاية الخصب والنزهة
يكثُر فيها ، على ما ذكر المستوفى ، القمح والفواكه • وكان جل سكانها فى المئة
الثامنة (الرابعة عشرة) من الحاكة • وكان لها حينذاك قلعة منيعة ، حولها رساتيق
كثيرة الزرع ، يكثُر فيها العنب والتين والخوخ والفسق • وقد ذكر علي اليزدى
الطايقان غير مرة فى حديثه عن حروب تيمور • وعلى سبعة أيام من شرقها ، على
ما ذكر البلدانون الاولون : بذخشان ، وستنوه بها فى الفصل القادم^(١٣) •

وأشهر تجارات خراسان ، على ما نوه ابن حوقل ، ما يرتفع من نيسابور
ومرو من ثياب القطن والابرسم • وتكثر فيها الابل والغنم وهى رخيصة ،
« وأنفس الرقيق ما يقع من بلاد الترك » - فقد بيع الرقيق ، غلاما كان أو جارية ،
على قوله ، بخمسة آلاف دينار (نحو ٢٥٠٠ پاون) - والاطعمة فيها وافرة وسرد
المقدسى غير ذلك من التجارات فذكر ان نيسابور كانت مجمع الصناعات • فمنها
« ترتفع الثياب البيض والعمائم الشهبانية الحفية والراحتج والتاخرج والمقانع وبين
الثوبين والملاحم بالقزّ والمصمت والعنابى والسعيدى والظرائفى والحلل وثياب
الشعر والقز » • ويرتفع من نيسابور أيضا الحديد وغير ذلك كالابر والسكاكين •
وبساتين نيسابور مشهورة بالتين والكمأة والراوند • ومن جبال رستاق ريوند
فى نيسابور يرتفع معدن الفيروزج •

ويرتفع من نسا وأبيورد : القز وثيابه وما تسججه النساء فى رساتيقهما •
ويرتفع منهما أيضا فراء الثعالب • وفى نسا نوع من البزاة ، وفيها سمسم كثير •
ويرتفع من طوس البرام الفاتقة والحصر والجبوب والتكك الحسنة والابراد
الجيدة • ومن هراة البز الكثير والديباج • ويرتفع منها « الزيب ودوشأبه » وناطفه
والبولاذ والفسق • • ويرتفع أيضا من هراة الحديد • ومن غرج الشار البلاد
الجبلىة : اللبود والبسط الحسان والحقائب والسروج والذهب والخيول الجيدة
والبغال وتحمل منها الى سائر الانحاء •

(١٣) ابن رسته ٩٣ : الاصلخرى ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٨ و ٢٧٩ : ابن حوقل ٣٢٦ : المقدسى
٢٩٦ و ٣٠٣ : ابو الفداء ٤٧٢ : ياقوت ٣ : ٥٠١ ، ٥ : ٢٤ : المستوفى ١٨٨ و ١٨٩ : على اليزدى ١ : ٨٢
و ١٧٩ • وجاءت تهجئة هذا الاسم (بال وبدونها) بصورة طايقان وطايكان وطالقان مثل اسم
المدينة التى فى الجوزجان •

ويرتفع من مرو القز والابريسم والقطن ومنها تعمل المقانع وأنواع الثياب • ويرتفع من رساتيقها الشيرج والتوابل والطور والمن • وتصنع فيها أواني النحاس • « وليس في الدنيا مثل خبز مرو ولا نظير له في أقاليم الاعاجم » • ويرتفع من بلخ السمس والارز واللوز والجوز والزبيب وصابونها مشهور • ويعمل العسل فيها من العنب والتين ولب الرمان ، ويحمل منها الدوشاب والسمن • وفي أطرافها معادن الرصاص والزاج والكبريت والزرنيخ وطيوب بلخ مشهورة وكذلك الكركم والادهان • ويحمل منها الجلود المدبوجة والحلل • ويرتفع من ترمذ في ما وراء النهر الصابون والحلث • ويحمل من ورواليج الى بذخشان ، على ما ذكر المقدسي ، من أنواع الفواكه الجوز واللوز والفسق والكشمري وكذلك كثير من الارز والسمسم • ويحمل منها أيضا اللجن والسمن والقرون والفراء ولا سيما جلود الثعالب^(١٤) •

أما المسالك التي كانت تخترق خراسان وقوهستان فهي : طريق خراسان العظيم ، وكان يدخل خراسان مما يلي بسطام (في قومس • أنظر ص ٤٠٥ - ٤٠٦) وكان من هذا الموضع الى نيسابور طريقان : الشمالي وهو طريق القوافل من بسطام الى جاجرم ثم منها مارا بأزادوار مخترقا بركة جوين الى نيسابور ، وهو الطريق الذي وصفه المستوفي ، ووصف بعضه الاصطخري وابن حوقل • والطريق الجنوبي ، وهو أقصرهما ، هو طريق البريد الى نيسابور • وكان يبدأ من بدش ، وقد مر ذكرها (ص ٤٠٨) ، وكانت على فرسخين من بسطام • وهذا الطريق يتأخم الجبال ، والمفازة على يمينه ، ويصل الى اسداباد ثم يجتاز بهمن اباد أو مزينان ، وعندها يتفرع منه طريق نحو الشمال الى ازادوار • ويتابع طريق البريد سيره شرقا فيجتاز سبزوار حتى يصل نيسابور وهذا هو الطريق الذي وصفه ابن خرداذبه وجميع كتب المسالك القديمة • وكان من اسداباد الى الجنوب الشرقي ، على ما ذكر المقدسي ، طريق يقطع هذا الطرف من المفازة العظمى ، طوله ثلاثون فرسخا الى ترشيز في قوهستان • أما الطريق من نيسابور الى ترشيز ، فقد

ذكره ابن خرداذبه والمقدسى ، كما ذكر المقدسى مراحل الطريق من نيسابور شمالا الى نسا (١٥) .

وعلى مرحلة مما يلي نيسابور ، عند قصر الريح ، أى دزباد ، ينشطر طريق خراسان شطرين • الايمن وهو الجنوبى الشرقى ، ينزل الى هراة وسنأتى على وصفه فى الفقرة الآتية • ومن قصر الريح يعطف الطريق الى اليسار فالى الشمال الشرقى الى المشهد وطوس • ومنها عن طريق مزدران الى سرخس عند معبر نهر تجنبد • ومن سرخس يقطع المفازة الى مرو الكبرى ومنها يخترق المفازة ثانية حتى يصل ضفة جيحون عند آمل (أى چهار جوى) • ثم انه اذا غادر خراسان ، وقع متناه فى بخارا • وقد جاء وصف هذا القسم من طريق خراسان من نيسابور الى آمل عند معبر جيحون فى جميع كتب المسالك تقريبا مع اختلاف طفيف • وما زال أكثر مراحل قائما الى اليوم معروفا بأسمائه القديمة (١٦) .

مر بنا القول ان طريق خراسان ينشطر من يمينه طريق على مرحلة مما يلي نيسابور ، ومنها يبلغ هراة • وكان ينشطر من يمينه أيضا طريقان عند سرخس ومرو ، يذهب كلاهما الى مرو الروذ ، وكان ينتهى الى هذه المدينة أيضا طريق من هراة ضارب الى الشمال • ومن مرو الروذ ، كان طريق خراسان الكبير يتجه الى الشمال الشرقى نحو بلخ ، فاذا تجاوزها عبر نهريجيحون الى ترمذ • فاذا أخذنا أولا طريق هراة من موضع انشطاره عند قصر الريح ، نجد انه يصل الى بوزجان فى أربع مراحل ، وفى مثل هذه المسافة الى بوشنج • ثم الى هراة فى مرحلة يوم • وقد وصف هذا الطريق ابن رسته وبلدانيو المثة الرابعة (العاشرة) وكذلك المستوفى • ويخرج من بوزجان ومن بوشنج طريقان نحو الجنوب الغربى والغرب ، يجتمعان فى قاين • وقد أورد الاصطخرى وغيره

(١٥) ابن خرداذبه ٢٣ و ٥٢ ؛ قدامة ٢٠١ ؛ ابن رسته ١٧٠ (وفيه تفاصيل هذا الطريق) ؛ الاصطخرى ٢١٦ و ٢٨٤ ؛ ابن حوقل ٢٧٥ و ٣٣٣ ؛ المقدسى ٣٥١ و ٣٥٢ و ٣٧١ و ٣٧٢ و ٤٩١ ؛ المستوفى ١٩٦ .
(١٦) ابن خرداذبه ٢٤ و ٢٥ ؛ قدامة ٢٠١ و ٢٠٢ ؛ ابن رسته ١٧١ ؛ اليعقوبى ٢٧٩ ؛ المقدسى ٣٤٨ و ٣٥١ ؛ المستوفى ١٩٦ (وقد وصف الطريق حتى سرخس) .

المسافات بين مدن قوهستان المختلفة • وتجتمع فى قايين أيضا الطرق الآتية من طبس وخور على حدود المفازة الكبرى^(١٧) •

ومن هراة ينزل الطريق جنوبا الى زرنج مارا باسفزار قاطعا حد سجستان بين تلك المدينة وفره (أنظر ص ٣٧٩ أعلاه) ، وقد جاء وصف هذا الطريق فى ابن رسته والبلدانيين الثلاثة من أهل المئة الرابعة (العاشرة) • والطريق من هراة شرقا يصعد فى وادى هرى رود الى حد الغور ، وقد ذكر هؤلاء البلدانيون أنفسهم أسماء ما فيه من مدن ، بين المدينة والمدينة يوم • وذكر بلدانيو المئة الرابعة (العاشرة) أيضا ، مسافات الطريق من هراة فكروخ الى شرمين وابشين فى غرجستان بالايم • ثم ينحدر الطريق الى نهر مرغاب فيصل الى مرو الروذ • وجاء ذكر الطرق الى مرو الروذ أو قصر الأحنف (مروچك) التى تجتاز باذغيس مارة ببغشور ، قصبتها) فى الاصطخرى وابن حوقل والمقدسى ، وكذلك فى المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة)^(١٨) •

وكان يجتمع فى مرو الروذ طريقان : من سرخس ومن مرو الكبرى . يقطع أولهما المفازة بين النهرين الكبيرين • والثانى يصعد مع نهر مرغاب مارا بالاراضى الخصبة وبما على ضفافه من مدن • اما طريق المفازة الذى يمرّ بجملّة رباطات ، فلم يذكره غير المقدسى ، وقد نقل عنه المستوفى وجهان نما الكتاب التركى • وذكر ابن خرداذبه وقدامة الطريق من مرو الكبرى الى نهر مرغاب وكذلك المقدسى ولكن وصفه كان لغير هذا الطريق^(١٩) •

ومن مرو الروذ الى بلخ ، ذكر ابن خرداذبه وكتب المسالك القديمة طريقا يخترق ناحية الجوزجان ويمر بالطالقان ، ومنها الى بلخ مارا اما بفارياب وشبورقان ، واما باليهودية (ميمنة) وأنبار • وذكره الاصطخرى والمقدسى مع

(١٧) ابن رسته ١٧٢ (وفيه تفاصيل الطريق بدون ذكر المسافات) : الاصطخرى ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٦ : ابن حوقل ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٣٥ : المقدسى ٣٥١ و ٣٥٢ : المستوفى ١٩٧ •
(١٨) ابن رسته ١٧٣ و ١٧٤ : الاصطخرى ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٨٥ : ابن حوقل ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٣٤ : المقدسى ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٠ : المستوفى ١٩٨ •
(١٩) ابن خرداذبه ٣٢ : قدامة ٢٠٩ : المقدسى ٣٤٧ و ٣٤٩ : المستوفى ١٩٦ :
جهان نما ٣٢٩ •

بيان المسافات بالمراحل • وذكر المستوفى طريقا من مرو الروذ الى بلخ بشىء من الاختلاف ، كان يمر فى غرب كل من الطالقان ، وتبعد عن يمين الطريق ستة فراسخ ، والفارياب وتبعد فرسخين عن يمينه أيضا ، فيصل الى شبورقان ، ثم يعبر قنطرة جموخيان الى بلخ • وقد نقل جهان نما هذا الوصف للطريق • ومن بلخ كان الطريق يصل الى نهر جيحون عند موضع منه بازار ترمذ فى مرحلتين مارا بـسياه جرد (٢٠) •

ومن شرق بلخ ، يضرب الطريق الى حدود بدخشان مارا بخلم والطايقان • ويتفرع منه طريق من خلم يتجه نحو الجنوب الشرقى الى اندرابه ومعادن بنجهير شمال كابل • وقد أجمل الاصطخرى والمقدسى أيضا ذكر طرق من بلخ مجتازة الجبال الى الباميان ، ثم منها نحو الجنوب الى قصدار مارة بغزنة • ويتفرع من غزنة طريق نحو الشرق الى حدود الهند • الا انه يشك فى مراحل هذه الطرق ، لان الامكنة المسماة بها غير معروفة (٢١) •

(٢٠) ابن خرداذبه ٣٢ : قدامة ٢١٠ : الاصطخرى ٢٨٦ : ابن حوقل ٣٢٢ : المقدسى ٣٤٦ و ٣٤٧ : المستوفى ١٩٧ : جهان نما ٣٢٩ •
(٢١) الاصطخرى ٢٨٦ : ابن حوقل ٣٣٤ و ٣٣٥ : المقدسى ٣٤٦ و ٣٤٩ و ٤٨٦ •

الفصل الحادي والثلاثون

ما وراء النهر

(نهر جيحون)

- بلاد ما وراء النهر اجمالا - اسما جيحون (Oxus) وسيحون (Jaxartes)
روافد نهر جيحون العليا - بدخشان ووخان - الغتل والوخش - القباذيان
والصفانيان ومدنهما - قنطرة الحجارة - ترمذ - الابواب الحديد -
كالف واخسيسك وفربر - بحر آرال أى بحيرة
خوارزم - انجماد ماء جيحون شتاء .

كان نهر جيحون القديم يعدّ الحدّ الفاصل بين الاقوام الناطقة بالفارسية والتركية ، أى ايران وتوران . فما كان فى شماله ، أى ورائه ، من أقاليم ، قد سماها العرب ما وراء النهر (وهو نهر جيحون) وكذلك سموها الهيتل . وقد كان الهياطة فى المئة الخامسة للميلاد أعدى أعداء الدولة الساسانية . وهم الافثلاطيون (Ephthalites) لدى المؤلفين البزنطيين ، ويعرفون بالهون الييىض . على ان مصنفى القرون الوسطى من العرب ، كانوا لا يتقيدون فى استعمال اسم الهيتل فقد أطلقوه اعتباطا على جميع الشعوب والبلاد التورانية فى ما وراء جيحون وعلى ذلك جرى المقدسى فى استعماله اياه .

وقد يكون من الملائم تقسيم هذه البلاد بين خمسة أقاليم . أجلها شأننا كان الصغد ، وهو صفديانا (Sogdiana) القديمة مع قصبته بخارا وسمرقند . وفى غرب الصغد : خوارزم ، وهو الاقليم المعروف اليوم بـ « خيوة » . ويشتمل على دلتا نهر جيحون . وفى الجنوب الشرقى : الصفانيان ومعه الحتل وغيرهما

من الكور الكبيرة التي في أعالي نهر جيحون • واليه أيضا تعود بذخشان ، وان وقعت في ضفته اليسرى أى الجنوبية ، فان المنعطف الكبير للنهر فيما وراء طخارستان يكاد يطوقها • ثم اقليما نهر سيحون ، وهما فرغانة في أعلى النهر واقليم الشاش (وهو اليوم تاشكند أو طشقند) مع النواحي التي في الشمال الغربى الممتدة حتى مصب سيحون في مناقع بحر آرال •

وأطلق العرب في القرون الوسطى على نهر أوكسس Oxus ونهر جكزرتس Jaxartes اسمى : جيحون وسيحون على ولاء • وهما كدجلة والفرات يعدان من أنهار الجنة حسب ما يروى • ويعتور الغموض أصل هذين الاسمين ، انما يبدو ان العرب قد اقتبسوهما من اليهود • فجيحون وسيحون ليسا الا صورتين مصحفتين لاسمى النهرين المذكورين في سفر التكوين (٢ : ١١ و ١٣) : جيحون (جيحون Gihon) وفيشون (پيسون Pison)^(١) • وفي أواخر العصور الوسطى ، في نحو من زمن الغارة المغولية ، كاد يبتل استعمال اسمى جيحون وسيحون • فعرف نهر اكسس في الغالب بـ « أمويه » أو « أمودريا » أما جكزرتس فعرف بـ « سيردريا » ، على ما سنبينه في فصل قادم • وأصل لفظة أمويه أو أمو غير واضح كل الوضوح فحافظ أبرو فسرہ بانه ليس الا اسم مدينة وكورة على ضفة جيحون من جانب خراسان كتبت في الاصل بصورة آمل (وهى چهار جوى • أنظر ص ٤٤٥-٤٤٦ أعلاه) • ولعل أمر ذلك بالعكس ، فيكون التفسير الصحيح ان مدينة آمل ربما سميت أمويه أو أمو نسبة الى اسم محلى (فارسى) للنهر العظيم ، شاع استعماله وحل محل اسم

(١) الاصطخرى ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٢٩٥ : ابن حوقل ٣٣٥ و ٣٤٧ و ٣٤٨ : المقدسى ٢٦١ - ٢٦٨ • وقد حرف هذان الاسمان تحريفا طفيفا الى سبيحان وجيحان ، وأطلقا على ما قد بينا (ص ١٦٣) ، على بيرامس وسارس • وهما النهران اللذان يحدان قليقية أمام بلاد الروم • وقد اشتق هذان الاسمان ، على ما يظهر ، من لغة غربية ، ولا يعرف معنيهما • وقد صيغ اسم سيحون وجيحون على وزن ذى سجع ونغم واحد ، كما جرى الامر على أسماء دخيلة كثيرة غيرهما • مثال ذلك الاسماء الواردة في القرآن والحديث وهى : قابيل وهابيل (Able , Cain) وطالوت وجالوت (شاول وجلياد) وياجوج وما جوج (Magog , Gog) . انظر ما كتبه Sir H. Yule في كتاب وود Captain J. Wood بعنوان The Oxus (١٨٧٢) ص ٢٢ من المقدمة •

جيجون (العربى) الأبعد زمنا • على انه يلاحظ ان العرب قد سمو الانهار بأسماء ما عليها من مدن كبيرة • ومن ثمة فان اكسس أى أمودريا هو نهر أمو ، وكان يعرف فى الغالب أيضا بنهر بلخ ، وان قامت هذه المدينة على بضعة أميال من ضفته الجنوبية • أما اسم اكسس ، وبه عرف اليونان هذا النهر العظيم فقد حافظ عليه وخش - آب ، أى نهر الوحش وهو من روافده العليا • الا ان العرب ، لم يطلقوا أبدا على ما يظهر اسم الوحش على عمود النهر نفسه •

ومنايع نهر جيجون ، على ما ذكره ابن رسته وغيره من البلدانين الاولين ، وما قالوه صحيح ، من بحيرة فى التبت الصغرى وفى الفامر (پامير Pamir) وذكر الاصطخرى ، وقد نقل عنه من جاء بعده من المصنفين ، أسماء أربعة أنهار من روافد نهر جيجون العليا الكثيرة • وليس من اليسير التحقق منها ولكنه قد تسنى تعيين الاسماء الآتية منها : فعمود نهر جيجون الاعلى كان نهر جرياب ، وهو اليوم نهر پنج ، وكان يصل الى بدخشان من الشرق • ويخرج من بلاد يقال لها وخان • وكان يقال لنهر جرياب أيضا نهر وخاب وكان عمود جيجون هذا ينحدر من الهضاب الشرقية ويدور دورة كبيرة حول بدخشان ويضرب نحو الشمال ، ثم يتجه غربا فجنوبا قبل أن يبلغ أطراف خلم • وينصب فى يمين مجراه هذا الذى يؤلف ثلاثة أرباع الدائرة ، كثير من الروافد الكبيرة أولها نهر أنديجاراغ ، وقرب ملتقاء بجيجون مدينة باسمه • والظاهر انه هو نفسه نهر برتنك اليوم • ثم يلتقى معه نهر فارغر (وكتب أيضا بصورة فرغار ، فرغان ، فرغى) وهو ينحدر من بلاد الختل ويطلق نهر ونج اليوم • وفى أسفله يستقبل نهر أخشوا (أخش) وهو يقابل عمود نهر جيجون ، وعليه مدينة هذبك قصبة بلاد الختل • ومن منابعه : نهر بلبان أو بربان • وهذه الانهار المتحدة تعرف اليوم باسمها التركى آق صو ، أى النهر الابيض • فهذه روافد نهر جيجون العليا الاربعة على ما جاءت فى الاصطخرى • وقد قال ان هذه المياه تجتمع كلها فيه فوق معبر النهر فى آرهن •

وفوق هذا المعبر أيضا ، ولكن فى يسار النهر ، يصب فى جيجون نهر

بذخشان ، المعروف اليوم بـ « گکچه » ويقال له نهر الضرغام . وتحت معبر آرهن ، يستقبل نهر جيحون رافده الايمن الكبير وخشاب وهو نهر الوخش ، ومنه اشتق اليونان ، على ما قلنا ، تسميتهم له بـ « اكسس » (Oxus) ، وهذا النهر يفصل بلاد الختل وبلاد الوخش اللتين فى شرقه عن ناحيتي القباذيان والصغانيان اللتين فى غربه . ونهر وخشاب ، هو النهر المعروف اليوم بسرخاب أى النهر الاحمر . وفى الموضع الذى يتجه فيه نهر جيحون الى الغرب ، بعد انعطافه حول بذخشان من ثلاثة جوانب ، يستقبل فى يساره ، أى فى ضفته الجنوبية ، نهري الطايقان وقندز الآتين من طخارستان . وهذان النهران هما اللذان سماهما ابن رسته بنهر ختلاب ونهر وتراب على الولاء ، على ما قد بينّا فى الفصل السابق (ص ٤٧٠) ويلتقى نهرا القباذيان والصغانيان - والاخير ، وهو يمرّ بترمذ ، قد سماه ابن رسته بنهر زامل - بجيحون فى ضفته الشمالية أى اليمنى . ومخرجهما فى جبال البُستّم . وتفصل هذه الجبال فى الشمال مياه جيحون عن مياه زرفشان التى فى الصغد . فهذه هى آخر روافد النهر العظيم ، لان نهر جيحون لا يستقبل غيرها من الانهار اذا ما جاوز غرب بلخ . فيجربى فى المفازة باتجاه غربى وشمالى غربى حتى دلتاه فى جنوب بحر آرال (٢) .

وببلاد بذخشان فى شرق طخارستان ، يحدّق بها من ثلاثة جوانب المنعطف العظيم فى نهر جيحون الاعلى ، على ما مرّ بنا . وقد وصف الاصطخرى هذه البلاد بقوله : « لها رستاق كبير عامر جدا خصب وبها كروم وأنهار » وقصبتها باسمها ، الا ان نهر بذخشان (أى گکچه) كان معروفا عند العرب بنهر الضرغام على ما قد بينّا . أما موضع مدينة بذخشان ، فلم تفصح عنه كتب المسالك التى انتهت اليها . الا انه نظرا الى مناعة أكثر هذه البلاد ، فمن المحتمل على ما يبدو ، انها كانت فى الوادى حيث تقوم اليوم مدينة فيض أباد (فيزاباد) ، قسبة البلاد الحالية .

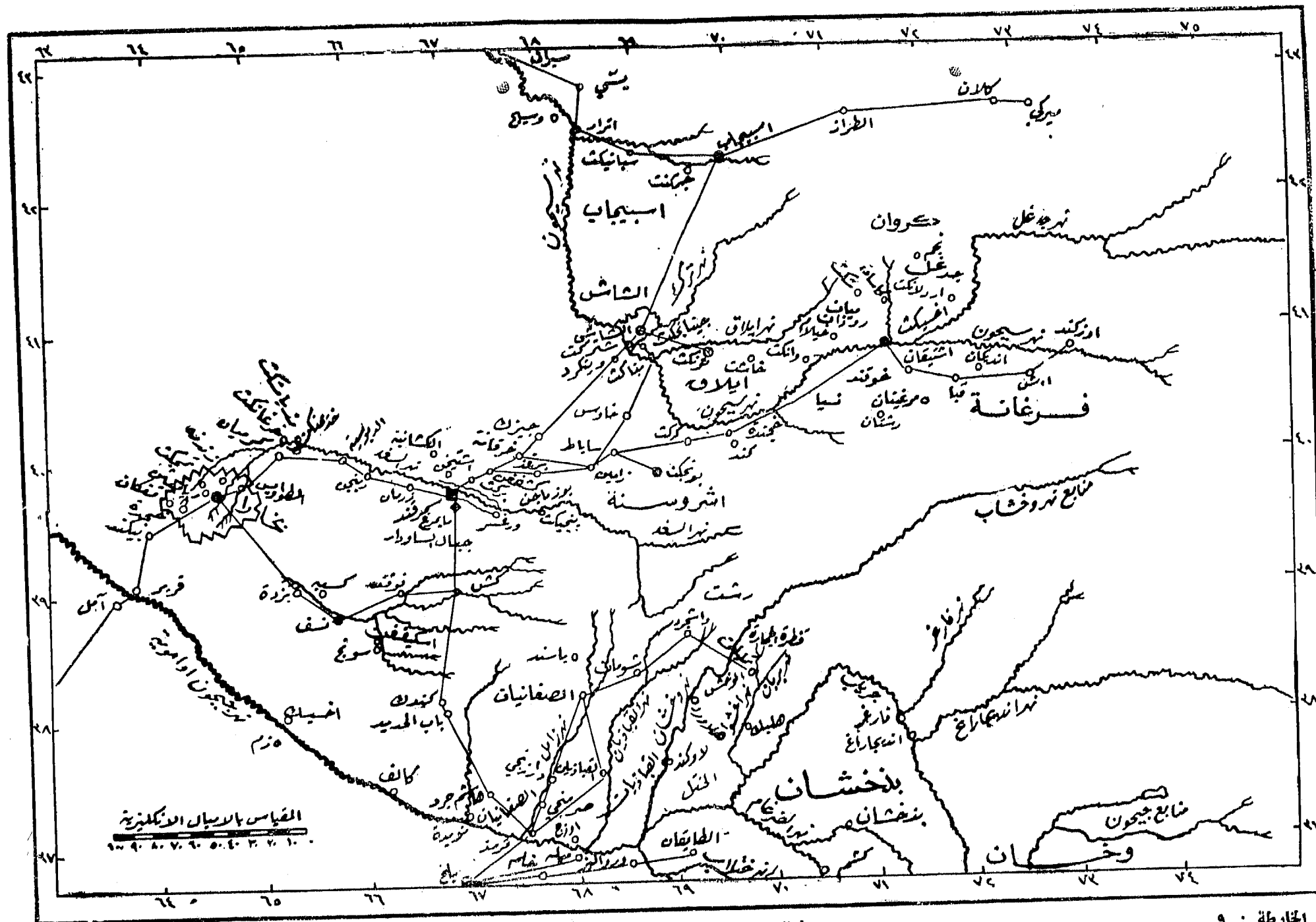
(٢) ابن رسته ٩٢ و ٩٣ : ابن خرداذبه ٣٣ : ابن الفقيه ٣٢٤ : الاصطخرى ٢٧٧ و ٢٩٦ : ابن حوقل ٣٤٨ : المقدسى ٣٠٣ : ابن سراييون ١٠٢٥ ، ٤٤ ب : ياقوت ٢ : ١٧١ : ٣ : ٤٦٩ . وقد جاء فى القزوينى (١ : ١٧٧) اسم جرباب عوضا عن جرباب . وفى (٢ : ٣٥٣) جريان . وهما من وهم النساخ .

وكانت بذخشان تشتهر منذ القديم بأحجارها الكريمة ، لا سيما « معدن البلخش المقاوم للياقوت وبها معدن اللازورد »^(٣) . وقال المقدسي في المثة الرابعة (العاشرة) انه كان فيها عند معادن الجواهر حصن لزبيدة زوجة هرون الرشيد ونسب اليها . وفيها غير الياقوت والبلخش واللازورد : البلور وحجر البازهر . وبها أيضا « الاسبست » وقد سماه العرب حجر الفتيلة وهو لا تحرقه النار . قال المقدسي « وينسج منه الخوان ، فاذا اتسخت وأرادوا غسلها طرحوها في التنور فتعود نظيفة » . وهكذا كانوا يصنعون بحجارة الفتيلة اذا اتسخت فانهم يطرحونها في النار المتأججة ساعة فتعود الى ما كانت عليه ، وزاد المقدسي على ذلك انه كان بها « حجر يجعل في البيت المظلم فيضيء أدنى شيء » . ولعل هذا الحجر ضرب من الحجر الفسفوري المضيء (نوع من حجر الفلور) . وقد أعاد القزويني نقل أكثر هذا القول ، وذكر ان في بذخشان ، غير هذه الاحجار الكريمة ، حجر البجاذي « وهو حجر كالياقوت » . وقال ان حجر الفتيلة كان يحسبه العامة في أيامه « ريش الطائر لا تحرقه النار »^(٤) . وكان معدن البلخش يكثر بالقرب من مدينة يمكان في جوار معدن الفضة . وذكر أبو الفداء مدينة جرم وهو الاسم الذي أطلقه علي اليزدي على نهر بذخشان . ولما غزا تيمور بذخشان في النصف الثاني من المثة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت قصبتها كشم ، وفيها مقام ملك بذخشان . ومن أكبر مدنها كلاوقان ، الا انه لم يتتبعنا وصف لهما . ولا تعرف مواضعهما .

وفي شرق بذخشان في أعلى جيحون ، مدينة وخان . قال ابن حوقل انها في الطريق الى التبت (الصغرى) . ويرتفع منها المسك . وكانت من دور الكفر تتاخم بلادا يقال لها السقينة وكرآن (أو كرام) . ويلي هذه البلاد من جهة كشمير ناحية بلشور . بها موضع في كل سنة ثلاثة أشهر يدوم فيه الثلج والمطر بحيث لا يرى فيها قرص الشمس . وكانت معادن الفضة في وخان مشهورة في المثة الرابعة (العاشرة) ، وفي أودية أنهارها معدن الذهب . وكانت قوافل

(٣) اشتقت كلمة Azure من اللازورد .

(٤) سيوه « السمند » . (الدكتور مصطفى جواد) .



أقاليم نهري سيحون وجيحون

الرقيق من أواسط آسية تجتاز هذه البلاد الى خراسان ومنها الى أسواق المدن الاسلامية فى الغرب^(٥) .

وكان أكبر روافد جيحون ، نهر وخشاب ، على ما مر بيانه • يصب فى يمينه آتيا من الشمال • وكانت البقاع الجبلية العظيمة الواقعة فى الزاوية التى يؤلفها نهر وخشاب مع جيحون ، تعرف بالختل • وكان هذا الاسم يطلق دون قيد على جميع بلاد الكفر مما يلى شرق خراسان وشمالها^(٦) • وكانت الختل تشتمل على بلاد الوخش فى قسمها الشمالى حيث مخرج نهر وخشاب وهى على ما ذكر الاصطخرى فى غاية الخصب ، وبها الخيول ودواب الحمل ، وبها جملة مدن كبيرة على ضفاف أنهارها الكثيرة • ويكثر فيها القمح والفواكه •

وكانت قصبة الختل فى المئة الرابعة (العاشرة) ، مدينة هلبك • وبها يقيم السلطان (ولعلها كانت بالقرب من موضع خُلاب الحالية) • الا ان مدينة مُنك وهلاورد ، كانتا أكبر من هلبك • ومن مدنها الكبيرة أيضا انديجاراغ (أو انداجاراغ) وفرغان (أو فارغر) وهما على نهرين باسميهما • وفيها كذلك مدينة تمليات ولاوكند ، وهذه الاخيرة كانت على نهر وخشاب أسفل من قنطرة الحجارة (بالقرب من كركان تبه الحديثة) • وصف المقدسى هلبك فقال : « هى قصبة الختل ، الجامع وسط البلد ، شربهم من نهر » يسمى نهر أخشوا • وكانت مدينة انديجاراغ قريبة من ضفة جيحون حيث يصب رافد باسمها فيه • وربما كانت فى موضع قلعة وَمَر الحالية • أما منك فهى أكبر مدينة فى هذه البلاد ، وهى فى شمال هلبك وشرق تمليات • وكانت هلاورد على نهر وخشاب • قال المقدسى : « هى أجل من هلبك ، كبيرة » • وكانت تمليات بين منك وقنطرة

(٥) الاصطخرى ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٩٧ : ابن حوقل ٣٢٧ و ٣٤٩ : المقدسى ٣٠٣ : القزوينى ٢ : ٢٠٣ و ٢٢٥ و ٣٢٨ : أبو الفداء ٤٧٢ : على اليزدى ١ : ١٧٩ •
(٦) يثور تسمية هذه البلاد كثير من الالتباس • فعندنا اسم الختل وختلان وختلان (الاولى بسكون التاء والثانية بتشديد) • على ان القزوينى (٢ : ٣٥٢) قال ان ختلان بضم أوله وتشديد ثانيه مع الفتح (مدينة بارض الترك فى شعب بين جبلين ، ولم يشر الى موضعها • وعلى اليزدى (١ : ٤٦٤) وفى غير هذه الصفحة) فى وصفه حروب تيمور كُتِبَ بصورة ختلان (بضم أوله وسكون ثانيه) واسم الختل (بقرائنه المختلفة) ان هو الا لفظة الهيتل نفسها على ما يظهر • وهو الاسم الذى أطلقه العرب على الافثالطيين (Ephthalites) أى الهون البيض فى أيام الساسانيين والبرزنطيين •

الحجارة على وخشاب ولعلها فى موضع بلجوان الحالية • وقد ذكر على اليزدى بلجوان فى سياق حديثه عن حروب تيمور^(٧) •

وقنطرة الحجارة المشهورة التى على نهر وخشاب ، ما زالت قائمة • ذكرها ابن رسته والاصطخرى وكثيرون من المصنفين المحدثين بانها تقوم على وخشاب حيث يعبره الطريق من تمليات الى مدينة واشجرد فى قباذيان • والى الشمال بلاد الكميذ ، بحسب تسمية ابن رسته لها ، ويليهما أيضا بلاد الراشت عند منابع وخشاب • وكانت قنطرة الحجارة هذه على ما ذكر الاصطخرى ، حيث يضيق مجرى النهر فى جبل هناك • وقال « لا يعلم ماء فى كثرته يضيق مثل ضيقه فى هذا الموضع » • ومثل ذلك ما قاله القزوينى وغيره من المصنفين • وأشار على اليزدى الى القنطرة أيضا ، سماها باسمها الفارسى پول سنگين ، وباسمها التركى تاش كوبرك • وقد وصف الرحالون المحدثون هذا الموضع غير مرة^(٨) •

والى غرب نهر الوخش ، ناحية يحدها من جنوبها نهر جيحون ، سماها العرب الصفانيان ، وكتب اسمها بالفارسية چغانيان • وكان القسم الشرقى من هذه الناحية يعرف بالقباذيان نسبة الى مدينة بهذا الاسم كانت على أول نهر يلتقى بجيحون غرب وخشاب • وصف ابن حوقل قباذيان ، أو قواذيان ، بقوله « هى أصغر من الترمذ بكثير ، وتسمى فز • ويرتفع منها الفوة^(٩) » ويحمل منها

(٧) الاصطخرى ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٩ و ٢٩٦ و ٢٩٧ ؛ ابن حوقل ٣٢٦ و ٣٢٧ و ٣٤٨ و ٣٤٩ ؛ المقدسى ٢٩٠ و ٢٩١ ؛ ياقوت ٢ : ٤٠٢ ؛ على اليزدى ١ : ٨٣ •

(٨) ابن رسته ٩٢ ؛ الاصطخرى ٢٩٧ ؛ ابن حوقل ٣٤٨ ؛ القزوينى ٢ : ٣٥٣ ؛ على اليزدى ١ : ٨٣ و ٤٥٢ ؛ H. Yule فى كتاب وود Wood عن جيحون The Oxus ص ٨٢ من المقدمة • مايف Mayef فى المجلة الجغرافية Geographical Magazine لسنة ١٨٧٥ ص ٣٣٧ • ولسنة ١٨٧٦ ص ٣٢٨ •

جاء فى وصف قنطرة الحجارة على ما هى اليوم ، ان طولها لا يزيد على عشر خطوات وهى معلقة على صخرتين نائنتين • ويجرى نهر سرخاب تحتها وقد انحصر بين جبلين عاليين قائمى الانحدار لا تتجاوز الفجوة التى يمر فيها النهر بينهما ، ثلاثين خطوة • وينحدر ماؤه فى هذا المضيق بهدير هائل •

(٩) الفوة ، جذور النبات المسمى فوة أو روبيا • تستخرج منها مادة للصبغ بالاحمر • أنظر معجم شرف • ص ٤٦٥ (م) •

الى بلد الهند * ونهر القباذيان الذى تقوم عليه المدينة فى غاية الطول * وكان فى هذه الناحية ، على ما ذكر المقدسى ، كثير من المدن الجليلة ، منها أوزج ، ولعلها أيوج الحالية * وهى على ضفة جيحون الشمالية فوق الترمذ وتحت رباط ميمله الذى فى الضفة اليسرى * وذكر ياقوت ان هذه الناحية مشهورة بفواكهها *

وفى أعلى نهر القباذيان وغرب قنطرة الحجارة ، واشجرد ، وهى على ما ذكر الاصطخرى « نحو الترمذ فى الكبر » * وعلى شىء يسير من جنوبها ، قلعة شومان أو الشومان العظيمة * وكان يكثر فى هذه الناحية حول شومان : الزعفران ومنها يحمل الى سائر الآفاق * وأشار المقدسى الى شومان فقال « شومان من الامهات ، عامرة طيبة » * وزاد ياقوت على ذلك قوله فى أهلها « قوة وامتناع عن السلطان » * وكانت فى أيامه من الثغور الاسلامية أمام الترك * وكثيرا ما أشار على اليزدى إليها فى وصفه لحروب تيمور ، باسم حصار شادمان وغالبا ما اختصره بلفظة حصار أو حصارك فقط * وتعرف اليوم بحصار أيضا (١٠) *

ومدينة الصغانيان ، هى مدينة سرآسيا الحديثة على ما يحتمل ، فى أعلى نهر الصغانيان ، ويقال له أيضا نهر زامل * كانت الصغانيان فى المثة الرابعة (العاشرة) ، على ما ذكر الاصطخرى ، « مدينة أكبر من ترمذ الا ان الترمذ أكثر أهلا ومالا * وللصغانيان قلعة » وكانت تقوم على جانبى النهر * أما المقدسى فقال : الصغانيان تكون مثل الرملة فى فلسطين وجامعها وسط السوق ، « وهى من معادن أجناس الطيور وموضع الصيد » * ومن أعمالها ٦٠٠٠ قرية (١١) ، وبها خبز رخيص * وكانت مدينة باسند الصغيرة « رجة كثيرة البساتين » ، تبعد مرحلتين عن مدينة الصغانيان تقوم فى الجبال المشرفة على النهر * وعلى نهر زامل أسفل منها فى نحو من نصف الطريق بين الصغانيان وترمذ ، كانت دارزنجي * وفيها ، على ما ذكر ابن حوقل ، رباط جليل « وعامة أهلها صوافون يعملون الاكسية ، والجامع وسط الاسواق » * وفى جنوبها أيضا ، بالقرب من نهر زامل ، مدينة صرمنجى أو

(١٠) الاصطخرى ٢٩٨ : ابن حوقل ٣٥٠ : المقدسى ٢٨٤ و ٢٨٩ و ٢٩٠ : ياقوت ٢ : ٨٨ : ٣ : ٣٣٧ : ٤ : ١٩٦ : على اليزدى ١ : ٤٩ و ٥٢ و ٤٥٢ و ٤٦٤ .
(١١) قال المقدسى (ص ٢٨٣) « بها (أى الصغانيان) ستة عشر ألف قرية » (م) *

صرمنجان • وكان بها فى المثة الرابعة (العاشرة) رباط جليل أيضا « لأبى الحسن بن حسن ماه (وهو أميرها) ، يصدق فيه بدينار (١٠ شلنات) خبزاً فى كل يوم » •

على ان أجل مدن ناحية الصفانيان ، مدينة ترمذ (أو الترمذ) فى شمال مضيق نهر جيحون وهو آت من بلخ بالقرب من ملتقى نهر زامل به • وكان ترمذ فى المثة الرابعة (العاشرة) قلعة فيها دار الامارة ، والربض حول المدينة التى كان عليها سور داخل ، وعلى الربض سور ثان ، ومسجدها الجامع من اللبن فى أسواق المدينة • وكانت أسواقها بالآجر ومعظم سككها مفروش بالآجر • كانت ترمذ فرضة التجارات المحمولة من الشمال الى خراسان • وللمدينة ثلاثة أبواب ، كانت على قول المقدسى حصينة منيعة • وفى سنة ٦١٧ (١٢٢٠) غزتها جيحافل المغول وهى فى طريقها جنوبا الى خراسان • وقامت بعد هذه الغزوة مدينة جديدة فى نحو من القديمة كبرا على ما ذكر ابن بطوطة ، وقد زارها فى المثة التالية لها فقال بنيت هذه الحديثة على ميلين من القديمة المهجورة • وقد أحاطت بها البساتين الكثيرة وبها العنب والسفرجل كثير متناهى الطيب •

وفى يمين نهر جيحون ، على شىء يسير اسفل الترمذ ، كانت نويدة • وفيها يعبر النهر من أراد سمرقند من بلخ • وفى نويدة مسجد جامع فى وسط البلد ، وكانت آخر ما على نهر جيحون من مدن الصفانيان • وعلى مرحلة شمال غربى ترمذ ، فى طريق كش ونخشب فى الصغد ، مدينة هاشم جرد ، وقد كان لهذه المدينة بعض الشأن فى المثة الرابعة (العاشرة) • وعلى مرحلتين من شمالها كان الطريق يجتاز باب الحديد المشهور •

وهذا المضيق الذى فى الجبال ، قد وصفه الرحالة الصينى هوين تسانك (Hwen Thsang) وكان قد زار الهند فى سنة ٦٢٩ للميلاد بصفته حاجا بوذيا^(١٢) • وتكلم البليديون العرب على مدينة فى هذا الموضع ، قد سماها اليعقوبى

(١٢) وللإطلاع على ترجمة لصفة هوين تسانك له ، انظر : سراج يول فى مقدمته لكتاب وود The Oxus ص ٦٩ • روى هذا الحاج الصينى ان هذا المضيق كان فى أيامه يسد بأبواب قابلة للانطياق وتشد بالحديد ، قد علق بهذه الابواب أجراس حديد • واغفلت الاخبار بعده ذكر الابواب • والظاهر انها قد رفعت قبل زمن الاصطخرى •

بمدينة باب الحديد • وذكر أيضا انه يقال لها بالفارسية دراهنين • ونوه كل من الاصطخرى وابن حوقل والمقدسى ، باسم باب الحديد فى مسالكهم ، ولكنهم لم يذكروا شيئا عنها • واشتهرت باب الحديد باسمها الفارسى دربند آهين منذ أيام تيمور • وذكرها على اليزدى أيضا بتسميتها التركية قهلهمة على انه لم يأتنا بوصف لهذا الموضع • وقد قطع هذا المضيق كلافيجو (Clavijo) السفير الاسبانى الى بلاط تيمور فى شهر آب سنة ١٤٠٥ للميلاد ، قال : ان هذا المضيق يبدو كأنه قد تمه يد الانسان • وتسمق الجبال على جانبيه الى علو شاهق والدرب فيه ممهد عميق جدا • وفى وسط الدرب قرية يرتفع الجبل وراءها الى علو عظيم • ويقال لهذا الدرب أبواب الحديد • ولا ترى فى كل هذه الجبال دربا آخر غيره ، فهو يحشى بلاد سمرقند من ناحية الهند • وتدر أبواب الحديد هذه دخلا لتييمور لان كل التجار القادمين من الهند يمرّون بهذا الدرب (١٣) •

وفى أسفل ناحية الصغانيان ، يشق جيحون طريقه فى المفازة فلا يستقبل نهرا مهما فى كلا جانبيه • ثم يصل دلتاه فى جنوب بحر آرال حيث اقليم خوارزم الذى سنأتى على وصفه فى الفصل القادم • وعلى امتداد المفازة تقوم عدة مدن على يمين النهر ويساره - عامتها ذات جانبيين - فى المواضع التى تعبر النهر العظيم الطرق الآتية من خراسان الى بلاد الترك • وقد مرّ بنا فى الفصل السابق وصف أكثر ما فى جانب خراسان من مدن • فمدينة كالف أو كيلف فى ضفته الشمالية (وهى ما زالت قائمة) قد كانت فى العصور الوسطى تقابل ربضا لها فى جانب خراسان يقوم حول رباط يقال له رباط ذى الكفل • وكانت كالف فى ذلك الزمن على جانبى جيحون « على عمل بغداد وواسط » على قول المقدسى • وكان فى جانبها الشمالى رباط نسب الى الاسكندر الكبير فسمى برباط ذى القرنين • وقال ياقوت كان لكالف قلعة حسنة على ثمانية عشر فرسخا من بلخ فى الطريق الذاهب منها الى نخشب فى الصغد • وتكلم المستوفى على جبل عظيم

(١٣) اليعقوبى ٢٩٠ ؛ الاصطخرى ٢٩٨ و ٣٣٧ ؛ ابن حوقل ٣٤٩ و ٣٥٠ و ٤٠٠ و ٤٠١ ؛ المقدسى ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٣٤٢ ؛ ابن بطوطة ٣ : ٥٦ ؛ على اليزدى ١ : ٤٩ و ٥٩ ؛ ٢ : ٥٩٣ ؛ كلافيجو فى كتاب سفارته ص ١٢٢ ؛ Geogr. Mag. لسنة ١٨٧٥ ص ٣٣٦ • وانظر هذه المجلة لسنة ١٨٧٦ ص ٣٢٨ للاطلاع على صفة باب الحديد بقلم Mayer.

بالقرب من كالف دوره ثمانية فراسخ كله من تراب أسود وفي أعلاه ماء ومرعى حسن . وزاد على ذلك ان كالف فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت مدينة كبيرة فى غاية المناعة .

وكان أسفل هذه المدينة ، بازاء زم ، وقد مرّ وصفها (أنظر ص ٤٤٦) مدينة أخسيسك كان يخرج منها طريق الى نخشب . وصفها ابن حوقل بقوله مدينة صغيرة أهلها يعبرون الى زم للصلاة فى جامعها فلم يكن فى مدينتهم جامع^(١٤) . وكانت المفازة تحف بأرضها من كل جانب ، ولكنها كانت خضبة « والغالب على أطرافها السوائم من الابل والغنم » . وفى أسفل هذه المدينة ، بالقرب من ضفة جيحون اليمنى ، مدينة فرّ بازاء آمل أى آمويه . وهى فى طريق بخارا ، حولها رستاق خصب ، وقرى أهلة كثيرة . قال المقدسى ان فربر تبعد نحو فرسخ من ضفة جيحون الشمالية « لها قهندز عامر وبها رباطات حسنة والجامع على باب المدينة من نحو بخارا والمصلّى خارج الباب . وثمّ رباط (لنصر بن أحمد) فيه ضيافة لأبناء السبيل » . وكانت فربر موصوفة بأعناؤها . ويقال لهذه المدينة أيضا قرية علي أو رباط طاهر بن علي^(١٥) .

وبعد أن يمر جيحون بن يدى فربر وأمويه ، يبقى جاريا فى وسط المفازة مسافة مئة واربعين ميلا حتى الطاهرية ، وعندها تبدأ أراضى الدلتا المزروعة . ومن هذه المدينة يجرى النهر العظيم فى طريقه الى بحر آرال وفى نحو من ثلاثمئة ميل من مجراه كانت تمد منه كثير من أنهار الري فتسقى الاقليم الخصب المعروف فى العصور الوسطى بخوارزم . ومنذ الفتح العربى الأول غيّر نهر جيحون مجراه فى أراضى الدلتا هذه مرارا ، وكان انبثاق سدوده فى أيام الغزو المغولى فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) سببا فى تحول مجراه الاسفل ، على ما سنصفه فيما بعد . على انه ما زال فى وسعنا ، بالاستناد الى وصف البلدانين العرب الاولين ، ان نرسم خارطة تقريبية لخوارزم فى المثة الرابعة (العاشرة) . وواضح ان نهر جيحون فى تلك الايام كان يجرى فى مجرى واحد صالح للسفن حتى مناطق

(١٤) هذا القول للاصطخرى ص ٢٩٨ لا لابن حوقل (م) .

(١٥) الاصطخرى ٢٩٨ و ٣١٤ ؛ ابن حوقل ٣٤٩ و ٣٥٠ و ٣٦٣ ؛ قدامة ٢٠٣ ؛ المقدسى ٢٩١ ؛

ياقوت ٣ : ٨٦٢ ؛ ٤ : ٢٢٩ ؛ المستوفى ١٨٩ .

الساحل الجنوبي لآرال وهو البحر الذى سماه العرب ببحيرة خوارزم •

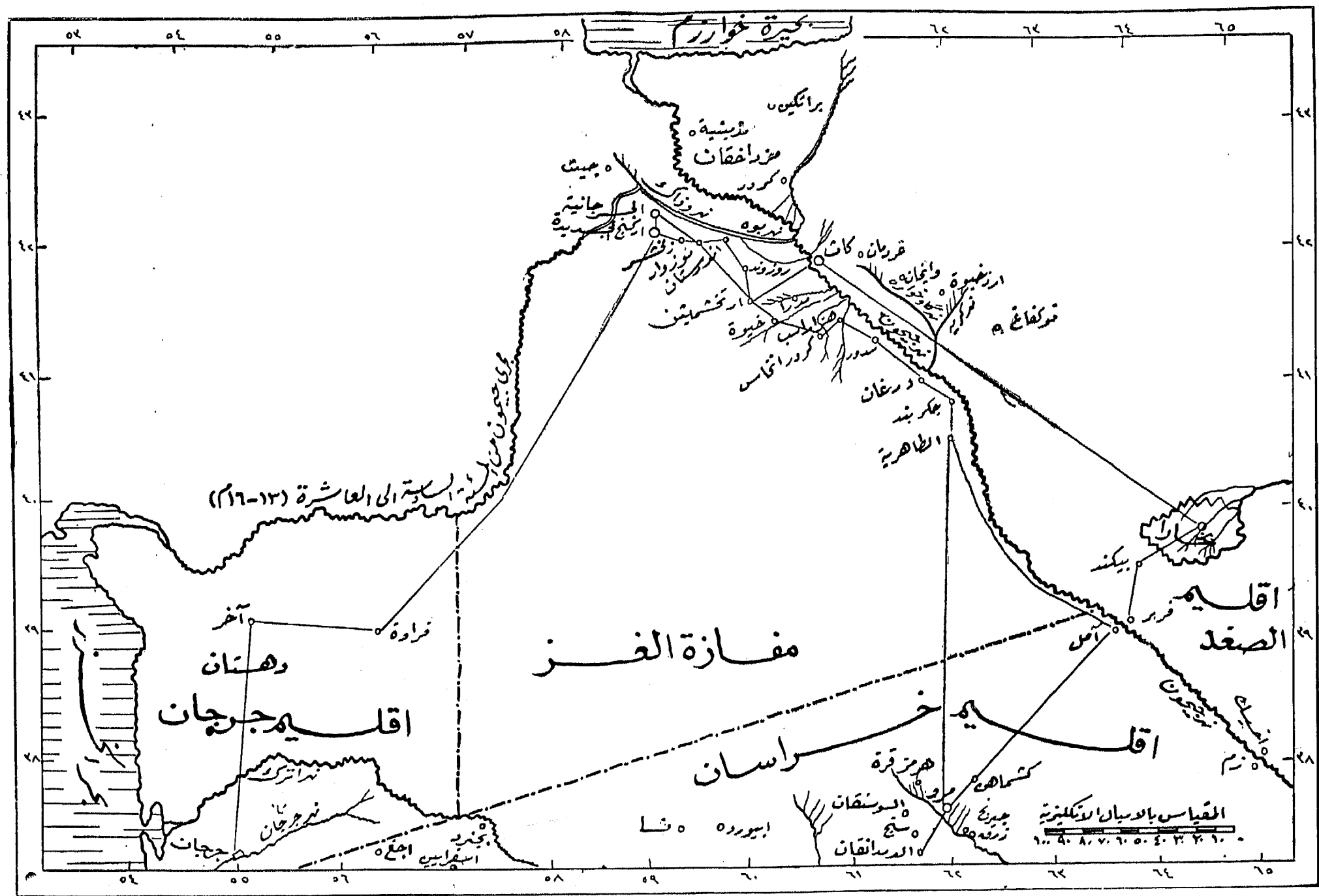
وبحر آرال قد كان ضحلا يغطيه القصب ، ولم يكن يصلح لسير السفن على ما يظهر • وكان يستقبل من شماله الشرقى مياه نهر سيحون • ولكن السفن الآتية من جيحون لم تكن تدخل شقيقه النهر الثانى • وكانت البلاد المتاخمة لساحل آرال الشرقى ، بين فمى جيحون وسيحون ، فى المئة الرابعة (العاشرة) وما بعدها تعرف بمفازة التركمان الغز • وهذا الاسم يطلق فى الغالب على مفازة مرو فى شرقى بلاد ايران • وقد كان البلدان يون العرب الاولون يعدون انجماد مياه نهري جيحون وسيحون فى الشتاء من العجائب ، فقد كانت القوافل الموقرة تعبرهما ماشية فوق السطح المنجمد • وهما يقيان على هذه الحال من شهرين الى خمسة أشهر فى الشتاء • وقد يبلغ ثخن الجليد خمسة أشبار أو أكثر • ولقد ذكر القزوينى ان أهل خوارزم « كانوا يحفرون فيه آبارا بالمعاول حتى يخرقوه الى الماء ثم يسقون منها كما يسقون من البشر لشربهم ويحملونه فى الجرار » • وأشار الاصطخرى الى جبل يقال له جبل جفراغز على ساحل بحر آرال ، كان الماء أسفل منه يبقى جامدا طوال أشهر السنة •

وكان بحر آرال ، ولاسيما قسمه الجنوبى قرب سيف « الخليجان » حيث يصب جيحون ، مشهورا بمصائد السمك ، الا انه لم تقم عند حافة البحر قرية بل ولا بيت • وقد بينا انه كانت تمتد من نهر جيحون ، فى مجراه الاسفل الذى يخترق الدلتا ، أنهار للرى كبيرة وصغيرة من يمينه ويساره ، كان كثير منها صالحا لسير السفن وكانت مياهها أخيرا تسقى أراضي الدلتا • وكان أكثر المدن الكبرى فى خوارزم الكبرى على هذه الانهار ، لا على جيحون للخطر الناجم من دوام تغير مجراه • وقد كان نهر جيحون صالحا لسير السفن فى جميع مجراه الاسفل • قال ابن بطوطة : « ويسافر فى أيام الصيف بالمراكب الى ترمذ ، ويجلبون منه القمح والشعير ، وهى مسيرة عشر للمنحدر » الى أسواق خوارزم لتبايع فيها • وكان انجماد جيحون فى الشتاء يجعل الملاحة فيه خطرة أو مستحيلة • فقد حكى ياقوت انه فى شوال من سنة ٦١٦ (كانون الاول ١٢١٩) حين ذهابه من مرو

الى الجرجانية وكان بعض طريقه نهر جيحون بالسفن ، أشرف هو ومن معه على
الهلاك « من ألم البرد وجمود نهر جيحون على السفينة » ولم ينزلوا الى البر
الا بعد عشاء وكانت الثلوج أيضا تغطي البر وقد أضلّ ياقوت دابته التي كان
يركبها ولم ينج الا بنفسه^(١٦) .

(١٦) الاصطخرى ٣٠٣ و ٣٠٤ ؛ ابن حوقل ٣٥٣ و ٣٥٤ ؛ القزويني ٢ : ٣٥٣ ؛ ابن بطوطة

٣ : ٥ ؛ ياقوت ١ : ١٩١ .



أقاليم خوارزم

الخارطة : ١٠

الفصل الثاني والتلاتون

خوارزم

اقليم خوارزم - قصبته : كاث والجرجانية - اركنج القديمة والجديدة -
خيوه وهزاراسب - انهار خوارزم والمين التي على يمين
جيحون ويساره - المجرى الاسفل لجيحون
الى قزوين - تجارات
خوارزم وغلته •

كان لاقليم خوارزم في صدر العصور الوسطى ، قصبان : أولاهما في
الجانب الغربى ، أى الفارسى من نهر جيحون ، تسمى الجرجانية ، أو أركنج •
والاخرى في الجانب الشرقى ، أى التركى من النهر • ويقال لها كاث • وقد
كانت في المئة الرابعة (العاشرة) ، في منزلة تفوق صاحبها •

ومدينة كاث ، ما زالت قائمة • الا ان مدينة العصور الوسطى العظيمة ربما
كانت تقوم على بضعة أميال من جنوب شرقى البلدة الحديثة • وفي أوائل المئة
الرابعة (العاشرة) خرب بعضها طغيان نهر جيحون ، فقد كان عرض
هذا النهر عندها نحو من فرسخين • وكانت المدينة تبعد قليلا عن يمين النهر ،
تقوم على نهر يقال له جردور يشق البلد • وكان السوق ، وطوله نحو من
ميل ، على جانبى هذا النهر • وكان لكاث في تلك الازمان الاولى ، قهندز
(أى قلعة) فخر بها النهر وأتى عليها • وكان الجامع والجس على ظهر
القهندز وكذلك قصر لسلطانهم الملقب بخوارزم شاه • وقد أتى فيضان النهر على

هذه الاجزاء جميعها ، فلم يبق منها رسما ولا ظللا حين كتب ابن حوقل . فابتنى الناس مدينة جديدة الى الشرق من الاولى على مسافة من جيحون تقيها عواقب طغيانه .

وكان الفرس يسمون المدينة الجديدة ، على قول المقدسي ، شهرستان - أى القصبة - . وكانت فى ما قال « نحو نيسابور » فى خراسان . « لها جامع فى وسط الاسواق على أساطين حجارة سود الى قامة ، ثم فوقها سوارى الخشب . ودار الامارة ، وسط البلد . ولهم قهندز قد خرّبه النهر » فلم يجدّوه . وللبلد أنهار كثيرة تشق شوارعها . وعلى ما ذكر المقدسي ، كانت البلدة أوسخ من أردبيل (فى أذربيجان) لأن أهلها ، « عامة تغوطهم فى الشوارع ... وهم يدوسونها بأرجلهم الى الجماعات (أى الى الجامع) » . الا ان أهلها مع ذلك كانوا مياسير وأسواقها حافلة بالخيرات والتجارات ، وبنائوها حذاق ، فكانت كاث من أفخم المدن مظهرا . على انها ما عتمت فى ختام المئة الرابعة (العاشرة) أن بدأ نجمها بالأفول ومكانتها بالخفوت وفقدت مركزها كأهم قصبة فى خوارزم ، ولعل مرد ذلك ما كان ينتابها بين آن وآخر من طغيان جيحون عليها ، فكان يخرب منها أحياء مختلفة كل مرة ، حتى آل أمرها الى بلدة ليس لها شأن كبير .

فاذا انتهينا الى مطلع المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، وجدنا ان مدينة كاث لم تعان كثيرا من مصائب الفتح المغولى على ما يبدو . وحين مرّ بها ابن بطوطة فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فى طريقه من أركنج الى بخارا ، وقد كتب اسمها ألكات قال انها « بلدة صغيرة حسنة » . فيها بركة ماء كانت وقت زيارته لها « قد جمدت من البرد ، فكان الصبيان يلعبون فوقها ويزلقون عليها » . وفى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كاد تيمور أن يقضى على كاث ، ولكنه بعد ذلك أمر بتجديد أسوارها ، فذكرها علي اليزدى غير مرة بقوله انها مدينة ذات شأن فى أيامه^(١) .

(١) الاصلطخرى ٣٠٠ و ٣٠١ : ابن حوقل ٣٥١ و ٣٥٣ : المقدسي ٢٨٧ و ٢٨٨ : ابن بطوطة ٣ : ٢٠ : على اليزدى ١ : ٢٣٧ و ٢٦٣ و ٤٤٩ .

أما قصبة خوارزم الثانية التي أصبحت بعد سقوط كاث أولى مدن الاقليم ، فكانت كركانج وقد سماها العرب الجرجانية ، ثم عرفت بعد هذا الزمن بـ كركنج ، تروى أخبار الفتوح الاسلامية ، ان العرب فى سنة ٩٣ (٧١٢) ، لما غزوا خوارزم بقيادة قتيبة ، كان يقال لقصبة الاقليم التى استولوا عليها : الفيل . ثم صار اسمها المنصورة . ويقال ان هذه المدينة كانت تقوم على الجانب الأبعد من نهر جيحون فى موضع يقابل الجرجانية المحدثه . غير ان فيضان جيحان ما عتم ان طغى على المنصورة وخرّبها فأخذت الجرجانية مكانها^(٢) .

والجرجانية فى المثة الرابعة (العاشرة) - وان كانت حينذاك مدينة الاقليم الثانية ليس الا ، لكن كاث كانت ما زالت قصبته متجر البلاد وفيها مجتمع القوافل الآتية من بلاد الغز . ومنها تخرج الى بلاد خراسان . والجرجانية على غلوة من غرب نهر كبير تجرى فيه السفن ، يأخذ من جيحون ، ويجرى محاذيا له . وقد احتالوا فى رد خطر الماء باقامة السدود من الخشب والحطب . قال المقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) ان للبلد أربعة أبواب « وهى كل يوم فى زيادة . وعلى باب الحجاج قصر بناه المأمون ، عليه باب ليس بجميع خراسان أعجب منه . وقد بنى ابنه علي آخر قسداً مه ، على بابه سهلة تشاكل سهلة بخارا ، فيها تباع الاغنام » . وبانهطاط كاث أصبحت الجرجانية أولى مدن اقليم خوارزم ، ومن ثم قصبته الوحيدة . وفى الاثمنة الاخيرة ، كانت تعرف بوجه عام بمدينة خوارزم .

وفى سنة ٦١٦ (١٢١٩) زار ياقوت الجرجانية ، أو كركانج على ما سماها به ، قيل ان يكتسحها المغول بقيادة جنكيز خان ، فقال فيها « لا أعلم انى رأيت أعظم منها مدينة ولا أكثر أموالا وأحسن أحوالا » فاستحال ذلك كله بتخريب التتر اياها فى سنة ٦١٧ (١٢٢٠) . وقد حدثت فى سدود النهر العظيم فتوق عظيمة وتحولت مياه جيحون الى مجرى جديد ، على ما سنبينه فيما بعد ، وغمرت المياه المدينة كلها . ولما سارت عنها جحافل المغول قال ياقوت فيها « لم يبق فى ما بلغنى ، الا معالمها ، وقتلوا جميع من كان بها » . على ان قصبة خوارزم ما عتمت ان نهضت

(٢) ان موضع الفيل مشكوك فيه جدا . وقد جاء اسمها فى نقود الخلفاء الامويين كدار للضرب . وعلى واحد من هذه النقود تاريخ سنة ٧٩ (٦٩٨) .

من كبوتها بعد بضع سنين ، فابتنى الناس بلدا قريبا منها ، وكان ذلك فى سنة ٦٢٨ (١٢٣١) على ما جاء فى تاريخ ابن الاثير المعاصر لتلك الايام ، قال : « وعمرُوا مدينة تقارب مدينة خوارزم ، عظيمة » . وكان قبل الغزو المغولى لهذه الارحاء ، على ما ذكر ياقوت وغيره ، مدينة تعرف بكركانج الصغرى . وسماها الفرس كركانجك على نحو من ثلاثة فراسخ من القصبة كركانج الكبرى . ومن المحتمل ، على ما يظهر ، ان خوارزم الجديدة ، قد اختير لها موضع كركانج الصغيرة .

وسرعان ما صارت خوارزم الجديدة قسبة الاقليم . وصفها المستوفى وابن بطوطة فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) . وذكر القزوينى ، وهو ممن كتب فى النصف الاخير من المئة السابقة ، ان أهل كركانج (الجديدة) ، « أهل الصناعات الدقيقة كالحداد والتجار وغيرهما . فانهم يبالغون فى التدقيق فى صناعاتهم ، والسكاكون يعملون الآلات من العاج والآبنوس ، لا يعمل فى غير خوارزم الا بقرية يقال لها طرّوق من أعمال أصفهان . وساؤها يعملن بالابرة صناعات مليحة كالخياطة والتطريز والاعمال الدقيقة » . وقال القزوينى أيضا : « ومن عجائبها زراعة البطيخ الذى لا يوجد مثله فى شىء من البلاد حلاوة وطيبا » . وقد أيد هذا الامر أيضا ابن بطوطة .

وقال المستوفى ، وقد سُمى هذه المدينة باسمها الشائع أركنج ، وكذلك خوارزم الجديدة ، انها على عشرة فراسخ (ولعله وهم فى ذلك ، ويريد عشرة أميال) من اركنج العتيقة . ورأى ابن بطوطة ، معاصره ، خوارزم (على ما سُمى البلدة) مدينة من أعظم المدن وأجملها ، لها الاسواق المليحة والشوارع الفسيحة « وهى ترتج بسكانها لكثرتهم وتموج بهم موج البحر » . ولها سوق يقال له الشور ، وهو بناء عظيم بالقرب منه الجامع والمدرسة . وفيها مارستان كان له حين زيارة ابن بطوطة « طيب شامى يعرف بالصهيونى ، نسبة الى صهيون من بلاد الشام » . وما كادت المئة الثامنة (الرابعة عشرة) تأذن بالختام ، الا واجتاح تيمور مدينة خوارزم هذه وتركها قاعا صفصفا بعد حصار دام ثلاثة أشهر . الا ان تيمورلنك أمر بتجديد بنائها فكمل ذلك فى سنة ٧٩٠ (١٣٨٨) . وكان أبو

الغازى أمير خوارزم ، وسألتى قريبا على ما قاله فى مجرى جيحون الاسفل ، يعقد مجلسه فى مطلع المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) فى هذه البلدة ، وهى التى يسميها أركنج . قال فيها انها بلد حسن كثير البساتين . الا انه بعد هذا الزمن تربعت مدينة خيوه فى مكانها ثم صارت قصبة الاقليم الجديدة . أما خرائب اركنج هذه ، أى المدينة التى ابتيت بعد الغزو المغولى ، فهى المعروفة اليوم باركنج العتيقة (كهنة اركنج) (٣) .

أما خيوه - وهى التى أخذت فى عهد الرؤساء الازبك بعد زمن تيمور تحجب بالتدريج مدينة اركنج وصارت قصبة خوارزم وشمل اسمها مع الايام الاقليم كله - فقد ذكرها غير مرة بلدانيو المئة الرابعة (العاشرة) بأنها بلدة صغيرة . كانت تهجئة اسمها القديمة خيوق ، وكان هذا الاسم هو الشائع حتى زمن ياقوت . قال فيها المقدسى « خيوه ، على فم المفازة ، رجة ، على شعبة من النهر (تأخذ من يسار جيحون) ، بها جامع عامر » فكانت فى المئة الرابعة (العاشرة) موضعا ذا شأن . وتكلم ياقوت ، وقد قال ان اسمها يلفظ أيضا خيوق ، على حصنها وقال ان أهلها فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) شافعية « دون جميع بلاد خوارزم فانهم حنفية » .

وفى هذا الزمن اشتهرت خيوه بانها بلد الشيخ نجم الدين الكبرى ، وكان قد أبلى بلا عظيما فى الدفاع عن أركنج بازاء المغول حتى قتلوه [سنة ٦١٨ هـ] فصارت تربته موضعا يزوره الناس للتبرك وهى بالقرب من اركنج على ما ذكر ابن بطوطة فى القرن الذى تلا استشهاده . وذكر على اليزدى مدينة خيوه ووصف مغامرة وقعت لتيمور فيها أيام شبابه . وقد أمر بعد زمن بتجديد أسوار خيوق

(٣) زار انطونى جنكنسى Anthony Jenkinson مدينة اركنج (Urgence) بحسب تهجئته) فى سنة ٩٦٦ (١٥٥٨) أى قبل زمن ابى الغازى بنصف قرن . وقال فيها انها مدينة حسنة لها أسوار يقدر دورها بأربعة أميال . انظر Hakluyt: Principal Navigations (١٩٠٣) ٢ : ٤٦٣ : البلاذرى ٤٢١ : الاصطخرى ٢٩٩ و ٣٠٠ : ابن حوقل ٣٥٠ و ٣٥١ : المقدسى ٢٨٨ : ياقوت ٢ : ٥٤ : ٣ : ٩٣٣ : ٤ : ٢٦١ . أبو الفداء ٤٧٩ . ابن الاثير ١٢ : ٢٥٧ و ٣٢٣ . القزوينى ٢ : ٣٤٩ . المستوفى ١٩٧ و ٢٣٤ . ابن بطوطة ٣ : ٣ - ٦ . على اليزدى ١ : ٢٩٨ و ٤٤٨ . جهان نما ٣٤٥ . ابو الغازى ١١١ . وراجع أيضا Geographical Magazine لسنة ١٨٧٤ ص ٧٨ .

(على ما كانت تسمى حينذاك) • وفى المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) ذكر أبو الغازى هذه المدينة مرارا ، وقد عاش فيها أحيانا كما عاش أيضا فى كات (أو كاث) عند عدم مقامه فى اركنج • واستمرت خيوه بالتعاظم منذ أيامه حتى اليوم ، فأصبحت الآن قصبة الاقليم المعروف باسمها^(٤) •

أما هزازاسب (ومعناها بالفارسية « الف فرس »^(٥)) فهى فى سمت خيوه ، الا انها أقرب منها الى ضفة جيحون اليسرى • وهى موضع ذو شأن قد حافظ على اسمه دون ما تغير منذ الفتح الاسلامى حتى هذا اليوم • ذكر المقدسى فى المئة الرابعة (العاشرة) انها فى نحو من خيوه كبرا ، لها أبواب خشب وخندق • وتكلم ياقوت عليها وقد كان فيها سنة ٦١٦ (١٢١٩) قائلا هى قلعة حصينة ومدينة جيدة ، فيها أسواق كثيرة وبزازون وأهل ثروة ، وكان الماء محيطا بها كالجزيرة « وليس اليها الا طريق واحد على ممر قد صنع » يقبل اليها من نواحي اركنج قاطعا السهلة الممتدة من ضفاف جيحون •

وفى نحو من نصف الطريق بين الطاهرية - حيث تبدأ أراضي الدلتا الزراعية - وهزازاسب ، يخترق نهر جيحون مضيقا جبليا يقال له اليوم ديوه بويون (أى رقبة الجمل) وهو فى جروف جبلية عالية يضيق النهر عندها « حتى يعود عرض الماء الى نحو من الثلث » • وقد سمي الاصطخرى هذا الموضع أبو قشه أو بوقشه ، وزاد على ذلك قوله « هو موضع يخاف على السفن منه من شدة جريه والهور الذى عند مخرجه » • اما المستوفى ، وقد سمي هذا الموضع تنك دهان سير (مضيق فم الاسد) ، فقال ان جرفى المضيق المتقابلين لا يتعدان عن بعضهما أكثر من مئة « گز » (أى : ذراع) • وعلى جانبه الايسر رباط • وفى أسفل هذا الموضع يجرى جيحون ، حسب قوله ، تحت الارض مسافة فرسخين فلا يرى منه شئ • •

وبين الطاهرية وهزازاسب ثلاث مدن على ضفة جيحون اليسرى ، كانت على

(٤) المقدسى ٢٨٩ ؛ ياقوت ٢ : ٥١٢ ؛ القزوینی ٢ : ٣٥٥ ؛ ابن بطوطة ٣ : ٦ ؛ على اليزدى ١ : ٦٢ و ٤٤٩ ؛ أبو الغازى ١١٢ و ٢٩٤ •
(٥) قال المؤلف وهما ان معناها مئة فرس (م) •

بعض الشأن فى العصور الوسطى : فعلى الجادة ، أسفل الطاهرية بمرحلة ،
جكربند ، تحفّ بانهارها الاشجار والبساتين • وفيها ، على ما ذكر المقدسى ،
جامع حسن فى وسط سوقها • وعلى مرحلة أخرى شمالها قرب مضيق نهر
جيحون ، مدينة درغان • قال فيها المقدسى انها تقارب الجرجانية كبرا « لها جامع
حسن ليس بالناحية مثله ، فيه جواهر رفيعة وتراويق حسنة » والمدينة تمتد
فرسخين على الشط ، حولها الكروم نحو من خمسمئة • وكانت درغان أول
مدينة عظيمة فى خوارزم تقوم على الطريق الآتى من مرو • وذكر ياقوت ، وقد
كان فيها سنة ٦١٦ (١٢١٩) ، « هى مدينة على جرف عال وذلك الجرف على
سن جبل ... وبينها وبين جيحون مزارع وبساتين لأهلها ، وبينها وبين نهر
جيحون نحو ميلين • بناحية البر منها رمال » • وبين درغان وهزاراسب تقوم
سدور على ضفة النهر وهى حصينة وبها جامع وسط البلد ، وحولها أرباض^(٦) •

وأول الانهار العظيمة فى خوارزم كان يأخذ من ضفة جيحون اليمنى أى
الشرقية فى موضع بازاء درغان وكان يقال له گاوخواره وتفسيره « أكل البقر »
وكان يحمل السفن وعمقه نحو من قمتين وعرضه خمس ، ويجرى شمالا فيسقى
كثيرا من المزارع حتى كاث • ومما يلى مخرجه بخمسة فراسخ ، كان يحمل منه
نهر صغير يسمى نهر كرية « يعمر به بعض الرساتيق » • وذكر المقدسى أربع
مدن قليلة الشأن تقوم على الجانب الشرقى هذا من جيحون بين الواحدة
والاخرى نحو من مرحلة يوم فى الرساتيق جنوب كاث • وكانت أبعدا • عن
كاث : مدينة نوکفاغ وكانت فى وسط الانهار ، وهى مدينة حسنة قرب شفير
المفازة • وأقرب منها الى كاث كانت اردخيوة ولعلها تطابق الموضع الذى سماه
ياقوت حصن خيوة وقال انه يبعد خمسة عشر فرسخا عن خيوة الجانب الغربى •
وكانت اردخيوة « على قم البرية عليها حصن بباب واحد تحت جبل » • وكانت
وايخان حصنا أيضا حولها خندق « وعلى الابواب عرّادات » • وهى على مرحلة
أيضا نحو الشمال • ثم تليها غردمان وكانت على مرحلة من كاث « عليها حصن

(٦) الاسطخرى ٣٠٤ : ابن حوقل ٣٥٤ : المقدسى ٢٨٨ و ٢٨٩ : ياقوت ٢ : ٥٦٧ : ٤ : ٩٧١ •

المستوفى ١٩٨ و ٢١٣ •

ولها بابان وخندق ملآن من الماء سعته رمية سهم *
 وكان يأخذ أيضا من غرب جيحون ، أى يساره ، جملة أنهار ، أولها نهر
 يمر بهزاراسپ ويسقى رساتيقها * وهو نهر تجرى فيه السفن وان كان نحو
 من نصف سعة كاوخواره * وكان يعود مرتدا فى انعطاف دائرى لو تابع اتجاهه
 لوصل مدينة آمل * وعلى فرسخين من شمال هزاراسپ ، يأخذ من جيحون نهر
 كردران خواش ويمر بمدينة باسمه ، وكانت فى نصف الطريق بين هزاراسپ
 وخیوه وهو أكبر من نهر هزاراسپ * ومدينة كردرانخاس (على ما سماها
 المقدسى) حولها خندق ولها أبواب خشب * ومن شمال ذلك كان يحمل منه أيضا
 نهر خیوه ، وهو نهر أكبر من سابقه تجرى فيه السفن الآتية من جيحون الى هذه
 المدينة * ويحمل منه أيضا نهر رابع من موضع يبعد عن شمال نهر خیوه ، وهو
 نهر مدرا ، وهو ضعف نهر كاوخواره الآخذ من ضفته الشرقية ،
 وكان يسقى مدينة مدرا وما جاورها *

وكاث ، قصبة الاقليم الشرقية ، على ما بيّنا ، بعيدة عن جيحون ، على
 نهر يقال له جردور كان يأخذ من جيحون على شىء يسير من جنوب المدينة *
 وعلى فرسخين شمال كاث كان يأخذ من ضفة جيحون اليسرى ، أى الضفة
 الغربية ، نهر وذاك الكبير (وجاء اسمه أيضا وداك أو ودان) وكان يحمل السفن
 الى نحو الجرجانية قصبة خوارزم الغربية * ومخرج نهر وداك على نحو من
 ميل شمال مخرج نهر مدرا * وكان يأخذ من يسار جيحون فى شماله أيضا ،
 نهر آخر يسمى نهر بوّه (أو بوه وبويه) ويجتمع مأؤه وماء وداك فى الشمال
 الغربى على غلوة من قرية تعرف بأندريستان على نحو من مرحلة يوم من جنوب
 الجرجانية * وكان وداك أكبر من بوّه وتجرى فيهما السفن الى الجرجانية « ثم
 يكون هناك سكر يمنع السفن » من مواصلة سيرها شمالا * وكانت على ضفافه
 سدود عظيمة قد انشئت لتقى المدينة من طغيان مياهه ، على ما بيّنا (٧) *

وكان الطريق الذاهب شمالا من خیوه الى الجرجانية فى العصور الوسطى ، يتخلل

(٧) الاصلطخرى ٣٠١ و ٣٠٢ : ابن حوقل ٣٥٢ و ٣٥٣ : المقدسى ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩٢ و ٢٩٣ :

ياقوت ٢ : ٥١٢ : ٤ : ٢٣٠ *

كثيرا من المدن الكبيرة التي لم يبق منها أثر اليوم . فعلى مرحلة من خيوه كانت أرثخشميشن أو راختشميشن وهى التى ذكر ياقوت ، وقد أقام فيها سنة ٦١٦ (١٢١٩) ، انها مدينة كبيرة ذات أسواق عامرة ونعمة وافرة « وهى فى قدر نصيين (من أعمال الجزيرة) الا انها أعمر وأهل منها » . والظاهر ان المغول قد خربوها فى غزوهم لها . والى شمال هذه المدينة : روزوند كانت على ما ذكر المقدسى « متوسطة فى الرقعة ، محصنة بخندق . . . ، وشربهم من عين لهم . . . ، والجامع على طرف السوق » . فاذا جاوزنا قرية أندريستان ، بلغنا مدينة نوزوار وهى عند ملتقى نهر وداك بنهر بوه على مرحلة جنوب الجرجانية . قال المقدسى « نوزوار صغيرة ، عليها حصن وخندق . . . ، لها بابان (حديد) وجسر يرفع كل ليلة . والجامع فى الاسواق . . . ، وعلى باب المدينة الغربى حمام ليس بالاقليم مثله » ولعلها هى المدينة التى سماها ياقوت نوزكات ، ومعناه على قوله « كاث الجديدة » أو « الحائط الجديد » . وقد أزال المغول هذه المدينة عن آخرها بعد أن غادرها ياقوت بمدة قصيرة . وزمخشىر ، بين نوزوار والجرجانية ، وقد كان فى هذه المدينة فى المئة الرابعة (العاشرة) جصور عند أبوابها ترفع « وعليها حصن وخندق ومحبس وأبواب محددة والجامع ظريف » . وفى المئة السابعة (الثالثة عشرة) قال ياقوت فيها انها قرية جامعة اشتهرت لأن الزمخشىرى صاحب التفسير المعروف قد ولد فيها سنة ٤٦٧ (١٠٧٥) ومات سنة ٥٣٨ (١١٤٤) . وقد زار ابن بطوطة قبره فيها فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وذكر ان زمخشىر على مسافة أربعة أميال من أرگنج الجديدة . والى شمال أرگنج كانت تربة نجم الدين الكبرى ، وقد مرّ ذكرها . وبلى هذه البلدة أيضا ، وعلى خمسة فراسخ من الجرجانية ، عند شفير المفازة ، تحت الجروف العالية فى الجانب الغربى لنهر جيحون ، مدينة جيث أو جيث وقد ذكرها البلدانون الاولون غير مرة . وهى كبيرة واسعة الرساتيق لا تبعد كثيرا عن ضفة النهر اليسرى بازاء مزمينية وهى على أربعة فراسخ من يمين النهر . ويبدو ان جيث كانت فى الموضع الذى قامت فيه مدينة محدثة يقال لها وزير (أو شهر وزير) . وربما قد حلت محلها بعد فترة من الاضطراب الذى اتسببها فى اثناء الفتوحات المغولية وحروب تيمور . وكثيرا ما ذكر أبو

الغازى مدينة وزير ، كما ذكرها جهان نما . والى ذلك فمن المحتمل ان شهر وزير هذه هى المدينة التى زارها انطونى جنكنسن (Anthony Jenkinson) ووصفها باسم محرف بعض التحريف وهو سليزور (Sellizure) أو شيزور (Shaysure) حين كان يجوب بلاد خوارزم فى المئة العاشرة (السادسة عشرة)^(٨) .

وفى ضفة جيحون اليمنى ، على نحو من أربعة فراسخ شمال كاث ، كان يأخذ أول الانهار الاربعة المادة شمالا ، وبعد أن يجرى مسافة قليلة ، يلتقى به الانهار الثلاثة الصغيرة الاخرى ، فتؤلف مياهها المجتمعة نهر "كردَر" ويقال أن هذا النهر ، وقد كان بكبر نهر وداك وبوه ، فى الجانب الغربى ، كان من سواعد نهر جيحون فى الاصل يجرى نحو الشمال الشرقى الى بحر آرال . وكان يقال للرساق الذى فيما بين مجرى نهر جيحون نفسه ونهر كردر رساق مزداخگان (أو مزداخقان) وكانت تسقيه أنهار صغيرة كثيرة تأخذ من يمين جيحون . ويقال انه كان فى هذا الرساق اثنا عشر ألف قرية ، وقصبته كردر . وقد وصف المقدسى هذه البلدة بقوله انها بلدة كبيرة حصينة جدا ، حولها قرى كثيرة وبرارى واسعة ترعى فيها الماشية . وعلى مرحلة يومين منها ، عند حد خوارزم الشمالى الشرقى ، قرية كبيرة يقال لها قرية براتكين (أو فراتكين) وبالقرب منها مقالع الحجارة التى تحمل الى أنحاء خوارزم للبناء . وقد كان فى براتكين فى المئة الرابعة (العاشرة) أسواق عامرة وجامع حسن . وفى غرب هذه المدينة كانت مزمينية ، وتبعد أربعة فراسخ من يمين جيحون بازاء جيث . ومن هذه المدينة حتى ساحل بحر آرال ، لا يرى بناء ولا قرية ولا أرض مزروعة ، الا مناقع يكثر فيها القصب تقع عند فم نهر جيحون العظيم^(٩) .

وفى المئة الرابعة قبل الميلاد ، فى زمن فتوحات الاسكندر الكبير فى آسية الغربية ، كان جيحون ، على ما وصف به آنذاك ، يصب فى بحر قزوين ، ولم

(٨) الاصطخرى ٣٠١ : ابن حوقل ٣٥٢ : المقدسى ٢٨٩ : ياقوت ١ : ١٩١ : ٢ : ٩٤٠ .
٨٢٢ : ابن بطوطة ٣ : ٦ : ابو الغازى ١٩٥ : جهان نما ٣٤٦ : مكلوبت .
Hakluyt, Principal Navigations 2,461.

(٩) الاصطخرى ٢٩٩ و ٣٠٣ : ابن حوقل ٣٥٠ و ٣٥٣ : المقدسى ٢٨٨ : ياقوت ٤ : ٢٥٧ .

يكن البلدان يونان يعرفون شيئا عن بحر آرال على ما يظهر • أما متى جرى تبدل مجراه من بحر قزوين الى بحر آرال فغير معروف • ومع ان نهر جيحون اليوم مثل سيحون يصب في بحر آرال ، فان عقيقه القديم الذي كان يتجه الى بحر قزوين ما زالت معالمه موجودة وتعينها خوارطنا الحديثة • وقد ارتاده جماعة في أيامنا • كان مجرى جيحون في صدر العصور الوسطى ، على ما وصفه البلدان يونان العرب في المئة الرابعة (العاشرة) هو مجراه الحالى في جملته • الا ان عقيقه القديم الماد الى بحر قزوين قد ذكره المقدسى ، فقال : في القديم كان العمود ينتهى الى مدينة خلف نسا في خراسان يقال لها بلخان (أو أبو الخان) • ثم انه بعد المقدسى بقرنين ونصف عاد جيحون ثانية الى مجراه الاقدم على ما يظهر • وهذا ما أفادنا به المصنفون الفرس المعاصرون لذلك الزمن • ومن ثمة ، فالحقيقة التى لا يشك فيها هى ان نهر جيحون - فيما عدا فضلة من مائه تحملها بضعة انهار صغيرة الى بحر آرال - كان منذ أوائل المئة السابعة (الثالثة عشرة) حتى نحو من ختام المئة العاشرة (السادسة عشرة) ، يصل الى بحر قزوين ، جاريا في عقيقه القديم الذى كان أيام الاسكندر الكبير • وان كان هذا المجرى اليوم بل منذ نهاية المئة العاشرة (السادسة عشرة) قد تعطل ثانية وصار جافا في الغالب •

وجاء في تاريخ ابن الاثير ، على ما قد بينا ، ان جحافل المغول بثقت السدود في سنة ٦١٧ (١٢٢٠) للاستيلاء على أرگنج بعد ان حاصرتها خمسة أشهر ففمرت مياه جيحون وفروعه هذه المدينة ومنذ ذلك الحين أخذت مياهها تجري من شرق هذه المدينة في غير مجاريها الاولى • لقد عمت المياه سطح البلاد كلها وبعد مضي زمن أخذت المياه الفائضة تنصرف باتجاه الجنوب الغربى مائلة عقيق جيحون القديم وجارية في خطه المنخفض الى بحر قزوين عند منقشلاخ • وكان ياقوت ، وهو ممن عاصر تلك الاحداث ، قد تكلم على هذه المدينة قائلا انها قلعة حصينة تقوم على ساحل بحر طبرستان (أى قزوين) ، الذى يصب فيه جيحون ، حسب قوله • وهذا الدليل المستخلص من اشارات عابرة قد عززه وأيده المستوفى في المئة الثامنة

(الرابعة عشرة) • فانه فى سياق وصفه مجرى جيحون ، ذكر انه وان كان جزء قليل من مياهه ما زالت تحملها الى بحر آرال أنهار تأخذ من يمينه ، فان عموده بعد أن يمرّ بأركنج القديمة ينحدر مارا بعقبة عالية يقال لها حَكَمَ يسمع هدير انصباب الماء عندها من مسافة فرسخين ، ومن هذا الموضع يجرى مسيرة ستة أيام حتى يصب فى قزوين (بحر الخزر) عند خلخال وفيها يصاد السمك •

وموضع عقبة حلم التى يطلق عليها الترك ، على قول المستوفى ، اسم كرلاوه (أو كرلادى) قد ذكرها المستوفى فى مسالكه ، لان بلدة حلم الجديدة تقوم فى نحو من نصف الطريق بين أركنج القديمة التى خربها المغول قبل قرن من زمنه وأركنج الحديثة التى ابنتت فى مكانها • والى ذلك ، فان المستوفى فى كلامه على بحر قزوين ووصفه للميناء الذى فى جزيرة أبسكون (أنظر الصفحة ٤١٩ - ٤٢٠) ، قال ان هذه الجزيرة قد اختفت فى أيامه فى البحر لأن جيحون الذى كان يصب قبلا فى البحيرة الشرقية (أى آرال) مما يلى بلاد ياجوج وماجوج ، قد غير مجراه منذ الفتح المغولى فصار يصب اليوم فى بحر الخزر (أى قزوين) • وبما ان هذا البحر الاخير لا منفذ له ، فان سطح الماء فيه قد ارتفع وغمر الارض اليابسة (أى جزيرة أبسكون) •

وما ذكرناه أعلاه قد أيدته الاخبار التى كتبها عن جيحون فى سنة ٨٢٠ (١٤١٧) حافظ ابرو ، فقد كان من رجال حكومة شاه رخ ابن تيمور وخلفه وهو ولا شك كان حسن الوقوف على جغرافية هذه البلاد بما اطلع عليه بنفسه • فقد كتب فى السنة المذكورة فى كلامه على موضعين متباينين ، ان جيحون الذى كان قديما يصب فى بحيرة خوارزم (أى آرال) قد اتخذ له مجرى جديدا ، فصار الآن ينحدر مارا بكرلاوو ، وتسمى أيضا أقرنجه ، الى بحر الخزر (أى قزوين) • وزاد على ذلك ان بحر آرال فى أيامه كاد أن يختفى • ثم ان روى كنزاليز دى كلافيجو (Ruy Gonzalez de Clavijo) السفير الاسباني الذى زار هذه البلاد سنة ٨٠٨ (١٤٠٥) أى قبل ان كتب حافظ ابرو أخباره بضع سنين ، قد عزز ذلك بما بيّنه عن ان جيحون « يصب فى بحر باكو » وهذا لا يعنى الا

قزوين • على ان مما ينبغي الاشارة اليه ، ان كلافيجو لم يكن فى ما كتبه فى هذا الشأن الا راويا ما نقل اليه •

اما سبب عودة جيحون الى ان يصب فى بحر آرال ثانية فغير معروف • ولكن هذا التحول العظيم لا بد ان حدث قبل ختام المئة العاشرة (السادسة عشرة) ، لان أبا الغازى ، وهو من أهل أرگنج ، قد أشار الى ذلك وكان الامر قد كان حقيقة راهنة فى سنة ٩٤٨ (١٥٧٦) أى قبل مولد أبى الغازى نفسه بنحو من ثلاثين سنة • فقد ذكر ان جيحون فى التاريخ المذكور قد اتخذ له مجرى جديدا ، وبعد ان يعطف أسفل من خست منارهسى (أى برج خست) ، يتجه رأسا الى بحر آرال وبهذا التحول قد جعل الاراضى التى بين أرگنج وبحر قزوين صحراء ماحلة • وفى موضع آخر من كتابه ، فى سياق كلامه على الأزمنة الاولى ، ذكر فى جملة حوادث سنة ٩٢٨ الى ٩٣٧ (١٥٢٢ - ١٥٣١) ان الطريق من أرگنج الى أبو الخان على قزوين كان كله حقولا مزروعة وكروما تحفّ بما كان حينذاك مجرى جيحون الاسفل • على ان الظاهر ، ان أبا الغازى ، يعين حصول التغير فى مجرى النهر فى زمن متأخر كثيرا • ذلك ان أنطونى جنكسن حين طوافه فى روسيا الى خيوة فى سنة ٩٦٦ (١٥٥٨) تكلم على نهر جيحون فقال انه يصب « لا فى بحر قزوين ، على ما كان حاله فى الأزمنة السالفة » • فانه حين رآه كان هذا النهر العظيم قد اتخذ مجراه رأسا الى بحر آرال « بحيرة كئي (Kithay) أى الخطا » (١٠) •

(١٠) المقدسى ٢٨٥ ؛ ياقوت ٤ : ٦٧٠ ؛ المستوفى ١٩٧ ، ٢١٣ ، ٢٢٥ ؛ جهان نما ٣٦٠ ؛ حافظ ابرو ٢٧ ب ، ٣٢ ب ، أبو الغازى ٢٠٧ و ٢٩١ ؛ كلافيجو ، Embassy ص ١١٨ Hakluyt, Principle Navigations ٢ : ٤٦١ و ٤٦٢ فى « رحلة انطونى جنكسن » •
Das Alte Bett des Oxus (Leiden 1875)

بحث البروفسور دى غويه فى
فى تنفيذ أقوال البلدانين الفرس ، وانتهى الى ان جيحون كان فى غضون العصور الوسطى جميعها ، يصب فى بحر آرال على نحو ما هو اليوم • ومهما يكن من أمر ، فان البيانات الدالة على ان قسما من مياه جيحون كان يجرى فى العقيق القديم الى قزوين خلال مدة تزيد على ثلاثة قرون ، لا يمكن ادحاضها • ولنا ان نزيد على ذلك ان السر هنرى رولنسن ، الذى درس هذه القضية وهو جغرافى يتتبع الحقائق بنفسه ومطلع اطلاعا تاما على ما كتبه المصنفون العرب والفرس ، يصر على الرأى القائل ان جيحون كان فى خلال تلك القرون العديدة يصب فى قزوين دون أى ريب • ومما ينبغي قوله ، ان شيئا من الالتباس قد حدث من الاسماء المتباينة التى أطلقها البلدانون المسلمون على قزوين وآرال • فانهم أشاروا الى قزوين بوجه عام باسم بحر الخزر نسبة الى قبائل الخزر التى حلت فى سواحله البعيدة ،

وأهم تجارات خوارزم ، الطعام والحبوب والفواكه • وهى بلاد خصبة • ويرتفع منها قطن كثير ، ومن أغنامها الصوف • وترعى فى مناقعها قرب آرال قطعان الماشية • وكان يحمل منها اصناف كثيرة من الجبن واللبن • وفى أسواق الجرجانية أشهر أنواع الفراء وأغلاها • وتجلب اليها من بلاد البلغار على الفولجا • وذكر المقدسى وغيره اصنافا كثيرة منها • ومما اشتملت عليه : فراء الدلق (أو الدله) والسمّور والثعالب ونوعين من القندس • وكذلك فراء السنجاب وقاقوم (قاقون) والفتك وابن عرس ، وتعمل منها الحلل الطويلة والقصيرة • ويحمل منها جلود الارانب والمعزى المدبوغه • وكذلك جلود الحمر الوحشية •

ومن غلات خوارزم وصناعاتها : الشمع ولحاء شجر والحوار الأبيض المسمى التوز وهو يتخذ غلافا للدروع ، وغراء السمك وأسنان السمك والعنبر والخلنج والعسل والبندق والسيوف والدروع والقسي • وعرفت خوارزم أيضا بالبزاة • ويرتفع منها أيضا عنب وعنّاب وسمسم كثير • ويعمل فيها البسط وثياب اللحف والديجاج المنسوج من القطن والحرير • وتحمل منها الأزر والمقانع من القطن والحرير وغيرها من الثياب الملونة • والحدادون يعملون الاقفال • وتنتج فيها السفن من جذوع الاشجار وتتخذ للملاحة فى الانهار الصغيرة الكثيرة • على ان أهم تجارات خوارزم فى المئة الرابعة (العاشرة) كانت جلب الرقيق ، فقد كانوا يشترون أو يسرقون أولاد وبنات الأتراك من بدو تلك البرارى ، وبعد أن يعلّموهم ويؤدّبوهم بالآداب الاسلامية ، يجلبون منها الى سائر بلاد الاسلام فكانوا يتولون ، على ما يروى التاريخ ، أجل مناصب الدولة ووظائفها^(١١) •

ولكنهم سموه أيضا بحر طبرستان أو مازندران أو بحر أبسكون أو جرجان ، نسبة الى أسماء الاقاليم المختلفة المعروفة التى تكتنف سواحله • وسمى قزوين أحيانا ، خطأ ، باسم دريا قلزم • ولكن قلزم كان الاسم الذى أطلق على البحر الاحمر • اما آرال فكانوا يسمونه بوجه عام باسم بحيرة خوارزم وكذلك بحيرة الجرجانية (قصبة خوارزم) وما أسهل ما يقرأ هذا الاسم الاخير خطأ بصورة جرجان ، مما ولد التباسا كبيرا بين قزوين (بحر جرجان) وآرال (بحيرة الجرجانية) • وكان آرال يعرف أيضا لدى البلدانين الفرس باسم دريا شرق (أى البحر الشرقى) • على ان هذا كله لا ينقض الحقائق التى دونها واضحا المستوفى وحافظ أبرو وأبو الغازى •
(١١) الاصطخرى ٣٠٤ و ٣٠٥ : ابن حوقل ٣٥٤ : المقدسى ٣٢٥ •

الفصل الثالث والتسعون

الصفد

بخارا والمدن الخمس داخل أسوارها - بيكند - سمرقند - جبل البتم ونهر
زرفشان أي نهر الصفد - كرمينية - دبوسية وربنجن - كش
ونسف والمدن المجاورة لهما - غلات الصفد وتجارته -
مسالك ما وراء جيحون حتى
سمرقند .

يمكن القول ان اقليم الصفد ، وهو صفديانا Sogdiana القديمة ، كان
يشمل الاراضي الخصبة في ما بين نهري جيحون وسيحون ، التي كانت تسقيها
مياه نهريين ، هما زرفشان أي نهر الصفد ، وعليه كانت تقوم سمرقند وبخارا ،
والنهر المنساب حيال مدينتي كش ونسف . وكان هذان النهران ينتهيان الى منافع
أو بحيرات ضحلة في المقافة الغربية من جهة خوارزم . مع ذلك ، فانه لمن الأوجه
أن يعد الصفد اسما للرساتيق المحيطة بسمرقند . فان بخارا وكش ونسف كانت
كل واحدة منها تعد كورة بذاتها .

وكان الصفد ، يحسب احدى جنان الدنيا الاربع ، وقد بلغ أوج ازدهاره
في النصف الاخير من المئة الثالثة (التاسعة) في أيام الامراء السامانيين . ومع ذلك
فقد ظل هذا الاقليم في المئة التالية لها ، في خصب ويسار لا نظير لهما . وكانت
أجل مدنه : سمرقند وبخارا ، ويمكن القول ان الأولى كانت مركزه السياسي ،

بينما كانت بخارا عاصمته الدينية • الا ان كلا من المدينتين كانتا فى مرتبة واحدة وتعدان قصبتى الصفد^(١) •

وكان يقال لبخارا أيضا : نومجكت^(٢) • كان عليها فى المئة الرابعة (العاشرة) سور سعة « نحو فرسخ فى مثله » • وهى مدينة فى مستواة من الارض ، على مسافة قصيرة من جنوب عمود نهر السفد • ولا جبال بالقرب منها ، وحولها كثير من المدن والقصور والبساتين والمحال ، يجمعها حائط سعة اثنا عشر فرسخا فى مثلها ، ويزيد دوره على مئة ميل • ويشق ما يضمه هذا السور العظيم نهر السفد والانهار الكثيرة الآخذة منه •

اما مدينة بخارا نفسها ، فلها فى خارج السور الى شماله الغربى ، قهندز متصل بها ، « وهو فى مقدار مدينة صغيرة • وفيه مساكن الولاة والجنس والخزانة » • وفى خارج المدينة وحولها ، أرباض واسعة تمتد حتى عمود النهر وتحف بضفته الجنوبية • ومن أجلها الارباط التى فى شرقها ، وهى : درب التوبهار ودرب سمرقند ودرب الراميشة وغيرها من الدروب التى لا مجال لذكرها لكثرتها ، ولا يمكن اليوم تعيين مواضعها الصحيحة • ولسور المدينة سبعة أبواب : باب المدينة ، وباب نور (أو نوز) ، وباب حفرة ، وباب الحديد ، وباب القهندز ، وباب مهر ، وباب بنى أسد وآخرها باب يعرف بنى سعد^(٣) • أما مواضع هذه الابواب فغير معروفة ، الا ان باب قهندز ينبغى ان يكون فى الشمال الغربى وهو المفضى الى الريگستان ، السهلة العظيمة أى رجة بخارا وقد اشتهرت فى كل زمان •

وبابا القلعة هما : باب الريگستان أى باب السهل ، وباب الجامع وهذا

(١) الاصطخرى ٣١٦ : ابن حوقل ٣٦٥ : المقدسى ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٦٨ - ٢٦٨ : ياقوت ٣ : ٣٩٤ •
(٢) هذه التهجئة للاسم ، وكذلك نومجكت ، هى الصحيحة • وكثيرا ما يكتب خطأ بصورة نومجكت (وذلك من تصحيف النساء) • أنظر : المقدسى ٢٦٧ الحاشية ب • اما التهجئة الصحيحة فقد ضبطها الحجاج الصينيون الذين ذكروا بخارا باسم نى Numi •

(٣) عدد أبواب بخارا حسبما ذكر المؤلف ثمانية لا سبعة • والظاهر انه اعتمد فى عددها على الاصطخرى وابن حوقل فانهما أشارا الى ان للمدينة سبعة أبواب ولكنها سميّا لها ثمانية ، الا المقدسى فقد ذكر ان للمدينة سبعة أبواب وسرد لها سبعة اسماء وليس باب مهر بينها • (م) •

الآخر كان يفضى الى المسجد الجامع القائم فى الريگستان على باب القهندز المار
الذكر . وكان يشق الارباض عشرة دروب ، ينتهى كل درب ببابه ، وقد عنى
كل من الاصطخرى والمقدسى بسرد أسمائها . والى ذلك فقد كان للمدينة أبواب
أخرى عديدة تقوم فى سككها وشوارعها تفصل بين الاحياء المختلفة . وكثير من
هذه الابواب حديد . وكان المسجد الجامع بالقرب من القلعة . وللمدينة أيضا مساجد
صغيرة متعددة وأسواق وحمامات ورحاب لا تحصى . وفى ختام المثة الرابعة
(العاشرة) كانت دار الامارة فى ظاهر القلعة فى رجة كبيرة يقال لها الريگستان .
وقد أسهب ابن حوقل فى ذكر أنهار المدينة الآخذة من يسار نهر السغد ، التى
تسقى بخارا وبساتينها ورساتيقها ، ثم تفنى أخيرا فى المفازة التى فى الجنوب
الغربى قرب بيكند فى طريق آمل ، فلا يصل نهر منها الى جيحون . وكان المجرى
الاسفل للنهر فى هذا الموضع يقال له سامخاس أو خواش^(٤) .

وترى خرائب بخارا القديمة التى كانت فيما قبل الاسلام ، على بضعة أميال من
شمال غربى المدينة الاسلامية قرب ضفة النهر . ويقال لهذه الخرائب ريامين ،
قال فيها المقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) : « هى بخارا القديمة ، كبيرة خربة
الاطراف » . وكان فى داخل السور الكبير (أى حائط بخارا) الذى يجمع سهلة
بخارا خمس مدن زاهرة ، منها : « خجدة أو خجادة وهى على فرسخ غرب الدرب
المنحدر من بخارا الى بيكند ، على ثلاثة فراسخ من القصبة . وصفها المقدسى بقوله
« كبيرة ، عليها حصن فيه الجامع ، حسنة ظريفة » . وتليها بلدة مفكان ، وكانت
على خمسة فراسخ من بخارا وثلاثة من الدرب لصق الجانب الغربى من السور
الكبير . وكان لمفكان « حصن وربض حسن وجامع ظريف به ماء جار ، كثيرة
القرى » .

وكانت تمسجكت أو تمسكت (وغالبا ما كتبت وهما بصورة بمجكت
وبومجكت) مدينة صغيرة فى شمال غربى بخارا على أربعة فراسخ منها ونصف
فرسخ عن الدرب الذى الى يسار الطريق الذاهب الى طواويس . والطواويس

(٤) الاصطخرى ٣٠٥ - ٣٠٩ ؛ ابن حوقل ٣٥٥ - ٣٥٨ ؛ المقدسى ٢٨٠ و ٢٨١ ؛ ياقوت

(وتكتب معرفة في الغالب) أعظم المدن الخمس التي في داخل السور الكبير • وكانت مدينة جلييلة « لها سوق ، ومجمع عظيم يتنابه الناس من أقطار أرض خراسان في وقت معلوم من السنة • ويرتفع منها من ثياب القطن ما يحمل منه لكثرتة الى العراق • وفيها قهندز ، والمدينة عليها حصار ، ومسجد جامعها في المدينة » • وآخر المدن الخمس الداخلة ، كانت زندنه ، وما زالت قائمة الى يومنا ، قيل انها تبعد عن شمال بخارا أربعة فراسخ • « لها حصن به الجامع وربضها عامر » • وزاد ياقوت على ذلك ان اليها تنسب الثياب الزندنجي وهي ثياب مشهورة في الآفاق •

وعلى فرسخين من خارج السور الكبير وخمسة من بخارا ، في الطريق المنحدر الى جيحون عند فربر ، مدينة بيكندوما زالت قائمة • كان على بيكند في المئة الرابعة (العاشرة) « حصن بباب واحد وجامع في محرابه جواهر » ولها ربض فيه سوق ولم يكن لها قرى ، انما فيها عدد كبير من الربط قيل انه يبلغ الألف • وبلى المدينة مفازة رملية الى حد جيحون •

وحافظت بخارا على مكائنها الرفيعة في أوائل العصور الوسطى ، ولكن في سنة ٦١٦ (١٢١٩) ادركها الغزو المغولي فنهب المدينة ودمرت عن آخرها • ولم تنهض مما أحاق بها من دمار وخراب مدى قرن ويزيد • وفي أوائل المئة الثامنة (الرابعة عشرة) حين زار ابن بطوطة الموضع ، نزل في ربض يقال له فتح آباد • وكان معظم الجوامع والمدارس والاسواق ، على الحال المشبعة التي كانت عليها حين غادرها جنكيزخان • وفي الواقع ان بخارا لم تستعد شيئا من ازدهارها السابق الا في ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) في عهد تيمور فقد اتخذ سمرقند عاصمة له واستعادت بخارا أختها شيئا من سابق بهائها^(٥) •

أما سمرقند ، فكانت في أعلى النهر ، على نحو من ١٥٠ ميلا من شرق بخارا ، تقوم على مسافة قصيرة من ضفة نهر السغد الجنوبية على نشز من الارض • وعلى

(٥) الاصطخرى ٣١٣ - ٣١٥ : ابن حوقل ٣٦٢ - ٣٦٤ : المقدسى ٢٨١ و ٢٨٢ : ياقوت ٧٣٧ و ٧٨٤ : ٢ : ٩٥٢ : ابن بطوطة ٣ : ٢٧ : E. Schuyler في Turkistan ٢ : ٨٩ •

المدينة سور حوله خندق عميق ولها قلعة مرتفعة عن الارض ، وفي أسفلها قرب النهر أرباض كبيرة ، تحف بها البساتين والاشجار ، « وقل دار تخلو من بساتين ولا دار الا وفيها ماء جار الا القليل » . وتكثر فيها أشجار السرو . وفي القلعة دار الامارة والحبس ، ولكن حين كتب ابن حوقل كان الخراب قد استحوز على أكثر هذه القلعة . وقد كان عليها « باب حديد من داخله باب آخر حديد » على ما ذكر ياقوت . أما المدينة نفسها فلها أربعة أبواب ، هي : باب الصين في جهة المشرق ، « ينزل عنه بدرج كثيرة العدد ، مطل على نفس وادى السغد » . وباب بخارا في جهة الشمال ، وباب النوبهار في جهة المغرب ، وهو على النسر أيضا . والباب الكبير ويعرف أيضا بباب كش في جهة الجنوب .

ومساحة المدينة ، على ما ذكر ياقوت ، ٢٥٠٠ جريب (أى ٧٥٠ اكرا) ، فيها الاسواق والحمامات . ولهذه المدينة مساكن كثيرة « وماء جار يدخل اليها في نهر من رصاص ، وهو نهر قد بنيت له مسناة عالية من حجارة يجرى عليها الماء من الصفارين حتى يدخل من باب كش ، ووجه هذا النهر رصاص كله » . وسوق سمرقند الكبير يعرف برأس الطاق كان سوقا رحبا وفي أسفل القلعة المسجد الجامع ودار الامارة . ودورها قد بنى كلها بالخشب والطين . وكانت المدينة مكتظة بالسكان .

وأرباض سمرقند تمتد بامتداد ضفة النهر ، في بسيط من الارض ، وعليها سور نصف دائرى طوله^(٦) فرسخان ، يحيط بها من ناحية البر ، والنهر من ناحية الشمال ، احاطة القوس بالوتر ، فيتم بذلك خط دفاعها . وللربض ثمانية أبواب تفضى منها دروب مختلفة ، هذه أسماؤها : أولا باب شداود ، ثم باب أشبسك ، ثم باب سوخشين ، وباب أفشينه ، يليه باب كوهك (أى باب الجبل) ويفضى الى النسر حيث المدينة والقلعة . يليه باب ورسنين ، فباب ريودد . وأخيرا باب فرخشيد . ومجمع أسواق الربض رأس الطاق في المدينة « والبلد كله : طريقه

(٦) جاء في الاصلخرى عن هذا السور قوله (ص ٣١٧) : « ويكون قطر السور المحيط بربض سمرقند فرسخين » . وقال ابن حوقل فيه أيضا (ص ٤٩٣ من الطبعة الثانية) : « وقطر هذا السور المحيط بالربض نحو فرسخين في فرسخين » . (م) .

وسككه وأسواقه ، الا القليل ، مفروش بالحجارة » . وكانت أسواق ربضها مجمع
التجارات ، زاخرة بالسلع الواردة اليها من جميع الانحاء ، فقد كانت سمرقند
فرضة تجارية عظيمة لبلاد ما وراء النهر . ومن جملة ما اشتهرت به الكاغد
السمرقندى ، فهو يحمل منها الى سائر بلاد الشرق ، وكانت صناعته قد دخلت
اليها من الصين . وهواء سمرقند رطب ، ولكل دار فى المدينة وربضها بستان
« حتى انك اذا صعدت أعلى القلعة لم تبد المدينة للنظر لاستتارها بالبساتين
والاشجار » . وفى جنوبها جبل صغير يقال له كوهك يمتد طرفه الى مرحلة يوم
عن المدينة .

ويرجع سبب الخراب الوقتى الذى حلّ بسمرقند الى المغول ، على ما أوقعوه
فى سائر أنحاء ما وراء النهر . فقد خربوا معظم البلد فى سنة ٦١٦ (١٢١٩)
حتى ان ابن بطوطة لما زارها فى المئة التالية لذلك الزمن ، قال فيها « لا سور لها
ولا أبواب عليها » ، وأكثر دورها خراب والقليل منها آهل . وقد سمي نهرها
(أو لعله أراد نهرا كان يأخذ من نهر السغد) نهر القصّارين « عليه النواير » .
ومع ذلك فقد استعادت سمرقند مجدها السابق بعد ذلك بقليل ، وذلك فى ختام
المئة الثامنة (الرابعة عشرة) حين اتخذها تيمور عاصمة له فجدد البلد وشيّد
المساجد وأقام الربط ، وقد شاهد ذلك كله السفير الاسباني كلافيجو Glavijo
فى سنة ٨٠٨ (١٤٠٥) وما زال بعض ذلك قائما الى يومنا . وذكر على اليزدى
ان مسجدتها الجامع قد أنشأ تيمور عند عودته من فتح الهند فكان مردّ بهائه
وجماله الى ما وضعه فيه من غنائم تلك الحملة . ووصف كلافيجو سمرقند فى هذا
الزمن بقوله انها يحيط بها سور طين وان كبر البلد فى نحو مدينة اشبيلية ،
موطنه (٧) .

أما رساتيق سمرقند فكان جلها فى شرقها وجنوبها ، وبعضها فى شمال نهر
السغد ، وكلها خصبة وافرة الخيرات . فعلى تسعة فراسخ من شرق سمرقند

(٧) الاصطخرى ٣١٦ - ٣١٨ ؛ ابن حوقل ٣٦٥ - ٣٦٨ ؛ المقدسى ٢٧٨ - ٢٧٩ ؛ القزوينى
٢ : ٣٥٩ ؛ ياقوت ٣ : ١٣٤ ؛ ابن بطوطة ٣ : ٥٢ ؛ على اليزدى ٢ : ١٩٥ ؛ كلافيجو فى كتابه
Embassy ص ١٦٩ .

«مثل ذلك من جنوب النهر ، مدينة بنجيكت ، (ما زالت قائمة حتى اليوم باسم بنجكد) حولها رستاق كثير الثمار خصب ، مشجر باللوز والجوز . وتمتد حقول القمح على الانهار . وبين هذه المدينة وسمرقند ، القرية الكبيرة ورغسر ورستاقها خصب تسقيه أنهار تأخذ من نهر السفد . وفي الناحية الجنوبية من القصة كان رستاق مائة - رغ فيه قرية ريودد على فرسخ من سمرقند ، ويجاوره رستاق سنجرفن . » وليس في جميع الرستاق أكثر قرى وأشجارا وخيرات منه (أى مايمرغ) . « والى جنوبه ، الرستاق الجبلى المعروف بجمال السوادار وهو أصح رستاق الاقليم هواء . وفي هذا الرستاق ، على ما ذكر ابن حوقل ، « صخر للنصارى - ربما كانوا من النساطرة - يعرف بوزکرد » . وكان يزار كثيرا ، ودخله عظيم . وكانت الاودية التى فى هذه الجبال ، فى غاية الخصب ، وعلى أنهارها تنبت القرى ، وخيراتها وافرة . ورستاق الدرغم « أزكى الرستاق وأكثرهن مراعى ومياها . ويفضل من أعنابه ما يحمل الى غيرها من الرستاق » . وعلى حده كان رستاق أوفر أو أبغر ، وهو « رستاق ، عامته مباحس ، كثير القرى ، أهله أصحاب مواش » ، قطره نحو من فرسخين وهذا الرستاق هو آخر الرستاق فى جنوب سمرقند والنهر .

وفى شمال ضفة نهر السفد ، فى تخوم أشروسنة ، رستاق بوزماجن أو بوزماجز ، ومدينته باركت أو أباركت ، وهى على أربعة فراسخ أو مرحلة يوم من سمرقند الى شمالها الشرقى . وعلى أربعة فراسخ أخرى شمالا ، كشفقن وهى قرية ذات شأن عرفت فى الازمنة الاخيرة برأس القنطرة . ويلها رستاق بورتند ، أو فورند ، وهو يتاخم أشروسنة ، ويليه رستاق ياركت وهو أعلى الرستاق الشمالية . وتكثر فى هذين الرستاقين المراعى .

وعلى سبعة فراسخ من شمال سمرقند ، مدينة اشتيخن ، لها قهندز وربض وأنهار تأخذ من نهر السفد ، وهى مشهورة بكثرة زروعها . ونعتها الاصطخرى يقلب السفد لخصبها . وعلى سبعة فراسخ أخرى شمالا كانت الكدشانية أو كسانى ، وهى أعمر مدن السفد ، وأهلها من ذوى اليسار والثراء . والى شمالها أيضا ،

رستاق كبوذنجكت ، وهو على ما ذكر ياقوت يبعد فرسخين عن سمرقند ، ومدينته يقال لها لنجوغكت . وعلى ظهر هذا الرستاق ، رستاق وذار وأرضه جبلية ومدينته على اسمه ، وفيها يعمل الثياب الودارية القطنية . وأخيرا رستاق المرزبان « وهو المرزبان بن تركسفي » من دهاقين الصغد ، أى نبلائه . ويتصل هذا الرستاق برستاق وذار^(٨) .

أما نهر السفد ، أو زرفشان (ناشر الذهب) على ما يسمى به اليوم ، فإن منابعه فى جبال يقال لها البُتْمُ ، وهو يفصل بين أنهار إقليم الصغد من جهة وأنهار الصفانيان ووخشاب من جهة أخرى وقد مر ذكرهما فى الفصل الثانى والثلاثين ، وهما من روافد يمين نهر جيحون . وسفوح جبل البتم وان كانت عالية شديدة الانحدار ، فإن القرى كانت تنبث فوقها ، وفيها معادن الذهب والفضة وكذلك يستخرج منها الحديد والزنبق والنحاس والآتاك والنفط والقيز ، ويحمل من هذا الرستاق الزفت والقيروزج « وحجارة تحرق عوضا عن الفحم » والنوشاذر . والنوشاذر يجمع من غار يرتفع فيه بخار ، ذكر الاصطخرى ان فى الجبل « مثل الغار ، يبنى عليه بيت ، ويستوثق من أبوابه وكواه ، فيرتفع من الغار بخار يشبه بالنهار الدخان وبالليل النار ، فاذا تلبد هذا البخار ، قلع منه وهو النوشاذر . ولا يتهاى لاحد أن يدخله من شدة حره الا ان يلبس لبودا ويدخل بها كالمختلس . وهذا البخار يتنقل من مكان الى مكان فيحفر عليه حتى يظهر ، فاذا انقطع من مكان حفر عليه من مكان آخر فظهر منه »^(٩) .

ومبدأ نهر السفد فى موضع يقال له جن أو جى ، وهو « مثل بحيرة حوالها قرى ، وتعرف الناحية ببرغر » أو ورغر ، فينصب النهر من البحيرة بين جبال حتى ينتهى الى بنجيكت ثم ينتهى الى مكان يعرف بورغسر « وتفسيره رأس السُكْر » فى لغتهم . لان عنده تشعب من النهر أنهار تسقى سمرقند ورستاقها التى فى شمال نهر السفد . ومن الانهار الآتية الى سمرقند اثنان يحملان السفن ، وقد

(٨) الاصطخرى ٣٢١ - ٣٢٣ : ابن حوقل ٣٧١ - ٣٧٥ : المقدسى ٢٧٩ : ياقوت ١ : ٢٧٧ : ٢ : ٤٤٧ و ٨٩٠ : ٤ : ٢٣٤ و ٢٧٦ و ٩٤٤ .
(٩) الاصطخرى ٣١٢ و ٣٢٧ : ابن حوقل ٣٦٢ و ٣٨٢ .

سرد ابن حوقل أسماء هذه الانهار المختلفة والرساتيق التي تسقيها وما فيها من قرى •

وكان على النهر فى سمرقند قنطرة حجارة يقال لها قنطرة جرد، كانت مياه الفيضان أحيانا تغمرها كلها • ويأخذ من النهر أسفل سمرقند أنهار أخرى تسقى الرساتيق التي حول الدبوسية وكرمينية • وسنصفهما الآن • ثم يصل نهر السغد الى قرب بخارا ، فيسمى النهر فى هذا الموضع بنهر بخارا ، وكان يأخذ منه فى ظاهر سور بخارا الكبير أنهار تسقى المدينة وما يليها من أرضين • وقد سرد ابن حوقل أسماء هذه الانهار أيضا وما عليها من قرى وبعض هذه الانهار يؤلف شبكة للسقى تعود مياهها الى عمود النهر ، بينما كان غيرها يفنى بعد السقى ، وهو ما كان فى الجنوب الغربى • والمعروف ان الانهار الكبيرة التي كانت تصل مدينة بخارا يصلح كلها لسير السفن^(١٠) •

وكان بين بخارا وسمرقند فى ضفة السغد الجنوبية ثلاث مدن كبيرة فى المثة الرابعة (العاشرة) ، هى كرمينية (وما زالت قائمة) والدبوسية وربنجن • أما كرمينية فهى على مرحلة بريد شرق الطواويس فى ظاهر السور الكبير ، وهى أكبر من الطواويس وأعمر وأكثر عددا ، ولها قرى كثيرة ، وأراضيها خصبة وانهارها وافرة تأخذ ماءها من نهر السغد • وقد ذكر ياقوت كثرة أشجارها • وعلى مرحلة بريد من شرقها ، مدينة الدبوسية وهى كذلك على نهر يأخذ من ضفة السغد الجنوبية ولكنها لا قرى كبيرة فيها ولا أعمال لها •

وبلدة خديمَنَكَن ، كانت تبعد فرسخا عن كرمينية وغلوة عن شمال الطريق العام • وعلى ضفة السغد الشمالية ، على فرسخ فوق خديمكن ، بلدة مذيامشكت • وكانت أسفل منها بفرسخ قرية خرغانكت وهى على ضفة النهر الشمالية بازاء كرمينية ولا تبعد عنها غير فرسخ • وهذه القرى الثلاث ، كانت من الكبر فى المثة الرابعة (العاشرة) بحيث ان لكل منها مسجدا جامعا • وذكر ياقوت ان خديمكن « تختص بأصحاب الحديث » • اما اربنجن ، أو ربنجن ،

(١٠) الاصطخرى ٣١٠ - ٣١٢ و ٣١٩ - ٣٢١ ؛ ابن حوقل ٣٥٩ - ٣٦١ و ٣٦٨ - ٣٧١ •

فعلى مرحلة بريد من شرق الدبوسية وأكبر منها • وإلى شرقها أيضا ، فى نصف الطريق بين ربنجن وسمرقند ، على سبعة فراسخ من هذه القصبه ، كانت زرمان • هذا ، وقد سرد المقدسى أسماء عدد كبير من المدن الصغيرة الاخرى حول بخارا ، ووصفها • ولكن مما يؤسف عليه انه لم يذكر المسافات بينها ليتسنى تأشير مواضعها (١١) •

وفى الناحية الجنوبية من نهر السغد ، يجرى نهر مواز له ، وينتهى مثله فى مناقع بيد أنه أقصر منه ، يقال له اليوم كُشْكِه دريا ، وعليه تقوم شهر سبز وقرشى • كانت شهر سبز (أى المدينة الخضراء) فى العصور الوسطى ، تعرف باسم كُشْ • قال فيها ابن حوقل : « مدينة لها قهندز وحصن وربض • ومدينة أخرى متصلة بالربض » لعلها هى المعروفة اليوم بكتاب • وكان يقال لها قديما المصلى ، فيها الخانات ودار الامارة • وفى ربضها الاسواق • « والحبس والمسجد الجامع فى المدينة الداخلة ، ومقدارها نحو ثلث فرسخ فى مثله (أى ربع ميل مربع) ، وبنائها من طين وخشب ، وهى مدينة خصبة جدا ، جرومية ، تدرك فيها الفواكه أسرع مما تدرك بسائر ما وراء النهر ، وتأتى بواكيرها الى بخارا » • ولمدينة كُشْ الداخلة أربعة أبواب هى : باب الحديد ، وباب عبيد الله ، وباب القضاين ، والرابع باب المدينة الداخلة • وللمدينة الخارجة بابان ، أحدهما باب بركتان « وبركتان قرية ينسب إليها الباب » ، وباب المدينة الخارجة (١٢) •

والنهر المعروف اليوم بنهر كُشْكِه كان يقال له فى المئة الرابعة (العاشرة) نهر القصارين « ويخرج من جبل سَيَّام ويجرى فى جنوبى المدينة » أى مدينة كُشْ • ويجرى فى شمالها نهر أسرود • وفى ما يلى طريق سمرقند ، على فرسخ ، كان يقطع هذا الطريق نهر يقال له جاي رود ، وإلى جنوبه ، على فرسخ من كُشْ فى طريق بلخ ، نهر خُشْك رود (أى النهر الجاف) • وفى ما يلى

(١١) الاصلخرى ٣١٤ و ٣١٦ و ٣٢٣ : ابن حوقل ٣٦٣ و ٣٦٥ و ٣٧٥ : المقدسى ٢٨٢ : ياقوت ٢ : ٤٠٦ و ٩٢٥ : ٤ : ٣٦٨ •

(١٢) ذكر المؤلف الباب الثانى بهذا الاسم مستندا الى المقدسى (ص ٢٨٢) • ولكن ابن حوقل (ص ٥٦١) سماه باب المدينة الداخلة (م) •

هذا النهر ، على ثمانية فراسخ منه ، نهر خزار رود . وهذه الانهار ، بعد أن تسقى رساتيق كش ، تجتمع فضلاتها فتصير نهرا واحدا يمر بمدينة نسف . وكان « طول عمل كش نحو أربعة أيام فى مثلها » . وهو معروف بوفرة خصبه . وفى الجبال المجاورة لكش : الملح « وبها يسقط المن المسمى الترنجيين والعقاير الكثيرة » وكانت تحمل الى كثير من آفاق خراسان . واشتهرت كش فى الازمنة الاخيرة بان فيها ولد تيمور الذى جدد فى أواخر المئة الثامنة (الرابعة عشرة) المدينة وبنى فيها القصر الابيض - آق سراى - وكان يؤثر الإقامة فيه . وفى هذا الزمن عرفت كش باسم شهر سبز (المدينة الخضراء) وما زالت تعرف به حتى اليوم (١٣) .

وعلى مئة ميل ونيف فى منحدر النهر أسفل كش من ناحيتها الغربية ، المدينة المعروفة اليوم باسم قرشي وكان يسميها عرب القرون الوسطى نسف والفرس نخشب . كان لنسف فى المئة الرابعة (العاشرة) قهندز ، وربض عامر فى ظاهر المدينة ، له سور وأربعة أبواب هى : باب التجارية وباب سمرقند وباب كش وباب غوبدين . وتقوم نسف على النهر الذى يتألف ، على ما بينا ، من مجتمع فضلات أنهار عديدة تأتي من رساتيق كش . وعلى ضفته : دار الامارة ، عند الموضع المعروف برأس القنطرة . وحبسها عند دار الامارة ، والمسجد الجامع قرب باب غوبدين . « وأسواقها فى الربض مجتمعة ما بين دار الامارة ومسجد الجامع والمصلى بناحية باب التجارية داخل الباب » . وقد أطرى المقدسى كثرة أعذاب نخشب الجيدة وتكلم على أسواقها الحسنة . وكانت مزارعها خصبة وبساتينها كثيرة . الا انها « ليست لها قرى كثيرة ولا نواح » مثلما كان لكش .

وعرفت نسف أو نخشب فى التاريخ بأنها موطن المقنع - نبي خراسان - الذى نهض فى النصف الاخير من المئة الثانية (الثامنة) وصنع العجائب . فقد كان يصعد من بشر فى نخشب ليلة بعد ليلة القمر أو ما هو مثل القمر ، فكان الناس يتعجبون من ذلك . وكان الفرس يلقبون المقنع بـ « ماه سازنده » أى صانع

(١٣) الاصطخرى ٣٢٤ ؛ ابن حوقل ٣٧٥ - ٣٧٧ ؛ المقدسى ٢٨٢ ؛ على اليزدى ١ : ٣٠٠ و ٣٠١ .

القمر • وتروى الاخبار التاريخية ان فتنة اتباع المقنع قد عانى منها كثيرا قادة جيش الخليفة المهدي مدى سنين • أما مدينة نخشب ، فقد ابتنى فيها كيك خان بعد الغزو المغولي في المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، قصرا له في موضع على فرسخين من المدينة القديمة ، و « القصر » في اللغة المغولية يسمى « قرشى » فسرى هذا الاسم على الربض الذى قام حوله وحل محل نصف المدينة أى نخشب • نزل ابن بطوطة هنا فى أوائل المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، ووصف قرشى بانها بلدة صغيرة تحفّ بها البساتين • وفى ختام هذا القرن ، كان تيمور كثيرا ما يشتى فى قرشى ، ثم بنى قربها حصارا أى قلعة (١٤) •

وكان قرب نصف ، فى المئة الرابعة (العاشرة) وما بعدها ، مدينتان لكل منهما جامع ، صفراهما بزده أو بزدوه • لها قلعة قوية وهى على ستة فراسخ غرب نصف فى طريق بخارا • والاخرى ، وهى الكبيرة كسبسة ، كانت على أربعة فراسخ من نصف فى طريق بخارا • ولها أسواق عامرة على ما ذكر ياقوت • وكان الى ذلك ، بين نصف وكش ، على مرحلة بريد غرب المدينة الاخرى ، المدينة أو القرية الكبيرة المسماة نو قندقرش • وعلى مرحلة أخرى جنوب شرقى نصف ، فى الطريق الى باب الحديد (أنظر صفحة ٤٨٥) ، كانت « سوتنج » وهى قرية كبيرة • وفى جوارها على فرسخ منها : اسكيفن ، ويسقى هاتين القريتين نهر خزار وقد سبق ذكره (١٥) •

اما حاصلات اقليم الصفد وصناعاته ، فعديدة • فكان يرتفع من بخارا بطيخ فائق يحمل الى الآفاق ، ويرتفع منها أيضا البسط والمصليات والثياب الرخوة وثياب الفرش التى كانت تفرش فى حجرات الضيوف ، وكانت تنسج فى محابسها « حزم الخيل » وتدبغ فيها جلود الضأن ، ويرتفع منها الشمع ودهن الرأس وتحمل الى الآفاق • وأكثر ما اشتهرت به سمرقند : الكاغد • يعمل فيها ثياب

(١٤) الاصطخرى ٣٢٥ : ابن حوقل ٣٧٧ و ٣٧٨ : المقدسى ٢٨٢ : القزوينى ٢ : ٣١٢ : ابن بطوطة ٣ : ٢٨ : على اليزدى ١ : ١١١ •
(١٥) ابن حوقل ٣٧٦ - ٣٧٨ : المقدسى ٢٨٣ : ياقوت ١ : ٦٠٤ : ٣ : ١٩٧ : ٤ : ٢٧٣ و ٨٢٥ •

حمر وديباج وقر • وكان الصفارون يصنعون القدور العظيمة من النحاس ، وغيرهم يعملون الركب والسيور وأحزمة السرج وكذلك أصناف القماقم والقناني • ويحمل من رسائيقها البندق والجوز • وكان يرتفع من كرمينية بين بخارا وسمرقند : المناديل • ومن الدبوسية : ثياب وديباج • ومن ربنجن : اللبود الحمر ومصليات وطاسات والجلود وحبال القنب والكبريت ويرتفع منها أيضا أزر النساء^(١٦) •

ولقد بيّنا في الفصل الثلاثين (ص ٤٧٣) ، ان طريق خراسان كان يقطع جيحون مما يلي أموية الى فريز ، ومنها يتابع الى بيكند فيدخل باب السور الكبير الى بخارا • ومن هذه القصبة يصعد الطريق في محاذاة ضفة نهر السفد اليسرى الى سمرقند مارا بمدن هذه الناحية الكبيرة • وقد وصف هذا الجزء من الطريق جميع المصنفين القدماء باختلاف طفيف فيما بينهم • غير ان ابن حوقل والمقدسي ذكرا أيضا المسافات بين المدن الخارجة في رسائيق بخارا وسمرقند^(١٧) •

والطريق الذي يخترق خراسان الى بلخ (أنظر صفحة ٤٧٤) يعبر جيحون الى ترمذ ، وعندها يتشعب الى طرق مختلفة : ففي الشمال طريق يتخلل الصغانيان وقباذيان الى واشجرد • ومنها يعبر قنطرة الحجارة فيصل الى ناحيتي الوخش والختل • وفي الشمال الغربي ، يصعد طريق آخر من ترمذ الى باب الحديد • وفي ما يلي كسندك بمرحلة ، يتشعب : فالى الشمال يذهب الطريق الايمن الى كتش ومنها يبلغ سمرقند والى الشمال الغربى ينتهى الطريق الايسر الى نخشب • وهناك ينعطف فرع منه يتجه شرقا فيعود الى كتش • أما الطريق الكبير نفسه ، فانه يقطع المفازة الى بخارا • وقد وصف هذه الطرق ، مع ذكر المسافات القصيرة فى الغالب ، الاصطخرى وبعضها المقدسى^(١٨) •

(١٦) ابن حوقل ٣٦٤ : المقدسى ٣٢٤ و ٣٢٥ • قلنا : فى المقدسى (ص ٣٢٤) : « ومن ربنجن أزر الشتاء » وفى الحاشية « النساء » • وقد وهم المؤلف بقراءة لفظة « أزر » فجعلها فى المتن الانكليزى « أزر الشتاء » • (م) •
(١٧) ابن خرداذبه ٢٥ و ٢٦ : قدامة ٢٠٣ : الاصطخرى ٣٣٤ و ٣٤٢ : ابن حوقل ٣٩٨ و ٤٠٢ : المقدسى ٣٤٢ و ٣٤٣ •
(١٨) الاصطخرى ٣٣٧ - ٣٤١ : ابن حوقل ٣٩٩ - ٤٠٣ : المقدسى ٣٤٢ - ٣٤٤ •

وكانت دلتا جيحون فى اقليم خوارزم ، يصلها من آمل فى جانب خراسان طريق يصعد فى محاذاة ضفته اليسرى الى الطاهرية حيث يبدأ حد الزراعة ومنها يتابع الى هزاراسب . وهنا طريق يذهب يسارا مارا بخيوه الى الجرجانية (اركنج) . وطريق آخر ينعطف الى كاث والمدن التى على يمين جيحون . وقد وصف الاصطخرى والمقدسى هذه الطرق . وكذلك الطريق الذى يقطع المفازة نحو الجنوب الشرقى من كاث الى بخارا رأسا . والى ذلك ، فقد ذكر المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) طريقين يأتیان من الجنوب ويجتمعان فى اركنج ، فيذهب أحدهما شمالا من فراوة (هى الآن قزل اروات . أنظر صفحة ٤٢١) الى اركنج قاطعا المفازة . والآخر يذهب من مرو ويقطع المفازة أيضا ويجتاز فى مواضع كثيرة الرمال المتحركة حتى يصل الى الطاهرية على جيحون . وقد ذكر هذا الطريق الاخير أيضا جهان نما . ومن هزاراسب يكاد هذا الطريق يتابع الطريق نفسه ، الذى وصفه البلدايون العرب المنتهى بقصبة خوارزم فى الجرجانية^(١٩) .

(١٩) الاصطخرى ٣٣٨ و ٣٤١ و ٣٤٢ ؛ ابن حوقل ٤٠٠ و ٤٠٢ ؛ المقدسى ٣٤٣ و ٣٤٤ ؛ المستوفى ١٩٧ و ١٩٨ ؛ جهان نما ٤٥٧ .

الفصل الرابع والثلاثون

اقاليم نهر سيحون

اقليم اشروسنة - بونجكت وهى قصبته - زامين والمدن الاخرى - اقليم فرغانة - نهر جكسارتس
Jaxartes اى سيحون - اخسيكت وانديجان - اوش واوذكند والمدن الاخرى - اقليم
الشاش اى بنكت - بناكت اى شاه رخية والمدن الاخرى - ناحية ايلاق ومدينة
تونكت • ومعادن الفضة فى خشت - ناحية اسبيجاب - مدينة اسبيجاب
اى سيرام - جيمكند وفاراب اى اتراد - يسي وصبران - جند
وينفكت - طراز وميركى ومدن الترك النائية -
حاصلات اقاليم سيحون - المسالك
التي فى شمال
سمرقند •

اقليم اشروسنة - وكتب أيضا : أسروسنة وسروسنة وستروسنة - يقع فى
شرق سمرقند ، بين الرساتيق الممتدة فى محاذاة يمين نهر السغد والرساتيق التى
فى يسار نهر سيحون ، ولا يدخل هذان النهران ضمن اقليم اشروسنة • وأرض
الاقليم سهول وجبال ، ولا تتخللها أنهار كبيرة • أما حده الشرقى على ما ذكر
البلدانيون العرب ، فكان يامير (الفامر) •

وكانت قصبته مدينة اشروسنة ، ويقال لها أيضا بونجكت وبنجكت

وبونجكت ، وموضعها يطابق مدينة أراتيه^(١) الحالية . كانت بونجكت فى المثة الرابعة (العاشرة) « مدينة يحزر رجالها نحو عشرة آلاف رجل ، وبنائها طين وخشب ، ولها مدينة داخلية منها ، عليها سور بذاتها ، وسور على ربضها ، ولها سور آخر من وراء ذلك . وللمدينة الداخلية بابان : أحدهما يدعى باب الاعلى ، والآخر باب المدينة . وداخل المدينة القهندز والسجن ومسجد الجامع والاسواق . ويجرى بالمدينة الداخلة نهر كبير عليه رعى » . ويشتمل سورها المحيط بالربض ، أى المدينة الخارجة ، على الدور والبساتين ، ويبلغ دوره نحو من ثلاثة فراسخ . وكان لهذا السور أربعة أبواب ، هى : باب زامين ، وباب مرسمنده ، وباب نوجكت ، وباب كهلباذ . وكان لهذه المدينة ستة أنهار صغيرة تسقى اراضيها سرد ابن حوقل اسماءها . وجميع هذه الانهار « من منبع واحد وعين واحدة ، ويكون مقدار ما يدير عشر أرحية ، ومن المدينة الى منبع الماء أقل من نصف فرسخ » . وكانت المدينة مشهورة بكثرة النزه والبساتين .

وزامين ، وهى ما زالت قائمة ، الى الشرق من بونجكت . وهى على طريق خراسان الآتى من بخارا وسمرقند ، حيث يتشعب أخيرا الى طريقين : أحدهما يذهب شمالا الى الشاش (تاشكند) والآخر نحو الشمال الشرقى الى فرغانة وما وراءها . كانت زامين فى المثة الرابعة (العاشرة) تقارب القصبه بونجكت فى الكبير ، وهى مدينة قديمة جدا كانت تعرف باسم سوسنده أو سرسنده ، لها مسجد جامع وأسواق حسنة ، تحف بها البساتين والمزارع ، وليس عليها سور . وللمدينة نهر عليه جسور صفار . ومدينة ساباط ، ما زالت قائمة أيضا وهى بين زامين وبونجكت فى طريق فرغانة . قال فيها المقدسى « عامرة ، وبها عين مأوها جار ، يحدق بها بساتين »^(٢) .

(١) ينبغي ان لا يلتبس على القارىء اسم بونجكت ، قصبه اشروسنة ببنجيكت (بنجكت) التى فى شرق سمرقند . وقد عينت المسالك موضع قصبه اشروسنة (انظر : ابن خردادبه ٢٩ : قدامة ٢٠٧ والاصطخرى ٣٤٣) هذا فيما عدا الروايات المحلية اليوم التى تؤيد ذلك (انظر : Schuyler فى كتابه Turkistan ١ : ٣١٢) . الاصطخرى ٣٢٥ : ابن حوقل ٣٧٩ : المقدسى ٢٦٥ : ياقوت ١ : ٢٤٥ و ٢٧٨ و ٧٤٤ .

(٢) الاصطخرى ٣٢٦ و ٣٢٧ : ابن حوقل ٣٧٩ و ٣٨٠ : المقدسى ٢٧٧ .

أما مدن اسروشنة الاخرى ، فقد انتهت اليها اسماؤها ، ولكن دون ما وصف ، ومواضع أغلبها غير معروفة . فما زال منها قائما ، أو ما يمكن تعيين مواضعه من وصف المسالك ، هو ما يأتي : ديزك ، ويقال لها أيضا چیزك في شمال غرب زامين . والى جنوبها ، في الطريق من سمرقند ، مدينة خرقانة . وخواوس ، أو خواوص ، في الطريق الذاهب شمالا من زامين الى الشاش . وكركت على حدود فرغانة في نصف الطريق بين ساباط وخجندة . ولا يمكن تعيين موضعى المدينتين الصغيرتين منك ومرسمندة تعيينا صحيحا لان كتب المسالك لم تذكر ولا واحدة منهما . ولكن ينبغي ان تكون مرسمندة مجاورة للقصة ان استدللنا باب مرسمندة في بونجكت على ذلك . كانت مرسمندة في الجبال ، شديدة البرد ، لها ماء جار ، قليلة البساتين لارتفاع سطحها . ذكرها المقدسى فقال « بها أسواق عامرة ، الجامع على ناحية من السوق » ، وهى مدينة جليلة . والظاهر ان مدينة منك كانت فى جوارها . واشتهرت بانها الموضع الذى قاتل فيه قتيبة [بن مسلم] وهو القائد العربى فى الفتح الاسلامى الاول لما وراء نهر سيحون . « وهناك حصن يعرف بالافشين الاكبر وهو صاحب المعتصم ، وكان قد اتخذ له نزهته » . وفى ناحية منك ومرسمندة « تتخذ آلات الحديد التى تعم خراسان ويجهز الى العراق ، وذلك لان الحديد بفرغانة لين ممكن لما يراد قتيته فى أى صنعة قصد منه » (٣) .

كان نهر جكسارتس العظيم يسميه العرب ، على ما قد بينا (ص ٤٧٧) ، سيحون . على ان اسمه الاكثر شيوعا كان نهر الشاش (والشاش القديمة هى تاشكند) . وانما سمي بذلك لوقوع المدينة المهمة التى بهذا الاسم فى القرب من ضفافه . وذكر المستوفى انه فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كان المغول القاطنون فى هذه الارزاء يعرفونه باسم گل زريان . ومنذ ذلك الحين حتى يومنا هذا ، أطلق عليه الترك اسم سيردريا أو سيرصو (نهر سير) . وقد ذكره ابو الغازى بهذا الاسم .

(٣) الاصلطخرى ٣٣٦ و ٣٤٣ : ابن حوقل ٣٨١ و ٣٨٢ و ٣٨٣ : المقدسى ٢٧٨ : ياقوت ٢ : ٣٩٥

وذكر ابن حوقل ان نهر سيحون ، يخرج من بلد الترك ، وهو « يعظم من أنهار تجتمع اليه » تأتي من الجبال ويدخل وادي فرغانة العظيم من طرفه الشرقي في حدود اوزكند . ويمتد اقليم فرغانة نحواً من مئتي ميل ونيف الى شمال وجنوب مجراه الاعلى^(٤) . فاذا ما جرى نهر سيحون شرقاً استقبل روافد عديدة وهو يتخلل فرغانة ، هي : نهر خرشان ونهرا اُورست وقبا وكذلك نهر جدغيل ولعله هو نهر نرين الحالي ، وأنهاراً أخرى غيرها . فاذا جاوز أسوار أخسيكث القصبة وصل سيحون الى خجندة وعندها يبارح نهائياً اقليم فرغانة . ثم ينعطف شمالاً فيستقبل في يمينه نهرين يقال لهما نهر ايلاق ونهر ترك ، ويمرّ بغرب رستاق ايلاق والشاش . وفي ما يلي ذلك ، ينتهي سيحون الى رستاق اسيحجاب ثم اذا اجتاز مفاوز الغز والترك ، توزعت مياهه على أنهار عديدة حتى يقع في بحر آرال في القسم الشمالي الشرقي منه . وقد ذكر البلدانون العرب ان نهر سيحون صالح لسير السفن كنهري جيحون وان سيحون يجمد شتاء مدة أطول من جيحون فكانت القوافل تعبره . وكان يعد « نحو ثلثي جيحون »^(٥) .

أما اقليم فرغانة الذي كان الى وقت قريب يعرف بخانيّة خوقند ، وقد أعادت اليه الحكومة الروسية رسمياً اسمه القديم ، فكانت قصبته في أوائل العصور الوسطى مدينة أخسيكث ، وسماها ابن خرداذبه وغيره مدينة فرغانة . وهي تقوم على ضفة نهر سيحون الشمالية . وخرائب هذه المدينة شاخصة . وفي المئة العاشرة (السادسة عشرة) لما كان بابر حاكماً على فرغانة ، كانت مدينة الاقليم الثانية ، تعرف باسمها المختصر « اخسى » . وانديجان كانت هي القصبة حينذاك . قال ابن حوقل في مدينة أخسيكث ، انها مدينة واسعة لها قهندز وفيها الجامع ودار الامارة والحبس ولها ربض واسع . والمدينة الداخلة ميل في مثله ، فيها مياه جارية وحياض كثيرة . وفيها وفي ربضها أسواق ، وعلى ربضها سور . وللمدينة الداخلة خمسة أبواب ، هي : باب كاسان ، وباب الجامع ، وباب

(٤) ومن ثمة ، فان نرين هو أطول منابع نهر سير . ولم يكن العرب يعدونه عمود النهر .

(٥) ابن حوقل ٣٩٢ و ٣٩٣ : المقدسي ٢٢ : ياقوت : ٣ : ٢١٠ : المستوفي ٢١٥ : حافظ

ابرو ٣٣ : ١ : جهان نما ٣٦٠ : ابو الغازي ١٣ و ١٨١ و ٢٩٠ .

رهانة ، وباب لم يضبط اسمه ، ويمكن أن يقرأ بختر • وأخيرا باب المردقشة •
وكان يحف بالمدينة البساتين الملتفة مقدار فرسخين مما يلي أبواب ربضها •
وإذا عبرت جيحون وجدت في جانبه الجنوبي المروج والمراعى الكثيرة • والظاهر
ان اخسيكث قد استولى عليها الخراب كما استولى على مدن كثيرة في اقليم فرغانة
اثناء حروب محمد خوارزمشاه في مطلع المئة السابعة (الثالثة عشرة) • وما لم
تنله هذه الحروب بسوء قد دمرته غزوات المغول ، فانتقلت بعدها قسبة الاقليم
الى انديجان • وفي زمن تيمور ، ذكر على اليزدى اسمها بصورة اخسيكث أو
اخسيكث ، فاختصر هذا الاسم على ما بيّنا الى أخسى في أيام بابر (٦) •

أما انديگان (انديجان الحالية) ، فقد اتخذها ، على ما ذكر المستوفى ،
كيدوخان حفيد اغتاي بن جنكيز قسبة لفرغانة في النصف الاخير من المئة السابعة
(الثالثة عشرة) • وقد جاء الاسم انديگان أو اندُكان بين اسماء المدن التي سردها
ابن حوقل في المئة الرابعة (العاشرة) ، وكذلك ذكره ياقوت ، ولكن دون أن
نجد وصفا لهذه المدينة في مرجع ما ، وان أشار إليها علي اليزدى غير مرة في
كلامه على حروب تيمور • ويستبان من وصف المسالك ان مدينة قبا كانت في المئة
الرابعة (العاشرة) ، على ما يظهر ، موضعا ذا شأن ، ينبغي ان يكون قريبا من
انديجان • وقبا ، على ما في الاصطخرى ، تقارب اخسيكث في الكبر ، وهى من
أنزّه تلك المدن • ولها قلعة مكيّنة فيها الجامع في وسط ميدانها ، ولها ربض
فيه دار الامارة والجبس • وكان على الربض سور محيط به • وفيها أسواق

(٦) ابن خرداذبه ٣٠ : الاصطخرى ٣٣٣ : ابن حوقل ٣٩٣ و ٣٩٤ : المقدسى ٢٧١ : القزوينى
٣ : ١٥٦ : على اليزدى ١ : ٤٤١ : ٢ : ٦٣٣ •
أشارت الى أخسى ، الخارطة الروسية التي طبعتها Schuyler في كتابه « تركستان »
١ : ٣٣٦ ، وعينتها على مسافة قصيرة من جنوب غربى نمنكن الحديثة • اما « كت » أو « كاث »
التي تنتهى بها بعض الاسماء ، فتترادف « قند » أو « كند » • وكلتاها تريان في كثير من اسماء
الامكنة في آسية الوسطى ومعناها في اللغات التركية « مدينة » • وقد أصاب ياقوت (١ : ٤٠٤)
في التنويه بذلك • أنظر مثلا نوزكات (أى الحائط الجديد) في خوارزم المذكورة في صفحة ٤٩٧ •
قلنا : فسر ياقوت معنى مدينة اوزكند بقوله « ان كند بلغة أهل تلك البلاد معناه القرية ،
كما يقول أهل الشام الكفر » وقال في نوزكات « ونوز معناه بلغة الخوارزمية الجديد ، وكان معناه
الحائط الجديد • وهناك مدينة اسمها كاث ، فكانهم قالوا كاث الجديدة » ٤ : ٨٢٢ (م) •

كثيرة عامرة (٧) •

وفى نصف الطريق بين اخسيكث وقبا : مدينة اشتيقان ، لها جامع فى الاسواق • والى شرق قبا مدينة أوش ، وقد كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) موضعا عظيم الشأن • وفى قلعة اوش دار الامارة والحبس ، حسب المعتاد • وحول المدينة ربض وعلى الربض سور ، « وهى ملاصقة للجبل » • ولها ثلاثة أبواب ، هى : باب الجبل ، وباب الماء وباب 'مفكدة' • وكان جامعها فى رجة واسعة وسط الاسواق • والمدينة كثيرة الانهار التى تسقى أراضيها • وبالقرب منها جبل عليه « مرقب الاحراس على الترك » • وكان فى ما يلى أوش ، مدينة اوزكند ، وهى آخر مدن فرغانة شرقا • « وهى نحو ثلثى أوش ، ولها قهندز وبساتين ومياه جارية » • ولها ربض والاسواق فيه « وهى متجر على باب الاتراك » • و « على بابها نهر ... يحيط بربضها حائط له أربعة أبواب » وجامعها فى الاسواق •

وما هو فى جنوب نهر سيحون من اقليم فرغانة ، يقال له كورة نسيا أو نسائية • وهى اثنتان : العليا وسفلى بالنظر الى اختلاف مستوى سطحيهما • فالعليا فى الجبل • وكان فى نسائية السفلى مدينة مرغينان (مرغيلان الحديثة) وقد كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) « صغيرة وجامعها ناء عن الاسواق » • وفى الغرب منها رشتان وكانت فى ذلك الزمن كبيرة ولها جامع حسن • أما خوقند التى صارت فى الازمنة الحديثة قصبة فرغانة ونسبت اليها خانيتها ، فلم يرد ذكرها الا عرضا بين مدن نسائية العليا باسم خواكند أو خواقند •

أما خجندة ، فانها أول مدن فرغانة من الغرب ، اذا جئت من سمرقند تقوم على ضفة سيحون اليسرى • وعلى فرسخ من جنوبها : كند وهى ربضها • وخجندة مدينة « طولها أكثر من عرضها » ولها قلعة قوية فيها السجن ، وجامعها فى المدينة • ودار الامارة فى الميدان بالربض • قال فيها ابن حوقل « هى مدينة نزهة » • وأهلها لهم سفن يسافرون فيها فى سيحون • وكان ربض كند الخارج

(٧) الاصطخرى ٣٣٣ : ابن حوقل ٣٩٤ و ٣٩٥ : المقدسى ٢٧٢ : المستوفى ٢٢٨ : ياقوت ١ : ٣٧٥ : ٤ : ٢٤ : على اليزدى ٢ : ٦٣٣ •

يقال له كند بازام (أى كند اللوز) على ما ذكر القزوينى لان بها لوزا كثيرا
« وهو لوز عجيب ينقشر اذا فرك باليد »^(٨) .

أما مدن شمالى فرغانة ، أى ما كان منها فى يمين سيحون ، فلا يعرف من
أمرها فى الازمنة الاولى الا الشئ القليل . فقد ذكر المقدسى مدينة وانكث
فقال : لها جامع وأسواق حسنة . ويتبين من وصف المسالك ، ان وانكث كانت على
سبعة فراسخ من غرب اخسيكث وعلى فرسخ من ضفة سيحون ، لا تبعد كثيرا عن
حد ايلاق . وإلى شمال وانكث ، فى وسط الجبال ، كانت خيّر لم أو خيلام ، وهى
مدينة فى رستاق ميان روزان (أى ما بين الانهار) لها جامع حسن فى وسط
الاسواق . وإلى شمال هذه أيضا كانت شكيت أو سكت ، وهى على قول المقدسى
« كثيرة الجوز حتى ربما وجدت ألف جوزة بدرهم ، والجامع فى السوق » .
أما مدينة قاسان فما زالت قائمة . وصفها البلدانون الاولون بانها تقوم فى ناحية
مسماة باسمها ، وزاد ياقوت على ذلك ان لها قلعة حصينة ، وعلى بابها نهر يلتقى
هو وسيحون عند اخسيكث . وأبعد منها شمالا ، ناحية جدغل وكانت مدينتها
أردلانكث . وإلى شرق هذه ، ناحية كروان ، واسم مدينتها نجم . ونوه المقدسى
أيضا بجملته مدن أخرى ولكن مما يؤسف عليه انه لا يعلم شئ عن مواضعها^(٩) .
وإلى غرب فرغانة ناحية الشاش . وهى على ما بيننا ، على ضفة نهر سيحون
اليمنى أى الشمالية الشرقية . والخرائب المعروفة اليوم بتاشكند القديمة هى موضع
المدينة التى سماها العرب الشاش ، والفرس چاج . كانت فى العصور الوسطى
أعظم المدن العربية فى ما وراء سيحون . وكان يقال لمدينة الشاش أيضا بنكث^(١٠)
وذلك على غرار كثير من أسماء المدن فى بلاد ما وراء النهر ، فان لها تسميتين
ايرانية وتورانية .

وكان على مدينة الشاش فى المئة الرابعة (العاشرة) أسوار كثيرة ، فقد كان

(٨) الاصطخرى ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٤٧ : ابن حوقل ٣٩١ و ٣٩٢ و ٣٩٤ و ٣٩٥ : المقدسى ٢٦٢
و ٢٧٢ و ٣٤٥ : ياقوت ١ : ٤٠٤ : ابو الفداء ٤٩٨ : القزوينى ٢ : ٣٧٢ .
(٩) الاصطخرى ٣٣٤ و ٣٤٧ : ابن حوقل ٣٩٦ : المقدسى ٢٧١ و ٢٧٢ : ياقوت ٤ : ٢٢٧ .
(١٠) لعل ذلك من تصحيف اسم بيكث وقد ذكر ياقوت هذا الاسم (١ : ٧٤٦) .

لها مدينة داخلية ، لها قهندز أى قلعة تلاصقها • عليهما سور ، وفي خارج المدينة الداخلية ، الرض الداخل ، وعلى هذا الرض سور • ويليه أيضا الرض الخارج وفيه بساين وحقول كثيرة ، حوله سور ثالث • وأخيرا السور الكبير على غرار ما كان لبخارا ، يحمي الناحية كلها فيكون حول الشاش من ناحية الشمال بهيئة نصف دائرة يصل ما بين ضفة نهر الترك في الشرق وسيحون في الغرب •

فإذا عدنا الى المدينة الداخلية والقلعة ، وجدنا ان في القلعة دار الامارة والحبس ، ولها بابان أحدهما يفضى الى المدينة الداخلية والآخر الى الرض • وكان المسجد الجامع على سور القلعة • والمدينة الداخلية فرسخ في مثله ، وفيها بعض الاسواق ، ولها ثلاثة أبواب : باب أبى العباس ، وباب كش ، ولا شك انه كان يفضى الى الجنوب حيث يصل الطريق الآتى من سمرقند • وأخيرا باب الجنيد • وكان لسور الرض الداخل عشرة أبواب (ذكر المقدسى ثمانية فقط) • وللرض الخارج سبعة أبواب سرد ابن حوقل اسماءها • وكان في الرض الداخل أسواق مدينة الشاش • ويشق البلد أنهار وفي كثيرة تسقى البساين والاشجار التى فى داخل الاسوار •

أما السور الكبير ، فانه فى أقرب نقطة منه الى البلد ، كان يبعد فرسخا واحدا عن باب الرض الخارج • وهذا السور يبدأ فى الشرق من جبل على نهر الترك يقال له جبل سابلغ • كان يكتنف السهل الواسع المعروف بالقلاص • وقد بنى هذا السور عبدالله بن حميد لحماية الشاش من غارات الترك فى الشمال • وكان هناك على فرسخ مما يليه ، خندق عميق يمتد من الجبل على نهر الترك الى حافة سيحون فى الغرب • وكان الطريق من شمال الشاش الى اسيجاب يخترق هذا السور عند باب الحديد •

وفى أوائل المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، لحق الدمار بعض الشاش فى غضون فتوحات محمد خوارزمشاه ، ثم كان للغزو المغولى الذى أعقبها ما أضاف الى بؤس أهلها بؤسا على نحو ما حل بغيرها من البلدان • والظاهر ، ان المدينة سرعان ما صلح حالها مما ألم بها من بلايا ، فأصبحت موضعا ذا شأن فى المئة الثامنة

(الرابعة عشرة) حين وقف عندها تيمور بمساكره • وعلى اليزدى الذى ذكرها غير مرة فى وصفه حروب تيمور ، تطرق الى ذكرها بأسماء مختلفة مثل الشاش والجاج وتاشكنت ، ويظهر ان الاسم الاخير قد حرفه السكان الناطقون بالتركية من الشاش الى تاش • وتاشكنت معناه مدينة الحجر • وباسمها هذا قد اصبحت اليوم عاصمة تركستان الروسية (١١) •

ونهر الترك المعروف اليوم بنهر چرچك المار بجنوب شرقى الشاش ، يخرج ، على ما ذكر ابن حوقل ، من جبال جدغل فى شمال نهر نرين ومن بلد الترك اُخْرُخِيَّة الذى يقال له بسكام • وفى جنوبى هذا النهر كان يجرى نهر آخر بحدائه يسمى نهر ايلاق ، ويعرف اليوم بنهر انگرن • وأسفل من التقائه بنهر سيحون مباشرة ، تقوم مدينة بناكت ، ثانى مدن ناحية الشاش • ويقال لبناكت أيضا بناكت ، ويسمىها الفرس فناكت • ولم يكن لهذه البلدة فى المئة الرابعة (العاشر) حصن • والجامع فى سوقها • وكانت تقوم على ضفة سيحون اليمنى حيث كان طريق خراسان الآتى من سمرقند يعبر النهر الى الشاش • وقد بقيت موضعا كبير الشأن حتى المئة السابعة (الثالثة عشرة) لما خربها جنكيز خان • وبعد مضى قرن ونيف ، أى فى سنة ٨١٨ (١٤١٥) ، جدد شاه رخ حفيد تيمور مدينة فناكت ، فنسبت اليه وعرفت بـ « شاه رخية » ، وبهذا الاسم ذكرها علي اليزدى غير مرة •

وكان الطريق من بناكت شمالا الى الشاش ، يخترق مدينة جينانچك ، وهى على ضفة نهر الترك الجنوبية أى اليسرى على فرسخين فوق ملتقاه هو وسيحون • كانت هذه المدينة فى المئة الرابعة (العاشر) كبيرة ليس عليها حصن ، بنيانهم خشب ولبن • وكان فى الجانب الاخر من نهر سيحون الى غربه ، على مرحلة من جينا نجك فى طريق جيزك ، بلدة وينكرد • قال فيها ابن حوقل « وينكرد قرية للنصارى » (من النساطرة) وفى الجانب الآخر من نهر الترك على شىء قليل من غربه ، فى الزاوية التى أسفل من التقائه هو وسيحون ، مدينة أشتورك أو

(١١) قدامة ٢٧ : ابن حوقل ٣٨٤ و ٣٨٦ - ٣٨٨ : المقدسى ٢٧٦ : القزوينى ٢ : ٣٦٢ :

على اليزدى ١ : ٩٤ و ١٠١ و ١٦٦ •

شُتْرَكَث (أى مدينة الجمل) • وكان عليها حصن • وينبغي ان يكون المغول قد خربوا هذه البلدة ، اذ نجد فى النصف الاخير من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) قد نشأ فى مكانها بلدة جيناس (وما زالت قائمة) وقد ذكرها علي اليزدى كثيرا بهذا الاسم • وذكر ابن حوقل والمقدسى أكثر من عشرين مدينة أخرى فى ناحية الشاش ، ولكنهما لم يصفاهما • ولهذا لا تعرف مواضع هذه الامكنة اليوم • وان كان من الواضح ان هذه الناحية ، وكذلك ناحية ايلاق فى جنوبها واسييجاب فى شمالها ، كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) مكتظة بالسكان وافرة القرى التى تقارب المدن كبرا (١٢) •

اما ناحية ايلاق ، فكانت فى جنوب نهر ايلاق وشمال المنعطف الكبير لنهر سيحون أسفل خجندة ، وقصبتها تونكت • كانت هذه الناحية متصلة بالشاش ، وتشتمل على ما يقرب من عشرين مدينة مهمة ذكرها ابن حوقل وغيره • ومواقع هذه المدن ما زالت غير معينة حتى انه لا يمكن ، ويا للأسف ، معرفة موضع تونكت قصبتها • وكانت تونكت ، على ما ذكر ابن حوقل ، تقوم على نهر ايلاق ، على نحو من ثمانية فراسخ من الشاش وهى نحو نصف الشاش (١٣) • كان لها قهندز ومدينة داخله حولها ربض يحيط به سور • وفى القهندز دار الامارة والحبس والمسجد الجامع ، والاخيران عند باب القهندز • وأسواقها داخل المدينة وفى الربض • وفيهما ماء جار • وكانت البلاد من الشاش الى ايلاق متصلة العمارة مختلطة العمل • وقد سرد ابن حوقل اسماء هذه المدن • ولكن مما يؤسف عليه قد ضاعت علينا جميع مواضعها • ومن أهم المدن التى انتهى إلينا أمرها ، مدينة خاشت الآهله (ويكتب اسمها أيضا بصورة خاش وخاس أو خاص) قرب معادن الفضة فى جبال ايلاق على حد فرغانة • وفى المئة الرابعة (العاشرة) ، على ما ذكر ابن حوقل ، « بايلاق دار ضرب للعين والورق » • وتحف بالمدينة قرى

(١٢) الاصلطخى ٣٢٨ - ٣٣٠ و ٣٣٦ و ٣٤٥ : ابن حوقل ٣٨٤ و ٣٨٥ و ٣٨٨ و ٤٠٥ ؛ المقدسى ٣٦٤ و ٣٧٦ و ٣٧٧ : على اليزدى ١ : ١٠١ : ٢ : ٦٣٦ •

(١٣) جاء اسم تونكت احيانا بصورة توكث ، وذلك من وهم النساخ • انظر : الاصلطخى ٣٣١ العاشية سى • ولمعرفة المسافة بين الشاش وتونكت ، انظر : الاصلطخى ٣٤٤ : ابن حوقل ٤٠٤ •

عديدة^(١٤) .

وفى شمال الشاش من يمين سيحون فشرقاً ناحية أو اقليم إسييجاب أو
أسييجاب ، وقصبته باسمه . ذكر المقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) ، نحواً من
خمس مائة مدينة مشهورة فى هذا الاقليم لا يمكننا الآن ان نعين غير عدد قليل منها .
فمدينة اسييجاب تتفق هى وموضع سيرام التى على نحو من ثمانية أميال
شرق چمكنت على نهر اريس أو بدم ، وهو رافد من روافد سيحون اليمنى^(١٥) .
كانت على ما ذكر ابن حوقل « نحو الثلث من بنكت » أى الشاش « تشتمل على
مدينة وقهندز وربض . وعلى المدينة الداخلة سور ، وعلى الربض أيضاً سور يحيط
به مقداره فرسخ . وهى فى مستواة وبينها وبين أقرب الجبال إليها نحو ثلاثة
فراسخ » . وفى خارجها مياه وبساتين . وكان للمدينة أربعة أبواب ، على كل
باب رباط . وفى المدينة وربضها أسواق . وفى المدينة الداخلة دار الامارة
والحبس والجامع . وأشار المقدسى الى سوق الكرايس (أى سوق القطّابين) .
وغلة دكاكين السوق فى كل شهر سبعة آلاف درهم (نحو من ٣٠٠ باون)
« يجرى على الضعفاء الخبز والادام » . والظاهر ان مدينة اسييجاب قد تغير اسمها
بعد الغزو المغولى الى سيرام ، وبهذا الاسم ذكرها على اليزدى كثيراً فى أخبار
فتوحات تيمور .

وكذلك فان علي اليزدى كثيراً ما ذكر چمكنت وكتب چمكنت ، ويبدو انها
توافق المدينة التى كتبها المقدسى بصورة جموكت وقال فيها « كبيرة عليها حصن ،
والجامع فيه ، والاسواق بالربض »^(١٦) .

(١٤) الاصطخرى ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٤٥ ؛ ابن حوقل ٣٨٦ و ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٤٠٤ ؛ المقدسى
٢٦٥ و ٢٧٧ و ٢٧٨ .
(١٥) المقدسى ٢٦٢ - ٢٦٤ . لقد ذهب شويلر Schuyler (فى كتابه Turkistan
١ : ٧٥) الى ان مدينة اسييجاب هى چمكنت ، الا ان ذلك ليس الا وهماً ، لان « تاريخ رشيدى »
(ترجمة ن . الياس ، و ١ : ٥٠ د . روس ، ص ١٧١) ذكر : « سيرام هى التى سمىها الكتب
القديمة اسييجاب » . ويرى النص الفارسى لهذه العبارة فى الورقة ١٠٥ ب من مخطوطة المتحف
البريطانى رقم Add. 24080 .
(١٦) الاصطخرى ٣٣٣ ؛ ابن حوقل ٣٨٩ ؛ المقدسى ٢٦٣ و ٢٧٢ و ٢٧٥ ؛ على اليزدى ١ : ١٦٦ ؛
٢ : ٦٣٣ و ٦٣٦ .

وعلى ضفة سيحون الشرقية ، أسفل انصباب نهر جمكنت فيه مباشرة ،
المدينة التى عند معبر سيحون ، المعروفة قديما بباراب أو فاراب وفى الازمنة
الحديثة باسم أترار ، وفيها لقي تيمور حثفه فى سنة ٨٠٧ (١٤٠٥) وهو على أهبة
السير لفتح الصين . وكان الاسم فاراب أو باراب يطلق على الناحية والمدينة .
وقد حسبت فاراب أحيانا قصبة ناحية اسيجاب . وكان يقال أيضا لارباض المدينة
فى المئة الرابعة (العاشرة) كدر . قال المقدسى فى باراب « هى كبيرة ، تخرج
نحو سبعين ألف رجل ، عليها حصن فيه الجامع ، وأسواق وقهندز » . وكان
لكدر أيضا جامعها وكانت هى المدينة الجديدة . وعلى ما فى القزوينى ، ان
فاراب فى أرض سبخة ذات غياض . وينسب اليها أبو نصر الفارابى المتوفى
سنة ٣٣٩ (٩٥٠) وهو أشهر فلاسفة المسلمين قبل ابن سينا . على ان ابن حوقل
قد نسب مولد الفارابى الى وسيج لا الى فاراب^(١٧) . ووسيج بلدة صغيرة محصنة
على فرسخين من فاراب ، وفى سوقها المسجد الجامع . ثم بعد هذا الزمن ، عرفت
فاراب باسم أترار أو أطرار وقد نهبها المغول فى أوائل المئة السابعة (الثالثة
عشرة) ولكنها سرعان ما جدد بناؤها ، وفى سراى المدينة توفى تيمور على
ما بيننا^(١٨) .

وفى نحو من نصف الطريق بين سيرام وأطرار ، مدينة ارسبايكت أو
سبايكت . قال فيها المقدسى « نبيلة ، نظيفة ، محصنة . الجامع بها ، والعمارات
فى الربض » . وكان يقال لرستاقها كنجيدة . وعلى مرحلة يوم شمال أطرار ،
على ضفة سيحون اليمنى ، مدينة شاوغر . قال فيها المقدسى « كبيرة ، واسعة
الرستاق ، عليها حصن ، والجامع على طرف السوق ، وهى من الجادة بمعزل » .
ولم يرد اسم شاوغر لدى البلدانين المحدثين ، ولكن يبدو من موضعها انها تتوافق

(١٧) قلنا ما فى ابن حوقل (ص ٥١٠ من الطبعة الجديدة) : « وأما كدر ، فانها قصبة
باراب ، ووسيج أيضا من مدن باراب . ومنها أبو نصر البارابى ، صاحب كتب المنطق ، المفسر لكتب
القضايا ، والمتقدم فى ذلك على كل من كان فى زماننا وعصرنا وأيامنا » . (م) .
(١٨) ابن حوقل ٣٩٠ و ٣٩١ : المقدسى ٢٦٢ و ٢٧٣ : القزوينى ٢ : ٤٠٥ : أبو الفداء ٤٩٣ ؛
ابن بطوطة ٣ : ٢٣ : على اليزدى ١ : ١٦٦ و ٢٧٥ : ٢ : ٦٤٦ : ابن خلكان : الرقم ٧١٦ ص ٦٣ .
وكثيرا ما يقع الالتباس بين فاراب أو باراب (أطرار) التى على سيحون ، وفارياب (أنظر ص ٤٦٧
اعلاه) التى فى الجوزجان ، وكان يقال لها باراب أيضا .

هى ويسى ، الموضع الذى غالبا ما ذكره علي الزدى ، وما زالت قائمة الى هذا اليوم باسم حضرة تركستان ، وهو الولي الحامى لبلاد القرغيز المدفون فيها . وعلى ما ذكر علي الزدى ، انه هو الشيخ احمد اليسى من أحفاد محمد بن الحنفية ابن الخليفة علي ، وقد توفي هذا الشيخ هنا فى أوائل المئة السادسة (الثانية عشرة) . وابتنى تيمور فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) الجامع على قبره ، وما زالت بقاياه العظيمة شاخصة . ويزوره الناس من سائر الجهات .

وعلى مرحلة يوم من شمال يسى أو شاوغر ، كانت سوران أو صبران . وهى ما زالت قائمة الى هذا اليوم ، وكانت فى المئة الرابعة (العاشرة) نغرا أمام الغز ، و « يجتمع بها الغزية للصلح والهدنة والتجارات اذا كان صلح » . قال فيها المقدسى « كبيرة » ، عليها حصون سبعة بعضها خلف بعض ، والربض فيها ، والجامع فى المدينة الداخلة . وكثيرا ما ذكر علي الزدى صبران حين كلامه على حروب تيمور . ووصف ياقوت قلعتها العالية المشرفة على حد البلد^(١٩) .

ومن جملة المواضع الاخرى على سيحون ، التى أكثر من ذكرها علي الزدى ولم يشر اليها البلدانون العرب الاولون : سفناق . قال فيها انها قصبة قبجاق وهى على ٢٤ فرسخا من شمال اترار . وأبعد منها شمالا كانت جند ، وقد ذكرها البلدانون الاولون وياقوت ، وقالوا فيها انها من مدن الاسلام الكبرى فى تركستان فى ما وراء سيحون . وفى أوائل المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، دمرها المغول . وكان آزال كثيرا ما يسمى ببحر جند ، وعنده على نحو من مرحلتين من فم سيحون ، قصبة الغز التى سماها العرب : القرية الجديدة (أو الحديثة) وعرفت فى الازمنة الاخيرة باسم ينفكنت ، أو ينگى شهر ، أى المدينة الجديدة بالتركية^(٢٠) .

(١٩) ابن حوقل ٣٩٠ و ٣٩١ ؛ المقدسى ٢٦٢ و ٢٧٢ و ٢٧٤ ؛ ياقوت ٣ : ٣٦٦ ؛ علي الزدى ١ : ٤٦٦ و ٥٥٧ ؛ ٢ : ٩ و ٦٣٦ و ٦٤٢ ؛ Schuyler فى Turkistan ١ : ٧٠ . والاسم الذى ينبغى ان يكتب سوران أو صبران ، كثيرا ما طبع خطأ بصورة صيران فى كتاب ظفرنامه لعل الزدى .

(٢٠) ابن حوقل ٣٩٣ ؛ ابو الفداء ٤٨٩ ؛ ياقوت ٢ : ١٢٧ ؛ علي الزدى ١ : ٢٧٥ و ٢٧٩ . وعن خرائب جند انظر Schuyler فى تركستان ١ : ٦٢ .

وعلى نحو من ثمانين ميلا من شمال شرقي سيرام (أى اسيجاب) خرائب طراز بالقرب من المدينة الحالية أوليه - اتا . وكانت طراز أو الطراز ، مدينة ذات شأن فى المئة الرابعة (العاشرة) . قال فيها ابن حوقل « والطراز متجر للمسلمين من الاتراك الخرخية » . وزاد المقدسى على ذلك انها « مدينة جليلة حصينة كثيرة البساتين مشتبكة العمارة ، لها خندق وأربعة أبواب ، ولها ربح عامر ، على باب المدينة نهر كبير . والجامع فى الاسواق » . وعلى ما فى القزوينى ان أهل طراز « فى غاية حسن الصورة ، ليس فى تلك النواحي أحسن منهم صورة رجالهم ونسأؤهم الى حد يضرب بحسن صورتهم المثل . وهى مدينة طيبة التربة لطيفة الهواء » . ومن مدن بلاد الترك أيضا ، على نحو من مئة ميل من شرق طراز ، مدينة بركى أو ميركى (وهى مركه) الحديثة . قال فيها المقدسى : « متوسطة الرقعة ، محصنة ، ولها قهندز وكان الجامع فى القديم كنيسة (للنصارى النساطرة) ، وقد بنى الأمير عميد الدولة فاتق (من البويهيين) خارج الحصن رباطا » فى المئة الرابعة (العاشرة) . وذكر المقدسى أيضا كولان ، وهى على مرحلة واحدة غرب ميركى باتجاه طراز . وكانت قرية كبيرة محصنة ولها جامع ، تعد موضعا ذا شأن كبير (٢١) .

وفى الختام ، يحسن بنا ان نلاحظ ، ان ابا الفداء ذكر جملة قصبات للترك يصعب اليوم تعيين مواضعها الصحيحة . منها بلاساغن وكانت قصبة خانات تركستان فى غضون المئتين الرابعة والخامسة (العاشرة والحادية عشرة) . وذكرها أيضا ابن الاثير فى تاريخه ، ولا يعرف موضعها الصحيح . ولمح ابو الفداء الى انها كانت قرب كاشغار ولكن فى ما وراء سيحون . وقد عثر على خرائب أمالغ التى اتخذها المغول عاصمة لهم فى عهد جغتاي بن جنكيزخان بالقرب من موضع كُنجِه القديمة على نهر ايله ، وقد أشار الى موضعها علي اليزدى الذى ذكر أيضا نهر إرتيش وتلاس . ولكن لم ينته الينا شيء عن جميع هذه المدن . وكلها مثل كاشغار وختن وياركند وغيرها من المدن التى على حدود الصين ، لم تذكرها

(٢١) ابن حوقل ٣٩٠ و ٣٩١ : المقدسى ٢٦٣ و ٢٧٤ و ٢٧٥ : القزوينى ٢ : ٣٦٥ : ابو الفداء ٤٩٧ : Schuyler فى تركستان ٢ : ١٢٠ .

مراجعا الا لما ودون ان تنطوى على فائدة جغرافية ذات بال (٢٢) .

ليس فى اقاليم سيحون صناعات متنوعة كبيرة ، وكان جلب الرقيق أهم عمل لمن يقصدها من التجار . ذكر المقدسى انه كان يرتفع من ديزك (جيسك) فى اشروسنة اللبود الجياد والاقبية . ويرتفع من فرغانة الذهب والفضة والفروزمج والزئبق والحديد والنحاس وكذلك النوشادر والنفط والزفت . واشتهرت فرغانة بحجر الارحاء والفحم الحجري للوقود . وكان يرتفع من بساتينها ويحمل الى الآفاق : الاعناب والتفاح والجوز . ومن الرياحين : الورد والبنفسج . ويرتفع من الشاش ثياب بيض رقيقة ، وسيوف وغيرها من السلاح ، وآلات النحاس والحديد كالابر والمقاريض والقذور . ويرتفع منها أيضا « سروج الكيمخت (جلود الحمر الوحشية) الرفيعة والجعاب والقسي الجيدة وجلود تجلب من الترك وتدبغ والمصليات والاخية » . ويرتفع من رستاقها الرز والكتان والقطن . ويرتفع من طراز فى بلاد الترك جلود المعز واشتهرت فى كل وقت بالخيول والبغال التركستانية (٢٣) .

أما مسالك هذه الاقاليم ، فان طريق خراسان كان يواصل اتجاهه شمالا من سمرقند فيعبر نهر السغد ، ومنه يصل الى زامين فى اشروسنة حيث يتشعب ، فكان الطريق الايسر يذهب الى الشاش وسيحون الاسفل . والايمين الى أعلى سيحون وفرغانة . وكان الطريق من زامين الى الشاش رأسا ، يعبر سيحون عند بناكت . وهناك طريق آخر من سمرقند يمرّ بديزك ويقطع المفازة الى وينكرد ، فاذا تجاوزها كان يعبر سيحون الى شتوركت فيلتقى عندها هو والطريق من بناكت الى الشاش . وكان يشرق من الشاش طريق الى تونكت قصبة اقليم ايلاق . وطريق آخر يتجه شمالا الى اسيجاب ، وعندها يتشعب . فكان يذهب من اسيجاب غربا طريق الى فاراب (أنرار) لعبور سيحون ، ومنها نحو الشمال أيضا بحذاء ضفته اليمنى الى صبران . والى اليمين من اسيجاب شرقا كان يذهب طريق آخر الى طراز ، ومنها الى بركى أو ميركى آخر مدينة اسلامية فى بلاد الترك فى المئة

(٢٢) ابو الفداء ٥٠٥ : على اليزدى ١ : ٤٨٥ و ٤٩٤ : ٢ : ٢١٨ و ٢١٩ .

(٢٣) ابن حوقل ٣٩٧ و ٣٩٨ : المقدسى ٣٢٥ : القزوينى ٢ : ٤٠٥ .

الرابعة (العاشرة) • ومن هذه المدينة أورد ابن خرداذبه وقدامة المراحل التي في المفازة الى نوشنجان العليا على حدود الصين ، وربما كان هذا الموضع يتفق هو وختن (٢٤) •

وكان الطريق الى فرغانة الذي ينشطر من طريق خراسان عند زامين على ما بيننا ، يمر بساباط (حيث ينعطف الطريق الى بونجكت قصبة اشروسنة) الى خجندة على سيحون • ومنها يبقى محاذيا ضفة النهر الجنوبية صاعدا معها حتى يصل الى اخسيكت قصبة فرغانة عند معبر نهر سيحون • وقد أورد الاصطخرى وابن حوقل المسافات من اخسيكت الى المدن المختلفة التي في شمال أعالي سيحون ، كما ذكر ابن خرداذبه وقدامة الطريق من قصبة فرغانة فشرقها مارا بأوش الى اوزكند • والى ذلك فقد لمتح المقدسى الى الطريق من اوزكند الى داخل بلاد الترك ثم الى حدود الصين • ويصعب تتبع ما ذكره بهذا الصدد ، ولكنه ، كابن خرداذبه وقدامة ، جعل المرحلة الاخيرة فيه نوشنجان أو برسخان العليا ، التي يحجز انها ختن (٢٥) •

(٢٤) ابن خرداذبه ٢٦ - ٢٩ : قدامة ٢٠٣ - ٢٠٦ : الاصطخرى ٣٣٥ - ٣٣٧ و ٣٤٣ - ٣٤٦ : ابن حوقل ٣٩٨ و ٣٩٩ و ٤٠٣ - ٤٠٥ : المقدسى ٣٤١ - ٣٤٣ • وما يؤسف عليه ان المستوفى لم يذكر المسالك في ما وراء جيحون • وعن الطريق الى ختن والصين انظر مادة سد ياجوج وماجوج للبروفسور دي غويه في: Mededeeling der Koninklijke Academie Amsterdam, لسنة ١٨٨٨ ص ١٢٣ • وعن الطريق الذي سلكه عبد الرزاق سفير شاه رخ ، وقد رحل الى الصين وعاد منها بين سنتي ٨٢٢ و ٨٢٥ (١٤١٩ و ١٤٢٢) ، انظر النص الفارسي وترجمته بقلم كترمر في Notices et Extraits المجلد ١٤ الجزء ١ ص ٣٨٧ وكذلك تعليقات سر هـ • يول Sir H. Yule في كتاب Cathay and the Way thither ص ١٩٩ - ٢٠٩ • قلنا : راجع البحث النفيس لولانا ابو الكلام آزاد ، وزير معارف الهند ، في مجلة « ثقافة الهند » وعنوانه : سد ياجوج وماجوج (المجلد ١ العدد ٣ سبتمبر ١٩٥٠ ص ٢٥ - ٤٠) وهو قسم من بحث واسع عنوانه : « شخصية ذي القرنين المذكور في القرآن » (م) • (٢٥) ابن خرداذبه ٢٩ و ٣٠ : قدامة ٢٠٧ - ٢٠٩ : الاصطخرى ٣٣٥ و ٣٤٣ - ٣٤٧ : ابن حوقل ٣٩٨ و ٣٩٩ و ٤٠٣ - ٤٠٦ : المقدسى ٣٤١ و ٣٤٢ •

فهرس الكتاب

١ - فهرست البلدانى

ويشتمل على أسماء الأقاليم والمدن والقرى والجبال والأنهار
والوديان والمفاوز والبحار والبحيرات وغير ذلك

٢ - فهرست الاشخاص والاقوام

٣ - فهرست العمرانى

ويشتمل على مصطلحات الحضارة والعمران ، وعلى
الألفاظ الدخيلة والمعربة

١- الفهرست البلداني

[illegible]

الفهرست البلدانى

۴۵۴	اردسکر	۱۹۳	اتروباتین
۵۲۳	اردلانکت	۴۲۲	آجن
۲۰۲	اردوباد	۱۵۴	الاحیدب (جبل)
۴۰۸ ۳۸	اردون	۵۲۱ ۵۲۰	أخسى
۴۹۵	ارذخیوة	۴۸۶ ۴۴۶	أخسیسک
۱۴۹	ارز روم	۵۲۱ ۵۲۰ ۲۲	أخسیکت
۱۴۴	ارزن	۳۰۴	أخشین (نهر)
۱۴۹ ۱۴۴	ارزن الروم	۴۸۱ ۴۷۸	أخشو (أخش)
۱۵۰	ارزنجان (ارزنکان)	۲۱۸ ۲۱۷	أخلاط
۲۱۶ ۲۱۳ ۲۰۹ ۲۰۲	ارس ۲۰۰ - ۲۰۲	۳۵۱	الاخوات (حصون)
۵۲۸	ارسیانیکت	۴۶۸	أدخود
۱۵۰ ۱۴۹	ارشروم	۴۵۴	أدرسکر
۴۳۳	ارغیان	۴۵۴	أدرسکن
۴۹۱ ۴۸۹ ۲۲	ارکنج	۱۳۴	ادسا
۴۹۳ ۴۹۲		۱۹۳ ۱۸	اذربيجان
۳۸۵ ۳۸۳	ارکنداب (نهر)	۲۵۹	اذرجشنس
۳۶۹ ۳۶۸	ارمابیل	۱۳۱	اذرمه
۴۱۳	ارم خاست (خاسته)	۳۲۲	اذکان
۱۸۰	ارمناک	۱۶۳ ۱۶۲	اذنة
۳۵۷	ارموز (ارموص)	۳۶۳	ازابه
۲۳۶	ارمیان	۵۱۷	اراتية
۳۰۸	ارو (قلعة)		اراکلية (انظر : هرقله)
۲۱۶ ۲۱۱	ارمینیه	۲۱۷	اراراط (جبل)
۱۹۴ ۳۸	ارمیه (بحيرة)	۲۱۱	اران
۲۰۰ ۱۹۴	ارمیه (مدينة)	۱۲۱	اربخا (ارافا)
۵۲۷	اریس (نهر)	۱۲۲ ۱۲۱	اربیل (اربیل)
۲۱۶	اریقان (اریوان)	۵۱۱	ارینجن
۴۳۳	ازاد وار	۵۳۰	ارتش (نهر)
۳۱۶	ازار سابور	۴۹۷	ارثخشمین
۳۱۷	ازجان	۱۸۳ ۱۷۸	ارجاست (جبل)
۴۳۶	ازجاه	۳۳۱ ۳۰۷ ۳۰۴ ۲۸۴	ارجان
۳۱۹	ازکاس	۳۳۲	
۲۳۰	ازمدین	۲۱۷	ارجیش (بحيرة)
۱۹۰	ازمید	۲۱۷ ۱۸۰ ۳۸	ارجیش (مدينة)
۱۸۸	ازمیر	۲۱۸	
۱۹۰	ازنکمید	۳۱۸	أرد
۱۹۰	ازنیق	۲۰۳ - ۲۰۲ ۱۹۴	اردبیل
۲۴۳	ازواره	۲۲۹	اردحش (اروخش)
۱۸۷	اسارلک	۱۰۸	اردشیر بابکان (استان)
۱۸۵	اسبارلة	۲۹۱ ۲۸۴ ۲۸۳	اردشیر خره
۵۲	اسبانبر	۲۴۳	اردستان

الفهرست البلدانى

۴۲۲	اشك	۳۶۴	اسمى (اسفى)
۳۱۸	اشكنوان	۵۲۷	اسمى ۲۲ ۵۲۰
۲۴۲	اشكهران	۳۶۴	اسمى
۲۰۰ - ۱۹۹	اشنه	۱۷۰	استانبول
	اصبهان (انظر : اصفهان)	۱۰۸	استان العالى
۲۰۹	اصبهيدان	۱۸۴	استانوس
۳۱۱ ۲۸۹ ۲۸۴	اصطخر	۴۱۹	استراباد
۳۳۱ ۳۱۲		۴۵۳	استريان
۳۱۸	اصطخران	۴۱۲	استناباد
۳۱۲	اصطخريار (قلعة)	۳۹۸	استند
۳۲۷	اصطهبانات (اصطهبان)	۴۳۵	استوا
۳۲۷	اصطهبانات	۴۱۲	استوناوند
۲۳۸ ۲۲۱ ۱۹۴	اصفهان	۲۸۰ ۲۳۱	اسند اباد
۲۶۲ ۲۴۱ ۲۳۹		۵۱۲	اسرود
۲۰۹	اصفهد	۵۱۷	اسروسة
	اطرايزنده (انظر : طرايزون)		اسمرت (انظر : سمرت)
۵۲۸	اطرار	۳۹۸	اسفد
۵۱	الاعظمية	۴۳۵ ۴۳۴ ۴۳۳	اسفراين
۲۳۱ ۲۳۰	اعلم	۴۵۴	اسفزار (مدينة)
۴۲۱	افراوه	۳۷۳	اسفزار (نهر)
۴۰۰	افريدون	۴۳۴	اسفنج
۱۸۸ ۱۶۸	افسس (افسوس)	۳۸۶	اسفنجاي
۴۵۸	افشين	۴۲۹	اسفند (اسفند)
۳۷۷ ۲۲ ۲۱	افغانستان	۳۱۷ ۱۷۶	اسفنديار
۴۶۴ ۴۴۹ ۴۲۳		۳۱۷	اسفندان
۱۸۵	افيون قره حصار	۳۱۷	اسفدياز (قلعة)
۱۶۵	الاقرع (جبل)	۳۰۲	اسفيد دز
۵۰۰	اقرنجه	۲۳۲	اسفندان
۳۱۸	اقليد	۱۰۷ ۸۴	اسكاف بنى الجنيد
۱۹۳ ۱۱۴	اقور	۱۸۶	اسكى حصار
۲۵۹ ۲۲۹	اكبتانا	۱۵۳	اسكى شهر
۱۸۴ ۱۷۴	اكريدور	۵۱۴	اسكيفن
۲۱۸	الاطاق	۳۸۹	اسكيمشت
۲۲۸	الانى	۱۲۹	اسكى موصل
۲۱۶ ۳۸ ۲۱	البرز	۴۲۹	اشبند
۴۰۹ ۴۰۴		۴۶۸	اشبورقان
۲۶۱ ۲۵۶	الموت	۵۲۵	اشتوركت
۲۰۱	النحق (قلعة)	۵۰۹	اشتياخ
۱۸۴ ۱۷۴	الوبرلو	۵۲۲	اشتياقان
۲۳۱ ۳۸	الوند	۴۱۶	اشراة
۲۲۹ ۲۲۸	اليشتر	۵۱۷	اشروسنة

الفهرست البلدانى

۲۱۸	أورد	۱۲۲	امات
۱۳۵	اورفه	۱۷۹ ۱۷۴	اماسية (اماسية)
۴۸۳	اوزج	۵۳۰	امالغ
۵۲۲	اوزگند	۴۵۱	امكلجة
۵۲۲	أوش	۴۷۸ ۴۷۷	أمو (نهر)
۵۰۹	اوفر	۴۷۷	امودريا
۴۵۳	أوفه	۴۴۶ ۴۴۵	أمويه (أمو)
۴۷۸ ۴۷۷	اوکسس	۴۷۷	امويه (نهر جيحون)
۵۳۰	أولية - اتا	۳۲۳ ۳۲۲ ۲۸۴	أنار
۱۵۰	اونيك	۳۲۳ ۳۲۲	اناس
	اوهر (انظر : ابهر)	۱۰۸ ۹۱ ۴۱	الانبار ۱۷
۱۸۸	اياسلوق	۴۶۸	أنبار (خراسان)
۸۲	الايتاخية	۳۰۱ ۳۰۰	انبوران
	ايچ (انظر : ايك)	۴۶۸	انبير
۱۸۱	ايچ ايلي	۲۵۹ ۲۵۸	انجروود
۲۵۸	ابجود	۳۲۲	انجيره
۲۸۰	اينج	۴۶۸	انخد
۴۷۶ ۲۸۳	ايران	۲۷۳	اندامش (قنطرة)
۴۲۴ ۴۰	ايرانشهر	۴۶۸	اندخد (اندخوى)
۲۹۳ ۲۹۰	ايراهستان	۲۶۱	أندر
۴۲	ايراوه	۲۱۱ ۲۰۲	اندراب
۳۱۸	ايرج	۴۶۹ ۴۴۳	اندرابه
۱۷۶	ايزوربه	۳۸۹ ۳۶۹	الاندس (نهر)
۳۲۷ ۳۲۶	ايك (اويك)	۱۵	الاندلس
۵۲۶ ۵۲۰	ايلاق	۴۸۱	انديجاراغ (مدينة)
۵۳۰	ايله	۴۷۸	انديجاراغ (نهر)
۱۳۴	ايليا	۵۲۱ ۵۲۰	انديجان (انديكان)
۵۳	ايوان كسرى	۱۶۷	أنشا قلعهسى
۴۸۳	ايوج	۱۶۸ ۱۴۰ ۵۲	انطاكية
		۱۸۶ ۱۸۴	
		۱۸۴ - ۱۸۳ ۱۷۴	انطالية
		۱۸۲ ۱۶۸	انقرة
۲۱۴	باب الابواب	۲۵۸	انكوران
۵۲۴	باب ابى العباس (الشاش)	۱۷۴	انكورية
۴۲۵	باب أحوص أباذ (نيسابور)	۴۱۱	أهلم
۲۹۱	باب اردشير (جور)	۲۸۱ ۲۶۸ ۲۶۷	الاهواز
۱۴۱	باب الارمن (آمد)	۴۰۷	أهوان
۳۵۰	باب اسبيكان (بم)	۳۵۱	أوارك
۲۳۸	باب اسفنج (جى)	۲۹۷	اوال (جزيرة)
۵۰۷	باب اشبىسك (سمرقند)	۷۲	اوانا
		۳۱۷ ۱۹۸	أوجان (أجان)

ب

الفهرست البلدانى

٥٠٤	باب الحديد (بخارا)	٢٨٦	باب اصطخر (شيراز)
٤٦٣	باب الحديد (بلخ)	٥١٨	باب الاعلى (بونجكت)
٥١٢	باب الحديد (كفى)	٥٠٧	باب افشينه (سمرقند)
٢٨٦	باب حسن (شيراز)	٢١٢	باب الاكراد (برذعة)
٥٠٤	باب حفرة (بخارا)	٣٢١	باب اندور (يزد)
٣٣٩	باب حكيم (السرجان)	٣٠٥	باب الاهواز (ارجان)
٥٠	باب الحلبة (بغداد)	٣٢١	باب ايزد (يزد)
٢٤٢	باب خبيص (بردسير)	٦٥	باب البادية (البصرة)
١١٣	٤٨ باب خراسان (بغداد) ٢٣	١٠٣	باب البادية (الكوفة)
٤٠٥	باب خراسان (الدامغان)	٢٥٠	باب باطاق (الرى)
٤٥٢	باب خش (هراة)	٤٤١	باب بالين (مرو)
٤٥٠	باب خشك (هراة)	٥٠٧	باب بخارا (سمرقند)
٢٣٨	باب خور (جى)	٥١٣	باب البخارية (نسف)
٢٨٦	باب دارك (شيراز)	٥٢١	باب بختر (اخسيكت)
١٤١	باب دجلة (آمد)	٥٠	باب البردان (بغداد)
٤٤٢	٤٤١ باب درمستان (مرو)	٥١٢	باب بركتان (كش)
٤٥١	باب دروازه ملك (هراة)	٤٨	باب البصرة (بغداد)
٢٧٠	باب دسبول (تستر)	٥٠	باب البصلية (بغداد)
٢٨٦	باب الدولة (شيراز)	١٩٧	باب بغداد (تبريز)
٤٦٣	باب رحبة (بلخ)	١٠٣	باب بغداد (الكوفة)
٣٠٥	باب الرصافة (ارجان)	٢٥٠	باب بليسان (الرى)
٥٢١	باب رهانة (اخسيكت)	٣٥٣	باب بم (جيرفت)
١٤١	١٤٠ باب الروم (آمد)	٣٥١	باب بم (نورماسير)
٣٠٥	باب ريشهر (ارجان)	٢٨٥	باب بنداستانه (شيراز)
٥٠٤	باب الريكستان (بخارا)	٥٠٤	باب بنى اسد (بخارا)
٤٠٥	باب الرى (الدامغان)	٥٠٤	باب بنى سعد (بخارا)
٥٠٧	باب ريودد (سمرقند)	٢٩١	باب بهرام (جور)
٥١٨	باب زامين (بونجكت)	٢٩٩	باب بهرام (سابور)
٣٤٢	باب زرنه (بردسير)	٢٨٦	باب البيضاء (شيراز)
٢٣٨	باب زرين روذ (جى)	٢٨٥	باب تستر (شيراز)
٤٥٠	باب زياد (هراة)	١٤١	١٤٠ باب التل (آمد)
١٤٠	باب السر (آمد)	٣٦٧	باب التيز (بنجيور)
٤٥٠	باب سراى (هراة)	٥٢٠	باب الجامع (اخسيكت)
٢٨٦	باب السعادة (شيراز)	٥٠٤	باب الجامع (بخارا)
٤٢٥	باب سكة معقل (نيسابور)	١٤٠	باب الجبل (آمد)
٥٠	باب السلطان (بغداد)	٥٢٢	باب الجبل (اوش)
٢٨٦	٢٨٥ باب سلم (شيراز)	٤٢٥	باب جنك (نيسابور)
٥١٣	باب سمرقند (نسف)	٥٢٤	باب الجنيد (الشاش)
٤٤٢	٤٤١ باب سنجان (مرو)	١٦٥	باب الجهاد (طرسوس)
٥٠٧	باب سونخشين (سمرقند)	٤٩١	باب الحجاج (كاث)
٣٥٣	باب السرجان (جيرفت)	٤٨٥	باب الحديد

الفهرست البلدانى

٢٨٥	باب كوار (شيراز)	٢٥٠	باب سين (الرى)
٣٥٠	باب كورجين (بم)	٣٥٣	باب شاپور (سابور : جيرفت)
٣٥٠	باب كوسكان (بم)	٤٨	باب الشام (بغداد)
٣٥١	باب كوشك (نرماشير)	٥٠٧	باب شداود (سمرقند)
٤٨	باب الكوفة (بغداد)	١٤١	الباب الشرقى (آمد)
٢٥٠	باب كوهك (الرى)	٥١	الباب الشرقى (بغداد)
٥٠٧	باب كوهك (سمرقند)	٤٦٣	باب شست بند (بلخ)
٣٠٥	باب الكيالين (ارجان)	٢٩٩	باب شهر (سابور)
١٤٠	باب الماء (آمد)	٣٠٥	باب شيراز (ارجان)
٥٢٢	باب الماء (آوش)	٣٥١	باب صوركون (نرماشير)
٤٤١	باب ماجان (مرو)	٥٠٧	باب الصين (سمرقند)
٣٤٢	باب ماهان (بردسير)	٣٧٤	باب الطعام (زرنج)
٣٤٢	باب مبارك (بردسير)	٥٠	باب الطلسم (بغداد)
٤٩	باب المحول (بغداد)	٣٦٧	باب طوران (بنجبور)
٥٠٤	باب المدينة (بخارا)	٢٣٨	باب طيره (جى)
٥١٨	باب المدينة (بونجكت)	٥١	باب الظفرية (بغداد)
٤٤١	باب المدينة (مرو)	٥١٢	باب عبيدالله (كش)
٥١٢	باب المدينة الخارجة (كش)	٤٥١	باب عراق (هراة)
٥١٢	باب المدينة الداخلة (كش)	٤٥٣	باب على (بوشنج)
٥٢١	باب المردقسة (اخسيكت)	٢٨٥	باب غسان (شيراز)
٥١٨	باب مرسمنده (بونجكت)	٥١٣	باب غوبدين (نسف)
٣٢١	باب المسجد (يزد)	٣٧٥	باب فارس (زرنج)
٣٥٣	باب المصلى (جيرفت)	٥٠٧	باب فروخشيد (سمرقند)
٣٥١	باب المصلى (نرماشير)	٢٨٦	باب فنا (شيراز)
٥١	باب المعظم (بغداد)	٤٥١	باب فيروز اباد (هراة)
٥٢٢	باب مفكدة (اخسيكت)	٤٢٥	باب القباب (نيسابور)
٢٨٥	باب مندر (شيراز)	٥١٢	باب القصابين (كش)
٥٠٤	باب مهر (بخارا)	٤٢٥	باب القنطرة (نيسابور)
٢٩١	باب مهر (جور)	٤٢٥	باب قنطرة تكين (نيسابور)
٢٩٩	باب مهر (سابور)	٥٠٤	باب القهندز (بخارا)
٢٨٥	باب مهندز (شيراز)	٤٢٥	باب القهندز (نيسابور)
٣٠٥	باب الميدان (ارجان)	٤٥٣	باب قوهستان (بوشنج)
٣٥٠	باب نرماشير (بم)	٢٨٦	باب كازرون (شيراز)
٢٨٦	باب نو (شيراز)	٥٢٠	باب كاسان (اخسيكت)
٤٦٣	باب النوبهار (بلخ)	٤٥٢	باب كبجاق (هراة)
٥٠٧	باب النوبهار (سمرقند)	٣٧٤	باب كرگويه (زرنج)
٥١٨	باب نوجكت (بونجكت)	٥٠٧	باب كش (سمرقند)
٥٠٤	باب نور : نوز (بخارا)	٥٢١	باب كش (الشاش)
٣٧٤	باب نيشك (زرنج)	٥١٣	باب كش (نسف)
٤٥٣	باب هراة (بوشنج)	٥٠	باب كلواذى (بغداد)
٢٩١	باب هرمز (جور)	٥١٨	باب كهلباد (بونجكت)

الفهرست البلدانى

١١٧	باشطابية (الموصل)	٢٩٩	باب هرمز (سابور)
٤٥٢	باشينان	٢٥٠	باب هشام (الرى)
٨٣	باصلوه	٤٦٣	باب الهندوان (بلخ)
١١٩ - ١١٨	باعشيقا	٥٠٧	باب ورسنين (سمرقند)
٨٦ - ٨٣	باعقوبا	٥١ ٥٠	الباب الوسطانى (بغداد)
١٣٠ ١٢٤	باينانا	٤٦٣	باب يحيى (بلخ)
٣٤٣	باغ سيجانى	٤٦٣	باب اليهود (بلخ)
٣٤٨	بافت (باغد)	٢٣٨	باب اليهودية (جى)
٣٤٨	بافق	١٥٠	بابرت
١٢٣	باقردا	١٠٨ ٩٨ ٩٧ ٤١	بابل
١٠٧ ٨٨	باكسايا	١١٩	بابغيش
٢١٥	باكوه (باكو ، باكويه)	٢٥٨	باتوخان
٤٤٧	بالامرغاب	١٦	باتى انليل
١٣٩	بالس	١٣٦	باجدا
٣٨٦ ٣٧٠	بالس (سجستان)	٢٠٩ ١٣٦	باجروان
٣٨٦	بالش	٨٣ ٣٤	باجسرا
١٤٩	بالو	٤٥٢ ٣٩٧	باخرز
١٢٤	بالوسا	١٠٧ ٨٨	بادرايا
١٤٩	بالويه	١٠٨	بادوريا
٤٥٥	بامنج	١١٠	بازبين
٤٦١ ٤٦٠ ٤٥٥	الباميان	٤٥٦ ٤٤٥	بازغيس
٥١٧ ٤٧٨ ٤٢٣	البامير	٤٣٦	بازن
٤٣٤	بان	٥٢٨ ٤٦٨	باران
٣٥٢	باهر	٤١٦ ٤١٥	بارفروش
٤٣٦	باورد	٥٠٩	باركت
٤٥٥	بين (بينه)	٢١٨	باركبرى
١٢٠	البت	١٢٠	بارما
٥١٠ ٤٧٩	البتم (جبال)	١٠٨ ٩٦	باروسما
٦٩	بثق شيرين	١٢٣	بازيدا
٣٩٩	بجستان	٣٢٠ ٣١٢	بازاركد
٤٣٥	بجنرد	١٠٧	بازجان خسرو
٣١٨	بجه	٣٠٨ ٣٠٧	بازرنج (بازرنك)
	بحر آزال (انظر : آزال)	٣٥٦	باس
٥٠٢ ٤٢٠	بحر ايسكون	٣١٣	الباسفوية (بحيرة)
٣٨	بحر باكو	١٨٥ ١٦٧	الباسليون (بحيرة)
١٦٨	بحر بنطس (بنطش)	٤٨٣	باسند
٥٠٢	بحر جرجان	٢٧٧	باسيان
٢١٥ ٣٨	بحر الخزر	١٥٠	باسين
١٥٩	بحر الروم	٤٤٢	باشان
٤٩٩	بحر طبرستان	٣٠١	باشت
١٦٨	بحر طرابزنده	٣٠١	باشت قوطا

الفهرست البلدانى

۱۸۵	۱۸۴	بر دور	۳۸	بحر فارس
۴۳۰	۲۱۹	بر ذعة (بر دعة)	۴۲۰	بحر قزوين
۲۱۲		بر زنج	۵۰۲	۴۹۹
۲۱۰		بر زند	۵۰۲	بحر مازندران
۱۹۹		بر زه	۱۰۳	بحر النجف
۳۱۱	۲۸۴	بر سبولىس	۱۶۹	بحر نيطس (نيطس)
۲۸۳		بر سس	۲۹۷	البحرين
۱۸۹		بر صى	۳۱۴	۳۱۳
۱۱۹	۱۱۸	بر طلى	۵۰۲	بحيرة البختكان
۵۱۰		بر غر	۵۰۲	بحيرة الجرجانية
۱۸۴	۱۷۴	بر غلو	۱۹۴	بحيرة خوارزم
۱۸۹		بر غمة	۳۰۳	بحيرة الشراة
۱۳۰		بر قعيد	۳۰۳	بحيرة كازرون
۳۲۰		بر قووية	۵۰۴	بحيرة موز
۳۲۹		برك	۵۰۴	بخارا
۵۱۲		بر كنان	۵۱۴	۵۰۶
۷۴		بركوار (بلكوار ، بركوار)	۷۱	بدران
۵۳۰	۱۸۷	بركى	۲۱۸	بدليس (بتلس)
۲۱۳		بر لاسى (نهر)	۵۲۷	بدم
۳۱۵		برم	۳۱۵	البدنجان
۵۰۹		بر نمذ	۳۷۰	البدهة
۲۳۰		بر هند رود	۴۸۰	۴۷۹
		برواب (انظر : بلوار)	۴۰۸	۴۷۷
۲۰۸	۲۰۷	بروان	۱۶۶	۴۷۱
۲۳۵		بر وجر د	۲۴۱	بذخشان
۱۸۹		بر وسه	۴۹۸	بذش
۳۵۵		برياب	۵۰	البدندون
۱۴۸		برى جاى	۸۶	برآن
۵۱۴		بزده (بزده)	۴۷۸	براتكين
۴۵۶		بزكترين	۳۰۷	براتنا
۱۶۶		بز نطى	۱۰۸	براز الروز (بلدروز)
۴۳۵		بزهان	۹۶	بربان
۷۱		بزوغى	۴۷۸	بربور
۳۸۴	۳۸۳	بست	۳۶۸	بربيان
۱۷۹	۱۷۸	البيستان	۳۰۷	بربيسا
۳۱۶		پستان جمشيد	۱۰۸	برتنك
۲۸۶		پستان سمعدى	۴۷۸	البرج
۴۶۰		پسفورفند	۲۳۴	برج شاپور
۵۲۵		پسكام	۲۷۲	برچند
۱۹۹		پسوى	۴۰۲	برجى
			۴۱۵	برجين
			۱۸۷	برخوار
			۲۴۱	البردان
			۹۱	۵۰
			۳۳۸	۳۳۷
			۳۴۵	۳۴۱

الفهرست البلدانى

٢٠٢	بل خدا آفرين	١٧٦	بسيدي
٣٠٦	بل دختر	٢٩٨	بشا بور
٣٧٩	بل فره	٤٥٢	بشان
٤٦٢	بلغ	٢٥١	بشاويه
٤٧٢	بلغ	٤٥٦	بشت
٧٤	بلد	٣٩٣	بشت خم
	بلد روز (انظر : براز الروز)	٣٥٨	بشت فروش
١٣٠	بلط (بلد)	٤٢٨	بشتقان (بشتقان)
٥٠٢	البلغار	٤٢٨	بشکل دره
٣١٢	بلوار (نهر)	٢٦٠	بشيان
٣٧٠	بلوچستان	٤١١	بشين
٤٨٠	بلور	٤٥٨	البصرة
١٣٤	البليخ	٤٣	٢٥ ٣٤ ٤٢ ٢٩٤ ٦٧ - ٦٤
٤٥٨	بليكان (بليكان)	٧٢	بصرى
١٨٩	بلى كسرى	٢٨١	بصنا
٣٥٠	بم	١٤٣	بطمان سو
١٠٠	بمبادينا	٦٢	البطيحة (البطائح)
٣٦٨	بم بور	٤٢	بفداد
٥٠٥	بمچكت (بومچكت)	٥١ - ٤٨	
١٧٦	بمفيلية	٤٥٥	بفشور
٤٠٠	بن	٤٦٩	بغلان
٣٦٤	بن الفريدون	٣٨٤	بغنين
٥٢٥	بناكت (بناكت)	٥٦	البغيلة
٢٠٤	بنج انكشت (جبل)	٣٤٥	بغين
٣٦٧	بنج بور	١٧٦	بغلغونية
٤٤٨	بنج ديه	١٨٤	بقشهر
٥١٧	بنجكت (بنوجكت)	٤٦٩	بقلان
٥٠٩	بنجكتند	٤١٨	بكر اباد
٣٦٧	بنج كور	٣٨٦	بكر اواز
٤٦٩	بنجهير	٢٢٦	بكر اوه (تل)
٣٨٥	بنجواى	٤٧٠	بلاد الختل
٣٨٩	بنجير	٣٤	بلاد الروم
٥٠٩	بنجيكت	٥٢	بلاس اباد
٣٨٤	بند رستم	٣٠٦	بلاسا بور
٣٧٦	بند زرنج	٥٣٠	بلاساغن
٣١٥	البند (السكر) المضدى	٤٧٨	بلبان (نهر)
١٢١	بند العظيم	٣٠٦	بل بكم
٣١٣	بند قصار	٤٨٢	بلجوان
٢٧٢	بند قير	٢١٠	بلخاب
٢١٨	بند ماهى	٢٥٣	بل خاتون
٣١٧	بند مجرد	٤٩٩	بلخان

الفهرست البلدانى

٤٠٦	بيار	٣٠٩	بندر ديلم
٤٠٦	بيار جمند	٣٥٧ ٣٣٣	بندر عباس
٦٩	بيان	٨٨	البندنجين
١٤٤	بيت المقدس	٤٤٨	بندى
١٧٧	بيشيه	٥٢٣	بنكت
٤٧٧	بيرامس	٣٤٧	بها باد
٣٠٥	بئر صاهك	٣٥٠ ٢٢٨	بهار
٣٦٥	بيره	٣٤٧	بهاوذ
٢٧٥	بيروت (بيروز)	٣٠٥ ٣٠٤	بهيهان
٤٥٩	بيروز كوه	٣٢٢ ٢٨٤	بهرام اباد
٢٨٠	بيشاوران	٣٤١ ١٠٨ ٥٤ ٥٢	بهرسير
٢٠٤	بيش برماق	٢١٨	بهر كرى
٣٩٦	بيشك	٣٦٩	بهرمناباد
٢٠٣	بيشكين	٣٦٨	بهره
٣١٦ ٣٥	البيشاء (بيزا)	٢٢٣ ٢٢٢	بهستان (جبل)
١٤٤	بيعة القيامة	٢٢٣ ٢٢٢	بهستون (بيستون)
٥٢٣	بيكت	١٠٨	بهقباذ الاسفل
٥٠٦	بيكند	١٠٨	بهقباذ الاعلى
٢١٠	بيلسوار	١٠٨ ٩٦	بهقباذ الاوسط
٢١٢	البيلقان	١٢٠	البوازيج (بوازيج الملك)
٢٠٨	بيلمان	٣٩٦	بوچكان
٢٨٦	بيمارستان عضد الدولة (شيراز)	١١٥	بوذ اردشير
٣٤٩	بيمند	٣٩٦	بوزجان
٤٣٢	بيهق	٥٠٩	بوزماجن
٤٥٨	بيوار	١٦٩ ١٦٧	البوسفور
		٣٩٣	بوشت
	ت	٢٩٦ ٢٩١	بوشكانان
		٤٥٤ ٤٥٣	بوشنج (بوشنك)
٥٣	التاج (بغداد)	٢٩٧	بوشهر (بوشير)
	تارم (انظر طارم)	٤٩٤	بوقفة
٣٥٧	تازيان	٣٠٨	بول بولو
٤٨٢	تاش كوبريك	٤٨٢	بول سنكين
٥١٩ ٥١٨ ٤٧٧	تاشكند	١٩٠	بولى
		٤٥٥	بون
٨٤ ٨٣	تامرا	٥١٨ ٥١٧	بونجكت
٤٨٠ ٤٧٨	التبت	٢٥٥	بوه رود
١٩٧ - ١٩٤	تبريز	١٢٤	البويار (نهر)
٤٣٧	تجند	٣٦٢	بيايان
٢٨٠	تخت بول	٣٦٤ ٣٦٣	بيايانك
٢٥٩	تخت سليمان	٨٩ ٨٨	پيان
٢٨٧	تخت قراجه	٣٦٣	بياوق (بياوه)

الفهرست البلدانى

١٧٩	١٧٤	توقات	٣٩٦		تربة الحيدرى
٢٠٩		تولم	٤٩٧	٤٩٣	تربة نجم الدين الكبرى
٣٩٣	٣٩٢	تون	٣٥٧		ترزك
٥٢٦		تونكت	٣٩٥	٣٩٤	٣٦ ترشيز
٣٩٢		تونوكاين	٣٩٤		ترشيس
٢٣٢		توى	٣٤٣		ترك اباد
٢١٦		توين	٢٥٥		تركان رود
٢٨٩		تيرخدا	٥٣٠	٥٢٥	ترکستان
٣٠١	٣٠٠	تير مردان	٤٨٤	٤٧٢	ترمذ
٨٧		تيره	٢٨٥		ترنك
٣٦٨	٣٦٧	التيز	٢٨١	٢٦٩	٢٦٨ تستر
٣١٨		تيمرستان	٢٤٦		تفرش
			١٥١		تفريك
			٢١٦		تفليس
			٤٢٨		تك آب
			٨١	٤١	تكريت
			١٧٦		تكه
			٢٨٦		تكي ناباذ
			٩٤		تل (انظر : درتل)
			١٣٠		تل ابراهيم
			١١٨		تل اعفر
			٥٧		تل التوبة
			١٤٥		تل سابس
			١١٦		تل فافان
			١١٦		تل قويونجق
			٥٦		تل النبى يونس
			١٩٥		تل نعمان
			٥٣٠		تلا (بحيرة)
			١٦		تلاس
			٥٠٥		تلو
			٤٨١		تمجكت (تمشكت)
			٤٩٤		تمليات
			٣٥٧		تنك دهان شير
			٣٢٦		تنك زندان
			٢٢٤		تنك زينه
			٣٣١	٢٩٥	٢٨ تهران (انظر : طهران)
			٤٧٦		تواله (بحيرة)
			٢٩٥		توج
			٣٣٠		توران
					توز
					توسر

ث

ج

الفهرست البلدانى

٤٦٦	الجزر	١٠٢	١٠١	جامع الكوفة
٣٠٤	جرش	١١٧		جامع المصطفى (الموصل)
٣٠١	جركن	١١٧		الجامع النورى (الموصل)
٤٨٠	جرم	٩٧		الجامعين
٤٠١	الجرمى	٣١٤	٣٦	جاهك
١٧٦	جرميان	٢٥٣		جايح
٣٠٤	جره	٢٥٣		جايجرود
٤١٢	جرهد	٥١٢		جاي رود
٢٥٨	جرود	٢٧٨		جيا
٢٨٨	جروز	٢٤٩	٢٣٥	الجببال (اقليم)
٣٥٧	جرون (جزيرة)		٢٦٢	
٤٧٨	جرباب	٤٠٩		جبال باب الابواب
٢٤١	جز (كز)	٤٠٩		جبال القاف
٢٨٢	جزه	٥٧	٥٦	جبل (بتشديد الباء)
٤١	الجزيرة (اقليم)	١٤٩		جبل أقردخس
		٤١٣		جبل بادوسبان
١٥٧	جزيرة ابن عمر	٣٥٤		جبل البارز
٢٩٧	جزيرة بنى (ابن) كوان	١٢٨	١٢٠	جبل بارما
٢٩٧	جزيرة الشيخ شعيب	٤٨٧		جبل جفراغز
٢٩٧	الجزيرة الطويلة	٢١٧		جبل الحارث
١٩	جزيرة قيس	٤١٣		جبل الروبنج
٣٠٢	جسر ابي طالب	٣٨٤		جبل الزور
٨٤	جسر بوران	١٢٨		جبل سنجار
٩٦	جسر سورا	٤١٣		جبل فادوسبان
١٣٩	جسر منبج	٤٥٦	٣٨٩	جبل الفضة
٨٥	جسر النهر (مدينة)	٤١٣	٣٥٤	جبل قارن
١٦٣	جسر الوليد	٤٦٢		جبل كوه
١٤٩	جسر يفر	١٤٨		جبل مرور (مزور)
٤٢٩	جشمه سبز	١٢١	١٢٠	جبلتا
٧٨	الجصفرى (سامراء)	٥٢٣	٣٤	جدغل (مدينة)
٤٣٤	جفان رود	٥٢٠		جدغل (نهر)
٢٣٤	جفان ناوور	٣٧		جدة
٤٨٢	جفانيان	٣٠٦		جراحية (جراحى)
١٢٨	جفنج (نهر)	٢٤٥		جرباذقان
٣١٤	جفور	٤١٨	٤١٧	جرجان
٤٩٥	جگر بند		٤٠٤	٢١
٤٧٧	جكزرتس (جكسارتس)		٤١٩	
٣٥١	جكك اباد	٤٩١	٤٨٩	الجرجانية
٣٥٦	جكن	٥٦		جرجايا
٣٠٧	الجلادجان (الجلادكان)	١٦٦		جردقوب
٢٤٠	جلياره	٤٩٦	٤٨٩	جردور
		٣٥٣		جردوس

الفهرست البلدانى

٢٣٠	جوهسته	٢٤١	٢٠١	جللا
٢٤٢	جوى سرد	٨٧		جلولاء
٣٥٦	جوى سليمان	٢٩٤		جم (جبل)
٢٨٨	٢٨٥	٢٨٧		الجمكان
٣٢٨	٢٩٠	٥٢٧		جمكنت (جموكت)
٤٣٣	٢٨٩	٥١٠		جن (جى)
٢٣٨	٣٧	٣٩٨		جناباد
٤٩٧		٥٢٩	٣٣١ ٣٠٩ ٢٩٥	جنابه
١٩٤	٣٨	١٩٩		جنبلق
٤٧٧	١٦٤ ١٦٣	٥٢٩		چند
٤٧٧	٤٧٦ ١٦٤ ٢٢	٣٦٤	٣٦٣	چندك
٤٨٧	٤٨٦ ٤٨١ ٤٧٨	٤٦٦		چندويه
٤٩٨	٤٩٤ ٤٩٠ ٤٨٩	٢٧٣		چنديسابور
	٥٢٠ ٥٠١ ٤٩٩	٣٤٦		چنز روذ
٣٥٦	الجير (خليج)	٢١٣		چنزوه
٣٥٢	٣٣٧ ٣٨ ٢٠	٢٨٧		الجنكان
٤٤٢	جيرنج	٤٧٧	٤٤٦ ٤٤٥	جهار جوى
٥١٩	جيزك	٢٧١		جهار دانكه
٥٢٩	جيس	٣٨٣		الجهالكان
٢٠٦	الجيل	٣٨٧		جهان سوز
٢٠٧	٢٠٦	٣٣١	٢٩٠	جهرم
٢٠٧	جيلانات	٢٣٢		جهوق
٢٥٠	الجيلانى (نهر)	٤٢٢		جهينه (جرجان)
٣٠٢	جيلويه (جبل)	٦١		الجوامد
٢٩٧	جين	٢٤٠		جوباره
٥٢٦	جيناس	٣١٣		جوبانان
٥٢٥	جينانجكت	٦٣	٤٥	جوخى
		٢١٧	١٢٣	الجودى
		٣٩٧		جودقان
		٣٣٠	٢٩١	جور
		٤٥٨	٢١٦ ٢١١	جورجيا
		١٥٥		جوديت
		١٦٦		الجوزات
		٤٦٥	٤٦٢	الجوزجان
		٤٦٥		الجوزجانان
		٤٠١		جوسف
		٢٥١		الجوسق (الرى)
		٧٨		الجوسق (سامراء)
		٢٠١		جولها
		٣٠٦		جومه
		٣٢١		جومة يزد
٥١	الحارثية			
٦٣	الحالة			
١٤٢	حانى			
١٠٦	الحائر (كربلاء)			
٣١٥	حبرك			
٣٠٧	حبس			
٩٥	حبيل ابراهيم			
٤٠٨	الحدادة			
٤١	حداقل			
١١٨	الحدباء (الموصل)			
١٦٦	١٥٤			
	الحدث (قلعة)			

٢٢٦	١٠٧	٨٨	٢٣	حلوان	١٢٢			حدباب
			٢٢٧		١١٩			الحدبنة (دجلة)
٣٥٠				حمام زقاق البيد (بم)	١١٩	٨٩		الحدبنة (الفرات)
١٠٠				حمام عمر	٨٩			حدبنة النورة
١٢٨	١٢٠			حميرين	١٦٧			الحراب (قري)
١٧٦				حميد	١٥٧	١٣٤		حران
٦١				الحوانيت	٧٣			حربي
١٥٥				حورث	٤٩			الحربية (بغداد)
٣١٧				حوسكان (حوسجان)	٢٨٢			حروري
٢٧٩				الحومة	١٢٣			حسن اغا (قرية)
٣٩٤				حومة نيسابور	١٢٣			حسنه (قرية)
٣٢١				حومة يزد	١٥٧	١٥٦	١٢٣	الحسنية
٢١٧				الحويرث (جبل)	٤٨٣			حصار
٢٧٦	٢٦٨			الحويزة	٣٧٦			حصار زره
٧٩				الحويصلات	٤٨٣			حصار شادمان
٤٣				الحى	٣٥٧			حصار شامل
٣٧٠				حيدر اباد	٢٩٢			حصن ابن عمارة
٢٥٧				الحيدرية (قلعة)	٥١٩			حصن الافشين
١٠٢	١٠٠			الحيرة	١٥٢			حصن البيالقة
١٤٦				حيزان	٤٩٥			حصن خيوه
					١٤٩			حصن زياد
					١٦٧			حصن سنده
					١٧١	١٦٧	١٦٦	حصن الصقالبة
					٣٨٢			حصن الطاق
					١٥٣			حصن طرندة (درنده)
					١٦٧			حصن الغبراء
					١٦٧			حصن غروبل
					١٤٥	١٤٤		حصن كيفا
					١٦١			حصن المرواني
					١٣٦			حصن مسلمة
					١٣٩			حصن منبج
					١٥٥			حصن منصور
					٢٧٨	٢٧٢		حصن مهدى
					١٦٧			حصن اليهود
					١٢٩	١٢٨		الحضر
					٥٢٩			حضرة تركستان
					٧٤			الحظيرة
					٣١٥			حفرك
					٢٢٦			جليجة
					٥٠٠			حلم
					١١١	٩٨ - ٩٧		الحلة

الفهرست البلدانى

٤٤٤	خزانة الضميرية (مرو)	٤٣٦	خاوران
٤٤٤	الخزانة العزيزية (مرو)	٥١٩	خاوس (خاوص)
٤٤٤	الخزانة الكمالية (مرو)	٢٨٩	خبير
٤٤٤	خزانة مجد الملك (مرو)	٤٣٥	خبوشان
٤٤٤	خزانة المدرسة الخاتونية (مرو)	٣٤٦ ٣٣٧	خبيص
٤٤٤	خزانة نظام الملك (مرو)	٤٨١ ٤٧٨ ٤٧٦	الختل
٤٦٠	خستار	٤٧٩ ٤٧٠	ختلاب
٥٠١	خست مناره سى	٤٨١	ختلان (بضم اوله وسكون ثانيه)
٤٣٢	خسرو جرد	٤٨١	ختلان (بضم اوله وتشديد ثانيه مع الفتح)
٣٢٨	خسو	٥٣٢ ٥٣٠	ختن
٤٦٠ ٤٥٣ ٣٠٣	خشت	٤٥٠	خجارجان
٥١٢ ٤٣٨	خشكروذ	٥٠٥	خجده (خجاده)
٢٠٨	خشيم	٥٢٢	خجند
١٦٣	الخصوص	٤٣٣	خداشة
٢٢٩ ٢٢٨	خفتيان	٥١١	خديمتكن
٤٨١	خلاب	٤٢٤ ٤٢٣ ٢١	خراسان (اقليم)
٢٨٨	خلار	٤٦٢ ٤٤٩ ٤٣٩	
٢١٨	خللاط	٤٥٠	خراسان اباد
٥٠٠ ٢٠٥	خلخال	١٤٩	خرابوط
٤٦٩	خلم	١٤٩	خرتيرت
١٦١	خليج اسكندرونة	٤٢١	خرتير
١٦٤	خليج اياس	٤٥٤ ٣٩٧	خرجرد
٣٨	خليج فارس	٤٥٩	خرخيز
٣٥٢	خليل رود	٣٨٣	خردوى (نهر)
٣٠٠	خمابجان (خمياكان)	٢٩٠	خرشد (خرشر ، خرشنه)
٣٥٠	خناب	٥١١	خرغانكك
٢٩٢	خنافكان	٤٤٢	خرق (خره)
١٩١	خنجرة	٤٠٧ ٤٠٦	خرقان (بسكون الراء)
٩٠	خندق سابور	٢٣١ ٣٩	خرقان (بتشديد الراء)
١٨٠	خنس (خنوس)	٥١٩	خرقانه
٣٠٨	خنك	٢٣١	خرقاني
٢٩٢	خنيققان (خنيققان)	٣٩٧	خرکرد
٤٦٥	خواجه خيران (قرية)	٢٣٦ ٢٣٥	خرماباد
٣٢٨	خوادان (قلعة)	٣١٤ ٣١٣	خرمه
٤٠٨ ٤٠٧ ٣١٥ ٢٨	الخوار	٣٦٨	الخروج (ناحية)
٤٨٩ ٤٧٦ ٢٢	خوارزم (اقليم)	٤٣٦	خرو الجبل
٥٠٢ ٤٩١		٢٥٥	خروود
٤٩٢ ٤٩١	خوارزم (مدينة)	٢٩٠	خروشه
٣٨١ ٣٦٨ ٣٥٥	الخواش	٥١٣	خزار
٣٨١ ٣٧٣	خواش (نهر)	٣٢٢	خزانة
٤٥٤	خواشان	٤٤٤	خزانة شرف الملك (مرو)

الفهرست البلدانى

١٣٦				دارا	٣٩٩		خواشر
٣٢٦	٣٢٥	٣١٤	٢٨٤	دار ابجر	٣٩٧		خواف
			٣٢٢		٥٢٢		خواكند (خواقند)
٢٩٨				دارجان سياه	٣٠٨	٣٠١	الخوبدان
٣٥١				دارجين	٤٣٥		خواجهان
٤٨٣				دارزنجى	٤٠١	٣٦٤	خور
٣٥١				دارزين	٣٠١		خور اوآدان
١٨٠				دار السيادة (سيواس)	٣٠٩		خور جنابة
١٠٤				دار السيادة (النجف)	٢٨٧		خورستان
٣٧٨				دارك	٢٩٠		خورشه (قلعة)
٣٢٦				داركان	٢٣٠		خورشيد
١٣٧				الدالية	٢٩٤		خورنابند
٤٠٨	٤٠٥	٢١		الدامغان	١٠٢		الخورنق
٧١				الداودية	٢٦٧	١٩	خوزستان
٣٨٤				الداور	٤٠١		خوست
١٦٨				دباسة	٤٦٠		خوست (الفور)
٥١٥	٥١١			الدبوسية	١١٦		الخوسر
٢١٦				ديبل	٤٠١		خوسف (خوسب)
٤١	٣٧	١٦	١٥	دجلة	٤٣٥	٢٢٧	خوشان
٤٧٧	١٤٢	٤٤	٤٢		٥٢٢	٥٢٠	خوقند
٦٤	٤٥	٤٤	٤٣	دجلة العوراء	١١٦		خولان
٦٩				دجلة المفتح			خولنجان (انظر خان لنجان)
٩١	٧٣			دجيل (أعلى بغداد)	٢٦٠		خونا
٢٦٨	٢٦٧			دجيل الاهواز			خوناس (انظر نخوس)
٢٧٥				دجيل بصنا	٢٥٩		خونج
٢٦٨				دجيل تستر	٢٠١ - ٢٠٠		خوى
٤٣				الدجيله	٣٢٧		خير (خيار ، الخيرة)
٤٨٥				دراهنين	٤٦٧	٣٠٨	خيراباد
١٦٦				درب الابواب القليقية	٥٢٣		خيرلم
٤٤١				درب برارجان	٣١٤		خيرم
٤٤١				درب تخاران به	٣٦٩		خيروكود
١٦٥	١٥٤			درب الحدث	٤٥٣		خيصار
٢٢٧				درب حلوان	٥٢٣		خيلاص
٥٠٤				درب الراميثنة (بخارا)	٢٩٧		خين
١٦٦	١٥٤			درب السلامة	٤٩٣		خيوق
٥٠٤				درب سمرقند (بخارا)	٥٠١	٤٩٣	خيويه
٥٠٤				درب النوبهار (بخارا)			
٣٥٤				درباى			
٣٠٣				دربست			
٢١٤				دربند	١٩٨		داخرقان
٤٨٥				دربند آهنين	٣٠٤		دازين

الفهرست البلدانى

۱۰۸	۶۳	دستميسان	۲۲۸	دربند تاج خاتون
۲۵۵		دستوا	۱۲۰	دربند خلیفه
۶۹		السكره	۲۲۸	دربند زنكى
۸۶		دسكرة الملك	۲۲۹ ۲۲۸	دربيل
۳۱۸		دشت أرد	۳۸۴	درتل
۲۸۸		دشت ارزن	۲۵۵	درج (واد)
۲۹۶		دشت بارين	۳۹۹	درجان
۳۶۸		دشت بياض (بياز)	۳۰۱	درخيد
۳۶۱		دشت كوير	۲۴۰	دردشت
۳۶۱		دشت لوط	۳۸۴	درغش
۲۷۱		دشتاباد (نهر)	۵۰۹	الدرغم
۳۱۸		دشتروم (دشترون)	۳۵۴ ۳۵۳	درفارد
۱۲۰	۸۳	دقوقا (داقوق ، دقوق)	۳۵۴	درفانى
۳۵۴		دلفريد	۲۲۱	درکزين
۲۴۶		دليجان (دليكان)	۴۹۵	درنمان
۴۱۱	۴۰۷ ۲۱۶ ۳۸	دماوند	۴۰۳	دره
۴۴۲		الدمداتقان	۳۵۵	درهقان
۲۹۶		دمدران	۴۳۶ ۴۳۵	دره کز
۳۷		دمشق	۱۸۱	دروازه اسب بازار (قونية)
۹۲		دما	۱۸۱	دروازه بول احمد (قونية)
۴۱۱	۴۰۷	دنياوند	۱۸۱	دروازه جاشنى کير (قونية)
۲۹۹		دنبلا	۱۶۷	درولية
۱۸۶		دنزلو	۳۰۳	دریاجه شور
۱۲۶	۱۲۵	دنيسر	۵۰۲	دریا شرق
۳۵		ده اشتران	۱۹۵	دریا شور
۴۲۶		ده باد	۵۰۲	دریا قلزم
۴۶۸		ده بارياب	۳۰۷	دریان
۳۵		ده مرد	۳۳۱ ۳۰۳	درين
۴۰۰		ده نابند	۳۱۷	دز ابرج
۴۰۸	۳۵	ده نمك	۴۲۹	دزباد
۴۶۳		دهاس (نهر)	۲۳۶	دزبن
۳۵۱		دهرزين	۲۷۴ ۲۷۳ ۲۶۸	دزفول (دزبل)
۴۵۶	۴۲۰	دهستان	۳۶۸	دزك
۳۰۵		دهلزان	۳۰۷ ۳۰۵	دزكلات
۴۵۹		دهلي	۴۰۵	دزکنبدان
۱۸۳	۱۷۸	دوالو	۳۰۱	دزك نشناك
۸۲	۷۴	الدور	۲۰۲	دزمار
۸۲		دور الحارث	۴۴۸	دزه
۲۷۶		دور الراسمى	۲۵۵	دستبى
۸۲		دور عربايا	۸۶	دستجرد
۲۷۷	۲۷۶	الدورق	۲۹۵	دستقان

الفهرست البلدانى

٤٩٤	ديوه بويون	٢٧٧	دورقستان
		١٥١	دوريك
	ذ	١٣٣	دوسر
		١٢٤	دوشا (نهر)
١١٢	ذات عرق		دوقاط (أنظر : توقات)
١٧١	ذو الكلاع (القلاع)	٣٠٨	دوكنبذان
		٢٠٨	دولاب
	د	٢٣٤	دولة آباد
		١٨٧	دوناس
٤٩٧	راخشميشن	٢٧١	دوندانكه
١٠٧	الراذان (الاعلى والاسفل) ٥٤	٢١٦	دوين
٤٣٥	راذكان	١٤٠	ديار بكر
١٢٥	رأس العين	١١٤	ديار ربيعة
٥٠٩	رأس القنطرة	١٣٢	ديار مضر
٤٠٨	رأس الكلب ٣٦	٨٥	ديالى
٣٧٨	راسك ٣٦٨	٣٧٠	الديبل
٢٣٤	راسمند ٢٣٣	٨٢	دير أبى صفرة
٤٨٢	الراشت	١٥٣	دير برصوما
٧١	الراشدية	٢٤٤	دير الجص
٣٥٦	راغان	٥٥ - ٥٤	دير العاقول
١٣٣	الرافقة ١٣٢	٦١	دير العمال
٣١٦	رامجرد	٥٥	دير قنى
٣٧٩	رامرود	٥٥	دير مرمارى (السليح)
٢٧٩	رامز	٥٦	دير هزقل
٣٧٩	رام شهرستان ٣٧٨	٣٠٧	ديرجان
٢٣٤	رامن	٥٣١	ديزك ٥١٩
٢٣٤	رامين	٢٥١	ديزه
٢٧٩	رامهرمز ٢٧٨	٢٥١	ديزه القصرين
٢١١	الران	٢٥١	ديزه ورامين
٣٠٣	راعتشان	٢٩٢	الديكباية
٣٦٦	راور ٣٤٧	٢٠٧	الديلم (بلاد)
٤٣٤	راونسر	٢٠٧	الديلمان
٤٣٤	راونير	٣٠٨	دينار (جبل) ٣٠٧
٣٥١	راين	٢٩٩	دين دار
٩١	الرب	٢٦٢	الدينور ٢٢٦ ٢٢٤
٤٢٠	الرباط (جرجان)	٣٢٣	ديه اشتراش
٤٨٥	رباط ذى القرنين	٣٢٠	ديه بيد
٤٨٥	رباط ذى الكفل	٣٠٠	ديه على
٤٣٤	رباط سونج	٣١٨	ديه كردو
٤٨٦	رباط طاهر بن على	٣١٥	ديه مورد
٤٧٠	رباط ميله	٣٥٣	ديوزود ٣٥٢

٥٢	رومية المداين	٤٩	ربض باب المحول (بغداد)
٣٢٨	رونيچ (روبنج)	٤٤١	ربض بني ماهان
٣٢٨	رونيژ	٤٤١	ربض ماجان
٤١٤	رويان	٥١٥	ربنجن
٢٨٨	الرويحان	١٥٧	الرجبة
١٩٩	روين دز	٣٩٦	رڭ
٢٥٠	الرى	٣٨٥	رڭج
	٢٦٢	٣٧٧	
٢٥٢	رى شهريار	٢١٣	الرس (نهر)
٥٠٥	رياميئن	٣٢٩	رستاق الرستاق
٣٠٧	ريشهر	٥١٠	رستاق المربان
٢٩٧	ريشهر توج	٢٧٢	رستقباد
٣٠٧	ريصهر	٤١٥	رستمدر
٣٥٢	ريفان	٢٧٢	رستم كواد
٣٥١	ريفان	٢٠٩	رشت
٣٥١	ريكان	٥٢٢	رشتان
٥٠٤	الريكستان	٥١	الرصافة (بغداد)
٣٥٣	ريو بارلس	١٥٨	الرصافة (الشام)
٥٠٩	ريودد	٦١	الرصافة (واسط)
٤٧١	ريوند	١٥٧	الرقه ٢٥
		١٣٢	١١٤
		٤٠١	الرقه (طيس)
		١٣٣	الرقه المحترقة
		٢٩٦	رمزوان (قلعة)
		١٥٥	الرمش (جبل)
		٤٨٣	الرملة
		١٣٥ - ١٣٤	الرها
		١٦٦	الرهوة
		٤٦٩	رؤب
		٢٠٧	روبنج (جبل)
		٣٥٦	رودخانه دزدى
		١٦٠	رودس
		٢٤١	رودشت
		٣١٣	رود عاصى
		٣٣١	الروذان ٢٨٤
		٣٨٣	الروذبار ٢٠٧
		٢٣٢	الروذ راود
		٣٥٦	روذگان
		٢٥١	روذه ٢٥٠
		٤٩٧	روز وند
		١٠٥	الروضة الحيدرية
		٤١٦	روعد (روغد)
		١٠٨	الرومقان ٥٤

الفهرست البلدانی

۴۳۲	سایزوار	۱۵۳	زبطرة (حسن)
۵۲۴	سابلغ (جبل)	۲۵۰ ۲۲۷	الزبيدية
۳۳۱ ۲۹۹ ۲۹۸	سایور	۶۶	الزیر
۲۹۸ ۲۸۴	سایور خره	۲۴۲	زرده کوه
۲۳۶ ۲۳۵	سایور خواست	۵۱۰ ۵۰۳ ۴۷۹	زرفشان
۲۵۰	ساربانان	۴۴۳ ۴۴۲	زرق
۴۷۷	سارس		زركان (انظر : داركان)
۲۳۸	ساروق (جی)	۵۱۲	زرماني
۲۳۴	ساروق (همدان)	۳۷۳ ۳۷ ۲۰	زونج (زونك)
۲۳۰	ساروقا	۳۷۸ ۳۷۶ ۳۷۴	
۴۱۱	ساری	۳۴۶ ۳۴۳	زوند
۴۱۵ ۴۱۱ ۴۱۰	ساریه	۳۶۷ ۳۸ ۲۰	زوه (بحيرة)
۲۲۲	ساسانیان	۳۷۶ ۳۷۳ ۳۷۲	
۳۲۲	ساغند	۹۳ ۵۴	زديران
۴۱۴	سالوس (سالوش)	۲۷۹	الزط
۲۴۷	سامان	۲۸۸	زكان
۵۰۵	سامخاش (نهر)	۲۲۶	الزلم (جبل)
۸۱ - ۷۶ ۷۴ ۵۰	سامراء	۴۸۶ ۴۴۶ ۴۴۵	زم
۴۶۷	سان	۴۹۷	زمخشر
۲۵۳	ساوج بلاغ	۳۸۳ ۳۷۷	زمین داور
۵۰۹	الساودار	۲۳۰	زمین ديه
۲۴۷ ۲۴۶	ساوه	۲۵۷ ۲۵۶	زنجان (زنگان)
۲۹۳	سناویه	۲۹۴	زنجبار (زنجبار)
۴۱	سبار (أبو حبة)	۴۵۲	زندان
۵۲۸	سپانیكت	۲۶۸ ۲۴۲ ۲۳۸	زندرود
۱۸۵	سیرتا	۵۰۶	زندنة
۵۳۲	سبزوار (نیسایور)	۳۵۶	الزنگان (نهر)
۴۵۴	سبزوار هراة	۲۰۲	زنگیان
۲۰۹ ۲۰۲ ۱۹۷	سبنلان کوه	۳۰۸	زهره (نهر)
۴۲۴	سبنج	۱۰۸	الزوابی
۴۶۸	سپورغان	۲۴۳	زواره
۴۵۲	سپیدان (کروش)	۱۲۴ ۱۲۲	الزوزان
۲۸۸	ستجان	۳۹۸	زوزن
۲۵۹	ستوریق	۲۰۱	زولو
۲۵۸	سجاس	۵۱	الزوية (بغداد)
۳۷۳ ۳۷۲ ۲۰	سجستان (الاقليم)	۳۹۸	زیرکوه
۳۹۲ ۳۷۶		۱۷۹	زبله
۳۷۳	سجستان (المدينة)	۲۵۰	الزبيدي
۲۲۵ ۲۲۳	سحنة		
۵۷	سدة الكوت		
۴۹۵	سدور		
		۵۳۲ ۵۱۸ ۵۲	ساباط

الفهرست البلدانى

٢٨٩	٢٨٨	سكان (نهر)	٥٣٢	سد ياجوج وماجوج
٥٢٣		سكت	١٠٢	السدير
٤٥٦		سكردان	٤٨٣	سر آسيا
٣١٣		سكرفناخسرو خره	٢٠٣	سراهند
٢٥٥		سكزا باد	٢٠٢	١٩٧ سراو
٣٧٢		سكستان	١٩٧	سراو رود
١٢٧	١١٥	سكير العباس	٣٩٨	سراوند
٤٦٠		سكيوند	١٤٤	سربط
٢٦١		سلاروند	٢٢٧	سربل
٣٩٨	٣٩٧	سلام	٤٦٨	سربول
		سلفكة (انظر : سلوقية)	٢٥٨	سرجهان
١٤٨		السلقط	٤٧٩	سرخاب
٣٩٤		سلطانا باد	١٩٧	سرخان (نهر)
٢٢٤	٢٢٨	سلطان اباد جيمجال	٤٣٨	٤٣٧ سرخس
٤١٧		سلطان دوين	٨٠	سرداب الفية (سامراء)
١٥٣		سلطان صو	٢٨١	سردان (السردن)
٢٦٣	٢٥٨	٢٥٧ السلطانية ٢٤	٢٣٠	١٩٧ سردود
٢٠٠		سلماس	٥١٨	سرسنده
٥٣		سلمان باك	٤٥١	٤٥٠ سرشك (بيت نار)
١٨١	١٦٥	٢٤ سلوقية (الروم)	٢٧٦	سرق
٥٢		سلوقية (العراق)	٢٣٢	سرکان
٣٩٧		سلومك	٢٢٤	سرماج (قلعة)
٢٧٨	٧١	٧٠ سليمانان ٦٤	٣١٨	سرمق
٤٢٦		السليمانية	٣٥٥	سرهد
٥٠٣	٤٨٥	٤٧٦ ٢٢ سمرقند	٣٨٥	سروان
	٥٠٨	٥٠٧ ٥٠٦	١٥٨	١٤٠ سروج
١٧٩		سمسون	٣٨٢	سروزن
٤٣٣		سملقان (سمنقان)	٣١٨	٢٨٨ سروستان
٤٠٨	٤٠٧	٣٦ سمنان	٥١٧	سروشنة
٤٦٩		سمنجان (سمنكان)	٨٧	السعدية
٢٩٤	٢٩٠	سميران	١٤٥	سمرت (سمرد)
٣١٩	٢٦١	سميرم (سميروم)	٤١٤	٣٣٨ ٣١٧ سميد اباد
١٤٩	١٤٠	١٣٩ سميساط	٥٢٩	سغناق
١٢٠	١١٩	السن	٤٥٢	السفلقات
٢٦٣	٢٢٣	سن سميرة	٣٨٦	سغناجوى
٤٣١	٤٣٠	سناباذ	٨٥	سغوة
٣٧٨	٣٧٥	٣٧٤ سنارود	٣٠٠	سفيد (قلعة)
٢٧٩		سنبيل	٢٠٦	٢٠٣ سفيد رود (سبيد رود)
٤٤٢		سنج	١٩٠	سقرى
١٥٧	١٢٩	١٢٨ سنجار	٤٨٠	السقية
٣٩٨	٣٩٧	سنجان (سنكان)	٢٨٨	سك

الفهرست البلدانى

۱۷۹	سونسى	۵۰۱	سنجر فغن
۵۱۲	سيام (جبل)	۴۵۸ ۱۵۶	سنجة
۴۶۳	سياه جرد	۲۰۵ ۲۰۴	سنجيه
۳۷۶	سياه رود	۱۶۷	السند (الروم)
۲۴۳ ۲۰۲	سياه كوه	۳۷۰ ۳۶۹	السند (نهر)
۵۵	سيب بنى قوما	۱۶۷	سندابرى
۲۸۶ ۳۷۰	سيبى	۳۷۰ ۳۶۹	السندروذ
۴۷۷ ۱۶۴ ۱۶۳	سيحان	۲۵۳	سنقراياد
۴۸۷ ۴۷۷ ۱۶۴ ۲۲	سيحون	۳۴۲ ۳۴۰ ۳۳۸	سنگ
۵۳۱ ۵۲۰ ۵۱۹ ۵۱۷	سيراف	۳۲۵	سنگاره
۲۹۵ ۲۹۴ ۲۹۳ ۲۵ ۳۳۰	سيرام	۴۴۸	سنوان
۵۲۷	السيرجان	۳۶۴ ۳۶۳	سنوب (أنظر سينوب)
۳۳۸ ۳۳۷ ۳۸ ۳۷ ۳۴۹ ۳۴۰ ۳۳۹	سيردريا	۴۰۳	سنيج (سنك)
۵۱۹ ۴۷۷	سيرصو	۲۹۲	سنى خانه
۵۱۹	السيروان	۳۹۵	سهاده (قلعة)
۲۳۷	سيس (سيسي)	۲۵۸	سهنده
۱۷۳	سيسر	۴۱۳	سهرورد
۲۲۵	سيستان (أنظر سيجستان)	۱۹۶	سهمار (شهمار)
۲۹۵ ۲۹۳	سيث بنى الصفار	۸۹ ۴۱	سهند (جبل)
۴۸۷	سيث الخليجان	۱۲۰	السواد
۲۹۳ ۲۹۲	سيث زهير	۱۲۰	السودقانية
۲۹۲	سيث عمارة	۵۱	سور بغداد (الشرقية)
۲۹۵ ۲۹۲	سيث المنظر	۱۱۸ ۱۱۷	سور الموصل
۲۸۸	سيكان	۱۱۱ ۱۰۸	سورا
۳۱۲	سى كنيذان	۵۲۹	سوران
۲۸۹	سيماكون	۲۵۰	سور قنى
۳۳۱ ۳۰۹	سيتيز	۴۵۸	سورمين
۱۹۱ ۱۷۵	سينوب	۲۵۷ ۳۳۰	سورو
۱۸۰ ۱۷۹ ۱۷۴	سيواس	۲۸۱ ۲۷۴	السوس
۱۸۶	سيورى حصار	۴۴۲	السوستان (السوستقان)
	سينوى (أنظر : سيبى)	۲۸۰	سوسن
		۵۱۸	سوسنده
		۲۷۷	سوق الاربعاء (مدينة)
		۱۱۶	سوق الاربعاء (الموصل)
		۲۸۵	سوق الامير
		۲۶۷	سوق الاهواز
		۲۷۷	سوق بحر
		۳۵۰	سوق جسر جرجان (يم)
		۵۱	سوق العطش
		۲۶۴	سومقان
		۵۱۴	سونج

ش

۲۱۴	شابران
۲۹۹ ۲۹۸ ۲۸۴	شاپور
	شاپور خواست (أنظر : شاپور خواست)
۴۰۲	شاخن

الفهرست البلدانى

٢٧١			الشطيطة	٢٥٤			شادشاپور
٧٢			الشطيطة	١٠٨			شاذبهمن
٣١٣	٣٠٠	٦٧	شعب بوان	١٠٧			شاذ سابور
٢٢٦			شعران (جبل)	١٠٧			شاذ فيروز
٩٠			شفانا	١٠٧			شاذ قباد
٢٠٦			شفيت (شفقة)	١٠٧			شاذ هرمز
٣٢٨			شق رودبال (رودبار)	٨٤			الشاذروان (الاعلى والاسفل)
٦٨			شق عثمان	٢٧٠			شاذروان تستر
٣٢٨			شق مسكاهان	٣١٠	٣٠٩		الشاذكان
٥٢٣			شكت	٤٢٧	٤٢٦		شاذياخ
٣١٢			شكسته (قلعة)	٣٩٨			شارخس
٤١٢			شلنيه	٤١٤			شارستان
٣٧٩	٣٧٧		شله	٧٧			الشارع الاعظم (سامراء)
٢١٤			الشمابخية (شماخي)	٤١٩			شاسمن
٥١	٤٩		الشماسية	٥١٩	٥١٨	٤٧٧	الشاش
١٤٩	١٤٨		شمشاط	٥٣١	٥٢٤	٥٢٣	
٢١٣			شمكور	٢٠٥			شال (جبل)
٤٥١	٢٩٠	٢٦١	شميران	٢٠٥			شال (مدينة)
٣١٢			شنكون (قلعة)	٢٠٥	٢٠٤		شال (نهر)
١٢٦			الشهباء (قلعة ماردين)	٤١٤			شالوس
٤١٦	١٣٠		شهر اباد	٤٢٨	٣٤٩		الشامات
١٩٨			شهر اسلام	١٩٥			شاهها (جزيرة)
٣٣٨	٣٢٣		شهر بابك	٢٧٣			شاه اباد
٨٧			شهربان	٤٤١	٤٤٠		الشاهيجان
٤٣٥			شهر بلقيس	٢٤٠			شاه دز
٣٥٢			شهر دقيانوس	٥٢٥			شاه رخية
٣٧٩			شهر رستم	٤١٥	٢٠٦	٢٠٤	شاهرود
٢٥٨	٢٢٦	٢٢٥	شهرزور	٢٥٧			شاهين
٥١٣	٥١٢	٤٥١	شهر سبز	٥٢٨			شاوغر
٢٣٠			شهر ستان (قلعة)	٣٢٨	٣٢٦	٣٢٥	شبانكاره
٢٣٨			شهرستانة	٤٦٨			شبرقان (شبرقان)
٣٧٦	٣٧٣		شهرسيستان	٥٢٦			شتركت
٤١٧	٣٩٧	٢٣٤	شهرناو	٦١			الشديدية
٣٥٧	٣٣٠		شهررو	٢٣٠			شرامين
٤٩٨	٤٩٧		شهروزير	٣٨٥	٢١٤	٢١١	شروان
٢٥٢			شهريار	٤٣			شط الحلة
٢٩٩			شهريار رود	٤٣			شط الحى
٣٢٦			شوانكاره	٦٤	٤٤	٤٢	شط العرب
٣٦٥			شور	٤٣			شط الكوفة
٣١٩	٣١٨		شورستان	٩٨			شط النيل
٤٥٨			شورمين	٦١			الشنطرة

الفهرست البلدانى

١٣٣	صنڤين	٤٢٨	شوره رود
٨٣	صلوى	٢٦٩	شوستر (شوشتر)
٥١	الصليخ (بغداد)	٢٨٠	شوشن القصر
٦١	الصليق	٤٣٦	شوكان
٣٧٨	الصنط	٣٠٣ ٢٧٩	شولستان
	صنوب (انظر : سينوب)	٤٨٣	الشومان (قلعة)
٨٣	صولى	٣٨٩	شيان
٢٣٨ ٢٣٧	الصيمرة	٣٩٧	شيخ جام
٢٨٩	الصيكان	٢٨٤ ٢٨٣ ٣٦ ٢٥	شيراز
٥٣٢ ٥٢٨ ٥٠٨	الصين	٣٣١ ٢٨٦ ٢٨٥	الشيرجان
	ض	٣٣٨	شينز
٤٧٩	الضرغام (نهر)	٢٥٩ ٢٢٦	شيلاو
١١١	ضرية	٢٩٤	شينيز (انظر : سينيز)
	ط		ص
٣٠٤ ٢٩٠ ٢٧٨	طاب (نهر)	١٧٦	صاروخان
٣٠٨ ٣٠٦		١٧٥	صارى بولى
٣٨٨	طابان	١٥٢	صارى جيجك (نهر)
٤٣٠	الطابران	١٦٧	صاغرى (نهر)
٣٢٨ ٢٦٠	طارم	١٩٩ ١٩٨	صافى (نهر)
٢٦٠ ٢٠٤	طارم (نهر)	٥٥	الصافية
٢٦٠	الطارمين	٣٨٣	الصالقان
٧١	الطارمية		صامصون (انظر : سمسون)
٤١٤ ٣٨٢	الطاق	٣٢٣ ٢١٤ ٣٦	صاهك
٢٢٢	طاق بستان	٢٥٨	صاين قلعة
٢٤٧ ٥٢	طاق كبرى	٥٢٩	صبران
٢٠٧	طالش	٢٧٤	صحراء اللر
٢٠٧	طالشان (طلشان)	٢٢٣	صحنة
٤٧٠ ٤٦٥ ٢٦٠	الطالقان	٢٢٥	صدخانية
٥١٦ ٤٩٤	الطاهرية	٣٠٨	صرام
	طاووق (انظر : دقوفا)	٩٣ ٥٤ ٥٠	صرصر
٤٧٠	الطايقان	٤٨٤	صرمنجان
٤٠٩ ٤٠٤	طبرستان	٤٨٣	صرمنجى
٢٥٢ ٢٤٠	طبرك	٤٨٢ ٤٧٦ ٣٦	الصنانيان (بلدة)
٤٠٠ ٣٩٩ ٣٦٢ ٤٠١	طيس	٤٨٣	
٤٠١ ٤٠٠ ٣٩٩	طيس التمر	٤٨٣ ٤٧٩	الصنانيان (نهر)
٤٠٢ ٣٩٩	طيس العناب	٥١٤ ٥٠٣ ٤٧٦ ٢٢	الصند
		٢٩٥	صفارة
		١٧١ ١٦٦	الصنصاف (حصن)

الفهرست البلدانى

٨٩	الطيب	٤٠٠	طيس كيلكى
٧٧	الطيرهان	٤٠٣ ٤٠٢	طيس مسينان
٥٢ ٤٢	طيسفون	٤٠١ ٣٩٩	طيسين
٣٠٥	طيفور (قلعة)	٤٦٩ ٤٦٢	طخارستان
٤١٧	طيفورى (نهر)	١٦٨	طرايزون (طرايزنده)
٣١٨	طيمرجان	٥٣٠	الطراز
		٢٩١	الطربال
		٣٩٤	طريث
		٢٣٨	الطرحان
١١٣	الماشق (سامراء)	١٦٩ ١٦٤ ١٦٢	طرسوس
١٣٨	عانة	٤٩٢ ٢٤٤	طرق
٧٠	عبادان	١٩٥	طروج (بحيرة)
٣٩٤	عبد الابد	٢٠٠	طروج (مدينة)
٦٣ ٤٥	عبدسى	١٤٨	طرون
٨٤ ٣٤	عبرت	٣٩٤ ٣٦	طريث
٤٥٢	عيسقان	٤٩ ٢٧ ٢٣	طريق خراسان
١٠٩	العنابية (بغداد)	٤٠٨ ٢٦٢ ١١٣	
٧٦ ٥٩ ٤٠ ١٦	العراق	٥١٥ ٤٧٣ ٤٧٢	
٢٢١ ٩٦		١٦٦	طريق القسطنطينية
٢٢١ ٢٢٠	عراق المعجم	٢٧٧	طرز
٢٢٠	عراق العرب		طسوج (انظر : طروج)
١٢٧	عربان (عربان)	٥١ ٤٩	طسوج بادوريا
٢٦٧	عربستان	٩٦	طسوج سورا
١٥٢	عرب كير	٨٦	طسوج طريق خراسان
١٥٥	العرجان (نهر)	١٠١	طسوج الفلوجة (العليا والسفلى)
٣٥٦	العرصة	٥١ ٤٩	طسوج قطربل
٢٨٠	عروج	٥١ ٤٩	طسوج كلواذى
٦٤ - ٦٣	العزير	٤٩	طسوج نهر بوق
٢٨٤	العسكر	٩٤	طسوج نهر جوبر
٢٨١ ٦٨	عسكر ابى جعفر		طشكند (انظر : تشكند)
٨٠	عسكر المعتصم	٨٣	طفر
٢٨١ ٢٧٢ ٢٧١ ٢٦٨	عسكر مكرم	٤١٦	طميس (طميسه)
٤٨	عسكر المهدي	٤٠٤ ٢٥٢ ٢٥١	طهران
٦٨	العشار	١٨٧	طواس (حصن)
٤٢٩	عطشباد	١٨٣ ١٧١ ١٦٨	طوانة
١٢١	العظيم (نهر)	٥١١ ٥٠٦ ٥٠٥	الطواويس
٥٠٠	عقبة حلم	١٥٢	طوخمه صو
٢٢٢	عقدة	٣٧٠ ٣٦٧	طوران
٦١	المقر (البطيحة)	١٢٤	طور عبيد
٩٢	عقروق	١٦٠ ٣٨	طوزوس
٧٢	عكبرا	٤٧١ ٤٣١ ٤٣٠	طوس

الفهرست البلدانى

ف				١٨٣	١٧٥	الملايا
٥٢٨			فاراب	٧٢		الملث
٣١١	٢٩٨	٢٨٣	فارس	١٦٧		الملج
		٣٣٢		١٦٧		العلمين (الروم)
٢٥٥			فارسجين	١٦٦		العليق
٤٨١	٤٧٨		فارغر (فرغار)	١٢٢		المصادية
٢٤١			فارقاتن	١٨٦	١٧٥	عمورية
٦١			الفاروث	٣٠١	٣٠٠	عيان
٤٦٨	٤٦٧		الفارياب	١٢١		العيت
١٥٨			فاش	١٦٦		عين برغوٹ
٥١٧	٤٧٨		القامر	١٠٨	٩٠	عين التمر
٥٠٦			فتح اباد	١٣٤		عين الذهبانية
٢٥١			فخر اباد	١٦٦		عين رقة
٣١٣			فخرستان	١٢٥		عين الزاهرية
٤٢	٤١	٣٧	الفرات	١٦١		عين زربى
٤٧٧	١٤٩	١٤٧		١٥٥		عين زنيثا
٤٥٨			فراكتين	١١٧		عين كبريت (الموصل)
٤٢٩			فراجرد	٢٣٣		عين الملك كيخسرو
٩٥			فراشا	٤١٠		عين الهم
٢٣٤			فراهان	١١٨		عين يونس
٤٢١			فراوه			
٤٨٦	٤٤٦		فربز			
٣٣٢	٣٢٩	٣٢٨	فرج			
٤٥٤	٣٦٧		فرجرد (فرکرد)	٤٣	١٦	الغراف
٢٥١			الفرخان	١٦٧		الغبراء
٣٠٧			فرزك	٣٤٦		غبيرا
٢٣٣			فرزين	٤٥٨	٤٥٥	غرجستان
٣٢٣			فرعا	٤٧١	٤٥٨	غرج الشار
٤٨١			فرغان	٤٩٥		غردمان
٥٢٠	٥١٨	٤٧٧	فرغانة	٤٥٨		غرجستان (غرجستان)
		٥٣١		١٢١		الغرفة
٤٢١			فرغول	٣٥	٢٩	غرناطة
٣٢٩			فرك	٤٥٤	٤٥٣	غريان
٤١٣			فرم (فريم)	٣٨٨	٣٨٧	غزنة
٣٧٩			فريه	٣٨٧		غزني
٤٢٩			فرهادان	١٩١		غنجرة
٤٢٩			فرهاذجرد	٣٣١	٢٩٦	الغندجان
٣١٢			فرواب	٣٧٩	٣٧٧	الغور
٣٨٩			فروان	٤٥٩	٤٥٨	غورستان
٣٥٥			فرياب	٦٧		غوطة دمشق

غ

الفهرست البلدانى

١٠٣	١٠٢		القادسية (الكوفة)	١٧٦			فريجية
٥٢٣			قاسان	١٧٧			فريجية ابيكتتس
٢٦٢	٢٤٤	٣٦	قاشان	٢٣٠			فريوار
٨٢			قاطول ابو الجند	٤٣٣			فريومد
٨١	٧٤	٤٧	القاطول الكسروى	٤٨٢			فز
٨٢			القاطول المامونى	٣٣٢	٣٣١	٣٢٧	فسا (بسا)
٨٢			القاطول اليهودى	٤٠٢			فشارود
٣١٥			قالى				فشاويه (انظر : بشاويه)
١٤٩	١٤٨		قاليقلا	١٦٧			فلامى الغابة
٣٩٣	٣٩٢		قاين	٩٤	٩٣	٩١	الفلوجة
٥٢١			قبا	١٠٠			قم البداة
٣٠٦	٢٨٩		قباد خره	٢٨٠			قم البواب
١٧١			القبادق	٥٨ - ٥٧	٤٥		قم الصلح
٤٨٢			القباذيان (مدينة)	٥٢٥			فناكت
٤٨٣			القباذيان (نهر)	٣٦٧			فنز بور
٥٢٩			قيجاق	٣٥١	٣٢٢		الفهرج
٢١٦			القبقى (القفقاس)	٣٦٨			فهرج (مكران)
٢١٥			قبلة (قلعة)	٣٦٨			فهل فهره
٥٩			القبلة الخضراء (واسط)	١٨٨			فونجه
٣٤٥	٣٤٤		قبة سبز (بردسير)	٥٠٩			فور نمث
٢٨٨			قرا الحاج	٤٥٣	٤٤٩		فوشنج
٤٥٦	٢١٣		قرا باغ	٥٠٢			الفولجا (نهر)
٢٤٨			قراصو	٢٠٨			فومن
١٨٩	١٧٦		قراصى	٩١			الفياض
١٨٠	١٧٦		قرا مان (قرمان)	٢٩٢	٢٩١	٢٦١	فيروز اباد
٢١٣			قردقاس			٣٣٠	
٢١٦			قرص	٢٤٢	٢٤١		فيروزان
١٥			قرصبة	١٠٨	٩١		فيروز سابور
٥١٤	٥١٣	٥١٢	قرشى	٣٨٥	٣٨٣		فيروز قند
٢٦٨			قرعة (قوغة)	٤٥٩	٤١٢		فيروز كوه
٥٢٩			القرغيز	٤٦٧			فيرياب
١٥٣			قرق كز (جسر)	١٢٢			فيسابور (فيشخابور)
٢٨١	٢٧٥		قرقوب	٤٧٩			فيض اباد (فيز اباد)
١٣٦	١٢٧	٢٥	قرقيسيا	٦٤	٦٣		فيض البصرة
١٩١			القرم	٢٧٧	٢٧٢	٦٤	فيض دجيل
٢٢٢	٢٢١	٢٦	قرماسين (قرمىسين)	٤٩١			الفيل
٦٣	٤٦	٤٣	القرنة	٤٥٩			قيوار
٣٨٢			القرنين				
١٨٥	١٨١		قره حصار				
١٨٠			قره حصار دولة				
١١٧			قره سراى (الموصل)	١٠٣	٧٢	٧١	القادسية (سامراء)

ق

الفهرست البلدانى

٢٦١	قلاط	١٤٩	قره صو
١٨٧	قل حصار	٤٤٨	الغرينين
١٢٢	قلعة اربيل	٣١٥ ٣٥	قرية الاس
٣٤٤	قلعة اردشير	٣٢٠	قرية البيذ
٣٥	قلعة ايوب	٥٢٩	القرية الجديدة
١٢٥	قلعة الباز	٣٢٣ ٣٥	قرية الجمال
٣٩٥	قلعة بردارود	٣٥٤ ٣١٨	قرية الجوز
١٥٦ ١٥٥	قلعة بهسنا	٣١٥	قرية عبدالرحمن
١٣٠	قلعة تل اعفر	٤٨٦	قرية على
٢٨٧	قلعة تيز	٤٠٨ ٣٥	قرية الملح
١٣٣	قلعة جعبر	٤١٣	قرية منصور
٣٤٤	قلعة دختر	٢١٦	قرية يونس
٦١	قلعة سكر	٣٦٨	قزدار
٢٩٢	قلعة الديكدان	١٧٦	قزل احمدلى
٤٣٤	قلعة زر	٥١٦ ٤٢١	قزل اروات
٢٩٠	قلعة كارزين	٢٠٣	قزل اوزن
٣٨٠	قلعة كاه	١٧٩	قزل ايرماق
٢٣٠	قلعة كبريت	٨٧	قزلرباط
١٥٠	قلعة كمخ	٢٦٢ ٢٥٤ ٢٥٣ ٣٨	قزوين
٣٨٥	قلعة كوهك	١٧٠ ١٦٩	القسطنطينية
٢٣٠	قلعة ماكين	٣٧٠ ٣٦٨	قصدار
٤٥٦ ٤٥٥	قلعة مور	١١١ ٩٦	قصر ابن هبيرة
٣٩٥	قلعة ميكال (ميكال)	٥٣	القصر الابيض (الملائن)
٤٦٤	قلعة الهندوان	٤٤٧	قصر الاحنف
٤٦٦	قلعة والى	٣١٨	قصر اعين
٢٨٦	القلعة	٧٩	قصر الجص
١٨١	قليقية	٢٧٣	قصر روناك
٢٦٢ ٢٤٥ ٣٦	قم	٤٢٩	قصر الريح
٣٥٣	قمادين	٨٨ ٨٥	قصر شيرين
٣٦٩ ٣٦٨	قمبلى	٢٤٤	قصر فين
٣١٧	قمستان	٣٦٨	قصر قند
٨٢	القناطر (قرية)	٢٢٣ ٣٦	قصر اللصوص
١٠٠	القناطر	٣٣٩	القصران
٣٧٠	قندابيل	١٩١	قصبمونية (قصبمونى)
٤٧٠	قندز	٤٣	القطر
٢٨٦ ٣٨٥ ٣٧٢ ٢٠	قندهار	١٠٨	قطربل
٢٧٠	قندوه	٣٢٤	قطره
١٣٠	قنطرة اسكى موصل	١٨٦ ١٦٨	قطية
٢٧٣	قنطرة انديشك	٣٦٢ ٣٥٤	القفص (جبل)
٣٠٥	قنطرة نكان	٤٠٩ ٢١٦ ٢١٥	القفاس
٥١١	قنطرة جرد	٥٢٤	القلاص

الفهرست البلدانى

ك	٤٨٢	٤٨١	قنطرة الحجارة
	٧٣		قنطرة حربى
٤٥٦	٣١٢		قنطرة خراسان
٣٨٩ ٣٨٨ ٣٨٧	٢٨٠		قنطرة خرزاد
٣٨٨ ٣٨٧	٩٢		قنطرة دما
٥٢١ ٤٩١ ٤٩٠ ٤٨٩	٨٢		قنطرة الرصاص
٣٨٣	٣٠٦		قنطرة ركان (تكان)
٢٩٠ ٢٨٩	٢٧٣		قنطرة الروذ
٢٦٨ ٢٦٧ ٢٣٥ ٦٤	٢٧٣		قنطرة الروم
	٢٧٣		قنطرة الزاب
٢٩٠	٣٠٤		قنطرة سيوك
٤٥٧	١٥٦		قنطرة سنجة
١٧٦	٣١٣		قنطرة شهریار
٣٣١ ٣٠٢	١٠٠		قنطرة القامغان
٣١٣	٣٦٧		قنطرة کرمان (رباط)
٣٦	١٠٠		قنطرة الكوفة (بلدة)
٥٣٠	٩٩		قنطرة الماسى
٤٥٤	٨٢		قنطرة وصيف
٥١ ٤٩	٢٥٧		قنغزلان
٣٦٠	٢٤١		قهاب
٤٨٦ ٤٨٥	٢٤٥		قهرود
٤٥٦	٤٨٥		قهلغة
٣١٦	٢٥٨		قهود
١٩١	٣٤٧		قواق
٢٠٩	١٢٦		قوج حصار
٢٤٣ ٢٤٢	٢٥١		قوسين
٤٩٥	١٩١ ١٨٢		قوشحصار
٢٤٧ ٢٤٦ ٢٣١	٣١٩		قولنجان (قلعة)
٣٦٧ ٣٦٦	٤٠٤ ٣٩ ٢١		قومس
٤١٦	٤٠٨ ٤٠٥		قومس بسطام
١٩٤	٣١٩		قومسه (قومشه)
٥١٠	١٨١ ١٧٤ ١٧٢ ١٦٧		قونية
٤١٤	٤٠٢ ٣٩٢ ٢٢١ ٢٠		قوهستان
٥١٣	١١٩		القيارة
٣٠٣	٢٨٩		قير
٣٠٣	١٦٠		قيرس
٣٤٦	١٧٩		قيرشهر
٣٢١	٢٩٣ ٢٩٠		قيس (جزيرة)
٣٦٨	١٧٨ ١٧٤ ١٦٨		قيسارية (قيصرية)
٤١٤			
٥٢٨			

الفهرست البلدانى

۳۴۲	۳۴۱	۳۴۰	۳۳۸	کرمان (مدینه)	۳۲۴	کدرو
۲۲۱	۳۶			کرمانشاه (کرمانشاهان)	۲۰۵	کدیو
	۲۲۲				۲۱۳	الکر (نهر)
۲۵۳	۲۰۴			کرمرو	۳۷۰	کراجی
۱۱۹	۱۱۸			کرملیس	۵۱	کراده مریم (بغداد)
۳۶۳				کرمه	۲۴۱	کراچ
۱۷۶				کرمان	۴۵۲	کراغ (نهر)
۵۱۵	۵۱۱			کرمنیه	۲۹۳	کران
۲۲۷				کرنه	۴۸۰	کران (کرام ، بتشید الرء)
۳۸۰				کرنک	۳۱۳	کربال
				کره (انظر : جرة)	۱۰۶ - ۱۰۵	کربلاء
۲۳۳				کره رود	۲۳۳	کرج ابی دلف
۵۲۳	۳۱۳			کروان	۴۵۸	کرجستان
۴۵۲				کروخ (کاروخ)	۳۰۱	کرجن
۳۸۰				کروم	۵۱	الکوخ (بغداد)
۴۰۱	۳۶۵			کری	۷۹	کرخ فیروز (سامراء)
۴۰۱				کرین	۲۷۵	کرخا (کرخه)
۴۹۵				کرین (نهر)	۲۴۶	کرخی
۲۶۸				کزکی	۲۵۵	کردان رود
۱۸۷				کزل حصار	۴۹۸	کردر
۲۵۹				کزن	۴۶۹	کردر انخاس
۳۸۲				کزه	۴۹۶	کردران خواش
۵۱۴				کسبه	۲۲۸	کردستان
۵۲				کسیا (کسبیانام)	۲۸۵	کردفنا خسرو
۵۲				کسفیا	۴۰۵	کردکوه
۲۰۸				کسکر (دولاب)	۲۳۰	کردلاخ
۱۰۷	۶۳	۵۹		کسکر (واسط)	۱۹۰	کردی بولی
۵۱۲	۵۰۳	۳۸۳		کش	۴۶۶	کرزوان
۵۰۹				الکسانیه (کشانی)	۳۵۲	کرک
۲۱۵	۲۱۳			کشاسفی	۴۸۱	کرکان تبه
۵۰۹				کشفن	۴۹۱	کرکانج
۳۵۷				کشک	۴۹۲	کرکانجک
۴۸۰	۲۹۷			کشم	۵۱۹	کرکت
۴۴۲				کشامن (کشمیهن)	۲۰۱	کرکر
۵۱۲				کشکه دریا	۲۴۴	کرکس کوه
۳۹۵				کشمر	۱۲۱	کرکوک
۴۸۰				کشمر	۳۸۰	کرکویه
۳۴۶				کشید	۲۱۲	الکرکی (سوق)
۱۵۰				الکعبه	۵۰۰	کرلادی (کرلوه کرلادو)
۱۶۳				کفرییا	۳۲۸	کرم
۱۲۶				کفرتوتا	۳۴۹	کرمان (اقلیم)
					۳۳۷	
					۳۷	
					۱۹	

الفهرست البلدانى

٢٩٩	كهف سابور	٤٧٩	ككجه
١٤٢	كهف الظلمات	٣٧٠	كلات
٣٧٩	كهن	٤٣٧ ٤٣٦	كلات نادر
٤٩٣	كهنة اركنج	٤١٥ ٤١٤ ٣١٩	كلار
٣٨٣	كهيج	٣٥٥	كلاشكرد
٣٩٧	كواخرز	٣٥٥	كلان
٢٨٩	كوار	٤٨٠	كلو فان
٤٥٤	كوانشان		كلپاكان (انظر : جرياذقان)
	كواشير (انظر : بردسير)	٥٣٠	كلجه
٦٣	الكوانين	٤٥٦	كلران
٣٤٧	كوبنان	٣٢٢	كلنا باذ
٢٨٨	كوبنجان	٢٠٢	كلنتر
١٨٦	كوتاهية	٨٣ ٤٩	كلواذى
٥٧ ٤٤	كوت العمارة	٢٠٥	كلور
٢٠٨	كوتم	٤٥٩	كليون
١٠٨ ٩٥	كوئى	٣٥٣	كمادى
٩٤	كوئى ربا	٣٠٣	كمارچ
٩٤	كوئى الطريق	٣٥٧	كمبرون
٤٢٥	كوجان	١٥١	كمخ
	كوج حصار (انظر : قوشحصار)	٢٤٤	كمرت
٣٥٠	كود (جبل)	٣٥٧	كمرو
٣٧٧	كود زره	٢٤٥	كمندان
٤٥٤	كوران	٤٨٢	الكميد
٣١٩	كورد	٣٢٠	كمين
٤١٩	كور سرخ (المشهد)	٣٩٨	كتاباد
٢٣٠	كورشت	٣٩٩	كتابذ
٤٢١	كورنداغ	١٠٢	الكناسه
٣٩٧	كوسوى (كوسويه)	١٦٧	كنائس الملك
٣٦٨	كوشت	٤١٩	كنبد قابوس
٤٥٤ ٢٤٠	كوشك	٣٠٨	كنبد ملغان
٣١٨	كوشك زر (زرد)	٤٥٥	كنج رستاق
٣٥٥	كوشه	٢١٣	كنجه
٣٥١	كوش وران	٥٢٨	كنجيه
٤٥٦	كوغاناباذ	٥٢٢	كند
٣٤٦	كوغون	٥٢٣	كند بازام
٤٥٦	كوفل	٣٩٤ ٣٦٧	كندر
٤٣٦	كوفن	٤٦٧	كندرم (كندردم)
١٠١ ٤٢ ٣٧ ٣٤	الكوفة	٣٠٩	كنفه
	١٠٣	٢٢٤ ٢٢٣ ٣٦	كنكوار
٣٤٦	كوك	١٦٢ ١٦١	الكنيسة
٢١٧ ٢١٦	كوكجه (بحيرة)	٢٨٧	الكهرجان

۱۹۵		اللامس (نهر)	۱۲۲		کوکمیل
۲۱۳		اللان	۳۶۶		کوکور
۲۰۸		لاجهان	۵۳۰		گولان
۲۹۷		لاوان	۲۶۸		کولکتر (نهر)
۴۶۰		لخراب	۱۴۸		کونک صو
۲۳۵		المر الصغرى	۳۵۵		کونین
۲۶۸	۲۳۵	المر الکبرى	۳۴۷		کوه بنان (کوه بیان)
۲۸۱		لرجان (لركان)	۲۶۸		کوه رنک
۳۶۹		لس بلا	۲۶۸	۲۰۵	کوه زرد
۲۷۲		لشکر	۲۰۲		کوه سراهند
۱۶۲	۳۸	الکام (جبل)	۲۱۸		کوه سیبان
۲۵۶		لنبره	۲۸۷		کوه قلعه سرخ
۵۱۰		لنچوگکت	۴۲۸		کوه کلشان
۲۳۵		لورستان (لورستان)	۴۵۶		کوه نقره
۴۴۸		لوکر (لوکره)	۲۴۶		کوه نمک
۱۷۱	۱۶۷	لولؤ (لولون)	۴۳۳		کویان
	۱۸۳		۳۷۹	۲۸۹	کوبین
۱۷۷		لیدیة	۴۹۷		کیث
۱۷۶		لیقونیه	۳۶۸		کیچ
۱۷۶		لیقیة	۴۲۲		گیرنک
۱۹۹		لیلان	۳۶۸		کیز
			۳۷۰		کیز کانا
			۱۵۶		کیسوم
			۲۹۳	۱۶	کیش (جزیره)
۱۵		ما بین النهرین	۴۵۵		کیف
۴۷۶		ما وراء النهر	۳۷۰		کیکان
۷۸		الماحوزة	۲۰۶		کیلان
۱۱۲		ماحوزی			
۴۴۵		ماخان			
۸۴	۵۷	ماذرایا			
۲۲۶		ماذرستان			
۲۲۰		ماذی			
۴۵۳		ماراباذ			
۱۲۶	۱۳۵	ماردین			
۴۲۸		مازل			
۴۰۹	۲۱	مازندران			
۲۳۷		ماسبدان			
۲۰۱		ماستکوه			
۳۴۵		ماشیز			
۳۰۴	۲۸۸	ماصرم			
۱۲۷		ماکسن			

الفهرست البلدانى

٤٤٤	مدرسة شرف الملك (مرو)	٣٠٣	مالان (درب)
٤٤٤	مدرسة نظام الملك (مرو)	٢٨٠	مال الامير (مال امير)
٤٣١	المدرسة النظامية (بغداد)	٣٩٧	مالن (مالان)
١٩٠	مدرلو	٤٥٢	مالن هراة (مالان)
٢٥	المدينة	٨٢	المامونية (سامراء)
٥٢	المدينة العتيقة (طيسفون)	٢٩٩ ٢٩١	ماندستان
١٦٦	مدينة اللين	٣٨	ماهالو (بحيرة)
٤٨	المدينة المدورة	٣٤٦ ٣٤٥	ماهان
٧٥٤	مدينة موسى	٤١١	ماهانة سر (قلاع)
٦٣ ٤٥	المدار	٢٣٢	ماه البصرة
٤٩٨ ٤٩٧	مدمينة	٢٢٥ ٢٢٤	ماه الكوفة
٥١١	مذيامشكت	٢٨٧ ٢٨٦	ماهلوية (ماهلو)
١٤٨ ١٤٧	مراد صو	٣٠٩	ماهى رويان
١٩٩ - ١٩٨ ١٩٤ ٣٥	المراعة	٤٤٠	ماياب
٣٢١	مراغة (قرية)	٢٢٧	مايدشت (ماهدشت)
٦٥	المريد	٥٠٩	مايمرغ
٢٤١	مربين	٣١٦	مايين
١١٦	المربة (الموصل)	٥٧	المبارك
١٧١	مرج الاسقف	٢٥٤	مبارك اباد
٢٢٧	مرج القلعة	٢٥٤	المباركية
١١٩	مرجهينة (مرج جهينة)	٥١ ٥٠	متحف الاسلحة (بغداد)
٢٠٢	مردان نعيم	٢٧٥	متوت (متوت)
٤٦٧	مرسان	٢١٣	المتوكلية (ازان)
٥١٩	مرسندة	٨٢ ٧٨	المتوكلية (سامراء)
١٦١	مرعش	٤٣٠	المثقب (سناباذ)
٤٥٢ ٤٤٤ ٤٣٩	مرغاب	١٦٢	المثقب (المصيصة)
٤٣١	مرغزار تكان	٣٩٥	مجاهد اباد
٣٢٠	مرغزار كالان	١٤٣	المحدثة
٢٣٣	مرغزار كيتو	١٣٠	المحلبية
٣٠٣	مرغزار نركس	٤٣٦	محمد اباد
٥٢٢	مرغينان (مرغيلان)	٢٤٩	المحمدية (الرى)
٥٣٠	مرکه	٨٢	المحمدية (سامراء)
٢٠١	مرند	٦٩	المحمرة
٤٣٦ ٤٢٤ ٢١	مرو (الكبرى)	٢٦٥ ٢١٠	محمود اباد
٤٤٤ ٤٤٣ ٤٤٠		٦٢ ٤٩	المحول
		٦٩	المختارة
٤٣٩	مرو آب	٥١ ٤٩	المخرم (بغداد)
٣١٥ ٣١٣	مرو دشت	٥٤ - ٥١ ٤٢	المدائن
	مرو الروذ (مروجك ، مرو الصفرى)	٩٩	المدحتية
٤٤٨ ٤٤٧ ٤٤٠		٤٩٦	مدرا
٤٤٧	مروذ	٢٤٠	مدرسة السلطان محمد السلجوقى

الفهرست البلدانى

٤٩	مقبرة قريش	٤٤٠	مرو الشاهجان
١٩١	المقلوب (نهر)	٤٣٧	مرينان
٣٦٠	٢٠ مكران	٣٥	المرية
٢٩٠	مكرجان	٤٩٨	مزداحيكان (مزداحقان)
٢٥	مكة	٢٤٧	مزدقان
١٦٧	ملاجنة	٧٩	المزرفة
١٨٠	١٤٨ ملاسكرد (ملازكرد، ملسجرد)	٣٨٦	٣٧٠ مستنج (مستنك)
٢٣٢	ملاير	١٣٥	المسجد الاقصى
٣٦٩	الملتان	٧٩	المسجد الجامع (سامراء)
١٧٤	١٥٣ ١٥٢ ملطية	٢٧٢	٢٧١ المشرقان (المشرقان)
١٨٢	١٦٨ ملقوبية (ملنقوبية)	٤٢١	مصريان
١٦٤	الملون	١٠٨	٧٣ مسكن
٨٠ - ٧٩	المولية (سامراء)	١٦٦	المسكنين
٤١٥	مطير (مامطير)	١١١	المسيب
٣٥٦	مناب (مناو)	٣٠٦	مسين
٢٧٤	مناذر	١١٩	مشتكهر
٦٢	منارة حسان	٤٣٢	٤٣١ ٤٣٠ ٤٢٩ المشهد
	منازجرد (منزكرت) انظر : ملاسكرد	١٠٦	١٠٥ مشهد الحسين
١٣٩	مننج	٦٤	٦٣ مشهد عبدالله بن علي
١٧٦	منتشا	١٠٥ - ١٠٣	مشهد علي
١٢٧	المنخرق (بحيرة)		مصدقان (انظر : مزدقان)
٨٨	مندل	٥١٢	المصل (مدينة)
٤٠٥	٣١٧ منصور اباد	٤٣٠	١٦٣ ١٦٢ المصيصة
٤٩١	٣٧٠ ٣٦٩ المنصورة	١٩٠	مطرنى (مدرنى)
٤٩٩	منقشلاغ	١٧١	المطمورة
٤٨١	منك	٧٤	المطيرة
٤١٨	من كركان	٤٢٥	المعسكر (نيسابور)
٣٥٧	٣٥٥ منوقان (منوجان)	١٦٦	معسكر الملك
١٦٦	منى	٧٨	المعشوق (سامراء)
٣٨٩	٣٦٩ مهران (نهر)	١٥٧	١٢٣ معلثايا
١٩٧	١٩٦ مهران رود	٥٠٥	٢٠٩ مكفان (موفان ، موفان)
٤٣٤	مهرجان	١٦٧	مفل
٢٣٧	مهرجان قنق	١٨٧	مفلة
٣١٩	مهرجاناباذ (مهرجاناواد)	١٨٨	مفتيسية
٣٥١	مهر كرد	٢٦٠	المغولية
٤١٥	مهروان	٣٥٥	منون
٣٣١	٣٠٩ ٣٠٦ مهوربان	٦٩	المفتج
٤٠٨	مهمان دوست	٤٨٧	٤٣٩ مفازة التركمان الغز
٤٣٦	مهنة (ميهنة)	٣٦٠	٣٣٧ ٣١١ ٢٠ المفازة الكبرى
٤٦١	موبلق	٣٩٩	٣٦٧ ٣٦١
٣٠٣	مورك	٤٨٧	مفازة مرو

الفهرست البلدانى

٢٩٥	٢٨٨	نجيرم	١٤٨	موش
٢٠١		نخجوان (نخجوان)	١٥٧	الموصل
٥١٤	٥١٣	٤٥٧ نخشب	١١٨ - ١١٥	١١٤ موغ استان
٣٥١	٣٣٧	نرماسير	٣٥٧	٤٠٢ مومنا باد
٤٦٧		نريان	١٤٤ - ١٤٣	١٤٤ ميافارقين
٤٧١	٤٣٦	٣٥٢ نسا	٢٠٤	٢٠٤ ميانج (ميانة)
٣١٦		نسائك (نسايك ، نشانك)	٥٢٣	٦٩ ميان رودان
٥١٣	٥٠٣	نسف	١٧٤	مياندر
٥٢٢		نسيا (نسائية)	٣٢٢	ميد
٤٢٦		نشاوور	٣٥٢	الميجان
٣٤٦		نشك	١٨٩	ميخاليج
٢٠١		نشوى	٢٧٧	ميراثيان (ميراثيان)
٣٧٤	٣٦٤	نصرت اباد	٥٣٠	ميركى
١٤٣		النصرية	٣٥٢	الميزان
١٥٧	١٢٤	نصيبين	١٠٨	٦٣ ميسان
٢٤٤		نطنز (نطنزة)	١٧٧	ميسية
١٣٨		نعم (فرضة عانة)	٣٢٧	ميشكانات
٩٩	٥٦	النعمانية	٢٠٣	ميشكين
١٠٠		نفر	١٨٧	ميلاس
٨٧		النفطخانه	٣٧٣	ميل زاهدان
١٩٠	١٦٨	نقمودية	٤١٥	ميله
١٨٣	١٧٥	نكيدة (نكدة)	٤٦٧	٢٩٤ ميد
١٧٩	١٧٤	نكيسار (نيكسار)	٤٦٧	٤٦٦ ميمنة
٥٢١		نمئكن	٢٥٦	ميمون دز
٥٠٤		نموجكت	٥١٩	مينك
٥٠٤		نمى (بخارا)	٢٧١	مينو
٣٧٩	٣٧٨	نه (نيه)	٣٨٠	مينيو كركو
٢٣٢		نهاوند		
١٥١		نهر ابريق		
٦٩	٦٧	٦٥ نهر الابلة		
٤٣		نهر ابن عمر	٣١٣	٢٩٤ ٢٩٣ تابند
٦٣	٤٣	نهر ابى الاسد	٤١٤	٤١٤ تاتل (تاتلة)
٦٩		نهر ابى الخصيب		٤١٤ تاجنه (انظر : واجب)
٩٧		نهر ابى رضى	١٦	١٦ نارشارى
١٤٨	١٤٧	نهر ارسناس	٣٧٤	ناصر اباد
١٥٦		النهر الازرق	٣٦٨	٣٦٨ ناعة (قلعة)
٧٨	٧٥	نهر الاسحاقى	٤١٥	٤١٥ نائمة (نامشة)
٦٩		نهر الامير	٨٩	٨٩ ناووسة
٥٢٥	٥٢٠	نهر ايلاق	٣٣٢	٣٢٢ ٢٤٣ تايين
٦١		نهر بان	١٠٥ - ١٠٣	١٠٥ - ١٠٣ النجف
١٠٠		نهر البداة	٥٢٣	٥٢٣ نجم

الفهرست البلدانى

٢٨١	٢٧٨	٦٩	النهر العضدى	٦١			نهر بردودى
١٠١			نهر العلقى	٦٩	٦٤		نهر بيان
٩٢	٤٨		نهر عيسى	١٠٧	٨٣		نهر بين
٦١			نهر الغراف	٢٨١	٢٧٦		نهر تبرى
١٥٢			نهر القباقيب	٦١			نهر جعفر
١٥٢			نهر قراقيز	١٥١			نهر جلته ايرمق
٦١			نهر قریش	١٠٨			نهر جوبر
٥١٢	٥٠٨		نهر القصارين	٦٩			نهر الحفار
٦٩			نهر القندل	٨٥			نهر حلوان
١٤٢			نهر الكلاب	٨٥	٨٣	٧١	نهر الخالص
٩٤	١٦		نهر كوئى	٥١			نهر الخر
٩٦			نهر الكوفة	٨٦			نهر خريسان
٦٣			نهر المذار	١٠٨			نهر درقيط
٦١			نهر المرأة	٦١			نهر دقلة
٤٣			نهر المرة (البطائح)	١٢٠			نهر دقوق
١٤٣			نهر المسوليات	٢٧٦			نهر الدورق
٦١	٦٧	٦٥	نهر معقل	٦٩			نهر الدير
١٠٨	٩٤	٩٣	نهر الملك	١٤٨	١٤٢		نهر الذئب
٦١			نهر ميسان	١٤٦			نهر الرزم
١٠٠			نهر النرس	١٥٠			نهر الرس
١٦			نهر النيل (العراق)	٩٥			نهر الرضوانية
٤٤٩	٤٣٧		نهر هراة	١٤٣			نهر الرمس
١٠١			نهر الهندية	٨٦			نهر الروز
٦٩			نهر اليهودى	٦٩			نهر الريان
٨٥ -	٨١	٧٤	النهر وان	١١٦			نهر زبيدة (الموصل)
		١٢١		٩٩	٥٧		نهر سابى
٣٠٠			النوبنجان	١٤٣			نهر ساتيدما
٣٠٠	٢٩٩		النوبندجان	٦١			نهر ساسى
٤٦٤	٤٦٣	٤٦٢	النوبهار	٢٧٨	٢٧٦	٢٧٢	نهر السدرة
٣٦٤			نوبخانى (نوجاى)	٥١٠	٥٠٤	٥٠٣	نهر السفند
٣٠٣			نورد	١٥٦			نهر سنجة
٤٩٧			نوزكات	٩٨	٩٧	٩٦	نهر سورا
٤٩٧			نوزوار	٦١			نهر السيب
٤٣٠			نوقان	٨٥			نهر شروان
٥١٤			نوقد قریش	١٤٩			نهر شمشاط
٦٢٠			نوكرد	٩٢			نهر الصراة
٤٩٥			نوكلفاغ	٩٩			نهر صراة جاماسب
٤٨٤			نويده	٩٩	٩٨		نهر الصراة الكبيرة
٣٢٧	٣١٤		نيريز	٩٣	٥٠		نهر صرصر
٤٢٥	٤٢٤	٢١	نيسابور (نيشابور)	٩٥			نهر الصفلاوية
٤٧١	٤٢٧	٤٢٦		١٤٣			نهر الصلب

الفهرست البلدانى

٢٩٧	هندرابى	٣٨١	نیشك
٣٧٧	هند مند	١٩٠ ١٧٢ ١٦٧	نقیة
٣٠٧ ٢٦٩	هندوان	٩٩ ٩٨	النیل (مدينة)
٣٨٩ ٣٨٤ ٤٢٣	هندوكش (هندكوش)	٩٩	النیلیات (النيلية)
٣٠٨	هندیان	٢٢٥	نیمراه
٣٠٧	هندیجان	٢٧٢	نیم روز
٤٥٩	هنكران	٤١٧ ٤١٦	نیم مردان
٦٢	هور بحصى	١١٨ ١١٦ ١١٥	نینوى
٦٢	هور بصريانا		
٦٢	هور بكصى	٣٧٩ ٣٧٣	هارود
٦٢	هور المحمدية	٤٥٤	هارود سيستان
٣٠٣	موشنك (درب)	٧٨	الهارونى (سامراء)
٩٩	الهول	١٦١ ٨٧	الهارونية
٢٠٣	حولان مولان	٤٨٤	هاشم جرد
٤٦٩	هبيك	٩٧ ٩١	الهاشمية
٩٠	هيت	٣٥٢	الهامون
٢٨٩	هيرك	٤٢١	ميرانان
٤٨١ ٤٧٦	الهيطل	٤٤٩ ٤٢٤ ٣٢٣ ٢١	هراة
٣٧٧ ٣٧٢ ٢١ ٣٨٣	هيلمند (نهر)	٤٧١ ٤٥١ ٤٥٠	
		٢٢٧	هرسين (قلعة)
		١٧٥ ١٦٨ ١٦٦ ٣٤	هرقله
		١٨٢	
٣٥٠	واجب	١٢٧ ١٢٤ ١١٥ ١١٤	الهرماس
١٦٧	وادی الجوز	٣٥٨ ٢٩٧	هرمز (جزيرة)
١٤٥	وادی الرزم	٢٦٨	هرمز شهر
١٤٣	وادی الزور	٣٥٧ ٣٥٦ ٣٥٤	هرمز الملك
٤٢٥	وادی سفاور	٢٢٧	هرون اباد
٢٥٤	وادی سيرم	٣١٦	هزار
٦٧	وادی الصند	٤٩٤	هزاراسب
١٦٦	وادی الطرفاء	٢٩٣	هزو
٢٥٤	الوادی الكبير (قزوین)	٢٠٤	هشترود
٤٢ ٣٧ ٣٤ ٢٥ ٤٣	واسط	٢٤٨	هفتاد بولان
		٤٨١	هلاورد
٤٨٣	واشجرد	٤٨١ ٤٧٨	هلبك
٣٨٦ ٣٧٠	والشتان	١٤٢	هلووس
٢١٦ ١٨٠ ١٤٥ ٢١٧	وان (بحيرة)	٥٦ ٥٥	همانية (همينيا)
٢١٨ ٢١٧ ٣٨	وان (مدينة)	٢٦٢ ٢٢٩ ٢٢١ ٣٦	همدان
٥٢٣	وانكث	٢١٠	همشرة
٤٩٥	وايخان	٤٨٤ ٤٥٩ ٣٨٧ ٣٦٩	الهند
		٩٠٨	

				٤٧٩	٤٧٠	(نهر)	وتراب
				٤٧٨			وخاب
				٤٨٠	٤٧٨		وخان
٥١٩			ياركت	٤٨١	٤٧٩	٤٧٨	الوخش
٥٣٠			ياركنه	٤٨٢	٤٨١	٤٧٩	وخشاب
٢٦٦			ياسين تبه	٥١٠			وذار
٨٤			يرزاطيه	٢٥٢	٢٥١		ورامين
١٢٤.			يرنى	٢٠٣			وراوى
٣٣١	٣٢١	٣١١	يزد	٢١٠			ورثان
٢٥٥			يزد اباد	٥١٠			ورغر
٣١٩			يزد خاس	٤٠٩			ورغسر
٣٢٨	٣١٩		يزد خواست	٤٧٢	٤٧٠		وروالبز (وروالبج)
١٨٨			يزمير	٥٠٩			وزگرد
١٩٠			يزنيق (يزنيك)	٤٩٨	٤٩٧		وزير
٥٢٩			يسى	٢٢٢	٢١٨		وسطام (وسطان)
١٩٥			بگدر	٥٢٨			وسيج
١٨٤			يلاج	٢٤٤			وشاق (قلعة)
٤٨٠			يكان	٣٥٥			ولاشجر
٤٠٢	٣٩٨		ونابند	١٩٦			وليان (جبل)
٥٢٩			ينغتک	٤٨١			ومر (قلعة)
٥٢٩			ينكى شهر	٣١٩			وهان زاد
١٨٢			بورغان لاديق	١٥٣			وبران شهر
٤٦٦			اليهودان	٤١٢	٤١١		ويمه
٤٦٦	٢٣٩	٢٣٨	اليهودية	٥٢٥			وينکرد

٢- فهرست الأشخاص والاوقام

٢٢٣	٣٠	ابن مهلهل (مسعر)	٤١٣	آل قارن
٢٧٠	٢٦١		٢٨٧	آل مظفر
٩٦		ابن هبيرة (يزيد بن عمر)	٢٥٩	ابن قنقري
٦٣		ابو الاسد	٣٢	ابراهيم متفرقة
٤٨٤		ابو الحسن بن حسن ماه	٢٢٤	ابروين
٢٢٣		ابو دلف	٣٣	ابن ابراهيم
٢٣١		ابو سعيد اليلخاني	٤٩٢	ابن الاثير
٣٠٩		ابو طالب القرمطي	٣٤٣	ابن الياس (ابو علي)
٣٠١		ابو طالب النوبجاني	٣٤٢	٣٣٨
٤٠٧		ابو الطيب الشوا (خال المقدسي)	٣٥١	٣٤٦
٥٠١	٤٩٣	ابو الغازي	١٣٧	ابن بطلان الطيب
٢٦		ابو الفداء	٣١	ابن بطوطة
٥٣٢		ابو الكلام ازاد	١٧٣	ابن بيبى
٤٤٤	٤٤١	ابو مسلم الخراساني	٣٨٨	ابن البيطار
١٠٤		ابو الهيجاء الحمداني	٣٠	ابن جبير
٦٦		احمد أمين	٣٣	ابن الجوزي
٤٦٤	٤٤٧	الاحنف بن قيس	٢٨	ابن حوقل
٣٥٥		الاخواس (قبائل)	٢٦	ابن خردادبه
١٧٥	٣٠	الادريسي (الشريف)	١٧٢	ابن خلدون
٣٤١	٢٨٤	اردشير بابكان	٣٣	ابن خلكان
			٢٧	ابن رسته
٤٣٥	٢٥٨	أرغون	٢٦	ابن سراييون
٤٩٣		الازبك	٢٩١	ابن سوار
٤١٣		استرابون	٤٣٦	ابن سينا
		اسحق بن ابراهيم (صاحب شرطة المعتصم)	٣٣	ابن الطقطقي
		٧٨	٣٠	ابن عبد الحق (صفى الدين)
٤٥٢		الاسفزاری (معين الدين)	٢٣	ابن العبري
٤٨٥	٢٩٩	الاسكندر الكبير	٣٣	ابن العماد الحنبلي
			٢٧	ابن الفقيه
٢٤٠		اسماعيل الصفوي	٣٣	ابن الفوطي
٣٢٥	٣٠٥	الاسماعيلية	٣٣	ابن كثير
٤١٥	٤٠٠	٣٩٥		

فهرست الاشخاص والاقوام

١٠٢	البراقى	١٨٧	١٧٥	١٥٢	اصحاب الكهف
٤٦٣	البرامكة		٣٥٢	١٨٩	
٣١	٨ براون (المستشرق)	٢٨			الاصطخري
٢١٣	برلاس (قبيلة)	١٠٥			أغا اوغلو (محمد)
٤٢٣	برلاس (عم تيمور)	٣٩٥			أغا خان
٤٦٤	برمك	٤٨١	٤٧٦		الافثلاطيون
٤١٢	٥٣ البرمكى (خالد)	٥١٩			الافشين
٤١٢	البرمكى (يحيى)	٣٦٨			أفضل كرماني
١٣٨	البناسيري	٤٠٣	٣٨٩		الافغان
٤٠٦	البسطامى (أبو يزيد)	٣٠٢	٢٥٧	٢٢٦ ٢٢٥	الاکراد
٣٨٤	البشلتك (قبائل)			٤٦٨	
٩	بشير فرنسيس	٢١٧	١٧٢		الب ارسلان السلجوقي
١٨٥	١٧٨ ١٦٩ البطل (عبدالله)	٢٥٧	٢٢٨		الجايو
١٢٣	بل (جرتروود)	٤٦			الدرد (جون)
٤٤	٣٢ البلاذرى	٢٥٢			أمام زاده (عبد العظيم)
١١١	بلال ابن ابي برده	٣٣			امدروز (المستشرق)
١٩١	بلال الحبشى	٤٤٢	٢٢٥	٥٥	الامين (الخليفة)
٤٠٨	١٨٦ بلو (ه . و)	٢٧٦	١٠٩		انستاس الكرمل
٣٦٢	٣٦١ ٣٥٥ البلوج (البلوص)	٤٣٦			انورى (الشاعر)
٤٦٩	بنو تميم	٢٤٣	٢١٥	٤٤	انوشروان بن قباذ
٤١٩	بنو زيار			٤١٦	
٣٨٢	٣٧٣ ٣٥٤ ٢٨٥ بنو الصفار				اهل الكهف (انظر : اصحاب الكهف)
	٤٤٥ ٤٢٧ ٣٨٩	٣٣			اهلورد (المستشرق)
٤٤٢	بنو ماهان (ميرماهان)	٢٥٨			اولجاي خاتون
١٠٠	بنيامين التطيلي	١٨٩			اورخان العثماني
١٠٤	بهاء الدولة البويهى	٣٤٢			ايرانشاه السلجوقي
٢٣٠	٢٢٦ بهرام جور				
٣٨٧	١٨٢ بهرام شاه				ب
٢٧٦	٢٤٣ بهمن بن اسفنديار				
٣٨٦	بوذا	٥٢٠			بابر
٨٤	بوران	٢٥٨			باتوخان المغولى
١٧٠	بورى (البروفسور)	٤١٤	٤١٣		البادوسبان
١٥١	بولس الشمشاطى	٤٥٢	٢٩		باربيه دى مينار (المستشرق)
٥٢	بوليبوس	٤٦٤			
٢٠٧	البويهيون	٢٩			بافه دى كورتى (المستشرق)
١٥١	البيالقة	١٨٥	١٨٢		بايزيد ايلدرم العثماني
٣٨٠	٣٧٩ البيرونى	٤١٢			البحرية ابنة الاصهبند
٤٦٥	بيقرا (ميرزا)	٢٧٤	٢٧٣		بختيشوع
١٥١	البيلقاني	٢٣٦			بدر بن حسنويه
٢١٠	بيله سوار (الامير)	١١٧			بدر الدين لؤلؤ
		٢٩٢			برازة الحكيم

فهرست الاشخاص والاقوام

٣٢١		جولدسيهر (المستشرق)
٨٥	٥٦	جونس (فليكس)
٣١		جونيل (المستشرق)
٢٤٨		الجويني (شمس الدين)

ح

٣٢		الحاج خليفة
٥٠٠	٣٢	حافظ أبرو
٣٤٦		حافظ الشيرازي
٩٩	٥٩	الحجاج بن يوسف الثقفي
١٠٠		حداد (عزرا)
٦٣		حسان النبطي
٥٧		الحسن بن سهل
٢٥٦		حسن الصباح (شيخ الجبل)
٣٩٥	٣٩٤	
٨٠		الحسن العسكري (الامام)
١٢٣		الحسن بن عمر التغلبي
٢٣٦	٢٢٤	حسنويه
٤٤١		حسين الطاهري
١٠٥		الحسين بن علي (الامام)
٢٥٢		الحسين بن علي الرضا
٢٠٤		الحشيشية (الحشاشون)
٣٠٥	٢٦١	٢٥٥ - ٢٥٦
٤٠٥	٤٠٢	٣٩٤ - ٤٠٠
		٤١٢ - ٤١٥

٣٣	٣٢	حمزة الاصفهاني
٢٣٥		حموية
٢٦٧		الحوز
٢٥٧		حيدر (الاتابك بهاء الدين)
٣٩٦		الحيدرية (دراويش)

خ

٤٠٦		الخرقاني (ابو الحسن)
٥٣٠	٥٢٠	الخرلخية (قبائل)
٢١٥		الخزرج
٢٢٧		خسرو جرد بن شاهان
٣٢٧		خسويه (قبيلة)
٣٠		الخشاب (الدكتور يحيى)
٣٤		الخطيب البغدادي

ت

٣٦٤	٢٧٦	٤٦		تافريه
٤٨٤	٤٥٩	٤٤٤	٤١٢	التتر
٤٩٩	٤٩٧	٤٩٣	٤٩١	
٥٣٠	٥٢٩	٥٢١	٥١٩	
٣٤٥	٣٤٤			ترخان خاتون
٣٣				ترنبرج (المستشرق)
٣٤٣				توران شاه
٨٦	٣٤			توفيق وهبي
٣٧٣	٣٥٧	٣٣٩		تيمور (تيمور لنگ)
٣٨٨	٣٨٤	٣٨٢	٣٧٦	
٤١١	٤٠٧	٣٩٧	٣٩٥	
٤١٧	٤١٦	٤١٤	٤١٢	
٤٥٣	٤٤٥	٤٣٧	٤١٩	
٥٠٦	٤٩٢	٤٨٥	٤٦٤	
٥٢١	٥١٤	٥١٣	٥٠٨	
٥٢٩	٥٢٨	٥٢٧	٥٢٥	

ث

٨٠	الثعالبي (أبو منصور)
----	------------------------

ج

٢٧٩		الجات
٩٩		جاماسب
٣٩٧		الجامي (شهاب الدين احمد)
٣١٣	٣٠٠	جاولي (الاتابك)
٣٢٨	٣٢٧	٣٢٥
		جت (أنظر : الزط)
٦٠		جسنى
٣٥		جفتاي
١٨١	١٧٥	جلال الدين الرومي
٣١٢		جمشيد
١١٨		جميلة الحمدانية
٥٠١	٤٩٨	٤٩٣ (انطوني)
٤٤٤	٤٢٧	٣٩٠
٤٦٤	٤٦١	٤٥٩
٥٢٥	٥٠٦	٤٩١
٣٠		٤٦٦
		جوربت (المستشرق)

١٧٥	١٦٧	١٦٠	رمى (البروفسور)	٣٨٥	٣٨٤	الخلج (قبيلة)
٢٩			روجر الثانى (ملك صقلية)	٢٩٤		خمارتكين (الامير)
٢٨١	٢٥٩	٢٥٨	رولنسن (هنرى)	٥٢١	٤٥٩	خوارزمشاه (محمد)
٤٦٤	٣٧٩	٣٧٣			٥٢٤	
		٥٠١		٤١		الخوارزمي
٣١			رينو (المستشرق)	٣٣		خواندامير
				٢٩٠		خورشه (عامل بنى أمية)
				٢٦٧		الخوز
ز						
٤١١	٣٧٣		زال (ابو الملك رستم)			
٤٨٠	٥٥		زبيدة			
٣٩٥	٣٨٠	٢٥٩	زرادشت	٢٢٢		دارا
		٤٦٣		٢٥٦	٢٠٨	الداعى العلوى
٣٦٩	٢٧٩		الزط	٣٨٩		الداوديون
٤٩٧			الزخشري	٢٧٦		دراور (الليدى)
٢٦٨			الزنج	٣٢		دميسون (البارون)
٢٩٢			زهير (قبيلة)	٣٨٨		دوزى (المستشرق)
س						
				٢٠٧		الديالة
٤٢٤			سابور الاول	٣٠٦		دى بودى
٢٧٢	٩١	٩٠	سابور الثانى	٣٢	٣١	دى سلان (المستشرق)
٤٢٤	٤٠٦	٢٧٣		٢٧	١٠	دى غويه (المستشرق)
١٢٩			الساطرون	٣٣	٣٠	٢٨
٥٠٣	٣٨٩		السامانيون	٥٣٢	٥٠١	
٦٦			السامر (فيصل)	٢٥٦	٣١	ديفريمرى (المستشرق)
٣٤٤	٣٣٨	٣٢٤	سايكس (الميجر)	٣٠٥		الديلمى (طبيب الحجاج)
٣٥٠	٣٤٧	٣٤٦		٢٤١		ديو بند
٣٥٥	٣٥٤	٣٥٢				
٢٧٢	٣٦٨	٣٦٤				
١٠٢	٣٩٥	٣٧٩				
١٠			سيرنكر (البروفسور)	٣٣		الذهبي
٣٥٨	٢٩٥		ستيف (الكاين)			
٣٨٠			سخو (المستشرق)			
٤٤			سركيس (يعقوب)			
٢٨٧	٢٨٦		سعدى الشيرازى	٤١٦		الرازى (احمد)
١٣٧			سعيد بن عبد الملك الاموى	٢٧٦		الراسمى (على بن احمد)
٩٧	٩١		السفاح	٣٢٩		الراشد بالله
٣٧٩	٣٧٣		سفيح لندر	٣٠		رايت (وليم)
٦١			سفر (فؤاد)	٣٨٠	٣٧٣	رستم بن دستان
٢٨٥			سلطان الدولة البويهى	١٧٩		الرفاعى (ابو العباس احمد)
				٢٨٦	٢٦١	ركن الدولة البويهى

فهرست الاشخاص والاقوام

٢٨٦	السلفرى (سعد بن زكى)	٢٨٦	شيخ الجبل (انظر : حسن الصباح)
٥٣	سلمان الفارسى	٥٣	ص
٥٢	سلوقس نيقاطور	٥٢	الصابئة
٧١	سليمان بن جابر	٧١	صاحب الزنج
٢٢٧	سليمان شاه الملقب أبوه	٢٢٧	صالح احمد العلى (الدكتور)
٢٥٦	سليمان الصفوى	٢٥٦	صدر الدين وزير ارسلان الثانى
١٧٠ ١٦٩	سليمان بن عبد الملك	١٧٠ ١٦٩	الصدىقى (محمد زبير)
١٧٢	سليمان قنلمش	١٧٢	الصفار (طاهر بن الليث)
٢٤٤	السمعانى (ابو سعد)	٢٤٤	الصفار (عمرو بن الليث)
٤٠٠ ٢٢٧ ١٢٨	سنجر السلجوقى	٤٠٠ ٢٢٧ ١٢٨	الصفار (يعقوب بن الليث)
٤٤٣ ٤٣٦ ٤٢٦		٤٤٣ ٤٣٦ ٤٢٦	ص
٤٤٤		٤٤٤	صاحب الزنج
٣١	سنغوينتى (المستشرق)	٣١	صالح احمد العلى (الدكتور)
١٦	سهراب	١٦	صدر الدين وزير ارسلان الثانى
٨٥ ٨١	سوسه (الدكتور احمد)	٨٥ ٨١	الصدىقى (محمد زبير)
٤٦	سمزار فردريك	٤٦	الصفار (طاهر بن الليث)
١٦١ ١٥٤	سيف الدولة الحمدانى	١٦١ ١٥٤	الصفار (عمرو بن الليث)
١٦٢		١٦٢	الصفار (يعقوب بن الليث)
٩٧	سيف الدولة (رئيس بنى مزيد)	٩٧	ص
٥٥	الشابشى	٥٥	صاحب الزنج
٢٤١ ٢٤٠	شاردان (الرحالة)	٢٤١ ٢٤٠	صالح احمد العلى (الدكتور)
٥٢٥ ٥٠٠ ٤٤٥	شاه رخ	٥٢٥ ٥٠٠ ٤٤٥	صدر الدين وزير ارسلان الثانى
٣٤٤	شاه شجاع الكرمانى	٣٤٤	الصدىقى (محمد زبير)
٣٢٩	شاه شجاع المظفرى	٣٢٩	الصفار (طاهر بن الليث)
٤٦٥	شاه مردان	٤٦٥	الصفار (عمرو بن الليث)
٣٢٥	شبانكاره (قبيلة)	٣٢٥	الصفار (يعقوب بن الليث)
٢٩٥	شتاين (السر اوريل)	٢٩٥	ص
٤٨	شترك (البروفسور)	٤٨	صاحب الزنج
١٩٥ ١٩٤	الشراة	١٩٥ ١٩٤	صالح احمد العلى (الدكتور)
٤٣٦	شرف (الدكتور محمد)	٤٣٦	صدر الدين وزير ارسلان الثانى
١٠٤	شرف الدولة البويهى	١٠٤	الصدىقى (محمد زبير)
٦٢	الشرقى (على)	٦٢	الصفار (طاهر بن الليث)
٣٠	شفر (المستشرق)	٣٠	الصفار (عمرو بن الليث)
٤٢	شلمنصر الثالث	٤٢	الصفار (يعقوب بن الليث)
٣١٨ ٣١٧ ٢٤١	شندلر (هتم)	٣١٨ ٣١٧ ٢٤١	ص
٣٦٨		٣٦٨	صاحب الزنج
٥٢٩ ٥٢١	شويلر	٥٢٩ ٥٢١	صالح احمد العلى (الدكتور)

فهرست الاشخاص والاقوام

غ					عباس الصفوى	١٩٤	٢٠١	٢٤٠
٢١٠	٢٠٠	١٩٦	١٠٤	غازان خان	٣٥٧	٢٤١		
		٢٥١	٢١٨					
٣٦٦				الفجر	٥٢٤			عبدالله بن حميد
٤٤٢	٤٢٦	٤٢١	٣٤٣	الغز	٤٣٦	٤٢٦	٤٢١	عبدالله الطاهرى
		٥٢٩	٤٦٣		١٦٢			عبدالله بن عبد الملك الاموى
١٠٢				غنية (يوسف)	٦٣			عبدالله بن على بن ابي طالب
٤٥٩	٤٥١	٣٧٧		الغوريون	٢٧٦			عبدالجبار عبدالله (الدكتور)
ف					١٠٦			عبدالرزاق آل وهاب
٥٢٨				القارابى (ابو نصر)	٥٣٢			عبدالرزاق سفير شاه رخ
١٥				الفاطميون	٦٦			عبدالسلام الجبلى
٢٣٤				فتح على شاه	٤٣٠			عبدالقادر احمد اليوسف
٤١٢	٢٦١	٢٥١		فخر الدولة البويهى	٤٣٧	٣٨٣		العتبى
١٤٥				فخر الدين قرا ارسلان	١٦٩			عثمان بن عفان
٤١٣				الفرثيون	٢٥٦			العزاوى (عباس)
٢٤٢	٢٢٣			الفردوسى (الشاعر)	٥٧			العسكرى (تحسين)
٢١٠				فرهاد بن كودرز	١٠٦	١٠٤	٦٩	عضد الدولة البويهى
٣٢٥				فضلويه	٢٧٨	٢٦٨	٢٢٢	
ق					٢٩٥	٢٩١	٢٨٥	
٤١٩				قابوس	٣١٣	٣١٢	٣٠٢	
٢٠٧				قارن (اسرة)	٣٦٢	٣٥٥	٣٣٩	
١٣٨				القائم بامر الله	٣٨٧			علاء الدين النورى
٤٤				قباذ الاول	١٧٥	١٥٠		علاء الدين كيقباذ السلجوقى
٤٤٣				قتلق خان	١٨٣	١٨١	١٧٨	
٥١٩	٤٩١			قتيبة بن مسلم	٤٣٠			العلوى (السيد محمد مهدى)
٢٦				قدامة بن جعفر	١٠٣	١٠١		على بن ابي طالب (الامام)
٢٨٧				قراجا (الاتابك)	٤٦٤			على بن ارمى
٣٤٣	٣٣٩			قراختاي	١٤٢			على شاه الوزير
٣٠٩				القرامطة	٢٠٣	٢٠٠	١٩٧	
٣١	٣٠			القزوينى	٢٦٦	٢١٨		
٣٩٦				قطب الدين حيدر (الشيخ)	٨٠			على الهادى (الامام)
٣١٢				قطلمش	٣٢	٣١		على اليزدى
٣٥٥				القنص (قبائل)	١٢٢			عماد الدولة الديلمى
١٨١	١٧٤			قلج ارسلان الاول	١٢٢			عماد الدين زنكى
١٨٢	١٧٤	١٧٣		قلج ارسلان الثانى	٢٩٢			عمارة (قبيلة)
٢٨٠				القمى (الوزير محمد بن احمد)	٣٤٠	٣٣٩		عمر شيخ
					٥٣٠	٤٣٠		عميد الدولة فاتك (الامير)
					٥٥			عواد (كوركيس)
					٦٢			عواد (ميخائيل)

فهرست الاشخاص والاقوام

١٠٢		ماسنيون (المستشرق)
٤٣٧	٣٦٤	مالك كريكور
١٣٦		مالك بن طوق
٢٢٥	١٦٦ ١٦٥ ٥٥	المامون
٤٩١	٤٤٥ ٤٤٢ ٤٣٠	مبارك التركي
٢٥٤		الميرقع (الحكيم)
٤٥٧		المتوكل (الخليفة)
١٢٧	١٠٥ ٧٨	
٣٩٥	٢١٣ ١٧٣	
٤٠١	٣٩٨ ٢٨٠ ٣٥٤	المجوش
	٤٦٣ ٤٥٠	
١٠٥		محبوبة (الشيخ جعفر)
٤٤	١٤	محمد (النبي)
٤١٩		محمد بن جعفر الصادق
٢٥٤		محمد بن الحجاج
١٧٨		محمد بن الحنفية
٤٢٠		محمد الخوارزمي
٢٥٢		محمد شاه القاجاري
٤٩		محمد بن علي الملقب بالجواد
٤١٥		محمد بن ملكشاه السلجوقي
٣٨٧	٣٧٠ ٢٤٠ ٤٥٩	محمود الغزنري
١٤٧		مراد الرابع
٣٣	٣٢	مرجليوت
٥١٠		مرزبان بن تركسفي
١١٩	١١٥ ٣٥ ١٦٣	مروان بن محمد
٢٦		مزيك (المستشرق)
٥١		المسترشد بالله
٥١		المستظهر بالله
٧٣	٧٢	المستنصر بالله
٣١		المستوفي (حمد الله)
١٥٤		مسعود بن قلج ارسلان السلجوقي
٢٣٩	١٧٤	
٢٨		المسعودي
٣٣	٣٢	مسكويه
١٦٩	١٣٦	مسلمة بن عبد الملك
٦٨	٥١	مصطفى جواد (الدكتور)
١٠٤	٨١ ٧٢ ٧٠	
٤٣١	٢٣٩ ٢٣٧ ١٥٠	

ك

٢٩		كارا دو فو (المستشرق)
٣١		كانتان (المستشرق)
٥١٤		كبك خان
٤١٣		كدوسي
٢١٦		الكرج
		الكرد (انظر : الاكراد)
٣٧٦		كرشاسف
٨١		كريسول (الاستاذ)
١٠		كريم (فون)
٣٩٥		كشتاسب
٥٠٠	٤٨٥ ٤٣٢ ٥٠٨	كلافيجو (السفير)
٥١٩		كل زريان (قبيلة)
١٠٦		الكليدار (الدكتور عبد الجواد)
١٠٦		الكليدار (محمد حسن)
٣٣		كوتوالد (المستشرق)
٣٤٠	٣٣٩	كودرز
٣٧٣	٣٦٧	كولدسمد (المستشرق)
٣٩٦	٣٨٠	
٣٠٦		كوهكلو (عشائر)
٣١	٦	كويار (ستانسلاس)
٢٥٩		كيخسرو
٥٢١		كيدوخان
٤٠٠	٣٦٣ ٣٦٢	كيلكي (امير طيس)
٣٠١		كينر (مكدونلد)

ل

٢١٦		اللان
٢٨١		لايارد (هنري)
٢٧٩	٢٧٤ ٢٣٥	اللب
٣٠	٢٦ ٦ ٤	لسترنيج
	٣٣ ٣١	
١٧٣		لبن بول

م

٣٢٥	٣١ ٢١ ٢٠	ماركوبولو
٣٩٦	٣٩٢ ٣٥٣ ٣٤٧	

فهرست الاشخاص والاقوام

٣٦٢	٣٠	٢٩	ناصر خسرو	٥٠٢	المصعبى (تقى الدين)		
١١٨			ناصر الدولة الحمداني	٧٤	مطر الشيباني		
٣٦٥			ناصر الدولة بن سيمجور	٢٩٢	المظفر (قبيلة)		
٤٩٣			نجم الدين الكبرى	٣٣٩	المظفريون		
٣٢			نربرج (المستشرق)	١٦٩	١٦١	١٦٠	معاوية (الخليفة)
١٠٠			نرسى (الملك الساساني)	٢٥٥	المعز		
٥٣٠	٥٢٥	٥٠٩	النساطرة	١٧٠	٧٦	المعتصم	
٣٤٥			نستردامس	٨٦	المعتضد		
٤٨٦			نصر بن أحمد	٧٨	المعتمد		
١٦٧			نصر الاقريطشى	٦٧	معقل بن يسار		
٤٣٥			نظام الملك (الوزير)	المغول (أنظر التتر)			
٢٢٣			نظامى (الشاعر)	٢٧٧	المقتدر		
١٠٢			النعمان بن المنذر	٢٣٩	المقتفى		
٣٤٥			نعمة الله الولى الصوفى	٤٠٦	٢٨	المقدسى (البشارى)	
١٦٥			نقفور	٥١٤	٥١٣	٤٥٧	المقنع (الخارجى)
٤٢٤	٤١٣		نلدكه (المستشرق)	٥٣	المكتفى		
٣٦٩	٢٧٩		النور (بفتح النون والواو)	٢٧١	مكرم (القائد العربى)		
١٣٩	١١٧		نور الدين زنكى	٣٠	ملى (كتراد)		
٢٨٨	٦٨		نيارخس	٢٤٠	١٠٦	٨٧	ملكشاه السلجوقى
٣١	٣٠		نيكلسن (المستشرق)	٤٤٧	٤٤٥		
٤٦			نيوبرى (جون)	٤١٤	ملكونوف		
هـ				٦	ملوان (البروفسور)		
				٨٢	٧٨	المنتصر	
٢٥٤			الهادى (موسى)	١٣٢	٥٣	٤٨	المنصور (أبو جعفر)
٨١	٤١	٣٤	هرسفلد (الاستاذ)	٤١٢	١٥٢		
١٣٣	١٠٣	٨٣	هرون الرشيد ٥٠	١٥٥	منصور القيسى		
	٢٥٤	٢٤٩	١٦١	٢٣٦	منكوبرس		
١٥١			الهروى (السائح)	٢٥٢	منو جهر الزيارى		
١٩١	١٦٢	١٣٧	هشام بن عبدالملك	٢٧٨	٢٤٩	٤٨	المهدى (الخليفة)
١٧			هلبرخت (الاستاذ)	٥١٤	٤٥٧	٤١٢	
١٧٣	٣٣	٢٧	هوتسما (المستشرق)	٤٦١	موتوكن بن جفتاى		
٢٦٧			الهوز	٢٥٥	موسى بن بفا		
٤٣٥	٣٩٤	١٩٥	هولاكو	٤٩	موسى بن جعفر الكاظم		
٣٦٩	٣٦٧		هولديج	١٣٨	٩٥	موسيل (المستشرق)	
٤٨١	٤٧٦		الهنون البيض	٢٢٤	مؤنس المظفر		
٤٨٤			هوين تسانك (الرحالة الصينى)	٦	موهل (المستشرق)		
٤٧٦			الهياطلة	٣٣	ميرخواند		
و				ن			
٧٨			الوائق	٤٣٦	نادر شاه		

فهرست الاشخاص والاقوام

٤٤٤	٣٤	٣٠	ياقوت الحموى	١٧		وارد (الاستاذ)
		٤٨٨		٣٣	٣١	وستنفلد (المستشرق)
١٦٩			يحيى بن معاوية	١٦٣		الوليد الاموى
٢٥٣			يحيى (حفيد على زين العابدين)	٢٦١		وهسوذان (اسرة)
٤٤٢	٨٧	١٤	يزدجرد	٤٧٧		وود (الكابتن)
٥٢٩			اليسى (الشيخ احمد)			
٣٢	٢٧	٢٦	اليقوبى (ابن واضح)			ى
٢٢٥			ينال (ابراهيم)	٤٢٩	٤١٩	٣٤٦
١٩٠			الينيصرية	٤٥٦	٤٣٥	٤٣٠
٥٣٢	٤٦٠	٣٨٨	يول (السر هـ)	٥٣٢	٥٠٠	ياجوج وماجوج

[illegible]

الفهرست العمراني

ج				٢٤١	٢٢٨	٢٢٦	بيت النار (لدى المجوس)
٥٠٢			الجبن	٢٥٩	٢٥٤	٢٤٣	
٣٥٤	٣٣٧	٢٨٤	٢٣٧	٢٩٠	٢٨٠	٢٧٧	
٩٧	٩٤	٩٣	٨٢	٣٢٤	٣٠٧	٢٩٢	
٢٨٩	٢٧٢	٢٣٩	١٠٠	٤٥٠	٣٩٨	٣٨٠	
٤٤٩	٣٨٣	٣٠٦	٣٠٢		٤٦٣	٤٥١	
			٤٩٧				
٤٣٤			الجنار (شجر)				
٥١٤	٥٠٢	٤٦٥	الجلود المدبوغة				
		٥٣١					
٣٦٢	١١١		الجمازات	٤٧١			التاخشج
٢٦٢			جوارب الادم	٥١٣			الترنجبين
٤٨٠	٣٣٠	١٩٧	الجواهر	٤٩٥			التزويقي
٣٠٣			جيلان (صنف من التمر)	٤٩٢			التطريز
				٣٩٠	٣٨٩		التعدين
				٢١٨			تفاح بدليس
				٢١٩			التكك الارمنية
				١٠٩			التمور
٢٢٦			حب الزلم	٤٧٢	٣٣٠		التوابل
٥٣١	٢٨٨		حجر الارحاء	٣٤٧			التوتيا (التوتيا المرازبي)
٤٨٠			حجر الفتيلة	٥٠٢			التوز (خشب)
٣٣٢	٣٢٤	٣١٤	١٤٢				
٥١٠	٤٧١	٤٣٠	٣٥٤				
			٥٣١				
٣٩٨	٣٩٦	٣٩٣	٣٢١				
	٤٢٠	٤١٦	٤١١				
٢١٨			الحريز	١٦٠			الفغور
٤٧١	٣٣٢	١٠٤	الحريز القرمزي	٢٨٦	٢٨٠	٢٤٦	٢٤٥
٤٧١			الحصر			٣٥٢	٣٥٢
٤٧٢	٣٧٣	٣٧٢	الحقائب	٤٧١			ثياب الابرسم
٢١٦	١٢٨	١٢٦	١٢٤	٥٣١			الثياب البيض
٤٤٢	٤٠٠	٣٥٠	٢٧٧	٤٧١	٣٣٢		ثياب الشعر
	٥٠٧	٥٠٥	٤٩٧	٥١٤			ثياب الفرش
٣٦٥	٣٦٤	٣٦٣	٣٦١	٤٧١	٣٥٠	٣٣١	٣٠٢
٤٠٠	٣٩٤	٣٧٥	٣٦٦			٥٠٦	
		٤٤١	٤٠٧	١٨٧			ثياب القطن المعلقة بالذهب
				٣٠٧	٣٠٢	٢٩٥	ثياب الكتان
				٢٧٦			الثياب المدلسة
				٤٤٣			الثياب المروية
٢١٤			الخاقان (ج : الخواقين)	٣٣١			الثياب الموشاة
٤١٧			الخرز	٥١٠			الثياب الودارية

ت

ث

الفهرست العمراني

٣٣٢	الرازقي (دهن)	٣٣٢	الخركاها
١٠٩	الراستخت	٣٣١	الخز
٤٤٥	الرشته		خزائن الكتب (انظر : دور الكتب)
٢٧٢	الرصاص	٧٠	الخشاب (الخشببات)
١٩٩	الرصد (مراغة)	٤١٦ ٤١٠ ٢٦٢	الخلنج (خشب)
٥٣١	الرقيق	٥٠٢	
١٥٩	الروم (مدلول اللفظة عند العرب)	٤٣٠	الخمائن
٣٧٥	الرمال المتحركة (المتنقلة)	٤٦٨ ٢٨٩	الخمور
٥١٦	٣٧٦ ٣٧٩ ٤٤٥	٤٦١	خنكيد (صنم بوذى)
٣٨١	الرمال المصوتة (الموسيقية)	٤١٦	الخييش
٤٢٨	الريباس (الريواس)	٤٨١ ٤٧١ ٢٥٩ ١٥٧	الخييل
		٥٣١	
ز		د	
٤٧٢	الزاج	٣٣٢ ٣٣١	الدبس
٤٤٢	الزبيب الكشماهني	٣٣١	الديبقي
٧٣	الزجاج	٥٠٢	الدروع
٥٣١	٥١٠	٢٨١ ٢٣٧	الدستنبوية (الدستنبوي)
٢٩٤	الزفت	٤٥	الدهقان (ج : الدهاقين)
٣٣٢	الزلازل	٤٣٠	الدهنچ
١٠٩	الزلازل	٢٥٥ ٢٤٩ ١٢٠ ٩٩	دور الضرب
١٠٩	الزنجار	٤٦٦ ٣٨٩ ٣٢٩ ٢٨٥	
٥٠٦	الزنجفر	٥٢٦ ٤٩١	
٥٣١	الزندانجى (ثياب)	٢٧٨ ٢٥٠ ٢٤٧ ٦٦	دور الكتب
	الزئبق	٤٤٤ ٢٨٥	
س		٣٥٢ ٣٣٢ ٣٣١ ٢٧٩	الدوشاب
٢٨١	الستور	٤٧٢ ٤٧١	
	٢٩٦ ٣٣٢ ٣٣١ ٢٧٥ ٢٧٧	٢٨٥ ٢٨١ ٢٦٩ ٢٠١	الديباچ
٤١٠	السجاجيد	٤٧١ ٤٦٣ ٤٢١ ٣٣١	
٣١٣	السدود	٥١٥ ٥٠٢	
٤٤٤	٣٧٧ ٣٩٣ ٢٤٨ ٢٨٩ ٣١٢		
	٤٩١ ٤٩٦ ٤٩٩		
٤٦٠	سرخ بد (صنم بوذى)	٤٣٠ ٤٠٥ ٣٣٢ ٢٥٩	الذهب
٢٨٤	سردسير	٥١٠ ٤٨٠ ٤٧١ ٤٥٩	
٢١١	السرماهى (سمك)	٥٣١	
٣٩٦	سروة زرادشت		
٤٧١	السعيدى (نسيج)		
٥٠٢	السفن	٤٧١	الراختج

الفهرست العمرانی

[illegible]

الفهرست العمراني

١٥٦	١٤٥	٨٧	٨٢	القناطر	٢٩٦	العيون المعدنية		
٢٥٣	٢٣٨	٢٠٤	١٦٣			غ		
٢٧٣	٢٧٠	٢٦٩	٢٦١					
٣٠٥	٣٠٤	٣٠١	٢٨٠					
٣٨٠	٣٧٩	٣٦٩	٣١٢					
٤٨١	٤٥٢	٤٣٨	٤١٨					
			٥١١			ف		
٥١٥				القناني				
٤٤٠				قياس علو الفيضان	٣٦٧	٣٥٢	الفانيد (الفانيد)	
٣٨١	٣٨٠			القيشارة الايولية	٥٣١	٥١٠	الفحم الحجري	
٥١٠				القيش	٤٥١		الفخري (عنب)	
١١٧				القيسارية	٥٠٢	٤٧٢	٤٧١	الفراء
					١٣٥		الفسافساء (الفسيفساء)	
					٤٥٧		الفسستق	
					٤٣٠	٣٨٩	٣٥٤	٣٣٢
					٤٨٠	٤٦٩	٤٥٩	٤٥٦
						٥٣١	٥٢٦	٥١٠
٥١٤	٥٠٨	٢٦٠		الكاغد	٤١٠	٣٩٧	القهلوية (البهلوية)	
٣٣٠				الكافور	٣٣٢	٢٨١	القوط	
٥١٥	٤٧٢	٣٣٢		الكبريت	٤٨٢		القوة	
٣١٤				كتابة المصاحف	٥٣١	٥١٠	٤٧١	٤٣٠
٣٣٢	٣٠٩			الكتان			الفيروزج	
٢٦				كتب المسالك			ق	
٣٠٢	٧٤			الكرباس (ثياب)				
٢٨٤				كرم سير				
٢٥٨				الكروغ (المعبد المغولي)	٤٣٢	٢٤٤	١٩٧	١٠٥
٢٧٩				الكلل (لليق)	٢٨٠		القاشاني	
٢٥٧				الكمثرى العباسي	١٥٧		القائلي	
٤٢٧				الكمخاء	٥٣١	٥١٥	٢٩٢	قدور النحاس
٣٥٧				الكمرك	٣٣١		القرب	
٣٣١				الكندكية (ثياب)	٢١٩	٢١٨	٢١٧	٢٠١
١٠٨ - ١٠٦				الكورة	٢٤٤		القرمز	
٥٣١				الكيمخت	٤٧١	٤٤٣	٤١٩	٣٣٢
							٥١٥	٤٧٢
					٥٣١	٥٠٢	القسي	
					٤١٦	٤١٠	القصاص	
٤٨٠				اللازورد	٣٣١		القصب (نسيج)	
٥٣١	٥١٥	٤٧١	٤٦٥	اللبود	٢٦٢		القصدير	
٤٣٤				لحاء الجنار (لوجع الاسنان)	١٣٩		القمار	
				اللغة البهلوية (انظر : القهلوية)	٢٦٢		القماقم (يابس البسر)	
٨٩				اللغة النبطية	١٨١		قمر الدين	
٢٣٠	٢٩٧	٢٩٣		اللولؤ	٤٣١	١٠٥	القناديل	

الفهرست العمراني

ن				م			
٤٧١	٢١٢		الناطف	٣٠٧	٢١٤	٦٢	٥٤
٥٣١	٥١٠	٤٣٠	النحاس	٢٨٦	٢٨٥	٢٤٧	١٢٤
٤٢٧	٣٣١		النخاخ		٤٩٢	٤١٠	٣٧٥
٢٩٤	٢٩٣	٢٣٧	النخيل	٣٣٠			ماء الطلع
٣٠٨	٣٠٤	٣٠٠		٣٣٠			ماء القيصوم
٣٥٢	٣٥١	٣٥٠		٣٣٠			ماء الورد
٣٦٣	٣٦١	٣٥٧		٣٦٦			المتحجرات
٣٨٣	٣٧٩	٣٧٥		٢١٩			المحفوريات
٤١٧	٤٠٠	٣٩٩		٤٧٢	٤٧١		المدارس
١٢١	٨٨	٨٧	النفط	١٠٩			المرداسنج
٥١٠	٣٣٢	٢٧٩		٢١٤			مرسى السفن (دربند)
		٥٣١		٢١٧	١٢٦		المرعز
٤١٠	٢٤٩	٢٣١	النقود	٤٨٠			المسك
		٤٩١		٢٢٢			المسمارية (كتابة)
٢٦٢	١٥٧		النمكسود	٥٠٧			المسنيات
٥٠٧			نهر رصاص	٥١٥	٥٠٤	٤٠٣	المصليات
٥٠٨	٢٧٣	٢٦٩	النواعير				٥٣١
٥٣١	٥١٠		التوشاذر	٤٧١			المصمت (نسيج)
٤٠٣			التيسابورية (ثياب)	٤١٢			المصمغان
٣٥٨	٣٥٦	٣٥٥	النيل	١٣٦	٦٣		المصنعة
		٣٨٨		٥٣١			المقاريض
				٥٠٢	٤٣٨	٤٢١	المقانع
				٤٤٤	٤٤٣	٤٤٠	مقسم المياه
				٢٧٧			المكوس
				٤٧١			الملاحم بالقز
٦٢			الهور	٥١٣	٣٨٣	٣٢٦	٢٣٤
٦٢			الهول	٥١٣	٤٧٢		المن
				٣٥٠	٣٣٢	٣٣١	١٠٩
					٤١٥	٤١٠	٤٠٧
٢٩٢			الورد الجوري	٢٥٦	٢١٢		المنجنيق
٤٣٤			وعاء عظيم من النحاس (اسفرايين)	٣٣١	٢٦٢		المنيرات
				٩٩			الموبد (ج : الموابدة)
				٣٨١	٣٧٩		موسيقى الرمال
				٣٣٢	٣٢٦	٣٠٥	المومياء
٤٨٠			الياقوت	٤١٠			الميازر



